إرشاد الرحمن

لأسباب النزول

والناسخ والمنسوخ والمتشابه وتجويد القرآن

تأليف

الشيخ الإمام

عطية بن عطية الأجهوري

رحمه الله تعالى

ت ١١٩٠ هـ

اعتنى به

أبو الفضل الدمياطي

أحمد بن علي

عفا الله عنه

مركز التراث الثقافي المغربي

دار ابن حزم

إرشاد الرحمن

لأسباب النزول

والناسخ والمنسوخ والمتشابه وتجويد القرآن

تأليف

الشيخ الإمام

عطية بن عطية الأجهوري

رحمه الله تعالى

ت/ ١١٩٠ هـ

اعتنى به

أبو الفضل الدمياطي

أحمد بن علي

عفا الله عنه

المجلد الأول

مركز التراث الثقافي المغربي

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

9 789953 817415

ISBN 978-9953-81-741-5

مركز التراث الثقافي المغربي
الدار البيضاء - 52 شارع القسطلاني - الأحباس
هاتف: 442931 - 022/ فاكس: 442935 - 022
المملكة المغربية

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: 14/6366
هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)
بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

إن الحمـد لله تعالى نحمـده، ونستعين به، ونستـغفره، ونعـوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا .

من يهـده الله فلا مـضل له، ومن يضلل فـلا هادي له ، وأشهـد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعـد:

فهذا كـتاب «إرشاد الرحمن لأسـباب النزول والناسخ والمنسوخ والمتشـابه وتجويد القرآن » تصنيف الإمام الهمـام عقبة بن عطية البرهاني القاهري، الشـافعي ،المشهور بالأجهوري ـ رحـمه الله تعالى ـ أجاد مـصنفه في جمعـه وترتيبه ،فجاء عـلى هيئة حسنة، أسأل الله أن يجعله في ميزان حسناته، آمين .

وقد قـمت بضبط نصه على ثلاث نسخ خطيـة ،وتخريج آياته وأحاديثـه، وعزو أقواله ونقـولاته، ووثقتها، كمـا قمت بعمل فهـارس علمية شاملة للكـتاب، وعمل ترجمة موجزة للمؤلف ،والله أسأل أن يتقبل منا صالح الأعمال وأن يغفر لنا سيئها، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وكتبه

أبو الفضل الدمياطى

أحمد بن على

عفا الله عنه

ترجمة المصنف

ترجمة المصنف

اسمه ونسبه ومولده :

هو : عطية ـ ويقال : عطية الله ـ بن عطية البـرهاني القاهري الشافعي، المشهور بالأجهوري .

وأجهور : قرية من قرى مصر، بغرب محافظة القليوبية .

مولده : لم تذكر كتب التراجم التي تحت يدي مولده .

شيوخه :

أخذ عن الشهـاب أحمد بن عبد الفتـاح الملوي، والشمس محمد العـشماوي ، والسيد علي العزيز ،وغيرهم .

تلاميذه :

أخذ عنه هبة الله التاجي، والشيخ سليمان الجمل، ومعيده الشيخ عبد الرحمن ، والشيخ أبو الفتح محمد العجلوني الدمشقي .

ثناء العلماء عليه :

قال تلميذه هبة الله التاجي : سـمعت منه ما لا أذن سمعت ولا خطر على قلب محش ولا شارح .

وقال المرادي : كان علم الفضل المشهـور ، نتيجة الأيام والدهور، من لم تسمع الآذان ولم تر العيـون، بمثل تحقيقاته التـي تستوضح الشمس للخـاص والدون، مبرزا للتحقيق على طرف الثمام .

عجائب الآثار : أتقن في الأصول ،وسمع الحديث ،ومهر في الآلات ،وأنجب، ودرس النهج والتحرير مرارا وكذا جمع الجوامع .

معجم المفسرين : فقيه شافعي مفسر، مشارك في بعض العلوم .

تصانيفه :

ـ إرشاد الرحمن لأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمتشابه وتجويد القرآن.

ـ الكوكبين النيرين في حل ألفاظ الجلالين .

ـ شرح مختصر السنوسي في المنطق .

ـ حاشية على شرح منظومة في أصول الفقه .

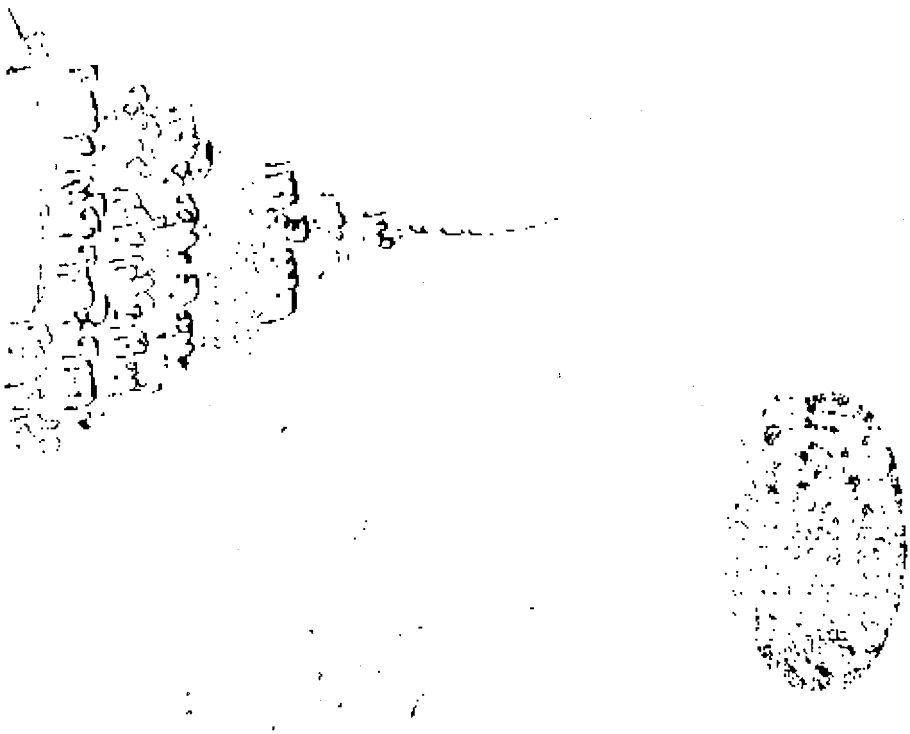
ـ حاشية على شرح محمد الزرقاني على البيقونية في مصطلح الحديث .

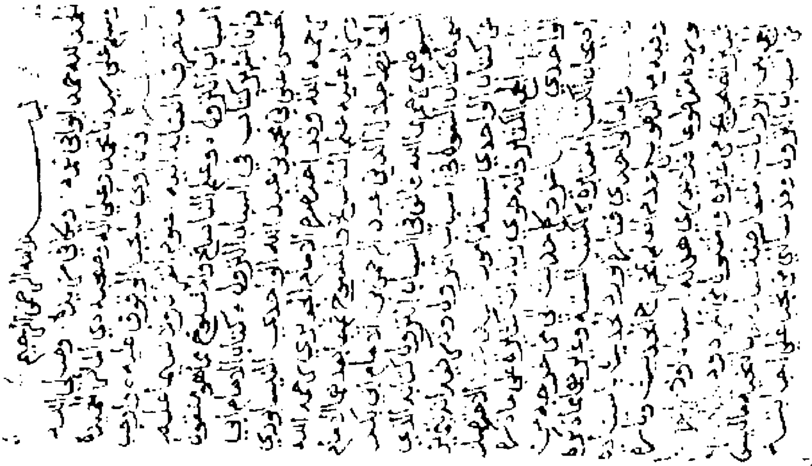
ـ حاشية على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك في النحو .

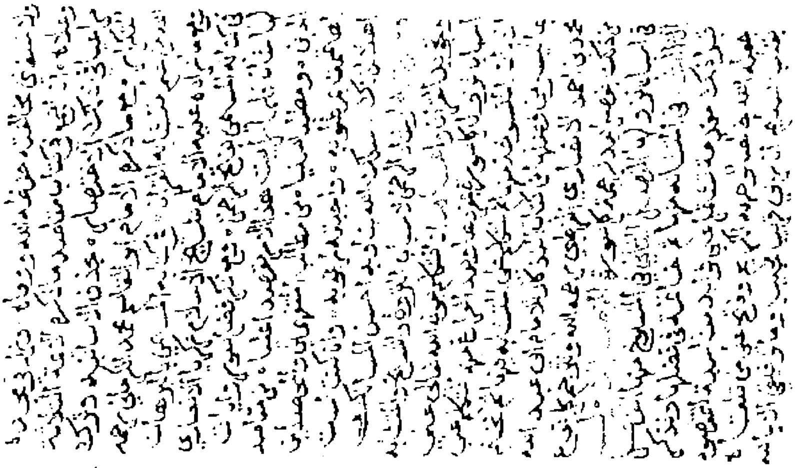
وفاته :

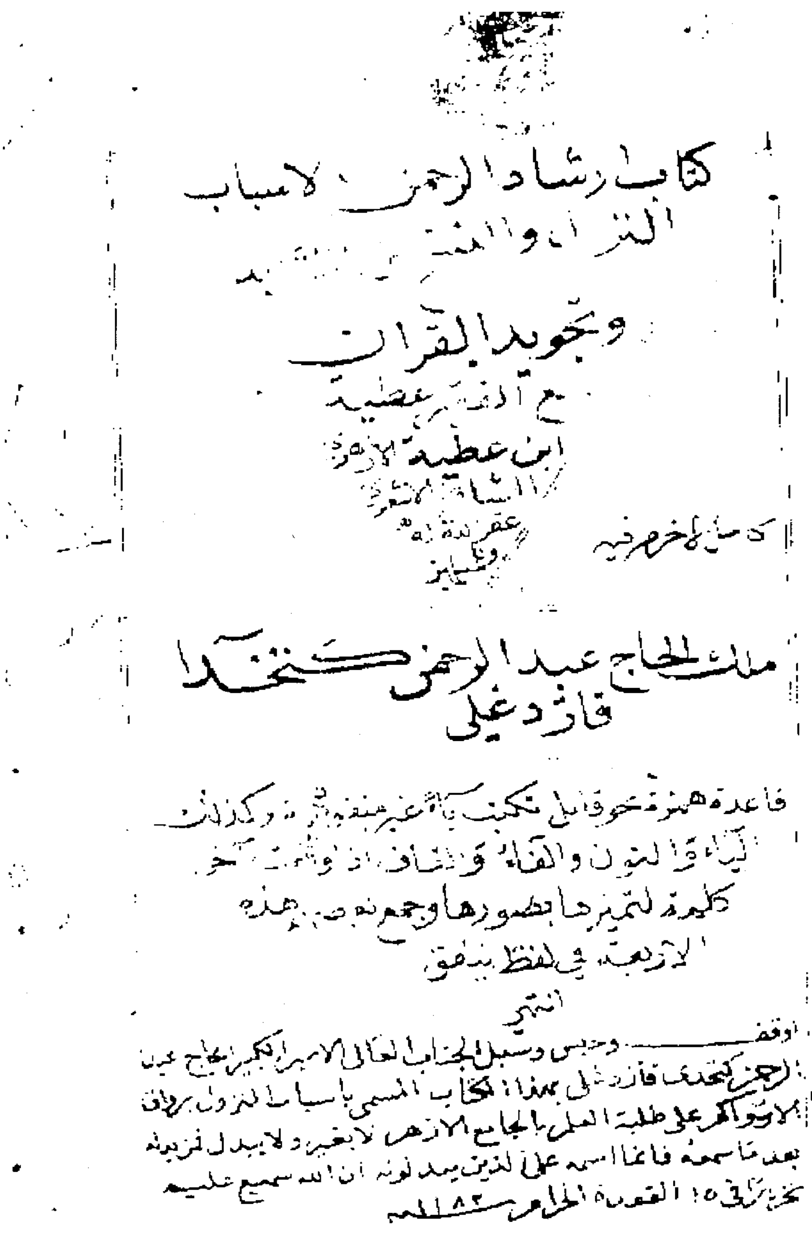
توفي ـ رحمه الله ـ سنة أربع وتسعين ومائة وألف .

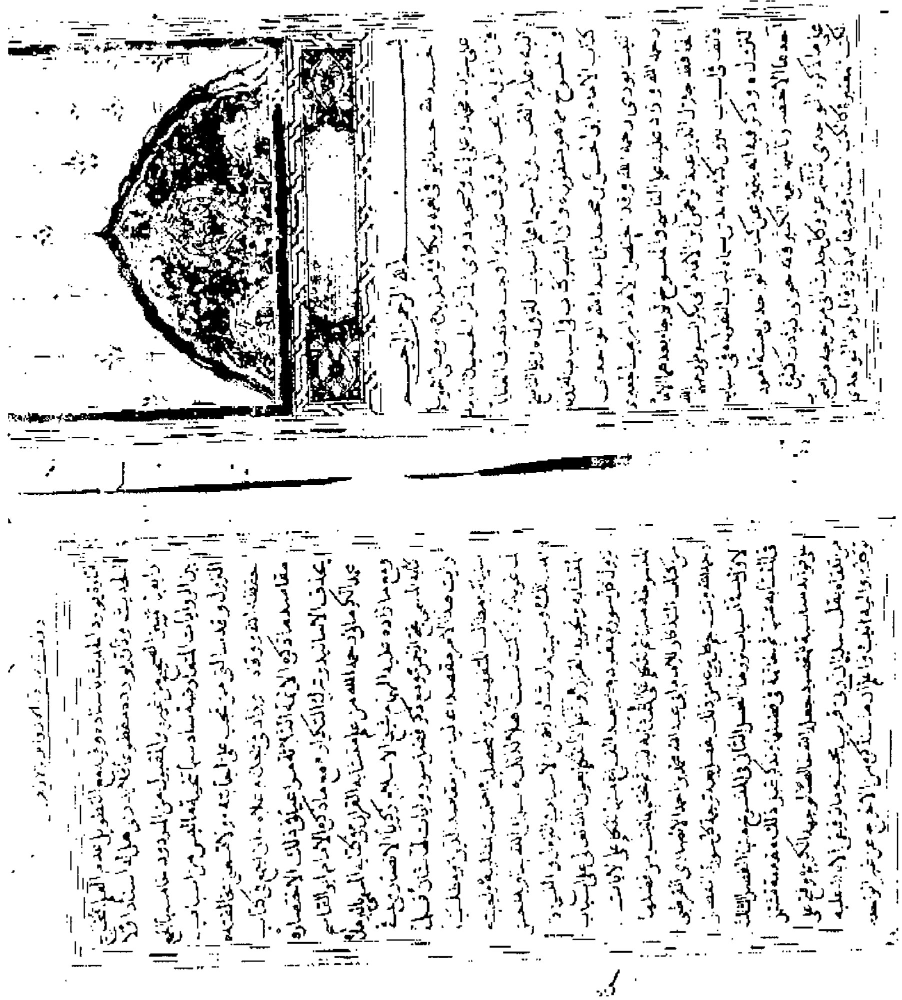
نماذج من المخطوط

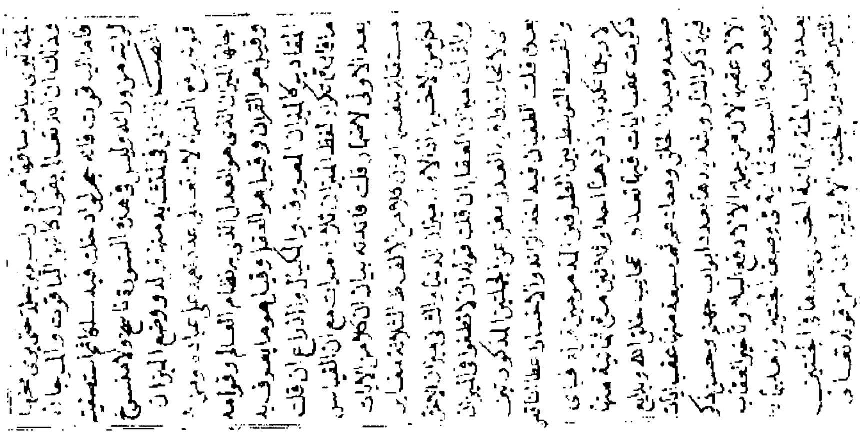


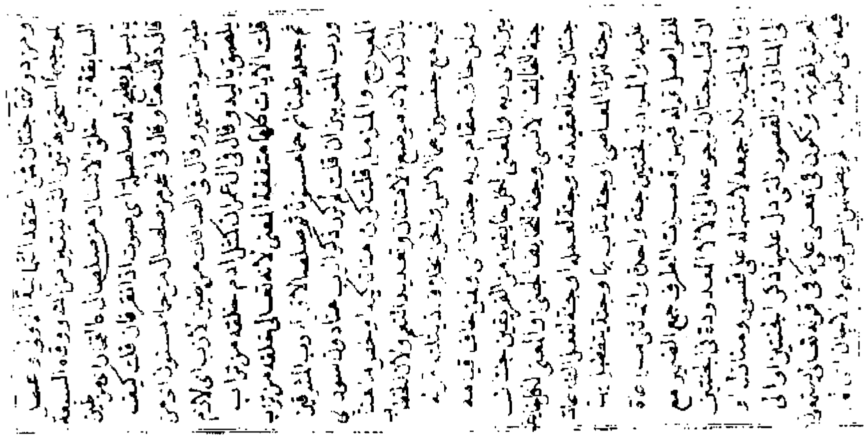





كتاب إرشاد الرحمن لأسباب
النزول والنسخ [illegible]
وتجويد القرآن
[illegible] عطية
ابن عطية الأجهوري
الشافعي الأشعري
عفى الله عنه
آمين
ملك الحاج عبد الرحمن كتخدا
قازدغلي
فائدة همزة [illegible] تكتب ياء [illegible] وكذلك
الياء والنون والقاف [illegible] آخر
كلمة لتميزها بصورها وجمعوا [illegible] هذه
الأربعة في لفظ ينفق
انتهى
أوقف وحبس وسبل الجناب العالي الأمير الكبير الحاج عبد
الرحمن كتخدا قازدغلي هذا الكتاب المسمى بأسباب النزول [illegible]
[illegible] على طلبة العلم بالجامع الأزهر لا يغير ولا يبدل فمن بدله
بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم
تحريرا في ١٥ القعدة الحرام سنة ٨٣







النص المحقق

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمـدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، وصلى الله على سيـدنا محمد وعلى آله وصحبه ذوي المآثر الحميدة أما بعد:

فإن أولى ما يجب الوقوف عليه، وواجب ما تصرف العناية إليه علوم القرآن ولاسيمـا علم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ مما هو منقـول، وإن أشهر كتـاب في أسباب النزول كـتاب الإمام أبي الحسن علـي بن محمد بن عـبد الله الواحدي النيسابوري ـ رحمه الله ، وقد اختـصره الإمام إبراهيم الجعبري ـ رحمه الله ، وزاد عليه علم الناسخ والمنسوخ ثم جاء بعدهما الإمام الحافظ جلال الدين عبـد الرحمن ابن الإمـام أبي بكر السيـوطي ـ رحمهـما الله تعـالى ـ فألف في أسباب النزول في كتابه الذي سماه «لبـاب النقول في أسباب النزول»، وذكر فيه أنه يتميز عن كتاب الواحدي بستة أمور :

أحدها: الاختصار.

ثانيها: الجمع الكثير فإنه حوى زيادات كثيرة على ما ذكره الواحدي.

ثالثها: عزو كل حديث إلى من خرجه من أصحاب الكتب المعتبرة كالكتب الستة وغيـرها مما ذكره، قال(١): وأما الواحدي فتـارة يورد الحديث بإسناده وفيه مع التطويل عدم العلم بمخـرج الحديث، وتارة يورده مقطوعـا فلا يدري هل له إسناد أو لا.

رابعها: تمييز الصحيح من غيره والمقبول من المردود.

خامسها: الجمع بين الروايات المتعارضة.

سادسها: تنحية ما ليس من أسباب النزول.

---

(١) انظر :لباب النقول للسيوطي (ص١٥).

وقد سألني من تجب إجابته ولا تسعني مخالفته حفظه الله ووقاه، وزاد في مجده وعلاه أن أجمع في كتاب مقاصد ما ذكره الأئمة الثلاثة مراعيًا في ذلك الاختصار بحذف الأسانيد وترك التكرار مع ما ذكره الإمام أبو القاسم محمد الكرماني ـ رحمه الله ـ من علم متشابه القرآن في كتابه المسمى بـ«البرهان»، ومع ما زاده عليه الهمام شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في كتابه المسمى بـ«فتح الرحمن» ومع ذكر فضل سور وآيات لها شأن، فلما رأيت هذا الأمر مقصدًا عليًا من مقاصد الدين ومطلبا سنيًا من مطالب المتفهمين [المخلصين][١] اهتممت بمطلوبه وأجبته لمرغوبه، وإن كنت لست أهلا لذلك، سلك الله بنا وبه أحسن المسالك وسميته «إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ المتشابه وتجويد القرآن».

واعلم أنا نتكلم بعون الله تعالى على أسباب نزول كل سورة بمفردها، وبعد الفراغ منها نتكلم عن الآيات المنسوخة منها، ثم نتكلم على المتشابه فيها، ثم نختتم بما تيسر من فضلها من كتاب «التذكار»[٢] للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ـ رحمه الله ـ ونترجم كل فرع من ذلك بفصل بعد ترجمة كل سورة.

الفصل الأول: في أسباب نزولها.

والفصل الثاني: في المنسوخ منها.

الفصل الثالث: في المتشابه فيها.

ثم خاتمة في فضلها.

ونذكر قبل ذلك مقدمة تشتمل على فوائد مناسبة للمقصود جعله الله خالصًا لوجهه الكريم وفتح على من تلقاه بقلب سليم إن ربي قريب مجيب، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه [أنبت][٣] [ق/ ٢أ].

---

(١) في ب: المحصلين.

(٢) كذا في ب.

(٣) في ب: أنيب.

واعلم أن ما سأذكره من الإخراج عن غير الواحدي [ق/ ٢ب] فإنه من اللباب وما نزيده [نسبة][(١)] لقائله لدفع الارتياب فإن قولهم نزلت الآية في كذا يراد به تارة أنه سبب النزول، وتارة أن ذلك داخل في معنى الآية وإن لم يكن السبب، ويشترط في السبب أن تنزل الآية أيام وقوعه ليخرج ما ذكره الإمام الواحدي في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة به، فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية كذكر قصة قوم نوح، وعاد وثمود، وبناء البيت ونحو ذلك مما ذكر ذلك في «لباب النقول».

(١) في ب: ننسبه.

المقدمة

مقدمة

يذكر فيها أول ما نزل وآخر ما نزل وتقسيم السور باعتبار الناسخ والمنسوخ أربعة أقسام وترتيب السور المكية والمدنية بحسب النزول

أما أول ما نزل فقد روى البخاري(١) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتي حراء يتحنث فيه، وهو التعبد الليالي [والأيام](٢) ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: «**اقرأ، فقال: ما أنا بقارئ**»، **قال: فأخذ بي فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني وغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد فقال:** ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣]»، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده [فرجع إلى](٣) خديجة بنت خويلد، فقال: زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب منه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «**لقد خشيت على نفسي**»، فقالت خديجة: كلا، والله لا يخزيك الله أبدًا إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

وروى البخاري عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: «**بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا فرفعت بصري فإذا**

(١) أخرجه البخاري (٣) ومسلم (١٦٠).
(٢) سقط من ب.
(٣) في ب: فدخل علي.

الملك الذي جاءني بحراء جالس بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت: زملوني زملوني» فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ ② وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ③ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ④ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[المدثر: ١-٥]، وبان بهذا الحديث أن الوحي كان قد فتر بعد نزول ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[العلق: ١]، ثم نزل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾.

وأخرج الواحدي(١) عن علي بن الحسين قال: أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ بمكة: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ وآخر سورة نزلت على رسول الله ﷺ بمكة المؤمنون، ويقال: العنكبوت، وأول سورة نزلت بالمدينة: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، وآخر سورة نزلت بالمدينة: «براءة»، وأول سورة أعلنها رسول الله ﷺ بمكة: ﴿وَالنَّجْمِ﴾، وأشد آية على أهل النار: ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠]، [وأرجى](٢) آية في القرآن لأهل التوحيد [ق/ ٣أ] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء: ٤٨] الآية، وآخر آية نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾[البقرة: ٢٨١]، وعاش النبي ﷺ بعدها تسع ليال.

وذكر السيوطي ـ رحمه الله ـ في كتابه الذي سماه «بالتحبير في علم التفسير» عن ابن عباس بينها وبين موت النبي ﷺ أحد وثمانون يوما(٣)، وعن ابن جريج قال: زعموا أنه ﷺ مكث بعدها تسع ليال.

وأما آخر ما نزل فقد أخرج الواحدي(٤) عن البراء بن عازب أن آخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾[النساء: ١٧٦](٥).

---

(١) انظر أسباب النزول (ص١٠٦).

(٢) كذا في ب وهو الصواب.

(٣) وفي رواية عنه: أحد وثلاثون يومًا.

(٤)انظر أسباب النزول (ص١٠٧).

(٥) أخرجه البخاري (٤١٠٦).

وأخرج(١) عن أبي بن كعب :آخر آية نزلت على عهد رسول الله ﷺ : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[التوبة:١٢٨] إلي آخر السورة(٢)، وأول [ق/٣ب] يوم أنزل القرآن فيه [يوم الإثنين](٣)، وأخرج(٤) عن واثلة أن النبي ﷺ قال: «**نزلت صحف إبراهيم أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، وأنزل الإنجيل لثلاث عشر خلت من رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان**»(٥).

وأما النسخ فهو قسمان: نسخ الشرائع وموضعه أصول الدين، ويعرف بأنه ابتداء شريعة نبي دل على انتهاء السابق.

ونسخ الأحكام وموضعه أصول الفقه، ويعرف بأنه الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتًا مع التراخي.

وأركانه خمسة: ناسخ، ومنسوخ، ومنسوخ به، ومنسوخ عنه، ونسخ.

فالناسخ هو الله، والمنسوخ حكمه المنتهي، والمنسوخ به خطابه الدال عليه، وتسميته ناسخًا مجازًا، والمنسوخ عنه المكلف، والنسخ إنزال الخطاب.

وشروطها تسعة، فشروط المنسوخ ثلاثة: أن يكون حكما شرعيًا سواء كان بنص، أو أثر، أو استصحاب لا عقليًا، فالبراءة الأصلية المرفوعة بإيجاب

---

(١) انظر أسباب النزول (ص١٠٩).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٢١١٥١)، والحاكم (٣٢٩٦)، والطبراني في الكبير (٥٣٣)، وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٥ / ١١٧)، وابن جرير في التفسير (١١ / ٧٨).
وقال الحاكم: حديث شعبة عن يونس بن عبيد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
وقال الذهبي: على شرط البخاري ومسلم.

(٣) سقط من ب.

(٤) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص١١٢).

(٥) حسن: أخرجه أحمد (١٧٠٢٥)، والبيهقي في الكبرى (١٨٤٢٩)، وفي الشعب (٢٢٤٨)، والطبراني في الكبير (١٨٥)، وفي الأوسط (٣٧٤٠).
وقال الألباني في صحيح الجامع (١٤٩٧)، وفي الصحيحة (١٥٧٥): حسن.

العبادات ليست نسخًا.

وأن [لا يكون](١) مؤقتًا كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وأن يكون متقدمًا.

وشروط المنسوخ به ثلاثة:

مقاومته له في القطع وفي وجوب العمل به.

وتأخره عنه.

وتراخيه كقوله تعالي: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾[التوبة: ٢٩].

وشرط المنسوخ عنه واحد: وهو استمرار أهليته، فسقوطه عن المجنون ليس نسخًا.

وشرط النسخ(٢) اثنان: أن يكون بخطاب، فانقضاؤه بموت المكلف ليس نسخا، وتناقض الحكمين أو تضادهما لولاه فمتى أمكن الجمع بينهما بوجه ما لم يكن نسخًا.

وأما السور باعتبار الناسخ والمنسوخ فهي أربعة أقسام:

قسم ليس فيه منسوخ ولا ناسخ ثلاث وأربعون: الفاتحة، ويوسف، ويس، والحجرات، والرحمن، والحديد، والصف، والجمعة، والتحريم، والملك، والحاقة، ونوح، والجن، والمرسلات، والنبأ، والنازعات، والانفطار، والمطففين، والانشقاق، والبروج، والفجر، والبلد، والشمس، والليل، والضحى، والشرح، والقلم، والقدر، والقيامة، والزلزلة، والعاديات، [ق/ ٤أ] والقارعة، والتكاثر، والهمزة، والفيل، وقريش، وأرأيت، والكوثر، والنصر، وتبت، والإخلاص، والفلق، والناس.

(١) في ب: يكون.
(٢) سقط من أ.

وقسم فيه منسوخ وناسخ خمسة وعشرون: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة وإبراهيم، ومريم، والأنبياء، والحج، والنور، والفرقان، والشعراء، والأحزاب، وسبأ، والمؤمن، والشورى، والذاريات، والطور، والمجادلة، والواقعة، والمزمل، والمدثر، والتكوير، والعصر.

وقسم فيه منسوخ فقط أربعون: الأنعام، والأعراف، ويونس، وهود، والرعد، والحجر، والنحل، والإسراء، والكهف، وطه، والمؤمنون، والنمل، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، وألم السجدة، وفاطر، والصافات، وص، والزمر، وحم السجدة، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف، ومحمد، وق، والنجم، والقمر والامتحان، ون، والمعارج ،والقيامة، والإنسان، وعبس، والطارق، والغاشية، والتين، والكافرون.

وقسم فيه ناسخ فقط ستة: الفتح، والحشر، والمنافقون، والتغابن والطلاق، والأعلى.

وأما ترتيب السور بحسب النزول وهو العمدة في معرفة التقدم والتأخر، وإن لم يكن على ترتيب المصحف.

فقال جابر بن زيد: المكيات :ست وثمانون : اقرأ، ون، والمزمل، والمدثر، والفاتحة، وتبت، وكورت، وسبح، والليل، والفجر، والضحى، وألم نشرح، والعصر، والعاديات، والكوثر، وألهاكم، وأرأيت، والكافرون، والفيل، والفلق، والناس، والإخلاص، والنجم، وعبس، والقدر، والشمس، والبروج، والتين، ولئيلاف، والقارعة، والقيامة، والهمزة، والمرسلات، وق، والبلد، والطارق، واقتربت، وص، والأعراف، والجن، ويس، والفرقان، وفاطر، ومريم، وطه، والواقعة، والشعراء، والنمل، والقصص، وسبحان، ويونس، وهود [ق/ ٤ب]، ويوسف، والحجر، والأنعام، والصافات، ولقمان، وسبأ، والمزمل، وغافر، والمصابيح، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف،

والذاريات، والغاشية، والكهف، والشورى، وإبراهيم، والأنبياء، والنحل، والمضاجع، ونوح، والطور، والمؤمنون، وتبارك، والحاقة، وسأل، وعم، والنازعات، وانفطرت، وانشقت، والروم، والعنكبوت، والمطففين.

والمدنيات ثمان وعشرون: البقرة، وآل عمران، والأنفال، والأحزاب، والمائدة، والممتحنة، والنساء، والزلزال، والحديد، ومحمد، والرعد، والرحمن، وهل أتى، والطلاق، ولم يكن، والحشر، والنصر، والنور، والحج، والمجادلة، والمنافقون، والحجرات، والتحريم، والجمعة، والتغابن ، والصف، والفتح، والتوبة.

السفريات :خمس آيات: ﴿**إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ**﴾ [القصص: ٨٥].

﴿**وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا**﴾[الزخرف: ٤٥] شامي.

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا**﴾[المائدة: ٦]، حبشي.

﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾[المائدة: ٣] عرفي.

﴿**وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ**﴾[الفتح: ٢٤]، حديبي.

وذكر السيوطي في «الإتقان»(١) من السفري أكثر من أربعين موضعًا منها: ﴿**وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**﴾[البقرة: ١٢٥]، عام حجة الوداع.

ومنها: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا**﴾[ق/ ٥أ][النساء: ٥٨]، نزلت يوم الفتح في جوف الكعبة.

ومنها: ﴿**وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ**﴾[النساء: ١٠٢] الآية نزلت بعسفان بين الظهر والعصر.

ومنها: أول الأنفال نزلت ببدر عقيب الواقعة.

ومنها: سورة الفتح نزلت بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى

---

(١) انظر «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي (١ / ٥٩).

آخرها إلى غير ذلك.

وذكر فيه أقوالاً ثلاثة في تفسير المكي والمدني، فقال:

أشهرها: أن المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بالمدينة أم بمكة عام الفتح، أو عام حجة الوداع أو بسفر من الأسفار.

الثاني: أن المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة.

وعلى هذا تثبت الواسطة فما نزل بالأسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني.

والثالث: أن المكي ما وقع خطاباً لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابا لأهل المدينة . انتهى.

ومتفق المكي أربع وستون سورة، ومتفق المدني إحدى وعشرون سورة، والمختلف فيه تسع عشرة.

ودخل من المدني في المكي أربعون آية ، ومن المكي في المدني خمس ستذكر في سورها إن شاء الله تعالى.

ضابط: لمعرفة المكي والمدني طريقان: سماعي وقياسي.

فالسماعي: ما وصل إلينا نزوله بأحدهما.

والقياسي: كل سورة فيها ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾[البقرة: ٢١] فقط، أو كلا، أو أولها حرف تهجي سوى الزهراوين والرعد، أو فيها قصة آدم وإبليس سوى البقرة، أو فيها قصص الأنبياء والأمم الخالية فهي مكية.

وكل سورة فيها فريضة، أو حد فهي مدنية، وسيأتي لهذا تتميم عند قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ**﴾[البقرة: ٢١].

نزول آية التسمية

أخرج الواحدي(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول ما نزل به جبريل على

(١) أسباب النزول (ص١١٣).

النبي ﷺ قال: يا محمد استعذ ثم قل بسم الله الرحمن الرحيم[١].

وقال: كان رسول الله ﷺ لا يعرف ختم السورة حتى ينزل عليه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ .

وأخرج عن ابن عمر قال: نزلت ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في كل سورة. انتهى.

---

(١) ضعيف: أخرجه ابن جرير في التفسير (١ / ٧٦)، وقال ابن كثير في تفسيره (١ / ١٥): وهذا الأثر غريب، وإنما ذكرناه ليعرف فإن في إسناده ضعفًا وانقطاعًا والله أعلم. اهـ.

وقال ابن حجر في العجاب في بيان الأسباب: والراوي له عن أبي روق ضعيف فلا ينبغي أن يحتج به ، اهـ.

وفيه أيضا بشر بن عمارة ضعفه ابن حجر.

سورة الفاتحة

واختلفوا فيها، فعند الأكثرين هي مكية بل ورد أنها من أوائل ما نزل من القرآن كما سنعرفه.

فصل: في سبب نزولها

أخرج الواحدي(١) عن أبي ميسرة أن رسول الله ﷺ كان إذا برز سمع مناديًا يناديه: يا محمد فإذا سمع الصوت انطلق هاربًا فقال له ورقة بن نوفل: إذا سمعت النداء فاثبت حتى تسمع ما يقول لك.

قال: فلما برز سمع النداء: يا محمد، فقال: «**لبيك**» قال: «**قل أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله**» ثم قال: قل: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾[الفاتحة: ١-٤]، حتى فرغ من فاتحة الكتاب(٢).

وأخرج(٣) عن علي بن أبي طالب [ق/ ٥ب] كرم الله وجهه ـ قال: نزلت فاتحة الكتاب بمكة من كنز تحت العرش.

وقال بهذا ابن عباس والحسن وقتادة.

وعند مجاهد أن الفاتحة مدنية.

وقال الحسين بن الفضل: لكل عالم هفوة، وهذا نادر من مجاهد لأنه تفرد بهذا القول والعلماء على خلافه، مما يقطع به على أنها مكية قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ**

---

(١) انظر أسباب النزول (ص١١٧).

(٢) ضعيف: أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٥٥٥)، والبيهقي في الدلائل (٢ / ١٥٨).
قال ابن حجر في العجاب (١ / ٢٢٤): هو مرسل ورجاله ثقات.
وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٣ / ١٠): هو مرسل وفيه غرابة وهو كون الفاتحة أول ما نزل.

(٣) انظر أسباب النزول (ص١١٨).

آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [ق/ ٦أ][الحجر: ٨٧] يعني الفاتحة.

فقد أخرج الواحدي[(١)] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: وقرأ عليه أبي بن كعب أم القرآن فقال: «**والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها إنها لله السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**»[(٢)].

وسورة الحجر مكية بلا خلاف، ولم يكن الله تعالى يمتن على رسوله بإيتاء فاتحة الكتاب وهو بمكة ثم ينزلها بالمدينة.

ولا يسعنا القول بأن رسول الله ﷺ أقام بمكة بضع عشرة سنة يصلي بلا فاتحة الكتاب، ولم يحفظ في الإسلام صلاة قط بغير الحمد لله رب العالمين.

وزاد في «الإتقان»[(٣)] قولين آخرين فقال: وذهب بعضهم إلى أنها نزلت مرتين مرة بمكة، ومرة بالمدينة مبالغة في تشريفها.

وفيها قول رابع: أنها نزلت نصفين نصفها بمكة ونصفها بالمدينة، حكاه [أبو][(٤)] الليث السمرقندي، ثم قال السيوطي، والظاهر أنه؛ أي: نصفها النازل بالمدينة هو نصفها الثاني، ولا دليل لهذا القول انتهى.

---

(١) انظر أسباب النزول (ص١١٩).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٨٦٦٧)، والترمذي (٢٨٧٥)، والنسائي (٩١٤)، والدارمي (٣٣٧٣)، وابن خزيمة (٥٠٠)، وابن حبان (٧٧٥)، والبيهقي في الكبرى (٣٧٦٩). وصححه الألباني.

(٣) انظر «الإتقان» للسيوطي (١ / ٤٦).

(٤) سقط من أ.

فصل: في المتشابه منها

قوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[الفاتحة: ٣] ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة: ٤] فمن جعل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[الفاتحة: ١]، من الفاتحة في تكراره قولان: قال علي بن عيسى: إنما كرر للتأكيد، وأنشد عليه قول الشاعر:

هلا سألت جموع كندة يوم ولـوا أين أينا

وقال قاسم بن حبيب: إنما كرر لأن المعنى: وجب الحمد لله لأنه الرحمن الرحيم.

قلت: إنما كرر لأن الرحمة هي الإنعام على المحتاج وذكر في الآية الأولى المنعم، ولم يذكر المنعم عليهم فأعادها مع ذكرهم، وقال: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، الرحمن لهم أجمعين ينعم عليهم ويرزقهم، الرحيم بالمؤمنين خاصة يوم الدين ينعم عليهم ويغفر لهم.

قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥]، كرر إياك، ولم يقتصر على ذكره مرة واحدة كما اقتصر على ذكر أحد المفعولين في آيات كثيرة منها: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣]، أي: ما قلاك، وكذلك الآيات التي بعدها فأواك فهداك فأغناك لأن في التقديم فائدة، وهي قطع الاشتراك ولو حذف لم يدل على التقديم.

لأنك لو قلت: «إياك نعبد ونستعين» لم يظهر أن التقدير إياك نعبد وإياك نستعين أم إياك نعبد ونستعينك فكرر.

قال شيخ الإسلام(١): فإن قلت فلم قدم العبادة على الاستعانة مع أن الاستعانة مقدمة لأن العبد يستعين الله تعالى على العبادة ليعينه عليها؟

---

(١) انظر: فتح الرحمن شرح ما يلتبس من القرآن، لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ص٢٠).

قلت: الواو لا تقتضي الترتيب، والمراد بالعبادة التوحيد وهو مقدم على الاستعانة على سائر العبادات.

قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة:٧]، كرر لعله تقرب مما ذكرت في ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وذلك أن الصراط هو المكان المهيأ للسلوك فذكر في الأول المكان ولم يذكر السالكين فأعاده مع ذكرهم، فقال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، أي: الذي يسلكه النبيون والمؤمنون، ولهذا كرر أيضا في قوله: [إلى صراط مستقيم صراط الله] لأنه ذكر المكان المهيأ، ولم يذكر المهيء فأعاده مع ذكره فقال: صراط الله الذي هيأه للسالكين والله أعلم.

قوله: [ق/ ٧أ] ﴿ عَلَيْهِمْ﴾ليس بتكرار لأن كل واحد منهما متصل بفعل غير الآخر، وهو الإنعام والغضب، وكل واحد منهما يقتضيه اللفظ، وما كان هذا سبيله، فليس بتكرار ولا من المتشابه .

خاتمة في فضلها
وتفضيل بعض القرآن على بعض

اعلم أن الصحيح تفضيل بعض القرآن على بعض كما نقله القرطبي عن كثيرين لظواهر الأحاديث الواردة في ذلك كقوله ﷺ: «**يس قلب القرآن**[١]»، و«**فاتحة الكتاب أفضل سور القرآن**[٢]» و «**آية الكرسي سيدة آي القرآن**»[٣]، و« **قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن**»[٤].

وإن التفضيل راجع لذات اللفظ فإن ما تضمنه [ق/ ٦ب]، قوله تعالى: ﴿ **وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ** ﴾[البقرة: ١٦٣] وآية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وسورة الإخلاص، من الدلالة على وحدانية الله تعالى وصفاته ليس موجودًا مثلا في ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ** ﴾[المسد: ١].

وروى البخاري[٥] من حديث أبي سعيد المعلى: أعظم سورة في القرآن: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾[الفاتحة: ٢].

قال بعضهم: إنما كانت أم القرآن أعظم السور لأنها جمعت جميع مقاصد

---

(١) ضعيف جدا: أخرجه أحمد (٢٠٣١٥)، والترمذي (٢٨٨٧)، والدارمي (٣٤١٦)، والنسائي في الكبرى (١٠٩١٤)، من حديث معقل بن يسار ـ رضي الله عنه مرفوعًا.

قال الترمذي: هذا حديث غريب.

ثم قال: وهارون أبو محمد شيخ مجهول.

وقال البيهقي في المجمع (ـ١٠٨١٦): رواه أحمد وفيه راو لم يسم، وبقية رجاله رجال الصحيح، ورواه الطبراني وأسقط المبهم.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٢٦)، من حديث أبي سعيد بن المعلى.

(٣) رواه مسلم (٨١٠) من حديث أبي المنذر أبي بن كعب بلفظ: (أعظم).

وأما لفظ (سيدة آي القرآن): فقد أخرجه الترمذي (٢٨٧٨) بسند ضعيف.

(٤) أخرجه البخاري (٤٧٢٧) ومسلم (٨١١) عن أبي سعيد، وأبي قتادة.

(٥) البخاري (٤٤٢٦)

القرآن، ولذلك سميت أم القرآن.

وقرر جماعة من العلماء ما تضمنتـه فاتحة الكتاب من العلوم، وأنها مشتملة على علوم القرآن بـعبارات مخـتلفة، وذكـرها السيوطي في «الإتقـان»، وقررها الإمام محمد بن جـزي الكلبي في مقدمة تفسيره، فقال: ســورة الفاتحة جمعت معاني القـرآن كله فكأنها نسخـة مختصرة وكـأن القرآن كله بعدها تفصـيل لها، وذلك لأنها جمـعت الإلاهيات في: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٢، ٣] والدار الآخرة في: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة: ٤] والعبادات كلها والاعتقاد والأحكام التي تقتضيها الأوامر والنواهي في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحـة: ٥] والشريعـة كلها في: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الفـاتحة: ٦] والأنبـياء وغيرهم في قوله: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة: ٧]، وذكر طوائف الكفار في: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ انتهى.

سـورة البقـرة

هي مدنيـة بـلا خـلاف.

أخرج الواحدي عن عكرمة: أول سورة نزلت بالمدينة سورة البقرة.

وفيها ثلاثة فصول، وخاتمة.

الفصل الأول: في أسباب نزولها

وقوله ـ عز وجل: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ﴾[البقرة: ١، ٢].

أخرج الواحدي(١) عن مجاهد قال: أربع آيات من أول هذه السورة نزلت في المؤمنين، وآيتان بعدها نزلتا في الكافرين، وثلاث عشرة بعدها نزلت في المنافقين.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٦، ١٦١] الآيتين أنهما نزلتا في يهود المدينة.

وأخرج ابن جرير(٢) عن الربيع بن أنس قال: آيتان نزلتا في قتال الأحزاب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سواء عليهم﴾[البقرة: ٦]، إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧].

وقال الضحاك نزلتا في أبي جهل وخمسة من أهل بيته.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[البقرة: ١٤].

أخرج الواحدي(٣) والثعلبي من طريق محمد بن مروان السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي

---

(١) انظر أسباب النزول (ص١٢٢)، وأخرجه ابن جرير (١ / ١٠٣)، ومجاهد في تفسيره (ص٦٩).

(٢) انظر تفسير الطبري (١ / ١٤١).

(٣) انظر أسباب النزول (ص١٢٣).

وأصحابه، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن أبي: انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء [ق/ ٨أ] عنكم؟ فذهب فأخذ بيد أبي بكر فقال: مرحبًا بالصديق، سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله ﷺ في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ، ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحبا بسيد عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ ثم أخذ بيد علي فقال: مرحبا بابن عم رسول الله ﷺ وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ﷺ ثم افترقوا فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت؟ فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت فأثنوا عليه خيرًا فرجع المسلمون إلى رسول الله ﷺ وأخبروه بذلك فأنزل الله هذه الآية.

زاد السيوطي(١): هذا الإسناد واه جدًا وإن السدي الصغير كذاب. وكذا الكلبي وأبو صالح ضعيف.

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ الآية أخرج ابن جرير(٢) من طريق السدي الكبير عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة قالوا: كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة هربًا من رسول الله ﷺ إلى المشركين فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله فيه رعد شديد وصواعق وبرق فجعلا كلما أصابهما الصواعق جعلا أصابعهما في آذانهما من الغرق أن تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلهما، وإذا لمع البرق مشيا في ضوئه، وإذا لم يلمع لم يبصرا وأقاما مكانهما لا يبصران لا يمشيان فجعلا يقولان: ليتنا أصبحنا فنأتي محمدًا فنضع أيدينا في يده فأتيا فأسلما ووضعا أيديهما في يده وحسن إسلامهما، فضرب الله [شأن هذين المنافقين الخارجين](٣) مثلاً للمنافقين الذين

---

(١) انظر: لباب النقول للسيوطي (ص١٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١ / ١٨٢).

(٣) سقط من أ.

بالمدينة، وكان المنافقون [ق/ ٧ب] إذا حضروا مجلس النبي ﷺ جعلوا أصابعهم في آذانهم فرقا من كلام النبي ﷺ أن ينزل فيهم شيء، أو يذكروا بشيء فيقتلوا كما كان ذانك المنافقان الخارجان يجعلان أصابعهما في آذانهما، وإذا أضاء لهم مشوا فيه، فإذا كثرت أموالهم وأولادهم وأصابوا غنيمةً وفتحًا مشوا فيه، وقالوا: إن دين محمد ﷺ حينئذ صدق، واستقاموا عليه كما كان ذانك المنافقان يمشيان إذا أضاء لهم البرق، وإذا أظلم عليهم قاموا، وكانوا إذا هلكت أموالهم وأولادهم وأصابهم البلاء قالوا: هذا من أجل دين محمد وارتدوا كفارًا كما كان ذانك المنافقان حين أظلم البرق عليهما.

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾[البقرة: ٢١]، أخرج الواحدي[١] عن علقمة قال: كل شيء نزل فيه ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ فهو مكي، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فهو مدني يعني: أن ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ خطاب أهل مكة، و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ خطاب أهل المدينة.

وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ خطاب لمشركي أهل مكة إلى قوله ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ وهذه الآية نزلت في المؤمنين، وذلك أن الله تعالى لما ذكر جزاء الكافرين بقوله: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ ذكر جزاء المؤمنين [ق/ ٩أ].

قال في الإتقان[٢]: قال ابن عطية: هو في﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[البقرة: ١٠٤] صحيح، وأما ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ فقد يأتي في المدينة ثم نقل عن غيره أن هذا إنما هو في الأكثر وليس بعلم فإن الناس اتفقوا على أن النساء مدنية، وأولها :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ وعلى أن الحج مكية وفيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا ﴾ وسورة البقرة مدنية وفيها: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ ،و﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٨].

---

(١) انظر أسباب النزول (ص١٢٤)، ونقله عنه ابن حجر في العجاب (١ / ٢٤٠) وصححه.
(٢) انظر: الإتقان للسيوطي (١ / ٥٥).

قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[البقرة: ٢٥]، قال السيوطي في الدر المنثور(١): أخرج الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلق الله جنة عدن بيده وذلل فيها ثمارها وشق فيها أنهارها ثم نظر إليها فقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقال: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل**»(٢).

وأخرج ابن عساكر في «تاريخه» عن أنس مرفوعًا: «**في الجنة نهر يقال له الريان عليه مدينة من مرجان، لها سبعون ألف باب من ذهب وفضة لحامل القرآن**»

وأخرج البيهقي في «الشعب» عن عبد الله بن أبي أوفى قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا**(٣).

وأخرج أحمد والبخاري عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما وملأت ما بينهما ريحًا، ولنصيفها على رأسها ـ يعني الخمار ـ خير من الدنيا وما فيها**»(٤).

وأخرج ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» عن ابن عباس: لو أن امرأة من نساء أهل الجنة بصقت في سبعة أبحر كانت تلك الأبحر أحلى من العسل(٥).

---

(١) الدر المنثور (١ / ٩٣).

(٢) ضعيف: أخرجه الطبراني في الكبير (١٢٧٢٣)، وفي الأوسط (٥٥١٨)، وفيه حماد بن عيسى العبسي، قال فيه الذهبي: فيه جهالة. وقال ابن حجر: مستور.
وقد ضعفه الألباني في الضعيفة (١٢٨٥) وفي ضعيف الترغيب (١٥٥٢).

(٣) ضعيف أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥٨٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٤ / ١٩٩).
قال الحافظ في الفتح (٦ / ٣٢٥): فيه راو لم يسم وقال الألباني في ضعيف الترغيب (٢٢١٩): منكر.

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٤٣)، وأحمد (١٢٤٥٩)، والترمذي (١٦٥١).

(٥) لم أقف عليه، لكن ذكره الألباني في ضعيف الترغيب (٢٢٢٧) وقال: ضعيف موقوف.

وأخرج ابن أبي شيبة عن سعيد بن جبير قال: طول الرجل من أهل الجنة تسعون ميلا وطول المرأة ثمانون ميلا، ومقعدها جريب وإن شهوته لتجري في جسدها سبعين عاما تجد اللذة(١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً﴾ الآية[البقرة: ٢٦] قال الحافظ السيوطي - رحمه الله - في «لباب النقول»(٢): أخرج ابن جرير عن السدي بأسانيده: لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾، قال المنافقون: إن الله أعلى وأجل من أن يضرب هذه الأمثال فأنزل الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(٣).

وأخرج الواحدي(٤) من طريق عبد الغني بن سعيد الثقفي عن موسى بن عبد الرحمن بن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: إن الله ذكر آلهة المشركين فقال: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾[الحج: ٧٣]، وذكر كيد الآلهة فجعله [ق/ ٨ب] كبيت العنكبوت فقالوا: أريت حيث ذكر الله الذباب والعنكبوت فيما أنزل من القرآن على محمد؛ أي شيء كان يصنع بهذا فأنزل الله هذه الآية، وعبد الغني واهٍ جدًا.

وقال عبد الرزاق في تفسيره [ق/ ١٠أ]: أخبرنا معمر عن قتادة: لما ذكر الله العنكبوت والذباب، قال المشركون: ما بال العنكبوت والذباب يذكران؟ فأنزل الله هذه الآية.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٣٩٨٢)، وأبو نعيم في الحلية (٤ / ٢٨٧).

(٢) انظر لباب النقول (ص١٧).

(٣) أخرجه ابن جرير في التفسير (١ / ٢١٣).

(٤) انظر: أسباب النزول (ص١٢٦)، وفي إسناده عبد الغني بن سعيد الثقفي وهو متروك.

قال عنه ابن حجر في لسان الميزان (٤ / ٤٥): ضعفه ابن يونس، وذكره ابن حبان في الثقات ثم قال ابن حجر: وابن يونس أعلم به.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: لما نزلت ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ**﴾[الحج:٧٣]، قال المشركون: ما هذا من الأمثال فيضرب أو ما يشبه هذا الأمثال، فأنزل الله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً**﴾[البقرة:٢٦].

قلت: القول الأول: أصح إسنادًا وأنسب بما تقدم في أول السورة، وذكر المشركين لا يلائم كون الآية مدنية، وما أوردناه عن قتادة والحسن حكاه الواحدي بلا إسناد بلفظ قال: قالت اليهود، وهو أنسب. انتهى ما ذكره السيوطي بلفظه.

وعبارة الواحدي(١) التي أشار إليها هي: وقال الحسن وقتادة: لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت في كتابه، وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله فأنزل الله هذه الآية(٢). انتهى.

قوله تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ**﴾[البقرة:٤٤] أخرج الواحدي(٣) والثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في يهود أهل المدينة، كان الرجل منهم يقول لصهره ولذوي قرابته، ولمن بينهم وبينه رضاع من المسلمين أثبت على الدين الذي أنت عليه وما يأمرك به هذا الرجل فإن أمره حق، وكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه.

قال السيوطي في الدر المنثور(٤): أخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من دعا الناس إلى قول أو عمل ولم يعمل هو به لم يزل في ظل سخط الله حتى يكف أو يعمل ما قال ودعا إليه**»(٥).

---

(١) انظر أسباب النزول (ص١٢٦).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١ / ١٧٨) وعبد الرزاق في التفسير (ص٢٧).

(٣) انظر أسباب النزول (ص١٢٧).

(٤) انظر الدر المنثور (١ / ١٥٨).

(٥) ضعيف: أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢ / ٧)، وفيه عبد الله بن خراش قال عنه الذهبي: ضعفوه، وقال ابن حجر: ضعيف، وأطلق عليه ابن عمار: الكذاب. اهـ.

وأخرج ابن مردويه والبيهقي في «شعب الإيمان»، وابن عساكر عن ابن عباس أنه جاءه رجل فقال: يا ابن عباس : إني أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر قال: أوبلغت ذلك؟ قال: أرجو، قال: فإن لم تخش أن تفتضح بثلاثة أحرف في كتاب الله فافعل، قال: وما هن؟ قال: قوله عز وجل: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ**﴾ [البقرة: ٤٤] أحكمت هذه الآية؟ قال: لا، قال: فالحرف الثاني، قال: قوله تعالى: ﴿**لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢)**﴾ [الصف]، قال: ﴿**كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ (٣)**﴾ [الصف] أحكمت هذه الآية؟ قال: لا، قال: فالحرف الثالث؟ قال: قول العبد الصالح شعيب : ﴿**وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ**﴾ [هود: ٨٨]، قال: أحكمت هذه الآية؟ قال: لا، قال: فابدأ بنفسك(١).

قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ﴾ [البقرة: ٤٥] الأكثر على أنها نزلت في اليهود؛ أي: يا أيها الذين آمنوا بموسى آمنوا بمحمد واستعينوا على رئاستكم. . . بما تتلون فيها، وهو مع ذلك أدب لجميع العباد، وقال بعضهم: رجع بهذا القول إلى خطاب المسلمين، والأول أظهر.

قال السيوطي في «الدر المنثور»(٢): أخرج البيهقي عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قضى [مخصمته] في الدنيا حيل بينه وبين شهوته في الآخرة، ومن مد عينيه إلى زينة المترفين كان مهينا في ملكوت السماء، ومن صبر على القوت الشديد أسكنه الله الفردوس حيث شاء**»(٣).

وأخرج البيهقي من وجه [ق/ ١١أ] ضعيف عن ابن عباس قال: قال رسول

= ولم أقف عليه عند الطبراني في معاجمه الثلاثة ولا في مسند الشاميين. لكن عزاه له ابن كثير في تفسيره (١ / ١٢٤).

وقال الهيثمي في المجمع (١٢١٨٣): رواه الطبراني وفيه عبد الله بن خراش، وثقه ابن حبان وقال: يخطئ ، وضعفه الجمهور، وبقية رجاله ثقات.

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٧٥٦٩)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٣ / ٧٣).

(٢) انظر: الدر المنثور (١ / ١٦١).

(٣) ضعيف أخرجه الطبراني.

الله ﷺ: «**من جاع أو احتاج فكتمه الناس كان حقًا على الله أن يرزقه رزق سنة من حلال**»(١).

وأخرج البيهقي عن ابن عباس قال: « ما من مؤمن تقي يحبس الله عنه الدنيا ثلاثة أيام، وهو في ذلك راض عن الله من غير جزع إلا وجبت له الجنة»(٢).

وأخرج البيهقي عن رسول الله ﷺ فَقَدَ رجلاً فسأل عنه فجاء فقال: يا رسول الله إني أردت أن آتي هذا الجبل فأخلو فيه وأتعبد، فقال رسول الله ﷺ: «**لصبر أحدكم ساعة على ما يكره في بعض مواطن الإسلام خير من عبادته خاليًا أربعين سنة**»(٣).

قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا**﴾[البقرة: ٦٢]، قال ابن عباس وابن مسعود: نزلت في سلمان الفارسي وأصحابه لما ذكر للنبي ﷺ اجتهادهم في عبادتهم وإقرارهم بنبوته [ق/ ٩ب] قال: هم في النار، قال: فأظلمت علي الأرض، فنزلت فكأنما كشف عني جبل.

قوله تعالى: ﴿**أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ**﴾[البقرة: ٧٥]، قال مجاهد والسدي: نزلت في الذين غيروا صفة النبي ﷺ وآية الرجم، فمعنى يسمعون أي: من التوراة، وعليه أكثر المفسرين.

وقال ابن عباس ومقاتل: نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى ليذهبوا معه إلى الله تعالى فلما ذهبوا معه وسمعوا كلام الله تعالى، وهو يأمر وينهى رجعوا إلى قومهم، فأما الصادقون أدوا ما سمعوا، وقالت طائفة منهم: سمعنا كلام الله وآخره يقول: أمرتكم بهذه الأشياء فإن استطعتم أن تفعلوا فافعلوا وإن شئتم فلا تفعلوا، وأنكره الترمذي لأنه من خصائص موسى عليه السلام.

---

(١)سبق تخريجه .

(٢) سبق تخريجه .

(٣)سبق تخريجه .

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾الآية [البقرة: ٧٦]، أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: قام النبي ﷺ يوم قريظة والنضير تحت حصونهم، فقال: « **يا إخوان القردة ويا إخوان الخنازير، ويا عبدة الطاغوت**»، فقالوا: من أخبر هذا محمداً ما خرج هذا إلا منكم أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليكون لهم حجة عليكم فنزلت(١).

وأخرج(٢) من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، أن صاحبكم رسول الله ﷺ ولكنه إليكم خاصة، وإذا خلى بعضهم إلى بعض قالوا: أتحدثون العرب بهذا فإنكم كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم فأنزل الله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية.

وأخرج(٣) عن السدي قال: نزلت في ناس من اليهود آمنوا ثم نافقوا فكانوا يأتون المؤمنين من العرب بما حدثوا به، فقال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليقولوا: نحن أحب إلى الله منكم وأكرم على الله منكم.

قوله تعالي: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾[البقرة: ٧٩] .

أخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: نزلت في أحبار اليهود وجدوا صفة النبي ﷺ مكتوبة في التوراة أكحل العين ربعة جعد الشعر حسن الوجه فمحوه حسداً وبغيًا، وقالوا: نجده طويلاً أزرق سبط [ق/ ١٢أ] الشعر.

قال الكلبي: وكانت للأحبار والعلماء مأكلة من سائر اليهود فخافوا أن تذهب مأكلتهم إن بينوا الصفة فمن ثم غيروا.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ أخرج الطبراني في

(١) ضعيف: أخرجه ابن جرير في تفسيره (١ / ٣٧١)، عن مجاهد مرسلا.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

الكبيـر، وابن جرير، وابن أبي حاتم من طريق ابن إسـحاق عن محـمد بن أبي محمـد عن عكرمة، وسعيد بن جـبير عن ابن عباس قـال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ويهـود تقول: إنما مدة الـدنيا سبـعة آلاف سنة، وإنما يعـذب الناس بكل [ألف][١] سنة من أيام الدنيا يومًا واحدًا في النار، من أيام الآخرة فإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب فـأنزل الله في [ذكر][٢] ذلـك، ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ﴾ [البقرة: ٨٠]، إلى قوله: ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٣][البقرة: ٨١].

وقال ابن عباس في رواية الضحـاك: وجد أهل الكتاب ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة، فقالوا: لن نعذب [في النار][٤] إلا ما وجدنا في التوراة فإذا كان يوم القيامة اقتحموا في النار فسـاروا في العذاب حتى انتهوا إلـى سقر وفيها شجرة الزقوم إلى آخر يوم من الأيام المـعدودة، فقال لهم خزنة النار: «**يا أعـداء الله زعـمتم أنكـم لن تعذبوا في الـنار إلا أيامًا مـعـدودة فقـد انقطع العـدد وبقي الأمد**»[٥].

وعن ابن عباس ومـقاتل: لن ندخل النار إلا عدد أيام عبـادة العجل أربعين ليلة[٦].

قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[البقرة: ٨٩].

أخرج الحاكم في «المستدرك»[٧] والبيهقي في «الدلائل» بسند ضعيف عن ابن

---

(١) سقط من أ.

(٢) زيادة من أ.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١ / ٣٨٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١ / ١٥٥).

(٤) سقط من أ.

(٥) السابق.

(٦) السابق.

(٧) ضعيف: أخرجه الحاكم (٣٠٤٢)، وقال: أدت الضرورة إلى إخراجه في التفسير وهو غريب من حديثه.

وقال الذهبي: لا ضرورة في ذلك أي: لإخراجه، فعبد الله متروك هالك.

عباس قال: كانت يهود خيبر تقاتل غطفان فكلما التقوا هزمت يهود فعاذت بهذا الدعاء: اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم ،فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان، فلما بعث النبي ﷺ كفروا به ،فأنزل الله تعالي: ﴿ **وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ [البقرة:٨٩]، أي: بك يا محمد إلى قوله: ﴿ **فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ .

وقال السدي كانت العرب تمر بيهود فتلقى اليهود منهم أذى، وكانت اليهود تجد نعت محمد في التوراة أن الله يبعثه [ق/ ١٠ب] فيقاتلون معه العرب فلما جاءهم محمد ﷺ كفروا به حسدا، وقالوا: إنما كانت الرسل من بني إسرائيل فما بال هذا من بني إسماعيل.

وأخرج ابن أبي حاتم(١)، من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه فلما بعثه الله في العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل، وبشر بن البراء، وداود بن سلمة: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد، ونحن أهل شرك، وتخبرونا بأنه مبعوث تصفونه بصفته، فقال سلام بن مشكم أحد بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم فأنزل الله : ﴿ **وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ** ﴾[البقرة: ٨٩].

[قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ** ﴾[البقرة: ٩٤] الآية](٢) أخرج ابن جرير(٣) عن أبي العالية قال: قالت اليهود : لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا [ق / ١٣أ] فأنزل الله ﴿ **قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً** ﴾ .

قوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ** ﴾[البقرة:٩٧] الآيتين، أخرج

---

(١)أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١ / ١٧٢)، وابن جرير في تفسيره (١ / ٤١١).
(٢) سقط من أ.
(٣) السابق.

الواحدي[١] ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم نسألك عن أشياء فإن أجبتنا فيها اتبعناك، أخبرنا من الذي يأتيك من الملائكة فإنه ليس نبي إلا يأتيه ملك من عند ربه - عز وجل - بالرسالة فمن صاحبك، قال: جبريل، قالوا: ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال، ذاك عدونا، لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالمطر والرحمة تابعناك، فأنزل الله عز وجل: ﴿**قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ**﴾[البقرة:٩٧] إلى قوله ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ**﴾[٢][البقرة:٩٨].

وأخرج أيضا[٣] عن الشعبي قال: قال عمر بن الخطاب ؓ كنت آتي اليهود عند دراستهم التوراة فأعجب من موافقة القرآن التوراة والتوراة القرآن فقالوا: يا عمر ما أحد أحب إلينا منك، قلت: ولم؟ قالوا: لأنك تأتينا وتغشانا قلت: وإنما أجيء لأعجب من تصديق كتاب الله بعضه بعضًا، ومن موافقة التوراة القرآن، وموافقة القرآن التوراة فبينما أنا عندهم ذات يوم إذ مر رسول الله ﷺ خلف ظهري، فقالوا: إن هذا صاحبك فقم إليه فالتفت، وإذا رسول الله ﷺ قد دخل خوخة من المدينة فأقبلت عليهم فقلت: أنشدكم بالله وما أنزل عليكم من كتاب ،أتعلمون أنه رسول الله ﷺ، فقال سيدهم: قد أنشدكم الله فأخبروه، فقالوا: أنت سيدنا فأخبره، فقال سيدهم: إنا نعلم أنه رسول الله فقال: قلت: فإني أهلكهم إن كنت تعلمون أنه رسول الله ثم لم تتبعوه، قالوا: إن لنا عدواً من الملائكة وسلما في الملائكة، فقلت: من عدوكم ومن سلمكم؟ قالوا: عدونا جبريل، وهو ملك الفظاظة والغلظ والآصار والتشديد، قلت: ومن سلمكم؟ قالوا: ميكائيل وهو ملك الرأفة واللين واليسر، قلت : «فإني

---

(١) انظر أسباب النزول (ص١٣٣).

(٢) حسن: أخرجه أحمد ٢٤٨٣٠)، وابن جرير في تفسيره (١ / ٤٧٦)، في مسنده (٢٧٣١)، والطبراني في الكبير (١٢٤٢٩)، والنسائي في الكبرى (٩٠٧٢).

(٣) انظر: أسباب النزول (ص١٣٣).

أشهد ما يحل لجبريل أن يعادي وسلم ميكائيل، وما يحل لميكائيل أن يسالم عدو جبريل وإنهما جميعا ومن معهما أعداء من عادوا وسلم لمن سالموا» ثم قمت فدخلت الخوخة التي دخلها رسول الله ﷺ فاستقبلني فقال: «**يا ابن الخطاب ألا أقرؤك آية نزلت علي قبل**»: قلت: بلى. . فقرأ: ﴿ **قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ** ﴾ الآية، حتى بلغ ﴿ **وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ** (٩٩) ﴾[البقرة] .

قلت: والذي بعثك بالحق ما جئت إلا أخبرك بقول اليهود فإذا اللطيف الخبير قد سبقني بالخبر، قال عمر: فلقد رأيتني أشد في دين الله من حجر.

وقال ابن عباس: إن حبرا من أحبار اليهود من فدك يقال له :عبد الله بن صوريا حاج النبي ﷺ فسألهن أشياء فلما اتجهت الحجة عليه، فقال: أي ملك يأتيك من السماء؟ قال: «جبريل، ولم يبعث الله نبيا إلا وهو وليه»، قال: ذاك عدونا من الملائكة، ولو كان ميكائيل لآمنا بك، إن جبريل ينزل بالعذاب [ق/ ١٤أ] والقتال والشدة فإنه عادانا مرارا كثيرة، وكان أشد ذلك علينا أن الله أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخرب على يدي رجل يقال له بختنصر، وأخبرنا بالحين الذي يخرب فيه فلما كان وقته بعثنا رجلاً من أقوياء بني إسرائيل في طلب بختنصر ليقتله فانطلق يطلبه حتى لقيه ببابل غلاما مسكينا ليست له قوة فأخذه صاحبنا ليقتله فدفع عنه جبريل، وقال لصاحبنا: إن كان ربكم هو الذي أذن في هلاككم فلا تسلط عليه، وإن لم يكن هذا فعلى أي حق تقتله؟ فصدقه صاحبنا ورجع إلينا وكبر بختنصر وقوي وغزانا، وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدواً فأنزل الله هذه الآية [قال مقاتل: قالت اليهود إن جبريل عدونا أمر أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا](١).

وأخرج ابن أبي حاتم(٢) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن يهوديًا لقي عمر

---

(١) سقط من أ.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١ / ١٨٢).

ابن الخطاب فقال: إن جبريل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا، فقال عمر: من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدوه، قال: فنزلت على لسان عمر.

وقد نقل ابن جرير الإجماع على أن سبب نزول الآية ذلك.

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾الآيتين [البقرة:٩٩] ،أخرج ابن أبي حاتم(١) من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: قال ابن صوريا للنبي ﷺ : يا محمد ما جئت بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بينة فأنزل الله في ذلك: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ الآية.

وقال مالك بن الصيف حين بعث رسول الله ﷺ، وذكر ما أخذ عليهم من الميثاق، وما عهد إليهم في محمد والله ما عهد إلينا في محمد ولا أخذ علينا ميثاقا ،فأنزل الله :﴿ أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا ﴾الآية [البقرة: ١٠٠] .

قوله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾[البقرة: ١٠٢]، أخرج الواحدي(٢) عن ابن عباس: كانت الشياطين تسترق السمع فيلقونه إلى أوليائهم فيضمون لكلمة الحق سبعين كذبة فتشربها قلوب الناس فعلم سليمان ذلك فدفنه تحت الكرسي فلما مات سليمان قام شيطان بالطريق فقال: هل أدلكم على كنز سليمان المنيع الذي لا كنز له مثله؟ قالوا: نعم، قال: تحت الكرسي فأخرجوه فإذا هو سحر فتناتحته الأمم فانزل الله عذر سليمان: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ ﴾(٣) .

وقال الكلبي: كتبوا السحر والنيرنجيات وقالوا: هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك ثم دفنوه تحت مصلاه حين سلب ملكه فلما مات استخرجوه،

---

(١) السابق.

(٢) انظر أسباب النزول (ص١٣٦).

(٣) صحيح : أخرجه الحاكم (٣٠٥٠) وسعيد بن منصور في سننه (٢٠٧)، وابن جرير في تفسيره (١ / ٤٤٩)، وقال الذهبي صحيح.

وقالوا: بهذا ملككم فتعلمه السفلة، وقالت الأخيار: معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان.

وقال السدي: لما فشي السحر زمن سليمان جمعه وجعله بصندوق ثم دفنه فلما مات تصور شيطان بإنسان وقال لبني إسرائيل: هل أدلكم على ما كان سليمان يضبط به الإنس والجن والطيور والشياطين؟ قالوا: نعم ولهذا كثر في اليهود [١٥أ].

وأخرج الواحدي(١) عن حصيف قال: كان سليمان إذا نبتت شجرة قال لآي داء أنت؟ فتقول: لكذا وكذا، فلما نبتت شجرة الخرنوبة قال: لأي شيء أنت؟ قالت: لمسجدك، أخربه، قال: تخربينه؟ قالت: نعم، قال: بئس الشجرة أنت، قال: فلم يلبث أن توفي فجعل الناس يقولون في مرضاهم لو كان لنا مثل سليمان، وأخذت الشياطين فكتبوا كتابًا فجعلوه في مصلى سليمان، وقالوا: نحن ندلكم على ما كان يداوي به سليمان، فانطلقوا فاستخرجوا ذلك الكتاب فإذا فيه سحر ورقى، فأنزل الله الآية.

وأخرج ابن جرير(٢) عن شهر بن حوشب قال: قالت اليهود: انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل يذكر سليمان مع الأنبياء إنما كان ساحرًا يركب الريح فأنزل الله تعالى ﴿واتبعوا﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا**﴾الآية [البقرة: ١٠٤] ، قال ابن عباس(٣) رضي الله عنهما [ق/ ١٢ب] في رواية عطاء: وذلك أن العرب كانوا يتكلمون بها

---

(١) انظر أسباب النزول (ص١٣٧).

(٢) انظر تفسير الطبري (١ / ٤٨٠).

(٣) انظر أسباب النزول للواحدي (ص١٣٩)، ولم يذكر للرواية سندًا، فقال: قال ابن عباس في رواية عطاء.

قال ابن حجر في العجاب (ص٢٤٤): فأوهم بقوله: في رواية عطاء أن السند إلى عطاء قوي وليس كذلك.

فلما سمعتهم اليهود يقولونها للنبي ﷺ أعجبهم ذلك وكان راعنا في كلام اليهود سبا قبيحا، فقالوا: إنا كنا نسب محمدا سرا فالآن أعلنوا بالسب لمحمد لأنه في كلامهم فكانوا يأتون نبي الله ﷺ فيقولون: يا محمد راعنا، ويضحكون، ففطن بها رجل من الأنصار، وهو سعد بن عبادة، وكان عارفا بلغة اليهود، فقال: يا أعداء الله عليكم لعنة الله، والذي نفس محمد بيده إن سمعتها من رجل منكم لأضربن عنقه، فقال: ألستم تقولونها له؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا** ﴾الآية [البقرة: ١٠٤] .

قوله تعالى: ﴿**مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**﴾الآية [البقرة: ١٠٥] ، قال المفسرون(١): إن المسلمين كانوا إذا قالوا لحلفائهم من اليهود آمنوا بمحمد، قالوا: ما هذا الذي تدعوننا إليه بخير مما كنا عليه ولوددنا لو كان خيراً فأنزل الله تعالى تكذيبا لهم، هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا**﴾ الآية [البقرة: ١٠٦] قال المفسرون(٢): إن المشركين قالوا: ألا ترون إلى محمد يأمر أصحابه أمرًا ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه فيقول اليوم قولاً ويرجع عنه غدًا ما هذا القرآن إلا كلام محمد يقوله من تلقاء نفسه، وهو كلام يناقض بعضه بعضا، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ**﴾[النحل: ١٠١] وأنزل الله أيضا : ﴿**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا**﴾ الآية.

وقيل: قالت اليهود لما نسخت القبلة: إن محمداً يحل لأصحابه إذا شاء، ويحرم عليهم إذا شاء.

وأخرج ابن أبي حاتم(٣) من طريق عكرمة عن ابن عباس، قال: كان مما ينزل على النبي ﷺ الوحي بالليل وينساه بالنهار فأنزل الله ﴿**مَا نَنْسَخْ**﴾.

---

(١) انظر : أسباب النزول للواحدي (ص١٣٩).
(٢) السابق.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١ / ٢٠٠).

قوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ﴾ [البقرة:١٠٨] قال ابن عباس(١): نزلت في عبد الله بن أبي أمية ورهط من قريش، قالوا: يا محمد اجعل لنا الصفا ذهبًا ووسع لنا في أرض مكة وفجر الأنهار خلالها تفجيراً نؤمن بك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال المفسرون: إن اليهود وغيرهم من المشركين تمنوا على رسول الله ﷺ [ق/ ١٦أ] فمن قائل يقول: ائتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى موسى بالتوراة.

ومن قائل يقول وهو عبد الله بن أبي أمية المخزومي: ائتني بكتاب من السماء فيه :من رب العالمين إلى ابن أبي أمية ،اعلم أني قد أرسلت محمدًا إلى الناس.

ومن قائل يقول: لن نؤمن لك أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً، فأنزل الله هذه الآية.

وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: سألت قريش محمدًا أن يجعل لهم الصفا ذهبا، فقال: نعم، وهو لكم كالمائدة لبني إسرائيل إن كفرتم؟ فأبوا ورجعوا فأنزل الله: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ ﴾ الآية.

وأخرج عن أبي العالية قال: قال رجل: يا رسول الله لو كانت كفاراتنا ككفارات بني إسرائيل؟ فقال رسول الله ﷺ: **«ما أعطاكم الله خير، كانت بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها فإن كفرها كانت له خزيًا في الدنيا فإن لم يكفرها كانت له خزيًا في الآخرة، وقد أعطاكم الله خيراً من ذلك، قال تعالى:﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ﴾**الآية [النساء: ١١٠]، **والصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن»** فأنزل الله: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ ﴾الآية [البقرة:١٠٨].

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدي (ص١٤١).

قوله تعالى: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ** ﴾[البقرة: ١٠٩] قال ابن عباس[(١)]: نزلت في نفر من اليهود، قالوا للمسلمين بعد وقعة أحد ألم تروا إلى ما أصابكم، ولو كنتم على الحق ما هزمتم، فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم.

وأخرج الواحدي عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه أن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعرًا، وكان يهجو النبي ﷺ ويحرض عليه كفار قريش في شعره، وكان المشركون واليهود من أهل المدينة حين قدمها رسول الله ﷺ يؤذون النبي ﷺ وأصحابه أشد الأذى [ق/ ١٣ب] فأمر تعالى نبيه بالصبر على ذلك والعفو عنه، وفيهم أنزلت: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا** ﴾.

قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ** ﴾ [البقرة: ١١٣] الآية، قال ابن عباس[(٢)]: نزلت في يهود أهل المدينة ونصارى أهل نجران، وذلك أن وفد نجران لما قدموا على رسول الله ﷺ أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم، فقالت اليهود: ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والإنجيل، وقالت لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بموسى والتوراة، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ** ﴾[البقرة: ١١٤] قال ابن عباس في رواية الكلبي ظاهر طيطوس الرومي وأصحابه من النصارى بختنصر على غزو بني إسرائيل فقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم وحرقوا التوراة وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف.

وقال ابن عباس[(٣)] في رواية عطاء نزلت في مشركي مكة ومعهم النبي ﷺ

---

(١) السابق.
(٢) السابق.
(٣) السابق (ص١٤٢).

والمسلمين من الصلاة وذكر الله في المسجد الحرام.

وأخرج ابن جرير عن أبي زيد قال: [ق/ ١٧أ] نزلت في المشركين حين صدوا رسول الله ﷺ عن مكة يوم الحديبية.

قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾[البقرة: ١١٥] أخرج مسلم والترمذي والنسائي[١] عن ابن عمر قال: كان النبي ﷺ يصلي على راحلته تطوعًا أينما توجهت به، وهو جاء من مكة إلى المدينة ثم قرأ ابن عمر: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ﴾ فقال: في هذا أنزلت هذه الآية.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم[٢] من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها بضعة عشر شهرًا، وكان يحب قبلة إبراهيم، وكان يدعو الله وينظر إلى السماء فأنزل الله: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [البقرة: ١٥٠]، فارتاب في ذلك اليهود، وقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فأنزل الله: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[البقرة: ١١٥]، إسناده قوي وفي الآية روايات أخر ضعيفة.

وأخرج الترمذي وابن ماجه والدارقطني عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة، فصلى كل رجل منا على حياله فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ قال الترمذي : غريب[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٧٠٠)، والترمذي (٢٩٥٨)، والنسائي (١٠٩٩٧).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢ / ٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١ / ٢٤٨).

(٣) حسن: أخرجه الترمذي (٣٤٥)، وابن ماجه (١٠٢٠)، والبيهقي في الكبرى (٢٠٧٥)، والطبراني في الأوسط (٤٦٠)، وعبد بن حميد في مسنده من طريق عامر بن ربيعة عن أبيه. وأخرجه الدارقطني (٣) والبيهقي في الكبرى (٢٠٧٧) من حديث جابر. وحسنه الألباني في السنن.

وأخرج ابن جرير[١] عن قتادة أن النبي ﷺ قال: «**إن أخا لكم قد مات يعني النجاشي فصلوا عليه**» قالوا: نصلي على رجل ليس بمسلم فنزلت: ﴿**وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ**﴾الآية [آل عمران: ١٩٩] [قالوا: فإنه كان لا يصلي للقبلة، فأنزل الله: ﴿**وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ**﴾ الآية][٢] غريب جدا.

وأخرج ابن جرير أيضًا عن مجاهد قال: لما نزلت: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[غافر: ٦٠] قالوا: إلى أين؟ فنزلت: ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**﴾ [٣] [البقرة: ١١٥] .

قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا**﴾[البقرة: ١١٦] نزلت في اليهود حيث قالوا عزير ابن الله، وفي نصارى نجران: قالوا: المسيح ابن الله، وفي مشركي العرب قالوا الملائكة بنات الله[٤].

قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ**﴾[البقرة: ١١٨]، أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم[٥] عن ابن عباس قال: قال رافع بن حريملة لرسول الله ﷺ: إن كنت رسولاً من الله كما تقول فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلام الله فأنزل الله في ذلك: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ**﴾.

قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا**﴾الآية [البقرة: ١١٩] أخرج عبد الرزاق[٦] عن محمد بن كعب القرظي قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليت شعري ما فعل أبواي؟**» فنزلت: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ**﴾ فما ذكرهما حتى توفاه الله، وعلى هذا فـ«تسأل» بالجزم.

---

(١) التفسير (٤ / ٢١٨)، وأصله عند مسلم مختصرا (٩٥٣)، وأحمد (١٩٩٠٤) عن عمران بن حصين.

(٢) سقط من أ.

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤ / ٢١٩).

(٤) انظر أسباب النزول للواحدي (ص١٤٦).

(٥) أخرجه ابن جرير (١ / ٥١٢) وابن أبي حاتم (١ / ٢١٥).

(٦) أخرجه ابن جرير (١ / ٥١٦)، وانظر أسباب النزول للواحدي (ص١٤٦).

قال في الدر المنثور(١) : هذا مرسل ضعيف الإسناد ولا تقوم به الحجة انتهى.

وقال مقاتل: إن النبي ﷺ قال: لو أنزل الله بأسه باليهود لآمنوا فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ** ﴾[البقرة: ١١٩].

قوله تعالى: ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾ [البقرة: ١٢٠] قال المفسرون(٢): إنهم [١٤ /ب] كانوا يسألون النبي ﷺ الهدنة ويطمعونه إن هادنهم وأمهلهم اتبعوه ووافقوه فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال ابن عباس(٣): هذا في القبلة وذلك أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن النبي ﷺ [ق/ ١٨أ] يصلي إلى قبلتهم فلما صرف الله تعالى القبلة إلى الكعبة شق ذلك عليهم فيئسوا منه أن يوافقهم على دينهم فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ** ﴾[البقرة: ١٢١]، قال ابن عباس(٤) في رواية عطاء والكلبي نزلت في أصحاب السفينة الذين أقبلوا مع جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة كانوا أربعين رجلاً من الحبشة وأهل الشام، وقال الضحاك [نزلت فيمن آمن من اليهود، فالكتاب التوراة.

وقال قتادة وعكرمة نزلت](٥) في أصحاب محمد ﷺ ،فالكتاب القرآن.

قوله تعالى: ﴿ **وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** ﴾الآية [البقرة: ١٢٥] ، وقلت يا رسول الله: إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب، واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة، فقلت لهن: عسى

---

(١) الدر المنثور (١ / ٢٧١).

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي (ص١٤٧).

(٣) السابق.

(٤) السابق.

(٥) سقط من أ.

ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن [مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارًا](١) فنزلت كذلك، وله طرق كثيرة.

منها: ما أخرجه ابن أبي حاتم(٢) وابن مردويه عن جابر قال: لما طاف النبي ﷺ قال له عمر: هذا مقام أبينا إبراهيم، قال: نعم، قال: أفلا تتخذه مصلى فأنزل الله: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]، وظاهر هذا أن الآية نزلت في حجة الوداع.

قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾الآية[البقرة: ١٣٣]، قال مقاتل(٣): نزلت في اليهود حين قالوا للنبي ﷺ ألست تعلم أن يعقوب يوم مات وصى بنيه باليهودية ؟

قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ﴾[البقرة: ١٣٥] قال ابن عباس(٤): نزلت في رؤوس يهود المدينة كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وأبي(٥) ياسر بن أخطب، وفي نصارى نجران، وذلك أنهم خاصموا المسلمين في الدين، كل فرقة تزعم أنها أحق بدين الله تعالى من غيرها، فقالت اليهود: نبينا موسى أفضل الأنبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب، وديننا أفضل الأديان، وكفرت بعيسى والإنجيل ومحمد.

وقال النصارى: نبينا عيسى أفضل الأنبياء وكتابنا الإنجيل أفضل الكتب وديننا أفضل الأديان وكفرت بمحمد والقرآن.

وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين: كونوا على ديننا فلا دين إلا ذلك

(١) أخرجه البخاري (٣٩٣)، ومسلم (٢٣٩٩).
(٢) سقط من ب.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١ / ٢٢٦) والجعد في مسنده (٢٥٤٤).
(٤) انظر أسباب النزول للواحدي (ص١٤٨).
(٥) السابق.

ودعوهم إلى دينهم.

قوله تعالى: ﴿ صبغة الله﴾، قال ابن عباس[١]: إن النصارى كان إذا ولد لأحدهم ولد فأتى عليه سبعة أيام صبغوه في ماء لهم يقال له: المعمودي ليطهروه بذلك ،ويقولون :هذا طهور مكان الختان فإذا فعلوا ذلك قالوا صار نصرانيا حقًا فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾الآية [البقرة:١٤٢] نزلت في تحويل القبلة، أخرج الواحدي[٢] عن البراء، قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، وكان رسول الله ﷺ [١٩ /أ] يجب أن يتوجه نحو الكعبة فأنزل الله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة:١٤٤] إلى آخر الآية، فقال السفهاء من الناس وهم اليهود: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ إلى آخر الآية [البقرة:١١٥] رواه البخاري عن عبد الله بن رجاء .

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة:١٤٣] قال مقاتل: قالت اليهود: قبلتنا قبلة الأنبياء ونحن أعدل الناس فنزلت.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[البقرة:١٤٣] قال ابن عباس[٣] في رواية الكلبي: كان رجال من أصحاب رسول الله ﷺ ماتوا على القبلة الأولى منهم أسعد بن زرارة وأبو أمامة أحد [١٥ /ب] بني النجار، والبراء بن معرور أحد بني سلمة، وأناس آخرون جاءت عشائرهم فقالوا: يا رسول الله توفي إخواننا وهم يصلون إلى القبلة، وقد صرفك الله تعالى إلى قبلة إبراهيم فكيف بإخواننا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ ثم قال تعالى: ﴿ قَدْ

(١) السابق (ص١٤٩).
(٢) السابق (ص١٤٩) وقد أخرجه البخاري (٤٠) ومسلم (٥١٢).
(٣) انظر أسباب النزول للواحدي (ص١٥٠).

نرىٰ تقلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] وذلك أن النبي ﷺ قال لجبريل ـ عليه السلام ـ وددت أن الله صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها، وكان يريد الكعبة لأنها قبلة إبراهيم ـ عليه السلام ـ فقال له جبريل: إنما أنا عبد مثلك لا أملك شيئا إلى قبلة إبراهيم ثم ارتفع جبريل وجعل رسول الله ﷺ يديم النظر إلى السماء رجاء أن يأتيه جبريل بما سأله، فأنزل الله هذه الآية.

وأخرج الواحدي عن البراء قال: صلينا مع رسول الله ﷺ بعد قدومه المدينة سبعة عشر شهرًا نحو بيت المقدس ثم علم الله ـ عز وجل ـ وهوى نبيه ﷺ فنزلت: ﴿ قَدْ نرىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾الآية، رواه مسلم[(١)] عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي الأحوص ورواه البخاري[(٢)] عن أبي نعيم عن زهير كلاهما عن أبي إسحاق عن البراء.

وأخرج ابن جرير من طريق السدي بأسانيد قال: لما صرف النبي ﷺ نحو الكعبة بعد الصلاة إلى بيت المقدس، قال المشركون من أهل مكة: تحير على محمد دينه فتوجه بقبلته إليكم، وعلم أنكم أهدى منه سبيلاً ويوشك أن يدخل في دينكم، فأنزل الله: ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾الآية [البقرة: ١٥٠].

قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ ﴾[البقرة: ١٤٥]، قال مقاتل: قالت اليهود ونصارى نجران للنبي ﷺ ائتنا بآية كما أتانا الأنبياء قبلك نؤمن بك، فنزلت تكذيبًا لهم.

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ الآية [البقرة: ١٤٦]، انزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه كانوا يعرفون رسول الله ﷺ بنعته وصفته ومبعثه في كتابهم كما يعرف أحدهم ولده إذ رآه مع الغلمان، قال عبد الله بن سلام: لأنا أشد برسول الله معرفة مني بابني،

---

(١) تقدم.

(٢) تقدم.

فقال له عمر بن الخطاب: وكيف ذاك يا ابن سلام، قال: لأني أشهد أن محمداً رسول الله حقا وصدقًا ويقينًا وأنا لا أشهد بذلك على ابني لأني لا أدري ما أحدث النساء، فقال عمر: وفقك الله يا ابن سلام.

قوله تعالى [ق / ٢٠أ] : ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ﴾ الآية [البقرة: ١٥٤]، نزلت في قتلى بدر وكانوا بضعة عشر رجلاً ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين وذلك أن الناس كانوا يقولون للرجل يقتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها، فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ [البقرة:١٥٨] الآية قال ابن عباس: كان على الصفا صنم على صورة رجل يقال له: إساف، وعلى المروة صنم على صورة امرأة تدعى نائلة زعم أهل الكتاب أنهما زنيا في الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين، ووضعا على الصفا والمروة ليعتبر بهما، فلما طالت المدة عُبد من دون الله تعالى، فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بينهما مسحوا الوثنين فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كره المسلمون الطواف بينهما لأجل الصنمين فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ الآية[البقرة: ١٥٩] قال ابن عباس(١): سأل النبي ﷺ ونفر من الأنصار جماعة من اليهود عن آية الرجم، وأمر محمد ﷺ فكتموها فنزلت ولهذا قيل ورع العالم الكلام، وورع الجاهل السكوت.

قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[البقرة: ١٦٣] قال ابن عباس(٢): قال كفار قريش: يا محمد صف لنا ربك وانسبه، فنزلت. قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[البقرة: ١٤٦].

(١) أخرجه ابن جرير (٢ / ٥٣).
(٢) السابق.

قال عطاء لما نزلت: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[البقرة:١٦٣] قال كفار قريش بمكة: كيف يسع الناس إله واحد.

وقال ابن مسعود: قالوا: إن كنت صادقاً اجعل لنا الصفا ذهبًا، وقال ابن عباس لما وصفه: [١٦ /ب] قالوا: أرنا آية فنزلت.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا﴾[البقرة:١٦٨] قال ابن عباس[١] وابن السائب لما حرم خزاعة وثقيف ومدلج ونحوهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي نزلت.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا﴾[البقرة: ١٧٠] أخرج ابن أبي حاتم[٢] عن ابن عباس قال: دعا رسول الله ﷺ اليهود إلى الإسلام ورغبهم فيه وحذرهم عذاب الله ونقمته، فقال رافع بن حريملة ومالك بن عوف: بل تتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أعلم وخيراً منا فأنزل الله في ذلك: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾[البقرة: ١٧٠] الآية.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾[البقرة:١٧٤]، الآية أخرج ابن جرير[٣] عن عكرمة في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ والتي في آل عمران: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ [٧٧] نزلتا جميعاً في اليهود.

وأخرج الثعلبي[٤] عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في رؤساء اليهود وعلمائهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضل، وكانوا يرجون أن يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث الله محمدا ﷺ في غيرهم خافوا ذهاب مأكلهم وزوال رياستهم فعمدوا إلى صفة محمد ﷺ فغيروها، ثم أخرجوها إليهم،

(١) السابق، وانظر أسباب النزول للواحدي (ص١٥٦).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١ / ٢٨١)، وابن جرير (٢ / ٧٨).
(٣) السابق.
(٤) تفسير الثعلبي (٢ / ٤٦).

وقالوا: هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان لا يشبه نعت هذا النبي، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾[البقرة: ١٧٤] الآية.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾[البقرة: ١٧٧]، الآية قال قتادة[١]: سأل النبي ﷺ عن البر وكان الرجل قبل التكليف بالفرائض إذا مات على مجرد الشهادتين يدخل الجنة فنزلت.

وعن قتادة [٢١ /أ] أيضا قال: كانت اليهود تصلي قبل المغرب، والنصارى قبل المشرق فنزلت: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾[البقرة: ١٧٨] الآية، أخرج ابن أبي حاتم[٢] عن سعيد بن جبير أن حيين في العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل، وكان بينهم قتل وجراحات حتى قتلوا العبيد والنساء فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى أسلموا وكان أحد الحيين يتطاول على الآخر في العدد والأموال فحلفوا أن لا يرضوا حتى يقتل العبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم فنزلت فيهم: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٨].

قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾[البقرة: ١٨٧] الآية أخرج البخاري[٣] عن البراء قال: كان أصحاب النبي ، إذا كان الرجل صائما فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائما فلما حضر الإفطار أتى امرأته، فقال: هل عندك طعام، فقالت: لا، ولكني أنطلق فأطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه وجاءته امرأته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ إلى ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ

---

(١) أسباب النزول للواحدي (ص١٥٧).
(٢) التفسير (١ / ٢٩٣).
(٣) حديث (١٨١٦).

الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ ﴾[البقرة: ١٨٧]. ففرحوا بها فرحا شديدا.

وأخرج البخاري(١) أيضا عن البراء قال: لما نزل صوم شهر رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله فكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله: ﴿ **عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ** ﴾ وأخرج أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم(٢) من طريق عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال: كان الناس في رمضان إذا صام الرجل فأمسى فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر في الغد فرجع عمر من عند النبي ﷺ وقد سمر عنده فأراد امرأته، فقالت: إني قد نمت قال: ما نمت ووقع عليها وصنع كعب مثل ذلك فعدى عمر إلي النبي ﷺ فأخبره فنزلت هذه الآية [١٧ / ب].

قوله تعالى: ﴿ **مِنَ الْفَجْرِ** ﴾ روى البخاري(٣) عن سهل بن سعد قال: نزلت: ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ** ﴾ ولم تنزل ﴿من الفجر﴾ فكان الرجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعد ذلك ﴿ **مِنَ الْفَجْرِ** ﴾ فعلموا أنما يعني الليل والنهار.

قوله تعالى: ﴿ **وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ** ﴾ أخرج ابن جرير(٤) عن قتادة قال: كان الرجل إذا اعتكف فخرج من المسجد جامع إن شاء فنزل: ﴿ **وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ** ﴾ .

قوله تعالى: ﴿ **وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ** ﴾[البقرة: ١٨٨] قال ابن جبير ومقاتل: ادعى عبدان بن أشوع الحضرمي على امرئ القيس بن عابس الكندي أرضا فأراد أن يحلف فقرأ النبي ﷺ: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ** [٢٢ / أ] **يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ**

(١) حديث (١٨١٦).

(٢) أخرجه أحمد (١٥٨٣٣)، وابن جرير (٢ / ١٦٣)، وابن أبي حاتم (١ / ٣١٦) بسند حسن.

(٣) حديث (١٨١٨).

(٤) أخرجه ابن جرير (٢ / ١٨٠).

وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ [آل عمران:٧٧] فأحجم عنها فنزلت فحكم عبدان في أرضه ولم يخاصمه(١).

قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي** ﴾[البقرة:١٨٦] الآية أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو الشيخ وغيرهم من طرق عن الصلت بن حكيم ابن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده، قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فسكت عنه فأنزل الله: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ** ﴾(٢) الآية وأخرج عبد الرزاق عن الحسن قال: سأل النبي ﷺ أصحابه أين ربنا؟ فأنزل الله: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي** ﴾ الآية، مرسل، وله طرق أخرى.

وأخرج ابن عساكر عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تعجزن عن الدعاء فإن الله أنزل علي** ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[غافر: ٦٠] فقال رجل: يا رسول الله ربنا يسمع الدعاء أم كيف ذلك؟، فأنزل الله: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي** ﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير عن عطاء بن أبي رباح أنه بلغه لما نزلت: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ قالوا: لا نعلم أي ساعة ندعو ؟ فنزلت: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي** ﴾إلى قوله: ﴿ **يَرْشُدُونَ** ﴾.

قوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ** ﴾[البقرة: ١٨٩]، قال ابن عباس: قال ثعلبة وابن جبل(٣): يا رسول الله ما بال الهلال يبدوا دقيقا ثم يستدير ثم يعود كما كان، وقال له معاذ إن اليهود تكثر مسألتنا عن الأهلة وقال قتادة(٤) سألوه: لم خلقت؟ فنزلت.

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدي (ص١٦١).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢ / ١٥٨) وابن أبي حاتم (١ / ٣١٤).

(٣) انظر أسباب لانزول للواحدي (ص١٦١).

وقال ابن حجر في العجاب: لم أر له سندا إلى معاذ ويحتمل أن يكون اختصره أولا ثم أورده مبسوطا.

(٤) السابق وابن أبي حاتم (١ / ٣٢٢)، والطبري (٢ / ١٨٥).

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ أخرج ابن أبي حاتم والحاكم(١) وصححه عن جابر قال: كانت قريش تدعي الحمس وكانوا يدخلون من الأبواب في الإحرام وكانت الأنصار وسائر العرب لا يدخلون من باب في الإحرام فبينما رسول الله ﷺ في بستان إذ خرج من بابه، وخرج معه قطبة بن عامر الأنصاري فقالوا: يا رسول الله إن قطبة بن عامر الأنصاري رجل فاجر وإنه خرج معك من الباب، فقال له: «**ما حملك على ما صنعت؟**» قال: رأيتك فعلته ففعلت كما فعلت، فقال: «**إني رجل أحمسي**» قال: فإن ديني دينك، فأنزل الله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] الآية.

قال المفسرون(٢): كان الناس في الجاهلية، وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم بالحج أو العمرة لم يدخل حائطا ولا بيتا ولا دارا من بابه فإن كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج أو يتخذ سلما فيصعد فيه، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل من الباب حتى يحل من إحرامه، ويرون ذلك ذنبا إلا أن يكون من الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وخثعم وبنو عامر بن صعصعة وبنو النضر بن معاوية سموا حمسا لشدتهم في دينهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾[البقرة: ١٩٠] الآية أخرج الواحدي(٣) عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآيات في صلح الحديبية، وذلك أن رسول الله ﷺ لما صد عن البيت هو وأصحابه [٢٣أ] نحر الهدي بالحديبية ثم صالحه المشركون على أن يرجع عامه [١٨ / ب] القابل على أن يخلوا له مكة ثلاثة أيام فيطوف بالبيت ويفعل ما شاء وصالحهم رسول الله ﷺ فلما كان العام

---

(١) صحيح: أخرجه الحاكم (١٧٧٧)، وابن أبي حاتم (١ / ٣٢٣).

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي (ص١٦٤).

(٣) السابق (ص١٦٥).

المقبل تجهز رسول الله ﷺ وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا أن لا تفي لهم قريش بذلك، وأن يصدوهم عن المسجد الحرام ويقاتلوهم، وكره أصحابه قتالهم في الشهر الحرام في الحرم فأنزل الله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠] يعني قريشا.

وأخرج ابن جرير(١) عن قتادة قال: أقبل نبي الله ﷺ وأصحابه معتمرين في ذي القعدة ومعهم الهدي حتى إذا كانوا بالحديبية صدهم المشركون وصالحهم النبي ﷺ على أن يرجع [من عامه ذلك ثم يرجع](٢) في العام المقبل فلما كان العام المقبل أقبل هو وأصحابه حتى دخلوا مكة معتمرين في ذي القعدة وأقاموا بها ثلاث ليال، وكان المشركون قد نحروا عليه حين ردوه فاقتص الله منهم فأدخله مكة ي ذلك الشهر الذي كانوا ردوه فيه فأنزل الله: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾[البقرة: ١٩٤].

قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] أخرج الواحدي(٣) عن الشعبي عن الضحاك عن ابن أبي جبيرة قال: كانت الأنصار يتصدقون ويطعمون ما شاء الله فأصابتهم سنة فأمسكوا، فأنزل الله هذه الآية.

وأخرج أيضا(٤) عن النعمان بن بشير في قول الله عز وجل ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ قال: كان الرجل يذنب الذنب فيقول لا يغفر لي فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وأخرج أيضا(٥) عن الحكم بن عمران قال: كنا بالقسطنطينية وعلى مصر عقبة بن عامر الجهني صاحب رسول الله ﷺ [وعلى أهل الشام فضالة بن عبيد

---

(١) تفسير الطبري (٢٦ / ٢٦).
(٢) سقط من أ.
(٣) أسباب النزول (ص١٦٧).
(٤) السابق.
(٥) السابق.

صاحب رسول الله ﷺ](١) فخرج من المدينة صف عظيم من الروم وصففنا لهم صفا عظيما من المسلمين فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم ثم خرج إلينا مقبلا فصاح الناس فقالوا: سبحان الله ألقى بيديه إلى التهلكة، فقام أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس إنكم تؤولون هذه الآية على غير التأويل، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، إنا لما أعز الله تعالى دينه وكثر ناصروه قلنا: بعضنا لبعض سرا من رسول الله ﷺ إن أموالنا قد ضاعت فلو أنا أقمنا فيها وأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى هذه الآية في كتابه يرد علينا ما هممنا به في الإقامة التي أردنا أن نقيم في الأموال فنصلحها فأمرنا بالغزو فما زال أبو أيوب غازيا في سبيل الله حتى قبضه الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾[البقرة:١٩٦] فقال رسول الله ﷺ : «**أين السائل عن العمرة؟**» فقال: ها أنا ذا قال: «**اخلع الجبة واغسل عنك أثر الخلوق، ثم ما كنت صانعا في حجك فاصنعه في عمرتك**».

قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا ﴾ الآية روى البخاري(٢) عن كعب بن عجرة أنه سأل عن قوله ﴿فـفدية مـن صيـام﴾، قال: حملت إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال: «**ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك هذا أما تجد شاة،**» قال: لا، قال: «**صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك**» فنزلت في خاصة، وهي لكم عامة.

قوله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا ﴾[البقرة:١٩٧] الآية، روى البخاري وغيره عن ابن عباس قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فأنزل [١٩ / ب] الله: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾(٣) [البقرة:١٩٧] .

---

(١) سقط من أ.

(٢) حديث (٣٩٥٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٥١).

قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾[البقرة:١٩٨] الآية روى البخاري(١) عن ابن عباس كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية فتأثموا أن يتجروا في الموسم فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فنزلت: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ في مواسم الحج.

وأخرج أحمد وابن أبي حاتم وابن جرير والحاكم وغيرهم من طرق عن أبي أمامة التيمي(٢) قال: قلت لابن عمر إنا قوم نكري في هذا الوجه، وإن قوما يزعمون أنه لا حج لنا قال: ألستم تلبون؟ ألستم تطوفون [٤٧ /أ] بين الصفا والمروة؟ ألستم ألستم؟ قالوا: بلى، قال: إن رجلا سأل النبي ﷺ عما سألت عنه فلم يدر ما يرد عليه حتى نزلت: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فدعاه فتلا عليه حين نزلت، وقال: أنتم الحجاج.

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾[البقرة:١٩٩] أخرج الواحدي(٣) عن عمرو بن دينار عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: أضللت بعيرا لي يوم عرفة فخرجت أطلبه بعرفة فرأيت رسول الله ﷺ واقفا مع الناس بعرفة، فقلت: هذا من الحمس ماله ها هنا(٤).

قال سفيان: الأحمس الشديد الشحيح على دينه، وكانت قريش تسمى الحمس، فجاءهم الشيطان فاستهواهم، فقال لهم: إنكم إذا عظمتم غير حرمكم استخف الناس حرمكم فكانوا لا يخرجون من الحرم ويقفون بالمزدلفة، فلما جاء الإسلام أنزل الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾[البقرة:١٩٩] يعني

---

(١) حديث (١٩٤٥).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٦٤٣٤)، وأبو داود (١٧٣٣)، وابن خزيمة (٣٠٥١)، والحاكم(١٦٤٧)، والبيهقي في الكبرى (٨٤٤٠)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
وقال الألباني: صحيح.

(٣) انظر أسباب النزول (ص١٧٦).

(٤) وأخرجه البخاري (١٥٨١)، ومسلم (١٢٢٠).

عرفة رواه مسلم(١) عن عمر الناقد عن ابن عيينة.

قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ ﴾[البقرة: ٢٠٠] الآية، قال مجاهد(٢) كانت العرب إذا قضت المناسك وقفوا بمنى وتفاخروا بمآثر آبائهم، وقال الحسن: كانوا يكثرون الحلف بأبائهم، يقولون: وأبيك إنهم يفعلون كذا وكذا فنزلت.

وأخرج ابن أبي حاتم(٣) عن ابن عباس قال: كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف ويقولون: اللهم اجعله عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن لا يذكرون من أمر الآخرة [٢٥ /أ] شيئا فأنزل الله فيهم: ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ﴾ ويجيء بعدهم آخرون من المؤمنين فيقولون: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ [البقرة: ٢٠١]، إلى قوله: ﴿ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾[البقرة: ٢٠٢].

قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[البقرة: ٢٠٤]، الآية أخرج ابن جرير(٤) عن السدي قال: نزلت في الأخنس بن شريق أقبل إلى النبي ﷺ بالمدينة وأظهر له الإسلام فأعجبه ذلك منه ثم خرج فمر بزرع لقوم من المسلمين، وحمر فأحرق الزرع وعقر الحمر فأنزل الله الآية.

وفي رواية عن السدي، وأظهر له الإسلام، وقال والله يعلم أني لصادق، وذلك قوله: ﴿ وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ﴾.

وقال الحسن: نزلت في كل منافق.

وقال ابن عباس(٥) : في كفار مكة الذين بعثوا إلى النبي ﷺ بالمدينة أنا قد

---

(١) السابق.

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي (ص١٧٦)، وتفسير الطبري (٢ / ٢٩٥)، وابن أبي حاتم (/ ٢ ٣٥٥).

(٣) السابق.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢ / ٣١٢)، وابن أبي حاتم (٢ / ٣٦٤).

(٥) السابق.

أسلمنا فابعث إلينا من يعلمنا فبعث إليهم خبيبا في جماعة فخرجت عليهم سرية بدلالة امرأة رجعت إليهم فسميت سرية الرجيع.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾[البقرة:٢٠٧]، الآية أخرج الحارث ابن أبي أسامة في مسنده، وابن أبي حاتم[١] عن سعيد بن المسيب قال: أقبل صهيب مهاجرا إلى النبي ﷺ فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته ونثر ما في كنانته ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلا، وايم الله لا تصلون إلي حتى أرمي كل سهم معي في كنانتي ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ثم افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي؟ قالوا: نعم فلما قدم على النبي ﷺ المدينة قال: «**ربح البيع أبا يحيى**» ونزلت: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾[البقرة:٢٠٨]، أخرج ابن جرير[٢] عن [٢٠/ب] عكرمة قال: قال: عبد الله بن سلام وثعلبة وابن يامين وأسد وأسيد سيدا بني كعب وسعيد بن عمرو وقيس بن زيد كلهم من يهود: يا رسول الله يوم السبت يوم كنا نعظمه فدعنا فلنسبت فيه، وإن التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم بها بالليل فنزلت الآية.

وفي رواية عن ابن عباس فعظموا السبت وكرهوا لحمان الإبل وألبانها بعد ما أسلموا.

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾[البقرة: ٢١٤] الآية قال قتادة والسدي[٣]: نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٢ / ٣٦٨)، وابن سعد في الطبقات (٣ / ٢٢٨)، وأبو نعيم في الحلية (١ / ١٥٠).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢ / ٣٣٥)، وقال الذهبي في العلو: وهذا مع أنه في مؤمني اليهود لا يصح إسناده لإرساله ولو صح لم يجز القول بأنها نزلت في حق اليهود، لأنها تعني عند الإطلاق كفارهم، والواقع خلافه، فتأمل هذا رحمنا الله وإياك، اهـ (العلو ص٢٣).

(٣) أسباب النزول (ص١٨٠).

من الجهد والشدة والحر والبرد وسوء العيش وأنواع الأذى فكان كما قال الله تعالى: ﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾[الأحزاب: ١٠]، وقال عطاء لما دخل رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة اشتد الضر عليهم لأنهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين وآثروا رضا الله ورسوله، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله ﷺ وآثر قوم من الأغنياء النفاق، فأنزل الله تطييبا لقلوبهم: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٢١٤] .

قوله تعالى: [٢٦ /أ] ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾[البقرة: ٢١٥] الآية قال ابن عباس(١) في رواية أبي صالح نزلت في عمرو بن الجموح الأنصاري، وكان شيخا كبيرا ذا مال كثير، فقال: يا رسول الله بماذا يتصدق؟ وعلى من ينفق؟ فنزلت هذه الآية .

وقال في رواية عطاء(٢): نزلت في رجل أتى النبي ﷺ فقال: [إن لي دينارا فقال: «**أنفقه على نفسك**»](٣) : إن لي دينارين، فقال: «**أنفقهما على أهلك**» فقال: إن لي ثلاثة، فقال: «**أنفقها على خادمك**» فقال إن لي أربعة، فقال: «**أنفقها على والديك**» فقال: إن لي خمسة، فقال: «**أنفقها على قرابتك**» فقال: إن لي ستة ، فقال: «**أنفقها في سبيل الله تعالى**» وهو أحسنها .

قوله تعالى: ﴿ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾[البقرة: ٢١٧] الآية أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني في الكبير والبيهقي في سننه عن جندب بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بعث رهطا وبعث عليهم عبد الله بن جحش فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه، ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادي فقال المشركون للمسلمين قتلتم في الشهر الحرام فأنزل الله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدي (ص١٨٠).
(٢) السابق.
(٣) سقط من أ.

قتال فيه قل قتال فيه﴾ الآية فقال بعضهم: إن لم يكونوا أصابوا وزرا فليس لهم أجر، فأنزل الله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(١)][البقرة: ٢١٨].

وأخرجه ابن منده من طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس.

قال الواحدي[(٢)] : قال المفسرون: بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش وهو ابن عمة رسول الله ﷺ في جمادى الآخرة، قبل قتال بدر بشهرين على رأس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد بن أبي وقاص الزهري، وعكاشة بن محصن الأسدي، وعتبة بن غزوان السلمي، وأبو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة، وسهيل بن بيضاء، وعامر بن ربيعة، وواقد بن عبد الله [وخالد بن بكير، وكتب لأميرهم عبد الله] بن جحش كتابا، وقال: سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب [حتى تسير يومين، فإذا نزلت منزلين فافتح الكتاب] واقرأه على أصحابك ثم امض لما أمرتك ولا تستكرهن أحدا من أصحابك على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد:

فسر على بركة الله بمن تبعك من أصحابك حتى تنزل بطن نخلة فترصد بها عير قريش لعلك أن تأتينا منه بخير، فلما نظر عبد الله الكتاب قال: سمعا وطاعة، ثم قال: لأصحابه ذلك، وقال: إنه قد نهاني أن أستكره أحدا منكم حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٧٥٢٣)، والطبراني في الكبير (١٦٧٠)، وأبو يعلى في مسنده (١٥٣٤)، وفي المغاريد (٤٦)، وابن جرير في تفسيره (٢ / ٢٥٩).

(٢) أسباب النزول (ص١٨٣).

لهما كانا يعتقبانه فاستأذنا [٢١ / ب] أن يتخلفا في طلب بعيرهما فأذن لهما فتخلفا في طلبه، ومضى عبد الله ببقية أصحابه حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك إذ مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وأدما وتجارة من تجارة الطائف، فيهم عمرو بن الحضرمي [٢٧ / أ]، والحكم بن كيسان، وعثمان ابن عبد الله بن المغيرة، ونوفل بن عبد الله المخزوميان.

فلما رأوا أصحاب رسول الله ﷺ هابوهم، فقال عبد الله بن جحش: إن القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا رأس رجل منكم وليتعرض لهم، فإذا رأوه محلوقا أمنوا وقالوا قوم عُمار [فحلقوا رأس عكاشة، ثم أشرف عليهم فقالوا: قوم عُمّار](١) لا بأس عليكم فآمنوهم، وكان ذلك في آخر يوم من جمادي الآخرة وكانوا يرون أنه من جمادي، وهو رجب فتشاور القوم فيهم وقالوا: لئن تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم فاجمعوا أمرهم في مواقعة القوم فرمى واقد ابن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله، وكان أول قتيل من المشركين واستؤسر الحكم وعثمان فكانا أول أسيرين في الإسلام وأفلت نوفل فأعجزهم، واستاق المؤمنون العير والأسيرين حتى قدموا على رسول الله ﷺ بالمدينة فقالت قريش: قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس لمعاشهم فسفك فيه الدماء وأخذ فيه الحرائب، وعير بذلك أهل مكة من كان بها من المسلمين، وقالوا: يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه، وتفاءل يهود بذلك، وقالوا: واقد وقدت الحرب وعمرو عمرت الحرب، والحضرمي حضرت الحرب.

وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لابن جحش وأصحابه: «**ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام**» ووقف العير والأسيرين وأبي أن يأخذ من ذلك شيئا، فعظم ذلك على أصحاب السرية وظنوا أن قد هلكوا وسقط في أيديهم، وقالوا: يا

---

(١) سقط من أ.

رسول الله إنا قد قتلنا ابن الحضرمي ثم أمسينا فنظرنا إلى هلا رجب فلا ندري أفي رجب أصبناه أم في جمادى، وأكثر الناس في ذلك فأنزل الله هذه الآية، فأخذ رسول الله ﷺ العير فعزل منها الخمس فكان أول خمس في الإسلام، وقسم الباقي بين أصحاب السرية فكان أول غنيمة في الإسلام وبعث أهل مكة في [فك][1] أسيريهم فقال: بل نقفهم حتى يقدم سعد وعتبة، وإن لم يقدما قتلناهما بهما، فلما قدما فاداهما.

أما الحكم بن كيسان فأسلم وأقام مع رسول الله ﷺ بالمدينة فقتل يوم بئر معونة شهيدا.

وأما عثمان بن عبد الله فرجع إلى مكة فمات بها كافرا.

وأما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الأحزاب ليدخل الخندق على المسلمين فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله تعالى، وطلب المشركون جيفته بالثمن، فقال رسول الله ﷺ: «**خذوه فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية**» فهذا سبب نزول قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ**﴾[البقرة: ٢١٧] الآية.

قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ**﴾[البقرة: ٢١٩]، الآية نزلت في عمر بن الخطاب ﷺ ومعاذ بن جبل ونفر من الأنصار أتوا رسول الله ﷺ وقالوا: أفتنا [٢٨ / أ] في الخمر والميسر فإنهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فأنزل الله هذه الآية، ويأتي في ذلك زيادة في سورة المائدة.

قوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ**﴾[البقرة: ٢١٩] أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن نفرا من الصحابة حين أمروا بالنفقة في سبيل الله أتوا النبي ﷺ فقالوا: ما ندري هذه النفقة التي أمرنا بها في أموالنا فما ننفق منها؟ فأنزل الله ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾.

---

(١) في ب: فداء.

وأخرج أيضا عن يحيى أنه بلغه أن معاذ بن جبل وثعلبة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله: إنا لنا أرقاء وأهلين [ق / ٢٢ب] فما ننفق من أموالنا؟ فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾[البقرة: ٢٢٠]، أخرج أبو داود والنسائي والحاكم(١) وغيرهم عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[الإسراء: ٣٤]، و﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا ﴾[النساء: ١٠] الآية انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿ وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾[البقرة: ٢٢١]، الآية قال الكلبي: عن أبي صالح عن ابن عباس(٢): إن رسول الله ﷺ بعث رجلا من غنى يقال له مرثد بن أبي مرثد حليفا لبني هاشم إلى مكة ليخرج ناسا من المشركين بها أسري فلما قدمها سمعت به امرأة يقال لها عناق، وكانت خليلة له في الجاهلية فلما أسلم أعرض عنها، فأتته فقالت: ويحك يا مرثد: ألا تخلو؟ فقال لها: إن الإسلام قد حال بيني وبينك وحرمه علينا، ولكن إن شئت تزوجتك، إذا رجعت إلى رسول الله ﷺ استأذنته في ذلك ثم تزوجتك، فقالت

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٧١)و الحاكم (٢٤٩٩)، والبيهقي في الكبرى (١٢٤٥١)، وابن جرير (٢ / ٣٨١).

قال الحاكم: صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال الألباني: صحيح.

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي (ص١٨٨)، وفي ذكر هذه القصة في سبب نزول هذه الآية نظر!!؟

فهي إنما ذكر في سبب نزول آية النور: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية...﴾ الآية، كما روى ذلك أبو داود (٢٠٥١) والترمذي (٣١٧٧)، والنسائي (٣٢٢٨)، والبيهقي في الكبرى (١٣٦٣٩)، والحاكم (٢٧٠١)، من حديث: عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، بسند صحيح. والله أعلم.

له: أبي تتبرم؟ واستغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا، ثم خلوا سبيله، فلما قضى حاجته بمكة انصرف إلى رسول الله ﷺ راجعا وأعلمه الذي كان من أمره وأمر عناق، وما لقي من سببها، فقال: يا رسول الله: أيحل أن أتزوجها؟ فأنزل الله تعالى ينهاه عن ذلك قوله: ﴿ **وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ** ﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿ **وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ** ﴾[البقرة: ٢٢١] أخرج الواحدي(١) عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس في هذه قالك نزلت في عبد الله بن رواحة، وكانت له أمة سوداء وأنه غضب عليها فلطمها ثم إنه فزع فأتى النبي ﷺ فأخبره خبرها فقال له النبي ﷺ: «**ما هي يا عبد الله؟**» فقال: هي يا رسول الله تصوم وتصلي وتحسن الوضوء، وتشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال: «**يا عبد الله هذه مؤمنة**» قال عبد الله: فوالذي بعثك بالحق نبيا لأعتقنها ولأتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين، فقالوا: أتنكح أمة؟ وكانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين وينكحوهم رغبة [٢٩ /أ] في أحسابهم فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ **وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ** ﴾(٢) الآية.

قوله تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ** ﴾ [البقرة: ٢٢٢] أخرج الواحدي(٣) عن أنس أن اليهود كانت إذا حاضت منهم امرأة أخرجوها من البيت فلم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها في البيوت فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ** ﴾ إلى آخر الآية رواه مسلم(٤).

وأخرج أيضا (٥) عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ في قوله ـ عز وجل: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ** ﴾ قال: إن اليهود قالت:

---

(١) أسباب النزول (ص١٨٨).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢ / ٣٨٨) وابن أبي حاتم (٢ / ٣٩٨).

(٣) أسباب النزول (ص١٨٩).

(٤) أخرجه مسلم (٣٠٢)، وأحمد (١٣٦٠١) وأبو داود (٢٥٨) من حديث أنس.

(٥) أخرجه مسلم (١٤٣٥)، مختصرا وأبو داود (٢١٦٣) والترمذي (٢٩٧٨).

من أتى امرأته من دبرها كـان ولده أحول فكان نساء الأنصـار لا يدعن أزواجهن يأتونهن من أدبارهن فجاءوا رسول الله ﷺ فـسألوه عن إتيان الرجل امرأته وهي حائض وما قالت اليـهود، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢] يعني القبل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[البقرة: ٢٢٣]، فـإنما الحرث حيث ينبت الولد ويخرج منه.

قوله تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤] الآية أخرج ابن جـرير(١) من طريق ابن جريج، قـال: حدثت أن قوله : ﴿وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ﴾ الآية نزلت في أبي بكر في [٢٣ / ب] شأن مسطح.

وقال الكلبي(٢) نزلت في عبد الله بن رواحة ينهاه عن قطيعة ختنه بشير بن النعمان، وذلك أن ابن رواحة حلف أن لا يدخل عليه أبدا ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين امـرأته، ويقول: قد حلفت بالله أن لا أفـعل، ولا يحل لي إلا أن أبر في يميني فأنزل الله هذه الآية.

وقال مـقاتل(٣): حلف أبـو بكر ﷺ أن لا يصل ابنه عبـد الرحمن(٤) ولا يصلح بين الناس. فنزلت.

وقيل: نهي عن الجرأة على الحلف بالله تعالى.

قـوله تـعـالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾[البـقـرة: ٢٢٦] الآية أخـرج الواحدي(٥) عن ابن عباس قال: كان إيلاء أهل الجاهلية السنة والسنتين وأكثر من

(١) التفسير (٢ / ٤٠٢).

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي (ص١٩٤).

(٣) تفسير الطبري (٢ / ٤٠٢).

(٤) حتى يسلم، والربيع كان الرجل يحلف أن لا يصل رحمه.

(٥) أسباب النزول (ص١٩٥).

ذلك فوقت الله تعالى أربعة أشهر فمن كان إيلاؤه أقل من أربعة أشهر فليس بإيلاء.

وقال سعيد بن المسيب[١]: كان الإيلاء من ضرار أهل الجاهلية، كان الرجل لا يريد امرأته، ولا يحب أن يتزوجها أحد، فيحلف أن لا [يغز] بها أبدًا فكان يتركها بذلك لا أيما ولا ذات بعل فجعل الله تعالى الأجل الذي يعلم له ما عند الرجل في المرأة أربعة أشهر، وأنزل : ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾ [البقرة:٢٢٦] الآية.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة:٢٢٨] الآية أخرج أبو داود وابن أبي حاتم[٢] عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية قالت: طلقت على عهد رسول الله ﷺ ولم يكن للمطلقة عدة فأنزل الله العدة للطلاق، ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ ﴾، قال ابن عباس: كانت المطلقة إذا كرهت مطلقها [٣٠ /أ] كتمت حمله ، وإن أرادته كذبته فنزلت.

قوله تعالى: ﴿ الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ ﴾[البقرة:٢٢٩] الآية أخرج الترمذي والحاكم[٣] وغيرهما عن عائشة قالت: كان الناس أو الرجل يطلق في امرأته ما شاء أن يطلقها، وهي امرأته إذا ارتجعها وهي في العدة، وإن طلقها مائة مرة أو أكثر حتى قال رجل لامرأته: والله لأطلقك فتبيني مني ولا آويك أبدا، فقالت: وكيف ذلك؟ فقال: أطلقك فكلما همت عدتك أن تنقضي راجعتك فذهبت

---

(١) السابق.

(٢) حسن: أخرجه أبو داود (٢٢٨١)، والبيهقي في الكبرى (١٥١٥٥) وابن أبي حاتم(٢ / ٤١٤).

(٣) ضعيف: أخرجه الترمذي (١١٩٢)، والحاكم (٣١٠٦)، والبيهقي في الكبرى (١٤٧٢٧). وضعفه الألباني والذهبي.

المرأة فأخبرت النبي ﷺ فسكت حتى نزل القرآن: ﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

قوله تعالى: ﴿وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ الآية أخرج أبو داود في الناسخ والمنسوخ عن ابن عباس كان الرجل يأكل من مال امرأته نحله الذي نحلها وغيره لا يرى أن عليه جناحا فأنزل الله: ﴿وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾.

وأخرج ابن جرير(١) عن ابن جريج: قال: نزلت هذه الآية في ثابت بن قيس، وفي حبيبة وكانت اشتكته إلى رسول الله ﷺ فقال: «**تردين عليه حديقته؟**» قالت: نعم، فدعاه فذكر ذلك له، قال: يطيب لي ذلك، قال: نعم، قال: قد فعلت، فنزلت: ﴿وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلاَّ أَن يَخَافَا﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ﴾[البقرة: ٢٣٠] الآية أخرج ابن المنذر(٢) عن مقاتل بن حيان قال: نزلت هذه الآية في عاتكة بنت عبد الرحمن بن عتيك كانت عند رفاعة بن وهب بن عتيك، وهو ابن عمها فطلقها طلاقا بائنا فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير القرظي فطلقها فأتت النبي ﷺ فقالت: إنه طلقني قبل أن يمسني أفأرجع إلى الأول؟ قال: «**لا حتى يمس**»، ونزلت فيها: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ فيجامعها، ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ بعد ما جامعها ﴿فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا﴾ .

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٣١]، الآية أخرج ابن جرير(٣) عن السدي قال: نزلت في رجل من

---

(١) التفسير (٢ / ٤٦٢).

(٢) انظر لباب النقول للسيوطي (ص٤٥).

وقال ابن حجر في العجاب (ص٥٨٦)، وأصل القصة في الصحيحين وليس في شيء من طرقه أن الآية نزلت فيها، وإنما أوردته تبعا للثعلبي لاحتمال أن يكون وقعت له رواية.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢ / ٤٨١).

الأنصار يدعى ثابت بن يسار طلق امرأته حتى انقضت عدتها إلا يومين أو ثلاثة راجعها ثم طلقها مضارة، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾ [البقرة: ٢٣١].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ أخرج ابن أبي عمر في مسنده، وابن مردويه عن أبي الدرداء قال: كان الرجل يطلق ثم يقول: لعبت، ويعتق ثم يقول لعبت فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾(١)[البقرة: ٢٣٢].

روى البخاري(٢) وأبو داود [٢٤ /ب] والترمذي وغيرهم عن معقل بن يسار أنه زوج أخته رجلا من المسلمين وكانت عنده ثم طلقها تطليقة ولم يراجعها حتى انقضت العدة فهويها وهويته فخطبها مع الخطاب، فقال له: يا لكع أكرمتك بها وزوجتكها فطلقتها، والله لا ترجع إليك أبدا، فعلم الله حاجته إليها وحاجتها إليه فأنزل الله: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فلما سمعه [٣١ /أ] معقل قال سمعا لربي وطاعة ثم دعاه، وقال: أزوجك، وأخرجه ابن مردويه من طرق كثيرة.

ثم أخرج(٣) عن السدي قال: نزلت في جابر بن عبد الله الأنصاري، وكانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فانقضت عدتها ثم رجع يريد رجعتها فأتى جابر فقال: طلقت ابنة عمنا ثم تريد أن تنكحها الثانية، وكانت المرأة تريد زوجها قد رضيت به فنزلت هذه الآية والأول أصح وأقوى.

وفي الواحدي(٤) من رواية الحسن أن زوجها كان ابن عم معقل بن يسار وأنه

(١) انظر لباب النقول للسيوطي (ص٤٦).

(٢) حديث (٤٨٣٧)، وأبو داود (٢٠٨٧)، والترمذي (٢٩٨١).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢ / ٤٨٦).

(٤) أسباب النزول (ص١٩٩).

لما نزلت الآية كفر عن يمينه زوجها إياه.

قوله تعالى: ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ** ﴾[البقرة:٢٣٨] أخرج أحمد والبخاري في تاريخه، وأبو داود، والبيهقي وابن جرير عن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ كان يصلي الظهر بالهاجرة، وكانت أثقل الصلاة على أصحابه فنزلت: ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ** ﴾(١).

وأخرج أحمد والنسائي وابن جرير عن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ كان يصلي الظهر بالهجير فلا يكون وراءه إلا الصف والصفان والناس في قايلتهم وتجارتهم فأنزل الله: ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ** ﴾(٢).

وأخرج الأئمة الستة وغيرهم عن زيد بن أرقم كنا نتكلم على عهد رسول الله في الصلاة حتى يكلم الرجل منا صاحبه، وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت: ﴿**وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾ فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام(٣).

قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِم**﴾ [البقرة: ٢٤٠] الآية أخرج إسحاق بن راهويه في «تفسيره» عن مقاتل بن حيان أن رجلا من أهل الطائف قدم المدينة وله أولاد رجال ونساء ومعه أبواه وامرأته فمات بالمدينة فرفع ذلك للنبي ﷺ فأعطى الوالدين وأعطى أولاده بالمعروف ولم يعط امرأته شيئا غير أنهم أمروا أن ينفقوا عليها من تركة زوجها إلى الحول، وفيه

---

(١) التاريخ الكبير للبخاري (٣ / ٤٣٣)، وأحمد (٢١٦٣٥)، وأبو داود (٤١١)، والنسائي في الكبرى (٣٥٧)، وإسناده صحيح.

(٢) ضعيف: أخرجه أحمد (٢١٨٤٠)، والنسائي في الكبرى (٣٥٦)، وابن جرير في تفسيره (٢ / ٥٦٩)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٩٠٧).

قال الهيثمي في المجمع (٧ / ١٧) رواه النسائي وقال الشيخ في الأراف: ليس في السماع ولم يذكره أبو القاسم.

رواه أحد ورجاله موثقون إلا أن الزربقان لم يسمع من أسامة بن زيد والله أعلم.

(٣) أخرجه البخاري (١١٤٢)، ومسلم ٥٣٩٠)، وأحمد (١٩٢٩٧)، وأبو داود (٩٤٩)، والترمذي (٤٠٥)، والنسائي ١٢١٩٠)، وابن خزيمة (٨٥٦)، وابن حبان (٢٢٥٠).

نزلت: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا ﴾ الآية.

قوله تعالى: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾[البقرة: ٢٤١] أخرج ابن جرير(١) عن ابن زيد قال: لما نزلت: ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾[البقرة: ٢٣٦] قال: رجل إن أحسنت فعلت، وإن لم ترد ذلك لم أفعل فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ ﴾[البقرة: ٢٤٥] الآية روى ابن حبان في صحيحه وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عمر قال: لما نزلت: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ ﴾[البقرة: ٢٦١] إلى آخرها قال رسول الله ﷺ: «رب زد أمتي» فنزلت ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾(٢).

قوله تعالى: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾[البقرة: ٢٥٦] أخرج الواحدي(٣) عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس [٣٢ /أ] قال: كانت المرأة من الأنصار لا يكاد يعيش لها فتحلف لئن عاش لها ولد لتهودنه، فملا أجليت بنو النضير إذ فيهم ناس من أبناء الأنصار، فقالت الأنصار: يا رسول الله أبناؤنا فأنزل الله تعالى: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ قال سعيد بن جبير: فمن شاء لحق بهم، ومن شاء دخل في الإسلام(٤).

وذكر السدي(٥) أنها نزل في ابنين كانا نصرانيين وأبوهما يقال له أبو الحصين وكان مسلما من الأنصار فخرج ابناه مع جماعة من النصارى إلى الشام فأخبر

---

(١) التفسير (٢ / ٥٩٨).

(٢) ضعيف: أخرجه ابن حبان (٤٦٤٨)، والبيهقي في الشعب (٣٣١٨)، والطبراني في الأوسط (٥٦٤٥)، وفيه عيسى بن المسيب وهو ضعيف، كما قال ابن حجر في العجاب (ص٦٠٥).

(٣) أسباب النزول (ص٢٠٠).

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٣٣٣) والنسائي في الكبرى (١١٠٤٩)، وابن حبان (١٤٠)، والبيهقي في الكبرى (١١٠٤٩)، وابن جرير (٣ / ١٥).

(٥) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٢٠١).

أبوهما رسول الله ﷺ بذلك فقال: «اطلبهما» فأنزل الله: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ فقال رسول الله: أبعدهما. الله هما أول من كفر، قال وكان هذا قبل أن يؤمر رسول الله ﷺ بقتال أهل الكتاب ثم نسخ قوله ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ وأمر بقتال أهل الكتاب في سورة براءة.

وأخرج عن مجاهد(١) قال: كان ناس مسترضعين في يهود قريظة والنضير فلما أمر رسول الله ﷺ بإجلاء بني النضير، قال أبناؤهم من الأوس الذين كانوا مسترضعين فيهم لتذهبن معهم رلتدينن بدينهم فمنعهم أهلوهم وأرادوا أن يكرهوهم على الإسلام، فنزلت: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[البقرة: ٢٥٦] الآية.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥] أخرج ابن جرير(٢) عن مجاهد قال: كان قوم آمنوا بعيسى وقوم كفروا به فلما بعث محمدا ﷺ آمن به الذين كفروا بعيسى وكفر به الذين آمنوا بعيسى، فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾[البقرة: ٢٦٠] قال ابن عباس وابن مسعود (٣): بشر عزرائيل(٤) - عليه السلام - إبراهيم - عليه السلام - بأن الله اتخذه خليلا، قال ما علامة ذلك؟ قال: الله يجب دعاءك ويحيي الموتى بسؤالك.

وقال ابن إسحاق لما قال نمرود أنا أحيي وأميت ثم قتل رجلا وأطلق رجلا، وقال: قد أمت ذلك وأحييت هذا، قال له إبراهيم: إن الله يحيي بأن يرد الروح إلى جسد ميت، فقال له نمرود: هل عاينت هذا الذي تقوله؟ فلم يقدر أن يقول

---

(١) السابق.

(٢) تفسير الطبري (٣ / ٢٣).

(٣) انظر أسباب النزول للواحدي ص٢٠٤)، وأخرجه ابن جرير (٣ / ٤٩)، وابن أبي حاتم (٢ / ٥٠٨).

(٤) لم يرد نص صحيح صريح في تسميته «عزرائيل» وإنما سماه القرآن: ملك الموت في قوله: ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم﴾.

نعم رأيته، فانتقل إلى حجة أخرى، ثم سأل ربه أن يريه إحياء الموتى لكي يطمئن قلبه عن الاحتجاج بأن يكون مخبرا عن مشاهدة وعيان.

وقال الحسن والضحاك وابن جريج[١] : كانت جيفة حمار بساحل البحر، قال عطاء[٢] بحيرة طبرية، قالوا: فرآها وقد توزعتها دواب البر والبحر فكان إذا مد البحر جاءت الحيتان ودواب البحر فأكلت منه فما وقع منها يقع في الماء، وإن جزر البحر جاءت السباع فأكلت منها فما وقع منها يصير ترابا فإذا ذهبت السباع جاءت الطير فأكلت منها فما سقط قطعته الريح في الماء، فلما رأى ذلك إبراهيم [٣٣ / أ] تعجب منها وقال: يا رب قد علمت لتجمعنها فأرني كيف تحييها لأعاين ذلك.

وقال ابن زيد مر إبراهيم بحوت ميت نصفه في البر ونصفه في البحر، فما كان في البحر فدواب البحر تأكله، وما كان في البر فدواب البر تأكله، فقال له إبليس الخبيث: متى يجمع الله هذه الأجزاء من بطون هؤلاء، فقال: ﴿**أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ**﴾[البقرة: ٢٦٠] قال: ﴿ **أَوَلَمْ تُؤْمِن**﴾ قال: ﴿**بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾ بذهاب وسوسة إبليس منه[٤].

قوله تعالى: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ٢٦١]، قال الكلبي ومقاتل[٥] جهز عثمان ﷺ غزاة تبوك بألف بعير بأقتابها وأحلاسها، ووقف بئر رومة بالمدينة، وجاء ابن عوف ﷺ إلى النبي ﷺ بأربعة آلاف درهم نصف ماله فقال له: «**بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت يا رب عثمان بن عفان رضيت عنه فارض عنه**» قال أبو سعيد الخدري: فما زال رافعا يديه يدعو

---

(١) السابق.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

(٤) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٢٠٣)، وابن جرير (٣ / ٤٨).

(٥) السابق (ص٢٠٤)

لعثمان حتى طلع الفجر فنزل : ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ .

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُ﴾[البقرة: ٢٦٧] الآية أخرج الواحدي(١) عن جابر قال: أمر رسول الله ﷺ بزكاة الفطر بصاع من تمر فجاء رجل بتمر رديء فنزل القرآن : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾ الآية.

وأخرج(٢) عن البراء قال: نزلت هذه الآية في الأنصار، وكانت تخرج إذا كان جذاذ النخل من حيطانها أقناء من التمر والبسر فيعلقونها على حبل بين اسطوانتين في مسجد رسول الله ﷺ [ق / ٢٦ب] فيأكل منه فقراء المهاجرين، وكان الرجل يعمد فيدخل قنو الحشف وهو يظن أنه جائز عنه في كثرة ما يوضع من الأقناء فنزل فيمن فعل ذلك: ﴿وَلا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ يعني القنو الذي فيه حشف، ولو أهدي إليكم ما قبلتموه.

قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ﴾[البقرة: ٢٧١] الآية قال الكلبي(٣) لما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾[البقرة: ٢٧٠] قالوا: يا رسول الله صدقة السر أفضل أم صدقة العلانية؟ فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾[البقرة: ٢٧٢] الآية أخرج الواحدي(٤) عن سعيد بن جبير قال رسول الله ﷺ: «**لا تصدقوا إلا على أهل دينكم**» فأنزل الله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «**تصدقوا على أهل**

---

(١) السابق (ص٢٠٥) وأخرجه الحاكم (٣١٢٢) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) أسباب النزول (ص٢٠٦) وابن جرير (٣ / ٨٠)، والحاكم (٣١٢٧) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) أسباب النزول: (ص٢٠٦).

(٤) السابق (ص٢٠٧)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠٣٩٨)، وقد ذكر ابن حجر عدة طرق له في العجاب وأورده الألباني في الصحيحة (٢٧٦٦).

الأديان».

وأخرج(١) عن محمد ابن الحنفية قال: كان المسلمون يكرهون أن يتصدقوا على فقراء المشركين حتى نزلت هذه الآية فآثروا أن يتصدقوا عليهم.

وقال الكلبي(٢): اعتمر رسول الله ﷺ عمرة القضاء وكانت معه في تلك العمرة أسماء بنت أبي بكر فجاءتها أمها قتيلة وجدتها تسألانها وهما مشركتان، فقالت: لا أعطيكما شيئا حتى أستأمر رسول الله ﷺ فإنكما لستما على ديني فاستأمرته (٣٤ /أ] في ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمرها رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية أن تتصدق عليهما فأعطتهما ووصلتهما.

وقال الكلبي(٣): لها وجه آخر، وذلك أن ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة وأصهارا ورضاع في اليهود وكانوا ينفعونهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفعونهم وأرادوهم على أن يسلموا فاستأمروا رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية فأعطوهم بعد نزولها.

قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً** ﴾[البقرة: ٢٧٤]، قال ابن عباس(٤) كان عند علي أربعة دراهم فتصدق منها بدرهم سرا ودرهم علانية ودرهم ليلا وبدرهم نهارا.

قال الكلبي(٥) فقال رسول الله ﷺ : «**ما حملك على هذا؟**» قال: أستوجب على الله الذي وعدني. فقال له رسول الله ﷺ: «**ألا إن ذلك لك**».

وقال الضحاك(٦): تصدق علي على أهل الصفة بوسق تمر ليلا سرا، وابن

---

(١) أسباب النزل للواحدي (ص٢٠٧).

(٢) السابق.

(٣) السابق.

(٤) السابق (ص٢١٠).

(٥) السابق (ص٢٢١).

(٦) السابق.

عوف بدنانير كثيرة نهارا جهارا ﷺ فنزلت.

وقال أبو الدرداء(١): نزلت في الذين يربطون الخيل في سبيل الله، يؤيده ما أخرجه الواحدي(٢) عن مكحول، قال: قال رسول الله ﷺ: «**المنفق في سبيل الله على فرسه كالباسط لكفيه بالصدقة**»(٣).

قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا** ﴾[البقرة: ٢٧٨] أخرج أبو يعلى(٤) في مسنده وابن منده من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: بلغني أن هذه الآية نزلت في بني عمرو بن عوف من ثقيف، وفي بني المغيرة، وكانت بنو المغيرة يربون لثقيف فلما أظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الربا كله فأتى بنو عمرو وبنو المغيرة إلى عتاب بن أسيد وهو على مكة، فقال بنو المغيرة: أجعلنا أشقى الناس بالربا، ووضع على الناس غيرنا، فقال بنو عمرو: وصولحنا على أن لنا ربانا فكتب عتاب في ذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية والتي بعدها.

وأخرجه الواحدي(٥) وزاد فعرف بنو عمرو ألا يدان لهم بحرب من الله ورسوله يقول الله: ﴿ **وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ** ﴾

---

(١) السابق. (٢) السابق (ص٢٠٩) عن مكحول عن جابر.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٠٨٩) مطولا، وابن حبان (٤٦٧٤)، والحاكم (٢٤٥٤)، والطبراني في الكبير (٧٤٩،٥٦١٦)، وفي الأوسط (١٠٤٨) من طريق أبي الدرداء وأبي كبشة رضي الله عنهما.

قال الحاكم: صحيح، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في المجمع (٩٣٢٨): رواه الطبراني ورجاله ثقات. وقال الألباني في صحيح الترغيب (١٢٤٥): صحيح.

(٤) ضعيف جدا: أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢٦٦٨)، وفيه محمد بن السائب الكلبي وهو متهم بالوضع والكذب.

قال أبو نعيم في الضعفاء (١ / ١٣٨): الكلبي عن أبي صالح أحاديثه موضوعة.

وقد ذكره ابن الجوزي في مقدمة الموضوعات من كبار الوضاعين.

(٥) أسباب النزول (ص٢١١) بنفس سند أبي يعلى.

[البقرة: ٢٧٩]، فتأخذون أكثر ولا تظلمون فتبخسون.

وقال عطاء وعكرمة نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان، وكانا قد أسلفا في التمر فلما حضر الجذاذ قال لهما صاحب التمر: لا يبقى لي ما يكفي عيالي إن أخذتما حظكما كله فهل لكما أن تأخذا النصف فأضعف لكما ففعلا فلما حل الأجل طلبا الزيادة وبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأنزل الله هذه الآية فسمعا وأطاعا، وأخذا رؤوس أموالهما.

وقال السدي(١): نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكان شريكين في الجاهلية يسلفان [٢٧ /ب] في الربا فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فأنزل الله هذه الآية فقال رسول الله ﷺ : إن كل ربا [٣٥ /أ] من ربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب.

قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾[البقرة: ٢٨٠] قال الكلبي(٢): قالت بنو عمرو بن عمير لبني المغيرة: هاتوا رؤوس أموالنا ولكم الربا ندعه لكم، فقالت بنو المغيرة: نحن اليوم أهل عسرة فأخرونا إلي أن ندرك الثمرة فأبوا أن يؤخروهم فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾الآية.

قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾[البقرة: ٢٨٥] روى أحمد ومسلم(٣) وغيرهما عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٤] اشتد ذلك على الصحابة فأتوا رسول الله ﷺ ثم جثوا على الركب، فقالوا: قد أنزل الله عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم «سمعنا وعصينا»؟ بل قولوا: ﴿ سَمِعْنَا

(١) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٢١٢)، وأخرجه الطبري (٣ / ١٠٦) وابن أبي حاتم (٢ / ٥٤٨).

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٢١٣).

(٣) أخرجه مسلم (١٢٥)، وأحمد (٢٠٧٠)، والترمذي (٢٩٩٢)، وابن حبان (١٣٩).

وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾[البقرة: ٢٨٥]، فلما إقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ**﴾[البقرة: ٢٨٥] الآية فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾[البقرة: ٢٨٦]، إلى آخرها، وزاد الواحدي(١) حتى بلغ ﴿**أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾[البقرة: ٢٨٦]، فقال: وقد فعلت إلى آخر البقرة كل ذلك يقول وقد فعلت، رواه مسلم.

قال المفسرون(٢): لما نزلت هذه الآية جاء أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وناس من الأنصار إلى النبي ﷺ فجثوا على الركب وقالوا: يا رسول الله ما نزلت علينا آية أشد من هذه الآية فأمرهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا، واشتد ذلك عليهم فمكثوا بذلك حولا، فأنزل الله الفرج والراحة بقوله تعالى: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾[البقرة: ٢٨٦] الآية فنسخت هذه الآية ما قبلها، فقال النبي ﷺ: « **إن الله قد تجاوز لأمتي ما حدثوا به أنفسهم ما لم يعملوا أو يتكلموا**» .

---

(١) أسباب النزول (ص٢١٤).

(٢) السابق (ص٢١٥).

الفصل الثاني
في بيان المنسوخ من سورة البقرة

وهو ثلاث وثلاثون آية، وأما الفاتحة فليس فيها من الناسخ ولا من المنسوخ شيء لأن أولها ثناء وآخرها دعاء.

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[البقرة: ٣]، اختلف أهل العلم فيها، فقالت طائفة وهم الأكثرون: هي الزكاة المفروضة، وعلى هذا فليست منسوخة.

وقال مقاتل بن حيان في جماعة: هذا ما فضل عن الزكاة نسختها: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وقال السيوطي في «الإتقان»(١): إن قوله ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ قالوا: إنه منسوخ بآية الزكاة، وليس كذلك بل هو محكم فإنه خبر في معرض الثناء عليهم بالإنفاق، وذلك يصلح أن يفسر بالزكاة وبالإنفاق على الأهل وبالإنفاق في الأمور المندوبة كالإعانة والإضافة، وليس في الآية ما يدل على أنها نفقة واجبة غير الزكاة، وقد تركنا كثيرا مما ذكره الإمام الجعبري في الآيات المنسوخة لكون النسخة التي بأيدينا سقيمة جدا فنلقنا ما تيسر منها ومن غيرها كرسالة الإمام أبي القاسم هبة الله بن سلامة بن علي التي ألفها في الناسخ والمنسوخ، وذكر في آخرها أنه استخرجها من خمسة وتسعين تفسيرا [ق/ ٣٦أ].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ ﴾ [البقرة: ٦٢]، الآية كآية المائدة، قال مجاهد والضحاك: هي محكمة، والتقدير أن الذين آمنوا بمحمد ابتداء أو انتقالا، أو مات على شريعة أم تنسخ فلهم أجرهم.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (١ / ٥٩).

وقال ابن طلحة عن ابن عباس إنـها منسوخة بقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[آل عمران: ٨٥] فالمعنى أن من آمن بنبي ومـات على شريعته وإن نسخت فلهم أجرهم.

الثالثة: ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته﴾، قال ابن عباس السيئة: الشرك، والخطيئـة: الصغيرة، والمراد اليهـود أو الفاسق المستحل فـهي محكمة، وقال عكرمة من مـات على الكبائر فاقتضى الوعـيد [٢٨ /ب] تخليده في النار فهي منسوخة بقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء: ٤٨].

الرابعـة: ﴿وقـولوا للناس حسنا﴾، قال ابن عباس: الخطـاب لليهود أمروا أن يبينوا ما في التوراة من صفة محمد ﷺ ونبوته [ويبينوا] (١) القول للبر والفاجر.

وقال الحـسن والثوري: الخطاب لـلمسلمين، فـقال عطاء: الأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر.

وقال محـمد الباقر: قـولوا للناس ما تحبون أن يقـولوا لكم، وادعوهم إلى الشهادتين فهي محكمة عندهم(٢) بآية السيف.

وهي جنس متعدد الأفراد نحو ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[البقرة: ١٩١]، [فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم[فـقاتلو أئمة الكفر]، [قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليـوم الآخر]، [وقاتـلوا المشركين كـافة] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ﴾[التوبة: ٧٣].

وهي ناسخ لجمـيع ما أمروا به في صدر الإسـلام من إلانة الكلام والصفح والإعراض واحتمال أذاهم وترك قتالهم عند قوة الأذى وانتشاره.

الخـامـسـة: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقـرة: ١٠٩] قال ابن عباس وابن مـسعود: هي منسوخـة بقوله: ﴿فَـاقْـتُلُوا

---

(١) في ب: ويلينوا.

(٢) وقال قتادة وآخرون أمروا بمساهلة الكفار، فهي منسوخة عنده بآية. . . .

﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥] وقال قتادة والسدي: بقوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٩] والجمهور على أنها محكمة للتأقيت.

السادسة: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾[البقرة: ١١٥] قال ابن عمر: نزلت في نافلة السفر.

وقال مجاهد: نزلت في جهة الدعاء.

وقال الضحاك: في صحة التوجه للكعبة لمن لا يشاهدها.

وقال النخعي: في المتحير الذي لم يعلم الخطأ.

فهي محكمة عند هؤلاء.

وقال قتادة: نزلت في كل صلاة ثم نسخت بقوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[البقرة: ١٤٤] أي نحوه وتلقاءه.

واختلف المفسرون رحمهم الله في أي صلاة حولت القبلة؟ وفي أي شهر؟

فقال الأكثرون: حولت في صلاة الظهر من يوم الاثنين للنصف من رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله ﷺ المدينة، وبذلك قال معقل ابن يسار والبراء بن عازب رضي الله عنهم.

وروى سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أنه قال: حولت [٣٧ / أ] القبلة يوم الثلاثاء للنصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من مقدم رسول الله ﷺ.

السابعة: ﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾[البقرة: ١٣٩] الجمهور على أنها محكمة فالمعنى: كل عمله له وعليه.

﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[الأنعام: ١٦٤].

وقال الضحاك ومجاهد: منسوخة بآية السيف فالمعنى كل يلزم نفسه من غير حجاج بيننا وقتال.

الثامنة: ﴿**فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا**﴾[البقرة:١٥٨] الجمهور على أنها محكمة، وهي جواب قولهم المقدر: هل علينا جناح؟

وقيل دلت على أنه ليس نسكا كقوله: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ**﴾ [البقرة:١٩٨]، ثم نسخها ﴿**وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ**﴾ [البقرة: ١٣٠] وكان من ملته السعي بينهما.

والأوضح أن تكون منسوخة بما رواه البيهقي وغيره من قول النبي ﷺ: «**اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي**»، وهو ركن عند الشافعي في النسك، وواجب عند أبي حنيفة ومسنون عند أحمد.

التاسعة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ**﴾[البقرة:١٧٨] إلى هنا موضع النسخ في الآية وباقيها محكم.

وكان سبب نزولها أن حيين من أحياء العرب اقتتلا قبل الإسلام بقليل، وكان أحدهما على الآخر أطول بالكثرة والشرف، فلا يقتص بعضهم من بعض، حتى جاء الإسلام ،فقال الأكثرون منهم: لا يقتل بالعبد منا إلا الحر منهم ولا بالمرأة منا إلا الرجل منهم، فسوى الله تعالى بينهما في القصاص.

واختلفوا في ناسخها فقال عطية العوفي، وعكرمة: نسختها الآية التي في سورة المائدة قوله تعالى: [٢٩ / ب] ﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ**﴾ [المائدة: ٤٥] الآية، واحتجوا بحديث أن النبي ﷺ: «**قتل مسلما بكافر**» وقال: «**أنا أحق من أوفى بعهد**».

فإن قال قائل فإذا كان هذا مكتوبا على بني إسرائيل فكيف يلزمنا حكمه؟ فالجواب أن آخر الآية ألزمنا، وهو قوله تعالى: ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[المائدة: ٤٥].

وقال آخرون: نسختها الآية التي في بني إسرائيل قوله تعالى: ﴿**وَمَن قُتِلَ**

مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا ﴾[الإسراء: ٣٣]، وقتل الحر بالعبد إسراف وكذا قتل المسلم بالكافر.

العاشرة: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ** ﴾ [البقرة: ١٨٠]، أي بأن يقول عند الموت إذا مت فلفلان كذا، قال عليٌّ، الخير ألف درهم، والنخعي: خمسمائة، وعكرمة: ستون دينارا، والزهري: كل مال.

ثم قال الضحاك وطاووس والشعبي والنخعي: محكمة، حتى قال الأولان: من مات ولم يوص لهم عصى، وقال الأخيران: الوصية لهم ندب وجمعوا لهم بين النصيبين.

وقال ابن عباس هي منسوخة كلها بقوله: ﴿ **لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ** ﴾[النساء: ٧] وابن عمر بقوله: ﴿يوصيكم الله في أولادكم﴾ إلى آخره وعليهما العمل.

وقال الحسن: نسخت وصية الوالدين والأقربين الوارثين بآية المواريث، وبما روى الشيخان عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث**» [٣٨ / أ].

ووصية الأقربين غير الوارثين محكمة، وقيل نسخها: ﴿وإذا حضر القسم أولوا القربى﴾.

الآية الحادية عشر: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ** ﴾[البقرة: ١٨٣]، الآية قال ابن عباس: لما قدم النبي ﷺ المدينة أمر بصوم ثلاثة أيام من كل شهر.

قال عطاء كانت على من قبلنا.

وقال عائشة رضي الله عنها: كانت قريش تصوم عاشوراء ثم أمر به في المدينة فهي ناسخة لدينك الصومين.

واختلف في الذين من قبلنا، فقال الحسن والشعبي: هم النصارى كتب عليهم شهر رمضان فأخروه.

ومجاهد: كل الأمم.

وكتب عليهم هو أو غيره، فالتشبيه على الأول في العدد وعلى الثاني في نفس الصوم فهي محكمة عليها.

وقال ابن عباس والسدي وأبو العالية: : هم اليهود فالتشبيه في الصفة؛ أي: يحرم على من نام منا ليلة الصوم ثم انتبه الطعام والشراب، وإن لم يفطر كما كان يحرم على اليهود فهي منسوخة عندهم بقوله: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ**﴾[البقرة:١٨٧] إلى قوله: ﴿**مِنَ الْفَجْرِ**﴾ وهو الصواب الموافق لسبب النزول وسياق الآية.

الثانية عشرة: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾[البقرة: ١٨٤] هذه الآية منسوخة في حق غير الحامل والمرضع الخائفتين على الولد، فكان الرجل إن شاء صام وإن شاء أفطر وأطعم مكان كل يوم مسكينا نسخ الله تعالى ذلك بقوله: ﴿**فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾[البقرة: ١٨٥] وفيه محذوف تقديره فمن شهد منكم الشهر بالغا عاقلا حاضرا صحيحا فليصمه.

الثالثة عشرة: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ**﴾[البقرة: ١٩٠] الآية جميعها محكم إلا قوله: ﴿**وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ فإنه نسخ النهي الذي فيها بقوله: ﴿**وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ**﴾[التوبة: ٣٦]، فقوله: ﴿**وَلا تَعْتَدُوا**﴾ أي بقتال من لم يبدأكم وقيل هي محكمة كلها فمعنى: لا تعتدوا؛ أي: لا تجاوزا الحد بقتل النساء والصبيان والشيوخ والرهبان.

الرابعة عشرة: ﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه﴾، قال ابن عباس وطاوس والضحاك ومجاهد: هي محكمة لما روى الشيخان عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال يوم فتح مكة: «**أيها الناس إن الله حرم عليكم مكة يوم خلق السموات والأرض لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار ثم عادت حراما إلى يوم القيامة**».

وقال قتادة: منسوخة بقوله: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[التوبة: ٥]، والربيع وابن زيد بقوله: [ق/ ٣٠ب] ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[البقرة: ١٩١].

الخامسة عشرة: ﴿فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة: ١٩٢].

السادسة عشرة: ﴿فَإِنِ انتَهَوْاْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[البقرة: ١٩٣]، محكمتان فالمعنى فإن انتهوا عن كفرهم وأسلموا فإن الله غفور رحيم لما سلف، ولا سبيل لأحد عليهم.

وقال قتادة: منسوختان بالسيف، فالمعنى فإن انتهوا عن قتالكم فكفوا عنهم واعفوا عنهم فهو من الأخبار المؤولة بالأمر.

السابعة عشرة: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] وقال قتادة: بدأكم [٣٦ /أ] بقتال في الحرم والحرام قاتلوه؛ وأفاد بمثل أنه كدفع الصائل فهي محكمة عنده.

وقال ابن عباس: من ظلمكم فاظلموه فأباحت لذي الحق استيفاءه بنفسه فهي منسوخة عنده بالسنة.

الثامنة عشرة: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[البقرة: ١٩٦] قال ابن عباس: لا يخرج من واحد منهما حتى يتمه فهي محكمة عنده.

وقال مكي: قال بعضهم: ناسخة لحديث أنس: خرجنا نصرخ بالحج فلما قدمنا مكة أمرنا رسول الله ﷺ أن نجعله عمرة.

وقال أبو عبيد: منسوخة.

والصواب أنها غير ناسخة لتقدمها لأن حجة الوداع بعد البقرة، ولا منسوخة لأنه لم يأمرهم بإبطالها بل يقلبها كقلب المتيمم فرضه نفلا لوجود الماء في الصلاة، وانقلاب الجمعة ظهرا لخروج الوقت، إعلاما بجواز العمرة زمن الحجة بلا إثم وصحتها بنيته، وكلاهما رخصة، فالمانع قصرها على واقعتها، والمجيز عمم، ولا تحتاج صورتها إلى وجود العلة الأصلية كالفطر.

التاسعة عشرة: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴾[البقرة: ٢١٥] كان ذلك قبل أن تفرض الزكاة فنسختها آية: ﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ** ﴾ [التوبة: ٦٠] الآية قال ابن القعقاع نسخت الزكاة كل صدقة، ورمضان كل صوم، والأضحية كل ذبح، وقيل: إنها محكمة، وقال الحسن ومجاهد: هي نفقة المواساة الواجبة للأصول والفروع المحتاجين عند الشافعي، ومع الحواشي عند أبي حنيفة، وقال ابن مسلم: هي في صدقة النفل.

العشرون: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ** ﴾[البقرة: ٢١٦]، ﴿ **إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ** ﴾[التوبة: ٣٩]، ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا** ﴾[التوبة: ٤١].

دل على أن الجهاد فرض عين، وقوله: ﴿وفضل الله المجاهدين علي القاعدين﴾ ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة﴾، وقوله ﷺ: «**من جهز غازيا فقد غزا، ومن خلف غازيا في أهله وماله فقد غزا**».

دل على أنه فرض كفاية وكل من الأدلة المثبتة الفرض العين والكفاية ناسخ [للكف عن القتال، وقال ابن المسيب: فرض العين ناسخ](١) للكفاية، فأوجبه على كل مكلف دائما، والجمهور على عكسه.

والمختار أن الأدلة المذكورة محكمة وأن الجهاد فرض كفاية إن قصدناهم، وفرض عين إن قصدونا.

الحادية والعشرون: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ** ﴾[البقرة: ٢١٧]، الآية، الجمهور على أنها منسوخة بالسيف، وقال ابن جريج عن عطاء: كان يحلف لا يحل الابتداء به فيها.

الثانية والعشرون: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ** ﴾ [البقرة: ٢١٩] الآية قال الزجاج وآخرون: إنها محكمة دلت علي تحريمها ناسخة

---

(١) سقط من أ.

لإباحتها بوصفها بالإثم ولاقترانها بالميسر.

فالمعنى وإثمها بعد التحريم أكبر من نفعها بأخذ الثمن وباللذة، [ويدفع اللهم][(١)] فآية المائدة في هذا مؤكدة.

وقال ابن عباس وابن جبير والسدي ومجاهد اقتضت ذمها فقط لملازمة الانتفاع الحل فمعنى الإثم: مظنته لأن السكر مظنة التعدي، فامتنع لذلك قوم وشربها آخرون ثم نزل ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾ أي: المذكورة فآية [٤٠ / أ] المائدة ناسخة لها.

الثالثة والعشرون: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ**﴾[البقرة: ٢١٩]، أي الفضل من أموالكم، وذلك أن الرجل إذا كان من أهل المال أمسك ألف درهم [٣١ / ب] أو قيمتها من الذهب وتصدق بما بقي، وقيل: أمسك ثلث ماله.

وإن كان من أهل عمارة الأرض وزرعها أمسك ما يقوته ويقوت عياله سنة وتصدق بما بقي وإن كان ممن يعمل ليديه أمسك ما يقوته يومه وتصدق بما بقي فشق ذلك عليهم حتى أنزل الله تعالى في سورة التوبة: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**﴾[التوبة: ١٠٣] فقالوا: يا رسول الله وكم تأخذ فبينت السنة أعيان الزكاة ومقاديرها من الورق والذهب والماشية والزرع فصارت هذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿ **قُلِ الْعَفْوَ** ﴾.

الرابعة والعشرون: ﴿**وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ**﴾[البقرة: ٢٢١] قال الحسن وعكرمة: المراد بالمشركات الكتابيات، فهي منسوخة بآية المائدة، وهي قوله: ﴿**وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ**﴾ [المائدة: ٥] والمراد بالمحصنات الحرائر.

وأما ﴿**وَلا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ**﴾ فحكم باق على عمومه بالإجماع.

وعن ابن عباس: أنها عامة خصصتها آية المائدة، والتقدير والمحصنات

---

(١) وبدفع الهم.

الذميات.

الخامسة والعشرون: ﴿ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ** ﴾ [البقرة:٢٢٨]، والجمهور على أنها عامة خص منها غير المدخول بها بقوله في الأحزاب: ﴿ **فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِن عِدَّةٍ** ﴾ [الأحزاب:٤٩]، والآيسة والصغيرة فعدتها ثلاثة أشهر بقوله في سورة الطلاق: ﴿ **وَاللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ** ﴾[الطلاق: ٤]، إلى قوله تعالى: ﴿ **وَاللاَّئِي لَمْ يَحِضْنَ** ﴾ وخص منها الحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن كما في سورة الطلاق، وخص منها الإماء ذوات الحيض فعدتهن قرءان بالسنة فبقي حكم الآية مقصور على المطلقة الحرة المدخول بها ذات الحيض.

وقال قتادة هذه الآية منسوخة بما ذكر، وليس بسديد فإن هذه الآية مخصصة لا ناسخة.

السادسة والعشرون: ﴿ **وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا** ﴾ [البقرة:٢٢٩] قال أبو عبيدة: منسوخ بالاستثناء والصواب أن الاستثناء تخصيص للاتصال، وقيل: منسوخ بقوله: ﴿ **فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ** ﴾ [النساء: ٤]، وليس بجيد لأن قوله: ﴿ **وَلا يَحِلُّ لَكُمْ** ﴾ في عوض الخلع، وقوله: ﴿ **فَإِن طِبْنَ لَكُمْ** ﴾ في هبة الصداق.

السابعة والعشرون: ﴿ **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ** ﴾ [البقرة:٢٣٣]، الآية ثم استثنى بقوله: ﴿ **فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا** ﴾ فصارت هذه [الإرادة][1] ناسخة للحولين، وهذا ليس صوابا لفهم التخيير من قوله: ﴿ **لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ** ﴾.

الثامنة والعشرون: ﴿ **إِلاَّ أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفًا** ﴾[البقرة: ٢٣٥]، قال ابن عباس: المعروف التعريض، وقال أبو عبيدة إعلام وليها.

وقوله: ﴿ **وَلا تَعْزِمُوا** ﴾[البقرة: ٢٣٥] أي: لتعقدوا حتى يبلغ الكتاب أجله؛

---

(١) في أ: الآية.

أي: حتى تنقضي العدة.

قال الجمهور: إن هذه الآية محكمة فأباحت التعريض للمعتدة عن الوفاة، ويقاس بها المعتدة عن الطلاق غير الرجعية.

وقال ابن زيد: منسوخة بالنهي في قوله: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ أي: لا [٤١ /أ] تذكروا مقامات العقد إلى الانقضاء، وليس صوابا للإجماع على حل التعريض، فلا منافاة.

التاسعة والعشرون: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم﴾ [البقرة: ٢٤٠] الآية، كان الرجل إذا مات لزم امرأته أن تعتد حولا فإذا انقضى الحول أخذت بعرة فرمت بها في وجه كلب فتخرج بذلك من عدتها عندهم، غير أنه ينفق عليها من مال زوجها مدة حبسها، ولا يكون لها بعد ذلك ميراث من ماله، وهو تفسير قوله: ﴿مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾[البقرة: ٢٤٠] فالمتاع: النفقة من مال الزوج، ثم نسخ الله تعالى الحول بأربعة أشهر وعشر في الآية قبلها في التلاوة، ونسخ النفقة بالربع والثمن.

الثلاثون: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾[البقرة: ٢٣٦]، قال علي والضحاك ومالك: المتعة لكل مطلقة جعلوا قوله: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١] ناسخة لخصوص هذه الآية، وخصوص آية الأحزاب، وهي قوله: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ﴾[٣٢ /ب] [الأحزاب: ٤٩]، وقال ابن عباس والأوزاعي والثوري والثلاثة: [المتعة][(١)] لكل مطلقة مفوضة لم توطأ جعلوا هذه الآية ناسخة للأخيرتين، وهي واجبة، وقيل مستحبة.

الحادية والثلاثون: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[البقرة: ٢٥٦] الآية، كان ناس من الأنصار أرادوا أن يخرجوا مع اليهود لما أجلاهم النبي ﷺ إلى أذرعات الشام

---

(١) في أ: المتقدمة.

فمنعهم أهلوهم فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[البقرة: ٢٥٦] ﴿قد تبين الرشد من الغي﴾ ثم نسخ ذلك بآية السيف، وقال عمر: هي في أهل الكتابين لا يكرهون على الإسلام فهي محكمة.

الثانية والثلاثون: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ قال ابن عباس نزلت في دين السلم، والظاهر العموم، والجمهور على أن الأمر للندب والإرشاد.

وقال ابن عمر والضحاك: إنه واجد إن وجد ، فقوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [البقرة: ٢٨٣] الآية فيه حث الأمين على أدائها عند عدمها فهي محكمة، وذهب أكثرهم إلى أن التعيين المستفاد من الأمر منسوخ بالتخيير المستفاد من الثانية.

الثالثة والثلاثون: ﴿ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾[البقرة: ٢٨٤] قال عكرمة عن ابن عباس: كتمان الشهادة، وعائشة من هم بمعصية وعزم عليها، وعنها: من هم بها مطلقا، فهي محكمة.

وقال الحسن عن ابن عباس وابن مسعود، وأبي هريرة: لما نزلت جثا الصحابة على الركب، وقالوا: يا رسول الله هلكنا إن حوسبنا علي ما يعرض في نفوسنا فنسخها قوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦] وجاز نسخه وإن كان خيرا لأنه وعيد فيرجع إلى النهي لأن النسخ لا يدخل إلا على الأمر والنهي وعلى الإخبار التي معناها الأمر والنهي مثل قوله: ﴿الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ [النور: ٣]، فمعناه لا تنكحوا زانية ولا مشركة، ومثال الخبر الذي بمعنى [ق ٤٢ /أ] الأمر قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ [يوسف: ٤٧] فمعناه ازرعوا.

الفصل الثالث
في بيان المتشابه في سورة البقرة

قوله: ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة: ١] كرر في أوائل ست سور، وزاد في الأعراف: ﴿ص﴾ لقوله بعده ﴿ فلا يكن في صدرك حرج منه﴾، وفي الرعد راء لقوله بعده: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ ﴾[الرعد: ٢] واعلم أن حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وهي سر القرآن، وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها.

وقيل: هي معلومة المعاني، وعليه فقيل: كل حرف منه أول اسم من أسماء الله فالألف من الله واللام من اللطيف الميم من المجيد، والصاد من الصادق، والراء من رؤوف.

وقيل: هي أقسام وإنما هي أسماء مسمياتها الحروف وعليه فقيل معربة، وقيل مبنية، وقيل لا.

قوله: ﴿لا رَيْبَ فِيهِ﴾[البقرة: ٢] أي : لا شك فيه.

فإن قلت: كيف نفى الريب وكم ضال ارتاب فيه؟

قلت: المراد أنه ليس محلا للريب أو لا ريب فيه عند الله ورسوله والمؤمنين، أو ذلك نفي بمعنى النهي؛ أي: لا ترتابوا فيه لأنه من عند الله.

نظيره قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا ﴾[الكهف: ٢١] فإن قلت كيف قال: هدى للمتقين، وفيه تحصيل الحاصل لأن المتقين مهتدون؟

قلت: إنما صاروا متقين باستفادتهم الهدى من الكتاب، أو المراد بالهدى الثبات والدوام عليه، أو أراد الفريقين، واقتصر على المتقين لأنهم الفائزون بمنافع الكتاب، أو للإيجاز كما في قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾[النحل: ٨١].

قوله: ﴿ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[البقرة: ٤] أي: يعلمون واليقين العلم بعد زن لم

يكن، ولهذا لا يقال لعلم الله يقين.

قوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾[البقرة: ٥] فإن قلت لم ذكر ذلك مع قوله هدى للمتقين؟

قلت: لأنه ذكر هنا مع هدى فاعله(١) بخلافه.

قوله: ﴿سواء عليهم﴾[البقرة: ٦] إن قلت لم حذفت الواو هنا، وأثبتت في يس؟، قلت: لأن ما هنا جملة [ق/ ٣٣ب] هي خبر عن اسم أن، وما هناك جملة عطفت على أخرى.

فإن قلت: ما فائدة بعثة الرسل بعد قوله: ﴿سواء عليهم﴾ الآية، قلت: لئلا يكون للناس حجة أو لأن الآية نزلت في قوم لا يؤمنون، ولو جاءتهم كل آية فبعثة الرسل انتفع بها آخرون فآمنوا.

قوله: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[البقرة: ٨] ليس في القرآن غيره تكرار العامل مع حرف العطف لا يكون إلا لتأكيد، وهذا حكاية كلام المنافقين فهم أكدوا كلامهم نفيا للريبة وإبعادا للتهمة فكانوا في ذلك كما قيل: كاد الريب يقول: خذوني فنفى الله عنهم الإيمان بأوكد الألفاظ، فقال: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] ويكثر ذلك مع النفي، وقد جاء في القرآن في موضعين في النساء: ﴿وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾النساء: ٣٨]، وفي التوبة: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[التوبة: ٢٩].

قوله: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾[البقرة: ٩]، إن قلت: كيف؟ قاله مع أن المخادعة إنما تتصور في حق من تخفي عليه الأمور ليتم الخداع من حيث لا يعلم ولا يخفى على الله شيء؟ [٤٣ / أ].

قلت: المراد يخادعون رسول الله إذ معاملة الله معاملة رسوله كعكسه لقوله تعالي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾[الفتح: ١٠]، وقوله: ﴿مَن يُطِعِ

---

(١) في هامش ب: أي فاعله في المعنى وهو قوله: ﴿من ربهم﴾.

الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[النساء: ٨٠] أو سمى نفاقهم خداعا لشبهه بفعل المخادع.

قوله: ﴿أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾[البقرة: ١٢]، إن قلت: كيف خص الفساد بالمنافقين مع أن غيرهم مفسد؟

قلت: المراد بالفساد الفساد بالنفاق، وهم كانوا مختصين به.

قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾[البقرة: ١٥] إن قلت: الاستهزاء من باب العبث والسخرية، وذلك قبيح على الله تعالى ومنزه عنه؟

قلت: سمى جزاء الاستهزاء استهزاء مشاكلة كقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[الشورى: ٤٠] والمعنى: أن الله يجازيهم جزاء استهزائهم.

قوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾[البقرة: ١٩] إن قلت ما فائدة قوله من السماء مع أن الصيب لا يكون إلا منها؟

قلت: فائدته أنه عرف السماء [وأضاف الصيب إليها ليدل على أنه من جميع آفاق السماء](١) لا من أفق واحد إذ كل أفق يسمى سماء، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا من دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ﴾[الأنعام: ٣٨].

قوله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم﴾[البقرة: ١٩] عبر بالأصابع عن أناملها، والمراد بعضها لأنهم إنما جعلوا بعض أناملهم.

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[البقرة: ٢١]، ليس في القرآن غيره لأن العبادة في الآية التوحيد، والتوحيد أول ما يلزم العبد من المعارف. فكان هذا أو خطاب خاطب الله به الناس في القرآن فخاطبهم بما ألزمهم أولا، ثم ذكر سائر المعارف وبنى عليها العبادات فيما بعدها من السور والآيات.

فإن قيل: سورة البقرة ليست من أول القرآن نزولا فيحسن فيها ما ذكرت.

قلت: أول القرآن سورة الفاتحة ثم البقرة ثم آل عمران على هذا الترتيب(٢)،

---

(١) سقط من أ.

(٢) إلى سورة الناس، وهكذا هو عند الله في اللوح المحفوظ وهو على هذا الترتيب...

كان يعرض ﷺ على جبريل ـ عليه السلام ـ كل سنة ما كان يجتمع عنده منه وعرض عليه الصلاة والسلام عليه في السنة التي توفي فيها مرتين، وكان آخر الآيات نزولا، ﴿واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله﴾، فأمره ﷺ جبريل ـ عليه السلام ـ أن يضعها بين آية الربا والدين.

وذهب جماعة من المفسرين إلى أن قوله في هود: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ [هود:١٣]، معناه: مثل البقرة إلى سورة هود وهي العاشرة، ومعلوم أن سورة هود مكية وأن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة مدنيات نزلت بعدها.

وفسر بعضهم: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[المزمل:٤] أي: اقرأه على هذا الترتيب من غير تقديم ولا تأخير وجاء النكير على من قرأه معكوسا، ولو حلف إنسان أن يقرأ القرآن على الترتيب(١) ولو نزل جملة كما اقترحوا عليه بقوله: ﴿لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ لنزل على هذا الترتيب، وإنما تفرقت سوره وآياته نزولا لحاجة الناس حالة بعد حالة، ولأن فيه الناسخ والمنسوخ [٣٤ /ب]، ولم يكونا ليجتمعا نزولا.

وأبلغ الحكم في تفرقه ما قاله سبحانه: ﴿وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾ [٤٤ /أ] وهذا أصل تبني عليه مسائل.

قوله: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة:٢٢]؛ أي: أنه لا أنداد له.

فإن قلت: المشركون لم يكونوا عالمين بذلك بل كانوا يعتقدون أن له أندادا.

قلت: المراد وأنتم تعلمون أن الأنداد لا تقدر على شيء مما مر قبل ذلك، أو وأنتم تعلمون أنه ليس في التوراة والإنجيل جواز اتخاذ الأنداد.

قوله: [ ](٢) إن قلت: لما ذكرت (من) هنا وحذفت في سورتي يونس

---

(١) لم يلزمه إلا علي هذا الترتيب.

(٢) [فأتوا بسورة من مثله](البقرة:٢٣).

وهود؟

قلت: لأن (من) هنا للتبعيض أو للتبيين أو زائدة، علي قول الأخفض بتقدير رجوع الضمير في مثله إلى (ما) في قوله: (مما نزلنا)، وهو الأوجه، والمعنى على الأخير فأتوا بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن النظم، وعلى الأولين فأتوا بسورة مما هو على صفته في البلاغة وحسن النظم وحينئذ فكأنه منه فحسن الإتيان بمن الدالة على ما ذكر بخلاف ذاك فإنه وصف السور بالإفتراء صريحا في هود وإشارة في يونس فلم يحسن الإتيان بمن الدالة على ما ذكر لأنها حينئذ تشعر بأن ما بعدها من [جنس ما](١) قبلها فيلزم أن يكون قرآنا، وهو محال، ويجوز جعل من للابتداء بتقدير رجوع، الضمير في مثله إلى عبدنا؛ أي: محمد، والمعنى فأتوا بسورة مبتدأة من شخص مثل محمد قوله: ﴿من دون الله﴾؛ أي: من غيره، وهو بهذا المعنى في جميع ما جاء منه في القرآن، وقد يستعمل بمعنى قبل.

قولهم: المدينة دون مكة ولا أقوم من مجلسي دون أن تجيء ولا أفارقك دون أن تعطيني حقي قوله: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾[البقرة: ٢٤] إن قلت: كيف عرف النار هنا ونكرها في التحريم؟

قلت: لأن الخطاب في هذه مع المنافقين، وهم في أسفل النار المحيطة بهم فعرفت بلام الاستغراق والعهد الذهني، وفي تلك مع المؤمنين، والذي يعذب من عصاتهم بالنار يكون في جزء من أعلاها فناسب تنكيرها لتقليلها، وقيل: لأن تلك الآية نزلت قبل هذه بمكة فلم تكن النار: ﴿ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ معروفة فنكرها ثم وهذه نزلت بالمدينة فعرفت إشارة إلى ما عرفوه أولا ورد هذا بأن آية التحريم نزلت بالمدينة بعد الآية هنا.

قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾[البقرة: ٢٥]، إن

---

(١) سقط من أ.

قلت: كيف شرط في دخول المؤمن الجنة العمل الصالح مع أن مجرد الإيمان كاف في دخلوها؟

قلت: المراد بالعمل الصالح الإخلاص في الإيمان أو الثبات عليه إلى الموت أو المراد بدخول الجنة دخولها مع الفائزين قوله: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠]، أي: قوما يخلف بعضهم بعضا أو آدم بمعنى خليفة عني بأمري أو عن ملائكتي أو عن الجن[١].

قوله: ﴿ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ ﴾[البقرة: ٣٤] الآية ذكر هذه الخلال في هذه السورة مجملة ثم ذكرها في سائر السور مفصلة، فقال في الأعراف: ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾[ق / ٤٥أ][الأعراف: ١١]، وفي الحجر: ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٣١] وفي سبحان: ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ [الإسراء: ٦١][٢] وفي طه: ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾[طه: ١١٦] وفي ص: ﴿ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[ص: ٧٤].

قوله: ﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا ﴾[البقرة: ٣٥]، بالواو، وفي الأعراف: ﴿ فكلا ﴾[الأعراف: ١٩]، بالفاء اسكن في الآيتين ليس بأمر بالسكون الذي هو ضد الحركة، وإنما الذي في البقرة من السكون الذي معناه الإقامة فلم يصلح إلا بالواو لأن المعنى إجمعا بين الإقامة فيها والأكل من ثمارها ولو كان ألفا مكان الواو لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة لأن الفاء للتعقيب والترتيب، والذي في الأعراف من السكنى التي معناها اتخاذ الموضع مسكنا لأن الله تعالى أخرج إبليس من الجنة بقوله: ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الأعراف: ١٨]، وخاطب آدم فقال: ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [الأعراف: ١٩]، أي اتخذا لأنفسكما مسكنا: ﴿ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ فكانت الفاء أولى لأن اتخاذ المسكن لا يستدعي زمانا [ق/ ٣٥ب] ممتدا ولا يمكن الجمع

---

(١) قوله: ﴿اسجدوا لآدم﴾ أي تكرمة لا عبادة.

(٢) وفي الكهف: ﴿إلا إبليس كان من الجن﴾.

بين الاتخاذ والأكل فيه بل يقع الأكل عقبه وزاد في البقرة [رغدا] لما زاد في الخبر تعظيما بقوله: ﴿وقلنا﴾ بخلاف سورة الأعـراف فإن فيها، و[قال] الخطيب ذهب إلى أن ما في الأعـراف خطاب لهما قبل الدخـول، وما في البقرة بعـد الدخول والله أعلم.

قـوله: ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا ﴾ [البقرة:٣٨] ، كرر الأمـر بالهبوط الأول من الجنة، والثاني من السماء أو لأن الأول إلى دار الدنيا يتعادون فيها ولا يخلدون، والثاني إليها للتكليف فمن اهتدى نجا ومن ضل هلك قوله: ﴿فَمَن تَبِعَ ﴾ وفي طه: ﴿فمن اتبع﴾ [طه:١٢٣].

إن قلت: لما عبر عنها بتبع وثم باتبع مع أنهما بمعنى؟

قلت: جريا على الأصل هنا وموافقة لقوله: ﴿يتبعون الداعي﴾ [طه:١٠٨] ثم ولأن القضيـة ثم لما بنيت من أول الأمر علي التأكيـد بقوله تعالى: ﴿وَلَقَـدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ ﴾ [طه:١١٥]، من قبل ناسب اختصاصها بالزيادة المفيد، للتأكيد.

قوله: ﴿ولا تلبسـوا الحق بالباطل وتكتموا الحق﴾ إن قلت: لا تغـاير بينهما فكيف عطف أحدهما على الآخر؟

قلت: بل هما متغايران لفظا كما في قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾[البقرة:١٥٧] أو لفظا ومعنى لأن لبسهم الحق بالباطل كتابتهم في التوراة ما ليس فيها وكتمانهم الحق قولهم: لا نجد في التوراة صفة محمد.

قوله: ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[البقرة:٤٦] إن قلت ما فائدة ذكر الثاني مع أن ما قبله يغني عنه؟

قلت: لا يغني عنه لأن المراد بالأول أنـهم ملاقـوا ثواب ربهم على الصبـر والصلاة، وبالثاني: أنهم موقنون بالبعث، وبحصول الثواب علي ما ذكر.

قوله: ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ ﴾[البقرة:٤٨]، [فإن قلت ما الحكمة في تقديم الشفاعة؟][(١)] أعلى أخذ العدل هنا وعكسه فيما يأتي؟

---

(١) سقط من أ.

قلت: للإشارة هنا إلى من ميله إلى حب نفسه أشد منه إلى حب المال، وثم إلى من هو بعكس ذلك.

قوله: ﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾[البقرة: ٤٩]، فإن قلت: ما الحكمة في ترك العاطف هنا وذكره في سورة إبراهيم.

قلت: لأن ما هنا من كلام الله تعالى فوقع تفسيرا لما قبله، وما هنا من كلام موسى وكان مأمورا بتعداد [ق/ ٤٦أ] المحن في قوله: ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾ [إبراهيم: ٥]، فعدد المحن عليهم فناسب ذكر العاطف.

قوله: ﴿ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ إن قلت: ما الحكمة في ذكر كانوا هنا، وفي الأعراف، وفي حذفها في آل عمران.

قلت: لأن ما في السورتين أخبار عن قوم فأتوا وانقرضوا فناسب ذكرها، وما في آل عمران مثل ضربة بقوله: [مثل ما ينفقون؟].

قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا ﴾ [البقرة: ٥٨] بالفاء، وفي الأعراف ﴿ اسْكُنُوا ﴾ [الأعراف: ١٦١] والمعنى أقيموا فيها، وذلك ممتد فذكر بالواو، أي: اجمعوا بين الأكل والسكون، زاد في البقرة ﴿رغدا﴾[البقرة: ٣٥] لأنه سبحانه أسنده إلى نفسه بلفظ التعظيم، وهو قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ﴾ خلاف ما في الأعراف فإن فيها ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ﴾[الأعراف: ١٦١]، وقدم ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً﴾ في هذه السورة وآخرها في الأعراف لأن السابق في هذه السورة [ادخلوا فبين كيفية الدخول وفي هذه السورة][1] خطاياكم بالجمع، وفي الأعراف خطاياكم مختلف لأن خطايا صيغة الجمع الكثير ومغفرتها أليق في الآية بإسناد الفعل إلى نفسه سبحانه، وفي هذه السورة أيضا وسنزيد بالواو، وفي الأعراف سنزيد بغير واو لأن اتصالها في هذه السورة أشد لاتفاق اللفظين واختلفتا في الأعراف لأن اللائق سنزيد فحذف الواو ليكون استئنافا للكلام، وفي هذه السورة: ﴿ الَّذِينَ

---

(١) سقط من أ.

ظَلَمُوا﴾ قولا، وفي الأعراف ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ١٦٢] لأن في الأعراف [ومن قوم موسى] ولقوله: [منهم الصالحون، ومنهم دون ذلك] وفي هذه السورة: ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[البقرة: ٥٩]، وفي الأعراف: ﴿فأرسلنا﴾ [الأعراف: ١٣٣]، لأن لفظ الرسول والرسالة كثرت في الأعراف ذلك وفقا لما قبله، وليس كذلك في سورة البقرة.

قوله: ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ [البقرة: ٦٠]، وفي الأعراف: ﴿فانبجست﴾[[ق/ ٣٦ب] [الأعراف: ١٦٠]، لأن الانفجار هو انصباب الماء بكثرة والانبجاس ظهور الماء، وكان في هذه السورة ﴿واشربوا﴾[الأعراف: ١٢٣] فذكر بلفظظ بليغ، وفي الأعراف: ﴿كلو﴾ وليس فيه واشربوا فلم يبالغ فيه والله أعلم.

قوله: ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾[البقرة: ٦١]، إن قلت: كيف قالوا على طعام واحد وطعامهم كان طعامين المن والسلوى؟

قلت: المراد بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل أو أنهما ضرب واحد لأنهما من طعام أهل التلذذ والترف أو أنهما كانا يؤكلان مختلطين.

قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ عرف الحق هنا ونكره في آل عمران والنساء لأن ما هنا لكونه وقع أولا إشارة إلى الحق الذي أذن الله أن تقتل النفس به وهو قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[الأنعام: ١٥١] فكان التعريف أولى وهناك أريد به بغير حق في معتقدهم ودينهم فكان بالتنكير أولى، فإن قلت: قتل النبيين لا يكون إلا بغير الحق فما فائدة ذلك؟

قلت: فائدته التصريح بصفة فعلهم القبيح لأنه أبلغ في الشناعة فإن قلت[١] كرامة لهم وزيادة في منازلهم كمن يقتل في الجهاد من المؤمنين.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ﴾[البقرة: ٦٢]، وقال

---

(١) لم يكن الكافرين من قتل الأنبياء، قلت...

في الحج [ق/ ٤٧أ] ﴿**والصابئين والنصارى**﴾[الحج:١٧]، وقال في المائدة: ﴿**والصائين والنصارى**﴾[المائدة:٦٩]، لأن النصارى مقدمون على الصائبين في الرتبة لأنهم أهل الكتاب فقدمهم في البقرة والصابئون مقدمون علي النصارى في الزمان لأنهم كانوا قبلهم فقدمهم في الحج وراعى في المائدة المعنيين فقدمهم في اللفظ وأخرهم في التقدير لأن تقديره والصابئون كذلك، قال الشاعر:

فمن يك أمى بالمدينة رحله فإني وقيار بهـا لغريـب

أراد إني لغريب وقيار وكذلك، فتأمل فيها، وفي أمثالها يظهر لك إعجاز القرآن. قوله: ﴿**أَيَّامًا مَّعْدُودَةً**﴾[البقرة: ٨٠] وفي آل عمران: ﴿**أياما معدودات**﴾[آل عمران:٢٤]، لأن الأصل في الجمع إذا كان واحده مذكرا أن يقتصر في الوصف على التأنيث مفردا نحو ﴿**سرر مرفوعة**﴾[الغاشية:١٣] ﴿**وأكواب موضوعة**﴾ [الغاشية:١٤] ﴿**وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ**﴾[الغاشية:١٥]، ﴿**وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ**﴾[الغاشية:١٦]، وقد يأتي سرر مرفوعات إلا أنه ليس بالأصل فجاء في البقرة على الأصل، وفي آل عمران على الفرع، وقوله في: ﴿**أياما معدودات**﴾ [آل عمران:٢٤] أي في ساعات أيام معدودات، وكذلك في ﴿**أيام معلومات**﴾ [الحج:٢٨].

قوله: ﴿**وَلَن يَتَمَنَّوْهُ**﴾[البقرة:٩٥] فإن قلت: لم قال هنا: لن، وفي الجمعة: لا؟

قلت: لأن (لن) أبلغ في النفي من (لا) حتى قيل إنها لتأبيد النفي ودعواهم في البقرة بالغة قاطعة، وهي كون الجنة لهم بصفة الخلوص، فناسب ذكر لن فيها، ودعواهم في الجمعة قاصرة مترددة وهي زعمهم أنهم أولياء الله فناسب ذكر لا فيها.

قوله: ﴿ بل أكثرهم[1] ﴾ [النحل:٧٥] إن قلت: لم قال هنا: لا يؤمنون،

(١) [لا يؤمنون] البقرة: ١٠٠ .

وفي غيره: لا يعقلون؟

قلت: لأن الآية هنا نزلت في كفار نقض بعضهم العهد وجحد بعضهم الحق ولم يجتمع هذان الأمران في غير هذه السورة.

قوله: ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ﴾[البقرة:١٠٢]، أي: من السحر فهو معطوف على السحر قبله، وسوغ عطفه عليه تغايرهما لفظا. الملكان(١) أنزلهما الله تعالى لتعليم السحر ابتلاءا منه للناس، فإن قلت: هذا يدل علي جواز تعليم السحر فلا يكون حراما؟

قلت: الحرام تعليمه ليعمل به لا ليجتنب فإنه جائز كما لو سئل إنسان عن الزنا لزمه بيانه للسائل ليعرفه فيجتنبه.

قوله: ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾[البقرة: ١٢٠] قال: ذلك هنا، وقال في آل عمران: ﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ ﴾[آل عمران:٧٣]، لأن معنى الهدى هنا هي القبلة لأن الآية هنا نزلت في تحويلها، وتقديره: قل إن قبلة الله هي الكعبة، ومعناه: ثم الدين لقوله: قبل تبع دينكم ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران:١٩]، قوله: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ [البقرة: ١٢٠](٢)، قلت: المراد بالعلم في الآية أولى العلم بالكامل، وهو العلم بالله وبصفاته وبأن الهدى هدى الله فكان الأنسب ذكر الذي لكونه في التعريف أبلغ، وفي الوصف أقصد لأن الذي تعرفه منه فلا يتنكر قط وتتقدمه أسماء الإشارة نحو قوله: ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ ﴾(٣) ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ﴾ [الملك:٢١] فيكشف الذي بيانات الإشارة والصلة وتلزمه الألف واللام ويثني ويجمع، وليس [٤٨ /أ] لما شيء من ذلك لأنه يتنكر مرة ويتعرف أخرى، ولا

(١) في أ: المكان، والصواب الملكان كما في ب.

(٢) إن قلت: ما الحكمة في ذكر الذي هنا وذكر ما في قوله: [من بعدما جاءك من العلم] وفي الرعد: [بعدما جاء [ق/ ٣٧ب] من العلم] . . .

(٣) سقط من أ.

يقع وصفا لأسماء الإشارة، ولا تدخله الألف واللام ولا يثني ولا يجمع، وزيدت مع الثاني من التي لابتداء الغاية لأن تقديره من الوقت الذي جاءك فيه العلم بالقبلة لأن القبلة الأولى نسخت بهذه الآية، وليس الأول مؤقتا بوقت، وقال في سورة الرعد: ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ﴾[الرعد:٣٧]، فعبر بلفظ ما ولم يزد من لأن العلم هنا هو الحكم العربي، أي: القرآن فكان بعضا من الأول ولم يزد فيه من لأنه غير مؤقت وقريب من معنى القبلة ما في آل عمران: ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾[آل عمران:٦١] فهذا جاء بلفظ ما، وزيدت فيه من .

قوله: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ﴾[البقرة:١٢٣]، هذه الآية والتي قبلها متكررتان، وإنما كررتا لأن كل واحدة منهما صادفت معصية تنبيها ووعظا لأن كل واحدة وقعت في غير وقت الأخرى، قوله: ﴿ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾ [البقرة:١٢٥]،[قاله هنا بلفظ والعاكفين][(١)] وفي الحج بلفظ ﴿والقائمين﴾ [الحج:٢٦]، والمراد منهما المقيمون وغاير بينهما لفظا جريا على عادة العرب من تفننهم في الكلام.

قوله: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾[البقرة:١٢٦] وفي إبراهيم: ﴿هذا البلد آمنا﴾ [إبراهيم:٣٥]، لأن هذا إشارة إلي المذكور في قوله: ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم :٣٧] قبل بناء الكعبة، وفي إبراهيم إشارة إلى البلد بعد البناء فيكون بلدا في هذه السورة المفعول الثاني، وآمنا نعته، وقيل لأن النكرة إذا تكررت صارت معرفة.

وقيل : تقديره في البقرة: وهذا البلد آمنا، فحذف اكتفاء بالإشارة فيكون الأمنان سواء.

قوله: ﴿ وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾[البقرة:١٢٩]، ذكره هنا، وفي الجمعة ترك الأنفس إيجازا، وذكرها في آل عمران في قوله: ﴿ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ

(١) سقط من أ.

أنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] لأنه تعالى من على المؤمنين فيها فجعله من أنفسهم ليكون موجب الجنة أظهر.

ونظيره: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ لما وصفه بقوله: ﴿عزيز عليه ما عنتم﴾ الآية، جعله من أنفسهم ليكون موجب الإجابة والإيمان به أظهر.

قوله: ﴿ **فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾[البقرة: ١٣٢]، إن قلت: الموت ليس في قدرة الإنسان حتى ينهى عنه.

قلت: النهي في الحقيقة إنما هو عن عدم إسلامهم حال موتهم كقولك: لا تصل إلا وأنت خاشع، إذ النهي فيه إنما هو عن ترك الخشوع حال صلاته لا عن الصلاة.

والنكتة في التعبير بذلك: إظهار أن موتهم لا على الإسلام موت لا خير فيه، وأن الصلاة التي لا خشوع فيها كلا صلاة.

قوله: ﴿ **وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا** ﴾[البقرة: ١٣٦]، في هذه السورة، وفي آل عمران: ﴿ **علينا** ﴾[آل عمران: ٨٤]، لأن (إلى) للانتهاء إلي الشيء في أي جهة كانت، والكتب منتهية إلى الأنبياء وإلى أممهم جميعا، والخطاب في هذه السورة بقوله تعالى: ﴿ **قولوا** ﴾ فلم يصح إلا (إلى) و(على) مختص بجانب الفوق، وهو مختص بالأنبياء لأن الكتب منزلة عليهم لا شركة للأمة فيها.

وفي آل عمران ﴿ **قل** ﴾ وهو مختص بالنبي ﷺ دون أمته فكان الذي يليق به (على) وزاد في هذه السورة: [وما أوتي] وحذف من آل عمران لأن في آل عمران قد تقدم ذكر الأنبياء حيث قال: ﴿ **لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ** ﴾ [٤٩ / أ] [آل عمران: ٨١]، قاله الكرماني، وقال شيخ الإسلام زكريا: وكرر ما أنزل لاختلاف المنزل إلينا والمنزل إلى إبراهيم ومن عطف عليه، وذكر وما أوتي هنا، وحذفه في آل عمران اختصارا كما هو الأنسب بالآخر أو لأن الخطاب هنا عام، وثم خاص كما مر فكان الأنسب ذكره في الأول، وحذفه في الثاني.

فإن قلت: لم قال هنا: ﴿ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ﴾[البقرة: ١٣٦]؟ ولم يقل: وما أنزل إلى موسى كما قال قبل [٣٨ / ب] ﴿ وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾؟

قلت: للاحتراز عن كثرة التكرار.

فإن قلت: لم كرر: ﴿ وَمَا أُوتِيَ ﴾ هنا وحذف في آل عمران؟

قلت: إنما حذفه ثم للاغتناء عنه قبله بقوله قبله ﴿لما آتيتكم من كتاب وحكمة﴾.

قوله: ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا ﴾[البقرة: ١٣٧] فإن قلت: إن أريد بما آمنتم به الله تعالى، فالله لا مثل له، أو دين الإسلام فكذلك؟

قلت: القصد بالآية التعجيز كما في قوله: ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣] أو كلمة مثل زائدة للتوكيد.

قوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾[البقرة: ١٣٤]، الآية ذكرها مع أن مضمونها معلوم لكل مميز للتنبيه على عظم العصيان واجتنابه كما أن قوله: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] ذكر مع أنه معلوم للتنبيه على أن الكفر مما يعود بسوء العاقبة عليهم وكررها مبالغة في النصح، أو لأن الأمة في الأولى الأنبياء، وفي الثانية أسلاف اليهود والنصارى أو لأن الخطاب في الأولى لهم، وفي الثانية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم .

قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ﴾[البقرة: ١٤٣] الآية إن قلت كيف قال: ﴿إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ وهو لم يزل عالما بذلك؟

قلت: هذا ونحوه باعتبار التعلق، والمعنى: ليتعلق علمنا به موجودا.

أو المعنى ليعلم رسولنا والمؤمنون لأنهم أخصاؤه أو ليتميز الثابت عن المتزلزل كقوله: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴾[الأنفال: ٣٧].

قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ كان للماضي، وهو هنا للحال وتأتي في القرآن لخمسة معان.

للحال، ومنه: ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾[النساء: ١٠٣] [كان الله بما يعملون بصيرا].

وللماضي المنقطع، ومنه ﴿كان في المدينة تسعة رهط﴾، وهو الأصل في معانيها وللاستقبال ومنه ﴿يخافون يوما كان شره مستطيرا ﴾.

وللدوام، ومنه: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[النساء: ١٧].

وصار، ومنه: ﴿ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[البقرة: ٣٤].

قوله: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾[البقرة: ١٤٤]، فإن قلت: هذا يقتضي عدم رضا النبي ﷺ بالتوجه إلى بيت المقدس مع أن التوجه إليه كان بأمر الله تعالى؟

قلت: المراد بالرضا هنا رضا المحبة بالطبع لا رضا التسليم والانقياد لأمر الله.

قوله: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾[البقرة: ١٤٩]، والثالثة للعلة، وهو قوله: ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾[البقرة: ١٥٠].

وقيل: الأولى في مسجد المدينة، والثانية خارج المسجد، والثالثة خارج البلد.

وقيل في الآيات خروجان: خروج إلي مكان ترى فيه القبلة، وخروج: إلى مكان لا ترى؛ أي [٥٠ /أ] الحال: الحالتان فيه سواء؟

قلت: إنما كرر لأن المراد بذلك الحال والمكان والزمان، وقال في الآية الأولى: ﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ ﴾[البقرة: ١٤٤]، وليس فيها ومن حيث خرجت، وفي الآية الثانية: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ ﴾[البقرة: ١٤٩]، وليس فيها ﴿وحيث ما كنتم﴾ فجمع في الآية الثالثة بين قوله ﴿ومن حيث خرجت﴾ و﴿حيث ما كنتم﴾ ليعلم النبي والمؤمنين في ذلك سواء، قاله الكرماني.

وقال شيخ الإسلام: كرر ثلاث مرات لأن الأول في المسجد الحرام، والثاني في خارجه، والثالث خارج البلد، وعليهما ينزل قوله قبل كل منهما: ﴿ وَمِنْ

﴿حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ [البقرة: ١٤٩].

قوله: ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾[البقرة: ١٤٥] أي اليهود والنصارى، ولكل منهما قبلة لكن لما كانت القبلتان باطلتين كانتا في حكم البطلان واحدة فلهذا قال: قبلتهم.

قوله: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾[البقرة: ١٥٠]، إن قلت: كيف يكون للظالمين من اليهود أو غيرهم حجة على المؤمنين؟

قلت: حجتهم قولهم: ما تحول محمد عن الكعبة إلا أنه بدا له الرجوع إلى قبلة آبائه ويوشك أن يرجع إلى دينهم، وهذا باطل، وإنما سمى حجة كقوله حجتهم داحضة أشبهه لها صورة، فالمعنى: إلا أن يقولوا ظلما وباطلا كقولك لرجل: مالك عندي حق إلا أن تظلم أمي؛ أي: إلا أن تقول الباطل.

قوله: ﴿وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ عطف: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ﴾ .

قوله: ﴿وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾[البقرة: ١٥٢] إن قلت: ما فائدة ذكر الثاني مع أن الأول يقتضيه؟

[قلت: لا نسلم [ق/ ٣٩ ب] أنه يقتضيه](١) لأن المراد بالكفر ستر النعمة والشكر لا يقتضي عدمه.

قوله: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا﴾[البقرة: ١٦٠] ترك من بعد ذلك هنا، وذكره في آل عمران لأنه لو ذكرها هنا مع قوله قبله من بعد ما بيناه لالتبس أو تكرر.

قوله: ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[البقرة: ١٦١]، إن قلت كيف قاله وأهل دين من مات كافرا لا يلعنونه؟

قلت: المراد بالناس: المؤمنون، أو هم وغيرهم وأهل دينه يلعنونه في الآخرة قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾

---

(١) سقط من أ.

[العنكبوت: ٢٥]، وقال: كلما دخلت أمة لعنت أختها.

قوله: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[البقرة: ١٦٣]، إن قلت: ما فائدة [ذكر (إله) مع أن (واحد) يغني عنه؟

قلت: فائدته](١) التصريح بانفراده بالألوهية المقصودة، وإن تضمنه قوله: (واحد) كما تضمن انفراده بالقدم وبصفات ذاته، وبعدم التركيب.

قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[البقرة: ١٦٤] خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات، وجمع السماء دون الأرض للانتفاع بجميع آحادها باعتبار ما فيها من نور كواكبها وغيره بخلاف الأرض، إنما ينتفع بواحدة من آحادها، وهي ما تشاهده منها.

قوله: ﴿مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾[البقرة: ١٧٠] في هذه السورة، وفي المائدة، ولقمان: ﴿مَا وَجَدْنَا﴾[المائدة: ١٠٤، لقمان: ٢١] لأن ألفيت يتعدى إلى مفعولين تقول ألفيت زيدا قائما وألفيت عمرو على كذا، ووجدت يتعدى مرة إلى مفعولين(٢) تقول وجدت زيد جالسا فهو مشترك فكان الموضع الأول باللفظ [الأول](٣) أولى لأن غيره إذا وقع موقعه علم أنه بمعناه.

قوله: ﴿أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا﴾ وفي المائدة: ﴿لا يَعْلَمُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤] لأن العلم [ق/ ١٥أ] أبلغ درجة من العقل، ولهذا جاز وصف الله به ولم يجز وصفه بالعقل فكانت دعواهم في المائدة أبلغ لقولهم: ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾[المائدة: ١٠٤] فادعوا النهاية بلفظ حسبنا فنفي ذلك بالعلم، وهو النهاية، وقال في البقرة: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ ولم تكن النهاية فنفى بما هو دون العلم لتكون كل دعوى منفية بما يلائمها.

---

(١) سقط من أ.

(٢) مفعول واحد تقول وجدت الضالة، ومرة إلى..

(٣) في ب: الأخص.

ذكره كل من الشيخين(١)، وهو عجيب منهما فإن نفى الأعم أبلغ من نفي الأخص ولا شك أن نفي العقل هنا أبلغ من نفي العلم إذ جعلهم هنا كالأنعام(٢)، فإما أن يقال في الجواب: إن الثاني كالمفسر للمراد في الأول، والتفسير يتأخر، وما في المائدة متأخر عما في البقرة، وأيضا قبله في المائدة ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة:١٠٣] ويكون المراد بالعقل المنفي العقل النافع فيساوي نفي العلم كما يدل له قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[الملك: ١٠]، فنفى عنهم السمع والعقل مع أنهم كان لهم سمع وعقل لا ينفعان، وكذا في آيات فيكون أصل العقل موجودا في كل من الآيتين، أو أن ذلك من قبيل التفنن على عادة العرب والله أعلم.

قوله: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ﴾[البقرة: ١٧١]، ظاهره تشبيه الكفار بالراعي، وليس مرادا، بل فيه إضمار تقديره، ومثل واعظ الكفار كمثل الراعي، أو ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام كمثل بهائم الراعي.

قوله: ﴿وما أهل به لغير الله﴾ قدم (به) هنا وأخره في المائدة والأنعام والنحل لأن الباء للتعدية كالهمزة والتشديد، فهي كالجزء من الفعل، فكان الموضع الأول أولى بها وبدخولها، وأخر في بقية المواضع نظرا للمقصود فيها من ذكر المستنكر وهو الذبح لغير الله والحصر بإنما في المحرمات هنا متروك الظاهر لما زاد في المائدة من المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع.

قوله في هذه السورة: ﴿ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[البقرة:١٨٢] وفي السور الثلاث يحذفها لأنه لما قال في الموضع الأول: ﴿ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ صريحا كان المنفي في غيره تضمنا لأن [٤٠ /ب] قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وفي هذه السورة خلاف سورة الأنعام ﴿ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[الأنعام:١٤٥]، لأن لفظ الرب تكرر في الأنعام مرات ولأن في الأنعام قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ﴾[الأنعام: ١٤١] الآية وفيها

(١) أي الكرماني (شيخ الإسلام زكريا).

(٢) بخلاف نفي العلم، لا يلزم منه نفي العقل، ولا كونهم كالأنعام...

ذكر الحبوب والثمار وأتبعها بذكر الحيوان من الضأن والمعز والإبل والبقر وبها تربية الأجسام فكان ذكر الرب فيها أليق.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ﴾[البقرة: ١٧٤] الآية في هذه(١) لا خلاف لهم في الآخرة لأن المفكر في هذه السورة أكثر فالوعيد فيها أكثر، وإن شئت [ق/ ٥٢أ] قلت: وزاد في آل عمران: ﴿وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾[آل عمران: ٧٧]، إن قلت: كيف نفى عنهم الكلام هنا وأثبته لهم في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ﴾[الحجر: ٩٢] وفي قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ﴾[الأنعام: ٢٢]؟

قلت: المنفي هنا الكلام بلطف وإكرام، والمثبت ثم سؤال توبيخ وإهانة.

أو في يوم القيامة مواقف ففي موقف لا يكلمهم، وفي موقف يكلمهم.

قوله: للوالدين والأقربين فيه عطف العام على الخاص ونسخ ما كانوا يفعلونه من الوصية للأبعد دون الأقرب طلبا للفخر والشرف.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ١٨١] خص السمع هنا بالذكر لما في الآية من قوله: ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾ ليكون مطابقا، وقال في الآية الأخرى بعدها: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨٣] لقوله: ﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[البقرة: ١٨٢]، فهو مطابق معنى.

قوله: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾[البقرة: ١٨٤]، قيد بقوله منكم، وكذلك: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾[البقرة: ١٩٦] ولم يقيده في قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[البقرة: ١٨٥] لاتصاله به.

قوله: ﴿مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ صفة لهدى وبينات قبله، ويتعلق بمحذوف؛ أي: كون القرآن هدى وبينات من جملة هدى الله وبيناته، لكن عبر عن البينات بالفرقان لأن فيه زيادة معنى لازم للبينات، وهو كونه يفرق به بين الحق والباطل

---

(١) السورة على هذا النسق، وفي آل عمران: ﴿أولئك...﴾.

ولأن في لفظ الفرقان تواخي الفواصل.

قوله: ﴿**أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾[البقرة: ١٨٦] إن قلت نجد كثيرا من الداعين لا يستجاب لهم؟

قلت: إنما لم يستجب لهم لانتفاء شرط الإجابة إذ شرطها طاعة الله وأكل الحلال وحضور القلب.

ولأن الداعي قد يعتقد مصلحته في إجابة دعوته، والله يعلم أن المصلحة في تأخيرها، أو يعطيه بدلها، فقد روى الحاكم خبر «**ما من عبد مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا أتاه إياها أو صرف عنه من السوء مثلها أو ادخر له من الأجر مثلها ما لم يدع بإثم**».

قوله: ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا**﴾[البقرة: ١٨٧] وقال بعدها: ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا**﴾ [البقرة: ٢٢٩] لأن الحد الأولى نهي، وهو قوله: ﴿**وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ**﴾ وما كان من الحدود نهيا نهى فيه عن المقاربة، والحد الثاني أمر، وهو بيان عدد الطلاق، بخلاف ما كان عليه العرب من المراجعة بعد الطلاق من غير عدد، وما كان أمرا نهى فيه عن الاعتداء، وهو مجاوزة الحد.

قوله: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ**﴾[البقرة: ١٨٩] جميع ما جاء في القرآن من السؤال وقع عقبه الجواب بغير الفاء لأن في قوله: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا**﴾[طه: ١٠٥] فإنه أجيب بالفاء لأن الأجوبة في الجميع كانت بعد السؤال، وفي طه قبل السؤال فكأنه قيل إن سئلت عن الجبال فقل.

قوله: ﴿**وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ**﴾[البقرة: ١٩٣] في هذه، وفي الأنفال ﴿**الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾ [الأنفال: ٣٩] لأن القتال في هذه السورة مع أهل مكة [٤١ /ب]، وفي الأنفال مع جميع الكفار فقيده بقوله كله.

قوله: [ق ٣٥ / أ] ﴿**تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ**﴾[البقرة: ١٩٦]، إن قلت ما فائدة ذكره بعد الثلاثة والسبعة، وذكر ﴿كاملة﴾ بعد ﴿تلك عشرة﴾؟

قلت: فائدة الأول دفع تصحيف سبعة بتسعة، وتأكيد العلم بالعدد تفصيلا وإجمالا.

وفائدة الثاني: التأكيد كما في ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[البقرة: ٢٣٣] أو معناه كاملة في الثواب مع كونها متفرقة أو واقعة بدل الهدى.

قوله: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ﴾ [البقرة: ١٩٨] إن قلت: ما فائدة تكرار الذكر؟

قلت: فائدته التنبيه على إرادة ذكر مكرر، وزيادة فائدة أخرى في الثاني، وهو ﴿كَمَا هَدَاكُمْ﴾ بمعنى اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته، أو الإشارة بالأول(١) ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾[البقرة: ١٩٩] إن قلت: كيف عطف الإفاضة بثم مع أنها الإفاضة من عرفات المذكورة قبل؟

قلت: (ثم) للترتيب الإخباري لا الزماني، أو المراد بالإفاضة الثانية الإفاضة من مزدلفة إلى منى لا من عرفات.

قوله: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾[البقرة: ٢٠٣]، الآية إن قلت: ما فائدة قوله فيها: ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ مع أنه معلوم بالأَلى مما قبله؟

قلت: فائدته رفع ما كانوا عليه في الجاهلية من أن بعضهم قائل بإثم المتعجل(٢) في ترك الأخذ بالرخصة مع أن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه.

فإن قلت: التعجيل في اليوم الثاني لا فيه، وفي اليوم الأول فكيف قال: في يومين؟

---

(١) إلى الذكر باللفظ وبالثاني إلى الذكر بالقلب.
قوله...

(٢) وبعضهم بإثم المتأخر، أو المعنى لا إثم على المتأخر

قلت: لأن المعنى في مجموع اليومين الصادق بأحدهما، وهو الثاني كما في قوله تعالى: ﴿**يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**﴾[الرحمن: ٢٢]، وهما لا يخرجان إلا من الملح لا من العذب.

قوله: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم**﴾ [البقرة: ٢١٤] وقال في آل عمران: ﴿**وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ**﴾[آل عمران: ١٤٢] الآية، وقال في التوبة: ﴿**وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ**﴾[التوبة: ١٦] الآية.

الخطيب أطنب في هذه الآيات ومحصول كلامه: أن الأول للنبي والمؤمنين، والثاني للمؤمنين، والثالث للمخاطبين.

قوله: ﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ**﴾[البقرة: ٢١٥] الآية إن قلت: كيف طابق الجواب السؤال لأنهم سألوا عن المنفق فأجيبوا ببيان الصرف؟

قلت: بل طابقه بقوله: (من خير)، وزاد عليه بيان المصرف بما بعده، فالجواب أعم، ونظيره قوله ﷺ وقد سئل عن الوضوء بماء البحر: «**هو الطهور ماؤه الحل ميته**».

قوله تعالى: ﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**﴾[البقرة: ٢١٩] ذكر في الدنيا والآخرة هنا وتركه في آخر السورة، وفي الأنعام اختصارا للعلم به مما هنا، وقيل في متعلقه بقوله: ﴿**يبين الله**﴾.

قوله: ﴿**وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ**﴾[البقرة: ٢٣١] أجمعوا على تخفيفه إلا شاذا، وفي الممتحنة بالتخفيف والتشديد لمناسبة تخفيف ما هنا ما قبله من قوله: ﴿**فَإِمْسَاكٌ**﴾[البقرة: ٢٢٩] وقوله: ﴿**فَأَمْسِكُوهُنَّ**﴾ [البقرة: ٢٣١] ومناسبة تخفيف وتشديد ما هناك ما قبله من قوله: ﴿**وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ**﴾[الممتحنة: ٨]، وقوله: ﴿**أن تبروهم**﴾[الممتحنة: ٨] وخفف في الطلاق قوله: ﴿**فَأَمْسِكُوهُنَّ**﴾ لمناسبة تخفيف ما قبله من قوله [٥٤ / أ] ﴿**لا تخرجوهن**﴾[الطلاق: ١].

قوله: ﴿**ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ**﴾[البقرة: ٢٣٢] وفي الطلاق :

﴿ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ ﴾[الطلاق: ٢] الكاف في ذلك لمجرد الخطاب لا محل له من الإعراب فجاز الاقتصار على التوحيد، وجاز إجراؤه على عدد المخاطبين، ومثله: ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴾[البقرة: ٥٢]، وقيل حيث جاء موحدا فالخطاب للنبي ﷺ.

فإن قلت: لم ذكر منكم هنا وترك ثم.

قلت: لترك ذكر المخاطبين هنا في قوله: ﴿ذلك﴾ واكتفى بذكرهم ثم فيه؛ أي: فلما جمع في الطلاق اكتفى به عن ذكر منكم بعده.

قوله: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٢٧](١) قلت [٤٢ / ب]: العازم على الشيء يحدث به نفسه، وحديث النفس مما يسمعه الله، وكذا وسوسة الشيطان مع أن الغالب في عزم الطلاق المقاولة مع الزوجة.

قوله: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾[البقرة: ٢٢٨] أفعل ها هنا بمعنى فاعل.

قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[البقرة: ٢٣٤] وقال في الآية الأخرى ﴿ مِن مَّعْرُوفٍ ﴾[البقرة: ٢٤٠] قال أبو مسلم حاكيا عن الخطيب: إنما جاء المعروف الأول معرف اللفظ لأن المعنى بالوجه المعروف من الشرع لهن، وهو الوجه الذي دل الله عليه وأبانه، والثاني كان وجها من الوجوه التي لهن أن يأتينها فأخرج مخرج النكرة فلذلك . وهو هذا وجه اختلاف الحرفين فبتقدير الثاني فيما فعلن في أنفسهن من فعل من أفعالهن معروف جوازه شرعا.

قوله: ﴿مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾[البقرة: ٢٤٣] إن قلت: هذا يقتضي موتهم مرتين، وهو مناف للمعروف إذ موت الخلق مرة واحدة؟

قلت: لا منافاة إذ الموت هنا عقوبة مع بقاء الأجل كما في قوله في قصة موسى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾[البقرة: ٥٦] وثم موت بانتهاء الأجل، ولأن

---

(١) فإن قلت: عزمهم الطلاق مما يعلم لا مما يسمع، فكيف قال: فإن الله سميع عليم.

الموت هنا خاص بقوم، وثم عام في الخلق كلهم فيكون ما هنا مستثني إظهارا لمعجزة.

قوله: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴾[البقرة: ٢٤٣] وفي يونس والنمل ﴿أكثرهم﴾ بالضمير لأن ما في الأولى لم يتقدمه كثرة تكرر لفظ الناس فناسب الإضمار لأن لا تزيد كثرة التكرار، وما في النمل تقدمه إضمار [الوحي](١) إليه ومخاطبته، فناسب الإضمار وبعضهم أجاب بما فيه نظر.

قوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِم ﴾[البقرة: ٢٥٣] كرره بقوله: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا ﴾ تأكيدا وتكذيبا لمن زعم أن ذلك لم يكن بمشيئة الله.

وقيل: ليس بتكرار لأن الأول للجماعة، والثاني للمؤمنين.

قوله: ﴿قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ ﴾[البقرة: ٢٥٤] أي: بغير إذن الله لقوله تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾[البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾[سبأ: ٢٣] إذ لا شفاعة من الأصنام والكواكب التي يعتقدها الكفار.

قوله: ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[البقرة: ٢٥٤] حصر الظلم في الكافرين لأن ظلمهم أشد فهو حصر إضافي كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[فاطر: ٢٨].

قوله: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[البقرة: ٢٥٧] الآية عبر فيها بالمضارع لا بالماضي [٥٥ / أ] لأن الإخراج قد وجد لمناسبة التعبير به قبله في قوله: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ ﴾[البقرة: ٢٥٦] ولأن المضارع يدل على الاستمرار فيدل هنا على استمرار ما تضمنه الإخراج من الله تعالى في الزمن المستقبل في حق من ذكر.

فإن قلت: كيف يخرج الكفار من النور مع أنهم لم يكونوا في نور؟

---

(١) في ب: الموصى.

قلت: لمقابلة ما ذكر قبله في المؤمنين، ولأن الكفار هنا هم اليهود، وقد كانوا مؤمنين بمحمد ﷺ لما يجدونه من نعته في كتبهم فلما بعث كفروا به.

قوله: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾[البقرة: ٢٦٠]، أي: بقدرتي علي الإحياء، قال ذلك مع علمه بإيمانه بذلك ليجيب بما أجاب به فيعلم السامعون غرضه من طلبه لإيحاء الموتى.

قوله: ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[البقرة: ٢٦٠] قاله مع أن قلبه مطمئن بقدرة الله تعالى على الإحياء؛ أي: ليطمئن قلبه بعلم ذلك عيانا كما اطمأن به برهانا، أو ليطمئن بأنه اتخذه خليلا، أو بأنه مستجاب الدعوة.

قوله: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ﴾ خص الطير بالذكر من سائر الحيوان لزيادته عليه بطيرانه، قيل: وكانت الأربعة ديكا وطاووسا ونسرا وغرابا، وفائدة التقييد بالأربعة في الطير، وفي الأجبل بعده الجمع بين الطبائع الأربع في الطير وبين مهاب الرياح من المهاد الأربع في الأجبل.

قوله: ﴿ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى﴾[البقرة: ٢٦٢] إن قلت: كيف مدح المنفقين بترك المن وقد وصف نفسه بالمن كما في قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] قلت: المن يقال للإعطاء وللاعتداد النعمة واستعظامها، والمراد في الآية الأولى [٤٣ /ب] المعنى الثاني، فإن قلت من المعنى الثاني، ﴿بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾، قلت: ذلك اعتداد نعمة الإيمان فلا يكون قبيحا بخلاف نعمة المال على أنه يجوز أن يكون من صفات الله تعالى ما هو مدح في حقه ذم في حق العبد كالجبار والمتكبر والمنتقم، وفيه نظر قوله: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾[البقرة: ٢٦٦] فإن قلت: لم خص النخيل والأعناب بالذكر مع قوله بعد له فيها من كل الثمرات؟

قلت: لأن النخيل والأعناب أكرم الشجر وأكثرها منافع قاله شيخ الإسلام؛ أي: فذكر النخيل والأعناب من باب التغليب حيث غلب النوعين على غيرهما

لفضيلتهما وأرادهما وغيرهما، ويصح أن يكون ذكرهما خصوصا لأنهما كانا أكثر أشجار الجنة التي ضربت مثلا فتكون الجنة خيرا من غيرها، وأما كونهما خصا، بالذكر لكونهما كانا المقصودين بالذات من الجنة، أو كان معظم القصد لهما فهو قريب مما ذكره الشيخ لأن كلا منهما يصلح أن يكون سبب التغليب الذي أراده، وأما كثرة الشجر الذي ذكرنا أولا، فلم تظهر من علته التي ذكرها فتدبره، والله أعلم.

قوله: ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ ذكر من هنا خاصة موافقة لما بعدها في ثلاث آيات، ولأن الصدقات لا تكفر جميع السيئات.

قوله: [ق / ٥٦أ] ﴿لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾[البقرة: ٢٧٣] فإن قلت: [هذا يفهم أنهم كانوا يسألون برفق مع أنه قال: يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف قلت:](١) المراد نفي المقيد، والقيد جميعا كما في قوله: ﴿لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ﴾ [البقرة: ٧١]، وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[الرعد: ٢].

قوله: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾[البقرة: ٢٧٥] خص الأكل بالذكر مع أن غيره كاللبس والإدخار والهبة كذلك لأنه أكثر وأهم انتفاعا بالمال إذ لابد منه أو أريد بالأكل الانتفاع كما يقال: فلان أكل ماله إذا انتفع به في الأكل وغيره.

قوله: ﴿قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾[البقرة: ٢٧٥] فإن قلت: كيف قالوا ذلك مع أن مقصودهم تشبيه الربا بالبيع المتفق على [حله](٢)؟ قلت: جاء ذلك على طريق المبالغة لأنه أبلغ من اعتقادهم أن الربا حلال كالبيع كالتشبيه في قولهم: القمر وجه زيد، والبحر ككفه إذا أرادوا المبالغة أو أن مقصودهم أن الربا والبيع يتماثلان في جميع الوجوه فشاع قياس البيع على الربا كعكسه.

قوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[البقرة: ٢٧٥]، إن

(١) سقط من أ.

(٢) في أ: حمله.

قلت: كيف قال ذلك مع أن مرتكب الكبيرة كأكل الربا لا يخلد في النار.

قلت: الخلود يقال لطول البقاء وإن لم يكن بصفة التأبيد كم يقال: خلد الأمير فلانا في الحبس إذا طال حبسه، أو المراد بقوله: ﴿وَمَنْ عَادَ﴾[البقرة: ٢٧٥] العائد إلى استحلال أكل الربا، وهو بذلك كافر، والكافر مخلد في النار على التأبيد قوله: ﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[البقرة: ٢٨٠] أي: في إنظار المعسر [فإن قلت: إنظار المعسر](١) واجب والتصدق عليه تطوع(٢) المحصل لولاجب لما اشتمل عليه من الزيادة كما هنا أفضل من الواجب كما أن الزهد في الحرام واجب، وفي الحلال تطوع، والزهد في الحلال أفضل.

قوله: ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٨١] قال فيه، وفي الجاثية: ﴿بما كسبت﴾ [الجاثية: ٢٢]، وقال في آخر النحل: ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾[النحل: ١١١] وفي آخر الزمر: ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ [الزمر: ٧٠] موافقة لما قبل كل منها أو بعده أو قبله وبعده، إذ ما هنا قبله: ﴿أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾[البقرة: ٢٦٧] وبعده: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقبله في آخر النحل ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا ﴾[النحل: ٩٧] ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[النحل: ٩٧]، ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ﴾ [النحل: ١١٩]، وقبل ما في الجاثية: ﴿وَلا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا﴾ [الجاثية: ١٠] وبعد ما في الزمر: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[الزمر: ٧٤].

قوله: ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾[البقرة: ٢٨٢] فإن قلت: ما فائدة قوله بدين مع أنه معلوم من تداينتم؟ قلت: فائدته الاحتراز عن الدين بمعنى المجازاة، يقال: داينت فلانا بالمودة؛ أي: جازيته بها [ق/ ٤٤ب]، وهو بهذا المعنى لا كتابة فيه، ولا إشهاد، وقيل: فائدته رجوع الضمير إليه في قوله فاكتبوه إذ لو لم يذكره،

---

(١) سقط من أ.

(٢) فكيف يكون خيرا من الواجب؟

قلت: التطوع...

لقال: فاكتبوا الدين، والأول أحسن نظما.

قوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ﴾[البقرة: ٢٨٢] قرئ تذكر بالتخفيف والتشديد فإن قلت: كيف جعل أن تضل علة لاستشهاد المرأتين بدل رجل مع أن علته[1] أن تضل لأن الضلال من أحدهما يكثر وقوعه فصلح أن يكون علة لاستشهادهما بتقدير عدم صلوحه فالتعليل بأن تضل في الحقيقة إنما هي للتذكير من شأن العرب إذا كان للعلة [٥٧ / أ] علة قدموا ذكر العلة، وجعلوا العلة معطوفة عليها بالفاء لتحصل الدلالتان معا بعبارة واحدة كقولك: أعددت الخشبة إن يميل الجدار فزدعمته بها فالادعام علة في إعداد الخشبة، والميل علة في الإدعام.

قوله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ ﴾[البقرة: ٢٨٣] الآية فإن قلت: كيف شرط السفر في الارتهان مع أنه ليس بشرط فيه.

قلت: لم يذكره لتخصيص الحكم به بل لكونه مظنة عوز الكاتب والشاهد الموثوق بهما.

قوله: ﴿ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾[البقرة: ٢٨٣]، فإن قلت: ما فائدة ذكر القلب مع أن الجملة موصوفة بالإثم؟

قلت: لما كان كتمان الشهادة هو إضمارها في القلب وإثمه مكتسبا بالقلب، وبه أسند إليه الإثم لأن إسناد الفعل إلى الجارحة التي يعمل بها أبلغ كما يقال: هذا مما بصرته عيناي وسمعته أذناي وعلمه قلبي.

﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ﴾[البقرة: ٢٨٤] إن قلت: كيف قال في الإخفاء: ﴿ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ﴾[البقرة: ٢٨٤] مع أن حديث النفس لا إثم فيه؟

---

(١) إنما هو التذكير؟

قلت: بل علته...

قلت: ذلك منسوخ بقوله: ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾[البقرة: ٢٨٦] أو المراد بالإخفاء العزم القاطع والاعتقاد الجازم، أو ذلك إخبار بالمحاسبة [لا بالمعاقبة](١) فهو تعالى يخبر العباد بما أظهروا وبما أخفوا ليعلموا إحاطة علمه، ثم يغفر أو يعذب فضلاً وعدلا .

قوله: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾[البقرة: ٢٨٤] قدم المغفرة في هذه السورة وغيرها إلا في المائدة فقدم العذاب لأنها في المائدة نزلت في حق السارق والسارقة، وعذابهما يقع في الدنيا فقدم العذاب، وفي غيرها قدمت المغفرة رحمة منه سبحانه للعباد وترغيبا لهم في المسارعة إلى موجبات المغفرة.

قوله: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ﴾[البقرة: ٢٨٥] إن قلت: أي فائدة في هذا الإخبار مع أن الأنبياء في أعلى درجات الإيمان؟

قلت: فائدته: أن يبين للمؤمنين زيادة شرف الإيمان حيث مدح به خواصه ورسله، ونظيره في (الصافات) أنه ذكر في كل نبي أنه من عبادنا المؤمنين.

قوله: ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[البقرة: ٢٨٥] فإن قلت: كيف قال ذلك مع أن (بين) لا تضاف إلا بين اثنين فأكثر؟

قلت: (أحد) هنا بمعنى الجمع الذي هو أحاد كقوله: ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧] فكأنه قال: لا نفرق بين آحاد من رسله.

قوله: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾[البقرة: ٢٨٦] أي: في الخير و﴿ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] أي: في الشر لأن هذين الحرفين يستعملان لذلك عند تقارنهما، وكما في غير هذه الآية، وكما في قول الشاعر:

على أنني راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا على ولا ليا

فإن قلت: لم أخص الكسب بالخير، والاكتساب بالشر؟

(١) سقط من أ.

قلت: لأن الاكتساب فيه أعمال، والشر تشتهيه النفس وتنجذب فكانت أجد في تحصيله بخـلاف الخير، ولأن في ذلك إشارة إلى إكرامـه تعالى وتفضله على الخلق حيث أثابهم على فعل الخير من غيـر جحد واعتمال، ولم يؤاخذهم على فعل الشر إلا بالجد والاعتمال، وفقنا الله لصالح الأعمال والله أعلم.

خاتمة

قد جاء في فضل سورة البقرة أحاديث ذكرها الإمام القرطبي في الباب الأخير من كتاب [٥٨ / أ] «التذكار في أفضل الأذكار» فمنها [٤٥ /ب] ما رواه مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تجعلوا بيوتكم مقابر فإن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»**(١).

ومنها ما رواه ابن حبان في صحيحه عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن لكل شيء سناما وإن سنام القرآن سورة البقرة، ومن قرأها في بيته ليلا لم يدخل الشيطان في بيته ثلاث ليال، ومن قرأها نهارا لم يدخل الشيطان في بيته ثلاثة أيام»**(٢).

ومنها ما رواه الدارمي في مسنده عن الشعبي عن عبد الله بن مسعود قال: **«من قرأ عشر آيات من سورة البقرة في ليلة لم يدخل ذلك البيت شيطان تلك الليلة حتى يصبح، أربعا من أولها وآية الكرسي، وآيتين من بعدها، وخواتيمها أولها: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾**[البقرة:٢٨٤] وفي رواية: **«لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه، ولا يقرأن على مجنون إلا أفاق»**(٣).

ومنها ما روي عن عمر: أنه صارع جنياً فصرعه عمر فقال له الجني: خل عني حتى أعلمك ما تمتنعون به منا، فخلى عنه وسأله فقال: إنكم تمتنعون منا

---

(١) أخرجه مسلم (٧٨٠).

(٢) ضعيف: أخرجه ابن حبان (٧٨٠)، والطبراني في الكبير (٥٨٦٤)، وأبو يعلى (٧٥٥٤)، والبيهقي في الشعب (٢٣٦٨)، قال الهيثمي في المجمع (١٠٥٢٨): رواه الطبراني في الكبير وفيه خالد بن سعيد الخزاعي المدني وهو ضعيف.
وقال الألباني في ضعيف الجامع (١٩٣٣)وفي الضعيفة (١٣٤٩): ضعيف.

(٣) ضعيف: أخرجه الدارمي (٣٣٨٢) والطبراني في الكبير (٨٦٧٣)، والبيهقي في الشعب (٢٤١٢)، وقال الهيثمي في المجمع (١٧٠١٣): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا الشعبي لم يسمع من ابن مسعود.

بآية الكرسي(١).

ومنها ما روى عن أبي بن كعب(٢) قال: قال الله تعالى: يا موسى من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة أعطيته ثواب الأنبياء [والمعنى أن يعطى ثواب عمل الأنبياء. . .](٣) في مثل ذلك العمل فأما ثواب النبوة فليس إلا للأنبياء.

ومنها ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يثول قبض روحه إلا لله عز وجل**»(٤).

ومن فوائد آية الكرسي ما ذكره أبو الحسن في شرح البخاري قال: وفي كتاب وهب بن منبه: من يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي ثم يحسوا منه ثلاث حسوات ويغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما به إن شاء الله تعالى، وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله والله أعلم.

---

(١) هكذا نقله المصنف عن التذكار للقرطبي (ص١٤٥).
وقد أخرج ههذ القصة مطولة الدارمي (٣٣٨١)، والطبراني في الكبير (٨٨٢٦)، إلا أنها من رواية الشعبي عن ابن مسعود وهو لم يسمع منه.
وللطبراني في الكبير أيضا (٨٨٢٤)، من رواية المسعودي عن عاصم عن ثقيف عن ابن مسعود.
قال الهيثمي في المجمع (١٤٤٤٤) عن رواية الشعبي: إنه لم يسمع من ابن مسعود ولكن أدركه، والطريق الأخرى فيها المسعودي وهو ثقة ولكن اختلط.
فبان لنا صحة رواية المسعودي برواية الشعبي والله أعلم. اهـ.

(٢) لم أقف عليه، لكن أورده القرطبي في تفسيره (٣ / ٢٥٦)وفي التذكار (ص١٤٦) عن الحكيم الترمذي.
وقال الألباني في الضعيفة (٣٩٠١): منكر جدا.

(٣) سقط من أ: وأثبتت من ب.

(٤) أ ورده القرطبي في تفسيره (٢٥٦٣)، وفي التذكار (ص١٤٩)، قال: قال الوائلي: ثم ذكر سندا به. . .

سورة آل عمران

مدنية مائتا آية وفيها ثلاث فصول وخاتمة.

الفصل الأول: في أسباب نزولها

قال المفسرون(١): قدم وفد نجران، وكانوا ستين راكبا على النبي ﷺ وفيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم، وفي الأربعة عشر ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم.

العاقب: أمير القوم صاحب مشورتهم الذي لا يصدرون إلا عن رأيه، واسمه عبد المسيح.

والسيد: ثمالهم(٢) وصاحب رحلهم واسمه الأبهم.

وأبو حارثة ابن علقمة أسقفهم(٣) وحبرهم وإمامهم وصاحب مدراسهم، وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم، وكانت ملوك الروم قد شرفوه ومولوه وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده.

فقدموا على رسول الله ﷺ ودخلوا مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحيرات جباب وأردية في جمال رجال الحارث بن كعب يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي ﷺ [٥٩ /أ] ما رأينا وفدا مثلهم، وقد حانت صلاتهم فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : «**دعوهم**»، فصلوا إلى المشرق، فكلم السيد والعاقب رسول الله ﷺ فقال لهما رسول الله ﷺ: «**أسلما**» فقالا: قد أسلمنا قبلك، قال: «**كذبتما منعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير**»، قالا: إن لم يكن عيسى ولد الله

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٢١٧).

(٢) الثمالة بكسر المثلثة: الذي يقوم بأمر قومه. (من هامش ب).

(٣) أسقفهم بضم الهمزة والقاف وتشديد الفاء أي: زعيمهم في الدين وعالمهم، (من هامش ب).

فمن أبوه وخاصموه جميعا في عيسى، فقال لهم النبي ﷺ: «**ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت، وأن عيسى يأتي عليه الفناء**» قالوا: بلى، قال: «**ألستم تعلمون [أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه؟**» قالوا: بلى، قال: «**ألستم تعلمون]**[١] **أن ربنا قائم على كل شيء يحفظه ويرزقه؟**» قالوا: بلى، قال: «**فهل عيسى يملك من ذلك شيئا؟**» قالوا: لا، قال: «**فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء، وربنا لا يأكل ولا يشرب [٤٦ / ب] ولا يحدث**» قالوا: بلى، قال: «**ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث؟**» قالوا: بلى، قال: «**فكيف يكون هذا كما زعمتم؟**» فسكتوا فأنزل الله عز وجل فيهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها.

قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾[آل عمران: ١٢] الآية.

قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس[٢]: إن يهود أهل المدينة قالوا: لما هزم الله المشركين يوم بدر: هذا والله النبي الأمي الذي بشرنا به موسى ونجده في كتابنا بنعته وصفته وأنه لا ترد له راية، وأرادوا تصديقه واتباعه ثم قال بعضهم لبعض: لا تعجلوا حتى ننظر إلى وقعة له أخرى فلما كان يوم أحد، ونكب أصحاب رسول الله ﷺ شكوا، وقالوا: لا والله ما هو به وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد إلى مدة فنقضوا ذلك العهد، وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكبا إلى أهل مكة أبي سفيان وأصحابه فوافقوهم وأجمعوا أرهم، وقالوا: لتكونن كلمتنا واحدة ثم رجعوا إلى المدينة، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية، وقال محمد أبو إسحاق[٣]: لما أصاب رسول

---

(١) سقط من أ.

(٢) ضعيف جدا: فالكلبي متهم بالكذب وأبو صالح ضعيف.

وانظره في ءأسباب النزول للواحدي (ص٢١٨]، وتفسير الثعالبي (٣ / ٢٠).

(٣) ضعيف: أخرجه أبو داود (٣٠٠١) والبيهقي في الكبرى (١٨٤٠٩) وابن جرير في تفسيره =

الله ﷺ قريشا ببدر، وقدم المدينة جمع اليهود، وقال : يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر، أسلموا قبل أن ينزل بكم مثل ما نزل بهم فقد عرفتم أنى نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم، فقالوا: يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت فيهم فرصة أما والله لو قاتلناك لعرفت أنا نحن الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [آل عمران: ١٢] أي اليهود ﴿ سَتُغْلَبُونَ ﴾[آل عمران: ١٢] ستهزمون وتحشرون إلى جهنم في الآخرة هذه رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ ﴾[آل عمران: ١٨] قال الكلبي(١): لما ظهر رسول الله ﷺ بالمدينة قدم عليه حبران من أحبار أهل الشام فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه [٦٠ / أ]: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا على النبي ﷺ عرفاه بالصفة والنعت، فقالا له: أنت محمد، قال: «نعم»، قالا: وأنت أحمد، قال: «نعم»، قالا: إنما نسألك عن شهادة فإن أنت أخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك، فقال لهم رسول الله ﷺ: «سلاني»، فقالا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله، فأنزل الله على نبيه : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨] فأسلم الرجلان وصدقا برسول الله ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾[آل عمران: ٢٣] الآية أخرج ابن أبي حاتم(٢) وابن المنذر عن عكرمة عن ابن عباس قال: دخل رسول الله ﷺ بيت المِدْرَاس على جماعة من اليهود فدعاهم إلى الله تعالى، فقال له

=(٣ / ١٩١). وقال الألباني: ضعيف الإسناد.

(١) ضعيف جدا: انظر أسباب النزول للواحدي (ص٢١٩)، ولم يسنده، والكلبي متهم بالكذب مع إرساله لهذا.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٢ / ٦٢٢) وابن جرير (٣ / ٢١٧).

نعيم ابن عمرو، والحارث بن زيد: على أي دين أنت يا محمد، قال: «**على ملة إبراهيم ودينه**» قالا: فإن إبراهيم كان يهوديا، فقال لهما رسول الله ﷺ: «**فهلما إلى التوراة فهي بيننا وبينكم**» فأبيا عليه، فأنزل الله: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ** ﴾ [آل عمران: ٢٣]، إلى قوله: ﴿ **يَفْتَرُونَ** ﴾.

قوله تعالى: ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ** ﴾[آل عمران: ٢٦] الآية، قال ابن عباس وأنس ابن مالك(١): لما فتح رسول الله ﷺ مكة، ووعد أمته ملك فارس والروم، قال المنافقون واليهود: هيهات، هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع [٤٧ /ب] ذلك ألم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم؟ فأنزل الله هذه الاية.

أخرج الواحدي(٢) عن قتادة ذكر لنا أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يجعل ملك فارس والروم في أمته، فأنزل الله تعالى: ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ** ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وأخرج الواحدي(٣) عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف قال: حدثني أبي عن أبيه قال: خط رسول الله ﷺ على الخندق يوم الأحزاب ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعا، قال عمرو بن عوف: كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الأنصار في أربعين ذراعا حتى إذا كنا تحت ذوناب أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا: يا سلمان

---

(١) ذكره الواحدي ي أسباب النزول (ص٢١٩) والقرطبي في تفسيره (٤ / ٥٢)، والثعلبي في تفسيره (٤٠١٣) من غير أسند لهما.

(٢) أسباب النزول (ص٢٢١) عن قتادة مرسلا.

(٣) ضعيف جدا: أخرجه الواحدي في أسباب النزول (ص٢٢٢،٢٢٣) وفيه كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف قال عنه الشافعي: أحد أركان الكذب.
قال الذهبي: واه، وقال أبو داود: كذاب.
قال ابن حجر: ضعيف،أخرجه من نسبه لكذب.

إرق إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبر هذه الصخرة، فإما أن نعدل عنها، وإما أن يأمرنا فيها بأمره، فإنا لا نحب أن نجاوز خطه، قال: فرقي سلمان إلى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية، فقال: يا رسول الله: خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا، وشقت علينا، حتى ما يجيبك فيها قليل ولا كثير، فمرنا فيه بأمر فإنا لا نحب أن نجاوز خطك قال فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان الخندق والتسعة على شفة الخندق [٦١ / أ] فأخذ رسول الله ﷺ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعها، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها - يعني المدينة - حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم، وكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون [ثم ضربها رسول الله ﷺ ثانية وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها، حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون، ثم ضربها رسول الله ﷺ فكسرها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون](١) وأخذ بيد سلمان ورقى فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد رأيت شيئا ما رأيت مثله قط فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم فقال: «**رأيتم ما يقول سلمان؟**» قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «**ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل - عليه السلام - أن أمتي ظاهرة عليها.**

ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل - عليه السلام - أن أمتي ظاهرة عليها.

ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء

---

(١) سقط من أ.

كأنهـا أنياب الكلاب، وأخـبرني جبـريل ـ عليه السـلام ـ أن أمتى ظاهرة عليـها، «**فأبـشروا**» فاستبشر المسلمون، وقالوا: الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر.

فقال المنافـقون: لا تعجبوا يُـمَنّيكم ويعدكم الباطل ويخبـركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا.

قال: فنـزل القرآن: ﴿ **وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا** ﴾ [الأحزاب: ١٢] وأنزل الله تعالى في هذه القصة قوله: ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ** ﴾ [آل عمران: ٢٦].

قـوله تعـالى: ﴿ **لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران: ٢٨] [٤٨ / ب].

أخرج ابن جـرير(١) عن ابن عباس قال: كان الحـجاج بن عمرو وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد قد بطنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خـيثمة: لأولئك النفر اجتنبوا هؤلاء النفر من يهود واحذروا مباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم، فأبوا، فأنزل الله فيهم: ﴿ **لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [آل عمران: ٢٨] إلـى قـولـه: ﴿ **وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [آل عمران: ٢٩].

قـال الكلبي(٢): نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصـحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتوهم بالأخبـار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية، ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم.

وقال جويبر عن الضـحاك عن ابن عباس(٣): نزلت في عبـادة بن الصامت

---

(١) التفسير (٣ / ٢٢٧).

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٢٢٤).

(٣) السابق.

الأنصاري وكان بدريا تقيا وكان له حلفاء من اليهود، فلما خرج النبي ﷺ يوم الأحزاب، قال عبادة: يا رسول الله إن معي [٦٢ /أ] خمسمائة رجل من اليهود، وقد رأيت أن يخرجوا معي فأستظهر بهم، فأنزل الله: ﴿ **لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ** ﴾ [آل عمران:٢٨] الآية.

قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ** ﴾[آل عمران:٣١] الآية أخرج ابن أبي حاتم(١) عن الحسن قال: قال قوم على عهد نبينا: والله يا محمد إنا لنحب ربنا، فأنزل الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي** ﴾[آل عمران: ٣١].

وروى جويبر(٢) عن الضحاك عن ابن عباس قال: وقف النبي ﷺ على قريش وهم في المسجد الحرام، وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف والقرطة وهم يسجدون لها، فقال: «**يا معشر قريش لقد خالفتكم ملة أبيكم إبراهيم وإسماعيل، ولقد كانا على الإسلام**» فقالت قريش: يا محمد إنما نعبد هذه حبا لله ليقربونا إلى الله زلفى فأنزل الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ** ﴾[آل عمران:٢٨] وتعبدون الأصنام لتقربكم إليه: ﴿**فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾[ل عمران:٢٨] فأنا رسول الله إليكم وحجته عليكم، وأنا أولى بالتعظيم من أصنامكم.

وروى الكلبي(٣) عن أبي صالح عن ابن عباس أن اليهود لما قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه أنزل الله تعالى هذه الآية فلما نزلت عرضها رسول الله ﷺ على اليهود فأبو أن يقبلوها.

وروى محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير، قال: نزلت في

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٢ / ٦٣٣)، وابن جرير (٣ / ٢٣٢)، عن الحسن مرسلا.

(٢) ضعيف جدا: ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص٢٢٥)، وجويبر متروك قال ابن حجر: ضعيف جدا، وقال الذهبي: تركوه.

وقال ابن حجر في العجاب (ص٤٩٢): وهذا من منكرات جويبر، فإن آل عمران مدنية وهذه القصة إنما كانت قبل الهجرة، ولعل الذي نزل فيها في أوائل الزمر. اهـ.

(٣) ضعيف: انظر أسباب النزول للواحدي (ص٢٢٥).

نصارى نجران، وذلك أنهم قالوا: إنما نعظم المسيح نعبده حبا لله وتعظيما له فأنزل الله هذه الآية ردا عليهم.

قوله تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ**﴾[آل عمران: ٥٩] الآية قال المفسرون[١]: إن وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ: مالك تشتم صاحبنا قال: «**وما أقول**»؟ قالوا: تقول أنه عبد، قال: «**أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول**»، فغضبوا وقالوا: «**هل رأيت قط إنسانا من غير أب؟**» فإن كنت صادقا فأرنا مثله، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وأخرج الواحدي[٢] عن الحسن قال: جاء راهبا نجران إلى النبي ﷺ فعرض عليهما الإسلام، فقال أحدهما: إنا قد أسلمنا قبلك، فقال: «**كذبتما، إنه يمنعكما من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير، وقولكم لله ولد**».

قالا: من أبو عيسى، وكان لا يعجل حتى يأمره ربه فأنزل الله: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ**﴾ [آل عمران: ٥٩] الآية.

قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا**﴾ [آل عمران: ٦١] أخرج الواحدي[٣] عن الحسن قال: جاء راهبا نجران إلى النبي ﷺ فقال لهما: «**أسلما تسلما** فقالا: قد أسلمنا قبلك، فقال: «**كذبتما، يمنعكما من الإسلام ثلاث سجودكما للصليب، وقولكما: اتخذ الله ولدا، وشربكما الخمر**».

فقال: فما تقول في عيسى؟، قال: فسكت النبي ﷺ ونزل القران: ﴿ **ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ**﴾[آل عمران: ٥٨]، ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ**﴾[آل عمران: ٥٩]، إلى قوله: ﴿ **فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا**﴾[آل عمران: ٦١] الآية

---

(١) السابق (ص٢٢٦).

(٢) السابق.

(٣) السابق (ص٢٢٦).

[٤٩ /ب] فدعاهما رسول الله ﷺ إلى الملاعنة قال: وجاء الحسن والحسين وفاطمة وأهله وولده قال: فلما خرجا من عنده [٦٣ /ب] قال أحدهما لصاحبه أقرر بالجزية ولا تلاعنه فأقر بالجزية فراجعا فقالا: نقر بالجزية ولا نلاعنك فأقرا بالجزية.

وأخرج(١) أيضا عن جابر بن عبد الله قال: قدم وفد أهل نجران على النبي ﷺ العاقب والسيد فدعاهما إلى الإسلام فقالا: أسلمنا قبلك، قال: «**كذبتما إن شئتما أخبرتكما بما يمنعكما من الإسلام**» فقالا: هات وأنبئنا، قال: «**حب الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير**» فدعاهما إلى الملاعنة فواعداه على أن يفادياه بالغداة فغدا رسول الله ﷺ فأخذ بيد علي وفاطمة ويد الحسن والحسين ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيباه فأقرا له بالخراج. فقال النبي ﷺ : «**والذي بعثني بالحق لو فعلا لمطر الوادي نارا**» قال جابر فنزلت فيهم هذه الآية: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ**﴾[آل عمران: ٦١].

قال الشعبي: أبنائنا: الحسن والحسين، ونسائنا: فاطمة، وأنفسنا: علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قوله تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ**﴾[آل عمران: ٦٥] الآية، روى ابن إسحاق بسنده المتكرر إلى ابن عباس(٢) قال: اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديا، وقالت النصارى ما كان إبراهيم إلا نصرانيا فأنزل الله: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ**﴾[آل عمران: ٦٥] الآية أخرجه البيهقي في الدلائل.

قوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ**﴾[آل عمران: ٦٨] الآية قال ابن عباس(٣): قال رؤساء اليهود: والله يا محمد لقد علمت أنا أولى

---

(١) السابق (ص٢٢٧).

(٢) أخرجه ابن جرير (٣ / ٣٠٢).

(٣) أسباب النزول للواحدي (ص٢٢٨).

بدين إبراهيم منك ومن غيرك، وإنه كان يهوديا وما بك إلا الحسد فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وروى الكلبي (١) عن أبي صالح عن ابن عباس وعبد الرحمن بن غنم عن أصحاب رسول الله ﷺ وذكره محمد بن إسحاق بن يسار، وقد دخل حديث بعضهم في بعض قالوا: لما هاجر جعفر بن أبي طالب وأصحابه إلى الحبشة واستقرت لهم الدار وهاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وكان من أمر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة؛ أي: المشورة، وقالوا: إن لنا في أصحاب محمد الذين عند النجاشي ثأرا بمن قتل منكم ببدر فأجمعوا مالا وأهدوه إلى النجاشي لعله يدفع إليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوي رأيكم، فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن أبي معيط مع الهدايا، الأدم وغيره، فركبا البحر وأتيا الحبشة، فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه، وقالا له: إن قومنا لك ناصحون شاكرون ولصلاحك محبون، وإنهم بعثونا إليك لنحذرك من هؤلاء القوم الذين قدموا عليك لأنهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم أنه رسول الله ولم يتابعه أحد منا إلا السفهاء، وكنا قد ضيقنا عليهم الأمر وألجأناهم إلى شعب بأرضنا لا يدخل عليهم أحد ولا يخرج منهم أحد، قد قتلهم الجوع والعطش، فلما اشتد عليهم الأمر بعث إليك ابن عمه ليفسد [٦٤ / أ] عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذروهم وادفعوهم إلينا لنكفيكهم.

قالوا: وآية ذلك أنهم إذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسننك، قال: فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله، فقال النجاشي: مروا هذا الصالح فليعد كلامه ففعل جعفر، فقال النجاشي: نعم فليدخلوا بأمان الله وذمته، فنظر عمرو بن العاص إلى صاحبه فقال: ألا تسمع كيف يرطنون بحزب

(١) السابق.

الله وما [٥٠ / ب] أجابهم به النجاشي، فساءهما ذلك، ثم دخلوا عليه ولم يسجدوا له، فقال عمرو بن العاص: ألا ترى أنهم يستكبرون أي يسجدوا لك، فقال لهم النجاشي: ما يمنعكم أن تسجدوا إلى وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من أتاني من الآفاق؟ قالوا: نسجد لله الذي خلقك وملكك، وإنما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الأوثان، فبعث الله فينا نبيا صادقا، وأمرنا بالتحية التي رضيها الله لنا وهي السلام تحية أهل الجنة، فعرف النجاشي أن ذلك حق وأنه في التوراة والإنجيل.

قال: أيكم الهاتف يستأذن عليكم حزب الله؟ قال جعفر: أنا، قال فتكلم قال: إنك ملك من ملوك أهل الأرض ومن أهل الكتاب، ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم، وأنا أحب أن أجيب عن أصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم أحدهما ولينصت الآخر فتسمع محاورتنا.

فقال عمر لجعفر: تكلم، فقال جعفر للنجاشي: سل هذا الرجل أعبيد نحن أم أحرار؟ فإن كنا عبيدا أبقنا من أربابنا فارددنا إليهم، فقال النجاشي: أعبيد هم أم أحرار؟ فقال: بل أحرار كرام، فقال النجاشي: نجوا من العبودية.

قال جعفر: سلهما هل أهرقنا دما بغير حق فيقتص منا؟ فقال عمرو: لا ولا قطرة، قال جعفر: سلهما هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها؟

قال النجاشي: يا عمرو إن كان قنطارا فعلي قضاؤه، قال عمرو: لا ولا قيراطا، قال النجاشي: فما تطلبون منهم، قال عمرو: كنا وهم على دين واحد وأمر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك الدين واتبعوا غيره، ولزمناه نحن، فبعثنا إليك قومهم لتدفعهم إلينا، فقال النجاشي: ما هذا الدين الذي كنتم عليه، والدين الذي اتبعتموه ؟ أصدقني، قال جعفر: أما الدين الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان، وأمره: كنا نكفر بالله ـ عز وجل ـ ونعبد الحجارة.

وأما الدين الذي تحولنا إليه فدين الله الإسلام جاءنا به رسول من الله ﷺ

وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له، فقال النجاشي: لقد تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك، ثم أمر النجاشي فضرب بالناقوس فاجتمع إليه كل قسيس وراهب فلمما اجتمعوا عنده قال النجاشي: أنشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى، هل تجدون بين عيسى وبين القيامة نبيا مرسلا؟

فقالوا: اللهم نعم، قد بشرنا به عيسى [٦٥ /أ] وقال: من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي.

قال النجاشي لجعفر: ماذا يقول لكم هذا الرجل ويأمركم به ومما ينهاكم عنه؟

قالوا: يقرأ علينا كتاب الله ويأمرنا بالمعروف وينهى عن المنكر ويأمر بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له، فقال: اقرؤا علينا شيئا مما يقرأ عليكم فقرأ عليهم في سورة العنكبوت والروم، ففاضت عينا النجاشي وأصحابه من الدمع، وقالوا: يا جعفر زدنا من هذا الحديث الطيب، فقرأ عليهم سورة الكهف فأراد عمرو أن يغضب النجاشي، فقال: إنهم يشتمون عيسى وأمه، فقال النجاشي: ما تقولون في عيسى وأمه؟ فقرأ عليهم جعفر سورة مريم فلما أتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي نقثة من سواكر قدر ما تقذي العين، وقال: والله ما زاد المسيح على ما يقول هذا ثم أقبل على جعفر وأصحابه، فقال: اذهبوا فأنتم سيوم بأرض يقول آمنوا من سبكم أو آذاكم غرم.

ثم قال: أبشروا ولا تخافوا فلا [دهونة][1] اليوم على حزب إبراهيم، قال عمرو: يا نجاشي ومن حزب إبراهيم؟ قال: هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاءوا من عنده ومن اتبعهم، فأنكر ذلك المشركون وادعوا في دين إبراهيم، ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه، وقال: إنما أهديتم إلي رشوة

(١) دهونة: أي: باطل (هامش /ب).

فاقبضوها، فإن الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة.

قال جعفر: وانصرفنا فكنا في خير دار وأكرم جوار وأنزل الله في ذلك اليوم في خصومتهم في دين إبراهيم على رسول الله ﷺ وهو بالمدينة قوله: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾[آل عمران:٦٨] [٥١ /ب] للذين اتبعوه على ملته وسننه، وهذا النبي يعني محمدا ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:٦٨].

وأخرج الواحدي(١) عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لكل نبي ولاة من النبيين، وإن وليي منهم أبي وخليل ربي إبراهيم**» ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ﴾[آل عمران:٦٨].

قوله تعالى: ﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾[آل عمران:٦٩] الآية نزلت(٢) في معاذ بن جبل وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود إلى دينهم، وقد مضت القصة في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [البقرة:١٠٩].

قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾[آل عمران:٧٢] الاية قال الحسن والسدي(٣): تواطأ اثنى عشر حبرا من يهود خيبر، وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد واكفروا به في آخر النها، وقولوا إنا نظرنا في كتابنا وتشاورنا علمائنا فوجدنا محمدا ليس بذلك وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم، وقالوا: إنهم أهل الكتاب فهم أعلم به منا فيرجعون عن دينهم إلى دينكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية وأخبر به نبيه ﷺ والمؤمنين.

---

(١) أسباب النزول (-ص٢٣٢).

وهو صحيح أخرجه أحمد (٣٨٠٠)، والترمذي (٢٩٩٥) والحاكم (٣١٥١)، وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي والألباني.

(٢) أسباب النزول للواحدي (ص٢٣٣).

(٣) أسباب النزول للواحدي (ص٢٣٣)، وآثر السدي أخرجه ابن جرير (٣ / ٣١١)، وابن أبي حاتم (٢ / ٦٧٩).

وقال مجاهد ومقاتل والكلبي : هذا في شأن القبلة لما صرفت إلى الكعبة شق [٦٦ /أ] ذلك على اليهود لمخالفتهم، فقال كعب بن الأشرف وأصحابه: آمنوا بالذي أنزل على محمد من أمر الكعبة وصلوا إليها أول النهار ثم اكفروا بالكعبة آخر النهار وارجعوا إلى قبلتكم الصخرة لعلهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا فربما يرجعون إلى قبلتنا فحذر الله نبيه مكر هؤلاء، وأطلعه على شرهم وأنزل: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧٢] الآية.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾[آل عمران:٧٧] الآية روى الشيخان(١) وغيرهما أن الأشعث في رواية بن قيس قال: كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني، فقدمته إلى النبي ﷺ فقال: «ألك بينة»، قلت: لا، فقال لليهودي: «إحلف»، فقلت: يا رسول الله إذا يحلف فيذهب مالي، فأنزل الله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾[آل عمران: ٧٧] الآية.

وأخرج البخاري(٢) عن عبد الله بن أبي أوفى أن رجلا أقام سلعة له في السوق فحلف بالله لقد أعطى بها ما لم يعطه ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت هذه الآية: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ .

قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري(٣): لا منافاة بين الحديثين بل يحمل على أن النزول كان بالسببين جميعا.

وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: نزلت في حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وغيرهما من اليهود الذين كتموا ما أنزل الله في التوراة وبدلوه وحلفوا أنه من عند الله، قال الحافظ ابن حجر(٤): والآية محتملة لكن العمدة في ذلك

(١) أخرجه البخاري (٢٢٨٥)، ومسلم (١٣٠٨).
(٢) أخرجه البخاري (١٩٨٢).
(٣) انظر فتح الباري (٨ / ٢١٣).
(٤) السابق.

على ما ثبت في الصحيح.

وأخرج الواحدي[١] بسنده عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقطع بها مال امرء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان**»، وفي رواية له عنه: «**من حلف علي يمين هو فيها فاجر ليقتطع بها مالا لقي الله وهو عليه غضبان**» ثم ذكرهما من رواية البخاري[٢] عن عبد الله أيضا.

قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِبَشَرٍ**﴾[آل عمران: ٧٩] الآية أخرج ابن إسحاق والبيهقي[٣] قال: قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى؟ قال: معاذ الله فأنزل الله في ذلك: ﴿**مَا كَانَ لِبَشَرٍ**﴾ إلى قوله: ﴿**إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾[آل عمران: ٨٠] وأخرج عبد في تفسيره عن الحسن، قال: بلغني أن رجلا قال: يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض، أفلا نسجد لك؟ قال: «**لا ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد [٥٢ / ب] من دون الله** » فأنزل الله: ﴿**مَا كَانَ لِبَشَرٍ**﴾[آل عمران: ٧٩] إلى قوله: ﴿**إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ٨٠].

قوله تعالى: ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ** ﴾[آل عمران: ٨٣]، قال ابن عباس[٤]: اختصم أهل الكتابين إلى رسول الله ﷺ فيما اختلفوا بينهم من دين إبراهيم كل فرقة زعمت أنها أولى بدينه، فقال النبي ﷺ: [٦٧ / أ] «**كلا الفريقين بريء من دين إبراهيم**» فغضبوا وقالوا: والله ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك، فأنزل الله: ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ** ﴾[آل عمران: ٨٣].

---

(١) أسباب النزول (ص٢٣٤).

(٢) حديث (٢٣٥٦).

(٣) أخرجه البيهقي في الدلائل (٥ / ٣٨٤)، وابن جرير في تفسيره (٣ / ٢٢٢).

(٤) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٢٣٨).

قوله تعالى: ﴿**كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا**﴾[آل عمران:٨٦] الآيات روى النسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ثم ندم فأرسل إلى قومه أرسلوا إلى رسول الله ﷺ هل لي من توبة فنزلت: ﴿**كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا**﴾[آل عمران:٨٦] إلى قوله: ﴿**غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[آل عمران:٨٩] فأرسل إليه قومه فأسلم، وأخرج مسدد في مسنده، وعبد الرازق عن مجاهد: قال جاء الحارث بن سويد فأسلم مع النبي ﷺ ثم كفر فرجع إلي قومه فأنزل الله فيه القرآن ﴿ **كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ**﴾...، فحملها إليه رجل من قومه فقرأها عليه، فقال الحارث: إنك والله ما علمت لصدوق، وإن رسول الله ﷺ أصدق منك، وإن الله لأصدق الثلاثة فرجع وأسلم وحسن إسلامه(١).

قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ**﴾[آل عمران:٩٠]، قال الحسن وقتادة وعطاء الخراساني(٢) نزلت في اليهود كفروا بعيسى والإنجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن، وقال أبو العالية(٣): نزلت في اليهود والنصارى كفروا بمحمد ﷺ بعد إيمانهم بنعته وصفته ثم ازدادوا كفرا بإقامتهم على كفرهم.

وقد تقدم أول الكتاب أن قولهم نزلت في كذا تارة يريدون به أنه داخل في معنى الآية فلا يكون سببا في نزولها، وما ذكر هنا عن الحسن وغيره من هذا القبيل فلذا لا يذكر الحافظ السيوطي هذا وأمثاله في أسباب النزول.

قوله تعالى: ﴿**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾[آل عمران:٩٣] قال أبو روق والكلبي(٤): نزلت حين قال النبي ﷺ : «**أنا على ملة إبراهيم**» فقالت اليهود:

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي (٤٠٦٨)، وابن حبان (٤٤٧٧)، والحاكم (٢٦٢٨)، والبيهقي في الكبرى (١٦٦٠٧)، وابن جرير (٣ / ٣٢٨).
وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
ووافقه الذهبي ، والألباني.

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٢٤١).

(٣) السابق.

(٤) السابق.

كيف وأنت تأكل لحوم الإبل وألبانها؟ فقال النبي ﷺ «**كان ذلك حلالا لإبراهيم فنحن نحله**» فقالت اليهود: كل شيء أصبحنا اليوم نحرمه فإنه كان محرما على نوح وإبراهيم حتى انتهى إلينا فأنزل الله ـ عز وجل ـ تكذيبا لهم: ﴿**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾[آل عمران: ٩٣] الآية.

قوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ**﴾[آل عمران: ٩٦] الآية قال مجاهد(١): تفاخر المسلمون واليهود، فقالت اليهود: بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة لأنها مهاجر الأنبياء، وفي الأرض المقدسة.

وقال المسلمون: بل الكعبة أفضل فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿**وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾[آل عمران: ٩٧]، أخرج سعيد بن منصور عن عكرمة قال(٢): لما نزلت: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا**﴾[آل عمران: ٨٥] الآية قالت اليهود: فنحن مسلمون، فقال لهم النبي ﷺ: «**إن الله فرض على المسلمين حج البيت**» فقالوا: لم يكتب علينا وأبوا أن يحجوا، فأنزل الله: ﴿**وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾[آل عمران: ٩٧].

قوله تعالى [٦٨ / أ]: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا**﴾[آل عمران: ١٠٠] الآية أخرج الواحدي(٣) عن عكرمة قال: كان بين هذين الحيين من الأوس والخزرج قتال في الجاهلية فلما جاء الإسلام اصطلحوا وألف الله قلوبهم، وجلس يهودي في مجلس فيه نفر من الأوس والخزرج فأنشد شعرا قاله أحد الحيين في حربهم فكأنهم دخلهم من ذلك، فقال الحيي الآخرون: قد قال شاعرنا في يوم كذا وكذا، فقال الآخرون وقد قال شاعرنا في يوم كذا وكذا، فقالوا: نرد الحرب جذعا كما كانت فنادى هؤلاء باللأوسي، ونادى هؤلاء يا للخزرج فاجتمعوا وأخذوا السلاح واصطفوا للقتال، فنزلت هذه الآية فجاء النبي

---

(١) السابق.

(٢) أخرجه ابن جرير (٣ / ٣٣٧) والبيهقي في الكبرى (٨٣٩٠).

(٣) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٢٤٢).

ﷺ [٥٣ / ب] حتى قام بين الصفين فقرأها ورفع صوته فلما سمعوا صوته أنصتوا له وجعلوا يستمعون، فلما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا، وجعلوا يبكون، وقال زيد بن أسلم: مر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا قد عاش في الجاهلية عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم، فمر على نفر من أصحاب رسول اﷺ من الأوس والخزرج في مجلس جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم في الإسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار فأمر شابا من اليهود كان معه فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم ثم ذكرهم بعاث، وما كان فيه، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار، وكان بعاث يوم اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين، أويس بن قبطي أحد بني حارثة من الأوس وجابر بن صخر أحد بني سلعة من الخزرج فتقاولا، فقال أحدهما : إن شئت رددتها الآن جذعة، وغضب الفريقان جميعا وقالا ارجعا هات السلاح ، السلاح موعدكم الظاهرة ، وهي حرة فخرجوا إليها فانضمت الأوس والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن كان معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال: «**يا معشر المسلمين أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم فترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا؟ الله الله**» فعرف القوم أنها نزغة من الشياطين، وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين فأنزل الله عز وجل: [٦٩ / أ] ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [آل عمران: ١٠٠] يعني الأوس والخزرج ﴿**إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**﴾[آل عمران: ١٠٠] يعني شاسا وأصحابه ﴿**يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ**﴾ [آل

عمران: ١٠٠] قال جرير بن عبد الله: ما كان طالع أكره إلينا من رسول الله ﷺ فأومأ إلينا بيده فكففنا وأصلح الله ما بينا فما كان شخص أحب إلينا من رسول الله ﷺ فما رأيت قط يوما أقبح ولا أوحش أولا وأحسن وأطيب آخرا من ذلك اليوم.

قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ ﴾[آل عمران: ١٠١] إلى قوله: ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾[آل عمران: ١٠٣] أخرج الواحدي(١) عن ابن عباس قالك كان بين الأوس والخزرج شر في الجاهلية فذكروا ما بينهم فثار بعضهم إلى بعض بالسيوف، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فذهب إليهم فنزلت هذه الآية: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ [آل عمران: ١٠١]، ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[آل عمران: ١٠٣].

قوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾[آل عمران: ١١٠] الآية قال عكرمة(٢) ومقاتل: نزلت في ابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة، وذلك أن مالكا بن الصيف ووهب بن يهود اليهوديين قالا لهم إن ديننا خير مما تدعوننا إليه، ونحن خير وأفضل منكم فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ﴾[آل عمران: ١١١]، قال مقاتل(٣): إن رؤوس اليهود كعب، والنعمان، وأبو رافع، وأبو [إياس]، وابن صوريا عمدوا إلى مؤمنيهم عبد الله بن سلام وأصحابه فآذوهم لإسلامهم، فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً ﴾[آل عمران: ١١٣] الآية أخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن منده في الصحابة عن ابن عباس قال: لما أسلم عبد الله بن سلام

---

(١) أسباب النزول (ص٢٤٤). وإسناده ضعيف: أخرجه ابن جرير (٣ / ٣٧٤)، والطبراني في الكبير (١٢٦٦٦)،(١٢٦٦٧)، قال الهيثمي في المجمع (١٠٨٩٧): رواه الطبراني وفيه إبراهيم فيه أبي الليث وهو متروك.

(٢) أسباب النزول للواحدي (ص٢٤٣)

(٣) السابق.

وثعلبة بن سعيد وأسيد بن سعيد وأشد بن عبيد ومن أسلم [٥٤ /ب] من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام، قالت أحبار اليهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد واتبعه إلا شرارنا، ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله في ذلك: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾[آل عمران:١١٣] الآية (١).

وأخرج أحمد(٢) وغيره عن ابن مسعود قال: أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال: أما إنه ليس في أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم، وأنزلت هذه الآية: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾[آل عمران:١١٣] حتى بلغ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١١٥].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾[آل عمران:١١٨]، الآية أخرج ابن جرير(٣) وابن إسحاق عن ابن عباس قال: كان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود لما بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية، فأنزل الله فيهم ينهاهم عن مباطنتهم تخوف الفتنة عليهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾[آل عمران:١١٨]، الآية.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾[آل عمران:١٢١] أخرج ابن أبي حاتم وأبو يعلى(٤) عن المسور بن مخرمة قال: قلت لعبد الرحمن بن عوف أخبرني عن [ق ٧٠/ أ] قصتكم يوم أحد فقال: اقرأ بعد العشرين ومائة من آل عمران تجد قصتنا: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾[آل عمران:١٢١]، إلى

(١) أخرجه ابن جرير (٤ / ٥٢) وابن أبي حاتم (٣ / ٧٣٧)، والطبراني في الكبير (١٣٨٨).
قال الهيثمي في المجمع (١٠٨٩٩): رجاله ثقات.

(٢) حسن: أخرجه أحمد (٣٧٦٠)، وابن حبان (١٥٣٠)، والنسائي في الكبرى والطبراني في الأوسط (١٢٨٥)، والبزار (١٨١٩)، وأبو يعلى (٥٣٠٦).

(٣) أخرجه ابن جرير في تفسيره -(٤ / ٥٥).

(٤) ضعيف: أخرجه أبو يعلى (٨٣٦)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠٠٧٤)، رواه أبو يعلى وفيه يحيى بن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف.

قوله: ﴿إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلا﴾[آل عمران: ١٢٢]، قال: هم الذين طلبوا الأمان من المشركين إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ [آل عمران:١٤٣] قال: هو تمني المؤمنين لقاء العدو إلى قوله: ﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] قال: هو صياح الشيطان يوم أحد قتل محمد إلى قوله: ﴿أَمَنَةً نُّعَاساً﴾ [آل عمران: ١٥٤] قال: ألقي عليهم النوم.

وأخرج الشيخان(١) عن جابر بن عبد الله قال فينا: نزلت في بني سلمة وبني حارثة: ﴿إذا همت طائفتان منكم أن تفشلا﴾.

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وابن أبي حاتم(٢) عن الشعبي أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر المحاربي يمد المشركين فشق عليهم، فأنزل الله: ﴿أَلَن يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم﴾ [آل عمران:١٢٣]، إلى قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾[آل عمران: ١٢٥] فبلغت: كرزا الهزيمة فلم يمد المشركين، ولم يمد المسلمين بالخمس.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمران:١٢٨] روى أحمد ومسلم عن أنس: أن النبي ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه، فقال: كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم؟ فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمران: ١٢٨] الآية(٣).

وروى أحمد والبخاري(٤) عن ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اللهم العن فلانا اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن سهيل بن عمرو، اللهم العن صفوان بن أمية»** فنزلت هذه الآية ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمران:١٢٨] فتليت عليهم كلهم، قال الحافظ بن حجر(٥): طريق الجمع بين

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٢٥)، ومسلم (٢٥٠٥).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٦٧٠)، وابن جرير (٣ / ٤٢١)، وابن أبي حاتم (٣ / ٧٥٢).
(٣) أخرجه أحمد (١١٩٧٤)، ومسلم (١٧٩١).
(٤) أخرجه أحمد (٥٦٧٤)، والبخاري (٦٩١٤).
(٥) انظر فتح الباري (٨ / ٢٢٧).

الحديثين أنه ﷺ دعى على المذكورين في صلاته بعدما وقع له [من الأمر المذكور يوم أحد فنزلت الآية في الأمرين معا فيما وقع له][1] وفيما نشأ له في الدعاء عليهم قال: لكن يشكل على ذلك ما وقع في مسلم[2] من حديث أبي هريرة أنه ﷺ كان يقول في الفجر: «**اللهم العن هذه أسماء قبائل وذكوان وعصية**» حتى أنزل الله ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾[آل عمران:١٢٨]، ووجه الإشكال أن الآية نزلت في قصة أحد وقصة رعل وذكوان بعدها.

قال: ثم ظهرت لي علة الخبر وأن فيه إدراجا فإن قوله: حتى أنزل الله منقطع من رواية الزهري عمن بلغه، بين ذلك مسلم، وهذا البلاغ لا يصح لما ذكرته.

قال: ويحتمل أن يقال: إن قصتهم كانت عقيب ذلك وتأخر نزول الآية عن سببها قليلا ثم نزلت في جميع ذلك.

قلت: وورد في سبب نزولها أيضا ما أخرجه البخاري في تاريخه، وابن إسحاق[3] عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: جاء رجل من قريش إلى النبي ﷺ [٥٥ / ب] : فقال: إنك تنهى عن السب ثم تحول فحول قفاه إلى النبي ﷺ وكشف إسته فلعنه ودعا عليه، فأنزل الله: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾[آل عمران:١٢٨] ثم أسلم الرجل وحسن إسلامه، مرسل غريب.

قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا**﴾[آل عمران: ١٣٠] الآية، أخرج [الفريابي عن مجاهد قال: كانوا يتبايعون إلى الأجل فإذا حل الأجل زادوا عليهم وزادوا في الأجل، فنزلت: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً**﴾ [آل عمران: ١٣٠] وأخرج][4] أيضا عن عطاء[5] قال: كانت ثقيف تداين بني

---

(١) سقط من أ. (٢) مسلم (٦٧٥).

(٣) انظر السيرة لابن إسحاق (ص٢١٧).

(٤) سقط من أ، ولم أقف عليه لكن نسبه السيوطي في لباب النقول للفريابي.

(٥) أخرجه ابن جرير (٣ / ٣٣٤).

النضير في الجاهلية فإذا جاء الأجل قالوا: نزيدكم وتؤخرون عنا [٧١ / أ] فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠] .

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً ﴾[آل عمران: ١٣٥] الآية قال ابن عباس(١) في رواية عطاء: نزلت الآية في نبهان التمار أتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فضمها إلى نفسه وقبلها ثم ندم على ذلك فأتى النبي ﷺ وذكر له فنزلت هذه الآية.

وقال ابن عباس في رواية الكلبي(٢): إن رجلين أنصاريا وثقفيا آخى رسول الله ﷺ بينهما فكانا لا يفترقان فخرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه، وخرج معه الثقفي وخلف الأنصاري في أهله وحاجته فكان يتعاهد على أهل الثقفي فأقبل في ذات يوم فأبصر امرأة صاحبه قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها فوقعت في نفسه فدخل ولم يستأذن حتى انتهى إليها فذهب ليلثمها فوضعت كفها على وجهها فقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحى فأدبر راجعا فقال: سبحان الله خنت أمانتك وعصيت ربك، ولم تصب حاجتك، قال: فندم على صنيعه فخرج يسيح في الجبال ويتوب إلى الله من ذنبه حتى وافى الثقفي فأخبرته أهله بفعله فخرج يطلبه حتى دل عليه فوافقه ساجدا، وهو يقول: رب ذنبي ذنبي قد خنت أخي، فقال له: يا فلان قم فانطلق إلى رسول الله ﷺ فاسأله عن ذنبك لعل الله أن يجعل لك فرجا وتوبة فأقبل معه حتى رجع إلى المدينة وكان ذات يوم عند صلاة العصر نزل جبريل ـ عليه السلام ـ بتوبته فتلى رسول الله ﷺ : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾[آل عمران: ١٣٥] إلى قوله: ﴿ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦].

فقال عمر: يا رسول الله أخاص هذا لهذا الرجل أم للناس عامة؟ قال: «بل

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٢٥٢). وقال ابن حجر في العجاب: قلت: وهو من رواية موسى بن عبد الرحمن الصنعاني وهو كذاب.

(٢) السابق.

للناس عامة».

وأخرج الواحدي(١) عن عطاء أن المسلمين قالوا: للنبي ﷺ أبنوا إسرائيل كانوا أكرم على الله منا كانوا إذا أذنب أحدهم أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه إجدع أذنك، إجدع أنفك افعل كذا فسكت النبي ﷺ فنزلت: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ**﴾[آل عمران: ١٣٥] فقال النبي ﷺ: «**ألا أخبركم بخير من ذلك؟** فقرأ هذه الآيات.

قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا**﴾[آل عمران: ١٣٩] الآية قال ابن عباس(٢): انهزم أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد فبينما هم كذلك إذ أقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل، فقال النبي ﷺ: «**اللهم لا يعلن علينا اللهم لا قوة لنا إلا بك، اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر**»، فأنزل الله تعالى هذه الآيات، وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم فذلك قوله تعالى: ﴿**وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ**﴾[آل عمران: ١٣٩].

قوله تعالى: ﴿**إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ**﴾[آل عمران: ١٤٠] الآية قال راشد بن سعد(٣): لما انصرف رسول الله ﷺ [٧٢ / أ] كئيبا حزينا يوم أحد جعلت المرأة تجيء بزوجها وابنها وهي تلدم فقال رسول الله ﷺ: «**أهكذا يفعل [٥٦ / ب] برسولك**» فأنزل الله تعالى: ﴿**إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ**﴾[آل عمران: ١٤٠].

قوله تعالى: ﴿**وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ**﴾[آل عمران: ١٤٠] أخرج ابن أبي حاتم(٤) عن عكرمة: لما أبطأ على النساء الخبر خرجن يستخبرن فإذا رجلان مقبلان على بعير، فقالت امرأة: ما فعل رسول الله ﷺ قالا حيٌّ، قالت: فلا

---

(١) السابق (ص٢٥٣).

(٢) أسباب النزول للواحدي (ص٢٥٣)، وأخرجه ابن جرير (٤ / ١٠٣).

(٣) أسباب النزول للواحدي (ص٢٥٤).

(٤) التفسير (٣ / ٧٧٤)، وقال ابن حجر في العجاب: هذا مرسل، رجاله من رجال البخاري.

أبالي، يتخذ الله من عباده الشهداء، ونزل القرآن على ما قالت: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾[آل عمران: ١٤٠].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ﴾[آل عمران: ١٤٣] أخرج بن أبي حاتم[١] من طريق العوفي عن ابن عباس أن رجالا من الصحابة كانوا يقولون: ليتنا نقتل قتل أصحاب بدر أو ليت لنا يوما كيوم بدر نقاتل فيه المشركين وننال فيه خيرا فلتمس فيه الشهادة والجنة والحياة والرزق فأشهدهم الله أحدا فلم يلبثوا إلا من شاء الله منهم فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾[آل عمران: ١٤٣] الآية.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾[آل عمران: ١٤٤] أخرج ابن المنذر[٢] عن عمر قال: تفرقنا عن رسول الله ﷺ يوم أحد، فصعدت الجبل فسمعت يهود تقول: قتل محمد، فقلت: لا أسمع أحدا يقول قتل محمد إلا ضربت عنقه، فنظرت فإذا رسول الله ﷺ والناس يتراجعون، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾[آل عمران: ١٤٤] الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم[٣] عن الربيع قال: لما أصابهم يوم أحد ما أصابهم من القرح وتداعوا نبي الله قالوا: قتل، فقال أناس: لو كان نبيا ما قتل، وقال أناس: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى يفتح الله عليكم، أو تلحقوا به، فأنزل الله ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾[آل عمران: ١٤٤] الآية.

أخرج البيهقي في «الدلائل» عن أبي نجيح أن رجلا من المهاجرين مر على رجل من الأنصار يتشحط في دمه، فقال: أشعرت أن محمدا قتل [فقال: إن كان محمدا قد قتل][٤] فقاتلوا على دينك، فنزلت.

وأخرج ابن راهويه في مسنده عن الزهري أن الشيطان صاح يوم أحد إن

---

(١) التفسير (٣ / ٧٧٦).

(٢) لم أقف عليه، لكن عزاه السيوطي في لباب النقول لابن المنذر (١ / ٥٩).

(٣) أخرجه ابن جرير (٤ / ١١١) وابن أبي حاتم (٣ / ٧٧٨).

(٤) سقط من أ.

محمدا قتل، قال كعب بن مالك: وأنا أول من عرف رسول الله ﷺ رأيت عينيه من تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: هذا رسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ﴾[آل عمران: ١٤٤] الآية.

قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾[آل عمران: ١٥١] قال السدي(١): لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين إلى مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم إنهم ندموا، وقالوا: بئس ما صنعنا، قتلناهم حتى إذا لم يبق منهم إلا شرذمة، تركناهم، ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله في قلوبهم الرعب حتى رجعوا عما هموا به، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾[آل عمران: ١٥٢] الآية قال محمد بن كعب القرظي(٢): لما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وقد أصيبوا بما أصيبوا يوم أحد، قال أناس من أصحابه: من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر، فأنزل الله [تعالى قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ﴾.. الآية إلى قوله](٣) ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٥٢] يعني الرماة الذين فعلوا ما فعلوا يوم أحد.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾[آل عمران: ١٥٤] الآيات [٧٣ / أ] أخرج ابن راهويه عن الزبير بن العوام قال(٤): لقد رأيتني يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا القوم فما منا إلا ذقنه في صدره فوالله إني لأسمع كالحكم قول معتب ابن قشير لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا فحفظتها فأنزل الله في ذلك: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾[آل عمران: ١٥٤] إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[آل عمران: ١٥٢].

---

(١) أسباب النزول للواحدي (ص٢٥٤) وأخرجه ابن جرير (٤ / ١١٢).

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٢٥٥).

(٣) سقط من أ.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٣ / ٧٩٥) وعزاه ابن حجر في العجاب (٢ / ٧٧) لابن راهويه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾[آل عمران: ١٦١] الآية أخرج الواحدي عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس[١] قال: فقدت قطيفة حمراء يوم بدر مما أصيب من المشركين، فقال أناس لعل النبي ﷺ أخذها فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾[آل عمران: ١٦١] قال [خصيف: فقلت: لسعيد بن جبير ما كان لنبي أن يغل قال:][٢] بل يغل ويقتل.

وأخرج عن ابن عباس[٣] أنه كان ينكر على من يقرأ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يُغَلَّ﴾[آل عمران: ١٦١] ويقول: كيف لا يكون له أن يغل وقد كان يقتل، قال الله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ﴾[آل عمران: ١١٢]، ولكن المنافقين اتهموا [٥٧/ب] النبي ﷺ في شيء من الغنيمة، فأنزل الله : ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾[آل عمران: ١٦١] .

وأخرج[٣] عن الضحاك قال: بعث رسول الله ﷺ غنيمة وقسمها بين الناس ولم يقسم للطلائع شيئا فلما قدمت الطلائع قسم النبي ﷺ [ولم يقسم] لنا فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾[آل عمران: ١٦١] ، قال سملة: قرأها الضحاك يغل.

وقال ابن عباس[٤] في رواية الضحاك: إن رسول الله ﷺ لما وقع في يده غنائم هوازن يوم حنين غله رجل بمخيط، فأنزل الله هذه الآية.

وقال قتادة[٥]: نزلت وقد غل طوائف من أصحابه.

وقال الكلبي ومقاتل[٦]: نزلت حين ترك الرماة المركز يوم أحد طلبا للغنيمة، وقالوا نخشى أن يقول رسول الله ﷺ : من أخذ شيئا فهو له، وأن لا

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٢٥٥).

(٢) السابق (ص٢٥٦).

(٣) السابق.

(٤) السابق (ص٢٥٧).

(٥) السابق.

(٦) السابق.

نقسم الغنائم كما لم تقسم يوم بدر، فقال النبي ﷺ: «**ظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم؟**» فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وروى عن ابن عباس: أن أشراف الناس استدعوا رسول الله ﷺ أن يخصهم بشيء من الغنائم، فنزلت هذه الآية انتهى كلام الواحدي.

واعلم أن (يغل) فيه قراءتان صحيحتان [سبعيتان] فتح الياء وضم الغين بالبناء للفاعل وضم الياء وفتح الغين بالبناء للمفعول.

ومعنى الثانية وما كان لنبي أن يغل؛ أي ينسب للغلول والخيانة فاتحد معناهما خلافا لابن عباس للقراءة الثانية بناء على اختلاف معناهما.

قوله تعالى: ﴿**أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ**﴾[آل عمران: ١٦٥]، الآية أخرج ابن أبي حاتم(١) عن عمر بن الخطاب قال: عوقبوا يوم أحد بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفر أصحاب النبي ﷺ وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه، فأنزل الله : ﴿**أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ**﴾[آل عمران: ١٦٥] الآية.

قوله: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا**﴾[آل عمران: ١٦٩] أخرج الواحدي(٢) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي [٧٤ / أ] إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم**»، قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا في الحرب، فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم، فأنزل

---

(١) لم أقف عليه عنده، لكن عزاه إليه السيوطي في لباب النقول (ص٦٠) وقد نقله عنه المصنف هكذا.

(٢) أسباب النزول (ص٢٥٨).

وقد أخرجه أحمد (٢٣٨٨)، وأبو يعلى (٢٣٣١)، وابن أبي شيبة (١٩٣٣٢)، وعبد بن حميد (٦٧٩)، وإسناده حسن.

الله : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[آل عمران: ١٦٩]. وأخرج(١) عن جابر بن عبد الله قال: نظر إلي رسول الله ﷺ فقال: «مالي أراك مهتما؟» قلت: يا رسول الله قتل أبي وترك دينا وعيالا، فقال: «ألا أخبرك ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك كفاحا» فقال: يا عبدي سلني أعطيك، قال: [أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية فقال له: قد سبق مني أنهم لا يرجعون، قال: يا رب فبلغ من ورائي» فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] [وأخرج عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ ﴾](٢) قال: لما أصيب حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير يوم أحد رأوا ما رزقوا من الخير، قالوا: ياليت إخواننا يعلمون ما أصبنا من الخير لكي يزدادوا في الجهاد رغبة، فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾ [آل عمران: ١٦٩] إلى قوله: ﴿ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران: ١٧١].

وقال أبو الضحى: نزلت هذه الآية في أهل أحد خاصة، وقال: جماعة من أهل التفسير(٣) : نزلت الآية في شهداء بئر معونة وقصتهم مشهورة.

وقال آخرون(٤): إن أولياء الشهداء كانوا إذا أصابهم نعمة أو سرور تحسروا وقالوا: نحن في النعمة والسرور وآباؤنا وإخواننا في القبور، فأنزل الله هذه الآية. [تنفيسا عنهم وإخبارا عن حال قتلاهم](٥).

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾[آل عمران: ١٧٢] أخرج ابن جرير(٦) من طريق العوفي عن ابن عباس قال: إن الله قذف في قلب أبي سفيان

(١) السابق (ص٢٦٠). (٢) سقط من أ.
(٣) أسباب النزول للواحدي (ص٢٦٠).
(٤) السابق. (٥) سقط من أ.
(٦) التفسير (٤ / ١٧٧)، وابن أبي حاتم (٥ / ١٦٦).

الرعب يوم أحد بعد الذي كان منه فرجع إلى مكة فقال النبي ﷺ : «**إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفا وقد رجع وقذف الله في قلبه الرعب**»، وكانت وقعة أحد في شوال، وكانت التجار يقدمون المدينة في ذي القعدة فينزلون ببدر الصغرى، وإنهم قدموا بعد وقعة أحد، وكان أصاب المؤمنين القرح، واشتكوا ذلك، فندب النبي ﷺ الناس لينطلقوا معه فجاء الشيطان فخوف أولياؤه فقال: ﴿**إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لكم**﴾ [آل عمران: ١٧٣] فأبى عليه الناس أن يتبعوه فقال: إني ذاهب وإذ لم يتبعني، أحد فانتدب معه أبو بكر، وعمر، وعثمان وعلي، الزبير، وسعد وطلحة وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة ابن اليمان، وأبو عبيدة بن الجراح، في سبعين رجلا، فساروا في طلب أبي سفيان وطلبوه حتى إذا بلغوا الصفراء فأنزل الله : ﴿**الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ [آل عمران: ١٧٢] الآية.

وأخرج الطبراني بسند صحيح[1] عن ابن عباس قال: لما رجع المشركون من أحد قالوا: لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم بئس ما صنعتم ارجعوا فسمع رسول الله ﷺ بذلك فندب المسلمين فانتدبوا حتى بلغ حمراء الأسد وبئر أبي عتبة، فأنزل الله ﴿**الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ [آل عمران: ١٧٢] الآية، وقد كان أبو سفيان قال النبي ﷺ [٧٥ /أ] موعدكم بدر حيث قتلتم أصحابنا.

فأما الجبان فرجع وأما الشجاع فأخذ أهبة القتال والتجارة فأتوه فلم يجدوا به أحدا وتسوقوا، فأنزل الله: ﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل﴾ الآية.

وأخرج ابن مردويه [2] عن أبي رافع أن النبي ﷺ وجه عليا في نفر معه في

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي في الكبرى (١١٠٨٣)، والطبراني في الكبير (١١٦٣٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣ / ٨١٦).
قال الهيثمي في المجمع (١٠١١٣): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، غير محمد بن منصور الجواز وهو ثقة.

(٢) انظر الدر المنثور (٢ / ٣٨٩)، ولباب النقول (ص٦١)، كلاهما للسيوطي، وتفسير ابن كثير (١ / ٤٣١).

طلب أبي سفيان، فلقيهم أعرابي من خزاعة فقال: إن القوم قد جمعوا لكم قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، فنزلت فيهم هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿**مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ**﴾[آل عمران: ١٧٩]، قال السدي: قال رسول الله ﷺ: «**عرضت على أمتي في صورها كما عرضت على آدم وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفر، ونحن معه ولا يعرفنا**» فأنزل الله هذه الآية.

وقال الكلبي: قالت قريش: تزعم يا محمد أن من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان، وأن من اتبعك علي دينك فهو من أهل اجنة والله عنه راض؟ فأخبرنا بمن يؤمن بك ومن لا يؤمن بك فأنزل الله هذه الآية.

وقال أبو العالية: سأل المؤمنون أن يعطوا علامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾ [آل عمران: ١٨٠] الآية جمهور المفسرين على أنها نزلت في مانعي الزكاة.

وروى عطية عن ابن عباس أن الآية نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا صفة النبي ﷺ ونبوته، وأراد بالبخل كتمال العلم الذي أتاهم الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ**﴾[آل عمران: ١٨١] الآية أخرج ابن إسحاق وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: دخل أبو بكر المدراس فوجد يهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص، فقال فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، ولو كان غنيا عنا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، فغضب أبو بكر فضرب وجهه، فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: «**يا محمد انظر ما صنع صاحبك بي، فقال: يا أبا بكر ما حملك على ما صنعت**»، قال: يا رسول الله قال قولا عظيما: يزعم أن الله فقير، وأنهم عنه أغنياء فجحد فنحاص، فأنزل الله: ﴿**لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ**

الَّذِينَ قَالُوا ﴾(١)[آل عمران: ١٨١] وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: أتت اليهود النبي ﷺ حين أنزل الله: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة: ٢٤٥] فقالوا: يا محمد افتقر ربك يسأل عباده؟ [٥٩ / ب] فأنزل الله: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ ﴾[آل عمران: ١٨١] الآية.

قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ ﴾[آل عمران: ١٨٣] الآية قال الكلبي(٢): نزلت في كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهود، وزيد بن تابوه، وفي فنحاص بن عازوراء وحيي بن أخطب أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: تزعم أن الله بعثك إلينا رسولا، وأنزل عليك كتابا؟

وإن الله عهد إلينا في التوراة أن لا نؤمن برسول يزعم أنه من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار فإن جئتنا به صدقناك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ﴾ [آل عمران: ١٨٦] [٧٦ / أ] أخرج ابن أبي حاتم(٣) وابن المنذر بسند حسن عن ابن عباس أنها نزلت فيما كان بين أبي بكر وفنحاص من قوله: إن الله فقير ونحن أغنياء.

وذكر عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك: نزلت في كعب بن الأشرف فيما كان يهجو به النبي ﷺ وأصحابه من الشعر.

قوله تعالى: ﴿ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ﴾[آل عمران: ١٨٨] روى الشيخان(٤) وغيرهما من طريق حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن مروان قال:

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٢٦٤)، وقد أخرجه ابن جرير (٤ / ١٩٤) وابن أبي حاتم (٣ / ٢٢٩).

(٢) الواحدي (ص٢٦٥).

(٣) التفسير (٣ / ٨٢٩).

(٤) البخاري (٤٢٩٢)، ومسلم (٢٧٧٨).

لبوابه اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرء منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لتعذبن أجمعون، فقال ابن عباس: وما لكم وهذه إنما أنزلت هذه الآية في أهل الكتاب سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فخرجوا قد أروه أنهم أخبروه بما سألهم عنه واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أوتوا من كتمان ما سألهم عنه .

وأخرج الشيخان[١] عن أبي سعيد الخدري أن رجالا من المنافقين كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو وتخلفوا عنه فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ فإذا قدم اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿ **لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا** ﴾[آل عمران:١٨٨] الآية .

وأخرج عبد[٢] في تفسيره عن زيد بن أسلم أن رافع بن خديج وزيد بن ثابت كانا عند مروان، فقال مروان: يا رافع في أي شيء نزلت هذه الآية: ﴿ **لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا** ﴾[آل عمران:١٨٨].

قال رافع: أنزلت في ناس من المنافقين كانوا إذا خرج النبي ﷺ اعتذروا وقالوا: ما حبسنا عنك إلا الشغل فلوددنا أنا كنا معكم فأنزل الله فيهم هذه الآية، فكأن مروان أنكر ذلك، فجذع رافع من ذلك، فقال زيد بن ثابت: أنشدك بالله هل تعلم ما أقول؟ قال: نعم.

قال الحافظ ابن حجر: يجمع بين هذا وبين قول ابن عباس: بأنه يمكن أن تكون نزلت في الفريقين معًا قال : وحكى الفراء أنها نزلت في قول اليهود نحن أهل الكتاب الأول والصلاة والطاعة، ومع ذلك لا يقرون بمحمد.

وروى ابن أبي حاتم من طرق عن جماعة من التابعين نحو ذلك ورجحه بن جرير، ولا مانع أن تكون نزلت في كل ذلك انتهى.

---

(١) البخاري (٤٢٩١)، ومسلم (٢٧٧٧).

(٢) انظر لباب النقول للسيوطي (ص٥١).

وقال الضحاك(١): كتب يهود المدينة إلى يهود العراق واليمن ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الأرض كلها أن محمدا ليس نبي الله فابقوا على دينكم واجمعوا كلمتكم على ذلك، فأجمعت كلمتهم على الكفر بمحمد والقرآن ففرحوا بذلك، وقالوا: الحمد لله الذي جمع كلمتنا، ولم نتفرق ولم نترك ديننا، وقالوا: نحن أهل الصوم والصلاة، ونحن أولياء الله تعالى فذلك قول الله تعالى: ﴿**يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا**﴾ [آل عمران:١٨٨] ؛ أي : بما فعلوا، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، يعني بما ذكروا من الصوم والصلاة والعبادة .

قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [آل عمران: ١٩٠] أخرج الطبراني وابن أبي حاتم(٢) عن ابن عباس قال: أتت قريش اليهود، فقالوا: ما جاءكم موسى به من الآيات قالوا: عصاة ويده بيضاء للناظرين، وأتوا النصارى، فقالوا: [٧٧ /أ] كيف كان عيسى؟ قالوا: يبري الأكمه والأبرص [٦٠ /ب] ويحيي الموتى، فأتوا النبي ﷺ فقالوا: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبا فدعا ربه، فنزلت هذه الآية: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾[آل عمران: ١٩٠] فليتفكروا فيها .

قوله تعالى: ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ**﴾ [آل عمران:١٩٥] أخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور والترمذي والحاكم وابن أبي حاتم عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله : ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ**﴾ [آل عمران:١٩٥] إلى آخر

(١) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٢٦٩).

(٢) ضعيف جدا: أخرجه الطبراني في الكبير (١٢٣٢٢) وابن جرير (٢ / ٦٢)، وابن أبي حاتم (٣ / ٨٤)، قال الهيثمي في المجمع (٣ / ١٠٩).

رواه الطبراني وفيه يحيى الحماني وهو ضعيف.

وقال ابن كثير في تفسيره (١ / ٥٨٠): وهذا مشكل فإن هذه الآية مدنية وسؤالهم أن يكون الصف ذهبا كان بمكة، والله أعلم.

الآية.

قوله تعالى: ﴿**لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ**﴾[آل عمران: ١٩٦] نزلت في مشركي مكـة، وذلك أنهم كانوا في رخاء ولين من العيش، وكـانوا يتجرون ويتمتعون، فقال بعض المؤمنين: إن أعـداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد، فنزلت هذه الآية(١).

قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ**﴾[آل عمران: ١٩٦] قال جابر بن عبد الله وأنس وابن عباس وقتادة (٢) ﷺ : نزلت في النجاشي، وذلك أنه لما مات نعاه جبريل ـ عليه السلام ـ لرسول الله ﷺ في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله ﷺ لأصـحابه: «**اخرجوا فصلوا على أخ لـكم مات بغير أرضكم**»، فقالوا: من هو؟ فقال: «**النجاشي**»، فخرج رسول الله ﷺ إلى البقيع وكشف له من المدينة إلى أرض الحـبـشة فـأبصر سـرير النجـاشي وصلى عليـه وكبـر أربع تكبيرات، واستغفر له، وقال لأصحابه : «**استغفروا له**» ، فقال المنافقون: انظروا إلى هذا يصلي على علج حـبشي نصراني لم يره قط، ولـيـس علي دينه، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وأخرج الـواحدي(٣) عن أنس قال: قال نـبي الله ﷺ لأصحابه: «**قومـوا فصلوا على أخـيكم النجاشي**» فقال بعضـهـم لبعض: يأمرنا أن نصلي على علج من الحبشة، فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ**﴾ [آل عمران: ١٩٩].

---

(١) صحيح: أخرجه الترمـذي (٣٠٢٣)، والحاكم (٣١٧٤)، والطبراني في الكبير (٦٥١)، وأبو يعلى (٦٩٥٨) والحميدي (٣٠١)، وابن جرير (٣ / ٥٥٥).
قال الحاكم: صحيح على شرط البخاري وثم يخرجاه.
ووافقه الذهبي.
وقال الألباني صحيح لغيره
(٢) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٢٧١).
(٣) السابق.

وقال مجاهد وابن جريج وابن زيد [١] : نزلت في مؤمني أهل الكتاب كلهم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠] قال أبو سلمة[٢]: لما فرضت الصلاة ولم يكونوا معتاديها ولم يكن إذ ذاك غزو يرابط فيه شق عليهم ذلك فنزلت.

قال في «الدر»[٣]: أخرج ابن مردويه عن سلمة بن عبد الرحمن قال: أقبل على أبو هريرة يومًا فقال: تدري يا ابن أخي فيما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] قلت: لا، قال: أما أنه لم يكن في زمان النبي ﷺ غزو يرابطون فيه، ولكنها نزلت في قوم يعمرون المساجد يصلون الصلاة في مواقيتها ثم يذكرون الله فيها ففيهم أنزلت؛ أي: اصبروا على الصلوات الخمس، وصابروا أنفسكم وهواكم، رابطوا في مساجدكم، واتقوا الله فيما عليكم لعلكم تفلحون .

وأخرج ابن مردويه [٤] عن أبي أيوب قال: وقف علينا رسول الله ﷺ فقال: «**هل لكم إلى ما يمحو الله تعالى به الذنوب ويعظم به الأجر**» [٧٨ / أ]؟ قلنا: نعم يا رسول الله، قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة**»، قال: وهو قول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾[آل عمران: ٢٠٠] فذلكم الرباط في المساجد.

---

(١) السابق (ص٢٧٢).

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٢٧٢).

وقد أخرجه الحاكم (٣١٧٧)، والبيهقي في اشعب (٢٨٩٧)، وابن المبارك في الزهد (٤٠٨)، وابن جرير في تفسيره (٣ / ٥٦١)، وإسناده ضعيف.

ففيه مصعب بن ثابت وهو لين الحديث.

قال ابن حجر في العجاب (٢ / ٨٢٣): قلت: أورده الواحدي وليس من شرطه.

وقال الألباني في ضعيف الترغيب (٢٤٠): ضعيف.

(٣) انظر الدر المنثور للسيوطي (٢ / ٤١٧). (٤) السابق.

الفصل الثاني
في بيان المنسوخ من سورة آل عمران

وهو أربع أيات:

الأولى: ﴿ **فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ** ﴾[آل عمران: ٢٠]. . . نسخها: ﴿ **وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[النحل: ١٢٥] على قول قتادة أن النحل مدنية، والجمهور على أن هذه الآية محكمة بناء على أن النحل مكية وأن: ﴿ **أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ** ﴾[آل عمران: ٢٠] من المجادلة بالأحسن.

وأما قوله: ﴿ **فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ** ﴾[النحل: ٨٢] فمنسوخة بآية السيف، والجمهور على أنها محكمة.

الثانية: ﴿ **إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً** ﴾[ال عمران:٢٨] منسوخة بآية السيف، والصحيح أنها محكمة فيمن أكره على كلمة الكفر فيتلفظ بلا نية كقوله: ﴿ **إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ** ﴾[النحل: ١٠٦].

الثالثة: ﴿ **آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا** ﴾[٦١ / ب] [آل عمران: ٤١] قيل منسوخة بقوله ـ عليه السلام ـ لا صُمت يوماً إلى الليل، باعتبار أن شرع من قبلنا [شرعنا، والجمهور على أنها محكمة باعتبار أن شرع من قبلنا](١) ليس شرع لنا.

الرابعة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ** ﴾[آل عمران: ١٠٢] لما نزلت هذه الآية لم يعلموا تأويلها، فقالوا: يا رسول الله ما حق تقاته، فقال ﷺ: «**أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر**»، فقالوا: يا رسول الله ومن يطيق ذلك، وانزعجوا لنزولها انزعاجاً عظيماً، ثم أنزل بعدها آية تؤكد حكمها، وهي: ﴿ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ** ﴾[الحج: ٧٨] فكان هذا أعظم

---

(١) سقط من أ.

عليهم من الأول.

ومعناها اعلموا الله حق علمـه، فكادت قلوبهم تذهل، فلما علم الله تعالى ما نزل بهم من هذا الأمر يسر وخفف بالآيـة التي في سورة التغابن، وهي قوله تعـالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾[التغابن: ١٦]، فكـانت ناسخة للآيتين.

وقال ابن عـباس في رواية وطاووس والسـدي: إنها مـحكمة، فمـعنى حق تقاته: بذل الطاقة في الطاعة، وهو مقدور، فتكون آية التغابن مبينة لا ناسخة.

الفصل الثالث
في المتشابه من سورة آل عمران

قوله: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾[آل عمران:٣] إن قلت: كيف قال: هنا نزل [ثم قال (وأنزل)][(١)] مرتين؟ قلت: للاحتراز عن كثرة التكرار، وخص المشدد بالأول لمناسبته مصدقا.

وقيل: لأن القرآن نزل منجماً، والتوراة والإنجيل نزل جملة واحدة، فحيث عبر فيه بنزل أريد الأول، أو أنزل أريد الثاني.

ورد الأول بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان:٣٢] والثاني بقوله: ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾[آل عمران:٤] إن أريد به القرآن، وبقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ﴾[آل عمران:٧] وبقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة:٤].

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾[آل عمران:٥] قدم الأرض على السماء هنا، وفي موضع من يونس، وإبراهيم، وطه، والعنكبوت عكس الغالب في سائر الآيات لأن المخاطبين في الخمس كائنون في الأرض فقط بخلافهم في غيرها، كذا قيد.

فما هنا أحد الخمس.

وثانيها: بيونس في قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ [يونس: ٦١].

وثالثها: بإبراهيم: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾[إبراهيم:٤٨].

ورابعها: بطه: ﴿تَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾[طه:٤][٧٩ / أ].

(١) سقط من أ.

وخامسها: بالعنكبوت: ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴾ [العنكبوت: ٢٢].

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾[آل عمران: ٩] قاله: بلفظ الغيبة، وقال في آخر السورة: ﴿إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾[آل عمران: ١٩٤] بلفظ الخطاب لأن ما هنا متصل بما قبله، وهو قوله: ﴿إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ ﴾ [آل عمران: ٩] اتصالا لفظيا فقط، وما في آخرها متصل بما قبله، وهو قوله: ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾[آل عمران: ١٩٤] اتصالا لفظيا ومعنويا لتقدم لفظ الوعد.

قوله: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ﴾[آل عمران: ١١] كان القياس: ﴿فأخذناهم﴾ لكن لما عدل في الآية أيضاً لكون الآيات على منهج واحد.

قوله: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾[آل عمران: ١٨] ثم كرر في آخر الآية، فقال: ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[آل عمران: ١٨] لأن الأول جرى مجرى الشهادة وأعاده ليجري الثاني مجرى الحكم بصحة ما شهد به الشهود.

قوله: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾[آل عمران: ٢٨] كرره توكيداً للوعيد والأحسن كما قال التفتازاني: ما قيل أن ذكره أولا: للمنع من موالاة الكافرين، وثانياً: للحث على عمل الخير والمنع من عمل الشر.

قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾[آل عمران: ٤٠] قدم في هذه السورة ذكر الكبر وأخر ذكر المرأة، وقال في سورة مريم: ﴿وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا﴾ فقدم ذكر المرأة وأخر ذكر الكبر لأن في مريم قد تقدم ذكر الكبر في قوله:][١] ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤] وتأخر ذكر المرأة في قوله: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾ [مريم: ٥] ثم أعاد ذكرهما، فأخر ذكر الكبر ليوافق عتيا ما بعده من

(١) سقط من أ.

الآيات [٦٢ / ب]، وهي سويا وعتيا وصلياً.

قوله: ﴿ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾[آل عمران: ٤٠] قال في حق زكريا يفعل، وفي حق مريم نعد يخلق مع اشتراكهما في بشارتهما بولد لأن استبعاد زكريا لم يكن لأمر خارق ، بل نادر بعيد فحسن التعبير بيفعل، واستبعاد مريم كان لأمر خارق فكان ذكر الخلق أنسب.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ ﴾[آل عمران: ٤٢] كرر اصطفاك لأن اصطفاك الأول للعبادة التي هي خدمة بيت المقدس، وتخصيص مريم بقبولها في النذر مع كونها أنثى، والاصطفاء الثاني لولادة عيسى.

قوله: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ﴾[آل عمران:٤٧] وفي مريم قالت رب أنى يكون لي غلام﴾ لأن في هذه السورة تقدم ذكر المسيح، وهو ولدها، وفي مريم تقدم ذكر الغلام حيث قال: ﴿ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا ﴾ [مريم:١٩].

قوله: ﴿ فَأَنفُخُ فِيهِ ﴾[آل عمران:٤٩]، وفي المائدة: ﴿فيها﴾ [المائدة: ١١٠] قبل الضمير في هذه السورة يعود إلى الطير، وقيل إلى الطين، وقيل إلى المهيأ، وقيل إلى الكاف، فإنه في معنى مثل، وفي المائدة يعود إلى الهيأة، وهذا جواب التذكير والتأنيث لا جواب التخصيص، وإنما الكلام وقع في التخصيص، وهل يجوز أن يكون كل واحد منهما مكان الآخر أم لا؟ فالجواب أن يقال في هذه السورة إخبار قبل الفعل فوحده، وفي المائدة خطاب من الله له يوم القيامة، وقد سبق من عيسى عليه السلام الفعل مرات، والطير صالح للواحد وصالح للجمع.

قوله : ﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران:٤٩] ذكر في هذه السورة مرتين، وقال في المائدة: ﴿ بإذني﴾ [المائدة: ١١٠] أربع مرات لأن ما في هذه السورة كلام عيسى فما تصور أن يكون من فعل [٨٠ / أ] البشر إضافة إلى نفسه، وهو الخلق الذي

معناه التقدير والنفخ الذي هو إخراج الريح من الفم، وما يتصور إضافته إلى الله، وهو قوله فيكون طيراً بإذن الله وإبراء الأكمه والأبرص مما يكون في طوق البشر، فإن الأكمه عند بعض المفسرين الأعمش، وعند بعضهم الأعشى، وعند بعضهم الذي يولد أعمى.

وإحياء الموتى من فعل الله تعالى فأضافه إليه، وفي المائدة من كلام الله سبحانه وتعالى فأضاف جميع ذلك إلى صنعه إظهارا لعجز البشر، وأن فعل العبد مخلوق لله تعالى يعود إلى الأفعال الثلاثة، وكذلك الثاني إلى الثلاثة الأخرى.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ [آل عمران: ٥١] وكذلك ﴿ربي وربكم﴾ [مريم: ٣٦] وفي الزخرف في هذه القصة: ﴿الله هو ربي﴾[الزخرف: ٦٤] بزيادة هو.

قال الشيخ: إذا قلت: زيد قائم، يحتمل أن يكون تقديره وعمرو قائم، فإذا قلت: زيد هو القائم خصصت القائم به فهو كذلك في الآية، هذا مثاله لأن (هو) يذكر في مثل هذه المواضع إعلاما أن المبتدأ مقصور على هذا الخبر، وهذا الخبر مقصور عليه دون غيره.

والذي في آل عمران وقع بعد عشر آيات نزلت في قصة مريم وعيسى، فحينئذ استغنت عن التأكيد بما تقدم من الآيات والدلالات على أنه سبحانه ربه وخالقه، لا أبوه ووالده كما زعمته النصارى.

وكذلك [في سورة مريم وقع بعد عشرين آية من قصتها، وليس كذلك] (١) ما في الزخرف فإنه ابتداء كلام منه فحسن التأكيد بقوله: (هو) ليصير المبتدأ مقصورا على الخبر المذكورة في الآية ، وهو إثبات للربوبية، ونفي الأبوية،

---

(١) سقط من أ.

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قوله: ﴿ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران: ٥٣] في هذه السورة، وفي المائدة: ﴿ بأننا ﴾[المائدة: ١١] لأن ما في أول المائدة أول كلام الحواريين فجاء على الأصل، وما في هذه السورة تكرار لكلامهم فجاز فيه التخفيف، لأن التخفيف فرع والتكرار فرع، والفرع بالفرع أولى.

قوله: ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا [تكن] ﴾ في هذه السورة وفي البقرة ﴿ فَلا تَكُونَنَّ ﴾](١) [البقرة: ١٤٧] لأن ما في هذه السورة جاء على الأصل، وإن لم يكن فيها ما أوجب إدخال نون التوكيد في الكلمة بخلاف سورة البقرة فإن فيها في أول القصة: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾[البقرة: ١٤٤] بنون التوكيد فأوجب الازدواج إدخال [٦٣ /ب] النون في الكلمة فيصير التقدير ﴿ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾ [البقرة: ١٤٤] ﴿ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾[البقرة: ١٤] والخطاب في الآيتين للنبي ﷺ والمراد به غيره.

﴿ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ ﴾[آل عمران: ٧٣] هذه السورة، وفي البقرة: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ﴾[البقرة: ١٢٠] في هذه السورة هو الدين، وقد تقدم في قوله: ﴿لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾[آل عمران: ٧٣] هدى الله الإسلام فكأنه قال بعد قولهم: ﴿وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ﴾[آل عمران: ٧٣] ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران: ١٩] كما سبق في أول السورة.

والذي في البقرة معناه القبلة لأن الآية نزلت في تحويل القبلة، وتقديره قل: إن قبلة الله هي الكعبة.

قوله: ﴿مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾[آل عمران: ٩٩]، ليس هنا (به) ولا واو العطف وفى الأعراف ﴿ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا ﴾ [الأعراف : ٨٦] بزيادة (به)، وواو العطف لأن القياس في من آمن به كما في الأعراف لكنها حذفت في هذه السورة موافقة لقوله: ﴿ومن كفر ﴾ [ق ٨١ /أ] [آل عمران: ٩٧] فإن القياس فيه

(١) سقط من أ.

أيضا بـه، وقوله: ﴿تَبْغُونَها عِوَجًا﴾[آل عمـران:٩٩] هنا حال والواو لا تزاد في الفعل إذا وقع حـالا نحو قوله: ﴿وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾[المدثـر:٦] دابة الأرض، تأكل وغيـر ذلك، وفي الأعراف عطف على الحال، والحـال قوله: ﴿توعـدون وتصـدون﴾[الأعـراف:٨٦] عطف عليـه، وكـذلك ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾[آل عمران:٩٩].

قـوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾[آل عمران: ١١٠] إن قلت: كـيف قال ذلك ولم يقل أنتم خير أمة؟

قلت: لأن معناه كنتم في سابق علم الله، أو في يوم أخذ الميثاق على الذرية فأعلم بذلك أن كونهم خيـر أمة صفة أصلية فيهم لا عارضـة متجددة، أو معنى كنتم وجدتم بجعل كان تامة.

قـوله: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾[آل عمـران: ١١٠] إن قلت: كيف قال ذلـك مع أن غير الإيمان لا خير فـيه حتى يقال: إن الإيمان خـير منه؟ قلت: ليس (خيرا) هنا أفعل تفضيل، بل هو خير أو وهو أفعل التفضيل وإيمانهم بمحمد ﷺ مع إيمانهم بموسى وعيسى خير من إيمانهم بموسى وعيسى فقط.

قـوله: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ﴾[آل عمـران:١١٧] أي: حر أو برد شديد.

قـــوله: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠] وصـف الحسنة بالمس والسيئـة بالإصابة توسعة في العبارة، وإلا فهما بمعنى واحـد في الأمرين، قال تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾[التوبـة: ٥٠] وقال: ﴿ما أصـابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ وقـال:][(١)] ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ [المعارج : ٢٠] ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ٢١].

(١) سقط من أ.

قوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦] هنا بإثبات لكم وتأخير به وحذف إن الله، وفي الأنفال بحذف لكم وتقديم به وإثبات أن الله لأن البشرى للمخاطبين فبين وقال لكم، وفي الأنفال قد تقدم لكم في قوله: ﴿فاستجاب لكم﴾[الأنفال: ٩].

فاكتفى بذلك وقدم قلوبكم وأخر به ازدواجا بين المخاطبين، فقال: ﴿إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ﴾[آل عمران: ١٢٦]، وقدم به في الأنفال أزدواجاً بين الغائبين، فقال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ﴾[الأنفال: ١٠] وحذف إن الله هنا لأن ما في الأنفال قصة بدر، وهي سابقة على ما في هذه السورة، فإنها قصة أحد، فأخبر هناك بـ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[الأنفال: ١٠] فاستقر الخبر وجعله في هذه السورة صفة لأن الخبر قد سبق.

قوله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[آل عمران: ١٣٣] أي: إلى أسبابها كالتوبة، إن قلت: كيف قال ذلك، وقد روى عن النبي ﷺ أنه قال: **العجلة من الشيطان والتأني من الرحمن؟**

قلت: استثنى منه بتقدير صحته التوبة وقضاء الدين الحال وتزويج البكر البالغ ودفن الميت وإكرام الضيف.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾[آل عمران: ١٣٥] صرح بذكر الفاحشة مع دخولها في ظلم النفس لأن المراد بها نوع من أنواع ظلم النفس وهو الزنا، أو كل كبيرة، وخص بهذا الاسم تنبيها على زيادة قبحه.

قوله تعالى: [٨٢ / أ] ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾[آل عمران: ١٣٥]، أي: يسترها، فإن قلت كيف قال ذلك مع أنه قال: ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ [٦٤ / ب]، وقال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾[الجاثية: ١٤].

قلت: معناه ومن يغفر الذنوب في جميع الوجوه إلا الله، وهذا لا يوجد

غيره.

وقوله: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[آل عمران:١٣٦] ذكره بواو العطف هنا وتركها في العنكبوت لوقوع مدخولها هنا بعد خبرين متعاطفين بالواو فناسب عطفه بها ربطا بخلاف ما في العنكبوت إذ لم يقع قبل ذلك إلا خبر واحد كنظيره في الأنفال في قوله: ﴿نعم المولي﴾.

قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[آل عمران: ١٤٠] معطوف على مقدر، والتقدير: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[آل عمران: ١٤٠] ليتعظوا وليعلم الله الذين آمنوا.

قوله: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[آل عمران:١٦١]، إن قلت: كيف قال ذلك وقال: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الأنعام: ١٩٤].

قلت: معناه يأت به مكتوبا في ديوانه، أو يأت به حاملا إثمه، ومعنى فرادى: منفردين عن أهل ومال وشركاء ينتصرون بهم.

قوله: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ﴾[آل عمران:١٦٣] أي: ذووا درجات، فإن قلت: الضمير في هم يعود على الفريقين وأهل النار لهم دركات لا درجات؟

قلت: الدرجات تستعمل في الفريقين قال تعالى: ﴿ ولك درجات مما عملوا﴾[الأنعام:١٦٣] وإن افترقا عند المقابلة في قولهم المؤمنون في درجات والكفار في دركات.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[آل عمران:١٨٢] قاله: هنا بجمع اليد لأنه نزل في قوم تقدم ذكرهم، وقاله في الحج بتثنيتها لأنه نزل في النضر بن الحارث، أو في أبي جهل والواحد ليس له إلا يدان.

قوله: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾[آل عمران:١٨٤] [جواب الشرط محذوف إذ لا يصلح قوله فقد كذب رسل من قبلك](١) جوابا له لأنه

(١) سقط من أ.

سابق عليه والتقدير ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ ﴾ فتأس بمن كذب من الرسل قبلك، فهو من إقامة السبب مقام المسبب.

قوله: ﴿ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾[آل عمران: ١٨٤] هنا بباء واحدة إلا في قراءة ابن عامر، وفي فاطر بالبينات وبالزبر وبالكتاب بثلاث باءات لأن ما في هذه السورة وقع في كلام مبني على الاختصار، وهو إقامة لفظ الماضي في الشرط مقام لفظ المستقبل، ولفظ الماضي أخف وبناء الفعل للمجهول فلا يحتاج إلى ذكر الفاعل، وهو قوله: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ ﴾ [آل عمران: ١٨٤] فلذلك حذفت الباءات(١) فيكون على نسق واحد.

قوله: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾[آل عمران: ١٨٥] أجسادها إذ النفس لا تموت، ولو ماتت لما ذاقت الموت، فمحال موتها لأن الحياة شرط في الرزق وسائر الإدراكات، وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[الزمر: ٤٢] معناه حين تموت أجسادها.

قوله: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ﴾[آل عمران: ١٩٢] إن قلت: هذا يقتضي خزي كل من يدخلها، وقوله: ﴿ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ [التحريم: ٨] يقتضي انتفاء الخزي عن المؤمنين فلا يدخلون النار؟

قلت: أخزى في الأول من الخزي وهو الإذلال والإهانة [٨٣ /أ] وفي الثانية من الخزاية، وهي النكال والفضيحة وكل من يدخل النار يذل، وليس كل من يدخلها ينكل به، فالمراد بالخزي في الأول : الخلود، وفي الثاني: التطهير وبقدر ذنوب الداخل.

قوله: ﴿ وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾[آل عمران: ١٩٤] أي: على ألسنتهم، فإن قلت: ما فائدة الدعاء مع علمهم أنه لا يخلف الميعاد؟

---

(١) ليوافق الأول في الاختصار، بخلاف ما في فاطر فإن الشرط فيه بلفظ المستقبل، والفاعل مذكور مع الفعل وهو قوله: ﴿وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم﴾ ثم ذكر بعدها الباءات..

قلت: فائدته العبادة لأن الدعاء عبادة، مع أن الوعد من الله للمؤمنين عام يجوز أن يراد به الخصوص، فسألوا الله أن يجعلهم ممن أرادهم بالوعد.

قوله: ﴿ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ﴾[آل عمران:١٩٧] هنا، وفي غيرها ومأواهم جهنم لأن ما قبلها في هذه السورة ﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ ﴾[آل عمران:١٩٦]، ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾[آل عمران:١٩٧] أي: ذلك متاع في الدنيا قليل، والقليل يدل على تراخ وإن صغر [٦٥ /ب] وقل، وثم للتراخي فكان طبقا له والله أعلم.

خاتمة

ذكر في فضلها أخبار في القرطبي[1] وأثار

فمنها: أنها أمان من الحيات، وكنزل للصعلوك، وأنها تحاج عن قارئها في الآخرة، ويكتب لمن قرأ آخرها في ليلة كقيام ليلة.

ومنها: ما روى عن مكحول قال: من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلت عليه الملائكة إلى الليل.

منها: ما روى من حديث عن النبي ﷺ قال: «**من قرأ عند منامه: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾**[آل عمران: ١٩] **الآية خلق الله منها سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة**».

وقال كعب الأحبار من أراد أن لا يتخم من طعام أو شراب فليقرأ إذا أطعم: **﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾**[آل عمران: ١٢٨] فإنه لا يتخم إن شاء الله تعالى.

ومنها: ما روى من حديث علي ﷺ عن النبي ﷺ: أنه قال: «**ما أراد الله تعالى أن ينزل فاتحة الكتاب، وآية الكرسي، و﴿ شَهِدَ اللَّهُ ﴾**[آل عمران: ١٨]، و**﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ﴾**[آل عمران: ٢٦] إلى قوله: **﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾** [آل عمران: ٢٧]، **تعلقن بالعرش وليس بينهن وبين الله حجاب، وقلن: يا رب تهبطنا إلى دار الذنوب وإلى من يعصيك، فقال الله ـ عز وجل ـ: وعزتي وجلالي لا يقرؤكن عبد دبر كل صلاة مكتوبة إلا أسكنته حظيرة القدس على ما كان منه، وإلا نظرت إليه بعيني المكنونة في كل يوم سبعين مرة، وإلا قضيت له كل يوم سبعين حاجة وأدناها المغفرة، وإلا أعذته من كل عدو ونصرته عليه، ولا يمنعه من دخلو الجنة إلا أن يموت**».

---

(١) انظر التذكار في أفضل الأذكار للقرطبي (ص١٥١). وما بعدها، وليس فيها شيء يصح.

ومنها: ما روي عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: «**إذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر في طلبها يوم الخميس، وليقرأ إذا خرج من منزله الخمس آيات من] آخر سورة آل عمران وآية الكرسي، وإنا أنزلناه، وأم الكتاب، فإن فيها [مفتاح]**[1] **حوائج الدنيا والآخرة**».

(١) في ب: قضاء.

سورة النساء

مدنية عند الأكثر.

مائة وخمس أو ست أو سبع وسبعون آية.

وفيها ثلاث فصول وخاتمة.

الفصل الأول
في أسباب نزولها

قوله عز وجل: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾[النساء:٢] الآية قال مقاتل والكلبي[١] [٨٣ / أ]: نزلت في رجل من غطفان كان عنده مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا إلى رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال: أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع له ماله، فقال النبي ﷺ: «**من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فإنه يحل داره، يعني جنته**»، فلما قبض الفتى ماله أنفقه في سبيل الله، فقال النبي ﷺ : «**ثبت الأجر وبقى الوزر**»، فقالوا: يا رسول الله قد عرفنا أنه ثبت الأجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله تعالى؟ فقال: ثبت الأجر للغلام، وبقي الوزر على والده.

قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾[النساء:٣] الآية، أخرج الواحدي[٢] عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾[النساء:٣] الآية، أنزلت هذه في الرجل تكون له اليتيمة، وهو وليها ولها مال، وليس لها أحد يخاصم دونها، فلا ينكحها إلا لمالها ويضربها ويسيء صحبتها، فقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ

(١) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٢٧٥).

(٢) السابق، وهو في الصحيحين، أخرجه البخاري (٤٥٧٣) ومسلم (٣٠١٨).

النِّسَاءِ ﴾ [النساء:٣] يقول: ما أحللت لك، ودع هذه، ورواه مسلم.

وقال ابن عباس في رواية عنه وسعيد بن جبير وغيرهما(١): كانوا يتحرجون عن أموال اليتامى ويترخصون في النساء، ويتزوجون ما شاءوا، فربما عدلوا، وربما لم يعدلوا، فلما سألوا عن اليتامى... ونزل: ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ﴾ [النساء:٢] الآية أنزل الله تعالى أيضاً: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ ﴾ [٦٦ / ب] [النساء:٣] الآية يقول فكما خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء أن لا تعدلوا فيهن فلا تتزوجوا أكثر مما يمكنكم القيام بحقهن لأن النساء كاليتامى في الضعف والعجز.

قوله تعالى: ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾[النساء:٤] أخرج ابن أبي حاتم(٢) عن أبي صالح كان الرجل إذا زوج ابنته أخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك، فأنزل : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾[النساء:٤].

قوله تعالى: ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ ﴾[النساء:٢] الآية نزلت في ثابت بن رفاعة وفي عمه، وذلك أن رفاعة توفي وترك ابنه ثابتاً وهو صغير فأتى عم ثابت إلى النبي ﷺ فقال: إن ابن أخي يتيم في حجري فما يحل لي من ماله، ومتى أدفع إليه ماله، فأنزل الله تعالى هذه الآية(٣).

قوله تعالى: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ ﴾[النساء:٧] أخرج أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب «الفرائض» من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الصغار الذكور حتى مات رجل من الأنصار يقال له: أوس بن ثابت، وترك ابنتين وابناً صغيراً، فجاء ابنا عمه خالد وعرفطة وهما عصبته، فأخذا ميراثه كله، فأتت امرأته رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال:

(١) الواحدي (ص٢٧٦).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٣ / ٨٦٠) وابن جرير (٤ / ٢٤١).
(٣) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٢٧٧).

«ما أدري ما أقول» فنزلت: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ ﴾[النساء: ٧] الآية(١).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا ﴾[النساء: ١٠] الآية قال مقاتل بن حيان(٢): نزلت في رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولي مال ابن أخيه وهو يتيم صغير، فأكله فأنزل الله تعالى هذه الآية، [٨٥ / أ] وقيل: ولي حنظلة مال يتيم فأكله، فنزلت .

قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾[النساء: ١١] الآية أخرج الأئمة الستة(٣) عن جابر بن عبد الله قال: عادني رسول الله ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين فوجدني النبي ﷺ لا أعقل شيئا فدعا بماء فتوضأ ثم رش على فأفقت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي فنزلت: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ [النساء: ١١].

وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم(٤) عن جابر قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما [معك في أحد شهيدا وإن عمهما أخذ مالهما](٥) فلم يدع

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

لكن أخرج ابن جرير (٥ / ٣٠٠) وابن أبي حاتم (٤ / ١٧٧) عن مجاهد قال: كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصبيان شيئا، وكانوا يقولون: لا تغزون ولا تغنون أو قال: لا تغنون خيرا، ففرض الله لهم الميراث حقا واجبا.

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٢٧٨).

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٠١)، ومسلم (١٦١٦)، وأبو داود (٢٨٨٦)، والترمذي (٢٠٩٧)، والنسائي (٦٣٢٣)، وابن ماجه (١٤٣٦).

(٤) حسن: أخرجه أحمد (١٤٨٤٠)، وأبو داود (٢٨٩٢)، والترمذي (٢٠٩٢)، وابن ماجه (٢٧٢٠)، والحاكم (٧٩٥٤) والدارقطني (٣٤) والبيهقي (١١٩٩٩).

قال الترمذي : صحيح.

وقال الحاكم: صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال الألباني : حسن.

(٥) انظر فتح الباري (١ / ٦٥).

لهما مالا ولا ينكحان إلا ولهما مال، فقال: يقضي الله في ذلك، فنزلت آية الميراث.

قال الحافظ ابن حجر : تمسلك بهذا من قال: إن الآية نزلت في قصة ابنتي سعد ولم تنزل في قصة جابر، خصوصا أن جابر لم يكن له يومئذ ولد.

قال: والجواب أنها نزلت في الأمرين معا، ويحتمل أن يكون نزول أولها في قصة البنتين وآخرها وهو قوله: ﴿وإن كان رجل يورث كلالة﴾ في قصة جابر ويكون مراد جابر بقوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ﴾[النساء: ١١] أي ذكر الكلالة المتصل بهذه الآية انتهى.

قلت: ورد سبب ثالث، أخرج ابن جرير(١) عن السدي قال: كان أهل الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الضعفان الغلمان لا يرث الرجل من والده إلا من أطاق القتال، فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر وترك امرأة يقال لها أم كجة وخمس بنات فجاءت الورثة يأخذون ماله فشكت أم كجة [ذلك إلى النبي ﷺ فأنزل الله هذه الآية ﴿فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلث ما ترك﴾ ثم قال في أم كجة: ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن.

وقد ورد في قصة سعد بن الربيع وجه آخر، فأخرج القاضي إسماعيل في «أحكام القرآن» من طريق عبد الملك بن محمد بن حزم أن عمرة بنت حرام كانت تحت سعد بن الربيع فقتل عنها بأحد وكان له منها ابنة، فأتت النبي ﷺ تطلب ميراث [٦٧ / ب] ابنتها، ففيها نزلت: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ [النساء: ١٢٧]، الآية انتهى.

وزاد الواحدي في قصة ابنتي سعد بن الربيع وعمهما أو هما بنتا ثابت بن قيس وعمهما، فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ﴾[النساء: ١١] إلى آخر الآية،

(١) أخرجه ابن جرير (٤ / ٢٧٥)، وابن أبي حاتم (٣ / ٨٨١).

فقال رسول الله ﷺ ؛ أي: لجابر ادع لي المرأة وصاحبها، فقال لعمهما: «**أعطهما الثلثين وأعط أمهما الثمن وما بقي لك**».

قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا**﴾[النساء: ١٩] الآية روى البخاري وأبو داود والنسائي[١] عن ابن عباس قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية.

قال المفسرون[٢]: كان أهل المدينة في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه من عصبته فألقى ثوبه على تلك المرأة وصار أحق بها من نفسها ومن غيره فإن شاء أن يتزوجها تزوجها بغير صداق إلا الصداق [٨٦ /أ] الذي أصدقها الميت، وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها ولم يعطها شيئا وإن شاء عضلها وضارها لتفتدي منه بما ورثت منه أو تموت هي فيرثها فتوفي أبو قيس بن الأسلت الأنصاري وترك امرأته كبيشة بيت معن الأنصارية، فقال: [مر][٣] ابن له من غيرها يقال له حصين، وقال مقاتل: اسمه قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم [فلم يقربها ولم][٤] ينفق عليها يضارها لتفتدي منه بمالها، فأتت كبيشة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله: إن أبا قيس توفي وورث ابنه نكاحي وقد أضر بي وطول علي، فلا هو ينفق علي ولا يدخل بي، ولا هو يخلي سبيلي، فقال لها رسول الله ﷺ: «**اقعدي في بيتك حتى يأتي فيكى أمر الله**» قالت: فانصرفت وسمعت بذلك النساء بالمدينة فآتين رسول الله ﷺ وقلن، ما نحن إلا كهيئة كبيشة غير أنه لم ينكحنا الأبناء ونكحنا بنو العم، فنزلت هذه الآية.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٠٣)، وأبو داود (٢٠٨٩) والنسائي في الكبرى (١١٠٩٤).
(٢) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٢٨٠).
(٣) سقط من ب.
(٤) سقط من أ.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾[النساء: ٢٢] الآية نزلت[1] في حصن بن أبي قيس تزوج امرأة أبيه كبيشة بنت معن الأنصارية، وفي الأسود بن خلف تزوج امرأة أبيه، وصفوان بن أمية بن خلف تزوج امرأة أبيه فأخته بنت الأسود بن المطلب، وفي منظور بن مازن تزوج امرأة أبيه مليكة بنت خارجة، وقال أشعث بن سوار: توفي أبو قيس وكان من صالح الأنصار فخطب ابنه قيس امرأة أبيه فقالت: إني أعدك ولدا ولكني أتى رسول الله ﷺ أستأمره فأتته فأخبرته، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ ﴾[النساء: ٢٤] الآية روى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي[2] عن أبي سعيد الخدري قال: أصبنا سبايا من سبي أوطاس لهن أزواج فكرهنا أن نقع عليهن ولهن أزواج فسألنا النبي ﷺ فنزلت: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾[النساء: ٢٤] يقول إلا ما أفاء الله عليكم فاستحللنا بها فروجهن.

وأخرج الطبراني[3] عن ابن عباس قال: نزلت يوم حنين لما فتح الله حنينا أصاب المسلمون نساء من نساء أهل الكتاب لهن أزواج، وكان الرجل إذا أراد أن يأتي المرأة قالت: إن لي زوجا فسأل النبي ﷺ عن ذلك، فنزلت: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ ﴾[النساء: ٢٤] الآية.

قوله تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾[النساء: ٢٤] الآية أخرج ابن جرير[4] عن معتمر بن سليمان عن أبيه قال: زعم حضرمي أن رجالا كانوا يفرضون المهر ثم عسى أن يدرك أحدهم العسرة فنزلت ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ

---

(١) السابق (ص٢٨٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٥٦)، وأبو داود (٢١٥٥)، والترمذي (١١٣٢)، والنسائي (٣٣٣٣).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢٦٣٧) وفي الأوسط (٤٢٥١).

وقال الهيثمي في المجمع (١٠٩١٩): رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه رزين الجرجاني لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٤) التفسير (٥ / ١٣).

الْفَرِيضَةِ﴾ [النساء: ٢٤].

قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾[النساء: ٣٢].

وأخرج الواحدي(١) عن مجاهد قال [٦٨ /ب]: قالت أم سلمة: يا رسول الله تغزو الرجال ولا نغزوا، وإنما لنا نصف الميراث، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾[النساء: ٣٢].

وأخرج(٢) عن عكرمة أن النساء سألن الجهاد فقلن: وددنا أن الله جعل لنا الغزو فنصيب من الأجر ما يصيب الرجال [٨٧ /أ]، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾[النساء: ٣٢].

وقال قتادة والسدي(٣): لما نزل قوله تعالى: ﴿**لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ**﴾ [النساء: ١١] قال الرجال: إنا نرجوا أن نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة كما فضلنا عليهن بالميراث فيكون أجرنا على الضعف من أجر النساء، وقالت النساء: إنا لنرجوا أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال في الآخرة كما لنا الميراث على النصف من نصيبهم في الدنيا، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾[النساء: ٣٢].

وأخرج ابن أبي حاتم(٤) عن ابن عباس قال: أتت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله للذكر مثل حظ الأنثيين وشهادة امرأتين برجل أفنحن في العمل هكذا إن عملت المرأة حسنة كتبت لها نصف حسنة، فأنزل الله: ﴿**وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ**﴾[النساء: ٣٢]. الآية.

قوله تعالى: ﴿**وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ**﴾[النساء: ٣٣] الآية أخرج الواحدي(٥) عن

---

(١) أسباب النزول (ص٢٨٤) عن مجاهد مرسلا.
(٢) السابق (ص٢٨٥).
(٣) السابق.
(٤) التفسير (٣ / ٩٣٥).
(٥) أسباب النزول (ص٢٨٦).

الزهري قال: قال سعيد بن المسيب: نزلت هذه الآية: ﴿**وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ**﴾ [النساء:٣٣] في الذين كانوا يتبنون رجالا غير أبنائهم ويورثونهم، فأنزل الله فيهم أن يجعل لهم نصيبا من الوصية ورد الله تعالى الميراث إلى الموالي من ذوي الرحم والعصبة وأبى أن يجعل للمدعين ميراثا ممن ادعاهم وتبناهم، ولكن جعل لهم نصيبا في الوصية.

قوله تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**﴾[النساء: ٣٤] الآية قال مقاتل(١): نزلت هذه الآية في سعد بن الربيع وكان من النقباء وامرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير وهما من الأنصار، وذلك أنها نشزت عليه فلطمها فانطلق أبوها معها إلى النبي ﷺ فقال: أفرشته كريمتي فلطمها، فقال النبي ﷺ: «**لتقتص من زوجها**» وانصرفت مع أبيها لتقتص منه فقال النبي ﷺ: «**ارجعوا هذا جبريل ـ عليه السلام ـ أتاني وأنزل الله تعالى هذه الآية**» فقال رسول الله ﷺ: «**أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير**» ورفع القصاص.

قال في «الدر المنثور»(٢): وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ**﴾[النساء: ٣٤] يعني أمراء عليهن أن تطيعه فيما أمر الله به من طاعته وطاعته أن تكون محسنة إلى أهله حافظة لماله، بما فضل الله. وفضله عليها بنفقته وسعيه، فالصالحات قانتات مطيعات، حافظات للغيب يعني إذا كن كذا فأحسنوا إليهن.

أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم والبيهقي في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها**» ثم قرأ رسول

---

(١) السابق.

(٢) الدر المنثور للسيوطي (٢ / ٥١٣)، وقد أخرجه ابن أبي حاتم (٣ / ٩٣٩) وابن جرير (٥ / ٥٧).

الله ﷺ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[النساء: ٣٤] إلى قوله: ﴿قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾(١)[النساء: ٣٤].

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾[النساء: ٣٧] قال أكثر المفسرين(٢): نزلت في اليهود كتموا صفة محمد [٨٨ /أ] ﷺ ولم يبينوها للناس وهم يجدونها مكتوبة عندهم في كتبهم.

وقال الكلبي(٣): هم اليهود بخلوا أن يصدقوا من آتاهم صفة محمد ﷺ ونعته في كتابهم.

وأخرج ابن جرير(٤) من طريق ابن إسحاق عن ابن عباس قال: كان كردم بن زيد حليف كعب بن الأشرف وأسامة بن حبيب ونافع بن أبي نافع ويحيى بن عمرو وحيي بن أخطب [٦٩ /ب] ورفاعة بن زيد بن التابوه يأتون رجالا من الأنصار يتفصحون لهم يقولون: لا تنفقوا أموالكم فإني أخشى عليكم الفقر في ذهابها عنكم ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرون ما يكون، فأنزل الله فيهم: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾[النساء: ٣٧]، إلى قوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٩].

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾[النساء: ٤٣] أخرج أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم وصححه(٥) عن علي قال: صنع لنا

---

(١) صحيح أخرجه ابن جرير (٥ / ٥٩) وابن أبي حاتم (٣ / ٩٤١)، والحاكم (٢٦٨٢)، والنسائي في الكبرى (٨٩٦١)، والطيالسي (٢٣٢٥).
قال الذهبي: على شرط مسلم.
وقال الألباني في صحيح الجامع (٥٦٠٩)(٣٢٩٩) : صحيح.

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٢٨٧).
(٣) السابق.

(٤) التفسير (٥ / ٨٦)، وابن أبي حاتم (٣ / ٩٦٤).

(٥) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٦٧١)، والترمذي (٣٠٢٦)، واللفظ له، والبزار (٥٩٨)، والبيهقي في الكبرى (١٦٩٨)، وعبد بن حميد (٨٢) وابن جرير (٢ / ٣٦٩)، وابن أبي حاتم (٣ / ٩٥٨).

عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر فأخذت الخمر منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١، ٢] ونحن نعبد ما تعبدون، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾[النساء: ٤٣].

قال في «الدر المنثور»[١]: وأخرج ابن المنذر عن عكرمة في الآية قال: نزلت في أبي بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وسعد صنع علي لهم طعاما وشرابا فأكلوا وشربوا ثم صلى بهم المغرب علي، فقرأ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] حتى ختمها، فقال ليس لي دين وليس لكم دين، فنزلت: ﴿لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾[النساء: ٤٣].

قوله تعالى: ﴿وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ﴾[النساء: ٤٣] أخرج ابن جرير[٢] عن يزيد بن أبي حبيب أن رجالاً من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد فكانت تصيبهم جنابة ولا ماء عندهم فيرون الماء ولا يجدون ممراً إلا في المسجد، فأنزل الله قوله: ﴿وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ﴾[النساء: ٤٣].

وأخرج ابن أبي حاتم[٣] عن مجاهد قال: نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار كان مريضا فلم يستطع أن يقوم فيتوضأ ولم يكن له خادم يناوله فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾[النساء: ٤٣].

وأخرج ابن جرير[٤] عن إبراهيم النخعي قال: نال أصحاب رسول الله ﷺ جراحة ففشت فيهم ثم ابتلوا بالجنابة فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فنزلت: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾[النساء: ٤٣] الآية كلها[٥].

---

(١) الدر المنثور للسيوطي (٢ / ٥٤٥).
(٢) التفسير (٥ / ٩٩).
(٣) التفسير (٣ / ٩٦١).
(٤) التفسير (٥ / ١٠٦).
(٥) أسباب النزول (ص٢٨٩).

وأخرج الواحدي(١) والبخاري(٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا: ألا ترى إلى ما صنعت عائشة أقامت برسول الله ﷺ وبالناس معه وليس معهم ماء فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام فقال [٨٩ /أ] أحبست رسول الله ﷺ والناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء؟ فعاتبني أبو بكر، وقال: ما شاء الله أن يكون، فجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ [على فخذي، فنام رسول الله ﷺ](٣) حتى أصبح على غير ماء فأنزل آية التيمم فتيمموا، فقال أسيد بن خضير وهو أحد النقباء: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، قالت عائشة: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته.

قال الزهري: وبلغنا أن أبا بكر قال لعائشة: والله إنك ما علمت لمباركة.

قال علي وابن مسعود وأبو عبيدة: الصعيد التراب، والشافعي: ذو الغبار، وغيرهم وجه الأرض، وقال أبو حنيفة والشافعي: إلى المرفق، ومالك وأحمد إلى الكوع، والزهري إلى الإبط.

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ ﴾[النساء: ٤٩] الآية قال الكلبي(٤): نزلت في رجال من اليهود أتوا رسول الله ﷺ بأطفالهم، وقالوا: يا محمد هل على أولادنا هؤلاء من ذنب؟ قال: لا، قالوا: والذي نحلف به ما نحن إلا كهيئتهم ما من ذنب نعمله بالنهار [٧٠ /ب]. إلا كفر عنا بالليل، وما من ذنب نعمله بالليل إلا كفر عنه بالنهار فهذا الذي زكوا به أنفسهم.

---

(١) البخاري (٤٦٠٧)، ومسلم (٣٦٧).
(٢) سقط من أ.
(٣) انظر أسباب النزول للواحدي (٢٩٢).
(٤) السابق.

وقال الحسن: قالت اليهود والنصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

أخرج الواحدي(١)عن عكرمة قال جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة، فقالوا لهم: أنتم أهل الكتاب وأهل العلم القديم، فأخبرونا عنا وعن محمد قالوا: ما أنتم، وما محمد قالوا: نحن ننحر الكوما، ونسقي اللبن على الماء ونفك العناة، ونصل الأرحام، ونسقي الحجيج وديننا القديم، ودين محمد الحديث.

قالوا: بل أنتم خير منه وأهدى سبيلا، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾[النساء: ٥١] إلى قوله: ﴿وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾ [النساء: ٥٢].

وقال المفسرون(٢): خرج كعب بن الأشرف في سبعين راكباً من اليهود إلى مكة بعد وقعة أحد ليحالفوا قريشا على رسول الله ﷺ وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ فنزل كعب على أبي سفيان ونزلت اليهود في دور قريش، فقال أهل مكة: إنكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن أن يكون ذلك مكرا منكم، فإن أردت أن نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما فذلك قوله: [﴿يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ ثم قال كعب لأهل مكة](٣) ليجيء منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزق أكبادنا بالكعبة فنعاهد رب الكعبة لنجهدن على قتال محمد، ففعلوا ذلك فلما فرغوا قال أبو سفيان لكعب: إنك امرء تقرأ الكتاب وتعلم، ونحن أميون لا نعلم فأينا أهدى طريقا وأقرب إلى

(١) السابق.
(٢) السابق (ص٢٩٣).
(٣) سقط من أ.

الحق أنحن أم محمد؟ فقال كعب: اعـرضوا علي دينكم، فقال أبو سفيان: نحن ننحر للحـجيج الكوما ونسـقهم الماء ونقري الضيـف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمـر بيت ربنا ونطوف به، ونحن أهل الحرم، ومـحمد فـارق دين آبائه وقطع الرحم [٩٠ / أ] وفـارق الرحم، وديننا القـديم ودين محـمد الحـديث، فقـال كعب: أنتم أهدى سبيـلا مما هو عليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾[النساء: ٥١] يعني كعب وأصحابه.

قـوله تـعـالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ﴾ [النساء: ٤٤] أخرج ابـن أبي إسحاق(١) عن ابن عباس قال: كـان رفاعة بن زيد بن التـابوه من عظمـاء اليهـود إذا كلم رسـول الله ﷺ لوى لسانه، وقـال أرعنا سمعك يا محمد حتي نفهمك ثم طعن في الإسلام وعابه، فأنزل الله فيه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ﴾ [النساء: ٤٤].

قـوله تـعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ [النسـاء: ٤٧] أخرج ابن إسـحاق(٢) عن ابن عـباس قال: كلـم رسول الله ﷺ رؤوسا من أحبار اليـهود منهم عبد الله بن صوريا وكعب بن أسـيد، فقال لهم: «**يا معشر يـهود اتقوا الله وأسلموا فوالله إنكم لتعلمـون أن الذي جئتكم به لحق**»، فقالوا: ما نعرف ذلـك يا محمد، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ [النساء: ٤٧].

قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾[النساء: ٥٤] الآية أخرج ابن أبي حاتم(٣) من طريق العوفي عن ابن عباس قال: قال أهل الكتاب: زعم محمد أنه أوتي ما أوتي في تواضع وله تسـعة نسـوة، وليس همـه إلا انكاح فأي ملك أفـضل من هذا؟ فأنزل الله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾[النساء: ٥٤] الآية.

---

(١) أخرجه ابن جرير (٥ / ١١٦)، وابن أبي حاتم (٣ / ٩٦٣).
(٢) أخرجه ابن جرير (٥ / ١٢٤)، وابن أبي حاتم (٣ / ٩٦٨).
(٣) التفسير (٣ / ٩٦٨)، وابن جرير (٥ / ١٣٩).

وأخرج(١) الواحدي عن قتادة قال: نزلت هذه الآية في كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب رجلين من اليهود من بني النضير لقيا قريشا بالموسم، فقال لهما المشركون: أنحن أهدى أم محمد وأصحابه فإنا أهل السدانه والسقاية وأهل الحرم؟ فقال: بل أنتم أهدى من محمد، وهما يعلمان أنهما لكاذبان [٧١ / ب]، إنما حملهما على ذلك حسد محمد وأصحابه، فأنزل الله تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً** ﴾[النساء: ٥٢] فلما رجعا إلى قومهما قال لهما قومهما: إن محمدا يزعم أنه قد نزل فيكما كذا وكذا، فقال: صدق والله ما حملنا على ذلك إلا بغضه وحسده.

قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا** ﴾[النساء: ٥٨] نزلت(٢) في عثمان بن أبي طلحة الحجبي من بني عبد الدار كان سادن الكعبة فلما دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح فطلب رسول الله ﷺ المفتاح فقيل: إنه مع عثمان فطلب منه فأبى، وقال: لو علمت أنه رسول الله ﷺ لم أمنعه المفتاح فلوي علي بن أبي طالب رضي الله عنه يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله ﷺ وصلى فيه ركعتين، فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح فيجمع له بين السقاية والسدانة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأمر رسول الله ﷺ عليا أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه ففعل ذلك، فقال له عثمان: يا علي أكرهت وآذيت ثم جئت برفق، فقال: لقد [ق / ٩١أ] أنزل الله في شأنك، وقرأ هذه الآية، فقال عثمان: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأسلم، فجاء جبريل عليه السلام فقال: ما دام هذا البيت فإن المفتاح والسدانة في أولاد عثمان، وهو اليوم في أيديهم.

قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾

---

(١) أسباب النزول (ص٢٩٤).

(٢) السابق.

[النساء: ٥٩] أخرج الواحدي عن ابن عباس في قوله: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ [النساء: ٥٩] أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد في سرية إلي حي من أحياء العرب وكان معه عمار بن ياسر فسار خالد حتى إذا دنا من القوم عرس لكي يصحبهم فأتاهم النذير فهربوا غير رجل كان قد أسلم، فأمر أهله أن يتأهبوا للمسير، ثم انطلق حتى أتى عسكر خالد ودخل على عمار، فقال: يا أبا اليقظان إني منكم وإن قومي لما سمعوا بك هربوا وأقمت لإسلامي أفنافعي ذلك؟ أو أهرب كما هرب قومي؟ فقال: أقم فإن ذلك نافعك، فانصرف الرجل إلى أهله أمرهم بالمقام، وأصبح خالد فأغار على القوم فلم يجد غير ذلك الرجل فأخذه وأخذ ماله فأتاه عمار، فقال: خل سبيل الرجل فإنه مسلم وقد كنت أمنته وأمرته بالمقام، فقال خالد: أنت تجير علي وأنا الأمير؟ وكان بينهما في ذلك كلام، فانصرفوا إلى النبي ﷺ فأخبروه خبر الرجل، فأمنه النبي ﷺ وأجاز أمان عمار وخالد بين يدي رسول الله ﷺ فأغلظ عمار لخالد، فغضب خالد وقال: يا رسول الله أتدع هذا الرجل يشتمني فوالله لولا أنت ما شتمني عمار، وكان عمار مولى لهاشم بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «**يا خالد كف عن عمار فإنه من يسب عمار سبه الله، ومن يبغض عمار يبغضه الله**» فقام عمار فتبعه خالد فأخذ بثوبه وسأله أن يرضى عنه، فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمر بطاعة أولي الأمر.

قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ**﴾[النساء: ٦٠] الآية أخرج الواحدي عن الشعبي قال: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فدعى اليهودي المنافق إلى النبي ﷺ [لأنه علم أنه لا يقبل الرشوة، ودعا المنافق اليهودي إلى حكامهم لأنه علم](١) أنهم يأخذون الرشوة في أحكامهم، فلما اختلفا اجتمعا على أن يحكما كاهنا في جهينة، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ**

---

(١) سقط من أ.

آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[النساء: ٦٠]، يعني المنافق [٧٢ / ب] ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ يعني اليهودي ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾[النساء: ٦٠].

وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: نزلت في رجل من المنافقين كان بينه وبين يهودي خصومة، فقال اليهودي: انطلق بنا إلى محمد، وقال المنافق: بل نأتي كعب بن الأشرف، وهو الذي سماه الله تعالى الطاغوت فأبى اليهودي إلا أن يخاصمه إلى النبي ﷺ فلما رأى المنافق ذلك أتى معه إلى رسول الله ﷺ [٩٢ / أ] فاختصما إليه، فقضى رسول الله ﷺ لليهودي، فلما أخرجا من عنده لزمه المنافق وقال: ننطلق إلى عمر بن الخطاب فأقبلا إلى عمر، فقال اليهودي: اختصمت أنا وهذا إلى محمد ﷺ فقضى لي عليه، فلم يرض بقضائه وزعم أنه مخاصم إليك وتعلق بي، وجئت معه، فقال عمر للمنافق كذلك، قال: نعم، فقال لهما: رويدا أخرج إليكما فدخل عمر البيت وأخذ السيف فاشتمل عليه ثم خرج إليهما فضرب به المنافق حتى برد، وقال: هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسول الله، وهرب اليهودي ونزلت هذه الآية، وقال جبريل ـ عليه السلام ـ إن عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق.

وقال السدي: كان ناس من اليهود أسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية إذا قتل [رجل من قريظة رجلا من بني النضير قتل][(١)] به وأخذ ديته مائة وسق من تمر وإذا قتل رجل من النضير رجلا من قريظة لم يقتل به وأعطى ديته ستين وسقا من تمر وكانت النضير حلفاء للأوس وكانوا أكثر شرفا من قريظة وهم حلفاء الخزرج، فقتل رجل من النضير رجلا من قريظة، واختصموا في ذلك، فقالت بنو النضير: إنا وأنتم اصطلحنا في الجاهلية على أن نقتل منكم ولا تقتلون منا، وعلى أن ديتكم ستون وسقا والوسق ستون صاعا، وديتنا مائة وسق فنحن نعطيكم ذلك، فقالت الخزرج: هذا شيء كنتم فعلتموه في الجاهلية لأنكم كثرتم وقللنا فقهدتمونا، فنحن وأنتم اليوم أخوة وديننا

(١) سقط من أ.

ودينكم واحد ليس لكم علينا فضل، فقال المنافقون: انطلقوا إلى أبي برزة الكاهن الأسلمي، وقال المسلمون: لا بل إلى النبي ﷺ فأبى المنافقون وانطلقوا إلى أبي برزة ليحكم بينهم، فقال: أعظموا اللقمة، يعني الرشوة، فقالوا: لك عشرة أوسق، قال: لا بل مائة وسق ديتي، فإني أخاف أن نفرت النضيري قتلني قريظة، وإن نفرت القرظي قتلني النضير، فأبو أن يعطوه فوق عشرة أوسق وأبى أن يحكم بينهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فدعا النبي ﷺ كاهن أسلم اسم للقبيلة أسلم إلى الإسلام، فأبى فانصرف، فقال النبي ﷺ لابنيه: «**أدركا أباكما، فإنه إن جاوز عقبة كذا لم يسلم أبدا**» فأدركاه فلما يزالا به حتى انصرف وأسلم، وأمر النبي ﷺ مناديا فنادى إلا إن كاهن أسلم قد أسلم.

قوله تعالى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**﴾[النساء: ٦٥] الآية أخرج الأئمة الستة(١) عن عبد الله بن الزبير قال: خاصم النبي ﷺ رجلا من الأنصار في شراج الحرة، فقال النبي ﷺ: «**اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك**» فقال الأنصاري : يا رسول الله أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجهه ثم قال [٩٣ / أ] : اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، ثم أرسل الماء إلى جارك واسترعي للزبير حقه، وكان أشار إليهما بأمر لهما فيه سعة، قال الزبير: فلا أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**﴾[النساء: ٦٥] وأخرج الطبراني [٧٣ / ب] في «الكبير» والحميدي في «مسنده»(٢) عن أم سلمة قالت: خاصم الزبير رجلا إلى رسول الله ﷺ فقضى

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٣١) ومسلم (٢٣٥٦)، وأحمد (١٤١٩)، والترمذي (١٣٦٣)، والنسائي (٥٤٠٧)، وابن ماجه (١٥).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٦٥٢)، والحميدي (٣٠٠) والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٧٠٨).

قال الهيثمي في المجمع (١٠٩٣٥): رواه الطبراني وفيه يعقوب بن حميد، وثقه ابن حبان وضعفه غيره.

للزبير، فقال الرجل: إنما قضى له لأنه ابن عمته، فنزلت: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[النساء: ٦٥] الآية.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾[النساء: ٦٦] أخرج ابن جرير(١) عن السدي قال: لما نزلت: ﴿لَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾[النساء: ٦٦] افتخر ثابت بن قيس بن شماس ورجل من يهود فقال اليهودي: والله لقد كتب الله علينا القتال: ﴿اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٦٦] فقتلنا أنفسنا [فقال ثابت: والله لو كتب علينا أن اقتلوا أنفسكم لقتلنا أنفسنا](٢) فأنزل الله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾[النساء: ٦٦].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾[النساء: ٦٩] الآية أخرج الطبراني وابن مردويه(٣) بسند لا بأس به عن عائشة قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك لأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فانظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يرد النبي ﷺ شيئا حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾[النساء: ٦٩] الآية.

وقال الكلبي(٤): نزلت في ثوبان مولى رسول الله ﷺ وكان شديد الحب له قليل الصبر عنه، فأتاه ذات يوم، وقد تغير لونه ونحل جسمه يعرف في وجهه

---

(١) التفسير (٥ / ١٦٠) وابن أبي حاتم (٣ / ٩٩٦).

(٢) سقط من أ.

(٣) حسن: أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٧٧)، والصغير (٥٢)، وأبو نعيم في الحلية (٤ / ٢٤٠).

قال البيهقي في المجمع (١٠٩٣٧): رواه الطبراني في الصغير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي وهو ثقة.

(٤) أسباب النزول للواحدي (ص٣٠٣).

الحزن، فقال له رسول الله ﷺ: «**يا ثوبان ما غير لونك؟**» فقال: يا رسول الله ما بي من ضر ولا وجع غير أني إذا لم أراك اشتقت إليك واستوحشتك وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة، وأخاف أن لا أراك هناك لأني أعرف أنك ترفع مع النبيين وأني إذا دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم ادخل الجنة فذلك حين لا أراك أبداً، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وأخرج أبي حاتم[1] عن مسروق قال: قال أصحاب محمد ﷺ: يا رسول الله ما ينبغي لنا أن نفارقك لو قدمت لرفعت فوقنا ولم نرك فأنزل الله: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ**﴾[النساء: ٦٩] الآية .

قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ**﴾[النساء: ٧٧] الآية أخرج النسائي والحاكم[2] عن ابن عباس أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابا له أتوا النبي ﷺ فقالوا: يا نبي الله إنا كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة، فقال: «**إنما أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم**» فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال، فكفوا فأنزل الله: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ**﴾[النساء: ٧٧] الآية .

قوله تعالى: ﴿ **أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ** ﴾ [٩٤ / أ][النساء: ٧٨] الآية قال ابن عباس في رواية أبي صالح[3]: لما استشهد الله من المسلمين من استشهد يوم أحد قال المنافقون الذين تخلفوا عن الجهاد لو كان إخواننا الذين قتلوا عندنا، ما ماتوا وما قتلوا، فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ**﴾[النساء: ٨٣] روى مسلم[4] عن عمر

---

(١) التفسير (٣ / ٩٩٧).

(٢) صحيح: أخرجه النسائي (٣٠٨٦)، والحاكم (٢٣٧٧)، والبيهقي في الكبرى (١٧٥١٩).
وقال الحاكم صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي والألباني.

(٣) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٣٠٦).

(٤) حديث (١٤٧٩).

بن الخطاب قال لما اعتزل رسول الله ﷺ نساءه: دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون طلق رسول الله ﷺ نساءه فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق نساءه، ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[النساء:٨٣] فكنت أنا أستنبطت ذلك الأمر.

قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾[النساء:٨٨] الآية، روى الشيخان(١) وغيرهما عن زيد بن ثابت [٧٤ / ب] أن رسول الله ﷺ خرج إلى أحد فجاء ناس خرجوا معه، فكان أصحاب رسول الله ﷺ فيهم فرقتين فرقة تقول نقتلهم، وفرقة تقول لا، فأنزل الله: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ [النساء:٨٨].

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي حاتم(٢) عن ابن سعد بن معاذ قال: خطب رسول الله ﷺ الناس، فقال: من لي بمن يؤذيني ويجمع في بيته من يؤذيني، فقال سعد بن معاذ: إذ كان من الأوس قتلناه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا فأطعناك، فقام سعد بن عبادة فقال: ما بك يا ابن معاذ طاعة رسول الله ﷺ ولقد عرفت ما هو منك، فقام أسيد بن حضير قال: اسكتوا يا أيها الناس فإن فينا رسول الله ﷺ وهو يأمرنا فننفذ أمره فأنزل الله: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ [النساء:٨٨] الآية.

وأخرج أحمد(٣) عن عبد الرحمن بن عوف أن قوما من العرب أتوا رسول الله ﷺ بالمدينة فأسلموا وأصابهم وباء المدينة وحماها فاركسوا فخرجوا من المدينة فاستقبلهم نفر من الصحابة، فقالوا لهم: ما لكم رجعتم، قالوا: أصابنا

---

(١) البخاري (٣٨٢٤)، ومسلم (٢٧٧٦).

(٢) التفسير (٢ / ٦٠٩).

(٣) أخرجه أحمد (١٦٦٧) بسند ضعيف.

وباء المدينة، فقالوا: ما لكم في رسول الله أسوة حسنة، فقال بعضهم نافقوا، وقال بعضهم لم ينافقوا، فأنزل الله: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ [النساء: ٨٨] الآية في إسناده تدليس وانقطاع.

قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾[النساء: ٩٠] الآية أخرج ابن أبي حاتم(١) وابن مردويه عن الحسن أن سراقة بن مالك المدلجي حدثهم قال: لما ظهر النبي ﷺ على أهل بدر وأحد وأسلم من حولهم قال سراقة: بلغني أنه يريد أن يبعث خالد بن الوليد إلى قومي بني مدلج فأتيته، فقلت: أنشدك النعمة بلغني أنك تريد أن تبعث إلى قومي، وأنا أريد أن توادعهم، فإن أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الإسلام، وإن لم يسلموا لم تخشن قلوب قومك عليهم، فأخذ رسول الله ﷺ بيد خالد، فقال: اذهب معه فافعلى ما يريد فصالحهم خالد على أن لا [٩٥ / أ] يعينوا على رسول الله ﷺ وإن أسلمت قريش أسلموا معهم، فأنزل الله: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾[النساء: ٩٠] فكان من يصل إليهم كان على عهدهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا﴾[النساء: ٩٢] أخرج الواحدي(٢) عن محمد بن إسحاق عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه أن الحارث بن زيد كان شديداً على رسول الله ﷺ فجاء وهو يريد الإسلام فلقيه عياش بن أبي ربيعة والحارث يريد الإسلام وعياش لا يشعر فقتله، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾[النساء: ٩٢] .

وشرح الكلبي هذه القصة فقال(٣): إن عياش بن أبي ربيعة المخزومي أسلم وخاف أن يظهر إسلامه فخرج هاربا إلى المدينة فقدمها ثم أتى أطما، هو

(١) التفسير (٣ / ١٠٢٦)، وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٦١٢)، والحارث في مسنده (٦٧٨) بسند حسن.
(٢) أسباب النزول (ص٣٠٨).
(٣) السابق (ص٣٠٩).

الحصن، من أطامها فتحصن فيه فجزعت أمه جزعاً شديداً وقالت لابنيها أبي جهل والحارث ابن هاشم وهما أخواه لأمه: لا يظلني سقف ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى تأتوني به فخرجا في طلبه وخرج معه الحارث بن زيد بن أبي كبيشة حتى أتوا المدينة، فأتوا عياشا وهو في الأطمة، فقالا له: انزل فإن أمك لم يؤوها سقف بيت بعدك، وقد حلفت لا تأكل طعاما ولا شرابا حتى ترجع إليها ولك عهد الله علينا أن لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك وبين دينك، فلما ذكرا له جذع أمه وأوثقا له نزل فأخرجوه من المدينة فأوثقوه بشسع والشسع [٧٥ / ب] سير النعل الذي يشد إلى زمامها، وجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به على أمه فقالت: والله لا أحلك من وثاقك حتى تكفر بالذي آمنت به ثم تركوه موثقا في الشمس فأعطاهم بعض الذي أرادوا فأتاه الحارث بن زيد، وقال: يا عياش والله لئن كان الذي كنت عليه هدى لقد تركت الهدى، وإن كان ضلالة لقد كنت عليها، فغضب عياش من مقالته، وقال: والله لا ألقاك خاليا إلا قتلتك، ثم إن عياش أسلم بعد ذلك، وهاجر إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، ثم إن الحارث بن زيد أسلم وهاجر إلى المدينة وليس عياش يومئذ حاضرا، ولم يشعر بإسلامه فبينما هو يسير بظهر قباء إذ لقي عياش الحارث بن زيد فلما رآه حمل عليه فقتله، فقال الناس: أي شيء صنعت إنه قد أسلم، فرجع عياش إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كان من أمري وأمر الحارث ما قد علمت إني لم أشعر بإسلامه حتى قتلته، فنزل عليه جبريل ـ عليه السلام ـ بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا ﴾[النساء: ٩٢] الآية.

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾[النساء: ٩٣] الآية قال الكلبي عن أبي صالح أن نفيس بن ضبابة وجد أخاه هشام بن ضبابة قتيلا في بني النجار، وكان مسلما، فأتى رسول الله ﷺ [٩٦ / أ] فذكر له ذلك، فأرسل رسول الله ﷺ رسول من بني فهر فقال له: إئت بني النجار فأقرؤهم السلام وقل لهم إن رسول الله ﷺ يأمركم إن علمتم قاتل هشام بن ضبابة لتدفعوه إلى أخيه فيقتص منه،

وإن لم تعلموا له قاتلا أن تدفعوا إليه ديته، فأبلغهم الفهري ذلك عن رسول الله ﷺ فقالوا: سمعا وطاعة لله ولرسول الله: والله ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي إليه ديته فأعطوه مائة من الإبل ثم انصرفا راجعين نحو المدينة وبينهما وبين المدينة قريب فأتى الشيطان نفيسا فوسوس إليه، وقال: أي شيء صنعت تقبل دية أخيك فتكون عليك سبة؟ اقتل الذي معك فتكون نفس مكان نفس وفضل؛ أي: مع زيادة الدية ففعل ذلك نفيس، فرمى الفهري بصخرة فشدخ رأسه ثم ركب بعيراً منها وساق بقيتها راجعاً إلى مكة كافرا، وجعل يقول في شعره:

قتلت به فهرا وحملت عقله ... سراة بني النجار أرباب قارع
وأدركت ثأري وأصبحت موسدًا ... وكنت إلى الأوثان أول راجع

فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾[النساء: ٩٣] ثم أهدر النبي ﷺ دمه يوم فتح مكة، فأدركه الناس بالسيوف فقتلوه.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾[النساء: ٩٤] الآية روى البخاري والترمذي والحاكم(١) وغيرهم عن ابن عباس قال: مر رجل من بني سليم بنفر من بني سليم بنفر من أصحاب النبي ﷺ يسوق غنماً له، فسلم عليهم فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا فعمدوا إليه فقتلوه وأتوا بغنمه للنبي ﷺ فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾[النساء: ٩٤] الآية.

وأخرج ابن منده عن جزء بن الحدرجان(٢) قال: وفد أخي مقداد إلى النبي ﷺ من اليمن فلقيته سرية للنبي ﷺ فقال لهم: أنا مؤمن فلم يقبلوا منه وقتلوه فبلغني ذلك فخرجت إلى رسول الله ﷺ فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾[النساء: ٩٤] الآية فأعطاني النبي ﷺ دية أخي.

وقال الحسن(٣): إن أصحاب النبي ﷺ خرجوا يطوفون فلقوا المشركين

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣١٥)، ومسلم (٣٠٢٥)، والترمذي (٣٠٣٠) واللفظ له.
(٢) انظر لباب النقول للسيوطي (ص٧٨).
(٣) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٣١٣).

فهزموهم فشد منهم رجل فتبعه رجل من المسلمين وأراد متاعه فلما غشيه بالسنان قال: إني مسلم فكذبه ثم أوجره السنان فقتله وأخذ [٧٦ / ب] متاعه وكان قليلاً فرفع ذلك إلى النبي ﷺ فقال: « **قتلته بعد أن زعم أنه مسلم**»، قال: يا رسول الله إنما قالها متعوذا، قل: «**فهلا شققت عني قلبه لتنظر أصادق هو أم كاذب؟**» قال: وكنت أعلم ذلك يا رسول الله قال : «**ويك إنك لم تكن لتعلم ذلك إنما يبين عنه لسانه**»، قال: فما لبث القاتل أن مات فدفن فأصبح وقد وضع إلى جنب قبره قال : ثم عادوا فحفوا له فأمكنوا ودفنوه فأصبح وقد وضع إلى جنب منبرة مرتين أو ثلاثا، فلما رأوا (٩٧ / أ] أن الأرض لا تقبله ألقوه في بعض تلك الشعاب، قال: فأنزل الله هذه الآية.

قال الحسن: إن الأرض تجن؛ أي: تستر من هو شر منه، لكن وعظ القوم أن لا يعودوا.

وقال السدي(١): بعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد على سرية فلقي مرداس بن نهيك الضمري فقتله، وكان من أهل فدك ولم يسلم من قومه غيره، وكان يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله وسلم عليهم، قال أسامة: لما قدمت على رسول الله ﷺ أخبرته، قال: «**أقتلت رجلا يقول لا إله إلا الله**» ،فقال: يا رسول الله إنما تعوذ من القتل، فقال: «**كيف إذا خاصمك يوم القيامة بلا إله إلا الله؟**» قال: فما زال يرددها، قال: «**أقتلت رجلا وهو يقول: لا إله إلا الله**» حتى تمنيت لو أن إسلامي كان يومئذ، ونزلت: ﴿ **إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا** ﴾[النساء: ٩٤] الآية.

ونحو هذا قال الكلبي وقتادة.

قوله تعالى: ﴿ **لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ** ﴾[النساء: ٩٥] الآية روى البخاري(٢) عن زيد بن ثابت قال: كنت عند النبي ﷺ حين نزلت عليه: ﴿**لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ**

(١) السابق (٣١٥).
(٢) حديث (٤٣١٦).

الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[النساء: ٩٥] ولم يذكر غير أولي الضرر، فقال: ابن أم مكتوم كيف وأنا أعمى ولا أبصر؟ قال زيد: فغشى رسول الله ﷺ في مجلسه الوحي فاتكأ على فخذي فوالذي نفسي بيده لقد ثقل علي حتى خشيت أن يرضها ثم سرى عنه، فقال: «**اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر**»، فكتبتها.

قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي**﴾[النساء: ٩٧] روى البخاري(١) عن ابن عباس أن ناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ فيأتي السهم يرمي به فيصيب أحدهم فيقتله ويضرب فيقتل، فأنزل الله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي**﴾[النساء: ٩٧] وأخرجه ابن مردويه وسمى منهم في روايته قيس بن الوليد بن المغيرة، وأما قيس أبا الفاكه بن المغيرة والوليد بن عتب بن ربيعة، وعمرو بن أمية بن سفين وعلي بن أمية بن خلف، وذكر في شأنهم أنهم خرجوا إلى بدر فلما رأوا قلة المسلمين دخلهم شك، وقالوا: غر هؤلاء دينهم، فقتلوا ببدر وأخرجه ابن أبي حاتم وزاد فيه الحارث بن زمعة الأسود، والعاصي بن منبه بن الحجاج.

وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: كان قوم بمكة أسلموا فلما هاجر رسول الله ﷺ كرهوا أن يهاجروا وخافوا فأنزل الله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي**﴾[النساء: ٩٧] إلى قوله: ﴿**إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ**﴾[النساء: ٩٨].

وأخرج ابن المنذر وابن جرير(٢) عن ابن عباس قال: كان قوم من أهل مكة قد أسلموا وكانوا يخفون الإسلام، فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر فأصيب بعضهم، فقال المسلمون هؤلاء كانوا مسلمين فأكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ**﴾[النساء: ٩٧] الآية فكتبوا بها إلى من بقي بمكة منهم أن لا عذر لهم، فخرجوا فلحق بهم المشركون [٩٨ / أ] ففتنوهم فرجعوا،

---

(١) حديث (٤٣٢٠).
(٢) التفسير (٥ / ٢٣٤).

فنزلت : ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ [العنكبوت: ١٠] فكتب إليهم المسلمون بذلك فتحزنوا، فنزلت: ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا﴾[النحل: ١١٠] الآية، فكتبوا إليهم بذلك، فخرجوا فلحقوا بهم فنجا من نجا وقتل من قتل.

وأخرج ابن جرير من طرق كثيرة [٧٧ / ب] نحوه.

قوله تعالى: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله﴾[النساء: ١٠٠] قال ابن عباس(١) في رواية عطاء: كان عبد الرحمن بن عوف يخبر أهل مكة بما ينزل فيهم من القرآن فكتب بالآية التي نزلت: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى﴾[النساء:٩٧] فلما قرأها المسلمون قال حبيب بن ضمرة الليثي لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فإني لست من المستضعفين وإنما لأهتدي إلى الطريق فحمله بنوه على سرير فتوجها إلى المدينة فلما بلغ التنعيم أشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله، فقال: اللهم هذه لك، وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعت يد رسولك ﷺ ومات حميدا، فبلغ خبره أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: لو وافى المدينة لكان أتم أجرا، فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وإذا كنت فيهم﴾[النساء:١٠٢] أخرج الواحدي(٢) عن ابن عباس قال: خرج رسول الله ﷺ في غزاة فلقي المشركين بعسفان، فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر فرأوه يركع ويسجد هو وأصحابه، قال بعضهم لبعض: كان هذا فرصة لكم لو أغرتم عليهم ما علموا بكم حتى تواقعوهم، فقال قائل منهم: فإن لهم صلاة أخرى هي أحب إليهم من أهلهم وأموالهم فاستعدوا حتى تغيروا عليهم فيها، فأنزل الله على نبيه: ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة﴾

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٣١٩).

وقد أخرجه ابن أبي حاتم (٣ / ١٠٥١)، والطبراني في الكبير (١١٧٠٩)، وأبو يعلى (٢٦٧٩).

(٢) أسباب النزول (ص٣٢١).

[النساء: ١٠٢] إلى آخر الآية، وأعلم بما ائتمر به المشركون، وذكر صلاة الخوف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥] إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ [النساء: ١١٦] نزلت[١] كلها في قصة واحدة، وذلك أن رجال من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق أحد بني ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له يقال له قتادة ابن النعمان، وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار، وفيها أثر الدقيق ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد عنده وحلف لهم والله ما أخذها وماله بها من علم، فقال أصحاب الدرع: بلى والله قد أدلج علينا فأخذها وطلبنا أثره حتى دخل داره فرأينا أثر الدقيق فلما أن حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي فأخذوه فقال: دفعها إلي طعمة بن بيرق، وشهد أناس من اليهود على ذلك، فقالت بنو ظفر وهم قوم طعمة: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ فكلموه في ذلك وسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا: إن لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبريء اليهود فهم [٩٩ / أ] رسول الله ﷺ أن يفعل وأن يعاتب اليهودي حتى أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾[النساء: ١٠٥] الآيات كلها، وهذا قول جماعة من المفسرين.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾[النساء: ١٢٣] روى الواحدي[٢] بسنده عن أبي صالح قال: جلس أهل الكتاب وأهل التوراة وأهل الإنجيل وأهل الأديان كل صنف يقول لصاحبه: نحن خير منكم، فنزلت هذه الآية.

وقال مسروق وقتادة[٣]: احتج المسلمون وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب:

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدي (ص٣٢١).
(٢) السابق (ص٣٢٣)، وأخرجه ابن جرير (٥ / ٢٨٩)، وابن أبي حاتم (٤ / ١٠٧٣).
(٣) الواحدي (ص٣٢٣).

نحن أهدى منكم [نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونحن أولى بالله منكم][(١)] وقال المسلمون: نحن أهدى منكم وأولى بالله تعالى نبينا خاتم الأنبياء وكتابنا يقض على الكتب التي قبله، فأنزل الله هذه الآية ثم أفلح الله حجة المسلمين على من ناوأهم من أهل الأديان بقوله تعالى: ﴿**وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾[النساء: ١٢٤]، وبقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾[النساء: ١٢٥] الآيتين.

قوله تعالى: ﴿**وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**﴾[النساء: ١٢٥] اختلفوا في سبب [٧٨ / ب] نزول﴿ **وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**﴾[النساء: ١٢٥] فأخرج الواحدي[(٢)] عن عبد الله بن عمرو قال رسول الله ﷺ: «**يا جبريل لم اتخذ الله إبراهيم خليلا، قال: لإطعامه الطعام يا محمد**».

وقال عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى: دخل إبراهيم منزله فجاءه ملك الموت في صورة شاب لا يعرفه، فقال له إبراهيم: « **بإذن من دخلت؟ فقال: بإذن رب المنزل، فعرفه إبراهيم، فقال له ملك الموت:إن ربك اتخذ من عباده خليلا، قال إبراهيم: ومن ذلك، قال: وما تصنع به؟ قال: أكون خادما له حتى أموت، قال: فإنه أنت**».

وقال الكلبي[(٣)] عن أبي صالح عن ابن عباس: أصاب الناس سنة جهدوا فيها فحشروا إلى باب إبراهيم يطلبون الطعام، وكانت الميرة له كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلمانه بالإبل إلى مصر يسأله الميرة، فقال: لو كان إبراهيم إنما يريده لنفسه احتملنا ذلك له، وقد دخل علينا ما دخل على الناس من الشدة فرجع رسل إبراهيم فمروا ببطحاء، فقالوا: لو احتملنا من هذه البطحاء ليرى

(١) سقط من أ.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

الناس أنا قد جئنا بميرة إذ نستحي أن نمر بهم وإبلنا فارغة فملوا تلك الغرائر، ثم إنهم أتوا إبراهيم وسارة نائمة، فأعلموه ذلك، فاهتم إبراهيم بمكان الناس فغلبته عيناه فنام، واستيقظت سارة، فقامت إلى تلك الغرائر تفتقتها فإذا هو أجود حواري، فأمرت الخبازين فخبزوا وأطعموا الناس، واستيقظ إبراهيم فوجد ريح الطعام، فقال: يا سارة من أين هذا الطعام؟ قالت: من عند خليلك المصري، فقال: بل من عند خليلي الله لا من عند خليلي المصري، فيومئذ اتخذ الله إبراهيم خليلا.

وأخرج الواحدي عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، وإنه لم يكن نبي إلا له خليل، ألا وإن خليلي أبو بكر**».

وأخرج(١) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتخذ إبراهيم خليلا وموسى كليما، واتخذني حبيبا**» ثم قال: وعزتي [ق / ١٠٠أ] لأوثرن حبيبي على خليلي.

قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ﴾ [النساء: ١٢٧].

روى البخاري(٢) عن عائشة في هذه الآية قالت: هو الرجل تكون عنده اليتيمة، هو وليها ووارثها، قد شركته في مالها، حتى في العذق، فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجها رجلاً، فيشركه في مالها، فيعضلها فنزلت.

وأخرج ابن أبي حاتم (٣) عن السدي: كان لجابر بنت عم دميمة، ولها مال ورثته عن أبيها، وكان جابر يرغب عن نكاحها ولا يُنكحها، مخافة أن يذهب الزوج بمالها، فسأل النبي ﷺ عن ذلك فنزلت.

---

(١) السابق (ص٣٢٥).
(٢) حديث رقم (٤٣٢٤).
(٣) «التفسير» (٤ / ١٠١٨)، وابن جرير (٥ / ٣٠٠).

قوله تعالى: ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾ الآية [النساء: ١٢٨] روى أبو داود والحاكم(١) عن عائشة قالت: فرقت سودة أن يفارقها النبي ﷺ حين أسنت، فقالت: يومي لعائشة ، فأنزل الله ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء: ١٢٨] .

وروى الترمذي مثله عن ابن عباس .

وأخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب: أن ابنة محمد بن سلمة كانت عند رافع بن خديج فكره منها أمرًا ، إما كبرًا أو غيره فأراد طلاقها ، فقالت: لا تطلقني واقسم لي ما بدا لك ، فأنزل الله ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا﴾ الآية [النساء: ١٢٨] ، وله شاهد موصول أخرجه الحاكم من طريق ابن المسيب عن رافع بن خديج (٢) .

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ الآية [النساء: ١٣٥] روى أسباط عن السدي (٣) قال: نزلت في النبي ﷺ ، اختصم إليه غني وفقير، فكان ضلعه مع الفقير ، رأى أن الفقير لا يظلم الغني ، فأبى الله تعالى إلا أن يقوم [ق / ١٠١أ] بالقسط في الغنى والفقير، فقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ [النساء: ١٢٥] حتى بلغ [ق/ ٧٩ ب] ﴿فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء: ١٢٥].

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية [النساء: ١٢٦] قال الكلبي(٤) : نزلت في عبد الله بن سلام وأسد وأسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وجماعة من مؤمني أهل الكتاب قالوا: يا رسول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ، ونكفر بما سواه من الكتب والرسل، فأنزل الله تعالى

---

(١) صحيح: أخرجه (٢١٣٥) والحاكم (٢٣٥٣) وصححه ووافقه الذهبي والألباني.

(٢) انظر «لباب النقول» للسيوطي (ص / ٨٤).

(٣) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٣٢٨).

(٤) السابق (ص / ٣٢٩).

هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ **لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ** ﴾ [النساء: ١٤٨] قال مجاهد[١]: إن ضيفًا تضيف قومًا فأساءوا قراه فاشتكاهم فنزلت هذه الآية رخصة في أن يشكو.

قوله تعالى: ﴿ **يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ** ﴾، أخرج ابن جرير[٢] عن محمد بن كعب القرظي قال: جاد ناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن موسى جاءنا بالألواح من عند الله، فأتنا بالألواح حتى نصدقك، فأنزل الله ﴿ **يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ** ﴾ [النساء: ١٥٣] إلى قوله ﴿ **بُهْتَانًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء: ١٥٦] فجثى رجل من اليهود فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئًا، فأنزل الله ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ** ﴾ [الزمر: ٦٧].

قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** ﴾ الآية [النساء: ١٦٣] روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: قال عدي بن زيد: ما تعلم أن الله أنزل على بشر من شيء من بعد موسى فأنزل الله ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ** ﴾ الآية [النساء: ١٦٣].

قوله تعالى: ﴿ **لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ** ﴾ [النساء: ١٦٦] قال الكلبي[٣]: إن رؤساء أهل مكة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا سألنا عنك اليهود فزعموا أنهم لا يعرفونك فأتنا بمن يشهد لك أن الله بعثك إلينا رسولاً، فنزلت ﴿ **لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ** ﴾ [النساء: ١٦٦] الآية.

قوله تعالى: ﴿ **لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ** ﴾ [النساء: ١٧١] نزلت[٤]: في طوائف من النصارى حين قالوا: عيسى ابن الله، فأنزل الله: ﴿ **لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا**

---

(١) السابق.

(٢) «التفسير» (٦ / ٧) وابن أبي حاتم (٤ / ١١٠٣).

(٣) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٣٢٩).

(٤) السابق (ص / ٢٣٠٩).

عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

قوله تعالى: ﴿**لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ**﴾ الآية [النساء: ١٧٢] قال الكلبي(١): إن وفد نجران قالوا: يا محمد تعيب صاحبنا، قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى، قال: وأي شيء أقول فيه؟ قالوا: تقول إنه عبد الله ورسوله، فقال: إنه ليس بعار لعيسى أن يكون عبد الله تعالى، قالوا: بلى، فنزل: ﴿**لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ**﴾ الآية [النساء: ١٧٢].

قوله تعالى: ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ**﴾ [النساء: ١٧٦] أخرج الواحدي(٢) عن جابر قال: اشتكيت فدخل علي رسول الله ﷺ وعندي سبع أخوات فنفخ في وجهي، فأفقت، فقلت: يا رسول الله، أوصي لأخواتي بالثلثين، قال: احبس فقلت: الشطر، قال: احبس، ثم خرج فتركني، ثم دخل علي، وقال لي: «**يا جابر إني لا أراك تموت في وجعك هذا إن الله تعالى قد أنزل فبين الذي لأخواتك، جعل لأخواتك الثلثين**»، وكان جابر يقول: نزلت هذه الآية في: ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ**﴾ [النساء: ١٧٦].

---

(١) السابق.

(٢) السابق.

فصل في المنسوخ من سورة النساء

وهي مدنية فيها من المنسوخ إحدى وعشرون آية.

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦] [ق/ ١٠٢ أ] أباحت للمولى من يتيمه قدر كفايته قال عطاء عن ابن عباس: نسخها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْماً﴾ [النساء: ١٠] وقيل: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيراً﴾ [النساء: ٢] وقيل: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨] وبه قال أبو حنيفة، وقيل محكمة، وقال عمر رضي الله عنه ومجاهد وابن جبير: المعنى قرضًا، والحسن والشعبي: له فيه قوته إذا شغله عن كسبه، والنخعي: قدر الضرورة، وأبو العالية: من الغلة دون الناض، وعن الشافعي وأحمد المذهبان.

الثانية: ﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين﴾، قال الضحاك وعكرة عن ابن عباس: نسخها آية الميراث، وقال الحسن: بالزكاة، واختلفوا في معناها أولاً فقال مجاهد: كان يجعل لجميع الأقارب من المال حظ، ولليتامى والمساكين، وقال آخرون: كانت القسمة للأقارب، وأمروا أن يقولوا لليتامى والمساكين قولاً معروفًا، وقيل: محكمة، فقال ابن جبير وعطاء [ق/ ٨٠ب] والزهري والشعبي: الصيغة للندب، ومجاهد وابن سيرين: للوجوب حقيقة.

الثالثة: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا﴾ الآية [النساء: ٩] أمر الله الأوصياء بإمضاء الوصية ولا يغيروها عن ما رسم الموصي، قال ابن عباس: أمر الوصي بأن يفعل فيما أوصى به ما يجب أن يفعل وصيته بيتيمه من غير تغيير فهي محكمة، ثم نسخ منها الجور والحيف بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا﴾ [البقرة: ١٨٢] أي إذا خاف من الموصي، وللوصي رده إلى الشرع والتحقيق أنه تخصيص.

الرابعة: ﴿ **مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا** ﴾ [النساء: ١١] اقتضت الآية مطلق الوصية ولو بالكل فنسخ الثلثين قوله عليه السلام بعد ذكر الثلث : « والثلث كثير »، وادعى المانع التخصيص .

الخامسة: ﴿ **وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ** ﴾ الآية [النساء: ١٥] كانت المرأة إذا زنت وهي محصنة حبست في بيت فلا تخرج منه حتى تموت حتى قال رسول الله ﷺ : «**قد جعل الله لهن سبيلاً ، الثيب بالثيب الرجم ، والبكر بالبكر جلد مائة إذا زنيا وتغريب عام**»، وهذه الآية كني فيها بذكر النساء عن ذكر الرجال والنساء .

السادسة: ﴿ **وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ** ﴾ [النساء: ١٦] قال الماوردي: الخطاب للأزواج أو الحكام، واقتضت الأولى حبس الزانية البكر والثيب إلى الموت أو حدوث مر، والثانية أذى الزاني المحصن وغيره، قيل: بالكلام ، وقيل: بالنعال، وقال الطبري : الأولى في الثيب ، والثانية في البكر، وقيل: تلك في المرأتين، وهذه في الرجلين، قال الأئمة الأربعة: نسخ قوله تعالى: ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا** ﴾ الآية [النور: ٢] البكرين منهما ونسخت آية الرجم المنسوخ لفظها المحكمة معناها المحصنين منهم، وليس ذكر الشيخ والشيخة لخصوصهما، وقيل: الناسخ قوله ـ عليه السلام ـ : «**ألا خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلاً الثيب بالثيب رجم الحجارة ، والبكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة** » ولا يصح وإن قلنا بجواز نسخ الكتاب بالسنة لأنه آحاد .

السابعة: ﴿ **وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ** ﴾ الآية [النساء: ١٨] دلت على عدم قبول توبة من عاين [ق/ ١٠٣ أ] رسل الموت مؤمنًا كان أو كافرًا، قال أبو صالح عن ابن عباس: نسخ عمومها للمؤمن قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [النساء: ٤٨] فوقف توبة المسلم على المشيئة، وجزم بعدم قبولها من الكافر، والجمهور على إحكامها لقوله ـ عليه السلام : «**إن الله يقبل توبة عبده ما لم تغرغر نفسه**»، وخصه الناسخ بالكافر

وإضافة التشريف تأباه.

الثـامنة: ﴿ وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ [النساء: ١٩] قال عطاء الخراساني: كانت المرأة إذا أتت بفاحشة فلزوجها أن يأخذ منها ما كان أعطاها، فنسخها الحدود، وقال ابن جريج: الحد حق الله تعالى والافقداء حق الزوج فلا نسخ، والجمهور على إحكامها، ومعناها أنها إذا أتت بالفاحشة حل له مضايقتها لتفتدي منه، قال الحسن: هي الزنا، وابن عباس: النشوز والبذاء وبيان الفاحشة ثبوتها، وليس أولها ناسخًا لما كانوا عليه من نكاح الموالية بلا صداق، أو إنكاحها وأخذ صداقها لأنه ليس حكمًا شرعيًا.

التاسعة: ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ ﴾ [النساء: ٢٤] اقتضت جواز الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، قال عطاء في آخرين: نسخ عمومها ما رواه السبعة عن أبي هريرة نهى رسول الله ﷺ أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها، والجمهور على إحكامها وتخصيصها لعدم حله قبله.

العاشرة: ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [النساء: ٢٤] قالت عائشة وابن عباس وابن المسيب ـ رضي الله عنهم: هو نكاح المتعة، وهو أن ينكحها بمال معلوم إلى أجل معلوم ينقضي بانقضائه، ولا طلاق ولا عدة ولا نسب ولا إرث لقراءة ابن عباس وأبي منهن إلى أجل مسمى والأجر الأجرة، وفي المتعة روى الشيخان عن ابن مسعود: كنا نغزو مع النبي ﷺ [ق / ٨١ ب] وليس معنا نساء، فقلنا ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل ثم نسخت، فقال ابن عباس: بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]، وقيل: بقوله: ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ ﴾ [النساء: ١٢] وقالت عائشة بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [المؤمنون: ٥، ٦] قيل: بل النسخ لا يتوجه إلا إلى السنة لأنها مكية.

روى الشيخان عن علي ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ «نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية بخيبر ».

وروى مسلم عن أبي هريرة: تمتعنا مع رسول الله ﷺ بمكة ثم قال: «**أتاني جبريل ، فقال: إن الله قد حرم متعة النساء ، فمن كان عنده منهن شيء فليفارقه ولا تأخذوا مما أتيتموهن شيئًا** » .

وقال عمر: من تمتع غيبته تحت الحجارة ، وعن ابنه أنه سفاح.

وروي أنهم لما شكوا إليه العزوبية أباح لهم المتعة ثلاثة أيام لا قبل ولا بعد ثم خطبهم الله فحرمهما.

وشذ عن علي وابن عباس وأحمد إحكامها.

وقال الحسن ومجاهد: هو النكاح الصحيح وأجورهن مهورهن لقوله: ﴿**محصنين**﴾ فهي محكمة ، وعلى أنها في المتعة يكون قوله [١٠٤ / أ] ﴿**وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِنۢ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ**﴾ [النساء: ٢٤] هو استئناف صداقها.

الحادية عشرة : ﴿ **وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ**﴾ [النساء: ٣٣] قال الحسن وقتادة وعكرمة وابن جبير: هم الخلفاء، كان الرجل يقول لصاحبه: أمري أمرك وهدي هديك، فإن مت قبلك فلك من مالي كذا وكذا، وإن مت قبلي في من مالك كذا وكذا، فكانت هذه سنتهم في الجاهلية، فإن لم يعين كل واحد منهما حتى مات صاحبه أخذ سدس ماله، وقال ابن عباس: هم المهاجرون والأنصار الذين آخى النبي ﷺ بينهم كانوا يتوارثون بها.

وقال ابن المسيب: هي في المتبنين أبناء غيرهم ثم نسخت.

ثم قال ابن عباس: بآيات المواريث وقتادة والثلاثة بقوله : ﴿ **وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ**﴾ [الأنفال: ٧٥].

وقيل : محكمة ، فقال ابن المسيب: النصيب النصرة والرفادة، وقال أبو حنيفة : الإرث عند عدم الورثة .

الثانية عشر: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ** ﴾ [النساء: ٤٣] أي: لا تدخلوا في الصلاة أو موضع الصلاة.

قال ابن عباس: سكارى من الشراب، وقال الضحاك: من النوم، وفحوى الخطاب جواز السكر في غيرها ثم نسخه قوله: ﴿ **فَاجْتَنِبُوا** ﴾ [الحج: ٣٠] وقوله ﴿ **فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** ﴾ [المائدة: ٩١] على ما عند الضحاك محكمة. انتهى.

الثالثة عشر والرابعة عشر والخامسة عشر(١) : ﴿ **فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً** ﴾ [النساء: ٨١] وقوله: ﴿ **وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا** ﴾ [النساء: ٨٠] ومعنى الإعراض ترك القتال، فهي منسوخة بآية السيف، وقيل: معناه الغضب، وترك البشاشة فهي محكمة وقيل: القول البليغ فهي مخصصة.

السادسة عشر: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا** ﴾ [النساء: ٧١] ونظيرها: ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً** ﴾ [التوبة: ٤١] وقوله: ﴿ **إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ** ﴾ [التوبة: ٣٩] دلت على أن الجهاد فرض عين.

قال ابن عباس: نسخه: ﴿ **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ** ﴾ [التوبة: ١٢٢] فصار فرض كفاية.

وقال ابن المسيب: بعكس ذلك فصار عينًا.

وقال عطاء: محكمتان، فالعموم على الصحابة، والخصوص على غيرهم.

والمختار أنه فرض كفاية إذا قصدناهم وفرض عين إذا قصدونا.

السابعة عشر: ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ** ﴾ [النساء: ٩٠] هو استثناء من المنصوب في قوله: ﴿ **وَاقْتُلُوهُمْ** ﴾ [النساء: ٨٩] دلت الآية على قتال من لم يهاجر، وأخرج منهم من اتصل بذي عهد فإنه يأمن.

قال ابن عباس: وإهلاك الأسلمي.

---

(١) قوله: ﴿ **فأعرض عنهم وعظهم** ﴾ ..

وقال الحسن: بنو مدلج.

وقال مقاتل: خزاعة ثم نسخت بالسيف.

الثامنة عشر: ﴿ **فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ** ﴾ [النساء: ٩١] مفهومًا الكف عمن كف، ثم نسخ بالسيف.

التاسعة عشر: ﴿ **فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ** ﴾ [النساء: ٩٢] قال ابن عباس: عاهد النبي ﷺ سليم، فجعل ديتهم دية المسلم الحر، وبه قال الشعبي ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا** ﴾ [النساء: ٩٣] القتل العمد أعظم الكبائر [١٠٥ / أ] بعد الشرك عند الله تعالى، وتواترت النصوص بتخليده في النار كقوله تعالى: ﴿ **يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا** ﴾ [الفرقان: ٦٩] وعند أحمد والنسائي عن معاوية قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا، أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا**».

واختلف فيها، فقيل: منسوخة، قال ابن سيرين بقوله: ﴿ **وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [النساء: ١١٦] وعكسه زيد بن ثابت لنزولها بعدها بأربعة أشهر.

وقيل: منسوخة بقوله: ﴿ **إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ** ﴾ [الفرقان: ٧٠] وعكسه زيد؛ لأن آية الفرقان مكية والنساء مدنية.

وقيل: محكمة، فقال ابن عباس وابن مسعود وابن عمر: هي على ظاهرها، ولاتوبة له ولا خروج من النار، وابن جبير: معناها إن لم يعف عنه فجزاؤه جهنم، وعكرمة: من يقتل مؤمنًا مستحلاً لقتله لنزولها في مستحله، وابن جبير مخصوصة به، ومجاهد هي لمن لم يتب.

وقيل: المراد تطويل المدة، كقول الملك: لأخلدنه في السجن لخلوه عن قيد التأبيد وأبهم للخوف والرجاء، والحق اعتقاد التوقف على المشيئة وإظهار التغليظ.

العشرون: ﴿ **وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ** ﴾

[النساء: ١٠١] ظاهرها قصر الصلاة بشرطين: السفر ، والخوف.

قيل: نسخ الثاني بما روى أحمد والنسائي عن عمر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلاة السفر ركعتان**»، وروى الشيخان عن ابن عمر قال: كان لا يزيد في السفر عن ركعتين.

وقيل: إنها محكمة، وشرط السفر الطول خلافًا لأحد قولي الشافعي، والإباحة خلافًا لأبي حنيفة ، وهو رخصة خلافًا له .

الحادية والعشرون: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾ [النساء: ١٤٥] قيل: نسخت بالآية التي تليها، وهي قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ**﴾ [النساء: ١٤٦].

الفصل الثالث : في المتشابه منها

قـوله: ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [النساء: ١] أي حواء ، فـإن قلت: إذا كانت مخلوقة من آدم، ونحن مخلوقون منه أيضًا يكون نسبـتها إليها نسبة الولد فتكون أختًا لنا لا أمًا ؟

قلت: خلقها من آدم لم يكن بتولـيد كخلق الأولاد من الآباء، فلا يلزم منه بثبوت حكم البنتية والأختية فيها.

قوله ﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ﴾ [النساء: ٢] أي: مضمومة إليها.

إن قلت أكل مـال اليتـيم حـرام، وإن لم يضم إلى مـال الوصي فلم خص النهي بالمضموم؟

قلت: لأن أكل مال اليتيـم مع الاغتناء عنه أقبح ، فلذلك خص النهي به ، ولأنهم كانوا يأكلونه مع الاغتناء عنه ، فجاء النهي على ما وقع منهم .

قوله: ﴿ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ﴾ [النساء: ١١] أي: سواء كان الولد ذكرًا أو أنثى، وما يأخـذه الأب فيما إذا كان الولد أنثى من الزائد على السـدس إنما يأخذه تـعصـيبًـا ، والآية إنما وردت لبيـان [١٠٦ / أ] الفرض.

قوله :﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [النساء: ١٢] ليس غـيره في هذه السورة؛ أي : عليم بالمضارة حليم عن المضارة.

قوله: ﴿ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [النساء: ١٣] ذكر الواو فيه هنا وتركها منه في التوبة موافقة لذكرها هنا قبله في قوله :﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ ﴾ [النساء: ١٣] وبعده في قوله ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ ﴾ [النساء: ١٤] ، وقوله :﴿ وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء: ١٤] بخلاف ذلك.

قـوله ﴿ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ ﴾ [النساء: ١٥] أي: ملك المـوت إذ التوفي هو الموت، ولا يصح به المعنى بغير إضمار إذ يصير المعنى: حتى يميتهن الموت.

قوله : ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء:١٧] أي: قبولها عليه [٨٣ / ب] لا وجوبها ، إذ وجوبها إنما هو على العبد.

وتوبة الله: رجوعه على العبد بالمغفرة والرحمة .

قوله : ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النساء:١٧] إن قلت: لم قال : بجهالة مع أن من عمل السوء بغير جهالة، ثم تاب، قبلت توبته ؟

قلت: المراد بالجهالة بقدر قبح المعصية وسوء عاقبتها، لا يكون معصية وذمًا، وكل عاص جاهل بذلك حال معصيته لأنه حال المعصية مسلوب العلم به بسبب غلبة الهوي.

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء:١٧] ليس المراد بالقريب مقابل البعيد إذ حكمهما هنا واحد، بل المراد من قوله : ﴿مِن قَرِيبٍ﴾ من قبل معاينة سبب الموت لقرينة قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ [النساء:١٨] .

قوله: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [النساء ٢٠] إن قلت: حرمة الأخذ ثابتة، وإن لم يكن قد آتاه المسمى ، بل كان في ذمته، أو في يده؟

قلت المراد بالإيتاء الالتزام والضمان ، كما في قوله تعالى : ﴿إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم﴾ [البقرة:٢٣٣] [أي ما التزمتم ورضيتم] (١) .

قوله : ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا﴾ [النساء: ٢٠] إن قلت: كيف قال ذلك مع أن البهتان الكذب مكابرة، وأخذ مهر المرأة قهرًا ظلم لا بهتان ؟

قلت: المراد بالبهتان هنا الظلم تجوزًا كما قال به ابن عباس وغيره، وقيل: المراد أنه يرمي امرأته بتهم ليتوصل إلى أخذ المهر .

قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢] إن قلت المستثنى منه مستقبل، والمستثنى ماض ، فكيف صح استثناؤه من المستقبل؟

(١) سقط من أ.

قلت : (إلا) بمعنى (بعد) أو (لكن) كما قيل في قوله تعالى: ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦] .

قوله: ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ [النساء: ٢٢] إن قلت: كيف جاء بلفظ الماضي مع أن نكاح منكوحة الأب فاحشة في الحال والاستقبال ؟

قلت: كان تستعمل تارة للماضي المنقطع نحو: كان زيد غنيًا ، وتارة للماضي المتصل بالحال نحو: كان الله غفوراً رحيمًا، وكان الله بكل شيء عليمًا، ومنه ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ [النساء: ٢٢] .

قوله: ﴿مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ [النساء: ٢٤] اقتصر عليه هنا لأنه في الحرائر المسلمات ، وهن إلى الخيانة أبعد من بقية النساء، وزاد بعد قوله : ﴿ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ [النساء: ٢٥] قوله ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴾ [المائدة: ٥] قوله : ﴿ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥] لأنه في الكتابيات الحرائر ، وهن إلي الخيانة أقرب من الحرائر المسلمات .

قولهُ :﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [النساء: ٢٥] أي: الإماء ففي ﴿وَآتُوهُنَّ ﴾ حذف مضاف أي: وأتوا مواليهن لأن مهورهن [١٠٧ / أ] إنما تعطى لمواليهن لا لهن، فإن أعطى لهن بإذن مواليهن فلا حذف.

قوله: ﴿ فإذا أحصن ﴾ ؛ أي تزوجن ، فإن قلت : الإحصان ليس قيد في وجوب تنصيف الحد على الأمة إذا زنت، بل هو عليها أحصنت أو لا ؟

قلت: ذكر الإحصان خرج مخرج جواب سؤال، فلا مفهوم له، إذ الصحابة عرفوا مقدار حد الأمة التي لم تتزوج دون مقداره من التي تزوجت فسألوا عنه، فنزلت الآية .

قوله: ﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ [النساء: ٤٣] زاد في المائدة عليه (منه) لأن المذكور ثم جميع واجبات الوضوء والتيمم فحسن البيان، والزيادة بخلاف ما هنا فحسن الترك.

قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ [النساء:٤٧] قال ذلك هنا، وقال في غيره ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ [النساء:١٧١] لموافقته التعبير هنا قبله وبعده بالذين أوتوا ولأنه تعالى استخف بهم هنا قبل، وختم بعدها بالطمس وغيره بخلاف ذلك في غير هذا الموضع.

قوله: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٨] ختم الآية مرة بقوله: ﴿ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ ، ومرة بقوله: ﴿ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا ﴾ [النساء:١١٦] ولا تكرار فيه ، وإن اشتركا في الضلال؛ لأن الأول نزل في اليهود، والثاني في كفار لا كتاب لهم، وخص ما نزل في اليهود بالافتراء لأنهم حرفوا وكتموا ما في كتبهم [٨٤ / ب] ، وذلك افتراء ؛ بخلافه في الكفار الذين لا كتاب لهم .

قوله : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ [النساء:٥٦] أي: بأن تعاد إلى حالها الأول غير منضجة ؛ أي: متحرقة، فالمراد تبدل الصفة لا الذات كما في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ [إبراهيم:٤٨] .

قوله :﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاً ظَلِيلاً ﴾ [النساء:٥٧] هو عبارة عن المستلذ المستطيب كقوله ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم:٦٢] جريًا على المتعارف بين الناس، وإلا فلا شمس في الجنة طالعة ولا غربة كما أنه لا بكرة فيها ولا عشية.

قوله ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ الآية [النساء:٦٩] إن قلت: هذا مدح لمن يطع الله والرسول وعادة العرب في صفات المدح الترقي من الأدنى إلى الأعلى، وهذا عكسه ؟

قلت: ليس هو من ذلك البيان، بل المقصود منه الإخبار إجمالاً عن كون المطيعين لله ولرسوله يكونون يوم القيامة مع الأشراف، وقدم ثم الكلام عند قوله: ﴿ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ [النساء:٦٩] ثم فضلهم بذكر الأشرف فالأشرف بقوله: ﴿ مِّنَ النَّبِيِّينَ ﴾ [النساء:٦٩] إلخ جريًا على العادة في تقدير الأشراف، ومثله:

﴿ **أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ [النساء: ٥٩] ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ** ﴾ [آل عمران: ١٨] .

قوله ﴿ **إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا** ﴾ [النساء: ٧٦] إن قلت: كيف وصف فيه كيد الشيطان بالضعف ، وفي قوله : ﴿ **إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ** ﴾ [يوسف: ٢٨] وصف كيد النساء بالعظم مع أن كيد الشيطان أعظم ؟ .

قلت المراد: إن كيد الشيطان ضعيف بالنسبة إلى نصره الله لأوليائه ، وكيد النساء عظيم بالنسبة إلي الرجال .

قوله: ﴿ **مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** ﴾ [النساء: ٧٩] الآية جميع بينه وبين قوله ﴿ **قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ** ﴾ الآية [النساء: ٧٨] بأن قوله : ﴿ **وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ** ﴾ [النساء: ٧٨] أي: إيجادًا، وقوله : ﴿ **وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ** ﴾ [النساء: ٧٩] أي : كسبًا ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ** ﴾ [ق/ ١٠٨ أ] [الشورى: ٣٠] .

قوله: ﴿ **دَرَجَةً** ﴾ [النساء: ٩٥] ثم في الآية الأخرى: ﴿ **دَرَجَاتٍ** ﴾ [النساء: ٩٦] لأن الأولى في الدنيا، والثانية في الجنة، وقيل: الأولى: المنزلة ، والثانية: بالمنزلة ، وهي درجات ، وقيل الأولى على القاعدين بعذر، والثانية على القاعدين بغير عذر .

قوله: ﴿ **قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ** ﴾ [النساء: ٩٧] إن قلت: هذا الجواب ليس مطابقًا للسؤال، بل المطابق له كنا كذا، أو لم نكن في شيء؟

قلت: المراد بالسؤال توبيخهم بأنهم لم يكونوا على الدين حيث قدروا على الهجرة ، ولم يهاجروا فصار قول الملائكة: فيم كنتم مجازاً عن قولهم: لم تركتم الهجرة، فقالوا اعتذاراً عما وبخوا به: كنا مستضعفين في الأرض.

قوله : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ** ﴾ [النساء: ١١٥] قاله هنا بالإظهار كنظيره في الأنفال، وقاله في الحشر بالإدغام لأن (ال) في الله لازمة بخلافها في الرسول،

ولأن حركة الحرف الثاني في ذلك، وإن كانت لالتقاء الساكنين كاللازمة لمجاورتها اللازم ، فلزم الإدغام في الحشر دون غيرها ، وإنما أظهر في الأنفال مع وجود لفظ الله لانضمام الرسول إليه في العطف؛ لأن التقدير فيه أن الحرف الثاني اتصل بالمتعاطفين جميعًا إذ الواو تصيرهما في حكم شيء واحد.

قوله ﴿ **مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ** ﴾ [النساء: ١٢٣] أي: إن من مات مصرًا عليه، فإن تاب منه لم يجز به .

قوله : ﴿ **كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ**﴾ [النساء: ١٣٥] وفي المائدة : ﴿ **كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ** ﴾ [المائدة: ٨] لأن لله في هذه السورة متصل ومتعلق بالشهادة بدليل قوله :﴿**ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين**﴾ [النساء: ٣٥] أي: ولو تشهدون عليهم، وفي المائدة متصل ومتعلق بقوامين ، والخطاب للولاة بدليل قوله :﴿**وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ**﴾ الآية [المائدة: ٨] .

قوله : ﴿**فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ**﴾ [النساء: ١٤١] سمي ظفر المسلمين فتحًا وظفرًا الكافرين نصيبًا بعده تعظيمًا لشأن المسلمين وتحقير حظ الكافرين لتضمن الأول نصرة دين الله وإعلاء كلمته، ولهذا أضاف الفتح إليه تعالى، وحظ الكافرين في ظفرهم دنيوي .

قوله :﴿ **إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ**﴾ [النساء: ١٤٩] في هذه السورة ، وفي الأحزاب: ﴿ **إِن تُبْدُوا شَيْئًا** ﴾ [الأحزاب: ٥٤] لأن [ق / ٨٥ ب] في هذه السورة وقع الخير مقابلة السوء في قوله :﴿ **لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ** ﴾ [النساء: ١٤٨] والمقابلة إذا اقتضت أن يكون بإزاء السوء الخير ، وفي الأحزاب وقع بعدها :﴿ **فِي قُلُوبِهِمْ** ﴾ ، فاقتضى العموم ، وأعم الأسماء شيء ثم ختم الآية بقوله: ﴿**فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٤] .

قوله :﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ**﴾ [النساء: ١٥٧] إن قلت: اليهود الداخلون تحت أهل الكتاب كانوا كافرين بعيسى ، فكيف أقروا بانه رسول الله ؟

قلت: قالواه استهزاء كما قال فرعون : ﴿ إن رسولكم الذي أرسل إليه لمجنون﴾.

قوله: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [النساء: ١٢٦] وسائر ما في هذه السورة: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ لأن الله سبحانه ذكر أهل الأرض في هذه الآية تبعًا لأهل السماوت ، ولم يفردهم بالذكر لانضمام المخاطبين إليهم ودخولهم [ق / ١٠٩ أ] في زمرتهم وهم كفار عبدة الأوثان وليسوا بمؤمنين ولا من أهل الكتاب لقوله : ﴿وَإِن تَكْفُرُوا﴾ [النساء: ١٣١] وليس هذا قياسًا مطردًا، بلا علامة .

قوله :﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ﴾ [النساء:١٢٧] ذكره هنا بغير واو ، وذكره فيما قبل بواو العطف؛ لأن الأول لما اتصل بما بعده ، وهو وقوله في النساء وصله بما قبله بواو العطف والعائد جميعًا، والثاني لما انفصل عما بعده اقتصر من الاتصال على العائد ، وهو ضمير المستفتين وفي الآية متصل بقوله :﴿يُفْتِيكُمْ﴾ [النساء:١٧٦] وليس بمتصل بقوله: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ [النساء:١٢٧]، لأن ذلك يستدعي : ﴿ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ﴾ [النساء:١٧٦] والذي يتل بيستفتونك محذوف يحتمل أن يكون ﴿ فِي الْكَلالَةِ ﴾ ، ويحتمل أن يكون فيما بدا لهم من الوقائع.

خاتمة

قال القـرطبي :أخرج الوائلي من حـديث سفيـان عن أبي إسحـاق الأسود وعلقمة قـالا: قال عبد الله: من قـرأ هاتين الآيتين من سورة النساء ثم استـغفر غـفـر له ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠] ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ﴾ .

سورة المائدة
مدنية مائة وعشرون أو واثنتان أو وثلاث آية

وفيها ثمان آيات منسوخات يأتي بيانها [في أسباب نزولها إن شاء الله تعالى][(١)] .

الفصل الأول في أسباب نزولها
قوله تعالى

﴿ **لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ** ﴾ [المائدة: ٢] [(٢)] الآية قال ابن عباس: نزلت في الحطم واسمه شريح بن ضبيعة البكري ، أتى النبي ﷺ من اليمامة إلى المدينة فخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي ﷺ فقال: إلام تدعوا الناس ؟ قال: «**إلى شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة** » . فقال : حسن إلا أن لي امراء لا أقطع أمرًا دونهم، ولعلي أسلم وآتي بهم، وقد كان النبي ﷺ قال لأصحابه: « **يدخل عليكم رجل يتكلم بلسان شيطان** » ثم خرج من عنده، فلما خرج قال رسول الله ﷺ «**لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقبي غادر**»، وما الرجل بمسلم فمر بسرح المدينة فاستقاه ، فطلبوه، فعجزوا عنه، فلما خرج رسول الله ﷺ عام القضية سمع تلبية حجاج اليمامة ، فقال لأصحابه ، «**هذا الحطم وأصحابه**»، وكان قد قلد ما نهب من سرح المدينة وأهدى إلى الكعبة ، فما توجهوا في طلبه أنزل الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ** ﴾ [المائدة: ٢] يريد ما أُشعِر لله ، وإن كانوا على غير دين الإسلام .

وأخرج ابن جرير [(٣)] عن عكرمة قال : « قدم الحطم بن هند البكري المدينة

---

(١) سقط من ب.

(٢) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٣٣٣).

(٣) «التفسير» (٦ / ٥٨).

في عير لـه تحمل طعامًا فـباعه، ثم دخل المدينة على النبي ﷺ فبـايعه وأسلم، فلما ولى خارجًا نظر إليه فقال لمن عنده : « **لقد دخل على بوجه فاجر وولى بقفا غـادر** »، فلما قدم اليمامة ارتد عن الإسـلام وخرج في عير له تحمل الطعام في ذي القعدة يريد مكة، فلما سمع به أصحاب النبي ﷺ تهيأ للخروج إليه نفر من المهاجرين [ق/ ٨٦ ب] والأنصار ليقـتطعوه في عيره، فأنزل الله ﴿ **يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ** ﴾ الآية [المائدة: ٢] فانتى القوم ، وقال زيد بن أسلم كان رسول الله ﷺ بالحـديبية حين صـدهم المشركـون عن البيت ، وقد اشـتد ذلك عليهم فـمر بهم ناس من المشركين يريدون العمـرة ، فقال أصحـاب رسول الله ﷺ نصد هؤلاء كما صدنا أصـحابهم، فأنزل الله تعالى ﴿ **لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلا الْهَدْيَ وَلا الْقَلائِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ** ﴾ [المـائـدة: ٢] أي : ولا تعتدوا على هؤلاء العُمّار أن صدكم أصحابهم .

قوله تـعالى: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ** ﴾ [المائدة: ٣] الآية أخـرج ابن منده في كتاب الصحابة من طريق عبد الله بن جـبلة بن حيان بن أبجر عن أبيه عن جده قال: كنا مع رسـول الله ﷺ وأنا أوقد تحت قدر فيـها لحم ميتـة، فأنزل تحريم الميتة فأكفأت القدر(١) .

قوله تعالى ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾ [المائدة: ٢] الآية نزلت (٢) هذه الآية يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعـد العصر في حجة الوداع سنة عشر ، والنبي ﷺ واقف بعرفات على ناقـته العضباء، روي الشـيخان (٣) عن ابن شـهاب قـال: «جاءرجـل من اليهـود إلى عمـر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقـال: يا أمـير المؤمنين إنكم تقرأون آية في كـتابكم لو علينا معـشر اليهـود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عـيدًا قال: فـأي آية هي؟ قال: ﴿ **الْيَـوْمَ أَكْـمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَـمْتُ عَلَيْكُمْ**

---

(١) انظر« لباب النقول» للسيوطي (ص ٨٧).
(٢) انظر: «أسباب النزول» للسيوطي (ص ٣٣٤).
(٣) أخرجه البخاري (٤٥) ومسلم (٣٠١٧).

نِعْمَتِي ﴾ [المائدة:٣] فقال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ والساعة التي نزلت عشية عرفة في يوم جمعة » .

ونحوه عن ابن عباس(١) قاله لليهودي .

قوله تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ** ﴾ [المائدة:٤] الآية روى الطبراني والحاكم(٢) وغيرهما عن أبي رافع قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فاستأذن عليه فأذن له فأبطأ فأخذ رداءه ، فخرج له وهو قائم بالباب ، فقال : قل آذناك، قال: أجل ولكنّا لاندخل بيتًا فيه صورة ولا كلب فنظروا فإذا في بعض بيوتهم جرو فأمر أبا رافع :لا تدع كلبًا بالمدينة إلا قتلته فأتاه ناس فقال : يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها، فنزلت :﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ** ﴾ الآية [المائدة:٤] الآية قال المفسرون (٣) : قال أبو رافع : أمرني رسول الله ﷺ أن لا أدع كلبًا بالمدينة إلا قتلته حتى بلغت العوالي فإذا امرأة عندها كلب يحرسها فرجمتها فتركته ، فأتيت النبي ﷺ فأخذته فأمرنى بقتله فرجعت إلى الكلب فقتلته ، فلما أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب جاء ناس فقالوا: يا رسول الله ماذا يحل من هذه الأمة التي تقتلها ، فسكت رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فلما نزلت أذن رسول الله ﷺ في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن إمساك ما لا نفع فيه منها، وأمر بقتل الكلب العقور وما يضر ويؤذي، ورفع القتل عما سواه وما لا ضرر فيه .

وقال سعيد بن جبير(٤) : نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين ، وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله ﷺ [ق / ١١١ أ] زيد

(١) «أسباب النزول» للواحدي (ص ٣٣٥).

(٢) ضعيف : أخرجه بهذا السياق الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٥٢٩٢) وفيه عبد الله بن محمد ابن سعيد بن أبي مريم . وهو ضعيف يروي الأباطيل.

(٣) «أسباب النزول» للواحدي (ص ٣٣٦).

(٤) السابق (ص ٣٣٧).

الخير، فقالا: يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبُزاة وإن كلاب آل ذريح وآل أبي جويرية تأخذ البقر والحمر والظباء والضب فمنه من ندرك ذكاته ومنه ما يقتل فلا ندرك ذكاته، وقد حرم الله الميتة، فماذا يحل لنا منها؟ فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ﴾ يعني الذبائح ﴿وَمَا عَلَّمْتُم﴾ [المائدة:٤] يعني: وصيد ما علمتم من الجوارح، وهي الكواسب من الكلاب وسباع الطير.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاة﴾ [المائدة:٦] روى البخاري (١) من طريق عمرو بن الحارث عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت: سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة فأناخ رسول الله ﷺ ونزل فثنى رأسه [ق / ٨٧ ب] في حجري راقدًا فأقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة، وقال: أحبست الناس في قلادة ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاة﴾ [المائده:٦] إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:٦] فقال أسيد بن حضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر.

وروى الطبراني(٢) من طريق عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت: لما كان من أمر عقدي ما كان، وقال أهل الإفك ماقالوا خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة أخرى فسقط أيضًا عقدي حتى حبس الناس عن التماسه، فقال لي أبو بكر: بنية في كل سفر تكونين عناء وبلاء على الناس، فأنزل الله الرخصة في التيمم، فقال أبو بكر: إنك لمباركة.

قال الحافظ السيوطي(٣): تنبيهان:

---

(١) حديث رقم (٤٣٣٢).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٩٢٦٣٨٤) وابن ماجه (٥٦٥) والبيهقي في «الكبرى» (٩٤٧) والطبراني في «الكبير» (١٣٠) واللفظ له.

(٣) انظر «لباب النقول» (ص / ٣٣٨).

الأول: ساق البخاري هذا الحديث من رواية غيره هي آية المائدة، وأكثر الرواية قالوا: فنزلت آية التيمم ولم يبينوها ، قال ابن بطال: هي آية النساء وآية المائدة، وقال القرطبي: هي آية النساء، وأورد الواحدي هذا الحديث في أسباب النزول عند ذكر آية النساء، ولا شك أن الذي في البخاري من أنها آية المائدة هو الصواب.

الثاني: دل الحديث على أن الوضوء كان واجبًا قبل نزول الآية ، ولهذا استعظموا نزولهم على غير ماء ، وقع من أبي بكر في حق عائشة ما وقع، وهذا هو الصواب فإن فرض الوضوء كان مع فرض الصلاة بمكة، والآية مدنية خلافًا لمن وهم في ذلك.

قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ** ﴾ الآية . أخرج ابن جرير[1] عن عكرمة ويزيد بن أبي زياد، واللفظ له أن النبي ﷺ خرج ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب ابن الأشرف وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الأشرف ويهود بني النضير يستعينهم في عقل أصابه ، فقالوا: نعم اجلس نطعمك ونعطيك الذي تسألنا ، فجلس، فقال حيي بن أخطب لأصحابه: لا ترون أقرب منه الآن، اطرحوا عليه حجارة، فاقتلوه، ولا ترون شرًا أبدًا ، فجاءوا إلى رحي [ق / ١١٢أ] عظيمة ليطرحها عليه، فأمسك الله عنها أيديهم حتى جاء جبريل فأقامه من ثم ، فأنزل الله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ** ﴾ الآية .

وأخرج نحوه [2] عن عبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة ومجاهد وعبد الله بن كثير وأبي مالك . قال مجاهد وعكرمة في سبب العقل:

---

(١) «التفسير» (٦ / ١٤٤)،

(٢) السابق.

أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ قتل رجلين من بني سليم ، وبين قومهما وبين النبي ﷺ موادعة، فجاء قومهما يطلبون الدية، وأخرج الواحدي [1] عن الحسن البصري عن جابر بن عبد الله الأنصاري أن رجلاً من محارب يقال له: غوث بن الحارث قال لقومه من غطفان ومحارب ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا: نعم، وكيف تقتله ؟ قال: أفتك به. قال: فأقبل إلى رسول الله ﷺ وهو جالس وسيفه في حجره، فقال: يا محمد أرني أنظر إلي سيفك هذا، قال: نعم، فأخذه فاستله ثم جعل يهزه ويهم به ، فيكبته الله تعالى ، ثم قال: يا محمد أما تخافني ؟ قال: «**لا**» قال: ألا تخافني وفي يدي السيف ؟ قال: « **يمنعي الله منك**»، ثم غمد السيف ورده إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ** ﴾ [المائدة: ١١] وأخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» من طريق الحسن .

وأخرج الواحدي[2] عن جابر أيضًا أن رسول الله ﷺ نزل منزلاً وتفرق الناس في العضاه يستظلون تحتها ، فعلق النبي ﷺ [٨٨ / ب] سلاحه على شجرة ، فجاء أعرابي إلى سيف رسول الله ﷺ ،ثم أقبل عليه، فقال: مني يمنعك من؟ قال: الله، قال الأعرابي مرتين أو ثلاثًا، والنبي ﷺ يقول: الله، فشام؛ أي : رفع الأعرابي السيف ، فدعا النبي ﷺ أصحابه فأخبرهم خبر الأعرابي، وهو جالس إلى جنبه لم يعاقبه .

قوله تعالى: ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ** ﴾ [المائدة: ١٥] أخرجه ابن جرير[3] عن عكرمة قال: إن النبي ﷺ أتاه اليهود يسألونه عن الرجم، فقال: أيكم أعلم؟ فأشاروا إلى ابن صوريا، فناشده بالذي أنزل التوارة على

(١) «أسباب النزول » للواحدي (ص / ٣٣٨).
(٢) السابق (ص ٣٣٩).
(٣) «التفسير» (٦ / ١٦١).

موسى ، والذي رفع الطور وبالمواثيق التي أخذت عليهم حتى أخذه أفكل ، فقال: إنه لما كثر فينا جلدنا مائة وحلقنا الرؤوس ، فحكم عليهم بالرجم، فأنزل الله : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا ﴾ [المائدة : ١٥] إلى قوله : ﴿ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة : ١٦].

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ ﴾ [المائدة : ٦٤] الآيات روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ .

ابن أمَي ، وبحري بن عمرو، وشاس بن عبدي، فكلموه وكلمهم ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته ، فقالوا : ما تخوفنا يا محمد ؟ نحن والله أبناء الله وأحباؤه، كبقول النصاري ، فأنزل الله فيهم : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ الآية [المائدة:١٨] .

وروى عنه قال: دعا رسول الله ﷺ يهود إلى الإسلام، ورغبهم فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل [١١٣ / أ] وسعد بن عبادة: يا معشر يهود اتقوا الله ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ﷺ لقد كنت تذكرونه لنا قبل بعثه وتصفونه لنا بصفته، فقال رافع بن حديد ووهب بن يهود: ما قلنا لكم هذا ، وما أنزل الله من كتاب من بعد موسى ، ولا أرسل بشيرًا ولا نذيرًا بعده، فأنزل الله : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ ﴾ الآية [المائدة: ١٥] .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ الآية [المائدة:٣٣] أخرج ابن جرير(١) عن زيد بن أبي حبيب أن عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس يسأله عن هذه الآية ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [المائدة:٣٣] فكتب إليه أنس يخبره أن هذه الآية نزلت في العرنيين ارتدوا عن الإسلام وقتلوا الراعي واستاقوا الإبل، الحديث .

ثم أخرج عن جرير مثله .

---

(١) السابق .

وأخرجه عبد الرزاق نحوه عن أبي هريرة، وأخرج الواحدي [(١)] عن قتادة عن أنس أن رهطًا من عكل وعرينة أتوا رسول الله وقالوا : يا رسول الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف ، فأمر لهم رسول الله ﷺ بزودان يخرجوا فيها فيشربوا من ألبانها وأبوالها ، فقتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا الزود فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم، وتركوا في الحرة حتى ماتوا على حالهم، فقال قتادة: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت فيهم : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ إلى آخر الآية [المائدة: ٣٣] .

قوله تعالى :﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة: ٣٨] قال الكلبي[(٢)]: نزلت في طعمة بن أبيرق سارق الدرع، وقد مضت قصته في قوله تعالى: ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس ﴾ الآية [المائدة : ١٠٥] .

وأخرج أحمد[(٣)] وغيره عن عبد الله بن عمرو أن امرأة سرقت على عهد رسول الله ﷺ فقطعت يدها اليمنى ، فقالت: هل لي من توبة يا رسول الله؟ فأنزل الله في سورة المائدة :﴿ فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ ﴾ الآية [المائدة: ٣٩] .

قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ الآيات [المائدة: ٤١] روى أحمد وأبو دواد [(٤)] عن ابن عباس قال: أنزلها الله في طائفتين من اليهود قهرت إحداهما الأخرى في الجاهلية حتى ارتضوا فاصطلحوا على أن كل قتيل قتلته العزيزة من الذليلة فديته [خمسون وسقًا، وكل قتيل قتلته الذليلة من [٨٩ / ب] العزيزة فديته][(٥)] مائة وسق، فكانوا على ذلك حتى قدم

---

(١) «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٣٤٠).

(٢) السابق.

(٣) ضعيف: أخرجه أحمد (٦٦٥٧) وفيه : ابن لهيعة.

(٤) حسن: أخرجه أحمد (٢٢١٢) والطبراني في «الكبير» (١٠٧٣٢) وأخرج أبو داود بعضه (٣٥٧٦) قال الهيثمي في «المجمع» (١٠٩٧٥) : وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وهو ضعيف وقد وثق وبقية رجال أحمد ثقات، وقال الألباني : حسن.

(٥) سقط من أ.

رسول الله ﷺ فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلاً، فأرسلت العزيزة أن ابعثوا إلينا بمائة وسق، فقالت الذليلة هل كان ذلك في حيين قط دينهما واحد ونسبهما واحد وبلدهما واحد دية بعضهم نصف دية بعض ؟

إنا أعطيناكم هذا ضيمًا منكم لنا وخوفًا، فأما إذ قدم محمد فلا نعطيكم، فكات الحرب [١١٤ /أ] تهيج بينهما [ثم ارتضوا علي أن جعلوا رسول الله ﷺ بينهما](١) فأرسلوا إليه ناسًا من المنافقين ليختبروا رأيه، فأنزل الله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ** ﴾ الآية [المائدة: ٤١] .

وروى أحمد ومسلم وغيرهما عن البراء بن عازب قال: مُر على رسول الله ﷺ بيهودي محمم مجلود فدعاهم، فقال: هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ فقالوا: نعم، فدعا رجلا من علمائهم فقال: « **أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى ، هكذا تجدون حدى الزنى في كتابكم ؟** » فقال: لا والله ولولا أنكم أنشدتني بهذا لم أخبرك، نجد حد الزاني في كتابنا الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه، فقلنا: تعالوا نجعل شيئًا نقيمه على الشريف والوضيع فاجتمعنا على التحميم والجلد ، فقال النبي ﷺ: « **اللهم إني أول من أحيي أمرك إذ أماتوه** » فرجم، فأنزل الله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ** ﴾ [المائدة: ٤١] إلى قوله : ﴿**إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ**﴾ [المائدة: ٤١] يقولون : ائتوا محمدًا فإن أفتاكم بالجلد والتحميم [فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم] (٢) فاحذروا إلى قوله : ﴿**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [المائدة: ٤٥] .

وروى مسلم(٣) عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ أنه رجم يهوديًا ويهودية

---

(١) سقط من أ.

(٢) سقط من أ.

(٣) صدر الحديث أخرجه الترمذي (١٤٣٦) من حديث ابن عمر، و(١٤٣٧) من حديث جابر بن سمرة وقال: وفي الباب عن ابن عمر والبراء وجابر وابن أبي أوفى وعبد الله بن الحارث وابن عباس =

ثم قال: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥] ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧] قال: نزلت كلها في الكفار.

قوله تعالى ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٩] قال ابن عباس[1]: إن جماعة من اليهود منهم كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فأتوه، فقالوا: يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم، وإنا إن اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قوم خصومة ونحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم، ونحن نؤمن بك ونصدقك، فأبى ذلك رسول الله ﷺ وأنزل الله فيهم: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ [المائدة: ٤٩] إلى قوله: ﴿ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠] قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ ﴾ [المائدة: ٥١] قال عطية العوفي[2]: جاءعبادة بن الصامت، فقال: يا رسول الله إن لي موالي من اليهود كثير عددهم حاضر نصرهم وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود وآوي إلى الله ورسوله، فقال عبد الله بن أبي: إني رجل أخاف الدوائر، ولا أبرأ من ولاية يهود، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا الحباب ما تخليت به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه**»، قال: قد قبلت، فأنزل الله تعالى فيهما ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [المائدة: ٥١] إلي قوله ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ [المائدة: ٥٢] يعني عبد الله بن أبي ﴿ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾ الآية [المائدة: ٥٢] وأخرجه ابن أبي شيبة وابن جرير عن [١١٥ / أ] عطية بن سعد.

= ا. هـ. وحديث البراء عند مسلم برقم (١٧٠٠): مر النبي ﷺ بيهودي محممًا. وفيه نزول هذه الآيات.

(١) «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٣٤٦).

(٢) السابق.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية [المائدة: ٥٥] أخرجه الواحدي(١) عن أبي صالح عن ابن عباس قال: أقبل عبد الله بن سلام ومعه نفر من قومه قد آمنوا فقالوا: يا رسول الله إن منازلنا بعيدة، وليس لنا مجلس ولا متحدث، وإن قومنا لما رأونا آمنا بالله ورسوله [٩٠ / ب] وصدقناه رفضونا وآلوا علينا أنفسهم أن لا يجالسونا ولا يناكحونا ولا يكلمونا فشق ذلك علينا، فقال لهم النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية [المائدة: ٥٥] ثم إن النبي ﷺ خرج إلى المسجد والناس بين قائم وراكع فنظر سائلاً، فقال: «**هل أعطاك [أحد شيئًا ؟**» قال: نعم خاتمًا من ذهب قال: «**من أعطاك ؟**»] (٢) قال: ذلك القائم وأومأ بيده إلى علي - رضي الله عنه - فقال: «**على أي حال أعطاك؟**» قال: أعطاني وهو راكع، فكبر النبي ﷺ ثم قرأ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦] وفي رواية أن عبد الله لما اشتكى للنبي ﷺ ما يلقى من اليهود نزلت هذه الآية، فقرأها عليه رسول الله ﷺ فقال: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء، ونحو هذا قال الكلبي، وإن آخر الآية في علي بن أبي طالب لأنه أعطى خاتمه سائلاً، وهو راكع في الصلاة.

وأخرج الطبراني في الأوسط بسند فيه مجاهيل عن عمار بن ياسر قال: وقف على علي بن أبي طالب سائل وهو راكع في تطوع فنزع خاتمه، فأعطاه السائل فنزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية [المائدة: ٥٥] قال: نزلت في علي ابن أبي طالب.

وروى ابن مردوية [من وجه آخر عن ابن عباس مثله.

---

(١) ضعيف جدًا: أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» (ص ٣٤٨) وقد أورده ابن كثير في «تفسيره» (٢ / ٩٧) لابن مردوية وقال: وهذا إسناد لا يفرح به. وفيه الكلبي وهو متروك. وأبو صالح ثم قال ابن كثير بعد ذكره لعدة طرق له: وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها وجهالة رواتها.

(٢) سقط من أ.

وآخرج ابن جرير](١) ، عن مجاهد وابن أبي حاتم عن سلمة بن كهيل، مثله فهذه شواهد يقوي بعضها بعضًا.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا﴾ [المائدة: ٥٧] الآية روى أبو الشيخ ابن حبان عن ابن عباس قال: كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ونافقا، وكان رجل من المسلمين يوادهما، فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٥٧] إلى قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٦١] وبه قال: أتي النبي ﷺ نفر من يهود فيهم أبو ياسر بن أخطب ونافع بن أبي نافع وغازي بن عمرو فسألوه عمن يؤمن به من الرسل قال: أومن بالله: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦] فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته، وقالوا: نؤمن بعيسى ولا بمن آمن به، فأنزل الله فيهم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا﴾ الآية [المائدة: ٥٩] .

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ [المائدة: ٥٨] قال الكلبي(٢) : كان منادي رسول الله ﷺ إذا نادى إلى الصلاة، فقام المسلمون [١١٦ / أ] إليها قالت اليهود: قاموا لا قاموا، صلوا لا صلوا، ركعوا لا ركعوا، على طريق الاستهزاء والضحك، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وقال السدي(٣) : نزلت في رجل من من نصارى المدينة كان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمدًا رسول الله قال: حرق الكذاب فدخل خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم وأهله نيام، فتطايرت منها شرارة في البيت فأحرقته واحترق هو وأهله.

---

(١) سقط من أ.

(٢) «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٣٤٩).

(٣) السابق.

وقال آخرون(١) : إن الكفار لما سمعوا الأذان حسدوا رسول الله ﷺ على ذلك فالوا: يا محمد لقد أبدعت شيئًا لم نسمع به فيما مضى من الأمم الخالية فإن كنت تدعى النبوة فقد خالفت فيما أحدثت من هذا الأذان الأنبياء قبلك، ولو كان في هذا الأمر خير كان أولى الناس به الأنبياء والرسل قبلك فمن أين لك صياح كصياح العير ، فما أقبح من صوت وما أسمج من كفر، فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [٩١ / ب] الآية [فصلت: ٣٣] .

قوله تعالى :﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ أخرج الطبراني عن ابن عباس قال: قال رجل من اليهود يقال له : النباش بن قيس إن ربك بخيل لا ينفق . فأنزل الله : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ الآية [المائدة: ٦٤] (٢) ، وأخرج أبو الشيخ من وجه آخر عنه قال: نزلت ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] في فنحاص رأس يهود قينقاع .

قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] قال الحسن : إن نبي الله ﷺ قال: لما بعثني الله برسالته ضقت بها ذرعًا وعرفت أن من الناس من يكذبني ، وكان رسول الله ﷺ يهاب قريشًا واليهود والنصارى. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وأخرج أبو الشيخ عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: إن الله بعثني برسالته فضقت بها ذرعًا وعرفت أن الناس مكذبي ، فوعدني لأبلغن أو ليعذبني . فأنزلت: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ .

وأخرج الترمذي والحاكم عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية :﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] فأخرج رأسه من القبلة فقال : يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله .

---

(١) السابق.

(٢) سقط من ب

في هذا الحديث أنها ليلية قرشية.

وأخرجه الطبراني عن أبي سعيد الخدري قال: كان العباس عم رسول الله ﷺ يحرسه فلما نزلت : ﴿ **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ ترك الحرس.

وأخرج ابن حبان في «صحيحه» عن أبي هريرة قال: كنا إذا صحبنا رسول الله ﷺ تركنا له أعظم شجرة وأظلها فينزل تحتها. فنزل ذات يوم تحت شجرة وعلق سيفه فجاء رجل وأخذه وقال: يا محمد من يمنعك مني؟ فقال رسول الله ﷺ : «**الله يمنعني منك ضع السيف**». فوضعه فنزلت: ﴿ **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال : لما غزا رسول الله ﷺ بني أنمار نزل ذات الرقاع بأعلى نخل فبينما هو جالس على رأس بئر قد دلى رجليه، فقال الوارث من بني النجار: لأقتلن محمداً ، فقال له أصحابه : كيف تقتله؟ قال: أقول له : اعطني سيفك ، فإذا أعطانيه قتلته .

فأتاه فقال : يا محمد أعطني سيفك أشيمه ، فأعطاه إياه فرعدت يداه، فقال رسول الله ﷺ : «**حال الله بينك وبين ما تريده**» . فأنزل الله: ﴿ **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ الآية .

وعن عائشة قالت: سهر رسول الله ﷺ ذات ليلة فقلت : يا رسول الله ما شأنك؟ قال : ألا رجل صالح يحرسني الليلة؟ قالت: فبينما نحن في ذلك سمعت صوت السلاح، فقال : من هذا ؟ قال سعد وحذيفة : جئنا نحرسك ، فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيطه . نزلت هذه الآية : ﴿ **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من قبة أدم فقال : « **انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله تعالى** » .

وأخرجه الواحدي عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يُحرس فكان يرسل معه أبو طالب كل يوم رجالاً من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت عليه هذه الآية : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ** ﴾ إلى قوله :﴿ **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾ قال: فأراد عمه أن يرسل معه من يحرسه، فقال: يا عماه إن الله تعالى

قد عصمني من الجن والإنس ، وأخرجه السيوطي][(١)] .

من رواية ابن مردويه والطبراني عن ابن عباس قال: وهذا يقتضي أن الآية مكية والظاهر خلافه .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ﴾ الآية [المائدة:٦٨] روى ابن جرير [٩٢ / ب] وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : جاء رافع وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف فقالوا: يا محمد ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا؟ قال: «**بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها وكتمتم ما أمرتم أن تبينوه للناس**»، قالوا: فإنا نأخذ بما في أيدينا فإنا على الهدى والحق، فأنزل الله: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [المائدة:٦٨] الآية .

قوله تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً ﴾ [المائدة: ٨٢] أخرجه ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب وأبي بكر بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير قالوا: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري وكتب معه كتابًا إلى النجاشي فقدم على النجاشي، فقرأ كتاب رسول الله ﷺ ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه وأرسل إلي الرهبان والقسيسين ثم أمر بجعفر بن أبي طالب، فقرأ عليه سورة مريم فآمنوا بالقرآن وفاضت أعينهم من الدمع، فهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً ﴾ [المائدة: ٨٢] إلى قوله :﴿ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة:٨٣] ، وأخرج حميد وابن جبير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن سعيد بن جبير في قوله [١١٧ / أ] ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا ﴾ [المائدة:٨٢] قال : هم رسل النجاشي الذي أرسل بإسلامه وإسلام قومه كانوا سبعين رجلاً يختارهم من قومه الخير فالخير في الفقه والسن، وفي لفظ بعث من خيار أصحابه إلى رسول الله ﷺ دخلوا عليه فقرأ عليهم سورة يس فبكوا حين سمعوا القرآن وعرفوا أنه الحق، فأنزل الله فيهم:﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ

---

(١) سقط كبير من أ بمقدار ورقة مخطوطة.

قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ الآية [المائدة: ٨٢] ، ونزلت هذه الآية فيهم أيضًا: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٥٢] إلى قوله: ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾ [القصص: ٥٤] ذكره في «الدر المنثور» ومجموع متفرق في كتاب الواحدي واللباب .

وقال الواحدي(١) : وقال آخرون: قدم جعفر بن أبي طالب من الحبشة هو وأصحابه ومعهم سبعون رجلاً ، بعثهم النجاشي وفدًا إلى رسول الله ﷺ عليهم ثياب الصوف اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام وهم بحيرا الراهب وإبراهيم وإدريس وأشرف وتمام وقيثم ودريد وأيمن ، فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة يس إلى آخرها، فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا، فقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآيات .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧] أخرج الواحدي(٢) عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً أتي رسول الله ﷺ فقال: إني إذا أكلت من هذا اللحم انتشرت إلى النساء وإني حرمت علي اللحم، فنزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧] ونزلت : ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا﴾ الآية [المائدة : ٨٨] ، وأخرجه الترمذي وغيره (٣) عن ابن عباس .

وقال المفسرون (٤) : جلس رسول الله ﷺ يومًا فذكر الناس [وصف القيامة ولم يزدهم على التخويف فرق الناس](٥) وبكوا، واجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وهم أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب

---

(١) «أسباب النزول» (ص / ٣٥٤).

(٢) «أسباب النزول» (ص / ٣٥٥).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٠٥٤) والطبراني في «الكبير» (١١٩٨١) وابن جرير (٧ / ١١) وابن أبي حاتم (٤ / ١١٨٦) . وقال الترمذي: حسن غريب. وقال الألباني: صحيح.

(٤) «أسباب النزول» (ص / ٣٥٦

(٥) سقط من أ.

وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو وأبو ذر الغفاري وسالم مولى حذيفة والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن، واتفقوا أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ،ولا يناموا على الفرش، ولا يأكلوا اللحم ولا الودك، ولا يقربوا [١٩٤ / أ] النساء والطيب ،ويلبسوا المسوح، ويرفضوا الدنيا، ويسيحوا في الأرض، ويترهبوا ويجبوا المذاكير ، فبلغ ذلك رسول ﷺ فقال لهم: « **ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا** » . قالوا بلى يا رسول الله، وما أردنا إلا الخير، فقال: «**إني لم أومر بذلك إن لأنفسكم عليكم حقًا ، فصوموا وأفطروا ، وقوموا وناموا ،فإني أقوم وأنام ، وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم، ومن رغب عن سنتي فليس مني**»، ثم خرج إلى الناس وخطبهم فقال: ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا أما إني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانًا فإنه ليس [١١٨ / أ] في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع، وإن سياحة أمتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد، واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وحجوا واعتمروا ،وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان، فإنما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسكم فشدد الله عليهم، فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فقالوا: يا رسول الله ، فكيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها ؟ [وكانوا حلفوا على ما عليه اتفقوا](١) فأنزل الله تعالى: ﴿ **لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ** ﴾ [المائدة: ٨٩] .

وأخرجه ابن جرير(٢) من طريق العوفي عن ابن عباس أن رجالاً من الصحابة منهم عثمان بن مظعون حرموا النساء واللحم على أنفسهم وأحدوا الشفار ليقطعوا مذاكيرهم لكي تنقطع الشهوة عنهم ويتفرغوا للعبادة فنزلت .

قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ** ﴾ الآية [المائدة: ٩٠] روى النسائي والبيهقي عن ابن عباس قال: إنما أنزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل

---

(١) سقط من أ.

(٢) «التفسير» (٧ / ١٤).

الأنصار ،شربوا فلما ثمل القوم عبث بعضهم ببعض، فلما صحوا جعل الرجل يرى الأثر في وجهه ورأسه ولحيته فيقول : صنع بي هذا أخي فلان وكانوا أخوة ليس في قلوبهم ضغائن، فيقول: والله لو كان بي رؤوفًا رحيمًا ما صنع بي هذا، حتى وقعت الضغائن في قلوبهم، فأنزل الله هذه الآية ، فقال ناس من المتكلفين هي رجس وهي في بطن فلان، وقد قتل يوم أحد، فأنزل الله :﴿ **لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ** ﴾ الآية [المائدة: ٩٣] .

وأخرجه الواحدي(١) عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه فقال: أتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين فقالوا: تعالى نطعمك ونسقيك خمرًا، وذلك قبل أن تحرم الخمر، فأتيتهم في حش، والحش: البستان، وإذا رأس جزور مشوي عندهم دن من خمر، فأكلت وشربت معهم فذكرت الأنصار والمهاجرين، فقلت: المهاجرون خير من الأنصار، فأخذ رجل لحيي الرأس فضربني به فجذع أنفي ، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته ، فأنزل الله تعالى: في يعني نفسه شأن الخمر: ﴿ **إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ** ﴾ [المائدة: ٩٠] الآية قال: رواه مسلم(٢) .

وأخرج(٣) عن أبي ميسرة عن عمر بن الخطاب قال: اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت الاية التي في النساء :﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى** ﴾ وكان منادي رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة ينادي: لا تقربوا الصلاة سكارى، فدعى عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بين في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت هذه الآية :﴿ **فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** ﴾ [المائدة: ٩١] قال عمر: انتهينا انتهينا وكان يحدث أشياء لرسول الله ﷺ بسبب شرب الخمر قبل تحريمها منه قصة سعد المذكورة ، ومنها قصة علي بن أبي طالب مع حمزة - رضي الله عنهما -

---

(١) «أسباب النزول» (ص ٣٥٧).

(٢) حديث (١٧٤٨).

(٣) «أسباب النزول» (٣٥٨١) وقد أخرجه أبو داود (٣٦٧٠) والترمذي (٣٠٤٩) بسند صحيح.

أخرجها الواحدي(١) عن الحسين بن علي [أن علي] (٢) بن أبي طالب [١٩٤ / ب] ـ رضي الله عنه ـ قال: كانت لي شارف من [١١٩ / أ] نصيبي من المغنم يوم بدر ، وكان رسول الله ﷺ أعطاني شارفًا من الخمس ، فلما أردت أن ابتني بفاطمة بنت رسول الله ﷺ واعدت رجلاً صواغًا من بنى قينقاع أن يرتحل معي فنأتي بإذخر أردت أن أبيعه من الصواغين فأستعين به ؛ أي : بثمنه في وليمة عرسي فبينما أنا أجمع لشارفي متاعًا من الأقتاب والقوارير والحبال وشارفي مناختان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار، ، أقبلت فإذا أنا بشارفي قد جبت أسنمتها وبقرت خواصرها، وأخذ من أكبادها ، فلم أملك عيني حين رأيت ذلك المنظر، وقلت: من فعل هذا؟ قالوا: فعله حمزة وهو في البيت في شرب من الأنصار ، غنت قينة فقالت في غنائها ؛ أي : من بحر الوافر:

ألا يا حُمْز للشُرُف النِّواءِ وهنَّ مُعقلاتٌ بالغِنَاء

ضع السكين في اللَّبَّابِ منها فَضَرِّجْهُن حمزةُ بالدِّمَاء

وأطعم من شرائحها كبابًا مُلَهْوَجَةً على وهَجِ الصِّلاء

فأنت أبا عُمَارةِ المُرجَّي لِكَشْفِ الضُّرَّ عَنَّا والبَلاء

فوثب إلى السيف فاجتب أسنمتها وبقر خواصرهما وأخذ من أكبادها ، قال علي: فانطلقت حتى أدخل على النبي ﷺ (وعنده زيد بن حارثة فعرف رسول الله ﷺ)(٣) الذي أتيت له، فقال: مالك ؟ فقلت: يا رسول الله ،ما رأيت كاليوم عدا حمزة علي ناقتي واجتب أسنمتها وبقر خواصرهما ،وها هو ذا في بيت معه شرب. قال: فدعا رسول الله ﷺ بردائه ثم انطلق يمشي واتبعت أثره أنا وزيد بن حارثة ،حتى جاء البيت الذي هو فيه، فاستأذن فأذن له فإذا هم

---

(١) «أسباب النزول» (ص ٣٥٩)

(٢) سقط من أ.

(٣) سقط من أ.

شرب، فطفق رسول الله ﷺ يلوم حمزة فيما فعل، فإذا حمزة ثمل محمرة عيناه، فنظر حمزة إلى رسول الله ﷺ ثم صعد النظر ، فنظر وجهه ثم قال: وهل أنتم إلا عبيد أبي ؟ فعرف رسول الله ﷺ أنه ثمل ، فنكص على عقبيه القهقري ، فخرج وخرجنا ، وقال رواه البخاري [١] فكان ذلك من الأسباب الموجبة لنزول تحريم الخمر .

قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا**﴾ الآية [المائدة: ٩٣] روى الشيخان[٢] عن أنس قال :كنت ساقي القوم يوم حرمت في بيت أبي طلحة وما شرابهم إلا الفضيخ البُسر والتمر، وإذا منادي ينادي : ألا إن الخمر قد حرمت ، قال: فخرجت في سكك المدينة، فقال أبو طلحة: أخرج فأرقها قال: فأرقتها ، فقالوا أو قال بعضهم: قتل فلان وقتل فلا، وهي في بطونهم، فأنزل الله تعالى : ﴿**لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا**﴾ [المائدة: ٩٣] .

قوله تعالى: ﴿ **قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ** ﴾ [المائدة: ١٠٠] أخرج الواحدي[٣] والأصبهاني في «الترغيب» عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله ـ عز وجل ـ حرم عليكم عبادة الأوثان وشرب الخمر والطعن في الأنساب، ألا إن الخمر لعن شاربها وعاصرها وبائعها وآكل ثمنها**»، فقام إليه أعرابي فقال: يا رسول الله ، إني كنت رجلاً كانت هذه تجارتي فاقتنيت من بيع الخمر مالاً ، فهل ينفعني ذلك المال إن عملت [١٢٠ / أ] فيه بطاعة الله تعالى؟ فقال له النبي ﷺ : « **إن أنفقته في حج أو جهاد أو صدقه لم يعدل عند الله**

---

(١) حديث رقم (٤٠٠٣).

(٢) البخاري (٢٤٦٤) ومسلم (١٩٨٠).

(٣) «أسباب النزول» (ص / ٣٦٢).

جناح بعوضة، إن الله لا يقبل إلا الطيب» فأنزل الله تعالى تصديقًا لقول رسول الله ﷺ **﴿قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾** [المائدة: ١٠٠] [والخبيث: الحرام] (١) .

قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾** الآية [المائدة: ١٠١] روى البخاري (٢) عن ابن عباس قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ أستهزاءًا فيقول الرجل : من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته : أين ناقتي؟ فأنزل [٩٥ / ب] الله فيهم هذه الآية : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾** [المائدة: ١٠١] حتي فرغ من الآية كلها.

وأخرج ابن جرير مثله من حديث أبي هريرة.

وروي أحمد والترمذي والحاكم عن علي قال: لما نزلت : **﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾** [آل عمران: ٩٧] قالوا: يا رسول الله أفي كل عام؟ [فسكت رسول الله أفي كل عام؟] (٣) قال: «**لا ، ولو قلت نعم لوجبت**» ، فأنزل الله **﴿لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾** [المائدة: ١٠١] وأخرج ابن جرير مثله من حديث أبي أمامة .

قال الحافظ ابن حجر: لا مانع أن تكون نزلت في الأمرين وحديث ابن عباس في ذلك أصح إسنادًا .

قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾** [المائدة: ١٠٥] قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس(٤) : كتب رسول الله ﷺ إلى أهل هجر وعليهم منذر بن ساوي يدعوهم إلى الإسلام ، فإن أبوا فليؤدوا الجزية ، فلما أتاه الكتاب عرضه على من عنده من العرب واليهود

---

(١) سقط من أ.

(٢) البخاري (٤٣٤٦).

(٣) سقط من أ.

(٤) «أسباب النزول» للواحدي (ص ٣٦٣).

والنصارى والصابئين والمجوس، فأقروا بالجزية وكرهوا الإسلام، فكتب إليهم رسول الله ﷺ أما العرب فلا نقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، وأما أهل الكتاب والمجوس فأقبل منهم الجزية، فلما قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ أسلمت العرب، وأما أهل الكتاب والمجوس فأعطوا الجزية، فقال منافقوا العرب: عجبًا من محمد يزعم أن الله يبعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا ولا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب فلا نراه إلا قبل من مشركي أهل هجر ما رد على مشركي العرب، فأنزل الله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ** ﴾ [المائدة: ١٠٥] يعني من ضل من أهل الكتاب.

قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ** ﴾ [المائدة: ١٠٦] الآية أخرج الواحدي(١) عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس قال: كان تميم الداري وعدي بن بدا يختلفان إلي مكة فصحبهما رجل من قريش من بني سهم فمات بأرض ليس بها أحد من المسلمين، فأوصى إليهما بتركته، فلما قدما دفعاها إلى أهله وكتما جامًا كان معه من فضة مخوصًا بالذهب، فقالا: لم نره فأتى بها للنبي ﷺ فاستحلفهما بالله ما كتما ولا اطلعا وخلى سبيلهما ثم إن الجام وجد عند قوم من أهل مكة، فقالوا: ابتعناه من تميم الداري وعدي بن بدا، فقام أولياء السهمي فأخذوا الجام وحلف رجلان منهم أن هذا الجام جام صاحبنا وشهادتنا أحق من شهادتهما، وما اعتدينا، فنزلت هاتان الآيتان ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ** ﴾ [١٢١ / أ] [المائدة: ١٠٦].

وروى الترمذي (٢) وضعفه وغيره عن ابن عباس عن تميم الداري في هذه الآية ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ** ﴾ [المائدة: ١٠٦] قال: برئ الناس منها غيري وغير عدي بن بداء وكانا نصرانيين يختلفان إلى الشام قبل الإسلام، فأتيا الشام لتجارتهما وقدم عليهما مولى لبني هاشم يقال له بديل بن

---

(١) السابق (ص / ٣٦٤).

(٢) ضعيف جدًا: أخرجه الترمذي (٣٠٥٩) وقال: حديث غريب وليس إسناده بصحيح.

أبي مريم بتـجارة ومعه جـام من فضة يريد به الملك، وهو أعظم تجارتـه فمرض فأوصى إليهما أو أمرهما أن يبلغـا ما تركه أهله، قال تميم فلما مات أخذنا ذلك الجام فـبعناه بألف درهم ثم اقتـسمناه أنا وعدي بن بداء ، فلمـا قدمنا إلى أهله دفعنا إليهم ما كان معنا وفقدوا الجام فسألونا عنه، فقلنا : ما ترك غير هذا، وما دفع إلينا غيره، فلما أسلمت تأثمت من ذلك فأتيت أهله فخبرتهم الخبر ودفعت إليهم خمسمائة درهم وأخبـرتهم أن عند صاحبي مثلها، فأتوا به رسول الله ﷺ فسألهم البينة ، فلم يجدوا، فأمـرهم أن يستحلفوه فحلف فأنزل الله ﴿ **يَا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ** ﴾ [المائدة: ١٠٦] [٩٦ / ب] إلى قوله ﴿ **أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَـانِهِمْ** ﴾ [المائدة: ١٠٨] فقام عـمرو بن العاص ورجل آخر فـحلفا ، فنزعت الخمسمائة درهم من عدي بن بداء .

فائدة:

جزم الذهبي بأن تميم النازل فيه غير تميم الداري وعزاه لمقاتل ابن حبان .

قال الحافظ بن حجر: وليس بجيد للتصريح في هذا الحديث بأنه الداري.

الفصل الثاني: في المنسوخ من سورة المائدة

وهي ثمان آيات :

الآية الأولى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٢] إلى قوله ﴿وَرِضْوَانًا﴾ [المائدة: ٢] قال الشعبي : نسخ الجميع آية السيف، بناء على أن براءة نزلت بعد المائدة، فشعائر الله: الحج، والشهر الحرام: القتال فيه، والهدي: النعم التي يسوقها الحاج، والقلائد: أصحابها كان الحاج يتقلد من لحاء شجر الحرم ليأمن، وآمين البيت الحرام: قاصدوه بحج أو عمرة.

وافق مجاهد في نسخ القلائد، وقتادة في نسخ آمين.

وقال الحسن وأبو ميسرة جميعهما محكمة بناء على أنها نزلت بعد براءة ، فيه مخصصة فالشعائر: معالم دين الله، والشهر الحرام قتال المسلمين فيه لأنه أشد، والهدي: استحلاله قبل محله، والقلائد: أخذها من شجر الحرم، وآمين البيت: من المسلمين.

الثانية: ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥] التسمية واجبة عند أبي حنيفة ، سنة عند الشافعي، مكروهة الترك عند مالك، ودل عموم الآية على حل ذبيحة أهل الكتاب سمى الله الله تعالى أو آلهته أو غيرها كملك . قال ابن عمر: نسخت بقوله تعالى ﴿وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١٢١] والحق أنه تخصيص .

الثالثة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ﴾ [المائدة: ٦] قال ابن عباس: تقديره إذا قمتم محدثين فأوجبه على كل محدث عند كل صلاة، وقال علي : هي عامة فأجبه على المحدث وندبه للمتطهر ، وقال عكرمة وابن سيرين بوجوبه على المحدث والمتطهر ، فقيل: نسخ وجوبه على المتطهر بقول بريدة :صلى عليه السلام يوم الفتح الخمس بوضوء واحد، فقال عمر: لقد صنعت شيئًا لم تكن

صنعته فقال « عمداً فعلته يا عمر » .

ونصب [١٢٢ / أ] ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وشعبة (وأرجلكم) عطفًا على المنصوب.

وجرها نافع وابن عمار الكسائي وحفص عطفًا على المجرور.

فظاهر النصب وجوب غسل الرجلين مع احتمال العطف على محل المجرور.

وظاهر الجر وجوب مسحهما مع احتمال المجاز والجوار فيه محكمة مبينة بغسله ـ عليه السلام ـ رجليه فيه وأمره بتخليل الأصابع ووعيده الأعقاب.

فإما إنه تجوز بالمسح عن الغسل لمظنة السرف، أو أراد الغسل الخفيف.

وقال الشعبي : نزل القرآن بالمسح وجاءت السنة بالغسل فنسخ به، والصواب التخصيص ونزلها الشافعي على حالتين وجوب الغسل إن لم يكن الخفاف والمسح أن يكونا .

وقال ابن عباس : نسخ الغسل مسح الخف وحلف أنه ـ عليه السلام ـ ما مسح بعد نزولها ، وقال جرير بن عبد الله: مسحهما بعدها وإسلامه متأخر عنها.

الرابعة: ﴿ **فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ** ﴾ [المائدة: ١٣] قال الجمهور: منسوخة بناء على تأخرها عن التوبة ، فقال ابن عباس بقوله ﴿**فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ**﴾ [التوبة: ٥] وقتادة بقوله ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾ [التوبة: ٢٩]، وقيل: ﴿**وإما تخافن من قوم خيانة**﴾ ، وقيل: محكمة .

قال ابن جرير مخصوصة بيهود هموا بغدره دون حرب .

الخامسة: ﴿ **فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ** ﴾ [المائدة: ٤٢] خيرت هذه الآية الحاكم في الحكم بين أهل الكتاب إذا ترافعوا إليه .

قال ابن عباس وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد وابن عبد العزيز

وأبو حنيفة: منسوخة بقوله ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [المائدة: ٤٨] ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ ﴾ [المائدة: ٤٩] فنسخ الوجوب التخيير .

والحسن والشعبي ومالك محكمة .

وعن الشافعي وأحمد: المذهبان، والثانية بينت كيفية الحكم؛ أي: وإن حكمت فاحكم بالحق .

السادسة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٥] الجمهور على إحكامها كان يشق على المسلمين الكفر من ذي قرابتهم فنفت عنهم ذلك ؛ أي: من أسلم لا يضره كفر قريبة.

وفي : منسوخة، اقتضت الكف عن القتال وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنسخ الأول آية السيف ونسخ الثاني قوله ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وقوله ﴿ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ١١٢].

وقال أبو عبيدة نسخ آخرها أولها قال : ليس في كتاب الله تعالى آية جمعت الناسخ والمنسوخ غير آية واحدة وهي قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٥] والهدى هنا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا والأولى التخصيص للاتصال، وقال عثمان ـ رضي الله عنه ـ لم يأت تأويلها، وهو بمعنى قول ابن مسعود تأويلها آخر الزمان قولوا، ما قبل منكم، فإذا غلبتم فعليكم أنفسكم .

السابعة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ الآية [المائدة: ١٠٦] .

الثامنة: ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ﴾ الآية [المائدة: ١٠٧] قال الحسن والزهري ﴿ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ من قبيلتكم ﴿ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٦] من غير قبيلتكم وهما من المسلمين فهي محكمة عندهما ومخيرة، ولا يجيزان

شهادة غير المسلم.

والجمهور على أن معنى [١٢٣ / أ] منكم: من ملتكم ، ومن غيركم: غير ملتكم من الكفار.

فقال ابن عباس وابن جبير وابن سيرين وابن المسيب والشعبي وقتادة والسدي والثوري: محكمة وأو للترتيب ، فيجيزون شهادة الذمي على الوصية في السفر إن عدم المسلم وزاد شريح تعميم الكفار وأن (أو) للتخيير.

وابن أسلم وغيره منسوخة بقوله ﴿ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [الطلاق: ٢] وقوله ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٦] [أي ارتبتم] (١) في غير المسلمين حلفًا بعد العصر على أنهما ما خانا ، وقوله ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا ﴾ [المائدة: ١٠٧] معناه إن عثر على أن غير المسلمين أثم في التركة بالخيانة حلف وليان على المدعي واستحقاه ، فمن قال بإحكام شهادة الذمي فهذا عنده محكم ، ومن قال بنسخه فهذا عنده منسوخ لأنه فرعه .

---

(١) سقط من أ.

الفصل الثالث: في المتشابه منها

قوله: ﴿ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ [المائدة: ٣] أي: وما أكل منه السبع وهو الباقي إذا ما أكله السبع عدم وتعذر أكله، فلا يحسن تحريمه.

قوله: ﴿ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ ﴾ [المائدة: ٣] بحذف الياء، وكذلك ﴿ وَاخْشَوْنِ ﴾ في البقرة، وأما غيرهما فبالإثبات، لأن الإثبات هو الأصل وحذف ﴿وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ﴾ [المائدة: ٣] من الخط بما حذف من اللفظ.

قوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] جملة مستأنفة لا معطوفة على ﴿أَكْمَلْتُ﴾ في قوله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣] وإلا كان مفهوم ذلك أنه لم يرض لهم الإسلام دينًا قبل ذلك اليوم، وليس كذلك.

قوله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [المائدة: ٧] ثم قال ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨] فغاير بينهما لأن الأول في النية [المأخوذة من آية التيم والوضوء والنية][(١)] والثاني في العمل.

قوله ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ رفع أجره هنا ونصبه في الفتح في قوله ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩] موافقة (٩٨ / ب] للفواصل ومفعول وعد هنا محذوف تقديره خيرًا، فإن قلت: كيف قال: وعملوا الصالحات، ولم يقل وعملوا السيئات[مع أن الغرفة إنما هي لفاعل السيئات] (٢).

قلت: كل أحد ممن ليس بمعصوم لا يخلوا عن سيئه، فإن كان ممن يعمل الصالحات، فالمعنى أن من آمن وعمل حسنات غفرت له سيئاته كما قال تعالى ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود: ١٤٤].

(١) سقط من أ.
(٢) سقط من أ.

قوله ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ [المائدة:١٣] [وقال بعده ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ (١) لأن الأول في أوائل اليهود، والثاني فيمن كانوا في زمن النبي ﷺ ، أي : حرفوها بعد أن وضعها الله مواضعها وعرفوها وعملوا بها زمانًا.

قوله ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [المائدة:١٣] كرر لأن الأولى في اليهود والثانية فيحصر النصارى.

قوله: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة:١٥] إن قلت: لم عفا ؛ أي: ترك كثيرًا مما أخفوه في كتابهم مع أنه مأمور ببيانه ؟

قلت: إنما لم يبينه لأنه لم يؤمر ببيانه أو لأن المأمور ببيانه ما يكون فيه إظهار حكم شرعي كصفته وبعثه [١٢٤ / أ] والبشارة به وآية الرجم دون مالم يكن فيه ذلك مما فيه افتضاحهم وهتك أستارهم فيعفوا عنه .

قوله ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [المائدة: ١٢٠] فإن قلت: لم كررها وختم الأولى بقوله ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠] والثانية بقوله ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة:١٨] قلت: لأن الأولى نزلت في النصارى حين ﴿ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١٧] فرد الله تعالى عليهم بقوله ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ الآية [المائدة: ١٢٠] تنبيهًا على أنه مالك لعيسى وغيره وأنه قادر على إهلاكه وإهلاك غيره .

والثانية في اليهود والنصارى حين قالوا ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [المائدة:١٨] فرد الله بقوله ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ الآية [المائدة: ١٢٠] تنبيهًا على أن الجميع مملوكون له ومصيرهم إليه يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء، ولو كان عيسى ابنه لم يملكه ولم يعذبه لأن الأب لا يملك ابنه ولا يعذبه.

(١) سقط من أ.

قوله ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا ﴾ [المائدة: ٢٠] قال ذلك هنا، وقال في إبراهيم ، ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا ﴾ لموافقة ما قبله وما بعده من النداء ، أو لأن التصريح [باسم المخاطب مع حرف الخطاب يدل على تعظيم..][(١)] المخاطب به، وقد ذكر هنا نعمًا جسامًا، وهو قوله : ﴿ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ ﴾ [المائدة: ٢٠] فناسب ذكر يا قوم بخلاف ذلك في إبراهيم.

قوله ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] كرره ثلاث مرات، وختم الأولى بقوله ﴿ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] والثانية بقوله ﴿ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥] والثالثة بقوله ﴿ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧] قيل: لأن الأولى في حكام المسلمين، والثانية في حكام اليهود والثالثة في حكام النصارى.

وقيل كله بمعنى واحد، وهو الكفر عبر عنه بألفاظ مختلفة لزيادة الفائدة واجتناب التكرار .

وقيل: ومن لم يحكم بما أنزل الله إنكارًا له فهو كافر. ومن لم يحكم بالحق مع اعتقاده للحق وحكم بضده فهو ظالم، ومن لم يحكم بالحق جهلاً وحكم بضده فهو فاسق.

وقيل: من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر بنعمة الله ظالم في حكمه فاسق في فعله.

قوله ﴿ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴾ [المائدة: ٤٩] إن قلت: كيف قال ذلك مع أن الكفار معاقبون بكل ذنوبهم؟ قلت: أراد به عقوبتهم في الدنيا على توليهم عن الإيمان بالسبي والجزية وغيرهما ، وهذه العقوبة منقطعة بخلاف عقوبة الآخرة فإنها على جميع الذنوب من توليهم عن الإيمان عن جميع فروعه ودائمة لاتنقطع .

قوله ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠] إن قلت: لم خص

---

(١) سقط من أ

الموقنين بالذكر مع أن أحسنية حكم الله لا تختص بهم قلت: [لأنهم أكثر انتفاعًا بذلك من غيرهم كنظيره في قوله تعالى ﴿**إنما أنت منذر من يخشاها**﴾ وقوله ﴿**ومن يتولهم منكم فإنه منهم**﴾ [٩٩ / ب] إن قلت][(١)] هذا يقتضي أن من واد أهل الكتاب يكون كافرًا وليس كذلك؟ قلت: إنما قال ذلك مبالغة في اجتناب المخالف في الدين أو لأن الآية نزلت في المنافقين وهم كفار .

قوله ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [المائدة: ٥١] أي: ما داموا مقيمين على ظلمهم، والمعنى لا يهدى من سبق في علمه أنه يموت ظالمًا .

قوله ﴿ **أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [المائدة: ٥٤] على بمعنى اللام أو ضمن الذلة معنى العطف فعداها بتعديته كأنه [ق/ ١٢٥ / أ] قال: عاطفين على المؤمنين.

قوله ﴿ **قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً**﴾ [المائدة: ٦٠] إن قلت: كيف قال ذلك مع أن المثوبة مختصة بالإحسان؟ قلت: بل هي من الجزاء مطلقًا بدليل قوله ﴿ **فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ**﴾ [آل عمران: ١٥٣] وقوله ﴿**هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ [المطففين: ٣٦] أي: هل جوزوا؟ غايته أن الثواب قد يكون خيرًا ، وقد يكون شرًا يقصد به التهكم والاستهزاء كلفظ البشارة لا اختصاص له لغة بالخبر بل هو شامل للشر قال تعالى ﴿ **فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [آل عمران: ٢١].

قوله ﴿**وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾ [المائدة: ٦٧] إن قلت: ما فائدته مع أنه معلوم أنه إذا لم يبلغ ما أنزل عليه لم يكن قد بلغ الرسالة ؟ قلت: فائدة الحث علي تبليغ معايب اليهود حتى لو فرض كتمان حرف واحد كان في الإثم ككتمان الجميع، أو الأمر بتعجيل التبليغ لأنه كان عازمًا على تبليغ جميع ما أنزل إليه إلا أنه آخر البعض خوفًا على نفسه مع بقاء العزم ، ويؤيده قوله ﴿ **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ [المائدة: ٦٧] أي: من القتل لا من جميع أنواع الأذى كشج الوجه وكسر الرباعية، أو لعل الآية نزلت بعد أحد لأن المائدة من أواخر ما نزل من القرآن.

---

(١) سقط من أ.

قوله ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧] كرر الآية وختم هذه بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧] والثانية بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] لأن اليعقوبية من النصارى زعموا أن الله تجلى في زمنٍ علي شخص عيسى فظهرت منه المعجزات فصار إليها.

والملكانية منهم زعموا أن الله اسم يجمع أما وابنًا وروحِ القدس فصار كل منهم إلهًا واحدًا أخذًا من قوله تعالى ﴿ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] فكرر الآية لذلك وأخبر الله تعالى أنهم كلهم كفار.

قوله ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢] المراد بالظالمين هنا المشركون بقرينة ما قبله إذا الظالمون في المسلمين لهم ناصر وهو النبي ﷺ لشفاعته لهم يوم القيامة.

قوله ﴿وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧] فائدة ذكره بعد قوله قد ضلوا من قبل أن المراد بالضلال الأولى ضلالهم عن الإنجيل وبالثاني ضلالهم عن القرآن.

قوله : ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: ٧٩] إن قلت : النهي عن المنكر بعد فعله لا معنى له ؟ قلت : فيه حذف مضاف ؛ أي : ما كانوا لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه أو عن مثله أو عن منكر أرادوا فعله؛ أي: لا يمتنعون .

أو المعنى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه.

قوله ﴿ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨١] أي: من المنافقين، أو اليهود.

إن قلت: كلهم فاسقون لا كثير منهم فقط؟ قلت: المراد بالفسق فسقهم بموالاة المشركين ودس الأخبار إليهم لا مطلق الفسق ، وذلك مخصوص بكثير منهم وهم المذكورون في قوله قبل ﴿ ترى كَثِيراً مِّنْهُمْ ﴾ .

قوله ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾ [المائدة: ٩٠] إلى قوله ﴿ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [المائدة: ٩٠] إن قلت: هذه المذكورات من عمل الله لا من عمل الشيطان؟

قلت: في الكلام إضمار؛ أي تعاطي هذه [١٢٦ / أ] الأشياء من عمل الشيطان.

فإن قلت: مع هذا الإضمار كيف قال من عمل الشيطان؟ وتعاطي هذه الأشياء وسوسته وتزيينه ذلك للفساق صار كما لو أغرى رجل رجلاً بضرب آخر فضربه فإن يجوز أن يقال للمغري هذا من عملك .

فإن قلت: لم خص من [١٠٠ /ب] الأشياء المذكورة الخمر والميسر بالذكر في قوله ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ** ﴾ [المائدة: ٩١]؟ قلت: خصهما بالذكر تعظيمًا لأمرهما، ولأن ما ذكر من العدواة والبغضاء بين الناس يقع كثيرًا بسببهما دون الباقي.

وقيل: إنما خصهما بالذكر بيانًا للواقع لأن الخطاب للمؤمنين بدليل قوله ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [المائدة: ٩١] وهم إنما كانوا يتعاطون الخمر والميسر فقط.

قوله ﴿**هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ** ﴾ الآية [المائدة: ٩٥] الآية قيل العمد ليس بشرط لوجود الجزاء كما بينته السنة وذكره في الآية بيان للواقع لأن الواقعة التي كانت بسبب نزول الآية كانت عمدًا فلا مفهوم له.

قوله ﴿ **وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا** ﴾ [المائدة: ٩٥] قيد بها تعظيمًا لها وإلا فالشرط بلوغه الحرم.

قوله ﴿**مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ**﴾ الآية [المائدة:١٠٣] ؛ أي: ما حرم أو ما شرع، ولا يصح تفسيره بخلق لأن الأشياء المذكورة خلقها الله.

قوله ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ** ﴾ الآية [المائدة: ١٠٥] ؛ أي : احفظوا أنفسكم وقوموا بصلاحها ، فإن قلت ظاهر الآية يقتضي عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قلت: لا يسلم ذلك فإنها إنما تقتضي أن المطيع لا يؤاخذ بذنوب المضل، أو لأن الآية مخصوصة بما إذا خاف الإنسان عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على نفسه أو عرضه أو ماله .

قوله ﴿**لا عِلْمَ لَنَا**﴾ [المائدة:١٠٩] إن قلت: كيف قالوا ذلك مع أنهم عالمون بماذا أجيبوا ؟ قلت: هذا جواب دهشة وحيرة حين تطيش عقولهم من زفرة جهنم ، أو المعنى لا علم لنا بحقيقة ما أجابوا به لأنا لانعلم إلا ظاهره، وأنت تعلم ظاهره وباطنه بدليل آخر الآية.

قيل المراد منه المبالغة في تحقيق فضيحتهم كمن يقول لغير ما تقول في فلان؟ فيقول: أنت أعلم به مني، كأنه قيل: لا يحتاج فيه إلا شهادة لظهوره.

قوله: ﴿ **قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ**﴾ [المائدة:١١٢] فإن قلت: كيف قال الحواريون وهم خلص أتباع عيسى ذلك، وهو كفر لأنه شك في قدرة الله تعالى، وذلك كفر؟ قلت: الاستفهام المذكور استفهام عن الفعل لا عن القدرة كما يقول الفقير للغني القادر هل تقدرأن تعطني شيئًا، وهذه تسمى استطاعة المطاوعة [لا استطاعة](١) القدرة، والمعنى هل يسهل عليك أن تسأل ربك كقولك لأحد هل تستطيع أن تقوم معي؟ وأنت تعلم استطاعته لذلك.

فإن قلت: لو كان ما ذكر مرادًا لما أنكر عليهم عيسى بآخر الآية؟ قلت: إنكاره عليهم إنما كان لإتيانهم بلفظ لا يليق بالمؤمن المخلص ذكره.

قوله ﴿ **وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**﴾ [المائدة:١١٦] إن قلت: كيف قال عيسى ذلك مع أن كل ذي نفس فهو ذو جسم لأن النفس جوهر قائم بذاته متعلق بالجسم تعلق التدبير والله منزه عن ذلك؟ قلت: [١٢٧ / أ] النفس كما تطلق على [ذلك تطلق](٢) ذات الشيء وحقيقته كما يقال: نفس الذهب والفضة محبوبة؛ أي : ذاتها ، والمراد هنا الثاني.

قوله ﴿**ما قلت لهم إلا ما أمرتني به**﴾ ، فإن قلت: كيف قال ذلك مع أنه قال

---

(١) سقط من أ.
(٢) سقط من أ.

لهم أيضًا غير ما ذكر في الآية ؟ قلت : معناه ما قلت لهم فيما يتعلق بالإله، فإن قلت: [عيسى من في السماء . فكيف قال : فلما توفيتني قلت: . . .][١) المراد بالتوفي النوم كما مر مع زيادة في قوله في آل عمران ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥] مع أن السؤال إنما يتوجه على قول من قال أن السؤال والجواب واحد يوم رفعه إلى السماء ، وأما من قال: إنهما يكونان يوم القيامة، وعليه الجمهور فلا إشكال .

قوله ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾ [المائدة: ١١٩] أي: يوم القيامة ، فإن قلت: كيف قال ذلك مع أن الصدق نافع في الدنيا أيضًا، قلت: نفعها بالنسبة إلى نفع يوم [١٠١ / ب] القيامة الذي هو الفوز بالجنة والنجاة من النار كالعدم.

فإن قلت: إن أراد بالصدق صدقهم في الآخرة ، فالآخرة ليست بدار عمل أو في الدنيا، فليس مطابقًا لما ورد فيه، وهو الشهادة لعيسى بالصدق بما يجب به يوم القيامة .

قلت: أراد به الصدق المستمر بالصادقين فيديناهم وآخرتهم.

خاتمة

قال القرطبي[٢] روى عنه ﷺ أنه قال: سورة المائدة تدعى في ملكوت الله ـ عز وجل ـ المبعثرة تنقذ صاحبها من أيدي ملائكة العذاب. انتهى والله أعلم.

---

(١) سقط من أ.

(٢) انظر «التذكار في أفضل الأذكار» للقرطبي (ص / ١٥٧) والحديث لا أصل له .

سورة الأنعام مكية

إلا قوله ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الأنعام: ٩١].

الآيات الثلاث وإلا ﴿ قل تعالوا ﴾ الآيات الثلاث.

مائة وخمس أو ست وستين آية.

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله ـ عز وجل ـ ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ﴾ [الأنعام: ٧].

قال الكلبي(١) : إن مشركي مكة قالوا: والله يامحمد لن نؤمن لك حتي تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنه من عند الله وأنك رسوله، فنزلت هذه الآية.

قوله ـ عز وجل ـ ﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ الآية [الأنعام: ١٣] قال الكلبي عن ابن عباس(٢) إن كفار مكة أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد إن قد علمنا أنه إنما يحملك على ما تدعوا إليه الحاجة فنحن نجعل لك نصيبًا في أموالنا حتى تكون من أغنانا رجلاً وترجع عما أنت عليه، فنزلت هذه الآية.

[قوله عز وجل: ﴿قل أي شيء أكبر شهادة﴾ الآية](٣) قال الكلبي(٤) : إنا رؤساء مكة قالوا: يا محمد ما نري أحدًا يصدقك بما تقول من أمر الرسالة، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى [فزعموا](٥) أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد أنك رسول الله كما تزعم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

---

(١) «أسباب النزول» (ص / ٣٦٧).

(٢) السابق.

(٣) سقط من أ.

(٤) «أسباب النزول» (ص/ ٣٦٧).

(٥) سقط من أ.

قوله ـ عز وجل : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ الآية [الأنعام: ٢٥] قال ابن عباس من رواية أبي صالح: إن أبا سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابني ربيعة وأبي بن خلف استمعوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا للنضر: يا أبا قتيلة: ما يقول [محمد؟ فقال: والذي جعلها بنية ما أدري ما يقول](١) إلا أنه يحرك شفتيه يتكلم بشيء وما يقول إلا أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم [١٢٨ /أ] عن القرون الماضية، وكان يحدث قريشًا فيستملحون حديثه، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

قوله ـ عز وجل : ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦] أخرج ابن أبي حاتم(٢) عن سعيد بن هلال قال: نزلت في عمومة النبي ﷺ وكانوا عشرة فكانوا أشد الناس معه في العلانية وأشد الناس عليه في السر.

وروى الحاكم(٣) وغيره عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ﴾ في أبي طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ ويتباعد عما جاء به . انتهى.

وهذا قول عمرو بن مقاتل [بن دينار والقاسم بن مخميرة وسعيد بن جبير قال. .](٤) وذلك أن النبي ﷺ كان عند أبي طالب يدعوه إلى السلام، فاجتمعت قريش إلى أبي طالب يريدون سوءًا بالنبي ﷺ فقال أبو طالب: والله

لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفينًا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وأبشر وقد بذاك عيونًا

---

(١) سقط من أ.
(٢) «التفسير» (٤ / ١٢٧٧).
(٣) أخرجه الحاكم (٣٢٢٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال الذهبي: صحيح. وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٦٨٢) وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠٩٩٤) : رواه الطبراني وفيه قيس بن الربيع وثقه شعبة وغيره، وضعفه ابن معين وغيره وبقية رجاله ثقات.
(٤) سقط من أ.

وعرضت دينًا لا محالة أنه ... من خير أديان البرية دينًا

لولا الملامة أو حذر مسبة ... لوجدتني سمحًا بذاك مبينًا

فأنزل الله تعالى ﴿ **وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ** ﴾ [الأنعام: ٢٦] .

قال محمد بن الحنيفة والسدي والضحاك: نزلت في كفار مكة كانوا ينهون الناس عن اتباع محمد ﷺ ويتباعدون بأنفسهم عنه، وهو قول ابن عباس في رواية الوالبي .

قوله تعالى: ﴿ **قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ** ﴾ الآية [١٠٢ / ب] [الأنعام: ٣٣] قال السدي[١] التقى الأخنس بن شريق وأبو جهل بن هشام فقال الأخنس لأبي جهل: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس هنا أحد يسمع كلامك غيري؟ فقال أبو جهل: والله إن محمدًا لصادق وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة فما يكون لسائر قريش؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وروي الترمذي والحاكم[٢] عن علي أن أبا جهل قال للنبي ﷺ : إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله ﴿ **فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾ [الأنعام: ٣٣]، وفي رواية عن أبي ميسرة أنه قال ذلك أبو جهل وأصحابه .

وقال مقاتل[٣] : نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب كان يكذب النبي ﷺ في العلانية، فإذا اجتمع مع أهل بيته قال: ما محمد من أهل الكذب ولا أحسبه إلا صادقًا فأنزل الله تعالى هذه الآية.

---

(١) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٣٧٠) وقد أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٧ / ١٨١).

(٢) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٠٦٤) والحاكم (٣٢٣٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الذهبي : ما خرجا لناجية شيئًا . أ. هـ. وناجية هو ابن كعب الأسدي ، وهو ضعيف. وقال الألباني : ضعيف الإسناد.

(٣) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٣٧٠).

قوله عز وجل: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢] روى مسلم[١] عن المقداد بن شريح عن أبيه عن سعد قال: نزلت هذه الآية فينا ستة: فيَّ، وفي ابن مسعود وصهيب وعمار والمقداد وبلال قالت قريش لرسول الله ﷺ: إنا لا نرضى أن نكون أتباعًا لهؤلاء فاطردهم فدخل قلب رسول الله ﷺ من ذلك ما شاء الله أن يدخل، فأنزل الله عليه: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢]، وأخرج الواحدي[٢] عن خباب بن الأرت [١٢٩ / أ] قال: فينا نزلت، كنا ضعفاء عند النبي ﷺ بالغداة والعشي يعلمنا القرآن والخير وكان يخوفنا بالجنة والنار وما ينفعنا والموت والبعث فجاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري قالا: إنا من أشراف قومنا وإنا لنكره أن يرونا معهم فاطردهم إذا جالسناك قال: «نعم» قالوا: لا نرضى حتى نكتب بيننا كتابًا فأتى بأديم ودواة فنزلت هذه الآية: ﴿وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢] إلى قوله: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٥٣].

وأخرج أيضًا[٣] عن الربيع قال: كان رجال يسبقون إلى مجلس رسول الله ﷺ منهم بلال وصيب وسلمان فيجيء أشراف قومه وسادتهم وقد أخذ هؤلاء المجلس فيجلسون إليه، فقالوا: صهيب رومي وسلمان فارسي وبلال حبشي يجلسون عنده ونحن نجيء ونجلس ناحيته، وذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، وقالوا: إنا سادة قومك وأشرافهم فلو أدنيتنا منك إذا جئنا، فهم أن يفعل فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وأخرج ابن جرير[٤] عن عكرمة قال: جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة

---

(١) حديث رقم (٢٤١٣).

(٢) «أسباب النزول» (ص/ ٣٧٢) وأخرجه ابن ماجه (٤١٢٧) والطبراني في «الكبير» (٣٦٩٣) والبزار (٢١٣٠) وابن أبي شيبة (٣٢٥١٨) وإسناده صحيح.

(٣) «أسباب النزول» (ص / ٣٧٢).

(٤) «التفسير» (٧ / ٢٠٢).

ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل في أشراف بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أبي طالب فقالوا لو أن ابن أخيك يطرد عنه هؤلاء الأعبد كان أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا إياه ، فكلم أبو طالب النبي ﷺ فقال عمر بن الخطاب: لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون، فأنزل الله: ﴿ **وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ** ﴾ [الأنعام: ٥١] إلى قوله ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ** ﴾ [الأنعام: ٥٣] وكانوا بلالاً وعمار بن ياسر وسالمًا مولى أبي حذيفة وصبيحًا مولى أسيد وابن مسعود والمقدام بن عبد الله وواقد بن عبد الله الحنظلي وأشباههم فأقبل عمر واعتذر من مقالته فنزل: ﴿ **وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا** ﴾ [الأنعام: ٥٤].

قوله عز وجل ﴿ **وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا** ﴾ [الأنعام: ٥٤] أخرج الغريابي وابن أبي حاتم (١) عن ماهان في رواية الحنفي قال: جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: إنا أصبنا ذنوبًا عظامًا فما رد عليهم شيئًا فأنزل الله: ﴿ **وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا** ﴾ الآية [الأنعام: ٥٤] [١٠٣ /ب] ، وقال عكرمة (٢) : نزلت في الذين نهى الله تعالى نبيه ﷺ عن طردهم فكان إذا رآهم النبي ﷺ بدأهم بالسلام ، وقال: «**الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني أن أبدأهم بالسلام**».

قوله عز وجل ﴿ **قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي** ﴾ [الأنعام: ٥٧] الآية قال الكلبي(٣) : نزلت في النضر بن الحارث ورؤساء قريش كانوا يقولون : يا محمد ائتنا بالعذاب الذي تعدنا به استهزاء منهم فنزلت هذه الآية .

قوله عزوجل ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ** ﴾ الآيات [الأنعام: ٦٥] أخرج ابن أبي حاتم(٤) عن زيد بن أسلم قال لما نزلت ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ** ﴾ الآية قال رسول الله ﷺ [١٣٠ /أ] : «**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم**

---

(١) «أسباب النزول» للواحدي (ص/ ٣٧٣) وابن جرير (٧ / ٢٠٧) وابن أبي حاتم (٤ / ١٣٠٠).
(٢) «أسباب النزول» (ص / ٣٧٣).
(٣) السابق.
(٤) «التفسير» (٤ / ١٣٢١).

رقاب بعض بـالسيف» قالوا ونحن نشهـد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، فـقال بعض الناس لا يـكون هذا أبدًا أن يقتل بـعضنا بعـضًـا ونحن مسلمـون فـنـــزلـت: ﴿ **انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥) وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ** ﴾ [الأنعام: ٦٥ ، ٦٦] إلى قوله ﴿ **تَعْلَمُونَ** ﴾ .

قوله عز وجل: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم** ﴾ الآية [الأنعام: ٨٢] أخرج ابن أبي حـاتم[١] عن بكر ابن سوادة قال حمل رجل من الـعدو على المسلمين فقتل رجلاً ثم حـمل فقتل آخـر ثم قال وينفعـني الإسلام بعد هذا؟ قـال رسول الله ﷺ: «نعم» فضرب فرسه فدخل فيهم ثم حمل على أصحابه فقتل رجلاً ثم آخر ثم آخر ثم قـتل، قال: فيرون أن هذاه الآية نزلت فـيه ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم** ﴾ الآية .

قوله عز وجل ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ** ﴾ [الأنعام: ٩١] قال ابن عـباس[٢] في رواية الوالبي : قال اليهود : يا محـمد أنزل الله عليك كتابًا؟ قال: نعم قالوا : والله ما أنـزل الله من السماء كتـابًا فأنـزل الله تعالى: ﴿ **قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ** ﴾ [الأنعام: ٩١] [وقال سعيـد ابن جبير: جاء رجل][٣] من اليهود يثال له : مالك بن الصيف يخاصم النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ : أنشدك بالذي أنزل التـوراة على موسى ما تجد في التـوراة أن الله يبغض الحبر السمين ؟وكان حبرًا سمـينًا فغضب وقال : والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فقـال له أصحابه الذين معـه: ويحك ولا على موسى؟ فقـال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فأنزل الله هذه الآية .

قـال السيـوطي[٤] : أخرجـه ابن أبي حاتم عن سعـيد بن جبيـر، ثم قال مرسل.

(١) «التفسير» (٤ / ١٣٢٤).
(٢) «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٣٧٤).
(٣) سقط من أ.
(٤) «لباب النقول» (ص / ١٠٢).

قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ [الأنعام:٩٣] أخرج بن جرير(١) عن عكرمة في قوله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام:٩٣]

قال: نزلت في مسيلمة الكذاب الحنفي كان يسجع ويتهكن ويدعي النبوة، والحنفي أي: أنه من بني حنيفة القبيلة غزاهم أبو بكر رضي الله عنه في خلافته، وكان منهم الحنفية سرية على رضي الله عنهم أم محمد بن الحنفية.

﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ قال نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان يكتب للنبي ﷺ فيملي عليه عزيز حكيم، فيكتب غفور رحيم ، ثم يقرأ عليه فيقول: نعم سواء فرجع عن الإسلام ولحق بقريش.

وأخرج عن السدي(٢) نحوه وزاد قال: إن كان محمد يوحى إليه فقد أوحي إلي، وإن كان الله ينزله ، فقد أنزلت مثل ما أنزل الله، قال محمد: سميعًا عليمًا، فقلت أنا علميًا حكيمًا.

وروى الكلبي(٣) عن ابن عباس نزلت : في عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان قد تكلم بالإسلام فدعاه رسول الله ﷺ ذات يوم يكتب له شيئًا فلما نزلت الآية التي في «المؤمنون» ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ﴾ [المؤمنون:١٢] أملاها عليه [١٣١ / أ] فلما انتهى إلى قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون:١٤] عجب عبد الله في تفصيل خلق الإنسان فقال: تبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله ﷺ (٤) : «هكذا أنزلت علي» . فشك عدو الله حينئذ وقال: لئن كان محمد صادق [١٠٤ / ب] [لقد أوحي إلي كما أوحى إليه] وإن كان كاذبًا لقد قلت كما قال، وذلك قوله: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾

(١) «التفسير» (٧ / ٢٣٧).

(٢) السابق.

(٣) «أسباب النزول» للواحدي (ص/ ٣٧٥).

(٤) «أسباب النزول» (ص / ٣٧٦) وشرحبيل ضعيف.

وارتد عن الإسلام.

وأخرج الـواحدي(١) عن محمد بن إسحاق قال: حـدثني شرحبيل بن سعد قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ ارتد عن الإسلام فلما دخل رسـول الله ﷺ مكة فر إلي عثمـان وكان أخاه من الرضاعة فغيبه حتى اطمأن، ثم أتى به رسول الله ﷺ فاستأمن له.

قوله عـز وجل: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ ﴾ الآيـة [الأنعام: ٩٤] أخـرج ابن جرير(٢) وغيره عن عكرمة قال: قال النضر بن الحارث: سوف تشفع في اللات والعزى، فنزلت هذه الآية ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ إلى قوله ﴿شُرَكَاءُ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠] قال الكلبي(٣): نزلت في الزنادقة قالوا: إن الله تعالى وإبليس إخوان فالله خالق الناس والدواب والأنعام وإبليس خالق الحيات والسباع والعقارب فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١٠٠].

قوله عز وجل: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٨] قال عبد الرازق: أخبرنا معمر عن قتادة (٤) قال: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فـيـسب الكفـار الـله فـأنزل الله: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

وقال السدي(٥): لما حضر [أبا طالب] الوفاة قالت قريش: انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمرنه أن ينهى عنا ابن أخيه فقـال لنستحي أن نقتله بعد موته فتقول العرب: كان يمنعه فلما مات قتلوه، فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر

(١) «التفسير» (٧ / ٢٧٩).

(٢) «أسباب النزول» (ص/ ٣٧٦).

(٣) بداية سقط من بمقدار ورقة.

(٤) «أسباب النزول» (ص/ ٣٧٦).

(٥) السابق وابن جرير (٧ / ٣٠٩).

ابن الحارث وأبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص والأسود بن جازي إلي أبي طالب، فقالوا: أنت كبيرنا وسيدنا وإن محمدًا قد آذانا وآذى آلهتنا فنح أن تدعو فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه وإلهه ، فدعاه فجاء النبي ﷺ فقال له أبو طالب: هؤلاء قومك وبنو عمك، فقال رسول الله ﷺ : «ماذا تريدون ؟ قالوا: نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك وإلهك، فقال أبو طالب: قد أنصفك قومك فاقبل منهم، فقال رسول الله ﷺ : « **أرأيتم إن أعطيتكم هذا هل أنتم معطي كلمة إن تكلمتم بها ملكتم ودانت لكم بها العرب والعجم**» قال أبو جهل: نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها فما هي؟ قال: «**قولوا لا إله إلا الله**» فأبوا واشمأزوا فقال أبو طالب: قل غيرها يا ابن أخي فإن قومك قد فزعوا منها فقال: «**يا عم ما أنا بالذي [١٣٢ / أ] أقول غيرها ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها**» فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا أو لنشتمنك ولنشتمن من يأمرك ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

قوله عز وجل ﴿ **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا** ﴾ الآيات [الأنعام:١٠٩] أخرج ابن جرير والواحدي(١) عن محمد بن كعب القرظي قال: كلمت رسول الله ﷺ قريش قالوا: يا محمد تخبرنا أن موسى كانت معه عصى ضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا، وأن عيسى كان يحي الموت، وأن ثمود كانت لهم ناقة فائتنا من الآيات حتى نصدقك ، قال رسول الله ﷺ : «**أي شيء تحبون أن آتيكم به؟**» فقالوا: تجعل لنا الصفا ذهبًا، قال: « **فإن قلت تصدقوني؟**» قالوا : نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعون، فقام رسول الله ﷺ يدعو فجاءه جبريل عليه السلام فقال: إن أصبح الصفا ذهبًا ولكني لم أرسل بآية فلم يصدق بها إلا أنزلت العذاب فإن شئت تركتهم .

وفي رواية ابن جرير: فاتركهم. فيناسبه فتح التاء حتى يتوب تائبهم ، فقال

---

(١) تفسير ابن جرير (٧ / ٣١٢) «وأسباب النزول» للواحدي (ص / ٣٨٧).

رسول الله ﷺ: «**اتركهم حتى يتوب تائبهم**» وأنزل الله تعالى ﴿ **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا** ﴾ [الأنعام: ١٠٩] إلى قوله تعالى ﴿ **يَجْهَلُونَ** ﴾.

قوله عز وجل: ﴿ **فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ** ﴾ الآيات [الأنعام: ١١٨](١).

قال عكرمة: إن المجوس من أهل فارس لما أنزل الله تعالى تحريم الميتة كتبوا إلي مشركي قريش وكانوا أولياؤهم في الجاهلية وكان بينهم مكاتبة: إن محمدًا وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ثم يزعمون أن ما ذبحوا فهو حلال، وما ذبح الله فهو حرام، فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء فأنزل الله هذه الآية: ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ** ﴾ [الأنعام: ١٢١] وفي رواية الطبراني عن ابن عباس أنه نزل في ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ** ﴾ [الأنعام: ١٢١] وقال الشياطين من فارس وأولياؤهم قريش انتهى.

قال الواحدي(٢): قال المشركون: يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها قال: الله قتلها، قالوا أفتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتل الكلب والصقر حلال، وما قتله الله حرام؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية [وذكر معنى ذلك باختصار السيوطي من رواية أبي داود وغيره عن ابن عباس](٣).

قوله عز وجل ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ** ﴾ الآية قال ابن عباس: يريد حمزة ابن عبد المطلب وأبا جهل، وذلك أن أبا جهل رمي رسول الله ﷺ بفرث وحمزة لم يؤمن فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يتضرع إليه ويقول: يا أبا يعلى أما

---

(١) نهاية سقط من ب بمقدار ورقة.
(٢) «أسباب النزول» (ص / ٣٧٩).
(٣) سقط من أ.

تري ما جاء به ؟ سفه عقولنا وسب آلهتنا، وخالف آباءنا، فقال حمزة: ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله؟ أشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له وأن محمداً عبد الله ورسوله فأنزل الله تعالى هذه الآية.

ثم أخرج الواحدي عن زيد بن أسلم في قوله عز وجل: ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾ [الأنعام:١٢٢] قال : عمر بن الخطاب ﴿ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ قال أبو جهل بن هشام.

وأخرج مثله أبو الشيخ عن ابن عباس وابن جرير عن الضحاك وقال أبو صالح عن ابن عباس: نزلت في عمار وفي أبي جهل، وقال مقاتل: في النبي ﷺ وفي أبي جهل، وقال الحسن: في كل مؤمن وكافر.

قوله عز وجل : ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ الآية [الأنعام:١٤١] أخرجه ابن جرير عن ابن جريج أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس جذ نخلة فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة .

قوله عز وجل: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ [الأنعام:١٤٧] قال ابن عباس : لما قال رسول الله ﷺ للمشركين هذا ما أوحي إلي أنه محرم على المسلمين وعلى اليهود قالوا: [تعنت] (١) فنزلت .

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤] [قال مقاتل : قال كفار قريش] (٢) يامحمد ارجع عن هذا الأمر ونحن الكفلاء بما أصابك من تبعة فنزلت .

(١) سقط من أ.

(٢) سقط من أ.

الفصل الثاني: في المنسوخ من سورة الأنعام وهي ثمان آيات

الأولى: قوله عز وجل: ﴿**قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ ومثلها بيونس والزمر، قيل: اقتضت وجوب خوف النبي ﷺ من عواقب الأمر ثم نسخه: ﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**﴾ [الفتح: ٢] والجمهور أنها محكمة لأنه ﷺ معصوم من الموبقات واللفظ له والمعنى لأمته أو بيان الجزاء الفصل نحو ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ**﴾.

الثانية: قوله عز وجل: ﴿**قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ**﴾ [الأنعام: ٦٦] ومثلها ﴿**وما أرسلناك عليهم بوكيل**﴾ أو ﴿**حفيظا**﴾ و ﴿**ما أنت عليهم بحفيظ**﴾ قال الضحاك عن ابن عباس: اقتضت الاقتصار على التبليغ ثم نسخه السيف.

وقال الآخرون: محكمة وهو الظاهر لأنه داع منذر والله تعالى الحفيظ الوكيل.

الثالثة: قوله عز جل: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**﴾ [الأنعام: ٦٨] ومثله ﴿**وأعرض عن المشركين**﴾ ونحوه.

قيل: اقتضت الكف عن الكفار وتولية الوجوه عنهم حتى ينتقلوا إلى حديث غيره ثم نسخ [١٠٥ / ب] بقوله: ﴿**فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ**﴾ ثم نسخ ذلك بالسيف.

وقيل محكمة ويحل الجلوس للقادر على الإنكار.

قال في «الدر المنثور»: أخرجه عبد بن حميد وأبو داود في «ناسخه» وابن جرير وغيرهم عن أبي مالك وسعيد بن جبير في قوله: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَ**﴾ قال الذين يكذبون بآياتنا.. يعني المشركين ﴿**وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام: ٦٨] قال: بعد ما تذكر، قال: إن [نسيت] فذكرت فلا تجلس معهم، ﴿**وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن**

شَيْءٍ ﴾ قال: ما عليك أن يخضوا في آيات الله إذا فعلت ذلك، ﴿ وَلَكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ذكروهم ذلك وأخبروهم أنه يشق عليكم فيتقون مساءتكم ثم أنزل الله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ﴾ [النساء: ١٤٠] الآية.

وأخرج أبو الشيخ عن السدي قال ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا ﴾ الآية قال: نسختها هذه الآية التي في سورة النساء: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا ﴾ [النساء: ١٤٠] [١٣٤ / أ] الآية ثم أنزل بعد ذلك: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥].

الرابعة: قوله عز وجل: ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ﴾ [الأنعام: ٧٠] ﴿ وذَرِ الذين يُلحدُون ﴾ و ﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ﴾ قال قتادة والسدي: نسختها آية السيف، وقال مجاهد: محكمة وهو الصحيح.

ومعناه التهديد نحو ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً ﴾.

الخامسة: قوله عز وجل ﴿ وآتوا حقه يوم حصاده ﴾ قال ابن عباس والحسن وابن خليفة وطاوس: محكمة، فالحق الزكاة ويرد عليهم أنها مكية وآية الزكاة مدنية.

وقال مجاهد وسفيان وأبو عبيدة: حقه: إطعام من حضر وترك المتساقط للمساكين، ويرد عليه الإجماع على عدمه.

وقال جعفر الصادق والربيع: ذلك ندب أي مندوب ولهم نهيه ﷺ عن حصاد الليل.

وقال الربيع: منسوخة، فحقه الصدقة.

وقال السدي: نسخ إطلاقها وجوب العشرين ونصفه بالسنة.

وقيل: نسخ عمومها النصاب بالسنة أيضًا خلافًا لأبي حنيفة.

والحق فيها: التخصيص والظرف للحق لا للإيتاء، والإسراف: منع الحق أو أخذ أكثر منه أو صرفه في غير وجهه.

السادسة: قوله عز وجل: ﴿ **قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا** ﴾ الآية [الأنعام: ١٤٥] اقتضت حصر المحرمات في الثالثة.

قال ابن جبير والشعبي ويروى عن ابن عباس وعائشة والحسن: إنها محكمة، وآية المائدة مفصلة لإجمال الميتة، وأحلوا ما وراء ذلك.

وقال قوم: نسخت السنة حصرها فضم إليها تحريم الخمر الأهلية وما يعدو بنابه من السباع وبمخلبه من الطيور وقوله تعالى: ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [الإسراء: ٣٤] قيل: منسوخة بقوله تعالى: ﴿ **وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ** ﴾ [البقرة: ٢٢٠] وهو قول قتادة والصحيح إحكامها لأن قربان مال اليتيم بغير [الإحسان](١) محرم أبدًا.

السابعة: قوله عز وجل: ﴿ **قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٥٨] تهديد فهي محكمة، وقيل: نهى عن القتال فهي منسوخة بالسيف.

الثامنة: قوله عز وجل: ﴿ **لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** ﴾ [الأنعام: ١٥٩] أي أنت بريء من كل ما هم عليه من الكفر فهي محكمة وقال الضحاك والسدي: لست من قتالهم في شيء فنسخه بالسيف.

---

(١) في ب: الأحسن.

الفصل الثالث : في المتشابه منها

قـــوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام:١] جمع السماء دون الأرض لما مـر في البقرة وجمع الظلمة دون النور لأنها اسم جنس والنور مصدر، والمصدر لا يجمع. وقـيل لكثرة أسبابها بخلاف النور.

﴿وجـعل﴾ تأتي في القرآن لخمسة معان: فـتأتي بمعنى: خلق كما هنا وكما في قوله: ﴿وجعل فيها روسي من فوقها﴾ .

وبمعنى : بعث كما في قوله ﴿وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا﴾ .

وبمعنى: قال: كما في قوله ﴿وجعلوا لله أندادا﴾ وقوله ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا﴾ .

وبمعنى : بين . كما في قوله ﴿إنا جعلناه قرآنا﴾ أي بيناه بحلاله وحرامه.

وبمعنى: صير . كما في قوله ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ وقوله ﴿وجـعل بين البـحرين حاجزاْ﴾ وقوله ﴿يعلم سركم وجهركم﴾ ما فائدة ذكر الجهر بعد السر مع أنه مفهوم منه بالأولى ؟ [١٣٥ / أ] .

قلنا: فائدته المقابلة والتأكيد كما في قوله: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [١٠٦ / ب] [البقرة:٢٠٣] .

قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ الآية [الأنعام:٥] بسط هنا واختصر في الشعراء فقال: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ الآية لأن ما هنا سابق على ما هناك فناسب البسط هنا والاختصار .

ثم قوله : ﴿ألم يروا﴾ قاله هنا وفي النحل بلا عاطف من واو أو فاء عقب الهمزة ، وفي الشعراء بواو وفي سـبأ بفاء لأن مثل هذا الكلام يأتي للإنكار فإن اعتبـر فيه الاستدلال لم يؤت بواو ولا فاء ليـكون كالمستأنف، وإن اعتبـرت فيه

المشاهدة أتى بالواو والفاء لتدل الهمزة على الإنكار ، والواو والفاء على عطف ما بعدها على مقدر قبلها يناسبه في المعنى المناسب لمعنى ما قبل الهمزة ، لكن الفاء أشد اتصالاً بما قبلها من الواو والتقدير في الشعراء أكذبوا الرسل ولم يروا وفي سبأ أكفروا فلم يروا.

قوله: ﴿**قل سيروا في الأرض ثم انظروا**﴾ قاله هنا بثم الدالة على التراخي وفي غير هذه السورة بالفاء الدالة علي التعقيب مع اشتراكهما في الأمر باليسر لأن ما في هذه السورة وقع بعد ذكر القرون في قوله: ﴿**كم أهلكنا من قبلهم من قرن**﴾ وقوله: ﴿**وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين**﴾ فتعددت القرون في أزمنة متطاولة ثم أمر القوم بالسير في الأرض الذي لا يقع مثل ذلك إلا في أزمنة متطاولة فخصت الآية هنا بثم بخلاف ما في غير هذه السورة إذ لم يتقدمه شيء من ذلك فخصت بالفاء.

قوله: ﴿**الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون**﴾ ليس بتكرار لأن الأول في حق الكفار والثاني في حق أهل الكتاب [لأن الساكن من المخلوقات أكثر عدداً من المتحرك](١) .

قوله: ﴿**وله ما سكن في الليل والنهار**﴾ خص الساكن بالذكر دون المتحرك أو لأن كل متحرك يصير إلى السكون من غير عكس أو لأن السكون هو الأصل والحركة حادثة عليه .

قوله: ﴿**وهو يطعم ولا يطعم**﴾ خص الإطعام بالذكر لأن الحاجة إليه أتم .

قوله: ﴿ **قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ** ﴾ [الأنعام: ١٩] إن قلت كيف اكتفى من النبي ﷺ في الجواب بقول : ﴿ **قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ** ﴾ مع أن ذلك لا يكفي من غيره .

قلت : لأنه قادر على إقامة الحجة على أنه شهيد له وقد أقامها بقوله:

---

(١) سقط من أ.

﴿وأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ﴾ [الأنعام: ١٩] بخلاف غيره لا يقدر على ذلك.

قوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢١] وقال في يونس (فمن) بالفاء وختم الآية بقوله: ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ المجرمون﴾ لأن الآيات التي قد تقدمت في هذه السورة عطف بعضها علي بعض بالواو وهو قوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ٢١] ﴿إنني بريء﴾ ثم قال ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾ وختم الآية بقوله ﴿الظَّالِمُونَ﴾ ليكون آخر الآية موافقًا لأولها وأما في سورة يونس فالآيات التي تقدمت عطف بعضها على بعض [١٣٦ / أ] بالفاء وهو قوله: ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [يونس: ١٦] ثم قال ﴿فمن أظلم﴾ بالفاء وختم الآية بقوله: ﴿المجرمون﴾ أيضًا موافقة لما قبلها وهو: ﴿وكذلك نجزي المجرمين﴾ .

قوله ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣] كذبوا في قولهم ذلك مع معاينتهم حقائق الأمور ظنًا منهم أنهم يتخلصون به، فإن قلت: كيف الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾؟ [النساء: ٤٢] قلت: في القيامة مواقف مختلفة ففي بعضها لا يكتمون وفي بعضها يكتمون بل يكذبون ويحلفون كما في قوله: ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾ مع قوله: ﴿فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان﴾ .

قوله: ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ قال هنا يستمع بالإفراد ، وفي يونس يستمعون بالجمع لأن ما هنا نزل في قوم قليلين وهم أبو سفيان والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة وأمية وأبي بن خلف فنزلوا منزلة الواحد فأعيد الضمير [١٠٧ /ب] على لفظ ﴿مَن﴾ ، وما في يونس نزل في جميع الكفار فناسب الجمع فأعيد الضمير على معنى (من) وإنما لم يجمع ثم في قوله: ﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ لأن الناظرين إلى المعجزات أقل من المستمعين للقرآن.

قوله: ﴿ولو تري إذ وقفوا على النار﴾ ثم أعاد فقال: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربهم﴾ لأنهم أنكروا النار في القيامة وأنكروا جزاء الله ونكاله، فقال في

الأولى: ﴿إذ وقفوا علي النار﴾ وفي الثانية: ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾ .

قوله: ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٩] قاله بدون ﴿نموت ونحيى﴾ وفي المؤمنين والجاثية به لأنهم في القيامة قالوه بموقف ولم يقولوه بآخر، فأشار إلى الأمرين بما ذكر.

قوله: ﴿وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو﴾ قدم اللعب هنا وفي القتال والحديد، وعكس في الأعراف والعنكبوت لأن اللعب زمن الصبا واللهو زمن الشباب، وزمن الصبا مقدم على زمن الشباب، فناسب إعطاء المقدم للأكثر والمؤخر للأقل.

قوله: ﴿فلا تكونن من الجاهلين﴾ إن قلت: كيف قال لمحمد ذلك وهو أغلظ خطابًا من قوله لنوح: ﴿إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ مع أن محمد أعظم رتبة؟

قلت: لأن نوحًا كان معذورًا بجهله بمطلوبه لأنه تمسك بوعد الله تعالى في إنجاء أهله، وظن أن ابنه من أهله، بخلاف محمد لم يكن معذورًا لأنه كبر عليه كفرهم مع علمه أن كفرهم وإيمانهم بمشيئة الله تعالى، وأنهم لا يهتدون ، إلا أن يهديهم الله تعالى .

قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً ﴾ [الأنعام: ٣٧] وقع جوابًا لقولهم: ﴿لولا نزل عليه آية من ربه﴾ فإن قلت: لو صح جوابًا له لصح من كل من ادعى النبوة وطولب بآية أن يجيب بذلك [قلت: يلتزم ذلك إن ثبتت نبوته بمعجزة](١) كما ثبت للنبي ﷺ بها وإلا فلا يصح الجواب بذلك .

قوله: ﴿وما من دابة﴾ فائدة : ذكر ﴿في الأرض﴾ بعد دابة مع أنها لا تكون إلا في الأرض، وذكر ﴿يطير بجناحيه﴾ بعد طائر [١٣٧ / أ] مع أنه لا يطير إلا بجناحيه التأكيد كما في قوله: ﴿لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ أو زيادة التعميم والإحاطة.

---

(١) سقط من أ.

قوله: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ ﴾ [الأنعام: ٤٠] ثم قال: ﴿ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً ﴾ [الأنعام: ٤٧] وليس لهما ثالث، وقال فيما بينهما ﴿ أَرَأَيْتُمْ ﴾ وكذلك في غيرها ليس لهذه الجملة في العربية نظير، لأنه جمع بيه علامتي خطاب وهما التاء والكاف، والتاء اسم بالإجماع، والكاف حرف عند البصريين تفيد الخطاب فحسب، والجمع بينهما يدل على أن ذلك تنبيه على شيء ما عليه من مزيد، وهو ذكر الاستئصال بالهلاك، وليس فيما سواهما ما يدل على ذلك فاكتفى بخطاب واحد.

قوله: ﴿ لعلهم يتضرعون ﴾ في هذه السورة وفي الأعراف: ﴿ لعلهم يضرعون ﴾ بالإدغام لأن ما هنا وافق ما بعده وهو قوله ﴿ لعلهم يضرعون ﴾ بالإدغام لأن ما هنا وافق ما بعده وهو قوله: ﴿ جاءهم بأسنا تضرعوا ﴾ ومستقبل تضرعوا يتضرعون لا غير.

قوله: ﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ ﴾ [الأنعام: ٥٠] الآية كرر فيها ﴿ لَكُمْ ﴾ لعدم ذكره قبلها وبعدها ولم يكرره في آية هود اكتفاءًا بذكره قبلها مرتين في قوله: ﴿ إني لكم نذير ﴾ وقوله: ﴿ وما نرى لكم ﴾ وبعدها مرة في قوله: ﴿ أن أنصح لكم ﴾.

قوله ﴿ لا مولاهم الحق ﴾ أي: مولى جميع الخلق وهذا لا ينافي ﴿ وأن الكافرين لا مولى لهم ﴾ لأن المراد بالمولى هنا المالك أو الخالق أو المعبود وثم الناصر.

قوله: ﴿ ووهبنا له إسحاق ﴾ إن قلت: كيف ذكر في معرض الامتنان من أولاده إسحاق ولم يذكر معه إسماعيل بل أخره عنه بدرجات مع أنه أكبر منه؟ قلت: لأن إسحاق وهب له من حرة وكانت عجوزًا عقيمًا وإسماعيل من أمة فكانت المنة في هبة إسحاق أظهر، وقيل: لأن القصد هنا ذكر أنبياء بني إسرائل وهم بأسرهم أولاد إسحاق، وإسماعيل لم يخرج من صلبه نبي إلا محمد ﷺ.

قوله: ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين﴾ قاله هنا بلا تنوين ، وفي يوسف بالتنوين لأنه [١٠٨ / ب] ذكر هنا قبل قوله بعد الذكرى بلا تنوين فناسب ذكره هنا كذلك .

قوله : ﴿مخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي﴾ في هذه السورة وفي آل عمران: ﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾ لأنها في هذه السورة وقعت بين أسماء الفاعلين وهو فالق الحب والإصباح وجاعل الليل سكنًا، واسم الفاعل يشبه الاسم من وجه فيدخله الألف واللام والتنوين والجر وغير ذلك، ويشبه الفعل من وجه فيعمل عمل الفعل ولا يثني ولا يجمع وغير ذلك، ولهذا أجاز العطف عليه بالاسم نحو الصابرين والصادقين وجاز العطف عليه بالفعل نحو قوله: ﴿المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا﴾ ونحو قوله ﴿سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون ﴾ فلما وقع بينهما ذكر ﴿يخرج الحي من الميت﴾ بلفظ الفعل ﴿ومخرج الميت من الحي﴾ بلفظ الاسم عمل بالشبهين وآخر لفظ الاسم لأن الواقع بعده اسمان، والمتقدم [١٣٨ / أ] اسم واحد بخلاف ما في آل عمران لأن ما قبله وما بعده أفعال وكذلك في يونس والروم قبله وبعده أفعال فتأمل فيه فإنه من معجزات القرآن .

قوله : ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ ثم قال : ﴿قد فصلنا الآيات القوم يفقهون﴾ وقال بعدها: ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ لأن من أحاط علمًا بما في الآية الأولى صار عالمًا لأنه أشرف العلوم فختم بقوله: ﴿يعملون﴾ والآية الثانية مشتملة على ما يستدعي تأملاً وتدبرًا.

والفقه علم يحصل بالتفكر والتدبر ولهذا لا يوصف به الله سبحانه وتعالى فختم الآية بقوله: ﴿يؤمنون﴾ حكاه أبو مسلم عن الخطيب وقوله ﴿ذلكم﴾ الآيات في هذه السورة بحضور الجماعات وظهور الآيات عمم الخطاب وجمع الآيات .

قوله: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢] في هذه السورة وفي المؤمن ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ لأن فيها قبله ذكر الشركاء والبنين والبنات فدفع قول قائله بقوله ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ ثم

قال ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وفي المؤمن قبله ذكر الخلق وهو ﴿لخلق السماوت والأرض أكبر من خلق الناس﴾ فخرج الكلام على إثبات خلق الناس لا على نفي الشريك فقدم في كل صورة ما يقتضيه ما قبله من الآيات.

قوله: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ إن قلت: كيف خص الأبصار في الثاني بالذكر مع أنه تعالى يدرك كل شيء ؟

قلت: خصه بالذكر لرعاية المقابلة اللفظية لأنها نوع من البلاغة.

قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢] [وقال في الآية الأخرى من هذه السورة: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾لأن قوله «ولو شاء ربك»](١) وقع عقب آيات فيها ذكر الرب مرات وهي ﴿جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٤] الايات افتتحها بذكر الرب ليوافق آخرها أولها.

قوله: ﴿لو شاء الله ما فعلوه﴾ وقع بعد قوله: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ﴾ فختم بما بدأ به.

قوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِه ﴾ [الأنعام: ١١٧] قال ذلك هنا بلا باء وبالمضارع موافقة لقوله بعد: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالاته﴾ وقال في النحل والنجم ونون ﴿بمن ضل﴾ بزيادة الباء وبالماضي عملاً بزيادة الباء في مفعول أعلم تقوية له لضعفه كما في قوله ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ [وقوله: ﴿هو أعلم بمن اهتدى﴾] (٢) وعملاً في الماضي بكثرة الاستعمال في نحو قولهم: أعلم من دب ودرج، وأحسن من قام وقعد، وأفضل من حج واعتمر.

وحيث حذفت الباء أضمر فعل من مادة أعلم [يعمل في المفعول لضعف اعلم](٣) عن العمل بلا تقوية، وتقديره في الآية يعلم من يضل.

---

(١) سقط من أ.

(٢) سقط من أ.

(٣) سقط من أ.

قوله: ﴿ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٢] المزين لهم هو الله لقوله تعالى: ﴿ وزين لهم أعمالهم ﴾ أو الشياطين لقوله تعالى: ﴿ وزين لهم الشيطان أعمالهم ﴾ وكل صحيح [١٠٩ / ب] فالتنوين من الله بالإيجاد والخلق، ومن الشيطان بالإغواء والوسوسة.

قوله ﴿ قالوا شهدنا على أنفسنا ﴾ كرر شهادتهم على أنفسهم لاختلافها باختلاف المشهود به لأن الأولى: شهادتهم بتبليغ الرسل إليهم، والثانية: شهادتهم [١٣٩ / أ] بكفرهم.

فإن قلت: شهادتهم بكفرهم تضمنت إقرارهم به وهو مناف لجحدهم له في قوله حكاية عنهم ﴿ والله ربنا ما كنا مشركين ﴾ قلت: مواقف القيامة مختلفة ففي موقف أقروا وفي أخر جحدوا أو المراد بشهادتهم شهادة أعضاءهم عليهم حين يختم على أفواههم، كما قال تعالى: ﴿ اليوم نختم على أفواههم ﴾ .

قوله: ﴿ فسوف يعلمون ﴾ بالفاء حيث وقع، وفي هود: ﴿ سوف تعلمون ﴾ بغير فاء لأنه تقدم في هذه السورة وغيرها (قل) فأمرهم أمر وعيد بقوله: ﴿ اعملوا ﴾ أي اعملوا فستجزون ولم يكن في هود (قل) فصار استئنافًا.

وقيل ﴿ سوف تعلمون ﴾ في سورة هود صفة لعامل أي: إني عامل سوف تعلمون فحذف الفاء.

قوله: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٨] وقال في النحل: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٣٥] فزاد ﴿ من دونه ﴾ مرتين، وزاد ﴿ نحن ﴾ لأن لفظ الإشراك يدل على إثبات شريك لا يجوز إثباته، ودل على تحريم أشياء وتحليل أشياء من دون الله، فلم يحتج إلى لفظ من ﴿ دونه ﴾ بخلاف لفظ العبادة فإنها غير مستنكرة وإنما المستنكر عبادة شيء من الله سبحانه وتعالى، ولا يدل على تحريم شيء كما يدل عليه ﴿ أشرك ﴾ فلم يكن بد

من تقييده بقوله: ﴿من دونه﴾ ولما حذف ﴿من دونه﴾ من الآية مرتين حذف معه ﴿نحن﴾ لنظرد الآية في حكم التخفيف.

قوله: ﴿من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾ قال ذلك هنا وقال في سبحان ﴿خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم﴾ قدم هنا المخاطبين على الغائبين وعكس ثم، لأن ظاهر قوله هنا ﴿من إملاق﴾ أي: فقر، أن الإملاق حاصل للوالدين المخاطبين لا توقعه فبدأ بهم، وظاهر قوله ثم ﴿خشية إملاق﴾ أن الإملاق متوقع بهم وهم موسرون فبدأ بالأولاد، فما هنا يفيد النهي للآباء عن قتل الأولاد وإن تلبسوا بالفقر، وما هناك يفيده وإن تلبسوا باليسر.

قوله ﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾ إن قلت: لم خص العدل بالقول مع أن الفعل إلى العدل أحوج فإن الضرر الناشيء من الجور الفعلي أقوى من الضرر الناشيء من الجور القولي؟ قلت: إنما خصه بالقول ليعلم وجوب العدل في الفعل بالأولى كما في قوله تعالى: ﴿فلا تقل لهما أف﴾.

قوله: ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾ وفي الثانية ﴿لعلكم تذكرون﴾ وفي الثالثة ﴿لعلكم تتقون﴾ لأن الآية الأولى مشتملة على خمسة أشياء كلها عظام جسام فكانت الوصية بها من أبلغ الوصايا، فختم الآية الأولى بما في الإنسان من أشرف السجايا وهو العقل الذي امتاز به الإنسان عن سائر الحيوان.

والآية الثانية مشتملة على خمسة أشياء يقبح تعاطيها وارتكابها وكانت الوصية فيها تجري مجرى الزجر والوعظ فختم الآية بقوله: ﴿تذكرون﴾ أي: تتعظون بمواعظ الله.

والآية الثالثة [١٤٠ / أ] مشتملة على ذكر الصراط المستقيم والتحريض على اتباعه واجتناب مناهي فختم الآية بالتقوى التي هي ملاك العمل وخير الزاد.

قوله: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ إن قلت: هو مناف لنحو قوله تعالى: ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم﴾ ولخبر: «**من عمل سيئة فعليه وزرها ووزر**

من عمل بها إلى يوم القيامة»؟ قلت: لا منافاة إذ الوزر في الآية الأولى محمول على من لم يتسبب في الفعل بوجه، وفيما عداها على من تسبب [١١٠ / ب] فيه بوجه كالآمر به والدلالة عليه، فعليه وزر مباشرته له ووزر تسببه فيه.

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥] قال ذلك هنا وقال في يونس وفاطر: ﴿جعلكم خلائف في الأرض﴾ لأن ما هنا تكرر قبله ذكر المخاطبين مرات فعرفهم بالإضافة وما في السورتين جاء على الأصل كما في قوله: ﴿جاعل في الأرض خليفة﴾ و ﴿وجعلكم مستخلفين فيه﴾.

قوله: ﴿إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ باللام في الجملتين لأن ما هنا وقع بعد قوله: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ وقوله: ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ فأتى باللام المؤكدة في الجملة الثانية فقط ترجيحًا للغفران على سرعة العقاب، وما هناك وقع بعد قوله: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ [الأعراف: ١٦٥] وقوله: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٦] فأتى باللام في الجملة الأولى لمناسبة ما قبلها وفي الثانية تبعًا للام في الأولى.

فإن قلت: كيف قال ﴿سريع الحساب﴾ مع أنه حليم، والحليم هو الذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه قلت: معنى سريع: شديد، أو المعنى سريع العقاب إذا جاء وقته.

(خاتمة)

قال القرطبي(١) ـ رحمه الله ـ قال : سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ لم ينزل شيء من الوحي إلا نزل جبريل عليه السلام ومعه أربعة من الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه وهو قوله تعالي: ﴿ **لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا** ﴾ [الجن:٢٨] إلا الأنعام فإنها نزلت معها سبعون ألف ملك، ذكره الحليمي وروى في الخبر أنها نزلت جملة واحدة غير ست آيات وشيعها سبعون ألف ملك مع آية واحدة منها اثنا عشر ألف ملك وهي: ﴿ **وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو** ﴾ فكتبوها من ليلتهم ، ذكره المهدوي وغيره.

وذكر الثعلبي عن جابر عن النبي ﷺ : «من قرأ ثلاث آيات من أول سورة الأنعام إلى قوله: ﴿ **ويعلم ما تكسبون** ﴾ وكل الله به أربعين ألف ملك يكتبون له مثل عبادتهم إلى يوم القيامة ، وينزل الملك من السماء السابعة معه مرزبة من حديد فإذا أراد الشيطان أن يوسوس له أو يوحي في قلبه شيئًا ضربه ضربة فيكون بينه وبينه سبعون حجابًا ، فإذا كان يوم القيامة قال الرب تبارك وتعالى : امش في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي وكل من ثمار جنتي واشرب من ماء الكوثر واغتسل من ماء السلسبيل فأنت عبدي وأنا ربك انتهى.

الآيات الست قال [١٤١ / أ] المفسرون :سورة الأنعام مكية إلا ست آيات نزلت بالمدينة ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾ ﴿ **إذ قالوا ما أنزل الله** ﴾ ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم** ﴾ إلى آخر الثلاث آيات، وقال كعب الأحبار هذه الآية مفتتح التوراة : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم علكيم** ﴾ .

وقال ابن عباس : هذه الآيات المحكمات التي ذكرها الله في سورة

(١) «التذكار في أفضل الأذكار» (ص / ١٥٨).

آل عمران اجتــمعت عليها شرائع الخلق ولم تنسخ قط في ملة ، وقـد قيل: أنها العشر كلمات التي أنزلها الله عز وجل على موسى عليه السلام.

هذا وذكر الثـعلـبي أنه رأى في بعض التفاسـير أن هذه الآية : ﴿**لكل نبـأ مستقر وسوف تعلمون**﴾ نافعة من وجع الضرس إذا كتبت على كاغد ووضع على السن.

سورة الأعراف

مكية إلا ﴿ واسألهم عن القرية﴾ الثمان أو الخمس آيات

مائتان وخمس أو ست آيات.

الفصل الأول: في أسباب نزولها

قوله عز وجل: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ الآية [الأعراف: ٣١] روى مسلم(١) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت في الجاهلية وهي عريانة وعلى فرجها خرقة وهي تقول: اليوم يبدو كله أو بعضه وما بدا منه فلا أحله فنزلت ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ونزلت ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ ﴾ الآيتين [الأعراف: ٣٢] (٢).

وأخرج الواحدي(٣) عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن [١١١ / ب] [قال: كانوا إذا حجوا فأفاضوا من مني لا يصح لأحد منهم في دينهم اشترعوا فيه أن يطوف في ثوبيه فأيهم طاف ألقاهم حتى يقضي طوافه فكان آنفًا فأنزل الله فيهم ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لقوم يعلمون﴾ أنزلت في شأن الذين يطوفون بالبيت عراة. انتهى.

وقيل: كان الرجال يطوفون بالنهار والنساء بالليل، وقيل الكلبي(٤): كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام إلا قوتًا ولا يأكلون دسمًا في أيام حجهم يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون: يا رسول الله نحن أحق بذلك فأنزل الله تعالي هذه، ﴿وكلوا﴾ أي: اللحم والدسم، (واشربوا).

---

(١) حديث رقم (٣٠٢٨).

(٢) «أسباب النزول» (ص / ٣٨٤).

(٣) بداية سقط من ب بمقدار ورقة.

(٤) «أسباب النزول» (ص / ٣٨٥).

قوله عز وجل ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥] قال ابن مسعود[١] : نزلت في بلعم بن إبره رجل من بني إسرائيل، وقال ابن عباس[٢] وغيره من المفسرين: هو بلعام بن باعوراء، وقال الوالبي : هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعام وكان يعلم اسم الله الأكبر فلما نزل بهم موسى عليه السلام أتاه بن عمه وقومه قالوا : إن موسى رجل حديد أي: شديد، ومعه جنود كثيرة، وإنه إن يظهر علينا يهلكنا فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه، قال: إني إن دعوت الله أن يرد موسى وقومه ذهب دنيايَ وآخرتي فلم يزالوا به حتي دعا عليهم فسلخه الله مما كان عليه فذلك قوله ﴿فانسلخ منها﴾ .

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص، وزيد بن أسلم: نزلت في أمية بن أبي الصلت الثقفي وكان قد قرأ الكتب وعلم. أن [١٤٢ / أ] الله مرسل رسول في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو ذلك الرسول، فلما أرسل محمد ﷺ حسده وكفر به .

وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال: هو رجل أعطى ثلاث دعوات يستجاب له فيها، وكانت له امرأة يقال لها: السوس ، وكان لها منها ولد، وكانت له صحبة أي:أصحاب فقالت: اجعل لي منها دعوة واحدة قال: لك واحدة فماذا تأمرين؟ قالت: ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل، فلما علمت أن ليس فيهم مثلها غبت عنه وأرادت شيئًا آخر فدعا الله عليها أن يجعلها كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان وجاء بنوها قالوا: ليس لنا على هذا قدر، قد صارت أمنا كلبة نباحة يعيرنا بها الناس، فادع الله أن يرجعها إلى الحالة التي كانت عليها فدعا الله فعادت كما كانت، وذهبت الدعوات الثلاث وهي البسوس وبها يضرب المثل في الشؤم فيقال أشأم من البوس ولم يذكر

---

(١) السابق .

(٢) السابق.

السيوطي ـ رحمه الله ـ في «اللباب» سبب هذه الآية لما قدمه في أول كتابه من أن سبب النزول ما نزلت الآية أيام وقوعه ، ليخرج بذلك ما ذكره الواحدي في سورة الفيل من أن سبب نزولها قصة قدوم الحبشة بالفيل ونحو ذلك من قصة قوم نوح وغيرهم انتهى .

فما هنا من ذلك ففي ذكره تساهل سهله زيادة الفائدة .

قوله عز وجل: ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ**﴾ [الأعراف: ١٨٤] أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة قال: ذكر لنا أن النبي ﷺ قام على الصفا فدعا قريشًا فجعل يدعوهم فخذًا فخذًا يا بني فلان يحذرهم بأس الله ووقائعه فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون بات يهرت إلى الصباح فأنزل الله : ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ**﴾ [الأعراف: ١٨٤] .

قوله عز وجل: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا**﴾ [الأعراف: ١٨٧] قال ابن عباس(١) : قال جبل ابن أبي قشير وسموأل بن زيد وهما من اليهود: يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيًا فإنا نعلم متى هي؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية. أخرجه عنه ابن جرير وغيره .

وقال قتادة(٢) : قالت قريش لمحمد ﷺ : إن بيننا وبينك قرابة فأسر إلينا متى الساعة، فأنزل الله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ**﴾ أخرجه عن قتادة بنحوه.

وأخرج الواحدي عن فرصة بن حسان قال](٣) سمعت أبا موسى في يوم جمعة على منبر البصرة يقول: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة وأنا شاهد فقال: «**لا يعلمها إلا الله ولا يجليها لوقتها إلا هو، ولكن سأحدثكم بأشراطها وما بين أيديها، إن بين أيديها ردمًا من الفتن وهرجًا**» فقيل: وما الهرج يا رسول الله؟ قال « **هو بلسان الحبشة القتل، وأن تحصر قلوب الناس وأن يلقى بينهم التناكر**

---

(١) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٣٨٧) و«تفسير » ابن جرير (٩ / ١٣٧).
(٢) السابق.
(٣) نهاية سقط كبير من ب بمقدار ورقة.

فلا يكاد أحد يعرف أحدًا ، ويرفع أهل الحجى، ويبقى رجاجة من الناس لا تعرف [١٤٣ / أ] معروفًا ولا تنكر منكرًا .

قوله عز وجل : ﴿ **قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا** ﴾ الآية [الأعراف: ١٨٨] قال الكلبي(١) : إن أهل مكة قالوا: يا محمد ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فنشتري فنربح، وبالأرض التي يريد أن تجدب فنرتحل عنها إلى ما قد أخصب؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية .

قوله عز وجل: ﴿**هو الذي خلقكم من نفس واحدة**﴾ إلى قوله: ﴿**وهم يخلقون**﴾ قال مجاهد(٢) : وكان لا يعيش لآدم وامرأته ولد فقال لهما الشيطان إذا ولد لكما ولد فسمياه عبد الحارث وكان اسم الشيطان قبل ذلك الحارث ففعلا فذلك قوله تعالى: ﴿**فلما آتهما صالحًا جعلا له شركاء**﴾ الآية ، وقيل: قال لحواء ما يدريك ما في بطنك لعله يكون كلبًا أو خنزيرًا؟ أو من أين يخرج؟ من فيك، أو غيره ؟ فإن دعوت الله أن يجعله مثلك أتسميه باسمي؟ قالت: نعم، فنزلت.

قوله عز وجل: ﴿ **وإذا قرأ القرآن فاستعموا له وأنصتوا** ﴾ أخرج الواحدي(٣) عن أبي هريرة في هذه الآية: ﴿ **وإذا قرئ القرآن** ﴾ قال : نزلت في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله ﷺ في الصلاة .

وقال قتادة (٤) : كانوا يتكلمون في صلاتهم في أول ما فرضت كان الرجل يجيء فيقول لصاحبه كم صليتم؟ فيقول كذا وكذا فأنزل الله تعالى هذه الآية وأخرجهما ابن أبي حاتم عن أبي هريرة [وقال ابن عباس: إن رسول الله ﷺ](٥) قرأ في الصلاة المكتوبة وقرأ أصحابه وراءه رافعين أصواتهم فخلطوا عليه

---

(١) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٣٨٨).

(٢) السابق.

(٣) السابق (ص / ٣٨٩).

(٤) السابق.

(٥) سقط من أ.

فنزلت هذه الآية وأخرجه سعيد بن منصور عن محمد بن كعب بلفظ: كانوا يتلقفون من رسول الله ﷺ قال السيوطي عقبه : قلت: ظاهر ذلك أن الآية مدنية، وقال سعيد بن جبير، ومجاهد وعطاء وعمرو بن دينار وجماعة نزلت في الإنصات للإمام في الخطبة يوم الجمعة وكانوا يتحدثون فيها، وقال ابن المسيب: كان المشركون يأتون النبي ﷺ في الصلاة فيقول بعضهم لبعض لا تستمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فنزلت هذه الآية انتهى.

الفصل الثاني: في منسوخها
آيتان على ما قيل وكلها محكمة

الأولى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠] قال ابن زيد: منسوخة بالسيف، والظاهر أنها محكمة وهو تهديد.

الثانية: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وهو من عجيب المنسوخ لأن أولها وآخرها منسوخان ووسطها محكم. فقوله ﴿**خذ العفو**﴾ أي: الفضل من أموالهم، وقد ذكر مثله في سورة البقرة ﴿**وأمر بالعرف**﴾ محكم، وتفسير العرف معروف ﴿**وأعرض عن الجاهلين**﴾ منسوخ بآية السيف.

وقد روى: أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال له: جئتك من عند ربك بمكارم الأخلاق فقال: وما ذلك؟ قال: إن ربك يقول لك: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ فقال له: ما معنى ذلك؟ قال جبريل ﷺ: تأويله: صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك وأحسن إلى من أساء إليك.

قال ابن [١٤٤ / أ] الزبير: أراد بالعفو: العفو عن أخلاق الناس.

وعن ابن عباس: خذ الفاضل عن الحاجة فهي منسوخة بالزكاة.

وقال مجاهد: العفو الزكاة، وقال سالم: الصدق فالأمر ندب، وقال ابن جبير: حسن الأخلاق. فهم عندهم محكمة.

وقال ابن زيد: وأعرض عن الجاهلين: أي قتالهم [١١٢ / ب] فهو منسوخ بالسيف، والظاهر أعرض عن مخالطتهم فهي محكمة.

الفصل الثالث: في متشابهها

قوله: ﴿فلا يكن في صدرك حرج منه﴾ أي: ضيق من الكتاب أن تبلغه مخافة أن تكذب، والنهي في اللفظ للحرج، والمراد المخاطب مبالغة في النهي عن ذلك كأنه قيل: لا تتسبب في شيء ينشأ منه حرج وهو من باب لا أرينك ها هنا، النهي في اللفظ للمتكلم والمراد المخاطب، أي: لا تكن بحضرتي فأراك، ومثله ﴿فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها﴾ قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١] أتى بـ (ثم) الثانية وهي للترتيب مع أن الأمر بالسجود لآدم كان قبل خلقنا وتصورنا لأن ثم هنا للترتيب الإخباري، أو لتفاوت ما بين نعمتي السجود له وما قبله. لأن السجود له أكمل إحسانًا وأتم إنعامًا مما قبله، أو المراد ولقد خلقنا أباكم ثم صورناه بحذف مضاف.

قوله تعالى: ﴿قال ما منعك﴾ في هذه السورة وفي ص: ﴿قال يا إبليس ما منعك﴾، وفي الحجر: ﴿قال يا إبليس ما لك﴾ بزيادة ﴿يا إبليس﴾ في السورتين لأن خطابه قرب من ذكره في هذه السورة، وهو قوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ﴾ [الأعراف: ١١] فحسن حذف النداء والمنادى، ولم يقرب في ص قربه منه في هذه السورة لأن في (ص). ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: ٧٤] بزيادة (استكبر) فزاد حرف النداء، والمنادى فقال: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ﴾ [ص: ٧٥] [وكذلك الحجر فإن فيها ﴿إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾ بزيادة ﴿أبى﴾ فزاد حرف النداء والمنادى فقال: (يا إبليس][1].

قوله تعالى: ﴿أن لا تسجد﴾ [ص: ٧٥] وفي ص ﴿أَن تَسْجُدَ﴾ [ص: ٧٥] وفي الحجر: ﴿أَلَّا تَكُونَ﴾ [الحجر: ٣٢] فزاد في هذه السورة (لا) وللمفسرين في (لا) أقوال.

---

(١) سقط من أ.

قال بعضهم: (لا) صلة كما في قوله: ﴿ لِكَيْلا يَعْلَمَ﴾ [الحج: ٥].

وقال بعضهم: الممنوع من الشيء مضطر إلى ما منعه منه.

وقال بعضهم: معناه: ما الذي جعلك في منعه من عذابي.

وقال بعضهم: معناه: من قال لك لا تسجد وقد ذكرت ذلك وأخبرت بالصواب في كتاب «لباب التفسير» والذي يليق بهذا الكتاب أن نذكر ما السبب الذي خص هذه السورة بزيادة (لا) دون السورتين.

قلت: لما حذف منها ﴿ يا إبليس﴾ واقتصر على الخطاب جمع بين لفظ المنع ولفظ (لا) زيادة في النفي وإعلامًا أن المخاطب به إبليس خلاف السورتين فإنه صرح فيها باسمه، وإن شئت قلت: جمع في هذه السورة بين ما في (ص)، وفي (الحجر) فقال: ﴿ مَا مَنَعَكَ﴾ [ص: ٧٥] ﴿أن تسجد﴾ (١) مالك أن لا تسجد فحذف أن تسجد وحذف مالك لدلالة الحال ودلالة السورتين عليه فبقي ما منعك [١٤٥ / أ] أن لا تسجد وهذه لطيفة فاحفظها.

قوله: ﴿ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤] وفي الحجر: ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِي﴾ [الحجر: ٣٦] لأنه سبحانه لما اقتصر في السؤال على الخطاب دون صريح الاسم في هذه السورة اقتصر في الجواب أيضًا على الخطاب دون ذكر المنادي وأما زيادة الفاء في السورتين دون هذه السورة فلأن داعية الفاء ما تضمنه النداء من ادعوا، ونادى نحو: ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ﴾ [آل عمران: ١٩٣] أي: أدعوك، وكذلك داعية الفاء في قوله: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا﴾ [آل عمران: ١٩٤] ﴿فاغفر لنا﴾ أي :أدعوك وكذلك داعية الواو في قوله ﴿رَبَّنَا﴾ (٢) فخذف المنادي فلما حذفه انحذفت الفاء .

قوله: ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥] قاله هنا بحذف الفاء موافقة

(١) سقط من أ.
(٢) سقط من أ.

لحذفها في السؤال هنا، وقال في الحجر وص بذكرها موافقة لذكرها فيه ثم فإن قلت: كيف أجيب إبليس إلى الإنظارمع أنه إنما طلبه ليفسد أحوال عباد الله تعالى ؟ قلت: لما في ذلك من ابتلاء العباد، لما في مخالفته من أعظم الثواب.

قوله: ﴿**قال فبما أغويتنى**﴾ قال ذلك هنا بالفاء وفي الحجر بحذفها مع اتفاقهما في مدخول الباء وقال في: (ص) : ﴿**فَبِعِزَّتِكَ**﴾ [ص:٨٢] بالفاء مع مخالفته لتينك في مدخول الباء لأن الفاء وقعت [١١٣ / ب] في محلها هنا وفي ص لأنها متسببة عما قبلها ولا مانع فحسنت، ولم تحسن في الحجر لوقوع النداء ثم في قوله: ﴿ **رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي**﴾ [الحجر:٣٩] والنداء يستأنف له الكلام، والباء في المواضع الثلاثة للسببية، أو للقسم، وما بعدها في ص موافق لما بعدها في غيرها في المعنى وإن خالف لفظًا فلا اختلاف في الحقيقة إذ إغواء الله للشيطان يتضمن عزته تعالى .

قوله: ﴿ **كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** ﴾ [الأعراف:٢٩] إن قلت: كيف قال ذلك مع أنه تعالى بدأنا أولاً نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا ثم لحمًا، ونحن لانعود بعد الموت كذلك؟ قلت: معناه كما بدأكم من تراب كذلك تعودون منه، أو كما أجدكم بعد العدم كذلك يعيدكم بعده، فالتشبيه في نفس الإحياء والخلق لا في الكيفية والترتيب.

قوله: ﴿ **قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [الأعراف: ٣٢] إن قلت: كيف أخبر عن الزينة والطيبات بأنهما للذين آمنوا في الآية إضمار تقديره قل هي للذين آمنوا غير خالصة في الحياة الدنيا خالصة للمؤمنين يوم القيامة.

قوله: ﴿ **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ**﴾ [الأعراف: ٣٤] قاله هنا وفي سائر المواضع بالفاء، إلا في يونس [فبحذفها لأن مدخولها في غير يونس](١) جملة معطوفة على

(١) سقط من أ.

أخرى مصدرة بالواو وبينهما اتصال وتعقيب، فحسن الإتيان بالفاء الدالة على التعقيب بخلاف ما في يونس، وقوله في الآية: ﴿ وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] معطوف على الجملة الشرطية لا على جواب الشرط إذ لا يصح ترتيبه علي الشرط.

قوله: ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الآية [الأعراف: ٤٣]، إن قلت كيف قال ذلك مع أن الميراث هو ما ينتقل من ميت إلي حي وهو مفقود هنا؟ قلت: هو على تشبيه أهل الجنة وأهل النار بالوارث والموروث عنه لأن الله خلق في الجنة منازل للكفار بتقدير إيمانهم، فمن لم يؤمن منهم جعل منزله لأهل الجنة [١٤٦ / أ] أو لأن دخول الجنة لا يكون إلا برحمة الله تعالى لا بعمل، فأشبه الميراث وإن كانت الدرجات فيها بحسب الأعمال.

قوله: ﴿وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٥] قال ذلك هنا وقال في هود: ﴿ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [هود: ١٩] لأن ماهنا جاء على الأصل وتقديره وهم كافرون بالآخرة فقدم بالآخرة رعاية للفواصل، وما في هود وقع بعد قوله: ﴿ هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨] والقياس: عليهم، فلما عبر عنهم بالظالمين التبس أنهم هم الذين كذبوا على ربهم فقال: ﴿ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [هود: ١٩] ليعلم هم المذكورون لا غيرهم.

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ ﴾ [الأعراف: ٥٧] قاله هنا وفي الروم بلفظ المضارع وقال في الفرقان وفاطر ﴿ أرسل﴾ بلفظ الماضي لأن ما هنا تقدمه ذكر الخوف والطمع في قوله: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [الأعراف: ٥٦] وهما للمستقبل، وفي الروم تقدمه التعبير بالمضارع مرات في قوله: ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ [الروم] الآية فناسب ذكر المضارع فيهما، وما في الفرقان تقدمه التعبير بالماض مرات في قوله: ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ الآية [الفرقان: ٤٥] وتأخر عنه ذلك في قوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ الآية [الفرقان: ٥٣]، وفي فاطر تقدمها في أولها ﴿ فاطر﴾ ﴿ وجاعل﴾ وهما بمعنى الماضي فناسبت ذكر الماضي

في السورتين .

قـوله: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ [الأعراف:٥٩] في هذه السـورة بغير واو وفي هود: والمؤمنون ولقد بالواو ، لأنه لم يتـقدم في هذه السورة ذكر رسـول فيكون هذا عطفًا عليه، بل هو استئناف كلام، وفي هود تقدم ذكر الرسول مرات، وفي المؤمنون تقدم ذكر نوح ضمنًا لقوله: ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ ﴾ [المؤمنون:٢٢] لأنه أول من صنع الفلك فعطف في السورتين بالواو [١١٤ / ب] وقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [نوح:١] بالفاء في هذه السورة وكـذلك في المؤمنون في قصة نوح ﴿فقال﴾ وفي هود في قصة نوح: ﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود:٢٥] بغير فاء، وفي هذه السورة فـي قصة عـاد بغير فـاء لأن إثبات الفاء هـو الأصل، وتقديره أرسلنا نوحًا فجاء فقال، فكان في هذه السورة والمؤمنون على ما يوجبه اللفظ .

وأما في هود فالتقدير:فقال: إني، فأضمر (قال) وأضمر معه (الفاء)، وهذا كما قلنا في قوله: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾ [آل عمران:١٠٦] أي: فيقال لهم: أكفرتم؟ فأضمر القول والفاء معًا، وأما قصة عاد فالتقدير : وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودًا فقال، فأضمر أرسلنا وأضمر الفاء، لأن داعي الفاء أرسلنا.

قوله: ﴿ قَالَ الْمَلأُ﴾ [الأعراف:١٠٩] قاله هنا في قصة نوح وهود بلا فاء لأنه خرج مخرج الابتداء وإن تضمن الجواب كما في قوله: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ﴾ [العنكبوت:٣٢] بعد قوله: ﴿إِنَّ فِيهَا ﴾ [العنكبوت:٣٢] وقاله في هود والمؤمنون بالفاء [لأنه وقع جوابًا لما قبله فناسبه الفاء. فإن قلت كيف وصف قصة نوح عليه الصلاة والسلام؟ قلت:] (١) لأنه كان قد آمن بهود بعضهم فلم يكونوا كلهم قائلين له ﴿إنا لنراك في سفاهة﴾ بخلاف قوم نوح فإنه لم يكن فيهم من آمن به إذ ذاك، ونقض: بأنه تعالـى وصف أيضًا الملأ من قوم نوح بالكفـر في سورة هود، وأجيب: بجواز كون هذا القول [١٤٧ / أ] وقـع مرتين، المرة الثانية: بعد

---

(١) سقط من أ.

إيمان بعضهم بخلاف المرة الأولى.

قوله: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢] في قصة (نوح، وقال في قصة)(١) هود: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨] لأن ما في هذه الآية ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ بلفظ المستقبل فعطف عليه: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٦٢] كما في الآية الأخرى: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٩٣] فعطف الماضي على الماضي لكن في قصة هود قابل اسم الفاعل قولهم له: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الأعراف: ٦٦] ليقابل الاسم بالاسم.

قوله: ﴿رِسَالاتِ رَبِّي﴾ [الأعراف: ٦٢] في القصص إلا في قصة صالح فإن فيها ﴿رسالة﴾ على الواحدة لأنه سبحانه حكى عنهم بعد الإيمان بالله والتقوى أشياء أمروا قومهم بها إلا في قصة صالح فإن فيها ذكر الناقة فصار كأنه رسالة واحدة.

قوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأعراف: ٦٤] وفي يونس: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ [يونس: ٧٣] لأن ﴿نجينا﴾ و ﴿أنجينا﴾ للتعدي لكن التشديد على الكثرة والمبالغة، فكان في يونس ومن معه، ولفظ ﴿مَن﴾ يقع على كثرة مما يقع عليه اللذين لأن ﴿مَن﴾ يصلح للواحد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث بخلاف اللذين فإنه لجمع المذكر فحسب، فكان التشديد مع ﴿مَن﴾ أليق.

قوله: ﴿وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: ٦٤] ﴿وَلا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٦] لأنه في هذه السورة بالغ في الوعظ فبالغ في الوعيد فقال: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣] وفي هود لما اتصل بقوله: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥] وصدر بالقرب فقال: ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [هود: ٦٤] وزاد في الشعراء ذكر اليوم لأن قبلها: ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ

(١) سقط من أ.

شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الشعراء: ١٥٥] والتقدير لها شرب يوم معلوم فختم الآية بذكر اليوم فقال: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٥٦].

قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ [الأعراف: ٩١] على الوحدة، وقال: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [هود: ٩٤] حيث الرجفة وهي الزلزلة وحد الدار، وحيث ذكر الصيحة جمع لأن الصيحة كانت من السماء فبلوغها أكثر وأبلغ من الزلزلة، فاتصل كل واحد بما هو اللائق به.

قوله: ﴿مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [الأعراف: ٧١] في هذه السورة نزل، وفي غيرها أنزل لأن ﴿أفعل﴾ كما ذكرت آنفًا للتعدي، (وفعل) للتعدي والتكثير، فذكر في الموضع الأول بلفظ المبالغة ليجري مجرى ذكر الجملة والتفصيل وذكر الجنس والنوع فيكون الأول كالجنس وما عداه كالنوع.

قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٤] [١١٥ / ب] في هذه السورة وفي غيرها (فساء مطر المنذرين) لأن في السورة وافق ما بعده وهو قوله: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٣].

قوله: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ [الأعراف: ٨٠] بالاستفهام وهو استفهام تقريع [وتوبيخ وإنكار وقال بعده ﴿أئنكم لتأتون﴾، فزاد مع الاستفهام أإ لأن التقريع](١) والتوبيخ والإنكار في الثاني أكثر، ومثله في النمل: ﴿أَتَأْتُونَ﴾ [النمل: ٥٤] وبعده: ﴿أَئِنَّكُمْ﴾ [النمل: ٥٥]، وخالف في العنكبوت فقال: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ [١٤٨ / أ] [العنكبوت: ٢٨] ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] فجمع بين (إن) و (أئن) وذلك لموافقة آخر القصة فإن في الآخر: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ﴾ [العنكبوت: ٣٣] ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٤] فتأمل فيه فإن صعب المستخرج.

قوله: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١] عبر هنا بلفظ السرف والاسم

---

(١) سقط من أ.

في النمل بلفظ الجهل والفعل تكثيرًا للفائدة في التعبير عن المراد بلفظين متساويين معنى، إذ كل سرف جهل وبالعكس رعاية للفواصل في التعبير بالاسم والفعل، إذ الفواصل السابقة هنا أسماء وهي العالمين، المرسلين الناصحين، إلى آخرها، وفي النمل أفعال وهي : ﴿تعلمون﴾ ، ﴿تتقون﴾ ، ﴿تبصرون﴾ ـ فناسب الاسم هنا والفعل ثم .

قوله : ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ [الأعراف: ٨٢] قاله هنا بالواو ، وفي النمل والعنكبوت في الموضعين بالفاء لأن ما هنا تقدمه اسم هو ﴿مسرفون﴾ والاسم لا يناسبه التعقيب ، وما في تينك تقدمه فعل هو (تجهلون) ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] والفعل يناسبه التعقيب فناسب ذكر الفاء الدالة عليه ثم، وذكر الواو هنا.

قوله: ﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣] في هذه السورة وفي النمل: ﴿قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [النمل: ٥٧] أي: كانت في علم الله من الغابرين فقدرناها من الغابرين، وعلي وزان قول الخطيب : ﴿قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [النمل: ٥٧] فصارت من الغابرين و(كان) تأتي بمعنى صار وقد فسر (كان) من الجن بالوجهين .

قوله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾ [الأعراف: ١٠١] قاله هنا بحذف المعمول وهو (به) وفي يونس بإثباته تبعًا لما قبلهما في الموضعين؛ إذ قيل ما هنا ﴿ولكن كذبوا﴾ وقيل ما في يونس ﴿كذبوا بآياتنا﴾ بإثباته .

قوله: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٠٠] مع قوله بعد ذلك: ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٠١] قاله هنا أولاً بالنون وإضمار الفاعل، وثانيًا بالياء وإظهار الفاعل، وقاله في يونس بالنون والإضمار لأن الآيتين هنا تقدمهما الأمران: الياء مع الإظهار مرتين في قوله: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩] ، والنون مع الإضمار في قوله: ﴿أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم﴾ [الأعراف: ١٠٠] فناسب الجمع بين الأمرين هنا والآية ثم بعدها النون مع الإضمار فقط في قوله:

﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ﴾ [الأنبياء: ٩] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ [يونس: ٧٣] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا﴾ [الأعراف: ١٠٣] فناسب الاقتصار على النون مع الإضمار ثم.

قوله: ﴿قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩] إن قلت: كيف نسب القول هنا [للملأ] ونسبه في الشطر لفرعون في قوله: [قال][(١)] ﴿قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩] ؟ قلت: قاله هو وهم فحكى قوله ثم، وقولهم وحدهم أو معه هنا.

قوله : ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف: ١١٠] قال هنا بحذف (بسحره) وقاله في الشعراء بإثباته لآن الاية هنا بنيت على الاختصار ولأن ما قبل الآية هنا وهو ﴿لساحر عليم﴾ يدل على السحر بخلاف الآية فيهما ثم .

قوله: ﴿وأرسل﴾ وفي الشعراء ﴿وابعث﴾ . لأن الإرسال يفيد معنى البعث ويتضمن نوعًا من العلو . لأنه يكون من فوق . فخصت هذه السورة به لما التبس ليعلم أن المخاطب به فرعون دون غيره.

قوله: ﴿بكل ساحر عليم﴾ وفي الشعراء : ﴿وابعث﴾ لأنه راعي ما قبله في هذه السورة وهو قوله: ﴿إن هذا لساحر عليم﴾ (١٤٩ / أ] وراعى في الشعراء مصحف الإمام فإن فيه ﴿بكل سحار﴾ بالألف .

وقرئ في هذه السورة ﴿سحار﴾ أيضًا طلبًا للمبالغة وموافقة لما في الشعراء.

قوله: ﴿وجاء السحرة فرعون قالوا﴾ وفي الشعراء ﴿فلما جاء السحرة قالوا لفرعون﴾ (١١٦ / ب) لأن القياس في هذه السورة : وجاء السحرة فرعون قالوا، أو فقالوا: لابد من ذلك.

---

(١) سقط من أ.

لكن أضمر فيه ﴿فلما﴾ : فحسن حذف الواو، وخص هذه السورة بإضمار ﴿فلما﴾ لأن ما في هذه السورة وقع على الاختصار والاقتصار على ما سبق.

وأما تقديم فرعون وتأخيره في الشعراء لأن التقدير فيهما : فلما جاء السحرة فرعون قالوا لفرعون .

فأظهر الأول في هذه السورة لأنها الأولى وأمر الثاني في الشعراء لأنها الثانية.

قوله: ﴿قال نعم وإنكم لمن المقربين﴾ وفي الشعراء: ﴿إذا لمن المقربين﴾ .

(إذا) في هذه السورة مضمرة مقدرة لأن ﴿إذا﴾ جزاء، ومعناه: إن غلبتم قربتكم ورفعت منزلتكم .

وخص هذه السرة بالإضمار اختصاراً .

قوله: ﴿إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين﴾ وفي طه ﴿إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى﴾ .

راعي في السورتين أواخر الآي ومثله: ﴿فألقى السحرة ساجدين﴾ في السورتين، وفي طه ﴿سجدا﴾ .

وفي السورتين أيضًا ﴿آمنا برب العالمين﴾ وليس في طه ﴿رب العالمين﴾ .

وفي السورتين: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [الأعراف:١٢٢] وفي طه: ﴿بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه:٧٠] وفي هذه السورة: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٢٣] ﴿لأُقَطِّعَنَّ﴾ [الأعراف:١٢٤] وفي الشعراء: ﴿آمَنتُمْ لَهُ﴾ [الشعراء:٤٩] وفي طه [﴿فلأُقَطِّعَنَّ﴾ وفي السورتين ﴿ولأصلبنكم أجمعين﴾ وفي طه][1] ﴿آمَنتُمْ لَهُ﴾ [طه:٧١] وهذا كله مراعاة لفواصل الآية، لأنها مرعية تبني عليها مسائل كثيرة .

---

(١) سقط من أ.

قوله في هــذه السورة : ﴿ آمَنتُمْ لَهُ ﴾ [الأعراف:١٢٣] ، وفي الـسورتين: ﴿آمَنتُمْ لَهُ﴾ [الشعراء:٤٩ ، طه :٧١] لأن الضمـير يعود إلي رب العالمين وهو المؤمن به سبـحانه، وفي السـورتين يعود إلى مـوسى لقوله: ﴿إِنَّهُ لَكَبِـيــرُكُمُ﴾ [الشعراء:٤٩ ، طه: ٧١] وقيل : آمنتم به ﴿ آمَنتُمْ لَهُ﴾ واحد .

قوله: [قال فرعون] وفي السورتين (قال آمنـتم) لأن هذه السورة متعقبة على السورتين فصرح في الأولى وكني في الآخرتين ، وهو القياس.

قال الخطيب: لأن في هذه السورة بعد عن ذكر فرعون بآيات كثيرة فصرح، وقرب في السورتين من ذكره فكنى .

قــوله: ﴿ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْـمَـعِينَ ﴾ [الأعـراف:١٢٤]، وفي الـسـورتين : ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ [طه:٧١] لأن ﴿ ثُـمَّ ﴾ تدل على أن الصلب يقع بعد التقطيع، وإذا دل في الأولى علم في غيرها، ولأن (الواو) تصلح لما تصلح له ﴿ ثُمَّ ﴾ .

قوله: ﴿ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الأعراف:١٢٥] ، وفي الشعراء: ﴿ لا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٥٠] بزيادة ﴿ لا ضـير ﴾ لأن هذه السورة اختصرت فيها هذه القصة وأشبعت في الشعراء، أو ذكر فيها أول أحوال موسى مع فرعون إلى آخرها فبدأ بقوله: ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء:١٨] وختم بقوله: ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ﴾ [الشعراء:٦٦] فلهذا وقع فـيها زوائد لم تقع في الأعراف وطه فتأمل وتدبر تعرف إعجاز القرآن .

قــوله: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاثِينَ لَيْلَةً ﴾ [الأعراف:١٤٢] فـإن قلت: المواعدة كانت أمرًا بـالصوم، في أغلب تواريخها إنما تذكـر الليالي وإن أرادت الأيام لأن الليل هو الأصل في الزمان والنـهار [١٥٠ / أ] عارض، لأن الظلمة سـابقة في الوجـود على النور مع أن الليل ظرف لبـعض الصـوم وهي النيـة التي هي ركن فيه.

قــوله: ﴿ وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ﴾ أي: التوراة ، إن قلت :كـيف قال

بأحسنها مع أنهم مأمورون بجميع ما فيها [؟ . قلت: معنى بأحسنها : بحسنها وكلها حسن. أو أمروا فيها][(١)] بالخير ونهوا عن الشر وفعل الخير أحسن من ترك الشر، أو أن فيها حسنًا وأحسن : كالقوة والعفو ، والانتصار والصبر، والمأمور به والمباح، فأمروا بما هو الأكثر ثوابًا .

قوله : ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف:١٤٩] أي ندموا على عبادتهم العجل.

إن قلت: كيف عبر عن الندم بالسقوط في اليد؟ قلت: لأن عادة من اشتد ندمه على فائت أن يعض يده غمًّا كما في قوله: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان:٢٧] فتصير يده مسقوطًا فيها لأن فاه قد وقع فيها.

قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ [الأعراف:١٥٧] مع النبي.

فإن قلت: القرآن لم ينزل معه بل عليه وإنما نزل مع جبريل.

قلت: معه بمعنى مقارنًا لزمنه، أو بمعنى عليه، أو هو متعلق باتبعوا أي اتبعوا القرآن كما اتبعه هو مصاحبين له في اتباعه.

قوله: ﴿ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف:١٧٩] إن قلت كيف جمع بين الأمرين؟ قلت: المراد بالأول تشبيههم بالأنعام في أصل الضلال لا في مقداره وبالثاني في بيان مقداره.

وقيل: المراد بالأول التشبيه في المقدار أيضًا لكن المراد به طائفة، وبالثاني أخرى.

ووجه كونها أضل من الأنعام أنها تنقاد لأربابها وتعرف من يحسن إليها وتجتنب ما يضرها، وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي عدوهم.

---

(١) سقط من أ.

قوله: ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] في هذه السورة وفي يونس: ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلا نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ [يونس: ٤٩] لأن أكثر ما جاء في القرآن من لفظي الضر والنفع معًا جاء بتقديم لفظ الضر على النفع لأن العابد يعبد معبوده خوفًا من عقابه أولاً ثم طمعًا في ثوابه ثانيًا توفية بقوله: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [السجدة: ١٦] وحيث تقدم النفع على الضر تقدمه لفظ تضمن نفعًا وذلك في ثمانية مواضع ثلاثة منها بلفظ الاسم وهي ها هنا والرعد وسبأ وخمسة بلفظ الفعل وهي: في الأنعام: ﴿ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام: ٧١]، وفي آخر يونس: ﴿ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦] وفي الأنبياء: ﴿ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلايَضُرُّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٦]، وفي الفرقان: ﴿مَا لا يَنفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ ﴾ [الفرقان: ٥٥]، وفي الشعراء: ﴿ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ ﴾ [الشعراء: ٧٣] أما في هذه السورة فقد تقدمه: ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ﴾ [الأعراف: ١٧٨] فقدم الهداية على الضلالة وبعد ذلك ﴿لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] [فقدم الخير على السوء](١) فلذلك قدم النفع على الضر، وفي الرعد: ﴿ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥] فقدم الطوع، وفي سبأ: ﴿ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [سبأ: ٣٦] فقدم البسط، وفي يونس قدم الضر على الأصل ولموافقة ما قبلها ﴿ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾ وفيها: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ﴾ [يونس: ١٢] فتكرر في الآية ثلاث مرات وكذلك ما جاء بلفظ الفعل فلسابقة معنى يتضمن فعلاً أما سورة الأنعام ففيها: ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ٧٠] [ق/ ١٥١ أ] ثم وصلها بقوله: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُنَا وَلا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام: ٧١]، وفي يونس ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣] ثم قال: ﴿وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا

---

(١) سقط من أ.

يَضُـرُّكَ ﴾ [يونس:١٠٦] ، وفي الأنبياء تقدمه قول الكفار لإبراهيم في المجادلة: ﴿ **لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاءِ** ﴾ [الأنبياء:٦٥] ﴿ **قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلايَضُرُّكُمْ** ﴾ [الأنبياء:٦٦] ، وفي الفرقان تقدمه قوله: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ** ﴾ [الفرقان:٤٥] وعد نعمًا جمة في الآيات ثم قال: ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ** ﴾ [الفرقان:٥٥] فتأمل فإنه برهان للقرآن ساطع.

قــوله: ﴿ **جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا** ﴾ [الأعراف:١٩٠] إن قلت كـيف قال حكاية عن آدم وحواء ذلك مع أن الأنبياء معصومون عن مطلق الكبائر فضلاً عن الشرك الذي هو أكبر الكبائر؟

قلت: فيــه حذف مـضاف أي جعل أولادهمـا شركاء فـيمـا آتاهما أي أتى أولادهما بقرينة قــوله يشركون بالجمع ومـعنى إشراك أولادهما فيـما أتاهما الله تسميتهـم أولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شـمس ونحوها مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم انتهى.

خاتمة

ذكر الإمام القرطبي في فضلها آيارًا وهي ما أخرجه الوائلي عن عبد الله بن بسر المازني قال: خرجت من حصن وآواني الليل إلي البقعة قال: فنزلت فحضرني جماعة من أهل الأرض فقرأت هذه الآية من الأعراف: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] الآية فقال بعضهم لبعض احرسوه الآن حتى يصبح فلما أصبح ركبت وانطلقت إلي حاجتي .

وأخرج الوائلي عن الحجاج عن الحسن [ق / ١١٨ ب] بن علي قال أنا ضامن لمن قرأ هذه العشرين آية أن يعصمه الله من كل شيطان مريد ومن كل سلطان ظالم ومن كل لص عاد ومن كل سبع ضار آية الكرسي وثلاث من الأعراف ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وعشر آيات من الصافات وثلاث آيات من الرحمن: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [الرحمن: ٣٣] وخواتيم سورة الحشر وآخر سورة براءة .

سورة الأنفال
مدنية أو إلا ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ﴾ الآيات السبع فمكية
خمس أو ست أو سبع وتسعون آية
الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١] الآية روى أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس(١) قال: قال النبي ﷺ: «**من قتل قتيلاً فله كذا وكذا ومن أسر أسيرًا فله كذا وكذا**»(٢) فأما المشيخة فثبتوا تحت الرايات وأما الشباب فسارعوا إلي القتل والغنائم فقالت المشيخة للشباب: أشركونا معكم فإنا كنا لكم ردءًا ولو كان منكم شيء للجأتم إلينا فاختصموا إلى النبي ﷺ فنزلت: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ [الأنفال: ١] ، وفي رواية عنه زيادة أن الشبان جاؤوا يطلبون نفلهم فنزلت الآية فقسمها رسول الله ﷺ بينهم وروى أحمد عن [ق ١٥٢ / أ] سعد ابن أبي وقاص قال: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه [وكان يسمي ذا الكتيفة](٣) فأتيت به النبي ﷺ فقال: «اذهب فاطرحه في القبض» فرجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت إلا يسيرًا حتى نزلت الأنفال فقال لي النبي ﷺ: «**اذهب فخذ سيفك**»(٤) .

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٧٣٨) والحاكم (٢٨٧٦) وصححه ووافقه الذهبي والألباني.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١٥٥٦) والبزار (١٢٣٩) وسعيد بن منصور (٢٦٨٩) وابن أبي شيبة (٣٣٠٨٥) وابن جرير (٦ / ١٦٨). وقال الألباني: صحيح. انظر «تخريج الظلال» (ص / ٤٠٤).

(٣) سقط من أ، ب.

(٤) صحيح: أخرجه أحمد (٢٧٤٠) وأبو داود (٢٧٤٠) والترمذي (٣٠٧٩) والنسائي في «الكبرى» (١١١٩٦) والحاكم (٢٥٩٥) وصححه ووافقه الذهبي والألباني.

وروى أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي عن سعد قال: لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت يا رسول الله إن الله قد شفا صدري من المشركين هب لي هذا السيف فقال هذا لي ولا لك فقلت عسى أن يعطي هذا من لا يبلي بلائي فجائني الرسول فقال: إنك سألتني وليس لي وإنه قد صار لي وهو لك قال فنزلت: ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ [الأنفال: ١] الآية .

قوله عز وجل: ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك ﴾ [الأنفال: ٥] الآية أخرج ابن أبي حاتم [(١)] وابن مردوية عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة وبلغه أن عير أبي سفيان قد أقبلت فقال ماترون فيها لعل الله يغنمناها ويسلمنا فخرجنا فسرنا يومًا، أو يومين فقال: ما ترون فيهم؟ فقلنا يا رسول الله ما لنا طاقة بقتال القوم إنما خرجنا للعير فقال المقداد: لاتقولوا كما قال قوم موسى: ﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ [المائدة: ٢٤] فأنزل الله: ﴿ كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين﴾ [الأنفال: ٥] وأخرج ابن جرير عن ابن عباس نحوه .

قوله عز وجل: ﴿إذ تستغيثون ربكم﴾ [الأنفال: ٩] الآية روى الترمذي[(٢)] عن عمر بن الخطاب قال: نظر نبي الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً فاستقبل القبلة ثم مد يديه وجعل يهتف بربه: «**اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض**» فما زال يهتف بربه مادًا يديه مستقبلاً القبلة حتى سقط رداؤه فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه علي منكبيه ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله : ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ [الأنفال: ٩] فأمدهم الله بالملائكة .

قوله عز وجل: ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ [الأنفال: ١٧] أخرج

---

(١) «التفسير» (٥ / ١٦٥٩).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٧٦٣) والترمذي (٣٠٨١).

الواحدي(١) عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: أقبل أبي بن خلف يوم أحد إلى النبي ﷺ [ق / ١١٩ ب] فاعترض له رجال من المؤمنين فأمرهم رسول الله ﷺ فخلوا سبيله فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار ورأى رسول الله ﷺ ترقوة أبي من فرجه بين سابغة البيضة والدرع فطعنه بحربته فسقط أُبي عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم وكسر ضلعٌ من أضلاعه فأتاه أصحابه وهو يخور خو الثور فقالوا له ما أعجزك إنما هو خدش فقال: والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي [ق / ١٥٣ أ] بي بأهل ذي المجاز ـ اسم سوق كان في الجاهلية ـ لماتوا أجمعون فمات أبي إلي النار سحقًا لأصحاب السعير قبل أن يقدم مكة فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ**﴾ [الأنفال:١٧] ورواه الحاكم عنه ثم قال صحيح الإسناد ولكنه غريب.

وروى صفوان ابن عمرو عن عبد العزيز بن جبير(٢) أن رسول الله ﷺ يوم حنين دعا بقوس [فأتى بقوس](٣) طويلة فقال: «**جيئوني بقوس غيرها**» فجاءوه بقوس كبداء فرمي النبي ﷺ الحصن فأقبل السهم يهوي حتى قتل كنانة بن أبي الحقيق وهو علي فراشه فأنزل الله ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ**﴾ [الأنفال:١٧] وأخرجه ابن جرير عنه وهو مرسل جيد الإسناد ولكنه غريب والمشهور أنها نزلت في رميه يوم بدر [بالقبضة](٤) من الحصباء حين قال للمشركين شاهت الوجوه ورماهم بتلك القبضة فلم تبق عين مشرك إلا دخلها منها شيء، وعليه أكثر أهل التفسير وروى ابن عباس قال: قال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه يوم بدر ناولني كفًا من حصباء ، أو قال من تراب فرماه ، وقال:

---

(١) «أسباب النزول» (ص / ٣٩٣).

(٢) السابق.

(٣) سقط من أ.

(٤) سقط من أ.

شاهت الوجوه فما بقي أحد إلا أصيبت عينه.

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني [١]عن حكيم بن حزام قال: لما كان يوم بدر سمعنا صوتًا وقع من السماء إلى الأرض كأنه صوت حصاة وقعت في طست ورمى رسول الله ﷺ الحصباء فانهزمنا فذلك قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال:١٧] وأخرجه أبو الشيخ نحوه عن جابر وابن عباس ولابن جبير من وجه آخر نحوه.

قوله عز وجل: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ [روى الحاكم عن عبد الله ابن ثعلبة بن سعير قال: كان المستفتح أبا جهل، فإنه قال حين التقى القوم: اللهم أينا كان أقطع للرحمن وآتي بما لا يعرف فأحنه الغداة فكان ذلك استفتاحًا فأنزل الله «إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح][٢] [الأنفال:١٩] إلى قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:١٩] وأخرج ابن أبي حاتم[٣] عن عطية قال: قال أبو جهل: اللهم انصر الفئتين وأكرم الفرقتين فنزلت.

وقال السدي والكلبي[٤] وكان المشركون حين خرجوا إلى النبي ﷺ من مكة اخذوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انظرنا أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين فأنزل الله تعالي هذه الآية، وقال عكرمة: قال المشركون: اللهم لا تعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فأنزل الله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا﴾ [الأنفال:١٩] الآية، وقال ابن عباس قال أبو جهل: اللهم أينا كان أحب إليك وأرضى عندك فانصره، وقال ابن زيد: قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، وقال أبي وعطاء

(١) حسن: أخرجه ابن جرير (٩ / ٢٠٥) وابن أبي حاتم (٥ / ١٦٧٢) والطبراني في «الكبير» (٣١٢٧) وفي «الأوسط» (٩٩٧) وقال الهيثمي في «المجمع» (٩٩٩٧): رواه الطبراني في «الكبير» «والأوسط» وإسناده حسن.

(٢) سقط من أ .

(٣) التفسير (٥ / ١٦٧٥).

(٤) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص ٣٩٦).

قالت الصحابة : اللهم انصرنا وافتح لنا فنزلت.

قوله عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ** ﴾ [الأنفال: ٢٧] الآية نزلت(١) في أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري وذلك أن رسول الله ﷺ حاصر يهود قريظة إحدى وعشرين ليلة [ق/ ١٥٤أ] فسألوا رسول الله ﷺ الصلح على ما صالح عليه إخوانهم من بني النضير وعلى أن يسيروا إلي إخوانهم بأذرعات وأريحا من أرض الشام فأبي أن يعطيهم ذلك إلا أن ينزلوا علي حكم سعد بن معاذ [ق / ١٢٠ ب] فأبوا وقالوا أرسل لنا أبا لبابة وكان مناصحًا لهم لأن عياله وماله وولده كان عندهم فبعثه رسول الله ﷺ فأتاهم فقالوا: يا أبا لبابة ما ترى أفننزل على حكم سعد؟ فأشار أبو لبابة بيده إلي حلقه أنه الذبح فلا تفعلوا قال أبو لبابة: والله ما زالت قدماي حتى علمت أني قد حنت الله ورسوله فنزلت هذه الآية فلما نزلت شد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال: والله لا أذوق طعامًا ولا أشرب طعامًا حتى أموت ، أو يتوب الله علي فمكث سبعة أيام لايذوق فيها طعامًا حتى خر مغشيًا عليه ثم تاب الله عليه ثم قيل له يا أبا لبابة قد تيب عليك فقال: لا والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده ثم قال أبو لبابة إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي فقال رسول الله ﷺ يجزئك الثلث أن تتصدق به ورواه سعيد بن منصور وغيره عن عبد الله بن قتادة باختصار.

وروى ابن جرير(٢) وغيره عن جابر بن عبد الله أن أبا سفيان خرج من مكة وأتي جبريل النبي ﷺ فقال إن أبا سفيان بمكان كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ : «**إن أبا سفيان بمكان كذا وكذا فاخرجوا إليه واكتموا**» فكتب رجل من المنافقين إلى أبي سفيان إن محمدًا يريدكم فخذوا خذركم فأنزل الله: ﴿ **لا تَخُونُوا اللَّهَ**

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٣٩٦ ، ٣٩٧).
(٢) «التفسير» (٩ / ٢٢١).

وَالرَّسُولَ ﴾ [الأنفال:٢٧] الآية غريب جداً، في سنده وسياقه نظر[(١)] .

وأخرج ابن جرير[(٢)] عن السدي قال: كانوا يسمعون من النبي ﷺ الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين فنزلت.

قوله عز وجل: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الأنفال: ٣٠] أخرج ابن أبي حاتم[(٣)] عن ابن عباس أن نفراً من قريش من أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل فلما رأوه قالوا: من أنت؟

قال: شيخ من أهل نجد سمعت بما اجتمعتم له فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم مني رأي ونصح .

قالوا: أجل فادخل ، فدخل معهم فقال: انظروا في شأن هذا الرجل.

فقال قائل: احبسوه في وثاق ثم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير نابغة فإنما هو كأحدهم.

فقال عدو الله الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي والله ليخرجن رأيه من محبسه إلى أصحابه فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم ثم يمنعوه منكم فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم فانظروا [ق/ ١٥٥ أ] في غير هذا الرأي.

فقال قائل: أخرجوه من بين أظهركم واستريحوا منه فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع.

فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه وأخذه للقلوب بما يستمع من حديثه والله لئن فعلتم ثم استعرت العرب ليجتمعن عليه ثم ليسيرن إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم.

---

(١) قال السيوطي في «لباب النقول» (ص/ ١٠٩).
(٢) «التفسير» (٩ / ٢٢٢).
(٣) «التفسير» (٥ / ١٦٨٧) وابن جرير (٩ / ٢٢٧).

قالوا: صدق والله فانظروا رأيًا غير هذا.

فقال أبو جهل: والله لأشيرن عليكم برأي ما أرى ابصرتموه بعد، ما أري غيره.

قالوا: وما هذا؟

قال: نأخذ من كل قبيلة وسيطًا شابًا فهدًا ثم نعطي كل غلام منهم سيفًا صارمًا ثم يضربونه ضربة رجل واحد فإذا قتلتموه تفرق دمه في القبائل كلها فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقدرون على حرب قريش كلهم وأنهم إذا أرادوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا وقطعنا عنا أذاه.

فقال النجدي: هذا والله هو الرأي، القول ما قال الفتي لا أرى غيره فتفرقوا على ذلك وهم مجموعون له فأتي جبريل النبي ﷺ فأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت وأخبره بمكر القوم [ق / ١٢١ ب] فلم يبت رسول الله ﷺ تلك الليلة، وأذن الله له عند ذلك في الخروج، وأنزل عليه بعد قومه المدينة يذكر نعمته عليه: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ [الأنفال: ٣٠] الآية.

وأخرج بن جرير(١) من طريق عبيد بن عمير عن المطلب بن أبي وداعة أن أبا طالب قال للنبي ﷺ: ما يأتمر بك قال: «يريدون أن يسجنونني أو يقتلوني، أو يخرجوني قال: من حدثكم بهذا قال [ربي. قال:] نعم الرب ربك فاستوص به خيرًا، قال: أنا استوصي به؟ بل هو يستوصي بي فنزلت: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ**﴾ [الأنفال: ٣٠] الآية.

قال ابن كثير(٢) : ذكر أبي طالب فيه غريب بل منكر، لأن القصة ليلة الهجرة وذلك بعد موت أبي طالب بثلاث سنين.

قوله عز وجل: ﴿**وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا**﴾ [الأنفال: ٣١] الآية ،

---

(١) «التفسير» (٩ / ٢٢٧) وابن أبي حاتم (٥ / ١٦٨٨).
(٢) «التفسير» (٢ / ٣٠٣).

أخرجه ابن جرير[١] عن سعيد بن جبير قال: قتل النبي ﷺ يوم بدر صبراً عقبة ابن أبي معيط وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث ، وكان المقداد أسر النضر فلما أمر بقتله قال المقداد: يا رسول الله أسيري، فقال رسول الله ﷺ : إنه كان يقول في كتاب الله مايقول، قال: وفيه أنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا﴾ [الأنفال: ٣١] الآية.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ﴾ [الأنفال: ٣٢] الآيات أخرج ابن جرير[٢] عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ [الأنفال: ٣٢] قال: نزلت في النضر بن الحارث.

وروى البخاري ومسلم[٣] عن أنس قال: قال أبو جهل بن هشام: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم[٤] عن ابن عباس قال : كان المشركون يطوفون [١٥٦ / أ] بالبيت ويقولون: غفرانك فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] الآية وأخرجه ابن جرير عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس قالا: قالت: قريش بعضها لبعض : محمد أكرمه الله من بيننا ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية، فلما أمسوا ندموا على ما قالوا فقالوا: غفرانك اللهم فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣ ـ ٣٤] .

وأخرج ابن جرير[٥] أيضًا عن ابن أبزي قال: كان رسول الله ﷺ بمكة

---

(١) «التفسير» (٩ / ٢٣١).
(٢) «التفسير» (٩ / ٢٣٢).
(٣) البخاري (٤٣٧١) ومسلم (٢٧٩٦).
(٤) «التفسير» (٥ / ١٦٩١).
(٥) «التفسير» (٩ / ٢٣٤).

فأنزل الله: ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ** ﴾ [الأنفال: ٣٣] فخرج إلى المدينة فأنزل الله: ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾ [الأنفال: ٣٣] وكان أولئك البقية من المسلمين الذين بقوا فيها يستغفرون فلما خرجوا أنزل الله: ﴿ **وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ** ﴾ [الأنفال: ٣٤] الآية فأذن في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم.

قوله عز وجل: ﴿ **وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ** ﴾ [الأنفال: ٣٥] الآية أخرج الواحدي [١] عن ابن عمر قال كانوا يطفون بالبيت ويصفقون ووصف الصفق بيده، ويصفرون ووصف صفيرهم، ويضعون خدودهم بالأرض فنزلت هذه الآية.

وأخرجه ابن جرير[٢] عن سعيد قال: كانت قريش يعارضون النبي ﷺ في الطواف يستهزؤون به يصفرون ويصفقون فنزلت .

قوله عز وجل: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ** ﴾ [الأنفال: ٣٦] قال ابن إسحاق: حدثني الزهري: محمد بن يحيي بن حبان وعاصم بن عمير بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن قالوا: لما أصيبت قريش يوم بدر ورجعوا إلى مكة، مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش أصيبت أباؤهم وأبناؤهم فكلموا أبا سفيان ومن كان له في ذلك العير من قريش: [تجارة فقالوا: يا معشر قريش][٣] : إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه فلعلنا أن ندرك منه ثأراً ففعلوا، ففيهم كما ذكر ابن عباس أنزل الله: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ** ﴾ [١٢٢ /ب] [الأنفال: ٣٦] إلى قوله: ﴿ **يُحْشَرُونَ** ﴾ [الأنفال: ٣٦] وأخرج ابن أبي حاتم[٤] عن الحكم بن عتيبة قال: نزلت في أبي سفيان، أنفق على المشركين أربعين أوقية من ذهب.

وأخرج ابن جرير[٥] عن ابن أبزي وسعيد بن جبير قالا: نزلت في أبي

---

(١) «أسباب النزول» (ص / ٣٩٨) وأخرجه ابن جرير (٩ / ٢٤١) وابن أبي حاتم (٥ / ١٦٩٥).
(٢) «التفسير» (٩ / ٢٤١).
(٣) سقط من أ. (٤) «التفسير» (٥ / ١٦٩٦).
(٥) «التفسير» (٩ / ٢٤٤).

سفيان استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش ليقاتل بهم رسول الله ﷺ سوي من استجاب له من العرب .

وزاد الواحدي في روايته عنهما، وفيهم يقول كعب بن مالك : فجئنا إلى موج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر ومقنع ثلاثة آلف ونحن بقية ثلاث مئتين إن كثرن فأربع.

وقال مقاتل والكلبي[١] : نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثنين عشر رجلاً، أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ونبيه ومنبه ابنا حجاج وأبو البختري بن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وأبي بن خلف وزمعة بن الأسود والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب [١٥٧ /أ] وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر.

قوله عز وجل: ﴿وَلا تَكُونُوا﴾ [الأنفال: ٢١] أخرج ابن جرير[٢] عن محمد ابن كعب القرظي قال : لما خرجت قريش من مكة إلى بدر خرجوا بالقيان والدفوف فأنزل الله: ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا﴾ [الأنفال: ٤٧].

قوله عز وجل: ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٩] روى الطبراني[٣] في الأوسط بسند ضعيف عن أبي هريرة قال لما أنزل الله على نبيه بمكة: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥] قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله أي جمع؟ وذلك قبل بدر ، فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت إلى رسول الله ﷺ في آثارهم مصلتًا بالسيف يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥] وكانت ليوم بدر فأنزل الله فيهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ﴾ [المؤمنون: ٦٤] الآية، وأنزل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم٢٨] ورماهم

---

(١) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٣٩٩).

(٢) «التفسير» (١٠ / ١٨).

(٣) ضعيف: «أخرجه الطبراني في «الأوسط » (٩١٢١) وقال الهيثمي في «المجمع» (٩٩٥٨): رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه عبد العزبزر بن عمران وهو ضعيف.

الرسول ﷺ فوسعتهم الرمية وملأت أعينهم وأفواههم حتى إن الرجل ليقتل وهو يقذي عينيه وفاه ، فأنزل الله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:١٧] وأنزل في إبـليس: ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [الأنفـال:٤٨] الآية، وقال عتبة بن ربيعة وناس معه من المشركين يوم بدر غر هؤلاء دينهم فأنزل الله: ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٩] الآية.

قوله عز وجل: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٥٥] الآية أخرج أبو الشيخ عن سعيـد بن جبير قال: (١) نزلـت: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٥٥] في ستة رهط من اليهود فيهم ابن التابوه.

قـوله عـز وجل: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ [الأنفـــال:٥٨] روي أبو الشـيخ(٢) عن ابن شهاب قال : دخل جبـريل على النبي ﷺ فقال: قد وضعت السلاح وما زلت في طلب القوم ؟ فأخرجه فإن الله قد أذن لك في قريظة فأنزل فيهم ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ [الأنفال: ٥٨] الآية .

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ ﴾ [الأنفال: ٦٤] روى البزار بسند ضعيف من طريق عكرمـة عن ابن عباس قال: لما أسلم عمر قـال المشركون: قد انتـصف القـوم منا اليـوم وأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤] وله شواهد(٣) .

وأخرجه ابن أبي حاتم بسـند صحيح عن سعيد بن جبـير قال: لما أسلم مع النبي ﷺ ثلاث وثلاثون رجلاً وست نسـوة ثم أسلم عمر نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ ﴾ [الأنفال: ٦٤] الآية وكذا أخرجه الطبراني(٤) وغيره عن سعيد بن

---

(١) انظر: «لباب النقول» للسيوطي (ص/ ١١٣).

(٢) السابق.

(٣) السابق.

(٤) ضعيف جدًا: أخرجه ابن أبي حاتم (٥ / ١٧٢٨) والطبـراني في «الكبير» (١٢٤٧٠) وقال الهيثمي في «المجمع (١١٠٣٢) رواه الطبراني وفيه إسحاق بن بشر الكاهلي وهو كذاب.

جبير عن ابن عباس من غير تعيين النساء من الرجال.

وقال مجاهد: هي عامة لأنها مدنية لكن يمكن أن تكون وحدها مكية.

قوله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾ [الأنفال:٦٧] [١٢٣ / ب] الآية أخرج الواحدي(١) عن عبد الله قال: لما كان يوم بدر جيئ بالأسري قال رسول الله ﷺ: ما تقولون [١٥٨ / أ] في هؤلاء الأسرى؟ قال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن لهم لعل الله عز وجل يتوب عليهم، وقال عمر: كذبوك وأخرجوك فقدمهم فاضرب أعناقهم ، وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله انظر واديًا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرم عليهم نارًا فقال العباس : قطعت رحمك فسكت رسول الله ﷺ ولم يجبهم، ثم دخل فقال ناس: يأخذ برأي أبي بكر، وقال ناس يأخذ برأي عمر، وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحة، ثم خرج عليهم فقال: «إن الله ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله عز وجل ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم:٣٦] وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨] وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [يونس:٨٨] الآية ومثلك يا عبد الله كمثل نوح قال: ﴿رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:٢٦] ثم قال رسول الله ﷺ أنتم اليوم عالة فلا ينفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾ [الأنفال:٦٧] إلى آخر الآيات الثلاث.

وروى مسلم(٢) عن ابن عباس قال : حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان

---

(١) «أسباب النزول» (ص / ٤٠١).

(٢) حديث رقم (١٧٦٣).

يوم بدر والتقوا فهزم الله المشركين وقتل منهم سبعون رجلاً وأسر سبعون رجلاً، استشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر وعليًا فقال أبو بكر: يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدًا، فقال رسول الله ﷺ: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قال: قلت والله ما رأي أبو بكر ولكن أرى أن تمكنني من فلان ـ قريب لعمر ـ فأضرب عنقه وتمكن عليًا من عقيل يضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه، حتى يعلم الله عز وجل أنه ليس في قلوبنا موادة للمشركين هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت، فأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد قال عمر: غدوت إلى النبي ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر الصديق وإذا هما يبكيان فقلت: يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت فإن لم أجد بكاد تباكيت فقال النبي ﷺ: «**أبك الذي عرض علي أصحابك من الفداء [١٥٦ / أ] لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة قربية**» وأنزل الله عز وجل: ﴿**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ**﴾ [الأنفال: ٦٧] إلى: ﴿**لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ** [أي من الفداء] **عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [الأنفال: ٦٨]، وفي رواية مجاهد(١) قال: كان عمر بن الخطاب يري الرأي فيوافق رأيه ما يجئ من السماء، وإن النبي ﷺ لقي عمر بعدما أشار برأيه، وبعد نزول الآيات فقال: «كاد أن يصيبنا في خلافك بلاء».

قوله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ**﴾ [الأنفال: ٧٠] الآية قال الكلبي(٢): نزلت في العباس أسر يوم بدر ومعه عشرون [١٢٤ / ب] أوقية من الذهب كان خرج بها إلى بدر ليطعم بها الناس وكان أحد العشرة الذين ضمنوا طعام أهل بدر، ولم يكن بلغته النوبة حتى أسر فوجدت معه فأخذها

---

(١) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٤٠١).

(٢) السابق: (ص / ٤٠٤).

رسول الله ﷺ منه قال: فكلمت رسول الله ﷺ أن يجعل لي العشرين أوقية التي أخذها مني في فدائي فأبى علي وقال: «أما شيء خرجت به تستعين به علينا فلا، وكلفني فداء ابن أخي عقيل بن أبي طالب عشرين أوقية من فضة فقلت له: تركتني والله أسأل قريشًا بفكي والناس ما بقيت قال: فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل مخرجك إلى بدر ، وقلت لها: إن حدث بي حدث في وجهي هذا فهو لك ولعبد الله والفضل وقثيم؟ قلت: وما يدريكم؟ قال: أخبرني الله بذلك قال: أشهد إنك صادق ، وإني قد دفعت إليها الذهب ولم يطع عليه أحد إلا الله تعالى فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فأعطاني الله خيرًا مما أخذ مني كما قال، عشرين عبدًا كلهم يضرب بمال كثير مكان العشرين أوقية وأنا أرجو المغفرة من ربي تعالى.

قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣] أخرجه ابن جرير(١) وأبو الشيخ عند السدي عن أبي مالك قال: قال رجل نورث أرحامنا المشركين ؟ فنزلت: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣].

قوله عز وجل: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ [الأنفال: ٧٥] الآية أخرجه ابن جرير عن الزبير قال كان الرجل يعاقد الرجل ترثني وأرثك فنزلت: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥] وأخرج ابن سعد من طريق حسام بن عروة عن أبيه قال أخي رسول الله ﷺ إصابته الجراحة بأحد فقلت: لو مات فانقلع عن الدنيا وأهلها ما ورثه غيري فنزلت هذه: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥] فصارت المواريث بعد في الأرحام والقرابات وانقطعت تلك المواريث في المؤاخاة .

---

(١) «التفسير» (١٠ / ٥٥).

الفصل الثاني في منسوخها ، وهي ست آيات

الآية الأولى: ﴿عَنِ الأَنفَالِ﴾ أي: الغنائم قاله ابن عباس [١٦٠ / أ] فهي ناسخة لحرمتها سألوه أن ينفلهم الغنيمة فقال: قل لهم يا محمد: ﴿الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١] قيل: ثم نسخ ذلك بقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ [الأنفال: ٤١]، وقيل: هي محكمة فقال الضحاك والشعبي: الأنفال ما ينفله الإمام لمقل أو مخاطر.

وقال الحسن وعطاء: هي ما استرسل إلى المسلمين من الكفار فللإمام وضعه حيث شاء.

وقال مجاهد: هي الخمس أجمل ثم فصل، وقيل ينفل السرايا، وقال ابن المسيب والشافعي محل النفل الخمس ومالك الخمس .

الثانية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥] وقال الحسن وابن جبير وقتادة والضحاك: محكمة خاصة للبدرين، وقال ابن عباس: عامة والتولي كبيرة، وقال عطاء منسوخة بقوله: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥] فالصواب أنها مخصوصة. بهذا قال ابن عباس، ثم نسخت هذه الآية وهي الناسخة بقوله: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٦] فأباحت الفرار لمن زاد عدده على ضعفه، وقال محمد بن الحسن، وهو عن مالك إذا بلغ الجيش اثنا عشر ألفًا حرم التولي مطلقًا تخصيصًا بقول النبيﷺ ولا يغلب اثنا عشر ألفًا من قلة» .

الثالثة: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] قال الحسن وعكرمة: منسوخة بالتالية، وقال [ق / ١٢٥ب] ابن عباس محكمة لأنه خبر صحيح وكانوا يستعجلون بالعذاب ولن يعذب الله قومًا حتي يخرج نبيهم وتابعيه منهم والمعنى وما كان الله ليعذب كفار مكة وأنت

فيهم، وقال الضحاج وما كان الله معذب الكفار والمسلمون بينهم يستغفرون لإقامتهم معهم، قال ابن الأنباري : أوقع العام موقع الخاص وهو وهم ، وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس أي وفيهم من يستسلم ويستغفر ، وقال مجاهد : وفي أصلابهم من سيسلم قال قتادة والسدي لما هاجروا نزل ومالهم أي لا مانع من تعذيبهم على كفرهم بك وصدهم عن بيته وقد خرجتم ولا مانع من إهلاكهم بعد تسليم من أسلم.

الرابعة: ﴿ **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا** ﴾ [الأنفال: ٦١] قال قتادة: أباحت إجابة الكفار إلى الصلح مطلقًا فهي منسوخة بـ : ﴿ **فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ** ﴾ [التوبة: ٥] وأباحت إجابة اليهود إلى الموادعة بلا جزية إن كانت من اليهود فهي منسوخة بـ: ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ** ﴾ [التوبة: ٢٩] ، وقال مجاهد منسوخة العموم وقيل محكمة كل منزل على حالة يصالح إن رآه مصلحة وإلا فلا أو يهادنون إن طلبوه وإلا فلا أو إن بذلوا الجزية وإلا فلا .

الخامسة: ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض] حرمت أسري قبل الظهور ، وقال ابن عباس: منسوخة لقوله: ﴿ **فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً** ﴾ [محمد: ٤] والأكثر أنها محكمة والنهي كان عند القلة والإذن عند الكثرة والغلبة.

السادسة: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا** ﴾ [الأنفال: ٧٢] إلى قوله: ﴿ **حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا** ﴾ [الأنفال: ٧٢] قال ابن عباس وقتادة [ق / ١٦١ أ] دل أولها على التوارث بالهجرة ووسطها على عدم التوارث بالقرابة ثم نسخها: ﴿ **وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ** ﴾ [الأنفال: ٧٥] وعن ابن عباس : كانوا يتوارثون بمؤاخات النبي ﷺ بينهم ثم نسخت بها، وقيل: المراد بقوله من ولايتهم موالاة النصرة ثم نسخها : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾ [التوبة: ٧١].

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢] أي خافت والمراد بالمؤمنين هنا، وفي قوله بعده: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال: ٤] المؤمنون الكاملون.

قوله: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ [الأنفال: ٨] إن قلت فيه تحصيل الحاصل.

قلت: لا إذ المراد بالحق الإيمان وبالباطل الشرك فإن قلت ما فائدة تكرار يحق الحق هنا مع قوله قبل: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧] قلت : فائدته أنه أريد بالأول تثبيت ما وعد الله به في هذه الواقعة من النصر والظفر بالأعداء بقرينة قوله عقبه: ﴿ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧] وبالثني تقوية الدين ونصرة الشريعة بقرينة قوله عقبه: ﴿ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ [الأنفال: ٨] .

قوله: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ [الأنفال: ٢٠] ثنى في الأمر وأفرد في النهي تحرزًا بالإفراد عن الإخلال بالأدب مع النبي ﷺ حين نهيه الكفار في قراءته بين اسمه واسم الله تعالى في ذكرهما بلفظ واحد كما روى أن خطيبًا خطب فقال: من أطاع الله ورسوله فقد رشد ومن عصاهما فقد غوى قال له النبي ﷺ : «**بئس خطيب القوم أنت هلا قلت ومن عصى الله ورسوله فقد غوى**» أو أفرد باعتبار عود ضميرعنه إلى الله وحده لأنه الأصل مع أن طاعة الله وطاعة رسوله متلازمتان أو أن الإسلام المفرد يأتي في لغة العرب ويراد به الاثنان والجمع كقولهم إنعام فلان ومعروفة يغشانا الإنعام والمعروف لا ينفع مع فلان وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢] .

قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] إن قلت [ق / ١٢٦ ب]: قد عذبهم يوم بدر والنبي فيهم .

قلت: المراد وأنت فيهم مقيم بمكة وتعذيبهم ببدر إنما كان بعد خروجه من مكة، أو المراد ما كان الله ليعذبهم الذي طلبوه، وهو إمطار الحجارة وأنت فيهم.

قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٤] إن قلت: ينافي قوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] قلت: لا منافاة لأن الأول مقيد بكونه ﷺ فيهم والثاني بخروجه عنهم، أو المراد بالأول عذاب الدنيا وبالثاني عذاب الآخرة.

قوله: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٢] كرره لأن الأول إخبار عن عذاب لم يمكن الله أحد من فعله، وهو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزع أرواحهم والثاني إخبار عن عذاب مكن الله الناس من فعله مثله، وهو الإهلاك والإغراق، أو الأول [ق/ ١٦٢ أ] كدأب آل فرعون فيما فعلوا والثاني كدأب آل فرعون فيما فعل بهم، أو المراد بالأول كفرهم بالله وبالثاني تكذيبيهم للأنبياء .

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٧٢] في هذه السورة بتقديم أموالهم وأنفسهم، وفي براءة بتقديم في سبيل الله لأن في السورة تقدم ذكر المال والفداء والغنيمة في قوله: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ [الأنفال: ٦٧] ﴿لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ [الأنفال: ٦٨] أي من الفداء: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ [الأنفال: ٦٩] فقد ذكر المال، وفي براءة تقدم ذكر الجهاد هو قوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ﴾ [التوبة: ١٦] وقوله: ﴿كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٩] فقدم ذكر الجهاد، وفي هذه السورة ثلاث مرات فأورد في الأولى: ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٢] وحذف من الثانية بأموالهم وأنفسهم اكتفاء بما في الأولى وحذف من الثانية بأموالهم وأنفسهم وزاد حذف في سبيل الله اكتفاء في الآيتين قبلها.

سورة التوبة مدنية
أو إلا الآيتين آخرها
مائة وثلاثون آية نزلت بالمدينة
الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله عز وجل: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢] قال ابن عباس(١): نزلت في أبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد وهم الذين هموا بإخراج الرسول.

قوله عز وجل: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: ١٤] أخرجه أبو الشيخ(٢) عن قتادة قال ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في خزاعة حين جعلوا يقتلوا بني بكر بمكة وأخرج عن السدي(٣): ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤] قال: هم خزاعة حلف النبي ﷺ يشف صدورهم من بني بكر.

قوله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٧] قال المفسرون(٤): لما أسر العباس يوم بدر أقبل المسلمون فعيروه بكفره وقطيعة الرحم وأغلظوا عليه القول فقال العباس: ما لكم تذكرون مساؤنا ولا تذكرونا محاسننا.

فقال له: ألكم محاسن؟

قال: نعم إنا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فأنزل الله تعالى رادًا على العباس: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ

---

(١) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٤٠٧).

(٢) انظر «لباب النقول» للسيوطي (١١٥).

(٣) السابق.

(٤) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٤٠٧).

اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٧].

قوله عز وجل: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ [التوبة: ١٩] الآيات روي مسلم[١] وغيره عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل لله عملاً بعد أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد أن أعمر المسجد الحرام، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد أن أعمر المسجد الحرام، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل بعد أن أعمر المسجد الحرام، وقال آخر الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وذلك يوم الجمعة ولكني إذا صليت دخلت فاستفتيت رسول الله ﷺ فيما اختلفتم فيه ففعل فأنزل الله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [التوبة: ١٩] [ق / ١٦٣أ] إلى قوله: ﴿ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٩] ق / ١٢٧ب] ، وقال الحسن والشعبي والقرظي[٢] نزلت الآية في علي والعباس وطلحة بن شيبة وذلك أنهم افتخروا فقال شيبة أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه ولو أشاد بت فيه، وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، وقال علي: ما أدري ما تقولان لقد صليت ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله تعالى هذه الآية وأخرجه ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي .

وقال ابن سيرين ومرة الهمداني[٣] : قال علي للعباس: ألا تهاجر ألا تلحق بالنبي ﷺ وتسلم، فقال: ألست في أفضل من الهجرة ألست أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فنزلت هذه الآية ونزل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا﴾ [التوبة: ٢٠] الآية وأخرجه الفريابي عن ابن سيرين قال: قدم علي بن أبي طالب مكة فقال للعباس: أي عم ألا تهاجر ألا تلحق برسول الله ﷺ فقال: أعمر

---

(١) حديث رقم (١٨٧٩).
(٢) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٤٠٩).
(٣) السابق.

المسجد الحرام وأحجب البيت فأنزل الله: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الآية [التوبة: ١٩]، وقال لقوم قد سماهم ألا تهاجروا ألا تلحقوا برسول الله ﷺ فقالوا: نقيم مع إخواننا وعشائرنا ومساكننا فأنزل الله: ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ﴾ الآية [التوبة: ٢٤] كلها وأخرج عبد الرزاق عن الشعبي نحوه.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ الآية [التوبة: ٢٣] قال الكلبي: لما أمر رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة جعل الرجل يقول لابنه وأخيه وامرأته إنا قد أمرنا بالهجرة فمنهم من يسرع إلى ذلك ويعجبه ومنهم من تتعلق به زوجته وعياله وولده فيقولون له نشدتك الله أن تدعنا إلى غير شيء فنضيع فيرق فيجلس معهم ويدع الهجرة فنزل يعاتبهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ ﴾ الآية [التوبة: ٢٣]، ونزل في الذين تخلفوا بمكة ولم يهاجروا قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٤] إلى قوله: ﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ الآية [التوبة: ٢٤] يعين القتال وفتح مكة.

قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾ الآية [التوبة: ٢٥] أخرج البيهقي في الدلائل عن الربيع بن أنس أن رجلاً قال يوم حنين لن نغلب من قلة وكانوا اثنى عشر ألفًا فشق ذلك على رسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٥].

قوله عز وجل: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾ [التوبة: ٢٨] أخرجه ابن جرير[1] وأبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت: ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨] شق هذا على المسلمين فقالوا: من يأتينا بالطعام وبالمتاع فأنزل الله: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٢٨] وأخرجه مثله عن عكرمة وعطية العوفي والضحاك وقتادة وغيرهم.

---

(١) «التفسير» (١٠ / ١٠٧).

وعند ابن أبي حاتم(١) عن ابن عباس أن المشركين كانوا يجيئون إلى البيت [ق/ ١٦٤ أ] بالطعام والمتاع يتجرون فيه.

قوله عز وجل ﴿وَقَالَت﴾ أخرجه ابن أبي حاتم(٢) عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى ومحمد بن دحية وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزير ابن الله فأنزل الله في ذلك: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ [التوبة: ٣٠] الآية.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ﴾ الآية [التوبة: ٣٤] نزلت(٣) في العلماء والقراء من أهل الكتاب كانوا يأخذون الرشا من سفلتهم وهي المآكل التي كانوا يصيبونها من عوامهم إما لتغيير الأحكام كما قاله الحسن، وإما لكذبهم في صفة النبي ﷺ ليأكلوا أموال الأكابر كما قاله [ق/ ١٢٨ ب] سفيان.

قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤] قال ابن عباس والسدي(٤) نزلت في مانعي الزكاة من المسلمين خاصة، ومعاوية في مانعي حق المال من أهل الكتاب خاصة، وأبو ذر والضحاك عامة فيهما وأخرج الواحدي(٥) عن ثوبان قال: لما نزلت: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤] قال رسول الله ﷺ: « **تبًا للذهب والفضة** » قالوا: يا رسول الله فأي مال نكنز فقال: «**قلبًا شاكرًا ولسانًا ذاكرًا وزوجة صالحة**».

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ الآية [التوبة: ٣٧] أخرجه ابن جرير عن أبي مالك قال كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرًا فيجعلون المحرم

---

(١) «التفسير» (٦ / ١٧٧٧).

(٢) «التفسير» (٦ / ١٧٨١) وابن جرير (١٠ / ١١١).

(٣) انظر «أسباب النزول »للواحدي (ص / ٤١٠).

(٤) السابق (ص / ٤١١).

(٥) السابق.

صفرًا فيستحلون فيه المحرمات فأنزل الله : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ [التوبة: ٣٧] .

قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ الآية [التوبة: ٣٨] نزلت(١) في الحث على غزوة تبوك وذلك أن رسول الله ﷺ لما رجع من الطائف وغزوة حنين أمر بالجهاد لغزوة الروم وذلك في زمان عسرة من الناس وجدب من البلاد وشدة من الحر حين أحرقت النخل وطابت الثمار فعظم على الناس غزو الروم وأحبوا الظلال والمقام في المساكن والمال وشق عليهم الخروج إلى القتال فيما علم الله عز وجل تثاقل الناس أنزل الله هذه الآية.

قوله عز وجل: ﴿ إِلاَّ تَنفِرُوا ﴾ الآية [التوبة: ٣٩] أخرجه ابن أبي حاتم(٢) عن نجدة بن نفيع قال سألت ابن عباس عن هذه الآية فقال : استنفر رسول الله ﷺ حيًا من العرب فتثاقلوا عليه فأنزل الله : ﴿ إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [التوبة: ٣٩] فأمسك عنهم المطر فكان عذابهم .

قوله عز وجل: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾ [التوبة: ٤١] نزلت في الذين اعتذروا بالضيعة والشغل وانتشار الأمر فأبى الله تعالى أن يعذرهم دون أن ينفروا على ما كان منهم.

وأخرجه الواحدي(٣) عن أنس قال: قرأ أبو طلحة: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾ [التوبة: ٤١] قال: لا أسمع الله عز وجل عذر أحد فخرج مجاهدًا إلى الشام ، وقال السدي: جاد المقداد بن الأسود إلى رسول الله ﷺ وكان عظيمًا سمينًا فشكا له وسأله أن يأذن له فنزلت فيه : ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً﴾ [التوبة: ٤١] فلما [ق / ١٦٥ أ] نزلت هذه الآية اشتد شأنها على الناس فنسخها الله تعالى وأنزل

---

(١) السابق (ص / ٤١٣).
(٢) «التفسير» (٦ / ١٧٩٧).
(٣) «أسباب النزول» (ص / ٤١٤).

: ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ ﴾ [التوبة: ٩١] ثم أنزل في المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ الآية [التوبة: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] وذلك أن رسول الله ﷺ لما خرج ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبي عسكره على ذي حرة أسفل من ثنية الوداع ولم يكن بأقل العسكرين فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي في من تخلف من المنافقين وأهل الريب فأنزل الله تعالى يعزي نبيه ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم﴾ الآية [التوبة: ٤٧].

قوله عز وجل: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ﴾ الآية [التوبة: ٤٣] أخرجه ابن جرير(١) عن عمرو بن ميمون الأودى قال اثنتان فعلهما رسول الله ﷺ لم يؤمر فيهما إذنه للمنافقين، وأخذه الفداء من الأسرى قوله عز وجل: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي﴾ [التوبة: ٤٩] نزلت(٢) في جد بن قيس المنافق وذلك أن رسول الله ﷺ لم تجهز لغزوة تبوك قال له: يا أبا وهب هل لك في جلاد بن الأصفر تتخذ منهم سراري ووصفاء فقال: يا رسول الله لقد عرف قومي أني رجل مغرم بالنساء وإني أخشى إن رأيت بني الأصفر ألا أصبر عنهن فلا تفتني بهن وأذن لي في القعود عنك وأعينك بمالي فأعرض عنه النبي ﷺ، وقال: «**قد أذنت لك**» فأنزل الله تعالي هذه الآية فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ [ق / ١٢٩ ب] لبني سلمة وكان الجد منهم «من سيدكم يا بني سلمة؟» قالوا: جد بن القيس غير أنه بخيل جبان، فقال النبي ﷺ وأي داء أدوأ من البخل بل سيدكم الأبيض الفتى الجعد بشر بن البراء بن معرور فقال فيه حسان بن ثابت:

وقال رسول الله والقول لاحق ... بمن قال منا من تعدون سيدًا

---

(١) «التفسير» (١٠ / ١٤٢).

(٢) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٤١٤).

فقلنا له جد بن قيس علي الذي ببخله فينا وإن كان انـــكدًا

فقال: وأي الداء أدوى من الذي رميتم به جدًا وعالي بـها يدًا

وســـود بشر بن البراء لجوده وحق لبشر ذي الندا أن يسودا

إذا ما أتاه الوفد أنـــهب ماله وقال: خــذوه إنه عائد غدًا

وما بعد هذه الآية كله في المنافقين إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ [التوبة: ٦٠] .

قوله عز وجل: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ ﴾ [التوبة: ٥٠] أخرجه ابن أبي حاتم[١] عن جابر بن عبد الله قال: جعل المنافقون الذين تخلفوا بالمدينة يخبرون عن النبي ﷺ أخبار السوء يقولون: إن محمدًا وأصحابه قد جهدوا في سفرهم وهلكوا فبلغهم تكذيب حديثهم وعاقبة النبي ﷺ فساءهم ذلك فأنزل الله: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ الآية [التوبة: ٥٠] .

قوله عز وجل: ﴿ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ الآية [التوبة: ٥٣] أخرج ابن جرير[٢] عن ابن عباس قال: قال الجد بن قيس إني إذا رأيت النساء لم أصبر عنهن حتى أفتتن ولكن أعينك بمالي قال: ففيه نزلت: ﴿أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ﴾ [التوبة: ٥٣] قال: لقوله أعينك بمالي [ق/ ١٦٦أ] .

قوله عز وجل: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ الآية [التوبة: ٥٨] روى البخاري[٣] عن أبي سعيد الخدري بينما رسول الله ﷺ يقسم قسمًا إذ جاءه ابن ذي الخويصرة التميم وهو حرقوص بن زهير أصل الخوارج فقال: اعدل يا رسول الله فقال: ويلك من يعدل إذ لم أعدل فنزلت ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ الآية [التوبة: ٥٨] .

---

(١) «التفسير» (٦ / ١٨١٠).

(٢) «التفسير» (١٠ / ١٥٢).

(٣) حديث رقم (٣٤١٤).

وقـال الكلبي(١) : نزلت في المؤلفة قلوبهم وهم المنافـقون قال رجل منهم يقال له أبو الجواظ للنبي ﷺ ما تقـسم بالسوية فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [التوبة: ٥٨] .

قوله تـعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ الآية [التـوبة: ٦١] نزلـت(٢) في جماعة من المنافقين كانوا يـؤذون الرسول ويقولون ما لا ينبغي قال بعضهم لاتفعلوا فإنا نخاف أن يبلغه ما تقولون فإنما محمد أذن سامعة فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال محمد بن إسحاق وغيره: نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحـارث وكان أدلم أحمـر العينين أسـفع الخدين مشـوه الخلقة، وهو الذي قـال النبي ﷺ فيـه «**من أراد أن ينظر إلي الشـيطان فـلينظر إلى نبـتل بن الحـارث**» وكان ينم حديث النبي ﷺ إلى المنافقين فـقيل له: لا تفعل فقال: إنما محمد أذن من حدثه شيئًا صدقه نقول ما شئنا ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقال السدي(٣) : اجتمع ناس من المنافقين فيهم حلاس بن سويد بن الصامت ووديعة بن ثابت فأرادوا أن يقعوا في النبي ﷺ وعندهم غلام من الأنصار يدعي عامر بن قـيس فحقروه فتكلموا ، وقـالوا: لئن كان ما يقوله محـمد حقًا لنحن أشـر من الحميـر فغضب الغـلام فقال والله ما يقـول: إن ما محـمد حق وإنكم لشر من الحمـير ثم أتي النبي ﷺ فأخـبره فدعاهم فـسألهم فحلفوا أن عـامرًا كاذب وحلف عامر أنهم كذبة وقـال: اللهم لاتفرق بيننا حتى تبين صدق الصادق من كذب الكاذب فنزلت فيهم: ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ﴾ [التـوبة: ٦١] [ق/ ١٣٠ ب] ونزل قـوله: ﴿ يَحْلِفُـونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُـرْضُـوكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٢] ، وقـال ابن السائب: لما رجع النبي ﷺ من تبوك حلف المنافـقون اعتذارًا بالكذب وحلف ابن أبي لا يتخلف بعدها عنه فنزلت.

---

(١) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٤١٧).
(٢) السابق (ص / ٤١٨).
(٣) السابق (ص / ٤١٩).

قوله عز وجل: ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم ﴾ الآية [التوبة: ٦٤] قال السدي(١) : قال بعض المنافقين : والله لوددت أني قدمت فجلدت مائة ولا ينزل فينا شيء يفضحنا فأنزل الله هذه الآية ، وقال مجاهد(٢) : كانوا يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى الله أن لا يفشي علينا سرنا، وقال ابن كيسان وقف جماعة من المنافقين في ليلة مظلمة عند رجوعه من تبوك ليفتكوا به فأخبره جبريل بذلك فنزلت .

قوله عز وجل: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ الآية [التوبة: ٦٥] قال قتادة(٣) : بينما رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين إذ قالوا أبرحوا هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونهم [ق / ١٦٧ أ] هيهات له ذلك فأطلع الله نبيه على ذلك وقال نبي الله : احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وقال زيد بن أسلم ومحمد بن كعب(٤) : قال رجل من المنافقين في غزوة تبوك: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء ـ يعني رسول الله ﷺ وأصحابه ـ فقال عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ فذهب عوف ليخبره فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ : إنما كنا نخوض ونعلب ونتحدث بحديث الركب نقطع به عنا الطريق وأخرج الواحدي(٥) عن ابن عمر قال : رأيت عبد الله بن أُبي يسير قدام النبي ﷺ والحجارة تنكبه وهو يقول: يا رسول الله إنا كنا

---

(١) السابق.

(٢) السابق.

(٣) السابق.

(٤) أنظر «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٤٢٠) وفيه إسماعيل بن داود وهو : منكر الحدث كما قال البخاري.

(٥) «التفسير» (٦ / ١٨١٣).

نخوض ونلعب والرسول ﷺ يقول: ﴿ **أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ** ﴾ [التوبة: ٦٥] .

وأخرج بن أبي حاتم [١] عن كعب بن مالك قال مخشي بن حمير لوددت أني أقاضي على أن يضرب كل رجل منا مائة على أن ننجوا من أن ينزل فينا قرآن فبلغ النبي ﷺ فجاءوا يعتذرون فأنزل الله: ﴿ **لا تَعْتَذِرُوا** ﴾الآية [التوبة: ٦٦] فكان الذي عفا الله عنه مخشي بن حمير فسمي عبد الرحمن وسأل الله أن يقتل شهيدًا يعلم بمقتله فقتل يوم اليمامة لا يعلم مقتله إلا من قتله .

قوله عز وجل : ﴿ **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا** ﴾ [التوبة: ٧٤] أخرجه ابن أبي حاتم[٢] عن ابن عباس قال كان الجلاس بن سويد بن الصامت ممن تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وقال لئن كان هذا الرجل صادق لنحن شر من الحمير فرفع عمير بن سعد ذلك إلى رسول الله ﷺ فحلف بالله ما قلت فأنزل الله ﴿ **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا** ﴾ الآية [التوبة: ٧٤] فزعموا أنه تاب وحسنت توبته .

ثم أخرج عن كعب بن مالك نحوه .

وأخرجه بن سعد في الطبقات نحوه عن عروة. وأخرجه ابن جرير[٣] عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ جالسًا في ظل شجرة فقال: «**إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعيني شيطان**» فطلع رجل أزرق فدعاه رسول الله ﷺ فقال: ما تشتمني أنت وأصحابك ؟ فانطلق الرجل فأتي بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا حتى تجاوز عنهم فأنزل الله: ﴿ **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا** ﴾ الآية [التوبة: ٧٤] وأخرج[٤] عن قتادة قال لنا أن رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة والآخر من غفار وكان جهينة حلفاء الأنصار [ق / ١٣١ ب] وظهر الغفاري على الجهيني فقال عبد الله بن أبي

---

(١) التفسير (٦/ ١٨٣١) .

(٢) «التفسير» (٦ / ١٨٢٦) وابن جرير (١٠ / ١٧٠).

(٣) «التفسير» (١٠ / ١٨٥).

(٤) السابق.

للأوس: انصروا أخاكم فو الله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فسعى بها رجل من المسلمين إلى رسول الله ﷺ [ق / ١٦٨ أ] فأرسل إليه فسأله فجعل يحلف بالله ما قال فأنزل الله: ﴿ **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا** ﴾ [التوبة: ٧٤] الآية وأخرج الطبراني(١) عن ابن عباس قال هم رجل يقال له الأسود يقتل النبي ﷺ فنزلت. ﴿**وهموا بما لم ينالوا**﴾ ، وقال الضحاك (٢) : هموا أن يدفعوه ليلة العقبة وكانوا قومًا قد أجمعوا على أن يقتلوا رسول الله ﷺ وهم معه فجعلوا يلتمسون غرته حتي أخذ في عقبه فتقدم بعضهم وتأخر بعضهم وذلك كان ليلاً وقالوا إذا أخذ في العقبة دفعناه عن راحلته في الوادي وكان قائده في تلك الليلة عمار بن ياسر وسائقه حذيفة فسمع حذيفة وقع أخفاف الإبل فالتفت فإذا هو بقوم متلثمين فقال: إليكم يا أعداء الله إليكم فأمسكوا ومضى النبي ﷺ حتى نزل منزله الذي أراد فأنزل الله تعالى: ﴿**وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا** ﴾ [التوبة: ٧٤] وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن عكرمة أن مولى عدى بن كعب قتل رجلاً من الأنصار فقضى النبي ﷺ بالدية اثنى عشر ألفًا، وفيه نزلت: ﴿**وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾ [التوبة: ٧٤] .

قوله : ﴿ **وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ**﴾ [التوبة: ٧٥] أخرج الواحدي (٣) عن أبي أمامة الباهلي أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أتي رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً فقال رسول الله ﷺ : « **ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه** » ثم قال مرة أخرى: «**أما ترضى أن تكون مثل نبي الله فو الذي نفسي بيده لو شئت أن تسيل معي الجبال فضة وذهبًا**

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٧٥٩) وقال الهيثمي في «المجمع» (١١٠٤٦) رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط.

(٢) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٤٢٢).

(٣) السابق (ص / ٤٢٣) والقصة باطلة مكذوبة وسندها مسلسل بالضعفاء والمتروكين.

لسالت» فقال: والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله أن يرزقني مالاً لأوتين كل ذي حق حقه فقال رسول الله ﷺ : «**اللهم ارزق ثعلبة مالاً**» فاتخذ غنمًا فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديًا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات إلا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة فسأل رسول الله ﷺ عنه فقال: «**ما فعل ثعلبة؟**» قالوا: اتخذ غنمًا فضاقت عليه المدينة وأخبروه بخبره فقال: يا ويح ثعلبة ثلاثًا، وأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا** ﴾ [التوبة: ١٠٣] وأنزل فرائض الصدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة رجلاً من جهينة ورجلاً من بني سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله ﷺ فقال: ما هذه إلا الجزية ما هذه إلا أخت الجزية ما أدري ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إلى فانطلقا [ق / ١٦٩ أ] وأخبرا السلمي فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها فلما رأوها قالوا: ما يجب هذا عليك وما نريد أن نأخذ هذا منك قال بلى خذوه فإن نفسي بذلك طيبة وإنما هي لي فأخذوها منه فلما فرغا من صدقتهما رجعا [ق / ١٣٢ ب] حتى مرا بثعلبة فقال: أروني كتابكما أنظر فيه فقال: ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ فلما رآهما قال: «**يا ويح ثعلبة**» قبل أن يكلمهما ودعي للسلمي بالبركة وأخبروه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي فأنزل الله عز وجل: ﴿ **وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ** ﴾ [التوبة: ٧٥] إلى قوله تعالى: ﴿ **وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾ [التوبة: ٧٧] وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتى ثعلبة فقال: ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتي النبي ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته فقال: «**إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك**» فجعل يحثو التراب على

رأسه فقال رسول الله ﷺ: «**هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني**» فلما أبى أن يقبل منه شيئًا رجع إلى منزله وقبض رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيئًا ثم أتى أبا بكر حين استخلف قال قد علمت منزلي من رسول الله ﷺ وموضعي من الأنصار فاقبل صدقتي فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ وأنا أقبلها؟ فقبض خليفة رسول الله أبو بكر وأبى أن يقبلها فلما ولى عمر بن الخطاب أتاه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي فقال: لم يقبلها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر أقبلها منك؟ فلم يقبلها وقبض عمر ثم ولي عثمان فأتاه فسأله أن يقبل صدقته فقال: رسول الله ﷺ لم يقبلها ولا أبو ولا عمر وأنا أقبلها منك؟ فلم يقبلها عثمان وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه، وقال الحسن: قال ثعلبة ومعتب: لئن رزقنا الله لنصدقن وكذبا، وقال المسيب: قال حاطب بن جلد: لئن جاء مالي من الشام لأصدقن منه وأخلف فنزلت.

قوله عز وجل: ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ**﴾ الآية [التوبة: ٧٩] أخرج البخاري(١) عن ابن مسعود قال: لما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بصاع فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا فنزلت: ﴿**الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ**﴾ [التوبة: ٧٩] وقال قتادة(٢) وغيره حث رسول الله ﷺ على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم، وقال: يا رسول الله مالي ثمانية آلاف جئتك بنصفها فاجعلها في سبيل الله وأمسكت نصفها لعيالي فقال رسول الله ﷺ: «**بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت**» فبارك الله في مال [ق/ ١٧٠ أ] عبد الرحمن حتى أنه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم، وتصدق يومئذ عاصم بن عدي بن عجلان بمائة وسق من تمر [وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاع من تمر](٣) وقال يا رسول الله بت ليلتي أجر بجريري الماء حتى

---

(١) حديث رقم (١٣٤٩).

(٢) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٤٢٦).

(٣) سقط من أ.

نلت صاعين من تمر فـأمسكت أحدهمـا لأهلي وأتيتك بالآخر فأمـره رسول الله ﷺ أن ينشـره في الصدقـات فلمزهم المنافـقون وقـالوا ما أعطى عـبد الرحـمن وعاصم إلا رياء وإن كان الله ورسوله غنيـين عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر نفسه فأنزل الله تعالى هذه الآية .

قوله عز وجل: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ الآية [التوبة: ٨٤] روى البخاري (١) عن نافع عن ابن عمر قال: «لما توفى عبد الله بن أُبي جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ وقال: أعطني [ق / ١٣٣ب] قميصك حتى أكفنه فيه وصل عليه واستـغفر له فأعطاه قـميصه ثم قـال: آذني حتي أصلي عليه فـآذنه فلما أراد أن يصلي عليـه جذبه عـمر بن الخطاب وقـال: أليس قد نهـاك الله أن تصلي على المنافقين فقال: «**أنا بين خيرتين ـ أستغفر لهم أو لا أستغفر لهم** » ـ فصلى عليه ثـم نـزلت هـذه الآيـة: ﴿ **وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ** ﴾ [التوبة: ٨٤] فترك الصلاة عليهم .

وأخرج الـواحدي (٢) عن ابن عباس قال سمـعت عمر بن الخطاب يقول: لماتوفي عـبد الله بن أُبي دعى رسـول الله ﷺ فقام إليـه فلما وقف علـيه يريد الصلاة تحولت حـتى قمت في صدره فقلت: يا رسول الله أعلى عـدو الله عبد الله بن أبي القائل يوم كـذا وكذا [: كذا وكذا اعدد عليـه أيامه ورسول الله ﷺ يتبسم حتى](٣) إذا أكثرت عليه قال « **أخر عني يا عمر إني خيرت فاخترت** » قيل لـــي: ﴿ **اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ** ﴾ [التوبة: ٨٠] لـو أعلم أني إن زدت على السبـعين غفر له لزدت قـال: ثم صلى عليه ومشى معـه فقام على قبره حتى فرغ منه قال: فـعجبت لي وجراءتي على رسول الله ﷺ ، والله ورسوله أعلم قال: فو الله ما كان إلا يسير حتى نزلت:

(١) حديث رقم (١٢١٠) ومسلم (٢٤٠٠).

(٢) «أسباب النزول» (ص / ٤٢٨).

(٣) سقط من أ.

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾ الآية [التوبة: ٨٤] فما صلى رسول الله ﷺ بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى قال المفسرون: وكُلم رسول الله ﷺ فيما فعل بعبد الله بن أبي فقال: «**وما يغني عنه صلاتي وقميصي والله إني كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه**» .

قوله عز وجل: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ ﴾ [التوبة: ٩١] أخرجه ابن أبي حاتم عن زيد بن ثابت قال: كنت أكتب لرسول الله ﷺ فكنت أكتب براءة فإني لواضع القلم على أذني إذا أمرنا بالقتال فجعل رسول الله ﷺ ينظر ما ينزل عليه إذ جاء أعمى فقال كيف بي يارسول الله وأنا أعمى فنزلت : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ ﴾ .

قوله عز وجل: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾ الآية [التوبة: ٩٢] قال في الدر المنثور(١) أخرج ابن جرير(٢) [ق / ١٧١ أ] عن محمد بن كعب قال: جاء ناس من أصحاب رسول الله ﷺ يستحملونه قال: «**لا أجد ما أحملكم عليه**» فأنزل الله: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ ﴾ الآية [التوبة: ٩٢] . قال : وهم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف سالم بن عمير ومن بني واقف حرمي بن عمرو ومن بني مازن بن النجار عبد الرحمن بن كعب يكنى أبا ليلى، ومن بني المصلى سلمان بن صخر ، ومن بني حارثة عبد الرحمن بن زيد أبو عبلة ، ومن بني سلمة عمرو بن غنمة وعبد الله بن عمرو المزني .

وأخرج بن مردويه عن مجمع بن حارثة قال: الذين استحملوا النبي ﷺ فقال: «**لا أجد ما أحملكم عليه**» سبعة نفر علية بن زيد الحارثي وعمرو بن غنم الساعدي وعمرو بن مرمي الواقفي وابن ليلى المزني وسالم بن عمرو النمري وسلمة بن صخر الزرقي وعبد الله بن عمرو المزني ثم ذكر اختلافًا في الأسماء بروايات وفي الواحدي أنهم قالوا: احملنا على الخفاف المرقوعة والنعال

---

(١) انظر «الدر المنثور» للسيوطي (٤ / ٢١٤).
(٢) «التفسير» (١٠ / ٢١٣).

المخصوفة نغزو معك فقال: «**لا أجد ما أحملكم عليه**» فتولوا وهم يبكون، وقال مجاهد نزلت في بني مقرن معقل وسويد والنعمان .

قوله عز وجل: ﴿**الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا**﴾ [التوبة: ٩٧] نزلت[١] في أعاريب من أسد وغطفان وأعاريب حاضري المدينة.

قوله عز وجل ﴿**وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ**﴾ الآية [التوبة: ٩٩] أخرج ابن جرير[٢] عن مجاهد أنها نزلت في بني مقرن الذين نزلت فيهم: ﴿**وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ**﴾ [التوبة: ٩٢] وأخرج[٣] [ق/ ١٣٤ ب] عن عبد الرحمن بن مغفل المزني قال: كنا عشرة ولد مقرن فينا هذه الآية .

قوله عز وجل: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ**﴾ [التوبة: ١٠١] قال الكلبي[٤] : نزلت في جهينة ومزينة وأشجع وأسلم وغفار من أهل المدينة يعني عبد الله بن أبي وجد بن قيس ومعتب بن قشير والجلاس بن سويد وأبا عامر الراهب.

قوله عز وجل: ﴿**وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ**﴾ [التوبة: ١٠٢] أخرج ابن مردويه عن أبي حاتم[٥] من طريق العوفي عن ابن عباس قال: غزا رسول الله ﷺ فتخلف أبو لبابة وخمسة معه ثم إن أبا لبابة ورجلين معه تفكروا وندموا وأيقنوا بالهلكة ،وقالوا نحن في الظل والطمأنينة مع النساء ورسول الله ﷺ والمؤمنون معه في الجهاد والله لنوثقن أنفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله ﷺ هو يطلقها ففعلوا وبقي ثلاثة نفر لم يوثقوا أنفسهم فرجع رسول الله ﷺ من غزوته فقال : «**من هؤلاء الموثقون بالسواري**» فقال رجل: هذا أبو

---

(١) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٤٣٠).
(٢) «التفسير» (١٠ / ٢١٥).
(٣) السابق.
(٤) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٤٣١).
(٥) انظر «تفسير» ابن أبي حاتم» (٦ / ١٨٧٣).

لبابة وأصحاب له تخلفوا فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم فقال: «**لا أطلقهم حتى أومر بإطلاقهم**» فأنزل الله: ﴿ **وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ**﴾ الآية [التوبة: ١٠٢] فلما نزلت أطلقهم وعذرهم [ق / ١٧٢ أ] وبقي الثلاثة الذين لم يوثقوا أنفسهم لم يذكروا بشيء، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿ **وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ**﴾ الآية [التوبة: ١٠٦] فجعل أناس يقولون: [هلكوا إذا لم ينزل عذرهم وآخرون يقولون:][1] عسى الله أن يتوب عليهم حتى نزلت: ﴿ **وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ**﴾ [التوبة: ١١٨].

وأخرج ابن جرير[2] من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نحوه وزاد فجاء أبو لبابة وأصحابه بأموالهم حين أطلقوا فقالوا: يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عن واستغفر لنا فقال: «ما أمرت أن آخذ من أموالكم صدقة فأنزل الله تعالى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ**﴾ الآية [التوبة: ١٠٣].

وأخرجه هذا القدر وحده عن سعيد بن جبير والضحاك وزيد بن أسلم وغيرهم وأخرج عبد عن قتادة أنها نزلت في سبعة أربعة منهم ربطوا أنفسهم في السواري، وهم: أبو لبابة ومرداس وحذام، وأخرج أبو الشيخ وابن مندة في الصحابة من طريق الثوري عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال كان من تخلف عن رسول الله ﷺ في تبوك ستة أبو لبابة وأوس وحذام وثعلبة بن وديعة وكعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية فجاء أبو لبابة وأوس وثعلبة فربطوا أنفسهم بالسواري فقالوا: يا رسول الله خذ هذا الذي حبسنا عنك فقال لا أحلهم حتى يكون قتال فأنزل الله: ﴿ **وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ**﴾ الآية [التوبة: ١٠٢] إسناده قوي.

وأخرج ابن مردويه بسند فيه الواقدي عن أم سلمة قالت: إن توبة أبي لبابة نزلت في بيتي فسمعت رسول الله ﷺ يضحك في السَّحَر فقلت: ما يضحك

---

(١) سقط من أ.

(٢) «التفسير» (١١ / ١٤).

يا رسول الله قال: «**تيب على أبي لبابة**» فقلت أوذنه بذلك قال: «**ما شئت**» فقمت على باب الحجرة وذلك قبل أن يضرب الحجاب فقلت: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك فثار الناس ليطلقوه فقال: لا حتى يأتي رسول الله ﷺ فيكون هو الذي يطلقني فلما خرج إلى الصبح أطلقه ونزلت: ﴿ **وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ**﴾ [التوبة: ١٠٢] قال في «الدر المنثور» (١): أخرج البيهقي عن سعيد بن المسيب أن بني قريظة كانوا حلفاء لأبي لبابة فاطلعوا عليه وهو يدعوهم إلى حكم رسول الله، فقالوا يا أبا لبابة أتأمرنا أن ننزل فأشار بيده إلى حلقه [ق / ١٣٥ ب] أنه الذبح فأخبر عنه رسول الله ﷺ بذلك. فقال له رسول الله ﷺ «**أحسبت أن الله غفل عن يدك حين تشير بها إلى حلقك**» فلبث حينًا ورسول الله ﷺ تبوكًا وهي غزوة العسرة فتخلف عنه أبو لبابة فيمن تخلف فلما قفل رسول الله ﷺ منها جاءه أبو لبابة يسلم عليه فأعرض عنه رسول الله ﷺ ففزع أبو لبابة فارتبط بسارية التوبة التي عند باب أم سلمة سبعًا من يوم [ق / ١٧٤ أ] وليلة في حر شديد لا يأكل فيهن ولا يشرب قطرة وقال: لا يزال هذا مكاني حتى أفارق الدنيا أو يتوب الله علي فلم يزل كذلك حتى ما يسمع الصوت من الجهد ورسول الله ﷺ ينظر إليه بكرة وعشية ثم تاب الله عليه فنودي أن الله قد تاب عليك فأرسل إليه رسول الله ﷺ ليطلق عنه رباطه فأبى أن يطلقه عنه أحدٌ إلا رسول الله ﷺ [فجاءه رسول الله ﷺ] (٢) فأطلق عنه بيده فقال أبو لبابة حين أفاق: يا رسول الله إني أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأنتقل إلك فأساكنك وإني أختلع من مالي صدقة لرسول الله ﷺ قال: «**يجزئ عنك الثلث**» فهجر أبو لبابة دار قومه وساكن رسول الله ﷺ وتصدق بثلث ماله ثم تاب فلم ير منه بعد ذلك إلا خيرًا حتى فارق الدنيا.

وأخرج ابن جرير(٣) وابن أبي حاتم (٤) وابن مردويه عن ابن عباس قال: إن

---

(١) أنظر (٤ / ٢٧٧).
(٢) سقط من أ.
(٣) «التفسير» (١١ / ١٢، ١٣).
(٤) «التفسير» (٦ / ١٨٧٥).

رسول الله ﷺ غزا غزوة تبوك فتخلف أبو لبابة ورجلان معه عن النبي ﷺ ثم إن أبا لبابة ورجلين معه تفكروا وندموا وأيقنوا بالهلكة، وقالوا: نحن في الظل والطمأنينة مع النساء ورسول الله ﷺ والمؤمنون معه في الجهاد والله لنوثقهن أنفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله ﷺ يطلقنا ويعذرنا، فانطلق أبو لبابة فأوثق نفسه ورجلان معه بسواري المسجد، وبقي ثلاثة، لم يوثقوا أنفسهم فرجع رسول الله ﷺ من غزوته وكان طريقه في المسجد فمر عليهم فقال: «**من هؤلاء الموثقون أنفسهم بالسواري؟**» فقال رجل: هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عن رسول الله ﷺ فعاهدوا الله لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم وترضي عنهم وقد اعترفوا بذنوبهم فقال رسول الله ﷺ: «**والله لا أطلقهم حتى أومر بإطلاقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله يعذرهم**» وقد تخلفوا ورغبوا عن المسلمين بأنفسهم وجهادهم فأنزل الله: ﴿ **وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ** ﴾ الآية [التوبة: ١٠٢] وعسى من الله واجب فلما نزلت الآية أطلقهم رسول الله ﷺ وعذرهم فانطلق أبو لبابة وأصحابه بأموالهم فأتوا بها رسول الله ﷺ فقالوا: خذ من أموالنا فتصدق بها عنا وصل علينا يقولون: استغفر لنا وطهرنا فقال: « **لا آخذ منها شيئًا حتى أومر به** » فأنزل الله: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴾ [التوبة: ١٠٣].

قوله تعالى: ﴿ **وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ** ﴾ الآية [التوبة: ١٠٦]. نزلت(١) في كعب بن مالك ومرارة بن الربيع أحد بني عمرو بن عوف وهلال بن أمية من بني واقف تخلفوا عن غزوة تبوك وهم الذين ذكروا [ق / ١٧٥ أ] في قوله تعالى: ﴿ **وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا** ﴾ الآية [التوبة: ١١٨].

قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا** ﴾ الآية [التوبة: ١٠٧] قال المفسرون(٢): إن بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قباء وبعثوا [ق / ١٣٦ ب]

---

(١) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٤٣٢).
(٢) السابق (ص / ٤٣٣).

إلى رسول الله ﷺ أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيها فحسدهم إخوتهم بنو عمرو بن عوف فقالوا: نبني مسجدًا ونرسل إلى رسول الله ﷺ ليصلي فيه كما صلى في مسجد إخواننا وليصلي أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام وكان أبو عامر قد ترهب في الجاهلية وتنصر ولبس المسوح وأنكر دين الحنيفية لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعاداه وسماه النبي ﷺ أبا عامر الفاسق وخرج إلى الشام وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لي مسجدًا فإني ذاهب إلى قيصر فآتي بجند الروم فأخرج محمدٌ وأصحابه فبنوا مسجدًا إلى جنب مسجد قباء وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلاً حرام بن خالد من داره أخرج المسجد وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وأبو حبيبة بن الأذعر وعباد بن حنيف وحارثة وجارية وابناه مجمع وزيد ونبتل بن الحارث وبحزج ريحان بن عثمان ووديعة بن ثابت فلما فرغوا منه أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا بنينا مسجدًا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وإنا نحب أن تأتينا وتصلي لنا فيه فدعا بقميصه ليلبسه ويأتيهم فنزل عليه القرآن وأخبره الله تعالى خبر مسجد الضرار وما هموا فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم ومعن بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن يشكر والوحشي قاتل حمزة وقال لهم: «**انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه**» فخرجوا وانطلق مالك وأخذ سعفًا من النخيل فأشعل فيه نارًا ثم دخلوا المسجد فحرقوه وهدموه وتفرق أهله وأمر النبي ﷺ أن يتخذ كناسة تلقى فيها الجيف والنتن والقمامة ومات أبو عامر بالشام وحيدًا غريبًا.

وأخرج الواحدي عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص عن أبيها قال: إن المنافقين عرضوا المسجد يبغونه يضاهون به مسجد قباء وهو قريب منه لأبي عامر الراهب يرصدونه إذا قدم ليكون إمامهم فيه فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا قد بنينا مسجدًا فصلِ فيه حتى نتخذه مصلى فأخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت هذه الآية: ﴿ **لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا** ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وأخرجه الترمذي[١] عن أبي هريرة قال: نزلت هذه الآية في أهل قباء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨] قال: كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ﴾ الآية [التوبة:١١١] أخرج ابن جرير[٢] عن محمد بن كعب القرظي قال [ق / ١٧٦أ] : قال عبد الله بن رواحة لرسول الله ﷺ : اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال : أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم قالوا: فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا؟ قال: «الجنة» قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت هذه الآية ، وزاد الواحدي[٣] قبل هذا أن عبد الله بن رواحة قال ذلك لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفسًا .

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا﴾ [التوبة:١١٣] أخرج الواحدي[٤] عن محمد بن كعب القرظي قال: بلغني أنه لما اشتكى أبو طالب شكواه التي قُبض فيها قالت له قريش: يا أبا طالب أرسل إلي ابن أخيك [ق / ١٣٧ ب] فيرسل إليك من هذه الجنة التي ذكرها تكون لك شفاء فخرج الرسول حتى وجد رسول الله ﷺ وأبا بكر جالسًا معه فقال: يا محمد إن عمك يقول لك إني كبير ضعيف سقيم فأرسل إلى من جنتك التي تذكر طعامها وشرابها شيئًا يكون لي فيه شفاء فقال أبو بكر: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف:٥١] فرجع إليهم الرسول فقال : بلغت محمدًا الذي أرسلتموني به فلم يجر إلي شيئًا، وقال أبو بكر: ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٤) والترمذي (٣١٠٠) وابن ماجه (٣٥٧) قال الترمذي: غريب من هذا الوجه. وقال الألباني : صحيح.

(٢) «التفسير» (١١ / ٣٥).

(٣) «أسباب النزول» (ص ٤٣٥).

(٤) السابق.

[الأعراف: ٥١] فحملوا أنفسهم عليه حتي أرسل رسولاً من عنده فوجده الرسول في مجلسه فقال له مثل ذلك فقال رسول الله ﷺ: إن الله حرمها على الكافرين طعامها وشرابها ثم قام في إثر الرسول حتي دخل معه بيت أبى طالب فوجده مملوءًا رجالاً فقال: «**خلوا بيني وبين عمي**» فقالوا: ما نحن بفاعلين ما أنت أحق به منا إن كانت لك قرابة فلنا قرابة مثل قرابتك فجلس إليه فقال: «**يا عم جزيت عني خيرًا كفلتني صغيرًا وحضنتني كبيرًا جزيت عني خيرًا يا عم أعني على نفسك بكلمة واحدة أشفع لك بها عند الله يوم القيامة**» قال: وما هي يا ابن أخي؟ قال: «**قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له**» فقال: إنك لي ناصح والله لولا أن يعير بها فيقال: جزع عمك من الموت لأقررت بها عينك قال: فصاح القوم يا أبا طالب أنت رأس الحنفية ملة الأشياخ فقال: لاتحدث نساء قريش أن عمك جزع عند الموت فقال رسول الله ﷺ: «**لا أزال أستغفر لك ربي حتى يردني**» فاستغفر له بعد ما مات فقال المسلمون: ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا ولذي قرابتنا قد استغفر إبراهيم لأبيه وهذا محمد ﷺ يستغفر لعمه فاستغفروا للمشركين حتي نزل: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ** ﴾ [التوبة: ١١٣] وأخرج الترمذي وحسنه والحاكم عن علي قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان [ق / ١٧٧ أ] قلت له: أتستغفر لأبويك وهما مشركان؟ فقال: استغفر إبراهيم لأبيه، وهو مشرك فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ** ﴾ [التوبة: ١١٣] وأخرجه الحاكم والبيهقي في الدلائل وغيرهما عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله ﷺ يومًا إلى المقابر فجلس إلى قبر منها فناجاه طويلاً ثم بكى فبكيت لبكائه فقال: «إن القبر الذي جلست عليه قبر أمي وإني استأذنت ربي في الدعاء لها فلم يأذن لي فأنزل علي: ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ** ﴾ [التوبة: ١١٣].

وأخرج أحمد(١) وابن مردويه واللفظ من حديث بريدة قال: كنت مع النبي

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٩٦٨٦) ومسلم (٩٧٦) من حديث أبي هريرة.

ﷺ إذ وقف على عسفان فأبصر قبر أمه فتوضأ وصلى وبكى ثم قال: إني استأذنت ربي أن أستغفر لها فنهيت فأنزل الله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا ﴾ الآية [التوبة: ١١٣] .

وأخرجه الطبراني(١) : وابن مردويه نحوه من حديث ابن عباس وإن ذلك بعد أن رجع من تبوك وسافر إلى مكة معتمراً فهبط عند ثنية عسفان .

قال الحافظ ابن حجر: يحتمل أن يكون لنزول الآية أسباب: متقدم وهو أمر أبي طالب، ومتأخر وهو أمر وقصة [ق / ١٣٨ ب] على وجمع غيره يتعدد النزول. قوله عز وجل: ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ [التوبة: ١١٧] الآيات روي البخاري(٢) عن كعب بن مالك قال: لم أتخلف عن النبي ﷺ في غزوة غزاها إلى بدراً حتي كانت غزوة تبوك وهي آخر غزوة غزاها وأذن للناس بالرحيل فذكر الحديث بطوله، وفيه «فأنزل الله توبتنا » : ﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ ﴾ [التوبة: ١١٧] إلى قوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨] قال: وفينا أنزل أيضًا: ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] .

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ﴾ [التوبة: ١٢٢] أخرجه ابن أبي حاتم(٣) عن عكرمة قال: لما نزلت: ﴿ إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [التوبة: ٣٩] وقد كان تخلف عنه ناس في البدو يفقهون قومهم فقال المنافقون قد بقي ناس في البوادي هلك أصحاب البوادي فنزلت : ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ﴾ [التوبة: ١٢٢] وأخرج عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال: كان المؤمنون لحرصهم على الجهاد إذا بعث رسول الله ﷺ خرجوا فيها وتركوا النبي ﷺ بالمدينة في فرقة من الناس فنزلت.

---

(١) ضعيف أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٠٤٩). وقال الهيثمي في «المجمع » (٤٥٩) وفيه أبو الدرداء وعبد الغفار بن المنيب عن إسحاق بن عبد الله عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس: ومن عدا عكرمة لم أعرفهم ولم أر من ذكرهم

(٢) حديث رقم (٤١٥٦). (٣) «التفسير» (١٦ / ١٧٩٨).

الفصل الثاني في منسوخ سورة التوبة
وهي تسع آيات

الأولى: قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة:٥] نسخت الصبر والصفح ، وقال الحسن والسدي والضحاك منسوخة بقوله: ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ [محمد:٤] فلا يحل قتل أسير صبرًا ، وقال قتادة عكسه : فقوله: ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً ﴾ [محمد:٤] منسوخة بالأولى فلا يجوز في الأسارى إلا القتل، قال مجاهد [ق / ١٧٨ أ] : أو الإسلام، وقال زيد: محكمتان فالأولى دلت على قتلهم، وقوله تعالى: ﴿ وَخُذُوهُمْ ﴾ [التوبة:٥] دلت على جواز إرقاقهم والأخرى بينت حكمين المن والفداء وكان عليه الصلاة والسلام يخير بين الأمور الثلاثة على ما يرى من المصلحة فقتل ببدر النضر وابن معيط ومن على قوم وفادى قومًا بقوم.

الثانية: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [التوبة:٣٤] قال ابن عمر : هي محكمة فالنفقة هي الواجب من الزكاة وقال عمر بن عبد العزيز: منسوخة بالزكاة فالنفقة ما فضل على قوت يوم وليلة، وقال علي رضي الله عنه: ما زاد على أربعة آلاف درهم.

الثالثة والرابعة: ﴿ إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [التوبة:٣٩] ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً ﴾ [التوبة:٤١] لا شبابًا وشيوخًا ، أو ركبانًا ومشاة، أو نشاطي وكسالي، أو فقراء وأغنياء ودلت على أن الجهاد فرض عين علي غير المعذور، وقال ابن عباس منسوخة بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ﴾ [التوبة:١٢٢] لئلا يلحق بلاد الإسلام الكفار ، وقال ابن المسيب بعكسه، وخص الآية الأولى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ ﴾ [التوبة:٩١] الآية بـ ﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ ﴾ [النور:٦١] الآية والمختار إحكامهما وتنزل الأولى على الحاجة أو قصدهم لنا والأخرى على

عدمها أو قصدنا لهم.

الخامسة والسادسة والسابعة: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] إلى: ﴿يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥] قال الحسن وابن عباس منسوخات بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ [النور: ٦٢]، وعنه أنها محكمات وهي تعريض بتبكيت المنافقين وتوبيخهم لأنهم استاذنوك في القعود كاذبين، والآخيرة أباحت له الإذن للمؤمنين الذين خرجوا معه وعرض لهم أمر فاستأذنوا بنية العود.

الثامنة: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] منسوخة بقوله: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم﴾ [التوبة: ٨٤]، وقال ابن عباس قال النبي ﷺ لأزيدن على السبعين، وهو عمل بالمفهوم فنسخت بقوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦].

التاسعة: ﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٢٠] قال زيد: منسوخة بقوله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢]، وقال ابن عباس وقتادة محكمة وتنزل الأولى على الحاجة والأخرى على عدمها.

الفصل الثالث: في المتشابه من سورة براءة

قوله: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إن قلت لم ترك البسلمة فيها دون غيرها: قلت: لاختلاف الصحابة في أن براءة والأنفال سورتان أو سورة واحدة نظرًا إلى أن كلاً منهما نزل في القتال فترك بينهما فرجة عملاً بالأول وتركت البسملة عملاً بالثاني، أو لأن البسملة أمان وبراءة فيها قتل المشركين ومحاربتهم فلا مناسبة بينهما، أو لأن الأنقال ضمنت موالاة المؤمنين [ق / ١٧٩ أ] بعضهم بعضًا وأن ينقطعوا عن الكفار بالكلية، وكان قوله: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١] تقريرًا وتأكيدًا لذلك تركت البسلمية بينهما.

قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ [التوبة: ٢] كرره لأن الأول للمكان والثاني للزمان المذكورين قبل في قوله: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٢].

قوله: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ [التوبة: ٥] كرره لأن الأول في الكفار والثاني في اليهود فيمن حمل قوله: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٩] على التوراة، وقيل: هما في الكفار، وجزاء الأول تخلية سبيلهم وجزاء الثاني في إثبات الأخوة لهم ومعنى ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٩] القرآن.

قوله: ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ﴾ [التوبة: ٨] أي قرابة (ولا ذمة) أي عهدًا كرر ذلك بإبدال الضمير بمؤمن في قوله: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ﴾ [التوبة: ١٠] لأن الأول وقع جوابًا لقوله: ﴿وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ [التوبة: ٨] أي الكفار، والثاني وقع إخبارًا عن تقبيح حالهم.

قوله: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢] الآية خص فيه أئمة الكفر بالذكر، وهم رؤساء الكفار وقادتهم لأنهم الأصل في النكس والطعن في الدين.

قوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [التوبة: ٢٠] إنما قدم في سبيل الله في هذه السورة لموافقة قوله قبل وجاهدوا وقد سبق ذكره في الأنفال، وقد جاء قبله في موضعين: ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٢] ليعلم أن الأصل ذلك، وإنما قدم ها هنا لموافقة ما قبله فحسب.

قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] قائل ذلك في كل منهما بعضهم لا كلهم فـ«ال» فيهما للعهد لا للاستغراق كما في قوله: ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك﴾ [مريم: ٤٢] الآية إذ القائل لها ذلك إنما هو جبريل.

قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ﴾ [التوبة: ٣٠].

فائدة: قوله: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٠] مع أن القول لا يكون إلا بالفم الإعلام بأن ذلك مجرد قول لا أصل له مبالغة في الرد.

قوله: ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٠] فائدة ذكر دين الحق مع دخوله في الهدي قبله بيان شرفه وتعظيمه كقوله: ﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] أو أن المراد بالهدى القرآن، وبالدين الإسلام.

قوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤] أفرد الضمير الضمير مع تقدم اثنين الذهب والفضة نظرًا إلى عودة إلى الفضة لقربها ولأنها أكثر من الذهب أو إلى عوده إلى المعنى لأن المكنوز دارهم ودنانير ونظيره قوله: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات: ٩].

قوله: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦] إن قلت لم خص الأربعة الحرم بذلك مع أن ظلم النفس منهي عنه في كل زمان؟ قلت: لم يخصها به إذ الضمير عائد إلى [ق / ١٤٠ ب] اثنى عشر شهرًا كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما لا إلى الأربعة الحرم فقط، أو خصها به لقربها، أو لمزيد [ق / ١٨٠ أ]

فضلها أو حرمتها عندهم في الجاهلية .

قوله: ﴿لا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [التوبة: ٤٤] أي بلا يستأذنوك في التخلف عن الجهاد، إن قلت: كيف قال ذلك مع أن كثيرًا من المؤمنين استأذنوه في ذلك لعذر أخذًا من قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢]؟ .

قلت: لا منافاة لأن ذلك نفي بمعنى النهي كقوله: ﴿فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] أو هو منسوخ كما قال ابن عباس بقوله: ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ [النور: ٦٢] المراد أنهم لا يستأذنوه في ذلك لغير عذر.

قوله: ﴿اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦] إن قلت: كيف أمرهم بالقعود عن الجهاد من أنه ذمهم عليه ؟

قلت: إنما أمرهم بذلك أمر توبيخ كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠] بقرينة قوله: ﴿مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦] أي مع النساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود في البيوت، أو الآمر لهم إنما هو الشيطان بالوسوسة ، أو بعضهم بعضًا .

قوله: ﴿كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ﴾ [التوبة: ٨٠] بزيادة باء وبعده : ﴿كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا﴾ [التوبة: ٨٤] بغير باء فيهما لأن الكلام في الآية الأولى جاء بعد نفي وهو الغاية في باب التأكيد ، وهو قوله: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ [التوبة: ٥٤] فأكد المعطوف أيضًا بالباء ليكون الكل في التأكيد على منهج واحد وليس كذلك الآيتان بعد فإنهما خلتا من التأكيد انتهى.

قوله: ﴿فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ﴾ [التوبة: ٥٥] قاله هنا بالفاء وقاله بعد بالواو لأن الفاء تتضمن معنى الجزاء والفعل قبلها في قوله: ﴿وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ﴾ [التوبة: ٥٤] ، وقوله: ﴿وَلا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٥٤] لكونه مستقبلاً يتضمن معنى الشرط فناسب فيه الفاء ، وما بعد ذكر قبله: ﴿كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا﴾

[التوبة: ٨٤] والفعل فيهما لكونه ماضيا لا يتضمن معنى الشرط فناب فيه الواو.

قوله: ﴿ولا أولادهم﴾ [التوبة: ٥٥] بزيادة لا وقال في الأخرى وأولادهم بغير لا لأنه لما أكد الكلام الأول بالإيجاب بعد النفي وهو الغاية، وعلى الثاني بالأول تعليق الجزاء بالشرط اقتضى الكلام الثاني من التوكيد ما اقتضاه الأول فأكد معنى النهي بتكرار لا في المعطوف.

قوله: ﴿في الحياة الدنيا﴾ [التوبة: ٥٥]، وفي الآية الأخرى: ﴿في الدنيا﴾ [التوبة: ٦٩] لأن الدنيا صفة للحياة في الآيتين فأثبت الموصوف والصفة في الأولى وحذف الموصوف في الثانية اكتفاء بذكره في الأولى وليست الآيتان مكررتين لأن الأولى في قوم والثانية في آخرين [وقيل: الأولى في اليهود والثانية في المنافقين] (١).

قوله: ﴿يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾ [التوبة: ٦١] عدي الإيمان إلى الله بالباء لتضمنه معنى التصديق ولموافقته ضده، وهو الكفر في قوله: ﴿من كفر بالله﴾ [النحل: ١٠٦] وعداه إلى المؤمنين باللام لتضمنه معنى الانقياد وموافقته لكثير من الآيات كقوله: ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ [يوسف: ١٧] وقوله: ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم﴾ [البقرة: ٧٥] [ق/ ١٨١ أ] وقوله: ﴿أنؤمن لك﴾ [الشعراء: ١١١] وأما قوله تعالى في موضع قال: ﴿آمنتم له قبل أن آذن لكم﴾ [الشعراء: ٤٩]، وفي آخر: ﴿آمنتم به﴾ [الأعراف: ١٢٣] فمشترك الدلالة بين الإيمان بموسى والإيمان بالله لأن من آمن بموسى حقيقة آمن بالله كعكسه قوله ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾ [التوبة: ٦٧] إن قلت كيف قال ذلك هنا بمن وقال في قوله: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ [التوبة: ٧١] بلفظ أولياء مع أن «من» أدل على المجانسة لاقتضائها البعضية فكانت بالمؤمنين أولى لأنها أشد تجانسًا في

---

(١) سقط من أ.

الصفات؟ قلت: المراد بقوله: ﴿ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧] [ق / ١٤١ ب] على دين بعض لأن من تأتي بمعنى على كما في قوله تعالى (ونصرناه من القوم]، وقوله: ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٢٦] أي يحلفون على وطئهن والمراد بقوله: ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: ٧١] أنصارهم وأعوانهم في الدين وعلى ذلك فكل من اللفظين يصلح مكان الآخر لكن للولاية شرف فكانت أولى بالمؤمنين والمؤمنات.

قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ [التوبة: ٧٤] إن قلت: لم خص الأرض بالذكر مع أنهم لأولى لهم فيها ولا في السماء في الدنيا ولا في الآخر؟

قلت: لما كانوا لا يعتقدون الوحدانية ولا يصدقون بالآخرة كان اعتقادهم وجود الولي والنصير مقصوراً على الدنيا فعبر بالأرض، أو أراد بالأرض أرض الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] إن قلت: لم خص السبعين مع أنهم لا يغفر لهم أصلاً لقوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦] ولأنهم مشركون والله لا يغفر أن يشرك به؟

قلت: لأن عادة العرب جرت بضرب المثل في الآحاد بالسبعة ، وفي العشرات بالسبعين استكثاراً لا يريدون الحصر، فإن قلت: لو كان المراد ذلك لما خفى على أفصح العرب وأعلمهم بأساليب الكلام حتى قال لما نزلت هذه الآية: لأزيدن على السبعين لعل الله أن يغفر لهم.

قلت: لم يخف عليه ذلك وإنما أراد بما قال إظهار كمال رأفته ورحمته بمن بعث إليهم وفيه لطف بأمته وحث لهم على المراحم وشفقة بعضهم على بعض وهذا دأب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [إبراهيم :٣٦] .

قوله: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ٨٧] قاله هنا بالبناء للمفعول، وقال بعده: ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٩٣] بالبناء للفاعل لأن الأول تقدمه المبني للمفعول، وهو قوله: ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ [التوبة: ٨٦] والثاني محمول على تقدم من ذكر الله تعالى مرات فكان اللائق وطبع الله ثم ختم كل آية بما يليق بها فقال في الأولى: ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧] وفي الثانية: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩٣] لأن العلم فوق الفقه أي العلم فوق الفقه أي الفهم والفعل المسند إلى الله فوق المسند إلى المجهول.

قوله: ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ [التوبة: ٩٤] قاله هنا بثم وبحذف والمؤمنون، وقاله بعد بالواو وبذكروا المؤمنون لأن الأول في المنافقين ولا يطلع على ضمائرهم إلا الله [ق / ١٨٢ أ] ثم رسوله باطلاع الله إياه عليها لقوله: ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ [التوبة: ٩٤] والثاني في المؤمنين وطاعتهم وعبادتهم ظاهرة لله ولرسوله وللمؤمنين، وختم الآية بقوله: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ [التوبة: ٩٤] ليفيد قطعه عما قبله لأنه وعيد وختم الثاني بقوله: ﴿وَسَتُرَدُّونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] يفيد وصله بما قبله لأنه وعد فناسب في الأول ثم وحذف والمؤمنون وفي الثاني الواو وذكر والمؤمنون، فإن قلت: السين في سيرى الله للاستقبال والرؤية بمعني العلم والله تعالى عالم بعملهم حالاً ومآلاً فكيف جمع بينهما؟

قلت: معناه في حق الله أنه ليعلمه واقعًا مآلاً كما علمه غير واقع حالاً لأن الله تعالى يعلم الأشياء علي ما هي عليه فيعلم الواقع واقعًا وغير الواقع غير واقع أما في حق الرسول فهو على ظاهره قوله: ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ [التوبة: ١٢٠] [وفي الآخرى: [إلا كتب لهم]](١) لأن الآية الأولى مشتملة على ما هو من عملهم، وهو قوله: ﴿وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ

---

(١) سقط من أ.

نَّيْلاً ﴾ [التوبة: ١٢٠] وعلى ما ليس من علمهم ، وهو الظمأ والنصب والمخمصة والله سبحانه وتعالي أجرى ذلك مجري عملهم في الثواب فقال: ﴿ إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾ [التوبة: ١٢٠] [أي جزاء عمل صالح][1] والثانية مشتملة على ما هو من عملهم وهو إنفاق المال في [ق / ١٤٢ ب][2] طاعة الله وتحمل المشاق في قطع المسافات فكتب لهم ذلك بعينه ولذلك ختم الآية بقوله : ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٢١] لكون الكل من عملهم فوعدهم حسن الجزاء عليه وختم الآية الأولى بقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٠] فعمم فيه حتى ألحق ما ليس من علمهم بما هو من عملهم ثم قوله أحسن أي بأحسن والمراد بحسن عملهم إذ لا يختص جزاؤهم بأحسن عملهم، أو المراد ليجزيهم أحسن من الذي كانوا يعملون انتهى .

---

(١) سقط من أ.

(٢) بداية سقط من ب بمقدار ورقة .

خاتمة

في فصل آخر براءة قال القرطبي روى أبو داود عن أبي الدرداء قال: «من قال: إذا أصبح وإذا أمسى حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم كفاه الله ما أهمه صادقًا كان بها أو كاذبًا ».

وقال في «الدر المنثور»: أخرجه بن أبي شيبة والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ عند الكبر لا إله إلا الله العزيز الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرضين ورب العرش الكريم.

سورة يونس
عليه السلام مكية

وعن ابن عباس إلا: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ﴾ [يونس: ٤٠] الآية و﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ﴾ [يونس: ٩٤] الآيتين والثلاثة مائة وعشر آيات نزلت في غيره.

الفصل الأول: في أسباب نزولها

قوله عز وجل: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ [يونس: ٢] أخرج ابن جرير(١) من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: لما بعث الله محمداً رسولاً أنكرت العرب ذلك، منهم فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسول بشراً فأنزل الله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ [يونس: ٢] [ق / ١٨٣] ونزل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً﴾ [الأنبياء: ٧] الآية فلما كرر الله عليهم الحجج قالوا: وإن كان بشراً فغير محمد كان أحق بالرسالة: ﴿لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] يقول أشرف من محمد يعنون الوليد بن المغيرة من مكة ومسعود ابن عمرو الثقفي من الطائف فأنزل الله ردا عليهم: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢] الآية.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [يونس: ١٥] الآية قال مجاهد(٢): نزلت في مشركي مكة، قال مقاتل(٣): وهم خمسة نفر عبد الله بن أبي وأمية المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس العامري والعاص بن عامر قالوا للنبي ﷺ: ائت بقرآن ليس فيه ترك عبادات اللات والعزى وقال الكلبي(٤): نزلت

---

(١) «التفسير» (١١ / ٨١) وابن أبي حاتم (٦ / ١٩٢٢).

(٢) انظر «أسباب النزول» للواحدي(ص / ٤٤١).

(٣) السابق.

(٤) السابق.

في المستهزئين قالوا: يا محمد ائت بقرآن غير هذا فيه ما نسألك .

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ ﴾ [يونس: ٢١] قال الماوردي: دعا النبي ﷺ على أهل مكة بالجدب فقحطوا سبع سنين فقال أبو سفيان: ادع لنا فإن أخصبنا صدقناك فدعا فسقوا ولم يؤمنوا فنزلت.

قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾ [يونس:٨٧] قال المفسرون: أمر فرعون بخراب كنائس بني إسرائيل وكانوا لا يصلون إلا فيها فنزلت فأباحت صلاتهم في بيوتهم.. انتهى.

الفصل الثاني: في المنسوخ منها

وهي أربع آيات:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴾ [يونس: ٢٠].

الثانية: قوله تعالى: ﴿ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ﴾ [يونس: ٤١].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ [يونس: ١٠٨].

الرابعة: قوله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ﴾ [يونس: ١٠٩] ومقاتل وابن زيد منسوخات بآية السيف، وفيها نظر تقدم.

الفصل الثالث: في المتشابه منها

قوله: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [يونس: ٤] وفي هود: ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ [هود: ٤] لأن ما في هذه السورة خطاب للمؤمنين والكافرين جميعًا يدل عليه قوله بعده ﴿ يجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا... ﴾ الآية. وكذلك ما في المائدة ﴿مرجعكم جميعا﴾ لأنه خطاب للمؤمنين والكافرين بدليل قوله](١) ﴿ فيه يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ١٩] ، وما في خطاب للكفار يدل عليه قوله: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣] .

قوله: ﴿ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥] خص التفصيل بالعلماء مع أنه تعالى فصل الآيات للجهلاء أيضًا لأن انتفاعهم بالتفصيل أكثر .

قوله: ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾ [يونس: ١٣] بالواو لأنه معطوف علي قوله: ﴿ظَلَمُوا﴾ [يونس: ٥٢] من قوله: ﴿ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [يونس: ١٣]، وفي غيرها بالفاء للتعقيب.

قوله: ﴿ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ﴾ [يونس: ١٨] إن قلت كيف نفى عن الأصنام الضر والنفع هنا وأثبتها لها في قوله الحج: ﴿ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ﴾ [الحج: ١٣] ؟

قلت: نفيهما عنها باعتبار الذات وإثباتهما لها باعتبار السبب.

قوله: ﴿ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ١٩] : في هذه السورة وفي غيرها [﴿فيما هم فيه يختلفون﴾](٢) بزيادة هم لأن في هذه السورة تقدم فاختلفوا فاكتفى به عن إعادة الضمير .

---

(١) سقط من أ.

(٢) سقط من أ.

قوله: ﴿ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ﴾ [يونس: ٢٣] بالألف لأنه وقع في مقابله أنجيتنا.

قوله: ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِ﴾ [يونس: ٢٣] إن قلت: ما فائدة قوله ﴿ بغير الحق ﴾ بعد قوله ﴿ يبغون ﴾ مع أن البغي هو الفساد [ق/ ١٨٤ ب] من قولهم: «بغي الجرح» أي فسد لا يكون إلا بغير الحق؟

قلت: قد يكون الفساد بحق كاستيلاء المسلمين على أرض الكفار وهدم دورهم وإحراق زرعهم وقطع أشجارهم كما فعل النبي ﷺ ببني قريظة.

قوله: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ [يونس: ٣١] إلي قول: ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١] إن قلت: هذا يدل على أنهم معترفون بأن الله هو الخالق الرازق المدبر كيف عبدوا الأصنام ؟

قلت: كلهم كانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام عبادة الله تعالى والتقرب إليه لكن بطرق مختلفة ففرقة قالت: ليست لنا أهلية لعبادة الله تعالى بلا واسطة لعظمته فعبدناهم ليقربونا إلى الله زلفى، وفرقة قالت: الملائكة ذو جاه ومنزلة عند الله فاتخذنا أصنامًا على هيئة الملائكة ليقربونا إلى الله، وفرقة قالت: جعلت الأصنام قبلة لنا في عبادة الله تعالى كما أن الكعبة قبلة في عبادته، وفرقة اعتقدت أن علي كل صنم شيطان موكلاً بأمر الله فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حوائجه بأمر الله وإلا أصابه الشيطان بنكبة بأمر الله.

قوله: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [يونس: ٣٤] إن قلت كيف قال ذلك مع أنهم غير معترفين بوجود الإعادة أصلاً؟

قلت: لما كان الإعادة ظاهرة الوجود لظهور برهانها وهو القدرة على إعدام الخلق والإعادة أهون بالنسبة إلينا فهم الاعتراف بها فكأنهم مسلمون بوجودها من حيث ظهور الحجة ووضوحها.

قوله: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يونس: ٣٨] وفي هود: ﴿ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ [هود: ١٣] لأن ما في هذه السورة تقديره سورة مثل سورة يونس فالمضاف

محذوف في السورتين وما في هود إشارة إلى ما تقدمها من أول الفاتحة إلى سورة هود، وهو عشر سور.

قوله: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦] رتب شهادتهم على فعلهم على رجوعهم إليه في القيامة مع أنه شهيد عليهم في الدنيا أيضًا المراد بما ذكر نتيجته العذاب والجزاء كأنه قال ثم الله معاقب ومجازي على ما يفعلون.

قوله: ﴿بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: ٥٠] إن قلت: لما قال بياتًا ولم يقل ليلاً مع أنه أكثر استعمالاً وأظهر مطابقة مع النهار؟

قلت: لأن المعهود في الاستعمال عند ذكر الإهلاك والتهديد ذكر البيات وإن قرن به النهار.

قوله: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ٥٥] قاله هنا بلفظ ما ولم يكرره وقال بعد بلفظ من وكرره لأن ما لغير العقلاء وهو في الأول المال المأخوذ من قوله: ﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ [يونس: ٥٤] ومن للعقلاء، وهم في الثاني [ق / ١٤٣ ب] قوم آذوا النبي ﷺ فنزل فيهم: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يونس: ٦٥] وكرر (من) لأن المراد من في الأرض، وهم القوم المذكورون، وإنما قدم عليهم من في السماء لعلوها ولموافقة سائر الآيات سوى ما قدمته في آل عمران، وذكر قوله بعد: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٨] بلفظ (ما) وكرر لأن بعض [١٨٥ / أ] الكفار قالوا: اتخذ الله ولدًا فقال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٨] أي اتخاذ الولد إنما يكون لدفع أذى، أو جذب منفعة والله مالك ما في السماوات وما في الأرض، فكأن المحل محل (ما) ومحل التكرار للتعميم والتوكيد.

فإن قلت: لم خص ما في السماوات وما في الأرض بالذكر مع أنه تعالى مالك أيضًا للسماوات والأرض [وما وراءها ما؟ قلت: لأن ما في السموات

والأرض][(١)] الأنبياء والملائكة والعلماء والأولياء ومن يعقل فيهم أحق بالذكر مع أن غيرهم مفهوم بالأولى.

قوله: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [يونس: ٦٠] إن قلت: هذا تهديد فكيف ناسبه قوله بعد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ [يونس: ٦٠]؟ قلت: هو مناسب لأن معناه إن الله لذو فضل على الناس حيث أنعم عليهم بالعقل وإرسال الرسل وتأخير العذاب وفتح باب التوبة. أي: كيف يفترون على الله الكذب مع تظافر نعمه عليهم؟

قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس: ٦٠] ومثله في النمل وقال في البقرة ويوسف والمؤمن: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١] لأن في السورة تقدم: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٥] فوافقه قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ﴾ [يونس: ٦٠] وكذلك في النمل تقدم: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٦١] فوافقه وفي غيرها جاء بلفظ التصريح وفيها أيضًا قوله ﴿في الأرض ولا في السماء﴾ فقدم الأرض لكون المخاطبين فيها، ومثله في آل عمران وإبراهيم وطه والعنكبوت، وفيها: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس: ٦٧] فحسب.

قوله: ﴿ولا تعملون من عمل﴾ إن قلت: كيف جمع الضمير مع أنه أفرد قبل في قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ﴾ [يونس: ٦١] والخطاب للنبي ﷺ؟ قلت: جمع ليدل على أن الأمة داخلون مع النبي ﷺ فيما خوطب به قبل، أو جمع تعظيمًا للنبي ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [المؤمنون: ٥١].

قوله: ﴿وَلا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يونس: ٦٥] أي: لك ﴿لست مرسلاً﴾ فالمقول محذوف كنظيره في يس والوقف على قولهم فيهما لازم ويمتنع الوصل لأنه ﷺ منزه على أن يخاطب بجملة هذا الكلام.

---

(١) سقط من أ.

قوله: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [يونس: ٦٥] قال ذلك هنا وقال في سورة المنافقون: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقين: ٨] لأن المراد هنا العزة الخاصة بالله وهي عزة الإلهية والخلق والإماتة والإحياء والبقاء الدائم وشبهها، وهناك العزة المشتركة وهي في حق الله تعالى القدرة والغلبة ، وفي حق رسول الله ﷺ علو كلمته وإظهار دينه، وفي حق المؤمنين نصرتهم على الأعداء.

قوله: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ [يونس: ٧٧] إن قلت: كيف قال موسى عنهم أنهم قالوا [أسحر هذا ؟ بطريق الاستفهام مع أنهم إنما قالوه](١) له بطريق الإخبار المؤكد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس: ٧٦] ؟

قلت: فيه إضمار تقديره: أتقولون للحق لما جاءكم إن هذا لسحر مبين، ثم قال لهم: ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ [يونس: ٧٧] إنكار لما قالوه، فالاستفهام للإنكار من قول موسى لا من قولهم .

قوله: ﴿مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾ [يونس: ٨٣] قاله هنا بضمير الجمع لعوده إلى الذرية ، وقيل: إلى القوم لتقدمهما عليه، بخلاف بقية الآيات فإنه بضمير المفرد لعوده إلى فرعون .

قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ﴾ الآية [١٤٤ / ب] [يونس: ٨٧] ثني ضمير المأمور فيها لعوده إلي موسى وأخيه بالتصريح بهما وجمعه ثانيًا لعوده إليهما مع قومهما لأنه كلاً منهم مأمور بجعله بيته قبلة يصلى إليها خوفًا من ظهورهم لفرعون وأفرده ثالثًا لعوده إلى موسى لأنه الأصل المناسب لتخصيصه بالبشارة لشرفها.

قوله: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩] إن قلت: لما أضاف الدعوة إليهما مع أنهما إنما صدرت من موسى عليه السلام لآية: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ

---

(١) سقط من أ.

آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً﴾ [يونس:٨٨] ؟ قلت: أضافها إليهما لأن هارون كان يؤمن على دعاء موسى والتأمين دعاء في المعنى أو لأن هارون دعا أيضًا مع موسى [إلا أنه تعالى خص موسى] (١) بالذكر لأنه كان أسبق بالدعوة، أو أحرص عليها.

قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٩٤] إن قلت: (إن) للشك والشك في القرآن منتف عنه ﷺ قطعًا فكيف قال الله ذلك؟

قلت: لم يقله له بل لمن كان شاكًا في القرآن وفي نبوة محمد ﷺ [ق/] ولا ينافيه قوله: ﴿فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [يونس: ٩٤] لوروده في قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤] ، وقوله: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم﴾ [التوبة: ٦٤] ، وقيل الخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١] أو المراد إلزام الحجة على الشاكين الكافرين كما يقول لعيسى عليه السلام: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] وهو عالم بانتفاء هذا القول منه لإلزام الحجة على النصارى.

قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩] فائدة ذكر جميعًا بعد كلهم مع أن كلاً منهما يفيد الإحاطة والشمول الدلالة على وجود الإيمان منهم بصفة الاجتماع الذي لا يدل عليه كلهم كقوله: جاد القوم جميعًا أي مجتمعين ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ [ص: ٧٣] .

قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٤] قال ذلك موافقة لقوله قبل: ﴿نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] وقال في النمل: ﴿مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١] موافقة لقوله قبل: ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [النمل: ٨١] قد تقدم في يونس: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢] .

---

(١) سقط من أ.

خاتمة: في شيء من فضلها

قوله تـعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٨١] لم يضره كيد ساحـر ولا يكتب على مسحور إلا دفع الله عز وجل [ق / ١٨٧ أ] عنه السحر.

سورة هود عليه السلام
مكية إلا: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ الآية أو إلا ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ﴾ الآية و﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ الآية
مائة وثنتان وعشرون أو ثلاث وعشرون آية
الفصل الأول: في أسباب نزولها

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ الآية [هود: ٥] [روى البخاري(١) عن ابن عباس في قوله [ألا إنه يثنون صدورهم]] (٢) قال: كان أناس يستحبون أن يتخلوا فيفضوا بفروجهم إلى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء فنزل ذلك فيهم قال في «الدر المنثور»(٣): وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر من طريق ابن أبي مليكة قال سمعت ابن عباس يقرأ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ [هود: ٥] قال: كانوا لا يأتون النساء ولا الغائط إلا وقد تفشوا بثيابهم كراهة أن يفضوا بفروجهم إلي السماء.. انتهى.

وأخرج ابن جرير(٤) وغيره عن عبد الله بن شداد قال: كان أحدهم إذا مر بالنبي ﷺ ثني صدره كيلا يراه فنزلت.

وقال الواحدي نزلت: (٥) في الأخنس بن شريق وكان رجلاً حلو الكلام حلو المنطق يلقي رسول الله ﷺ بما يحب ويطوي [ق / ١٤٥ ب] بقلبه ما يكره، وقال الكلبي(٦): كان يجالس النبي ﷺ ويظهر له أمرًا حسنًا ويضمر في

---

(١) حديث رقم (٤٤٠٤).

(٢) سقط من أ.

(٣) (٤ / ٤٠٠).

(٤) «التفسير» (١١ / ١٨٤).

(٥) «أسباب النزول» (ص / ٤٤٣).

(٦) السابق.

قلبه خلاف ما يظهر فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ [هود: ٥] يقول: يكتمون ما في صدورهم من العداوة لمحمد ﷺ وزاد الجعبري قال الزجاج: قال بعض المشركين: إذا أغلقنا أبوابنا وأرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم بنا؟

وقال ابن الأنباري: كان قوم إذا قرأ النبي ﷺ حنوا ونكسوا رؤوسهم وتغشوا ثيابهم لشدة بغضهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ الآية [هود: ١١٤] أخرج الشيخان(١) عن ابن مسعود أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] فقال الرجل ألي هذه؟ قال: «**لجميع أمتي كلهم**».

وأخرج الترمذي(٢) وغيره عن ابن أبي اليسر قال: أتتني امرأة تبتاع تمرًا فقلت: إن في البيت أطيب منه فدخلت معي البيت فأهويت إليها فقبلتها فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فقال: «**أخلفت غازيًا في سبيل الله في أهله بمثل هذا؟**» وأطرق طويلاً حتى أوحى الله إليه ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤] إلى قوله: ﴿لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤] وورد نحوه من حديث أبي أمامة ومعاذ بن جبل وابن عباس وبريدة وغيرهم قال السيوطي(٣) وقد استوفيت حديثهم في ترجمان القرآن.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٣) ومسلم (٢٧٦٣).

(٢) حسن: أخرجه الترمذي (٣١١٥) والنسائي في «الكبرى» (٧٣٢٢) وابن جرير (١٢ / ١٣٧) قال الترمذي: حسن صحيح. وقال الألباني: حسن.

(٣) «لباب النقول» (ص / ١٢٩).

الفصل الثاني: في المنسوخ من سورة هود

الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ﴾ [هود: ١٢] اقتضت الاقتصار على الإنذار فقيل: منسوخة بالسيف والمختار إحكامها [وكان يشق عليه اقتراحهم وغزوهم في كفرهم فسلى بأن العداية ليست إليه] (١).

الثانية: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ﴾ [هود: ١٥] ونظيرها: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [هود: ١٥] [ق / ١٨٨ أ] أي من كان يريد الجزاد في الدنيا جازيناه بصحة البدن وكثرة الولد والمال والجاه، قال الضحاك ومقاتل وجرير منسوخة بقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨] والمختار إحكامها وهي مخصوصة بها.

الثالثة: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ الآية [هود: ١٢١] إن أريد الكف عن القتال فمنسوخة بالسيف أو التهديد فمحكمة.. انتهى.

الفصل الثالث: في المتشابه من سورة هود

قوله: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣] الآية ثم للترتيب الإخباري لا الوجودي إذ التوبة سابقة علي الاستغفار، أو المعنى استغفروا الله ولم يتب يمتعه الله متاعًا حسنًا إلى أجله أي يرزقه ويوسع عليه كما قال ابن عباس، أو يعمره كما قال ابن قتيبة فما فائدة التقييد بالاستغفار والتوبة؟

قلت: قال غيرهما المتاع الحسن المقيد بالاستغفار والتوبة هو الحياة في الطاعة والقناعة ولا يكونان إلا للمستغفر التائب.

قوله: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ﴾ [هود: ٦] لم يقل على الأرض مع أنه أنسب

---

(١) سقط من أ.

بتفسير الدابة لغة بأنها ما يدب على الأظهر لأن (في) أعم من (على) لأنها تتناول من الدواب ما على ظهر الأرض وما في بطنها وقيل: بمعنى على كما في قوله: ﴿ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه: ٧١] ، وقوله: ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴾ [الطور: ٣٨] وظاهر أن تفسير الدابة بما يدب على الأرض الطير فلا يرد أن الآية لا تتناول [ق / ١٤٦ ب] الطير في ضمان رزقه فإن قلت على للوجوب والله تعالى لا يجب عليه شيء؟

قلت: المراد بالوجوب هنا وجوب اختيار لا وجوب إلزام كقوله ﷺ: «**غسل الجمعة واجب على كل محتلم**» وكقول الإنسان لصاحبه: حقك واجب علي، أو على بمعنى من كما في قوله تعالى: ﴿ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴾ [المطففين: ٢].

قوله: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ ﴾ [هود: ١٠] قاله هنا [وقال في فصلت ﴿ ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ﴾ بزيادة منا][(١)] ومن لأنه ثم بين جهة الرحمة بقوله: ﴿ لا يَسْأَمُ الإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ ﴾ [فصلت: ٤٩] فناسب ذكر ﴿ منا ﴾ وحذفه هنا اكتفاء بقوله قبل: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ [هود: ٩] وزاد من ثم لأنه لما حدّ الرحمة وجهتها حدَّ الطرف بعدها ليتشاكلا في التحديد وهنا لما أهمل الأول أهمل الثاني ليتشاكلا .

قوله: ﴿ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ [هود: ١٢] إنما قال ضائق ولم يقل ضيق لموافقة قوله قلبه تارك وليدل على أنه ضيق عارض لا ثابت لأنه ﷺ أوسع الناس صدرًا ونظيره قولك زيد سائد وجائد تريد حدث فيه السيادة والجود فإن أردت وصفه بثبوتهما قلت: زيد سيد وجواد.

قوله: ﴿ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾ [هود: ١٣] أي مثله في الفصاحة والبلاغة وإلا فما يأتون به مفترى والقرآن ليس بمفترى ، أو معناه مفتريات كما

---

(١) سقط من أ.

أن القرآن في زعمكم [ق / ١٨٩ أ] مفتري فإن قلت: كيف أفرد في قوله: ﴿قُلْ﴾ [هود:١٣] ثم جمع في قوله: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ [هود:١٤] ؟

قلت: الخطاب للنبي ﷺ فيهما لكنه جمع في لكم تعظيمًا وتفخيمًا له ويعضده قوله في سورة القصص: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ [القصص:٥٠] أو الخطاب في الثاني للمشركين، وفي يستجيبوا لمن استطعتم والمعنى فأتوا أيها المشركون بعشر سور مثله إلى آخره فإن لم يستجب لكم من تدعونه إلى المظاهرة على معارضته لعجزهم فاعلموا أنها أنزل بعلم الله وبالنظر إلى هذا الجواب جمع الضمير في ﴿إِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا﴾ لكم هنا وأفرد في القصص، فإن قلت: قد قال في سورة يونس: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يونس:٣٨] وقد عجزوا عنه فكيف قال هنا: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ [هود:١٣] ؟

قلت: قيل نزلت سورة هود أولاً لكنه أنكره المبرد وقال سورة يونس أولاً قال: ومعنى قوله في سورة يونس: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [يونس:٣٨] أي في الإخبار عن الغيب والأحكام والوعد والوعيد فعجزوا فقال لهم في سورة هود إن عجزتم عن ذلك ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ [هود:١٣] في البلاغة لا في غيرها مما ذكر وما قاله هو المتجه، هذا وتحرير الأول مع زيادة أن يقال إن الإعجاز وقع أولاً بالتحدي بكل القرآن في الآية: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ﴾ [الإسراء:٨٨] فلما عجزوا تحداهم بعشر سور فلما عجزوا تحداهم بسورة فما عجزوا تحداهم بدونها بقوله: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ [الطور:٤٣] .

قوله: ﴿لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾ [هود:٢٢] قال ذلك هنا وقال في النحل: ﴿الْخَاسِرُونَ﴾ [النحل:١٠٩] لأن ما هنا نزل في قوم صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم فضلوا وأضلوا وما هناك نزل في قوم صدوا عن سبيل الله فناسب في الأول الأخسرون وفي الثاني الخاسرون.

قوله: ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ﴾ [هود:٢٨] وبعده: ﴿وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ [هود:٦٣] وبعدهما: ﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [هود:٨٨] لأن عنده وإن كان

ظرفًا فـهو اسم فذكر الأول بالصـريح والثانية والثـالثة بالكناية لتقـدم ذكره لأن الكناية يتقدم علـيها الظاهر نحو ضرب زيد عـمرواً فإن كنيت عن عمرو قـدمته نحو عـمرو ضربه زيد، قال الخطيب: لما وقع أتاني رحـمة في جواب كـلام فيه ثلاثة أفعال متعد إلى مفعـولين ليس بينهما حائل [ق / ١٤٧ ب] بجار ومجرور وهو قوله: ﴿مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ﴾ [هود:٢٧] و ﴿ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود:٢٧] أجرى الجواب مجـراه فجمع بين المفعولين من غيـر حائل وأما الثاني فقد وقع في جواب كلام قد حيل بينهما بجار ومجرور وهو قوله: ﴿ قَدْ كُنتَ فِينَا مَـرْجُـوًّا﴾ [هود: ٦٢] لأن خبر كـان بمنزلة المعقول كذلك حـيل في الجواب بين المفـعول وفـعله بالجـار والمجرور ، فـإن قلت: لم قـال في الأولين وأتاني وفي الثالث ورزقني؟

قلت: لأن الثالث تقـدمه ذكر الأموال وتأخـر عنه قوله: ﴿رِزْقًـا حَـسَنًا﴾ [هود:٨٨] وهما خاصـان فناسبهما قـوله ورزقني بخلاف الأولين فإنه تقدمـهما أمور عامة فناسبها قوله وآتاني .

قـوله: ﴿ وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً﴾ [هود:٢٩] إن قلت: لم قـاله [ق / ١٩٠ أ] هنا حكاية عن نوح بلفظ مالاً وقاله بعد حكاية عن هود بلفظ آخر؟

قلت: توسعـة في التعبـير عن المراد بمتـساويين ولأن قصـة نوح وقع بعدها خزائن والمال بها أنسب، فإن قلت: لم قال في الأولى: ﴿ وَيَا قَوْمِ﴾ [هود:٢٩] بالواو وفي الثانية : ﴿ يَا قَوْمِ ﴾ [هود:٢٨] بدونها؟

قلت: لطول الكلام الواقع بين الندائين في قصة نوح وقصره بينهما في قصة هود فيناسب ذكر الواو في الأول لتوصل ما بعدها بما قبلها.

قـوله: ﴿ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ [هود: ٤٤] إن قلت: همـا لا يعقلان كيف أمرا ؟

قلت: الأمر هنا أمر إيجاد لا أمر إيجاب فـلا يشترط فيه فهم ولا عقل لأن الأشياء كلها منقادة لله تعالى ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ

لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٤٠] وقوله: ﴿ **فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** ﴾ [فصلت: ١١] .

قوله: ﴿ **وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ** ﴾ [هود: ٤٥] قاله هنا بالفاء، وقال في مريم في قصة زكريا: ﴿ **إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا** ③ **قَالَ رَبِّ** ﴾ [مريم: ٣ ، ٤] بلا فاء لأنه أريد بالنداء هنا إرادته فهي سبب له فناسب الفاء الدالة على تسببه وهناك لم يرد ذلك فناسب ترك الفاء.

قوله: ﴿ **قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ** ﴾ [هود: ٥٣] إن قلت: هود كان رسولاً فكيف لم يظهر معجزة؟

قلت: قد أظهرها وهي الريح الصرصر ولا يقبل قول الكفار في حقه قال بعضهم: أو إن الرسول إنما يحتاج إلى معجزة إذا كان صاحب شريعة لتنقاد أمته إليها إذ في كل شريعة أحكام غير معقولة فيحتاج الرسول الآتي بها إلى معجزة تشهد بصحة صدقه وهو لم يكن له شريعة وإنما كان يأمر بالعقل فلا يحتاج إلى معجزة لأن الناس ينقادون إلى ما يأمرهم به لموافقته للعقل والمعتمد الجواب الأول ولا يلزم من عدم إظهاره معجزة عدمها في نفس الأمر فقد قال رسول الله ﷺ: «**ما من نبي إلا وقد أتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر**»، وقوله: ﴿ **مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ** ﴾ [هود: ٥٣] كقول غيرهم: ﴿ **إِنْ هُوَ إِلاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ** ﴾ [المؤمنون: ٢٥] ﴿ **إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الأعراف: ١٠٩].

قوله: ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا** ﴾ [هود: ٥٨] قاله في قصة هود وشعيب بالواو، وفي قصة صالح ولوط بالفاء لأن العذاب في قصة الأولين تأخر عن وقت الوعيد فناسب الإتيان [بالواو وفي قصة الآخرين وقع العذاب عقب الوعيد فناسب الإتيان][١] بالفاء الدالة على التعقيب.

قوله: ﴿ **فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم** ﴾ [هود: ٥٧] جواب الشرط محذوف إذ الإبلاغ

---

(١) سقط من أ.

ليس هو الجواب لتقدمه على توليهم وإنما هو متعلق الجواب والتقدير فقل لهم قد أبلغتكم .

قوله: ﴿ وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [هود:٥٨] كرر التنجية لأن المراد بالأولى تنجيتهم من عذاب الدنيا الذي نزل بقوم هود وهي سموم أرسلها الله تعالى إليهم فقطعتهم عضواً عضواً وبالثانية تنجيتهم من عذاب الآخرة الذي استحقه قوم هود بالكفر.

قوله: ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ﴾ [هود: ٦٠] قاله هنا بذكر الدنيا وقال [ق / ١٤٨ ب] في قصة موسى بعد [في هذه لعنة] بحذفها اختصاراً واكتفاء بما هنا.

قوله: ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ﴾ [هود:٦٧] قاله هنا في قصة صالح بلا تاء، وقاله [ق / ١٩٢ أ] بالتاء بعد في قصة شعيب [وكل صحيح ولكن اختص الثاني بها لأن قوم شعيب][(١)] وقع الإخبار عن عذابهم بثلاثة ألفاظ مؤنثة في الأعراف الرجفة وفي العنكبوت كذلك وفي الشعراء الظلة وهنا الصيحة ووقعت لهم الثلاثة في ثلاثة أوقات ازداد التأنيث حسنًا.

قوله: ﴿ فِي دِيَارِهِمْ ﴾ [هود: ٩٤ ، ٦٧] في موضعين في هذه السورة لأنه اتصل بالصيحة وكانت من السماء فازدادت على الرجفة لأنها الزلزلة وهي تختص بجزء من الأرض فجمعت مع الصيحة وأفردت مع الرجفة.

قوله: ﴿ إِنَّ ثَمُودَ ﴾ [هود:٦٨] بالتنوين ذكر في المتشابه ثمود من الثمد، وهو الماء القليل جعل اسم قبيلة فهو منصرف من وجه، غير منصرف من وجه، فصرفوه في حال النصب ؛ لأنه أخف أحوال الاسم ولم يصرفوه في حال الرفع، لأنه أثقل أحوال الاسم ، وجاز الوجهان في الجر لأنه واسطة بين الخفة والثقل.

قوله: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ ﴾ [هود: ٨١] ، وفي

(١) سقط من أ.

الحجر: ﴿ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ [الحجر: ٦٥] استثنى في هذه السورة ﴿ إِلاَّ امْرَأَتَكَ ﴾ [هود: ٨١] ولم يستثن في الحجر اكتفاء بما قبله، وهو قوله: ﴿ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٥٨) إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلاَّ امْرَأَتَهُ ﴾ [الحجر: ٥٨ ـ ٦٠] فهذا الاستثناء الذي تفردت به سورة الحجر قام مقام الاستثناء من قوله: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ [هود: ٨١] وزاد في الحجر: ﴿ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ ﴾ [الحجر: ٦٥] لأنه إذا ساقهم وكان من وراءهم علم بنجاتهم ولا يخفى عليه حالهم.

قوله: ﴿ وَلا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ﴾ [هود: ٨٤] [هذا النهي يتضمن الأمر بالإيتاء وصرح به بعد في قوله ﴿ ويا قوم أوفوا المكيال والميزان ﴾][(١)] وهو يتضمن النهي عن النقص، وفي ذلك تأكيد على الحث على الزجر عن البخس وعلى الحث على العدل وقدم النهي على الأمر لأن دفع المفاسد آكد من جلب المصالح.

قوله: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ [هود: ١٠٥] مقيد لقوله: ﴿ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾ [النحل: ١١١] أي بإذن الله ولا ينافي ذلك قوله تعالى: ﴿ هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُونَ (٣٥) وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦] لأن في يوم القيامة مواقف ففي بعضها لا يؤذن لهم في الكلام فيكفون عنه، وفي بعضها يؤذن لهم فيه فيتكلمون.

قوله: ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٥] إن قلت (من) للتبعيض ومعلوم أن الناس كلهم إما شقي أو سعيد، فما معنى التبعيض؟

قلت: التبعيض صحيح ؛لأن أهل القيامة ثلاثة أقسام قسم شقي، وهم أهل النار، وقسم سعيد ،وهم أهل الجنة وقسم لا شقي ولا سعيد وهم أهل الأعراف وإن كان مصيرهم إلى الجنة كما قال البارزي وغيره.

(١) سقط من أ.

قوله: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧ ، ١٠٨] إن قلت: كيف قال ذلك مع أن السماوات والأرض تفنيان وذلك ينافي الخلود الدائم ؟

قلت: هذا خرج مخرج الألفاظ التي تعبر بها العرب عن إرادة الدوام دون التأقيت كقولهم: لا أفعل هذا ما اختلف الليل والنهار وما دامت السماوات والأرض تريد لا فعله أبدًا، أو أنهم خوطبوا على معتقدهم [ق / ١٩٢أ] أن السماوات والأرض لا تفنيان، أو أن المراد سماوات الآخرة [ق / ١٤٩ ب] وأرضها قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وتلك دائمة لا تفنى ، فإن قلت: إذا كان المراد بما ذكر الخلود الدائم فما معنى الاستثناء في قوله: ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧، ١٠٨] .

قلت: هو استثناء من الخلود في عذاب أهل النار ومن الخلود في نعيم أهل الجنة؛ لأن أهل النار لا يخلدون في عذابها وحده بل يعذبون بالزمهرير وأنواع أخر من العذاب وبما هو أشد من ذلك وهو سخط الله عليهم، وأهل الجنة لا يخلدون في نعيمها وحده ،بل ينعمون بالرضوان والنظر إلى وجهه الكريم وغير ذلك كما دل عليه **(عطاء غير مجذوذ)**، أولا (إلا) بمعنى غير أي خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض غير ما شاء الله من الزيادة عليهما إلى ما لا نهاية له أو (إلا) بمعنى الواو كقوله: ﴿إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلاَّ مَن ظَلَمَ﴾ [النمل: ١٠ ، ١١] .

قوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ [هود: ١١٧] قاله هنا بصيغة ليهلك لأنه لما ذكر قوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾ [هود: ١١٧] نفى الظلم عن نفسه بأبلغ لفظ يستعمل في النفي ؛ لأن اللام فيه لام الجحود والمضارع يفيد الاستمرار فمعناه ما فعلت الظلم فيما مضى ولا أفعله في الحال ولا في المستقبل فكان غاية في النفي وقاله في القصص بدون ذكر ظلم، فاكتفى بذكر اسم الفاعل المفيد للحال فقط ،وإن كان يستعمل في الماضي والمستقبل مجازًا فذكره غير مقيد بزمن ثم نفاه.

قوله: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠] إن

قلت: فالجمع بينه وبين قوله: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤] .

قلت: معناه كل نبـأ نقصه عليـك من أنباء الرسل هو ما نثـبت به فؤادك فـ «ما» في مـوضع رقع خبر مـبتدأ مـحذوف فلا يقـتضي اللفظ قص أنباء جـميع الرسل.

قوله: ﴿ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ﴾ [هود: ١٢٠] أي هذه الأنباء، أو الآيات ، أو السورة خصـها بالذكر تشريفًا لـها ،وإن كان قد جاءه الحق في جـميع السور كقـوله: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨] والتـعريف في الحق إما للجنس، أو للعـهد ، أو المراد به البراهين الدالة على التوحـيد والعدل والنبوة وإنما عـرفه ونكر تالييـه تفخيـمًا له لكونه يطلق على الله تعـالى بخلاف تالييه.

خاتمة في شيء من فضلها

قال القرطبي[(١)] : أسند الدارمي[(٢)] في مسنده عن كعب الأحبار قال: قال رسول الله ﷺ : «**اقرأوا سورة هود يوم الجمعة**» وروى مروان بن ثابت عن طلحة بن عبد الله بن جرير عن الحسن بن علي عن النبي ﷺ قال: «**أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا في الفلك : سم الله الرحمن الرحيم:** ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]. ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود: ٤١] انتهى.

---

(١) «التذكار في أفضل الأذكار» (ص / ١٦٠).

(٢) ضعيف: أخرجه الدارمي (٣٤٠٤) عن كعب مرسلاً. وقال الألباني : ضعيف، انظر «ضعيف الجامع» (٢٩٩٥).

سورة يوسف عليه السلام
مكية مائة وإحدى عشرة آية
الفصل الأول: في سبب نزولها

وكلها محكمة روى الحاكم[1] وغيره عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص في قوله عز وجل: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣] قال: أنزل القرآن على رسول الله ﷺ فتلاه عليهم زمانًا فقالوا: يا رسول الله لو قصصت فأنزل الله تعالى: ﴿الٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف:١] إلى قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣] الآية فتلاه عليهم زمانًا فقالوا يا رسول الله لوحدثتنا فأنزل الله عز جل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾ [الزمر:٢٣] قال: كل ذلك يؤمرون بالقرآن زاد ابن أبي حاتم فقالوا: يا رسول الله لو ذكرتنا فأنزل الله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد:١٦] .

وقال عون بن عبد الله[2] : مل [ق / ١٥٠ ب] أصحاب النبي ﷺ ملة فقالوا: يا رسول الله حدثنا فأنزل الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر:٢٣] الآية قال : ثم إنهم ملوا ملة أخرى فقالوا يا رسول الله: فوق الحديث ودون القرآن ـ يعنون القصص ـ فأنزل الله تعالى : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣] فأرادوا الحديث فدلهم إلى أحسن الحديث وأرادوا القصص: فدلهم على أحسن القصص.

وليس فيها منسوخ، ومن قال (توفني مسلمًا) منسوخ بقوله عليه الصلاة

---

(١) صحيح: أخرجه ابن حبان (٦٢٠٩) وابن جرير (١٢ / ١٥٠) والحاكم (٣٣١٩) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٤٩٩).

والسلام: «**لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به**» فقد غلط لأنه غير محض، ولم يتمنه لضر بل لما قرب الوقت فدعا بأن يتوفى على الحق، وهذا مشروع لكل أحد ونهيه عليه السلام عن تمني الموت للضر فراراً من القضاء.

الفصل الثاني:
في المتشابه من سورة يوسف عليه السلام

قوله: ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] ذكر الرؤية ثانيًا جوابًا لسؤال مقدر من يعقوب عليه السلام كأنه قال ليوسف بعد قوله: ﴿ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] [كيف رأيتها؟ سائلاً عن حال رؤيتها فقال مجيبًا له [ ]](١) وقيل: ذكره توكيدًا وجمع الكواكب في قوله: ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] جمع العقلاء لوصفه لها بما هو من صفات العقلاء وهو السجود كقوله: ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ [النمل: ١٨].

قوله: ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ [يوسف: ٩] هذا قول إخوة يوسف فإن قلت: كيف قالوا: ذلك وهم أنبياء؟

قلت: لم يكونوا أنبياء على الصحيح وبتقدير أنهم كانوا أنبياء إنما قالوا ذلك قبل نبوتهم والجواب بأن ذلك من الصغائر، أو بأنهم قالوه في صغرهم (ضعيف).

قوله: ﴿ يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ [يوسف: ١٢] إن قلت: كيف رضي يعقوب بذلك منهم على قراءة النون مع أنهم كانوا بالغين عاقلين.

قلت: كان لعبهم المسابقة والمناضلة يؤيده: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ [يوسف: ١٧] وسموه لعبًا لأنه في صورة اللعب.

قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ١٥] أي وحي إلهام لا وحي رسالة لأنه يومئذ لم يكن بالغًا ووحي الرسالة إنما يكون بعد الأربعين.

قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: ٢٢] قاله [ق / ١٩٤ أ]

---

(١) سقط من أ.

هنا بدون واستوى وقاله في القصص به لأن يوسف أوحى إليه في الصغر وموسى أوحى إليه بعد الأربعين سنة فقوله: ﴿ وَاسْتَوَىٰ ﴾ [القصص: ١٤] إشارة إلى تلك الزيادة.

قوله: ﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ ﴾ [يوسف: ٢٥] وحد الباب هنا وجمعه قبل في قوله: ﴿ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ ﴾ [يوسف: ٢٣] لأن إغلاق الباب للإحتياط لا يتم إلا بإغلاق الجميع وأما هروبه منها فلا يكون إلا إلى باب واحد حتى لو تعددت أمامه لم يقصد منها أولاً إلا الأول فهلذا وحد الباب هنا وجمعه ثم .

قوله: ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾ [يوسف: ٢٣ ، ٧٩] في هذه السورة موضعين ليس بتكرار لأن الأول ذكر حين دعته إلى المواقعة والثانية حين دعي إلى تغيير حكم السرقة، ويقال بمثله في قوله: ﴿ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ ﴾ [يوسف: ٣١ ، ٥١] موضعين ، وقوله: ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٣٦ ، ٧٨] موضعين وقوله: ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ ﴾ [يوسف: ٣٩ ، ٤١] موضعين فالأول قاله حين عدل عن جوابهما إلى دعائهما إلى الإيمان والثاني حين دعياه إلى تعبير الرؤيا لهما تنبيهًا على أن الكلام الأول قد تم.

قوله: ﴿ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٤٦] كرر لعل مراعاة لفواصل الآي إذ لو جاء بمقتضى الكلام لقال: لعلي أرجع إلى الناس فيعلموا بحذف النون على الجواب ومثله في هذا قوله: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [يوسف: ٦٢] .

قوله : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الأَرْضِ ﴾ [يوسف: ٥٥] إن قلت: كيف قال ذلك مع أن الأنبياء عليهم السلام أعظم الناس زهدًا في الدنيا ورغبة [ق / ١٥١ أ] في الآخرة؟ قلت: إنما طلب ذلك ليتوصل به إلى إمضاء حكم الله تعالى وإقامة الحق وبسط العدل ونحوه ولعلمه أن أحدًا غيره لا يقوم مقامه في ذلك.

قوله: ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ ﴾ [يوسف: ٥٩] قاله هنا بالواو وقاله بعده

بالفاء لأنه ذكر هنا أول مجيئهم إلى يوسف فناسبته الواو الدالة على الاستئناف وذكر بعد عدم انصرافهم عنه عطفًا على : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا ﴾ [يوسف: ٦٩] فناسب الفاء الدالة على الترتيب والتعقيب.

قوله: ﴿ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ [يوسف: ٧٠] إن قلت: كيف جاز ليوسف أن يأمر المؤذن بأن يقول ذلك مع أن فيه بهتانًا واتهام من لم يسرق بأنه سرق؟

قلت: إنما قاله تورية عما جرى منهم مجرى السرقة من فعلهم بيوسف ما فعلوا أولاً، أو كان ذلك القول من المؤذن بغير أمر يوسف عليه السلام، أو إن حكم ذلك حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها إلى مصالح دينيه كقوله تعالى لأيوب : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلا تَحْنَثْ ﴾ [ص: ٤٤] وقول إبراهيم في حق زوجته هي أختى لتسلم من يد الكافر.

قوله: ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ [يوسف: ١٠٠] إن قلت كيف جاز لهم أن يسجدوا ليوسف والسجود لغير الله حرام ؟ قلت المراد أنهم جعلوه كالقبلة ثم سجدوا لله شكرًا لنعمة وجدان يوسف كما تقول سجدت وصليت للقبلة ، أو اللام للتعليل أي لأجله سجدوا لله ومنه قوله [أرأيتهم] أي الكواكب [لي ساجدين] أي أنها سجدت لله لأجل مصلحتي والسعي في إعلاء منصبي .

قوله: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴾ [يوسف: ١٠٠] [ق / ١٩٥] إن قلت: لم ذكر يوسف عليه السلام نعمة الله عليه في إخراجه من السجن دون إخراجه من الجب مع أنه أعظم نعمة الله عليه في إخراجه من السجن دون إخراجه من الجب مع أنه أعظم نعمة لأن وقوعه في الجب كان أعظم خطرًا؟

قلت: لأن مصيبة السجن كانت عنده أعظم لطول مدتها ولمصاحبته الأوباش وأعداء الله فيه بخلاف مصيبة الجب لقصر مدتها وكون المؤنس له فيه جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة ، أو لأن في ذكر الجب توبيخًا وتقريعًا لإخوته بعد قوله: ﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ﴾ [يوسف: ٩٢] .

قوله: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا ﴾ [يوسف:١٠١] إن قلت: كيف قال يوسف ذلك مع علمه بأن كل نبي لا يموت إلا مسلمًا؟

قلت: قاله إظهارًا للعبودية والافتقار وشدة الرغبة في طلب سعادة الخاتمة وتعليمًا للأمة وطلبًا للثواب.

قوله: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦] إن قلت: كيف قال ذلك مع أن الإيمان والشرك لا يجتمعان؟

قلت: وما يؤمن أكثرهم بأن الله خالقه ورازقه وخالق كل شيء قولاً إلا وهو مشرك بعبادة الأصنام فعلاً، أو المراد به المنافقون يؤمنون بألسنتهم قولاً ويشركون بقلوبهم اعتقادًا.

قوله: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ ﴾ [يوسف:١٠٩] قاله هنا، وفي الحج، وفي آخر غافر بالفاء، وقاله في الروم وفاطر وأول غافر بالواو لأن ما في هذه الثلاثة الأول تقدمه التعبير في الإنكار بالفاء في قوله هنا: ﴿ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ ﴾ [يوسف:١٠٧] وفي الحج: ﴿ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [الحج:٤٥] وفي آخر غافر: ﴿ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾ [غافر:٨١] وما في الثلاثة الأخيرة تقدمه التعبير بالواو في قوله في الروم: ﴿ أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ﴾ [الروم:٨] وفي فاطر: ﴿ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم ﴾ [فاطر:٣٧]، وفي أول غافر: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ ﴾ [غافر:١٨] ﴿ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ﴾ [غافر: ٢٠، ١٩].

قوله: ﴿ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ ﴾ [النحل: ٣٠] بالإضافة، وفي الأعراف: ﴿ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف:١٦٩] على الصفة لأن في هذه السورة تقدم ذكر الساعة وصار التقدير ولدار الساعة الآخرة فحذف الموصوف، وفي الأعراف تقدم قوله عرض هذا الأدنى ـ أي المنزل الأدنى ـ فجعله وصفًا للمنزل والدار الدنيا والدر الآخرة [ق / ١٥٢ ب] بمعناه فأجرى مجراه.. انتهى.

سورة الرعد
مكية

قال ابن عباس وعطاء ومجاهد: مكية.

قال سعيد: إلا من أولها إلى آخر: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ﴾ [الرعد:٣١]، وقال قتادة: مدنية إلا: ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الرعد:٣١].

وهي أربعون وثلاث آيات كوفي، وأربع حجازي، وخمس بصري وسبع شامي.

الفصل الأول: في سبب نزولها

أخرج الطبراني(١) وغيره عن ابن عباس أن أربد بن قيس وعامر بن الطفيل قدما المدينة على رسول الله ﷺ فقال عامر: يا محمد ما تجعل لي إن أسلمت؟ قال: «**لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم**».

قال: أتعجل لي الأمر من بعدك؟

قال: «**ليس ذلك لك [ق / ١٩٦ أ] ولا لقومك**».

فخرجا فقال عامر: لأربد إني أشغل عنك، وجه محمد بالحديث فأضربه بالسيف فرجعا، فقال عامر: يا محمد قم معي أكلمك فقام معه ووقف يكلمه وسل أربد السيف فلما وضع يده على قائم السيف يبست والتفت رسول الله ﷺ فرآه فانصرف عنهما فخرجا حتى إذا كان بالرقم أرسل الله على أربد صاعقة فقتلته فأنزل الله: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾ [الرعد:٨] إلى قوله: ﴿ شَدِيدُ

---

(١) ضعيف: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٧٦٠) وفي «الأوسط» (٩١٢٧) وفيه عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف. انظر «مجمع الزوائد» للهيثمي (١١٠٩١).

الْمِحَالِ﴾ [الرعد:١٣] ، وقال ابن عباس في رواية أبي صالح وابن جريج وابن زيد: نزلت هذه الآية والتي قبلها في عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة ، وذلك أنهما أقبلا يريدان رسول الله ﷺ فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك ، فقال: «دعه فإن يرد الله به خيرًا يهده » فأقبل حتى قام عليه فقال: يا محمد ما لي إن أسلمت؟

فقال: «**لك ما للمسلمين وعليهم ما عليك** ».

قال: تجعل لي الأمر بعدك؟

قال: «**ليس ذلك إلي إنما ذاك إلى الله يجعله حيث يشاء.**

قال: فتجعلني على الوبر وأنت على المدر؟

قال: «**لا**».

قال : فماذا تجعل لي؟

قال: «**أجعل لك أعنة الخيل تغدو عليها** ».

قال: ليس ذلك إلي اليوم ؟ وكان أوصى أربد بن ربيعة إذا رأيتني أكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل يخاصم رسول الله ﷺ ويراجعه فدار أربد خلف النبي ﷺ ليضربه فاخترط من سيفه شبرًا ثم حبسه الله فلم يقدر على سله وجعل عامر يومئ إليه فالتفت رسول الله ﷺ فرأى أربد وما يصنع بسيفه فقال: «**اللهم اكفينهما بما شئت**» فأرسل الله على أربد صاعقة في يوم صائف صاح فأحرقته وولى عامر هاربًا وقال: يا محمد دعوت ربك فقتل أربد والله لأملأنها عليك خيلاً جردًا وفتيانًا مردًا فقال رسول الله ﷺ : «**يمنعك الله من ذلك وأبناء قيلة**» ـ يريد الأوس والخزرج ـ فنزل عامر ببيت امرأة سلولية فلما أصبح ضم عليه سلاحه فخرج وهو يقول: واللات لئن أصحر إلي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لأنفذهما برمحي فلما رأى الله تعالى ذلك منه أرسل ملكًا فلطمه

بجناحه فأذراه في التراب وخرجت على ركبته غدة في الوقت عظيمة فعاد إلى بيت السلولية وهو يقول: غدة كغدة البعير، وموت في بيت سلولية ثم مات على ظهر فرسه وأنزل الله فيه هذه القصة: ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ﴾ [الرعد: ١٠] حتى بلغ: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ [الرعد: ١٤] وأخرج النسائي والبزار والواحدي واللفظ له عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً مرة إلى رجل من فراعنة العرب فقال: « **اذهب فادعه لي** » فقال: يا رسول الله إنه أعتى من ذلك [ق / ١٩٧ أ] .

قال: « **اذهب فادعه لي** » [ق / ١٥٣ ب] ، فذهب إليه، فقال: يدعوك رسول الله ﷺ .

فقال : وما الله ؟ أ من ذهب هو ؟ أو من فضة ؟ أو من نحاس قال: فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره ، وقال: قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك قال لي كذا وكذا فقال : « ارجع إليه [الثانية فادعه فرجع إليه فأعاد عليه مثل الكلام الأول فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال ارجع إليه فرجع إليه][(١)] الثالثة فأعاد عليه ذلك الكلام فبينما هو يكلمه إذ بعثت إليه سحابة حيال رأس فرعدت فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه فأنزل الله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد:١٣] .

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الرعد: ٣٠] قال أهل التفسير[(٢)] : نزلت في صلح الحديبية حين أرادوا كتاب الصلح فقال رسول الله ﷺ لعلي اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو والمشركون ما نعرف

---

(١) سقط من أ.

(٢) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٤٥٤).

الرحمن إلا صاحب اليمامة ـ يعنون مسيلمة الكذاب ـ اكتب باسمك اللهم وهكذا كانت الجاهلية يكتبون ، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال ابن عباس في رواية الضحاك[١] : نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ : «**اسجدوا للرحمن**» قالوا: وما الرحمن؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال: قل لهم إن الرحمن الذي أنكرتم معرفته هو ربي لا إله إلا هو.

قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ** ﴾ [الرعد: ٣١] أخرج ابن أبي حاتم وابن مردوية عن عطية العوفي قال[٢] : قالوا للنبي ﷺ لو سيرت لنا جبال مكة تتسع فنحرث فيها أو قطعت لنا الأرض كما كان سليمان يقطع لقومه بالريح، أو أحييت لنا الموتى كما كان عيسى يحيي الموتي لقومه فأنزل الله: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ** ﴾ [الرعد: ٣١] الآية وأخرجه الواحدي[٣] عن الزبير قال: قالت قريش للنبي ﷺ تزعم أنك نبي يوحى إليك وأن سليمان سخر له الرياح وأن موسى سخر له البحر وأن عيسى كان يحيي الموتى فادع الله أن يسير عنا هذه الجبال ويفجر لنا الأرض أنهاراً فنتخذها محارث ومزارع ونأكل ، وإلا فادع الله أن يحيي لنا موتانا فنكلمهم ويكلمونا، وإلا فادع الله أن يصير هذه الصخرة التي تحتك ذهبًا فننحت منها وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف فإنك تزعم أنك كهيئتهم فبينها نحن حوله إذ نزل عليه الوحي فلما سرى عنه قال: «والذي نفسي بيده لقد أعطاني ما سألتم ولو شئتم لكان، ولكنه خيرني بين أن تدخلوا في باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم وبين أن يكلكم إلى ما اخترتم لأنفسكم فتضلوا عن باب الرحمة فاخترت باب الرحمة، وأخبرني إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم إنه معذبكم عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين فنزلت: ﴿ **وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ** ﴾ [الإسراء: ٥٩] ونزلت: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ**

---

(١) السابق.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٣ / ١٥٢).

(٣) «أسباب النزول» (ص / ٤٥٥).

الْجِبَالُ﴾ [الرعد: ٣١] الآية.

قوله تعالى: ﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ**﴾ [الرعد: ٣٩] [ق / ١٩٨ أ] أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: قالت قريش حين أنزل: ﴿**وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [الرعد: ٣٨] ما نراك يا محمد تملك من شيء لقد فرغ من الأمر فأنزل الله: ﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ** ﴾ [الرعد: ٣٩] قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً** ﴾ [الرعد: ٣٨] قال الكلبي: عيرت اليهود رسول الله ﷺ وقالت: ما نري لهذا الرجل همة إلا النساء والنكاح ولو كان نبيًا كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء فأنزل الله تعالى هذه الآية.

الفصل الثاني في بيان منسوخها

قال [الجعبري](١) : ليس فيها منسوخ، وقال أبو القاسم هبة الله: فيها من المنسوخ آيتان آية مجمع على نسخها وآية مختلف في نسخها فالمجمع على نسخها قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ ﴾ [الرعد: ٤٠] نسخت بآية السيف [وقوله (وعلينا الحساب) محكم والمختلف في نسخها](٢) قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ﴾ [الرعد: ٦] [ق / ١٥٤ ب] قال مجاهد: هي محكمة : وقال الضحاك نسخها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾ [النساء: ١١٦ ، ٤٨] فالظلم ها هنا الشرك، والله أعلم.

---

(١) في أ: يعضهم.
(٢) سقط من أ.

الفصل الثالث: في المتشابه من سورة الرعد

قوله: ﴿ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الرعد: ٢] ، وفي سورة لقمان: ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ﴾ [لقمان: ٢٩] لا ثاني له لأنك تقول في الزمان جرى اليوم كذا إلى يوم كذا، أو ليوم كذا والأكثر اللام كما في هذه السورة وسورة الملائكة ، وكذلك في يس: ﴿ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ [يس: ٣٨] لأنه بمنزلة التاريخ تقول: لبثت لثلاث بقين من الشهر وأتيتك لخمس مضت وأتيتك لخمس تبقى من الشهر، وأما في لقمان فوافق ما قبلها وهو قوله: ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [لقمان: ٢٢] والقياس لله كما في قوله: ﴿ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران: ٢٠] لكنه حمل على المعنى أن يقصد بطاعته إلى الله كذلك يجري إلى أجل مسمى أن يجري إلى وقته المسمى له .

قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٩] وبعدها: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [النحل: ٦٧] لأنه بالتفكر في الآيات يعقل ما جعلت الآيات دليلاً عليه فالأول يؤدي إلى الثاني، وهو سبب له والسبب مقدم على المسبب فناسب تقدم التفكر على التعقل قوله: ﴿ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ [هود: ٧، ٢٧] في هذه السورة موضعين وزعموا أنه لا ثالث لهما ليس هذا بتكرار محض لأن المراد بالأول آية مما اقترحوا نحو ما في قوله: ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ ﴾ [الإسراء: ٩٠] الآيات وبالثاني آية ما لأنهم لم يهتدوا إلى أن القرآن آية بل فوق كل آية وأنكروا سائر آياته ﷺ.

قوله: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الرعد: ١٥] ، وفي النحل: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ ﴾ [النحل: ٤٩] وفي الحج: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ ﴾ [الحج: ١٨] [ق / ١٩٩أ] لأن في هذه السورة تقدم ذكر العلو بآيات من البرق والسحاب والصواعق ثم ذكر الملائكة وتسبيحهم وذكر بآخره الأصنام

والكفار فبدأ هنا بذكر من في السماوات لذلك وذكر الأرض تبعًا ولم يذكر من فيها استخفافًا بالكفار والأصنام وأما ما في سورة الحج فقد تقدم عليه ذكر المؤمنين وسائر الأديان فقدم ذكر من في السماوات تعظيمًا لهم ولها وذكر من في الأرض لأنهم هم الذين تقدم ذكرهم ، وأما ما في النحل فقد تقدم عليه ذكر ما خلق الله على العموم ولم يكن فيه ذكر الملائكة ولا الإنس بالصريح فاقتضت الآية ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [النحل: ٤٩] فقال في كل آية ما لاق بها.

قوله: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦] قاله هنا بلفظ الله وكذا في القصص والعنكبوت [والروم وقاله في الإسراء وفي سبأ في موضعين](١) بلفظ الرب وفي الشورى بإضمار لفظ الله وبزيادة له في العنكبوت وفي ثاني موضعي سبأ موافقة لتقدم تكرر لفظ الله تعالى في السور الأربع وتقدم تكرر لفظ الرب في المواضع الثلاثة ولتقدم الإضمار في الشورى وزاد في العنكبوت : ﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾ [العنكبوت: ٦٢] وله موافقة لبسط الكلام على الرزق المذكور فيها صريحًا وزاد في القصص: ﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾ [القصص: ٨٢] موافقة لذلك وإن كان لفظ الرزق فيه تضمنًا وزاد: ﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾ [سبأ: ٣٩] في ثاني موضعي سبأ لأنه نزل في المؤمنين وما قبله في الكافرين فحذف لفظ له في غير العنبكوت، وفي أول موضعي سبأ اختصار.

قوله: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧] إن قلت: كيف طابق هذا الجواب قوله: ﴿لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الأنعام: ٣٧].

قلت: المعنى قل لهم أن الله أنزل عليه آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة لكن الاضلال والهداية من الله فأضلكم عن تلك الآيات وهدى إليها آخرين فلا فائدة في [ق / ١٥٥ ب] تكثير الآيات والمعجزات ، أو هو كلام جرى مجرى

(١) سقط من أ.

التعجب من قولهم لأن الآيات الباهرة المتكاثرة التي ظهرت على النبي ﷺ كانت أكثر من أن تشتبه على العاقل ، فلما طلبوا بعدها آيات أخر كان محل التعجب والإنكار، فكأنه قيل لهم: ما أعظم عنادكم إن الله يضل من يشاء كمن كان على صنيعكم من التصميم على الكفر فلا سبيل إلى هدايتكم، وإن أنزلت كل آية ، ويهدي من كان على خلاف صنيعكم.

قوله: ﴿ **أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ** ﴾ [الرعد: ٣٣] إن قلت: كيف طابقه قوله عقبه: ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ** ﴾ [الرعد: ٣٣] ؟ قلت: فيه محذوف تقديره أفمن هو رقيب على كل نفس طالحة وصالحة يعلم ما كسبت من خير وشر كمن ليس كذلك من شركائهم التي لا تضر ولا تنفع ويدل على قوله: ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ** ﴾ [الرعد: ٣٣] ونحوه قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ** ﴾ [الزمر: ٢٢] تقديره كمن قسا قلبه يدل له قوله: ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ** ﴾ [الزمر: ٢٢].

قوله: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكُم** ﴾ [الرعد: ٣٨] [٢٠٠ / أ] ومثله في المؤمن ليس بتكرار قال ابن عباس: عيروا رسول الله ﷺ بالنكاح والتكثر منه فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً** ﴾ [الرعد: ٣٨] بخلاف المؤمن فالمراد منه لست ببدع من الرسل: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ** ﴾ [غافر: ٧٨] .

قوله: ﴿ **وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** ﴾ [الرعد: ٤٢] إن قلت: كيف أثبت لهم [مكرًا ثم نفاه عنهم بقوله: «فلله المكر جميعًا؟ قلت: معنا: «أن][(١)] مكر الماكرين مخلوف له ولا يضر إلا بإرادته فإثباته لهم باعتبار الكسب ونفيه عنهم باعتبار الخلق.

(١) سقط من أ.

خاتمة في شيء من فضلها

قال القرطبي[١] : ذكر الخطيب أبو بكر بن أحمد بن علي من حديث سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده قال: كنا مع عمر في سفر فأصابنا رعد وبرق فقال لنا كعب: من قال حين يسمع الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثلاثًا عوفي مما يكون في ذلك الرعد، ففعلنا فعوفينا، ثم لقيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإذا بردة قد أصابت أنفه فأثرت فيه فقلت يا أمير المؤمنين: ما هذا.

فقال: بردة أصابت أنفي فأثرت، فقلت: إن كعبًا حين سمع الرعد قال: [لنا: من قال حين يسمع الرعد:][٢] : سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثلاثًا عوفي مما يكون في ذلك الرعد، فقلنا فعوفينا، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أفلا قلتم لنا حتى نقولها.

ورواه من وجه آخر بهذا المعنى قال: كنا مع عمر في سفر بين المدينة والشام ثم قال : قلت لعمر يا أمير المؤمنين كأنا كنا في غير ما كان فيه الناس إلى آخره.

(١) «التذكار في أفضل الأذكار» (ص / ١٦١) ولم أقف على الحديث.

(٢) سقط من أ.

سورة إبراهيم عليه السلام
مكية

قال ابن عباس: إلا: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم:٢٨] إلى: ﴿الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم:٢٩]، وهي خمسون آية بصري واثنان كوفي وأربع حجازي وخمس شامي.

الفصل الأول: في أسباب نزولها

قال في الدر المنثور(١): أخرج النحاس في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سورة إبراهيم عليه السلام نزلت بمكة سوى آيتين منها نزلتا بالمدينة وهما: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ﴾ [إبراهيم:٢٨] الآيتين نزلتا في قتلى ببدر من المشركين، وأخرج أبو نعيم في «الحلية» (٢) من طريق مالك بن أنس عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين قال: لما قال له سفيان الثوري - رضي الله عنه -: [لا أقوم حتى تحدثني، قال جعفر - رضي الله عنه -:](٣) أما إني أحدثكم وما كثرة الحديث لك بخير يا سفيان، إذ أنعم الله عليك بنعمة [١٥٦ / ب] فأحببت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر عليها فأنزل الله في كتابه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠، ١١، ١٢] يا سفيان إذا حز بك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله [٢٠١ / أ] فإنها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة.

وأخرج ابن النجار في «تاريخه» والضياء المقدسي في «المختارة» عن أنس

---

(١) (٥ / ٣).
(٢) (٣ / ١٩٣).
(٣) سقط من أ.

رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من ألهم خمسة لم يحرم خمسة، من ألهم الدعاء لم يحرم الإجابة لأن الله يقول: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾** [غافر: ٦٠] **ومن ألهم التوبة لم يحرم القبول لأن الله يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عن عباده﴾** [الشورى: ٢٥] ومن ألهم الشكر لم يحرم الزيادة لأن الله يقول: **﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾** [إبراهيم: ٧] **ومن ألهم الاستغفار لم يحرم المغفرة لأن الله يقول ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾** [نوح: ١٠] **ومن ألهم النفقة لم يحرم الخلف لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾** (١) [سبأ: ٣٩] وأخرج المستغفري في الدعوات عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا آذاك البرغوث فخذ قدحًا من ماء واقرأ عليه سبع مرات: ﴿ وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾** [إبراهيم: ١٢] الآية فإن كنتم مؤمنين فكفوا شركم وأذاكم عنا ثم ترشه حول فراشك فإنك لتبيت آمنًا من شرها(٢) .

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله ذهب أهل الدثور فقال: «أرأيت لو عمد إلى متاع الدنيا فركب بعضها إلى بعض أكان يبلغ السماء؟ أفلا أخبرك بعمل أصله في الأرض وفرعه في السماء؟ تقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله عشر مرات في دبر كل صلاة فذلك أصله في الأرض وفرعه في السماء.

وأخرج ابن جرير(٣) وابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: تلا رسول الله ﷺ: **﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾**

---

(١) ضعيف: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٤٥٢٨) من حديث ابن مسعود وقال: المحفوظ: هذا المتن بالإسناد الأول، وعبد العزيز بن أبان متروك ، وروى من وجه آخر ضعيف. وقد أخرجه الضياء المقدسي في «المختارة» (١٨١٤) وعبد الغنى المقدسي في «الترغيب في الدعاء» (١٧) عن أنس.

(٢) ضعيف جدًا: «عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥ / ١١ ، ١٢) : للديلمي في «مسند الفردوس» وللمستغفري في «الدعوات » وقد قال السيوطي في مقدمة كتابه «الجامع الكبير»: وكل ما كان في كتاب. . . . وللديلمي في «مسند الفردوس» فهو ضعيف. أ. هـ.

(٣) «التفسير» (١٣ / ٢١٥).

[إبراهيم:٢٧] قال: «ذاك إذا قيل في القبر: من ربك؟ وما دينك؟ فيقول ربي وديني الإسلام ونبي محمد ﷺ جاءنا بالبينات والهدى من عند الله فآمنت به وصدقت فيقال له: صدقت على هذا عشت وعليه مت وعليه نبعث.

وأخرج ابن مردويه [1] عن أنس رضي الله عنه قال: خدم رسول الله ﷺ رجل من الأشعريين سبع حجج فقال: إن لهذا علينا حقًا ادعوه فليرفع إلينا حاجته، فدعوه فقال رسول الله ﷺ: «**إرفع إلينا حاجتك**» فقال: يا رسول الله دعني حتى أصبح فأستخير الله، فلما أصبح دعاه فقال: يا رسول الله أسألك الشفاعة يوم القيامة، فقال رسول الله ﷺ: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [إبراهيم:٢٧] قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود.

وأخرج ابن أبي شيبة[2] وابن المنذر عن ميمون بن أبي شبيب رحمه الله قال: أردت الجمعة في زمن الحجاج فتهيأت للذهاب، وقلت: إني أذهب أصلي خلف هذا؟ فقلت مرة: أذهب، ومرة: لا أذهب، فناداني مناد من جانب البيت: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ [الجمعة:٩] قال: وجلست مرة أكتب كتابًا فعرض لي شيء إن كتبته زين كتابي، [٢٠٢ / أ] وكنت قد كذبت وإن أنا تركته كان في كتابي بعض القبح وكنت قد صدقت، فناداني مناد من جانب البيت: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [إبراهيم:٢٧] الآية.

وأخرج البخاري في «تاريخه» وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في قوله: ﴿**الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا**﴾ [إبراهيم:٢٨] [١٥٧ /ب] قال هما الأفجران من قريش، بنو المغيرة وبنو أمية، فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر، وأما بنو أمية فتمتعوا إلى حين، وأخرج ابن مردويه عن

---

(١) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٧٣٦) وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥ / ٤٠) لابن مردوية.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٥٤٠٣) وأبو نعيم في «الحلية» (٤ / ٣٧٥).

ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لعمر رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين هذه الآية: ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم:٢٨] قال: هم الأفخران من قريش: أخوالي وأعمامك، فأما أخوالي فاستأصلهم الله يوم بدر، وأما أعمامك فأملى لهم الله إلى حين.

وأخرج ابن مردويه عن علي رضي الله عنه أنه سئل عن الذين بدلوا نعمة الله كفرًا قال: بنو أمية وبنو مخزوم رهط أبي جهل.

وأخرج ابن أبي حاتم [1] عن أبي حسن رضي الله عنه قال: قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: ألا أحد يسألني عن القرآن فو الله لو أعلم اليوم أحدًا، أعلم به مني وإن كان من وراء البحور لأتيته فقام عبد الله بن الكواء رضي الله عنه فقال: من الذين بدلوا نعمة الله كفرًا؟ قال: هم مشركوا قريش، أتتهم نعمة الله الإيمان فبدلوا قومهم دار البوار.

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج ـ رضي الله عنه ـ في قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠] قال: فلن تزال من ذرية إبراهيم عليه السلام ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى حتى تقوم الساعة.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي ـ رضي الله عنه ـ قال: ما يسرني نصيبي من دعوة نوح وإبراهيم للمؤمنين والمؤمنات حمر النعم.

وهذا نقلناه وإن لم يكن فيه من أسباب النزول سوى ما يتعلق بقوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم:٢٨] الآيتين ففيه زيادة الفائدة مع ندور السبب.

---

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٨ / ٣٧٣) وابن جرير (١٣ / ٢١٩) عن عمر. وأخرجه ابن جرير (١٣ / ٢٢٠) والحاكم (٣٣٤٣) عن علي. وهو ضعيف عن علي.

الفصل الثاني

سورة إبراهيم محكمة عند جميع المـفسرين إلا عند عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال فيها: آية منسوخة وهي قوله تعالى: ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّه لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** ﴾ [إبراهيم: ٣٤] نسخت بقوله تعالى: ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [النحل: ١٨] والجماعة على خلافه، ومعناها التجاوز عن الكافر إذا أسلم، أو التجاوز عن غير الشاكر.

الفصل الثالث: في المتشابه من سورة إبراهيم

قوله: ﴿ وَيُذَبِّحُونَ﴾ [إبراهيم:٦] بواو العطف قد سبق في البقرة وقوله: ﴿وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ ﴾ بنون واحدة [إبراهيم:٩] ﴿مِّمَّا تَدْعُونَنَا﴾ [إبراهيم:٩] بنونين تقدم في هود.

قوله: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ [إبراهيم: ١٠] (من) زائدة، إذ الإسلام يغفر ما قبله، أو تبعيضية لإخراج حق العباد.

قوله: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١] قال ذلك هنا وقال بعد: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢] لأن الإيمان سابق على الوكل.

قوله: ﴿ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا على شئ﴾ [إبراهيم:١٨] [٢٠٣ / أ] وقال في البقرة: ﴿ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ [البقرة: ٢٦٤]] لأن الأصل هو ما في البقرة](١) فإن (على) من صلة القدرة، ومما كسبوا صفة لشيء [وإنما قدم (مما كسبوا)](٢) في السورة لأن الكسب هو المقصود بالذكر فإن المثل ضرب للعمل يدل عليه قوله ما قبله وهو قوله: ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم:١٨] .

قوله: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [إبراهيم:٣٢] ، وفي النمل: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ [النمل: ٦٠] بزيادة لكم لأن لكم في هذه السورة مذكور في آخر الآية فاكتفى بذكره ولم يكن في النمل في آخرها فذكر في أولها وليس قوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ﴾ [النمل: ٦٠] كافيًا عن ذكره، لأنه نفي لا يفيد معنى الأول.

قوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٦] إن قلت: كيف جعل الأصنام مضلة والمضل ضار، وقد نفى عنها الضرر بقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

---

(١) سقط من أ.

(٢) سقط من أ.

مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ ﴾ [يونس:١٨] ؟

قلت: نسبة الاضلال إليها مجاز من باب نسبة الشيء إلى سببه، كما يقال: قتلتهم الدنيا، دواء مسهل ، فهي سبب للاضلال وفاعله حقيقة هو الله.

قوله: ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ** ﴾ [إبراهيم:٤٢] إن قلت: كيف يحسبه النبي ﷺ غافلاً وهو أعلم الخلق بالله؟

قلت: المراد دوام نهيه عن ذلك كقوله تعالى: ﴿ **وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [القصص:٨٧] وقوله ﴿ **وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ** ﴾ [القصص:٨٨] ونظيره في الأمر [١٥٨ / ب] قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ [النساء:١٣٦] أو هو مجاز معناه: لا تحسبن الله يمهل الظالمين لكونه من لوازم الغفلة.

أو نهي لغير النبي ﷺ ممن يحسبه غافلاً لجهله بصفاته .

خاتمة في شيء من فضلها

قال القرطبي[1] : إذا سرقت سرقة فاكتب على رغيف عمل بغير ملح : ﴿ يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم: ١٧] ، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً (٤٥) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٤٥ ، ٥٥]. . انتهى.

وتقدم آنفًا في الحديث أنه يقرأ للبراغيث ﴿ وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم: ١٢] . . انتهى.

---

(١) «التذكار في أفضل الأذكار» (ص / ١٦٢) وهذا الكلام لا أصل له في الشرع.

سورة الحجر: مكية
تسع وتسعون آية
الفصل الأول: في أسباب نزولها

قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾ [الحجر: ٢٤] الآية روى الترمذي والنسائي والحاكم(١) وغيرهم عن ابن عباس قال: كانت امرأة تصلي خلف رسول الله ﷺ حسناء من أحسن الناس فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها ، ويستأخر بعضهم حتي يكون في الصف المؤخر فإذا ركع نظر من تحت إبطه فأنزل الله: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾ [الحجر: ٢٤] .

وقال الربيع بن أنس(٢) : حرّض رسول الله ﷺ على الصف الأول في الصلاة فازدحم الناس عليه، فكان بنو عذرة دورهم قاصية عن المسجد فقالوا: نبيع دورنا ونشتري دوراً قريبة من المسجد [٢٠٤ / أ] فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الحجر: ٤٥] أخرجه الثعالبي(٣) عن سلمان الفارسي لما سمع قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٤٣] فر ثلاثة أيام هاربًا من الخوف لا يعقل ، فجيء به إلي النبي ﷺ فسأله فقال يا رسول الله أنزلت هذه الآية: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٤٣] فو الذي بعثك نبيًا لقد قطعت قلبي فأنزل الله: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢٧٨٤) والترمذي (٣١٢٢) والنسائي (٨٧٠) وابن ماجه (١٠٤٦) وابن خزيمة (١٦٩٦) وابن حبان (٤٠١) والحاكم (٣٣٤٦) وصححه ووافقه الذهبي والألباني.

(٢) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٤٥٨).

(٣) هكذا عزاه للثعلبي السيوطي في «لباب النقول» (ص / ١٣١) ولم أقف عليه.

جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥].

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الحجر: ٤٧] أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الحجر: ٤٧] قيل: وأي غل؟ قال: غل الجاهلية، إن بني تميم وبني عدي وبني هاشم كان بينهم في الجاهلية عدواة فلما أسلم هؤلاء القوم تحابوا فأخذت أبا بكر الخاصرة فجعل علي يسخن يده فيكمد بها خارصة أبي بكر فنزلت هذه الآية(١).

قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي﴾ [الحجر: ٤٩] أخرج ابن مردويه (٢) عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: طلع ﷺ من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة فقال: «إني أراكم تضحكون ثم أدبر ثم رجع القهقري فقال: «إني خرجت حتى إذا كنت عند الحجر جاء جبريل فقال: « يا محمد إن الله يقول لم تقنط عبادي؟: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠] قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧] قال الحسن بن الفضل(٣): إن سبع قوافل [وافت] (٤) من بصرى وأذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد، فيها أنواع من البز وأوعية الطيب والجواهر وأمتعة البحر فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها فأنفقناها في سبيل الله فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال: « قد أعطيتكم سبع آيات خير لكم من هذه السبع القواف، ويدل على صحة هذا قوله على إثرها: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ [الحجر: ٨٨] الآية.

---

(١) انظر «لباب النقول» للسيوطي (ص / ١٣٢).
(٢) السابق.
(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٤٥٩).
(٤) في أ: دانت.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥] أخرج البزار والطبراني[١] عن أنس بن مالك قال: مرّ النبي ﷺ على أناس بمكة فجعلوا [١٥٩ / ب] يغمزون في قفاه ويقولون هذا الذي يزعم أنه نبي؟ ومعه جبريل فغمز جبريل بإصبعه فوقع مثل الظفر في أجسادهم فصارت قروحًا حتى نتنوا فلم يستطع أحد حتى يدنوا منهم فأنزل الله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥].

وقال في الدر المنثور: أخرج ابن مردويه، وأبو نعيم في «الدلائل» من طريق جوهر عن الضحاك عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة قال: إن محمداً كاهن يخبر بما يكون قبل أن يكون، قال أبو جهل: محمد ساحر يفرق بين الأب والابن، وقال عقبة بن أبي معيط: محمد مجنون يهذي في جنونه، وقال أبي ابن خلف: محمد كذاب، فأنزل الله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥] القتل ببدر، وذكر دوايات أخر في عددهم، وفي أن كل واحد منهم مات بشيء أصابه.

---

(١) ضعيف: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧١٢٧) وقال الهيثمي في «المجمع» (١١١٢): رواه الطبراني في الأوسط والبزار بنحوه وفيه يزيد بن درهم. ضعفه ابن معين ووثقه الفلاس.

الفصل الثاني: في المنسوخ من سورة الحجر

وهو ثلاث آيات [٢٠٥ / أ].

الأولى: قوله: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا ﴾ [الحجر: ٣]

إن أريد الكف عن قتالهم فمنسوخة بالسيف، أو التهديد فمحكمة.

الثانية: ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥] قال قتادة: منسوخة بالسيف، هذا إن حمل على الصفح عن الكفار، فإن حمل على الصفح عن بوادر المؤمنين فمحكمة.

الثالثة: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤] قال ابن عباس: منسوخة بالسيف، وإن أريد ترك مخالطتهم فمحكمة: انتهى والله أعلم.

الفصل الثالث: في المتشابه من سورة الحجر

قوله: ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر: ٦] إن قلت: كيف وصفوه بالجنون من قولهم ﴿ نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ﴾ [الحجر: ٦] أي القرآن المستلزم ذلك إعترافهم بنبوته؟ قلت: إنما قالوا ذلك استهزاءً وسخرية لا اعترافًا كما قال فرعون لقومه: ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الشعراء: ٢٧]، أو فيه حذف أي: يا أيها الذي تدعى أنك نزل عليك الذكر.

قوله: ﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا ﴾ [الحجر: ٧] وفي غيرها (لولا) لأن لولا تأتي على وجهين.

أحدهما: إمتناع الشيء لوجود غيره، وهو الأكثر.

والثاني: بمعنى هلا، وهو للتخصيص، وتختص بالفعل و(لو ما) بمعناها، وخصت هذه السورة (بلو ما) موافقة لقوله تعالى: ﴿ رُّبَمَا ﴾ [الحجر: ٢] فإنها أيضًا مما خصت به هذه السورة.

قوله: ﴿ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾ [الحجر: ٢٣] إن قلت: كيف قال ذلك والوارث من يتجدد وله الملك بعد فناء المورث، والله تعالى لم يتجدد له ملك لأنه لم يزل مالكًا للعالم؟

قلت: الوارث لغة: هو الباقي بعد فناء غيره وإن لم يتجدد له ملك فمعنى الآية: ونحن الباقون بعد فناء الخلائق، وإن الخلائق لما كانوا يعتقدون أنهم مالكون ويسمون بذلك أيضًا مجازًا ثم ماتوا خلصت الأملاك كلها لله تعالى عن ذلك التعلق، فبهذا الاعتبار سمي وارثًا.

ونظير ذلك قوله: ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ [غافر: ١٦] والملك له أزلاً وأبدًا.

قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا ﴾ [الحجر: ٢٨] وفي البقرة: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ ﴾ [البقرة: ٣٠] ولا ثالث لهما، لأن (جعل) إذا

كان بمعنى (خلق) يستعمل في الشيء يتجدد ويتكرر كقوله: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام:١] لأنهما يتجددان زمانًا بعد زمان، وكذلك الخليفة المذكور في آية البقرة يدل لفظه على أن بعضهم يخلف بعضًا إلى يوم القيامة ، وخصت هذه السورة بقوله: ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا ﴾ [الحجر:٢٨] إذ ليس في لفظ البشر ما يدل على التجدد والتكرار فجاء في كل واحدة من السورتين ما اقتضاه ما بعده من الألفاظ .

قوله: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [الحجر: ٣٠] في هذه، وفي ص. لأنه لما بالغ في السورتين [في الأمر بالسجود وهو قوله : « فقعوا له ساجدين» في السورتين] (١) بالغ في الامتثال فيها فقال : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [الحجر: ٣٠] لتقع المواقفة بين أولاهما وأخراهما ، وباقي قصة آدم وإبليس سبق .

قوله: ﴿ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٥] في هذه السورة بالألف واللام، وفي ص: ﴿لَعْنَتِي﴾ [ص:٧٨] بالإضافة لأن الكلام في هذه السورة جرى على الجنس من أول القصة في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ ﴾ [الحجر: ٢٦] ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾ [الحجر:٢٧] ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ﴾ [الحجر: ٣٠] فلذلك [٢٠٦ / أ] قال اللعنة [١٦٠ / ب] وفي ص. تقدم ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥] فختم بقوله: ﴿لَعْنَتِي﴾ [ص:٧٨] .

قوله: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا ﴾ [الحجر:٤٧] [زاد هنا : إخوانًا](٢) لأنها نزلت في أصحاب رسول الله ﷺ ،وقاله في غير هذه السورة بدونها لأنه نزل في عامة المؤمنين .

قوله في قصة إبراهيم: [فقالوا سلامًا قال إنا منكم وجلون] لأن هذه السورة

---

(١) سقط من أ.

(٢) سقط من أ.

متأخرة فاكتفى بما في هود لأن التقدير فقالوا سلامًا قال سلام: ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ [هود: ٦٩، ٧٠] ﴿ قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾ [الحجر: ٥٢] في هذه السورة وحذف ما ذكر هناك للدلالة عليه.

قوله: ﴿ لا تَوْجَلْ ﴾ [أي لاتخف] [الحجر: ٥٣] وبه عبر في هود توسعة في التعبير عن الشيء الواحد، بمتساويين، وخص من هنا بالأول لموافقته قوله ﴿ وَجِلُونَ ﴾ [الحجر: ٥٢] وما في هود بالثاني لموافقته قوله: ﴿ خِيفَةً ﴾ [هود: ٧٠].

قوله: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ [الحجر: ٧٤] لم يعلم وجه تخصيص هذه السورة بهذا أو سورة هود (بعليها).

قوله: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر: ٧٥] بالجمع، وبعدها ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٧٧] على التوحيد.

قال الخطيب: الأولى إشارة إلى ما تقدم من قصة لوط وضيف إبراهيم وتعرض قوم لوط لهم طعامًا فيهم وقلب القرية على من فيها وإمطار الحجارة عليها وعلى من غاب منهم فختم بقوله: ﴿ لآية للمتوسمين ﴾ [الحجر: ٧٥] أي لمن تدبر السمة وهي ما وسم الله به قوم لوط وغيرهم.

قال: والثانية تعود إلى القرية: ﴿ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴾ [الحجر: ٧٦] وهي واحدة فوحد الآية.

قال: ما جاء في القرآن من الآيات فلجمع الدلائل، وما جاء من الآية بالإفراد فلوحدانية المدلول عليه، فلما ذكر عقيبة المؤمنين وهم المقرون بوحدانية الله تعالى وحد الآية، وليس لها نظير إلا في العنكبوت، وهو قوله: ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٤٤] فوحد بعد ذلك الجمع لما ذكرت والله أعلم.

قـوله: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الحجر: ٨٠] الحـجر: اسم واديهم أو مدينتهم، فإن قلت: أصحابه، وهم قوم صالح إنما كذبوا صالحًا لأنه المرسل إليهم لا المرسلين كلهم.

قلت: من كذب رسولاً واحدًا كذب جميع الرسل لاتفاقهم في دعوة الناس إلى توحيد الله تعالى.

قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢] إن قلت: كيف قال ذلك هنا وقال في الـرحمن: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ﴾ [الرحـمن: ٣٩] ؟ قلت: لأن في يوم القيامة مواقف ففي بعضـها يسألون، وفي بعضها لا يسألون، وتقدم نظيره في هود أو لأن المراد هنا أنهم يسألون سؤال توبيخ، وهو لم فعلتم؟ أو نحوه، وثم لا يسألون سؤال استعلام واستخيار.

سورة النحل

مكية إلا قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ [النحل:١٢٦]

إلى آخر السورة مائة وثمان وعشرون آية

قوله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١] الآية قال ابن عباس(١): لما أنزل الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] قال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن، فلما رأوا أنه لا ينزل [٢٠٧ / أ] شيء قالوا: ما نرى شيئًا فأنزل الله: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١] فأشفقوا وانتظروا قرب الساعة، فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئًا مما تخوفنا به فأنزل الله عز وجل: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: ١] فوثب النبي ﷺ ورفع الناس رؤوسهم فنزل: ﴿فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١] فاطمأنوا فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين ـ وأشار بإصبعيه ـ إن كادت لتسبقني**».

فالأمر على هذا وهو القيامة، وقال آخرون: الأمر ها هنا العذاب بالسيف، وهذا جواب للنضر بن الحارث حين قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء [١٦١ / ب]، ويتعجل العذاب فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ٤] نزلت(٢) في أبي بن خلف الجمحي حين جاء بعظم رميم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أترى أن الله يحيي هذا بعد ما قد رم؟ نظير هذه الآية في سورة يس:

---

(١) انظر «أسباب النزول» للواحدي (/ ٤٦١).
(٢) السابق (ص / ٤٦٢).

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس: ٧٧] إلى آخر السورة نازلة في هذه القصة.

قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾ [النحل: ٣٨] الآية قال الربيع بن أنس عن أبي العالية(١) : كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين فأتاه يتقاضاه وكان فيما حكم به: والذي أرجوه بعد الموت، فقال المشرك: وإنك لتزعم أنك تبعث بعد الموت؟ فأقسم بالله لا يبعث الله من يموت، فأنزل الله هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ﴾ [النحل: ٤١] الآية نزلت(٢) في أصحاب النبي ﷺ بمكة بلال وصهيب وخباب وعامر وأبي جندل ابن سهيل وعباس، أخذهم المشركون بمكة فعذبوهم وآذوهم فبوأهم الله تعالى المدينة بعد ذلك.

وقال قتادة: جميع المهاجرين بوأهم الله تعالى إلى المدينة.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نوصي إليهم ﴾ [النحل: ٤٣] الآية نزلت(٣) في مشركي مكة أنكروا نبوة محمد ﷺ قالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا فهلا بعث إلينا ملكًا؟

قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا ﴾ [النحل: ٧٥] الآية أخرج الواحدي (٤) عن عكرمة عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٧٥] في هشام بن عمرو وهو الذي ينفق ماله سرًا وجهرًا ومولاه أبي الجوزاء الذي كان ينهاه، ونزلت: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ ﴾ [النحل: ٧٦] فالأبكم منهما الكل على مولاه وهو أسيد بن

---

(١) السابق.

(٢) السابق.

(٣) السابق (ص / ٤٦٣).

(٤) السابق وابن جرير (١٤ / ١٥١).

أبي العيص، والذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم هو عثمان بن عفان.

قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٨٣] الآية أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد[١] أن أعرابيًا أتى النبي ﷺ فسأله فقرأ عليه: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ [النحل: ٨٠] قال الأعرابي: نعم ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ [٢٠٨ / أ] [النحل: ٨٠] ثم قرأ عليه كل ذلك يقول: نعم حتى بلغ: ﴿كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١] فولى الأعرابي فأنزل الله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣].

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] أخرج الواحدي[٢] عن عبد الله بن عباس قال: بينما رسول الله ﷺ بفناء بيته بمكة جالسًا إذ مر به عثمان بن مظعون فكشر إلى رسول الله ﷺ فقال: ألا تجلس؟

فقال: بلا، فجلس إليه مستقبله فبينما هو يحدثه إذ شخص بصره إلى السماء فنظر ساعة فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه في الأرض ثم تحرف عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره فأخذ ينقض رأسه كأنه يستفقه ما يقال له، ثم شخص بصره إلى السماء كما شخص أول مرة فأتبعه بصره حتي توارى في السماء، وأقبل على عثمان كجلسته الأولى فقال: يا محمد فيم كنت أجالسك وأتيك ما رأيتك تفعل فعلتك الغداة، قال: «**وما رأيتني فعلت**»؟

قال: رأيتك شخص بصرك إلى السماء ثم وضعته حين وضعته على يمينك فتحرفت إليه وتركتني، فأخذت تنفض رأسك كأنك تستفقه شيئًا يقال لك، قال: أو فطنت إلى ذلك؟ قال عثمان نعم، قال: «أتاني رسول الله آنفًا وأنت

(١) انظر «لباب النقول» للسيوطي (ص / ١٣٣) وقد عزاه لابن أبي حاتم.

(٢) «أسباب النزول» (ص / ٤٦٤) وإسناده ضعيف. أخرجه أحمد (٢٩٢٢) والبخاري في «الأدب المفرد» (٨٩٣) والطبراني في «الكبير» (٨٣٢٢). وفيه شهر بن حوشب وقال الألباني في «الأدب»: ضعيف.

جالس، قال: فماذا قال لك؟ قال: قل لي: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠] قال عثمان: فذاك حين استقر الإيمان في قلبي [وأجبت][1] محمداً ﷺ.

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ﴾ [النحل: ١٠١] نزلت حين قال المشركون: إن محمداً يسخر بأصحابه، يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غداً ويأتيهم بما هو أهون عليهم، وما هو إلا مفتر يقوله من تلقاء نفسه، فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي بعدها.

قوله: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ ﴾ [النحل: ١٠٣] أخرج ابن جرير[2] بسند ضعيف[3] عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعلم فتى بمكة اسمه بلعام وكان أعجمي اللسان وكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج من عنده فقالوا: إنما يعلمه بلعام فأنزل الله: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾ [النحل: ١٠٣] الآية.

أخرج ابن أبي حاتم[4] من طريق حسين عن عبد الله بن مسلم الحضرمي قال: كان لنا عبدان أحدهما يقال له يسار، والآخر جبير صقليين فكانا يقرآن كتابهما ويعلمان علمهما، وكان رسول الله ﷺ يمر بهما فيسمع قراءتهما فقالوا: إنما يتعلم منهما فنزلت.

قوله: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ﴾ [النحل: ١٠٦] الآية قال ابن عباس[5] رضي الله عنهما: نزلت في عامر بن ياسر [وذلك أن المشركين أخذوه وأباه ياسر][6] وأمه سمية وصهيبًا وبلالاً وخبابًا وسالمًا فعذبوهم [٢٠٩ / أ]

---

(١) في ب: وأحببت. (٢) «التفسير» (٤٣١٦).
(٣) انظر «لباب النقول» للسيوطي (ص / ١٣٤).
(٤) السابق.
(٥) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٤٦٦).
(٦) سقط من أ.

فأما سمية فإنها ربطت بين بعيرين ووجيء قبلها بحربة، وقيل لها: إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما أو قتيلين في الإسلام وأما عمار فإنه أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهًا فأخبر رسـول الله ﷺ بأن عمار كفر فقال: كلا إن عمارًا مـلئ إيمانًا من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمـه ودمه، فأتى عمار رسول الله ﷺ [وهو يبكي فجعل رسول الله ﷺ][1] يمسح عينيه، وقال: إن عادوا لك فعد لهم بما قلت، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقـال مجـاهد: نزلت في ناس من أهل مكة آمنوا فكتـب إليهم المسلمـون بالمدينة: أن هاجروا فإنـا لا نراكم منا حتى تهاجروا إلينا فخـرجوا يريدون المدينة فأدركتهم قريش بالطريق ففتنوهم مكرهين ففيهم نزلت هذه الآية.

قوله: ﴿ **ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا** ﴾ [النحل: ١١٠] قال قتادة[2]: ذكر لنا أنه لما أنزل الله تعـالى أن أهل مكة لا يقبل منهم الإسلام حـتى يهاجروا كـتب بها أهل المدينة إلى أصـحابهـم من أهل مكة فلما جـاءهم ذلك خرجـوا فلحقهم المشركون فردوهم فنزلت: ﴿ **الٓمٓ ① أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ** ﴾ [العنكبوت: ١ ، ٢] فكتبـوا بها إليهم، فتبـايعوا بينهم على أن يخرجوا فإن لحـق بهم المشركون من أهل مكة قاتلوهم حتى يتجـوف أو يلحقوا بالله فأدركهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزل الله تعالى: ﴿ **ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا** ﴾ [النحل: ١١٠] .

وقـوله تعـالى: ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ** ﴾ [النحل: ١٢٥] قـال ابن عبـاس[3] رضي الله عنهما: لما انصرف المشركـون عن قتلى أحد انصرف رسول الله ﷺ فرأى منظرًا أساءه، رأى حمزة رضي الله عنه قد شق بطنه واصطلم أنفه وجـذعت أذناه فقـال: لولا أن يحزن الـنساء أو تكون [١٦٣ / ب] سنة بعـدي

---

(١) سقط من أ.

(٢) «أسباب النزول» للواحدي (ص / ٤٦٧).

(٣) السابق (ص / ٤٦٨).

لتركته حتى يبعثه الله من بطون السباع والطير، لأمثلن مكانه سبعين رجلاً منهم، ثم دعا ببـردة فغطى بهـا وجهه فـخرجت رجـلاه فجعل على رجليـه شيـئًا من الإذخر، ثم قدمه فكبر عليه عشرًا، ثم جعل يجاء بالرجل فيوضع وحمزة مكانه حتى صلى عليه سبعين صلاة، وكان القتلى سبعين ، فلما دفنوه وفرغ من دفنهم نزلت هذه الآية: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] إلى قوله: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] فصبر .ولم يمثل بأحد.

قـال أبو هريرة(١) : أشرف النبي ﷺ على حمزة فرآه صـريعًا فلم ير شيئًا كان أوجع بقلبه منه، فقال: «والله لأقتلن بك سبعين منهم» فنزلت: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [٢١٠ / أ] [النحل: ١٢٦].

قال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ «يوم قـتل حمزة ومثل به: لئن ظفرت بقريش لأمثلن سبعين رجلاً منهم فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦] فقـال رسول الله ﷺ: «بل نصبر » وأمسك عما أراد وكفر عن يمينه.

قال الشيخ الإمام الأوحـد أبو الحسن: ونحتاج أن نذكر ها هنا مـقتل حمزة رضي الله عنه، قال جعفـر بن عمرو بن أمية الضمري قال: خـرجت أنا وعبيد الله بن عدي فقال: هـل لك إلى أن تأتي وحشيًا فنسأله كيف كـان قتله حمزة؟ قلت له: إن شئت، فـخرجنا نسأل عنه فقـال لنا رجل أما إنكما ستـجدانه بفناء داره ، وهو رجل قد غلبت عليه الخمر فإن تجداه صـحايًا تجدا رجلاً غريبًا وتجدا عنده بعض ما تـريدان، فلما انتهـينا إليه سلمنا عليـه فرفع رأسه، قـلنا: جئناك لتحدثنا عن قتلك حمزة ـ رضي الله عنه ـ قال: إمـا أني سأحدثكما كما حدثت رسول الله ﷺ حين سألني عن ذلك، كنت غلامـًا لجبير بن مطعم بن عدي بن نول وكان عمه طعيمة بن عـدي قد أصيب يوم بدر فلما صارت قريش إلى أحد

---

(١) السابق.

قال لي جبير بن مطعم: إن قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة فأنت عتيق.

قال: فخرجت وكنت حبشيًا أقذف بالحربة قذف الحبشة قلما أخطئ بها شيئًا فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة حتى رأيته في عرض الجيش مثل الجمل الأورق يهد الناس بسيفه هدًا ما يقال له شيء فو الله إني لأتهيأ لهوأستتر منه بحجر أو شجر ليدنو مني إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى فلما رآه حمزة رضي الله عنه قال: ها يا ابن مقطعة البظور قال: ثم ضربه فو الله ما أخطأ رأسه، وهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها فوقعت في لبته حتي خرجت من بين رجليه فذهب ليبوء نحوي فغلب، وتركته حتى مات، ثم أتيته فأخذت حربتي ثم رجعت إلى الناس فقعدت في العسكر ولم تكن لي بغيره حاجة إنما قتلته لأعتق [فلما قدمت مكة أعتقت](١) فأقمت بها حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجت إلى الطائف فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ قال: فخرجت معهم حتى قدمت على النبي ﷺ، فلما رآني قال: «أنت وحشي»؟

قلت: نعم.

قال: «أنت قتلت حمزة ـ رضي الله عنه»؟.

قلت: كان من الأمر ما بلغك.

قال: فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني؟ فخرجت فلما قبض رسول الله ﷺ، وخرج الناس إلى مسيلمة الكذاب قلت: لأخرجن إلى مسيلمة لعلي أقتله فأكافيء به حمزة فخرجت مع الناس فكان من أمره ما كان.

---

(١) سقط من أ.

الفصل الثاني: في منسوخها وهو أربع آيات

الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ [النحل:٦٧] السكر: المسكر، وهو منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [١٦٤ /ب] [المائدة: ٩٠].

وقيل: محكمة.

الثانية: ﴿ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ [النحل:٩١] قيل: منسوخة بقوله: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ ﴾ [المائدة:٨٩] الآية، وبقوله عليه السلام: «**من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه**» [ق:٢١١ /أ] وقيل: محكمة، معناها: العهود التي كانت بينهم وبين الكفار.

الثالثة: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥] قيل: دل على الملاينة والكف عنهم، وهي منسوخة [بالسيف، وقيل: محكمة، ومعناها: إن طلبوا المناظرة لإظهار الحق](١) فلا تغلظ عليهم فتنفرهم عن سماع الحجة.

الرابعة: ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ [النحل:١٢٧] قال ابن عباس: اقتضت ترك القتال فهي منسوخة بالسيف.

والمختار أنها محكمة، ومعناها: تحمل في التبليغ وإن لم يسلموا [أو: امض على الصبر](٢).

---

(١) سقط من أ.

(٢) سقط من أ.

الفصل الثالث: في المتشابه منها

منها قوله تعالى: ﴿حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦] قدم الإراحة على السرح مع أنها مؤخرة عنه في الواقع، لأن الأنعام وقت الإراحة، وهي ردها عشاء إلى مراحها أجمل وأحسن منها حين سرحها لأنها تقبل مالئه البطون حافلة الضروع متهادية في مشيها، بخلافها وقت سرحها وهو إخراجها إلى المرعى.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١١ ، ١٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩] وحد الآية في هذه السورة في خمسة مواضع نظرًا لمدلولها وجمعها في موضعين لمناسبة قوله قبلها: ﴿مُسَخَّرَاتٌ﴾ [النحل: ١٢] .

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ [النحل: ١٤] قاله هنا بتأخير (فيه) عن مواخر وبالواو في ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ [النحل: ١٤] وقاله في فاطر بتقديم (فيه) وحذف الواو جريًا هنا على القياس إذ الفلك مفعول أول ومواخر مفعول ثان له، و(فيه) ظرف وحقه التأخير، والواو للعطف على لام العلة في قوله: ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ﴾ [النحل: ١٤] وقدم في فاطر (فيه) لمناسبة ما قبله من تقديم الجار والمجرور على ما بعده في قوله: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [فاطر: ١٢] وحذف الواو لعدم المعطوف عليه هناك.

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧] هذا من عكس التشبيه إذ مقتضى الظاهر العكس، لأن الخطاب لعباد الأصنام حيث سموها آلهة تشبيهًا به تعالى فجعلوا غير الخالق كالخالق، فخولف في خطابهم لأنهم بالغوا في عبادتها حتى صارت عندهم أصلاً في العبادة، والخالق فرعًا فجاء الإنكار على وفق ذلك ليفهموا المراد على معتقدهم، فإن قلت: المراد بمن لا يخلق الأصنام فكيف جيء (بمن) المختصة بأولي العلم؟ قلت: خاطبهم على معتقدهم لأنهم

سموها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أولي العلم، نظيره قوله تعالى: ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٩٥] الآية.

قوله تعالى: ﴿ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ﴾ [النحل: ٢١] [إن قلت: ما فائدة قوله في وصف الأصنام غير أحياء»](١) بعد قوله: ﴿أَمْوَاتٌ﴾ ؟ [النحل: ٢١].

قلت: فائدته أنها أموات لا يعقب موتها حياة [احترازًا عن أموات يعقب موتها حياة](٢) كالنطف والبيض والأجساد الميتة ، وذلك أبلغ في موتها، كأنه قال: أموات في الحال غير أحياء في المآل.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل: ٢١] إن قلت: كيف عاب الأصنام بأنهم لا يعلمون مع أن المؤمنين كذلك ؟ قلت : معناه وما يشعر الأصنام متي يبعث عبادها فكيف فتكون آلهة مع الجهل ؟ بخلاف المؤمنين فإنه يعلمون أنه يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [النحل: ٢٤] وبعده: ﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾ [النحل: ٣٠] إنما رفع الأول لأنهم أنكروا إنزال [٢١٢ / أ] القرآن فعدلوا عن الجواب فقالوا: أساطير الأولين، والثاني من كلام المتقين، وهم مقرون بالوحي والإنزال فقالوا: خيرًا أي أنزل خيرًا فيكون الجواب مطابقًا ، وخيرًا نصب ما بأنزل ، وإن شئت جعلت خيرًا مفعول القول أي قالوا خيرًا، ولم يقولوا شرًا كما قالت الكفار، وإن شئت جعلت خيرًا صفة مصدر محذوف أي: قالوا قولاً: خيرًا وقد ذكرت مسألة ماذا في موضعها.

قوله تعالى: [١٦٥ /ب] ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ

(١) سقط من أ.
(٢) سقط من أ.

يُضِلُّونَهُم ﴾ [النحل: ٢٥] أي ليحملوا أوزار كفرهم مباشرة، ومثل، أو بعض أوزار كفر من أضلوهم بتسببهم في كفرهم، فمن زائدة، أو تبغيضية ، وأما قوله تعالى: ﴿ولا تزرُ وازرةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥] فمعناه وزرًا لا مدخل فيه ولا تعلق له بها تسبب ولا غيره، ونظير هاتين الآيتين سؤالاً وجوابًا قوله تعالى: ﴿ولْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ ﴾ [العنكبوت: ١٢] إلى قوله: ﴿وأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣] .

قوله تعالى: ﴿ فَلَبِئْس مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [النحل: ٢٩] ليس له في القرآن نظير والفاء للعطف على فاء التعقيب في قوله ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ [النحل: ٢٩] واللام للتأكيد تجري مجري القسم موافقة لقوله: ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: ٣٠] وليس له نظير وبينهما ﴿ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [النحل: ٣٠] .

قوله تعالى: ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ [النحل: ٣٤] هنا والجاثية ، وفي غيرهما (ما كسبوا) لأن العمل أعم من الكسب ولهذا قال: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٨,٧]، وخصت هذه السورة لموافقة ما قبله، وهو قوله: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٢٨] ولموافقة ما بعده، وهو قوله: ﴿ وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾ [النحل: ١١١] ، ومثله: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ في [الزمر: ٧٠] وليس لها نظير.

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٤٠] إن قلت: هذا يدل على أن المعدوم شيء وعلى أن خطاب المعدوم جائز، مع أن الأول منتف عند أكثر العلماء ، والثاني بالإجماع ؟ قلت: أما تسميته شيئًا فمجاز بالأول ، وأما الثاني فلأن ذلك خطاب [تكوين لا خطاب إيجاد][(١)] فيمنع أن يكون المخاطب به موجودًا قبل الخطاب لأنه إنما يكون بالخطاب.

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَابَّةٍ﴾ [النحل: ٤٩]

---

(١) سقط من أ.

تجوز بالسجود عن الانقياد فيما لا يعقل، والسجود على الجبهة فيمن يعقل، ففيه جمع بين الحقيقة والمجاز، وإنما لم يغلب العقلاء من الدواب على غيرهم كما في آية: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ﴾ [لأنه أراد هنا عموم كل دابة][1] [النور: ٤٥] ولم يقترن بتغليب فجاء بـ (ما) التي تعم النوعين.

وفي تلك وإن أراد العموم ولكنه اقترن بتغليب، وهو ذكر ضمير العقلاء في قوله: ﴿فَمِنْهُم﴾ [النور: ٤٥] فجاء بـ (من) تغليبًا للعقلاء.

قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥٥] قاله هنا، وفي الروم بالتاء بإضمار القول أي: قل لهم: تمتعوا فإن مصيركم إلى النار [وقوله: «قل تمتع بكفرك قليلاً»][2] وقال في العنكبوت: ﴿ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ [٢١٣ / أ] باللام والياء على القياس، إذ هو معطوف على اللام، ومدخولها في قوله: ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ [النحل: ٥٥]، ومدخولها غائب.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [النحل: ٦١] [أي: على الأرض من دابة][3] قال ذلك هنا، وقال في فاطر ﴿ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥] ترك لفظ ظهرها هنا إحترازًا عن الجمع بين الظائين في (ظهرها) و(ظلمهم) بخلافه في فاطر إذ لم يذكر فيها ﴿بِظُلْمِهِم﴾ [النحل: ٦١].

فإن قلت: الآية تقتضي مؤاخذة البرئ بظلم الظالم، وذلك لا يحسن من الحكيم؟

قلت: المراد بالظلم هنا: الكفر، وبالدابة: الدابة الظالمة، وهي الكافرة كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه.

---

(١) سقط من أ.

(٢) سقط من أ.

(٣) سقط من أ.

قوله تعالى: ﴿ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [النحل: ٦٥] قاله هنا بحذف (من) لعدم ذكرها قبله وليوافق حذفها بعده من قوله: ﴿لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ [النحل: ٧٠] وقاله في العنكبوت بإثباتها ليوافق التعبير بها في قوله قبل: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [العنكبوت: ٦٣] وأثبتها في قوله في الحج: ﴿لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [الحج: ٥] ليوافق التعبير بها قبل في قوله: ﴿خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الحج: ٥] الآية.

قوله تعالى: ﴿ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ [النحل: ٦٦] قاله هنا بإفراد الضمير مذكرًا وفي المؤمنون: ﴿بُطُونِهَا﴾ [المؤمنين: ٢١] يجمعه مؤنثًا نظراً هنا إلى أن الأنعام مفرد [١٦٦ / ب] كما نقله الزمخشري عن سيبويه ، وثم إلى أنه جمع كما هو الشائع، ولأن ما في هذه السورة يعود على البعض ، وهو الإناث، لأن اللبن لا يكون للكل، فصار تقدير الآية: وإن لكم في بعض الأنعام، بخلاف ما في المؤمنون فإنه لما عطف عليه ما يعود على الكل ولا يقتصر على البعض ، وهو قوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢١] لم يحتمل أن يكون المراد البعض فأنت حملاً على الأنعام.

قوله تعالى: ﴿ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ قاله هنا بزيادة (هم) وفي العنكبوت بدونها لأن ما هنا اتصل بقوله: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ [النحل: ٧٢] إلى أخره وهو بالخطاب ثم انتقل إلى الغيبة فقال: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢] فلو ترك (هم) لا التبست الغيبة بالخطاب بأن تبدل الياء تاء. قوله تعالى: ﴿ عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٧٥] فائدة ذكر مملوكًا بعد قوله ﴿عَبْدًا﴾ [النحل: ٧٥] الإحتراز عن الحر فإنه عبد لله تعالى وليس مملوكًا لغيره.

وفائدة «لا يقدر على شيء» بعد قوله: ﴿مَّمْلُوكًا﴾ [النحل: ٧٥] الاحتراز عن المأذون له والمكاتب لقدرتهما على التصرف إستقلالاً.

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ [النحل: ٧٥] إن قلت: لم جمع ولم يثن من

أن المضروب به المثل اثنان مملوك ومن رزقه الله رزقًا حسنًا [؟ قلت: جمع] باعتبار جنسي المماليك والمالكين، أو نظرًا إلى أن أقل الجمع اثنان.

قوله تعالى: ﴿ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ﴾ [النحل: ٨١] أي: والبرد، وإنما حذفه لدلالة ضده عليه كما في قوله: ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾ [آل عمران: ٢٦] أي والشر وخص الحر والخير بالذكر لأن الخطاب بالقرآن أول ما وقع بالحجاز، والوقاية من الحر أهم [عند أهله لأن الحر](١) عندهم أشد من البرد، والخير مطلوب [٢١٤ / أ] العباد من ربهم دون الشر .

قوله تعالى : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ ﴾ [النحل: ٨٦] .

إن قلت: ما فائدة قولهم ذلك مع أنه تعالى عالم به؟ قلت: لما أنكروا الشرك بقولهم: ﴿ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٣] عاقبهم الله بإصمات ألسنتهم وأطلق جوارحهم، فقالوا عند معاينة آلهتهم: ﴿ هَؤُلاءِ شُرَكَاؤُنَا ﴾ [النحل: ٨٦] فأقروا بعد إنكارهم طلبًا للرحمة وفرارًا من الغضب فكان هذا القول على وجه الإعتراف منهم بالذنب لا على وجه إعلام من لا يعلم أو أنهم لما عاينوا عظم غضب الله قالوا ذلك رجاء أن يلزم الله الأصنام ذنوبهم فيخف عنهم العذاب .

قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩] إن قلت: إذا كان كذلك فكيف اختلفت الأئمة في كثير من الأحكام؟ قلت: لأن أكثر الأحكام ليس منصوصًا عليه فيه بل بعضها منصوص عليه وبعضها مستنبط منه، وطرق الإستنباط مختلفة فبعضها بالإحالة إما على السنة بقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧] وقوله: ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ [الرحمن: ٣] ، أو على الإجماع بقوله : ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء: ١١٥] الآية، أو على القياس بقوله: ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ ﴾

(١) سقط من أ.

[الحشر: ٢] والاعتبار النظر والاستدلال اللذان يحصل بهما القياس.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠] [كرر (إن)][(١)] وكذلك في الآية الأخرى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾ [النحل:١١٩] [لأن الكلام][(٢)] لما طال بصلته أعاد (أن) واسمها ثم ذكر الخبر ومثله: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥] أعاد (أن) واسمها لما طال الكلام.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١] إن قلت: ما معنى إضافة النفس إلى النفس مع أن النفس لا نفس لها؟ قلت: النفس تقال للروح وللجوهر القائم بذاته المتعلقة بالجسم تعلق التدبير ولجملة الإنسان ولعين الشيء وذاته كما يقال: نفس الذهب والفضة محبوبة أي ذاتهما، فالمراد بالنفس الأولى: الإنسان [١٦٥ / ب] والثانية: ذاته فكأنه قال: يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره، كل يقول نفسي نفسي.

قوله تعالى: ﴿وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا﴾ [النحل:١٢٧] وفي النمل: ﴿وَلا تَكُن﴾ [النمل: ٧٠] بإثبات النون، هذه الجملة كثر وردها في الكلام فحذف النون منها تخفيفًا من غير قياس، بل تشبيهًا بحروف العلة، ويأتي ذلك في القرآن في بضع عشرة موضعًا تسعة منها بالتاء وثمانية بالياء وموضعان بالنون، وخصت هذه السورة بالحذف دون النمل موافقة لما قبلها، وهو قوله: ﴿ولم يك من المشركين﴾، ولأن هذه الآية نزلت تسلية للنبي ﷺ حين قتل عمه حمزة ومُثل به فقال عليه الصلاة والسلام: «لأفعلن بهم ولأضعن» فأنزل الله تعالي: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٦ ، ١٢٧] فبالغ في الحذف [٢١٥ / أ] ليكون ذلك مبالغة في التسلي، وجاء في النمل على القياس، ولأن الحزن هناك دون الحزن هنا، والله أعلم.

---

(١) سقط من أ.

(٢) سقط من أ.

الجزء الثاني

سـورة الإسراء

مكية إلا ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ ﴾ [الإسراء : ٧٣] الآيات الثمان ، مائة وعشر آيات ، أو إحدى عشرة آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الإسراء : ١٥] أخرج ابن عبد البر بسند ضعيف عن عائشة قالت : سألت خديجة رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال : « هم من آبائهم » ثم سألته بعد ذلك فقال : « الله أعلم بما كانوا عاملين» ثم سألته بعدما استحكم الإسلام فنزلت : ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الإسراء : ١٥] ، وقال : هم على الفطرة ، أو قال : « في الجنة » .

قوله تعالى : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ [الإسراء: ٢٦] أخرج الطبراني وغيره عن أبي سعيد الخدري قال : لما نزلت : ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ﴾ [الإسراء:٢٦] دعا [١٦٨/ ب] رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فدك ، قال ابن كثير : هذا مشكل فإنه يشعر بأن الآية مدنية والمشهور خلافه .

قلت : وروى ابن مردويه عن ابن عباس مثله ،قوله : ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ ﴾ [الإسراء : ٢٨] الآية أخرج سعيد بن منصور عن عطاء الخراساني قال : جاء ناس من مدينة يستحملون رسول الله فقال : لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ،ظنوا ذلك من غضب رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى : ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ ﴾ [الإسراء : ٢٨] الآية .

وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال : نزلت فيمن كان يسأل النبي ﷺ من المساكين .

قوله تعالى : ﴿ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ الآية . قال عبد الله : جاء غلام إلى رسول الله ﷺ فقال : إن أمي تسألك كذا وكذا . فقال : ما عندنا

اليوم شيء . قال : فتقول لك : اكسني قميصك . قال فخلع قميصه فدفعه إليه وجلس في البيت حاسراً . فأنزل الله تعالى : ﴿ **ولا تجعلْ يدكَ مَغْلولَةً إلَىٰ عُنُقكَ ولا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ** ﴾ الآية .

وقال جابر بن عبد الله : بينا رسول الله ﷺ قاعد فيما بين أصحابه أتاه صبي فقال : يا رسول الله إن أمي تستكسيك ردعًا . ولم يكن عند رسول الله ﷺ إلا قميصه . فقال للصبي : من ساعة إلى ساعة يظهر فعد وقتًا آخر ، فعاد إلى أمه فقالت : قل له : إن أمي تستكسيك القميص الذي عليك فدخل رسول الله ﷺ داره ونزع قميصه وأعطاه ، وقعد عريانًا . فأذن بلال للصلاة وانتظروه ولم يخرج . فشغل قلوب الصحابة فدخل عليه بعضهم فرآه عاريًا . فأنز الله هذه الآيه] [(١)] .

قوله تعالى : ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [الإسراء : ٥٣] نزلت في عمر بن الخطاب ﷺ ، وذلك أن رجلاً من العرب شتمه ، فأمر الله بالعفو .

وقال الكلبى : كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بالقول والفعل فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى في ذلك هذه الآية .

قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ** ﴾ [الإسراء : ٤٥] الآية أخرج ابن المنذر عن ابن شهاب قال : كان رسول الله ﷺ إذا تلا القرآن على مشركي قريش ودعاهم إلى الكتاب قالوا يهزءون به : قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ، فأنزل الله في ذلك قوله : ﴿ **وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ** ﴾ [الإسراء : ٤٥] الآيات .

قوله تعالى :﴿ **وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ** ﴾ [الإسراء : ٥٩] قال ابن عباس [(٢)] ﷺ : سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا ، وأن ينحي عنهم

---

(١) سقط من أ .

(٢)صحيح : أخرجه أحمد (٢٣٣٣) والنسائي في « الكبرى » (١١٢٩٠) . والحاكم (٣٣٧٩) . وصححه ووافقه الذهبى .

الجبال فيزرعون فقيل له : إن شئت أن تستأني بهم لعلنا نجتني منهم ، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألو فـإن كفروا أهلكوا كما أهـلك من قبلهم قال : « لا . بل استأنى بهـم ، وأنـزل الله عز وجل : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا ﴾ [الإسراء : ٥٩] الآية وروينا قول الزبير بن العوام في سبب نزول هذه الآية .

عند قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ﴾ [٢١٦/أ] [الرعد : ٣١] .

قوله تـعالى :﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا ﴾ [الإسـراء : ٦٠] أخـرج أبو يعلي عن أم هانيء أنه ﷺ لما أسري به أصبح يحدث نفراً من قريش يستهزؤون به فطلبوا منه آية فوصف لهم بيت المقدس وذكر لهم قصة العير ، فقال الوليد بن المغيرة : هذا ساحر ، فأنزل الله :﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] .

قوله تعالى : ﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾ [الإسـراء : ٦٠] الآية قالابن عباس رضي الله عنهما : لما ذكر الله تعالى الزقوم في القرآن خوفا بها هذا الحي من قريش فقال أبو جهل: هل تدرون ما هذا الزقوم الذى يخوفكم به محمد ؟ قالوا :لا .

قال : التمر بالزبد أما والله لئن أمكننا منها لنتزقمنها تزقمًا فأنزل الله تعالى فيه: ﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾ [الإسراء : ٦٠] يقول المذمومة ، ونخوفهم فيما يزيدهم إلا طغيانًا .

قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ [الإسراء : ٧٣] قال: عطاء عن ابن عباس (١) رضي الله عنهما : نزلت فى وفد ثقيف أتوا رسول الله ﷺ فسألوه شططًا ، وقالوا : مـتعنا باللات سنة ، وحرم وادينا كـما حرمت مكة شـجرها وطيرها ووحـشها ، فـأبى ذلك رسول الله ﷺ ولم يجـبهم ، فـأقبلوا يكررون مسـألتهم ، وقالوا : إنا نحن أن تـعرف العرب فضـلنا عليهم ، فإن كـرهت ما نقول وخـشيت أن تقول العـرب أعطيتـهم ما لم تعطنا فقل : الـله أمرني بذلك فأمسك رسول الله ﷺ عنهم وداخلهم الطمع ، فـصاح عليهم عمر رضي الله عنه أمـا

(١) انظر : أسباب النزول . للواحدي (ص ٤٧٧) .

ترون رسول الله ﷺ أمسك عن جوابكم كراهية لما تجيبون به وقد همّ رسول الله ﷺ أن يعطيهم ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وقال سعيد بن جبير قال المشركون للنبي ﷺ لا نكف عنك إلا أن تسلم بآلهتنا ولو بطرف أصابعك فقال النبي ﷺ : ما علي لو فعلت والله يعلم إني كاره ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا ﴾ [الإسراء : ٧٣] إلى قوله : ﴿ نَصِيرًا ﴾ [الإسراء:٧٥] .

وقال قتادة (١) : ذكر لنا أن قريشًا خلوا برسول الله ﷺ ذات ليلة إلى الصبح يكلمونه ويفخمونه ويسودونه ويقاربونه ، وقالوا : إنك تأتى بشيء لا يأتى به أحد من الناس ، وأنت سيدنا وابن سيدنا [١٦٩/ب] فما زالوا به حتى كاد يقاربهم في بعض ما يرويدون ، ثم عصمه الله تعالى من ذلك ، وأنزل هذه الآية .

قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا ﴾ [الإسراء : ٧٣] أخرج ابن مردويه وابن أبى حاتم (٢) من طريق ابن عبد الحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن ابن عباس قال : خرج أمية بن خلف وأبو جهل بن هشام ورجال من قريش فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا محمد تعال فتمسح بآلهتنا وندخل معك في دينك ، وكان يحب إسلام قومه فرق لهم ، فأنزل الله : ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا ﴾ [الإسراء : ٧٣] إلى ﴿ نَصِيرًا ﴾ [الإسراء:٧٥].

قلت (٣) : هذا أصح ما ورد في سبب نزولها ، وهو إسناد جيد وله شاهد.

قوله تعالى : ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ ﴾ [الإسراء : ٧٦] الآية قال ابن عباس (٤) رضي الله عنهما : حسدت اليهود مقام النبى ﷺ [٢١٧/أ] بالمدينة فقالوا : إن

---

(١) السابق .

(٢) انظر : « كتاب النقول » للسيوطي (ص ١٣٨) .

(٣) القائل هو السيوطى .

(٤) انظر : « أسباب النزول للواحدى (ص ٨/٤٧٩) .

الأنبياء إنما بعثوا بالشام ، فإن كنت نبيًا فالحق بها فإنك إن خرجت إليها صدقناك وآمنا بك ، فوقع ذلك في قلبه لما يحب من إسلامهم فرحل المدينة على مرحلة فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وقال عبد الرحمن بن غنم : إن اليهود أتوا نبي الله ﷺ فقالوا : إن كنت صادقًا أنك نبي فالحق بالشام فإن الشام أرض المحشر والمنشر وأرض الأنبياء ، فصدق ما قالوا وغزا غزوة تبوك لا يريد بذلك إلا الشام فلما بلغ تبوك أنزل الله تعالى عليه : ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ﴾ [الإسراء : ٧٦] .

وقال مجاهد وقتادة والحسن (١) : همّ أهل مكة بإخراج نبي الله ﷺ من مكة فأمره الله تعالى بالخروج وأنزل هذه الآية إخبارًا عما همّوا به .

قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ [الإسراء : ٨٠] الآية قال الحسن (٢) : إن كفار قريش لما أرادوا أن يوثقوا نبي الله ﷺ ويخرجوه من مكة أراد الله بقاء أهل مكة فأمر نبيه أن يخرج مهاجرًا إلى المدينة فأنزل الله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ﴾ [الإسراء : ٨٠] الآية .

قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ [الإسراء : ٨٥] قال عبد الله (٣) : إني مع رسول الله ﷺ في حرث بالمدينة ، وهو متكيء على عسيب فمر بنا ناس من اليهود فقالوا: سلوه عن الروح ، فقال بعضهم : لا تسألوه فيستقبلكم بما تكرهون فأتاه نفر منهم ، فقالوا : يا أبا القاسم ما تقول في الروح ؟ فسكت ثم قام وأمسك بيده على جبهته فعرفت أنه ينزل عليه ، فأنزل عليه : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء : ٨٥] رواه البخاري ومسلم عن عمر ابن حفص بن غياث عن أبيه عن الأعمش .

(١ ، ٢) السابق .

(٣) هو ابن مسعود وقد أخرجه البخاري (٦٨٦٧) ومسلم (٢٧٩٤) .

وقال عكرمة عن ابن عباس (١) ﷺ : قالت قريش لليهود أعطونا شيئًا نسأل عنه هذا الرجل ، فقالوا : سلوه عن الروح ، فنزلت هذه الآية .

وقال المفسرون : إن اليهود اجتمعوا فقالوا لقريش حين سألوهم عن شأن محمد وحاله : سلوا محمد عن الروح ، وعن فتية فقدوا في أول الزمان ، وعن رجل بلغ شرق الأرض وغربها ، فإن أجاب في ذلك كله فليس بنبي وإن لم يجب في ذلك كله فليس بنبي ، وإن أجاب في بعض ذلك وأمسك عن بعض ، فهو نبي ، فسألوه عنها ، فأنزل الله تعالى في شأن الفتية : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ ﴾ [الكهف : ٩] إلى آخر القصة ، وأنزل في الرجل الذي بلغ شرق الأرض وغربها : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [الكهف : ٨٣] إلى آخر القصة ، وأنزل في الروح : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ [الإسراء : ٨٥] .

قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ ﴾ [الإسراء : ٩٠] روى عكرمة عن ابن عباس ﷺ أن عتبة وشيبة وأبا سفيان والنضر بن الحارث وأبا البحتري والوليد بن المغيرة وأبا جهل وعبد الله بن أمية بن خلف [١٧٠/ب] ورؤساء قريش اجتمعوا عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه : إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم سريعًا ، وهو يظن أن بدا لهم في أمره بدًا وكان [٢١٨/أ] عليهم حريصًا يحب رشدهم ، ويعز عليه عنتهم ، حتى جلس إليهم فقالوا : يا محمد إنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه [ما أدخلت على قومك] (٢) لقد شتمت الآباء وعيبت الدين وسفهت

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد (٢٣٠٩) والترمذي (٣١٤٠) وابن حبان (٩٩) والحاكم (٣٩٦١) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .
وقال الذهبي : صحيح .
وقال الألباني : صحيح .

(٢) سقط من أ .

الأحلام وعبت الآلهة وفرقت الجماعة وما بقي أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك ، فإن كنت جئت بهذا تطلب به مالاً جعلنا لك من أموالنا ما تكون به أكثرنا مالاً، وإن كنت تطلب الشرف فينا سودناك علينا وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا وإن كان هذا الرئي الذي يأتيك تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبريك منه أو نعذر فيه .

فقال رسول الله ﷺ : ما بي ما تقولون ، ما جئتكم به لطلب أموالكم ولا لشرف فيكم ولا للملك عليكم ، ولكن الله عز وجل بعثنى إليكم رسولاً وأنزل على كتابًا وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا فبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم بينى وبينكم .

قالوا : يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلادًا ولا أقل مالاً ولا أشد عيشًا منا ، فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ، أو يبسط لنا بلادنا وليجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آباءنا ، وليكن ممن يبعث لنا منهم قصي ابن كلاب فإنه كان شيخًا صدوقًا فنسأله عما تقول أحق هو أم باطل ؟ فإن صنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولاً كما تقول .

فقال رسول الله ﷺ ما بهذا بعثت ، إنما جئتكم من عند الله بما بعثنى به ، فقد بلغتكم ما أرسلت به ، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه أصبر لأمر الله عز وجل .

قالوا : فإن لم تفعل هذا فسل ربك أن يبعث لنا ملكًا يصدقك ، وسله فيجعل لنا جنانًا وكنوزًا وقصوراً من ذهب وفضة ويغنيك بها عما نراك ، فإنك تقوم فى الأسواق وتلتمس المعاش .

فقال رسول الله ﷺ : ما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت إليكم بهذا ، لكن الله بعثني بشيراً ونذيراً .

قالوا : فأسقط علينا السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل .

فقال رسول الله ﷺ :ذلك إلى الله تعالى إن شاء فعل ، وقال قائل منهم : لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً .

وقام عبد الله بن أمية فقال : لا أؤمن بك ابدًا حتى تتخذ إلى السماء سلمًا وترقى فيه [وأنا أنظر] (١) حتى تأتيها وتأتي بنسحة منشورة معك ونفر من المائكة يشهدون لك أنك كما تقول .

فانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينًا لما فاته من متابعة قومه ولما رأى من مباعدتهم عنه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا** ﴿٩٠﴾ ﴾ [الإسراء : ٩٠] الآيات .

قوله تعالى : ﴿ **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ** ﴾ [الإسراء : ١١٠] أخرج ابن مردويه ، وغيره عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ [٢١٩/أ] بمكة ذات يوم فدعا فقال في دعائه : « يا الله يا رحمن » فقال المشركون : أنظروا إلى هذا الصابيء نهانا أن ندعوا إلهين [وهو يدعو إلهين] (٢) ، فأنزل الله : ﴿ **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ** ﴾ [الإسراء : ١١٠] .

قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا** ﴾ [١٧١/ ب] [الإسراء : ١١٠] قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا** ﴾ [الإسراء : ١١٠] قال نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة فكانوا إذا سمعوا القرآن سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به ، فقال الله عز وجل لنبيه ﷺ :﴿ **وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ** ﴾ [الإسراء : ١١٠] أى بقرآنك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ، ولا

---

(١) سقط من أ .

(٢) سقط من أ

تخـافت بها : عن أصـحـابك فلا يسـمعـون ، وابتغ بين ذلك سـبيـلاً . رواه البخاري(١) عن مسدد ورواه مسلم (٢) عن عمرو الناقد كلاهما عن هشيم .

وقالت عائشة رضي الله عنها نزلت هذه الآية في التشهد كان الأعرابي يجهر فيقول : التحيـات لله والصلوات والطيبات يرفع بها صوته فنزلت هذ الآية ، وقـال عبد الله بن شداد : كـان أعراب من بني تميم إذا سلم النبي ﷺ من صـلاته قالوا : اللهم ارزقنا مالاً وولدًا ، ويجهرون ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وقالت عـائشة رضي الله عنها في قوله تـعالى : ﴿ وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ [الإسراء : ١١٠] قالت : إنما نزلت في الدعاء .

قوله تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ [الإسراء : ١١١] الآية، أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال : إن اليهود والنصارى قالوا : اتخذ الله ولدًا ، وقالت العرب : لبيك لا شـريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ، وقال الصابئون والمجوس : لولا أولياء الله لذل ، فأنزل الله : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء : ١١١] . . . انتهى .

الفصل الثاني: في منسوخها ، وهو أربع آيات

الأولى منها : قوله تعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا ﴾ [الإسراء : ٢٤] عمت الأبوين المسلمين والكافـرين والحيين والميتين قال ابن عـباس وقتـادة نسخ الدعاء للوالدين الكافـرين مطلقًا بقـوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَىٰ ﴾ [التوبة : ١١٣] ، وقيل الميتين لقوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التـوبة : ١١٣] ، والمختار أنهـا محكمة مخصوصة بها .

---

(١) حديث رقم (٤٤٤٥) .

(٢) حديث رقم (٤٤٦) .

والثانية : ﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الإسراء : ٣٤] قال مجاهد وقتادة : شقت عليهم وعتزلوهم ، ثم نسخها : ﴿ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢٠] ، وقيل : ﴿ فَلْيَأْكُلْ ﴾ [النساء : ٦] والمختار إحكامها والثانية مفسرة للأحسن .

الثالثة : ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [الإسراء : ٣٥] مفهوم ،أن تجنبه أحسن، قال السدي : منسوخة بقوله : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين : ١] والمختار إحكامها والمنى فأحسن من فعل الخير وتجنبه شر موعد .

الرابعة : ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا ﴾ [الإسراء : ١١٠] قال ابن عباس: منسوخة بقوله : ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ [الأعراف : ٢٠٥] وأبو هريرة وأبو موسى وعائشة بدعائك فبقوله :﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف: ٥٥] والمختار إحكامها وهي في صلاته عند الاختفاء .

الفصل الثالث فى المتشابه منها

قوله تعالى : ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا﴾ [كبيرًا] وخصت سورة الكهف بقوله : ﴿ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ (١) [ق / ٢٢٠أ] لأن الأجر في السورتين الجنة والكبير والحسن من أوصافها لكن خصت هذه السورة بالكبير موافقة لفواصل الآية قبلها وبعدها وهى حصيراً وأليمًا وعجولاً وجلها وقع قبل آخرها مرة ساكنة وكذلك في سورة الكهف جاء ما تقتضيه الآيات قبلها وبعدها وهي ﴿ عِوَجًا ﴾ [الكهف :١] و ﴿وَلَدًا ﴾ [الكهف : ٤] وجلها فيها قبل آخرها متحرك وأما رفع يبشر في سبحان ونصبها في الكهف فليس من المتشابه .

قوله : ﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] لأن في يوم القيامة مواقف مختلفة ففي موقف يكل الله حسابهم إلى أنفسهم وعلمه محيط به [ق

---

(١) سقط من أ .

/ ١٧٢ب] ، وفي موقف يحاسبهم هو ، وقيل : هو الذي يحاسبهم لا غيره ، وقوله : ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء:١٤] أى يكفيك أنك شاهد على نفسك بذنوبها فهو توبيخ وتقريع لا تفويض حساب العبد إلى نفسه ، وقيل: من يرد مناقشته في الحساب يحاسبه بنفسه ، ومن يرد مسامحته يكل حسابه إليه .

قوله تعالى : ﴿ لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً (٢٢) ﴾ [الإسراء : ٢٢] قال ذلك هنا ثم قال : ﴿ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (٢٩)﴾ [الإسراء:٢٩] ثم قال : ﴿ وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا (٣٩)﴾ [الإسراء:٣٩] ولا تكرار فيها لأن الأولى في الدنيا والثالثة في الآخرة والخطاب فيهما للنبي ﷺ على الراجح ،والمراد به غيره كما في آية : ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا ﴾ [الإسراء : ٢٣] وأما الثانية فخطاب النبي ﷺ أيضًا ، وهو المراد به وذلك أن امرأة بعثت صبيًا إليه مرة بعد أخرى سألته قميصًا ولم يكن عليه ولا له قميص غيره فنزعه ودفعه إليه فدخل وقت الصلاة ولم يخرج في الحين فدخل عليه أصحابه فرؤه على تلك الصفة فلاموه على ذلك فأنزل الله ﴿ فَتَقْعُدَ مَلُومًا ﴾ أى يلومك الناس ﴿ مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء : ٢٩] أي مكشوفًا ، وقيل : مقطوعًا عن الخروج إلى الجماعة .

قوله : [﴿ ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا ﴾ وفى أخر السورة] (١) ، ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ [الإسراء : ٨٩] فزاد للناس وقدمه على القرآن ، وقال في الكهف : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ ﴾ [الكهف : ٥٤] إنما لم يذكر في أول سبحان للناس لتقدم ذكرهم في السورة وذكرهم في الكهف إذ لم يجر ذكرهم في السورة ، وذكر في آخر سبحان وإن جرى ذكرهم لأن ذكر الإنس والجن جرى معًا فذكر للناس كراهة الالتباس ، وقدمه على في

(١) سقط من أ .

هذا القرآن كما قدمه في قوله : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ [الإسراء : ٨٨] ثم قال : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ ﴾ [الإسراء : ٨٩] وأما في الكهف فقدم ﴿ فِي هَذَا الْقُرْآنِ ﴾ [الكهف :٥٤] لأن ذكره جلي الغرض ، وذلك أن اليهود سألته عن قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين فأوحى الله إليه في القرآن فكان تقديمه في هذا الموضوع أجدر والعناية بذكره أحرى .

قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٩] ثم أعادها في آخر السورة بعينها من غير زيادة ولا نقصان لأن هذا ليس بتكرار [ق / ٢٢١أ] فإن الأول من كلامهم في الدنيا حين [جادلوا رسول الله وإنكروا البعث الثانى من كلام اله تعالى حين] (١) جازاهم على كفرهم وقولهم ذلك وإنكارهم البعث فقال : ﴿ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً ﴿٩٧﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ﴾ [الإسراء : ٩٧ ، ٩٨] .

قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا﴾ [الإسراء : ٩٨] ، وفي الكهف ﴿ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا ﴾ [الكهف : ١٠٦] واقتصر في هذه السورة على الإشارة لتقدم ذكر جهنم ولم يقتصر في الكهف على الإشارة بل جمع بينها وبين العبارة والعبارة لما اقترن بقوله ﴿جَنَّاتُ﴾ فقال ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا﴾ [الكهف : ١٠٦] الآية ، ثم قال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الكهف :١٧٠] ليكون الوعد والوعيد كلاهما ظاهرين للمستمعين .

قوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ ﴾ [الإسراء : ٥٦] قال هنا بالضمير لقرب مرجعه،وهو الرب في قوله : ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ ﴾ [الإسراء:٥٥] ،وقال

---

(١) سقط من أ .

في سبأ : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [سبأ : ٢٢] بالاسم الظاهر لبعد مـرجع الضمـيـر لو أتى به والمراد فـيهـمـا قل ادعوا الذين زعـمـتم أنهم [ق / ١٧٣ب] آلهة من دون الله أي غيره لينفعوكم بزعمكم ،فإن قلت : كيف قال: من دونه مع أن المشركين مـازعموا غير الله إلهًـا دون الله بل مع الله علي وجه الشرك .

قلت : في الكلام تقديم وتأخير تقديره قل ادعوا الذين من دون الله زعمتم أنهم شركاء .

قوله تـعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾ [الإسـراء : ٥٩] أي وما منعنا أن نرسل رسولاً بالآيات التى اقترحها أهل مكة على النبي ﷺ كجـعل الصفا ذهبًا إزالة جـبال مكة ليزرعـوها إلا تكذيب الأولين بها أى بآيات إقترحوها على رسلهم لما أرسلناها فأهلكناهم ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكذبوا بها واسـتحـقوا الهـلاك وقد حكمنا بأنهـا لهم ليـتم أمر النبى ﷺ ولأنا لا نعـجل بالعقوبة .

فإن قلت : كـيف قال : ﴿ وَمَـا مَنَعَنَا ﴾ [الإسـراء : ٥٩] إلى آخـره مع أنه تعالى لا يمنعه عن إرادته مانع .

قلت : المنع هنا مـجازًا عن التـرك ، كأنه قـال : وما سبـب ترك الإرسال بالآيات إلا تكذيب الأولون .

قوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ٥٩] أي دلالة كما يقال الدليل مرشد وهاد ، فإن قلت : ما وجه ارتباط هذا بما قلبه ؟

قلت : لما اخبـرنا بأن الأولين كذبوا بالآيات المقتـرحة عين منها ناقـة صالح لأن آثار ديارهـم الهالكة باقية في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم ووارد‌هم .

قوله تعالى : ﴿ فَظَلَمُوا بِهَا ﴾ [الإسراء : ٥٩] أي بالناقة الباء ليست للتعدية لأن الظلم يتعدى بنفسه فالمعنى فظلموا أنفسهم بقتلها أى بسببه .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء : ٥٩] إن قلت : هذا يدل على الإرسال بالآيات ،وقوله قبل : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ﴾ [الإسراء : ٥٩] يدل على عدمه .

قلت : المراد بالآيات هنا العبر والدلالات ، وفيما قبل الآيات المقترحة .

قوله : ﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ ﴾ [الإسراء : ٦٠] إن قلت : ليس في القرآن لعن شجرة .

قلت : فيه [ق/ ٢٢٢أ] إضمار تقديره والشجرة الملعونة المذكورة في القرآن ، أو معناه الملعون آكلوها ، وهم الكفرة ، أو الملعونة بمعنى المذمومة ، وهي مذمومة في القرآن بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الأَثِيمِ (٤٤) ﴾ [الدخان : ٤٣ ، ٤٤] وبقوله تعالى : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) ﴾ [الصافات : ٦٥] أو الملعونة بمعنى المبعدة لأن اللعن لغة الطرد والإبعاد وهذه الشجرة مبعدة عن مكان رحمة الله تعالى، وهو الجنة لأنها في قعر [الجحيم] (١) ، وهذا الإبعاد مذكور في القرآن بقوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) ﴾ [الصافات: ٦٤] .

قوله : ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ﴾ قاله هنا بتكرير الخطاب كنظيرة فى [أرأيتكم] في الأنعام لدلالته على أن المخاطب به أمر عظيم وهو هنا كذلك لأنه ـ لعنه الله ـ ضمن بقوله: ﴿ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ إغواء أكثرهم قوله تعالى: (٢) ﴿ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ [الإسراء : ٧١] إن قلت : لم خصهم بذلك مع أن أصحاب الشمال [كذلك] ؟

قلت : لأن أصحاب الشمال] (٣) إذا نظروا إلى ما في كتابهم من الفضائح والقبائح أخذهم من الحياء والخجل والخوف ما يوجب انقباض ألسنتهم عن إقامة الحروف فتكون قراءتهم كلا قراءة وأمر أصحاب اليمين على العكس ، وأما قوله

---

(١) في ب : جهنم .
(٢) سقط من أ.
(٣) سقط من أ .

تعالى : ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ [الإسراء : ٧١] فعائد إلى كل الناس لا إلى أصحاب اليمين خاصة وإنما خصهم بذلك لأنهم يعلمون أنهم لا يظلمون ويعتقدون ذلك بخلاف أصحاب الشمال فإنهم يعتقدون أو يظنون أنهم يظلمون .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ ﴾ [الإسراء : ٩٤] قال ذلك هنا ، وقاله في الكهف بزيادة : ﴿ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ﴾ [الكهف : ٥٥] لأن المعنى هنا ما منعهم عن الإيمان [بمحمد إلا قولهم أبعث الله بشراً رسولا ؟ هلا [ق / ١٧٤ب] بعث ملكًا ؟ وجملوا أن التجانس يورث التوانس ، والتغاير يورث التنافر ، والمعنى في الكهف ما منعهم عن الإيمان] (١) والاستغفار ﴿ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الكهف : ٥٥] فزاد فيها ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ﴾ [الكهف : ٥٥] لاتصاله بقوله : ﴿ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الكهف : ٥٥] ، وهم قوم نوح وهود وصالح وشعيب حيث أمروا بالإستغفار فنوح قال : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [نوح : ١٠، ١١] [وهود قال : [يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه] (٢) . وصالح قال : [[فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربى قريب مجيب] وشعيب قال :] (٣) . ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود : ٩٠] .

قوله تعالى : ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ [الإسراء : ٩٦] [قال ذلك هنا بتقديم شهيداً على بيني وبينكم] (٤) وقاله في العنكبوت بالعكس لأن ما هنا جاء على الأصل من تقديم المفعول ، وما في العنكبوت جاء على خلاف الأصل ليتصل وصف الشهيد به ، وهو قوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [العنكبوت : ٥٢] .

قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ ﴾ [الإسراء: ٩٩] ،

---

(١) سقط من أ .
(٢) سقط من أ .
(٣) سقط من أ .
(٤) سقط من أ .

وفى الأحقاف بلفظ ﴿ بِقَادِرٍ ﴾ [الأحقاف : ٣٣] ، وفي يس : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ ﴾ [يس : ٨١] لأن ما هنا خبر أنَّ ، وما في يس خبر ليس وخبرها تدخله الباء ، ما في الأحقاف خبر إن وكان القياس عدم دخول الباء فيه لكنها دخلته تشبيهًا للم يروا ولم يعي بليس في النفي .

قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً (١٠٢) ﴾ [الإسراء : ١٠٢] أي هالكًا ، أو ملعونًا ، أو خاسرًا ، إن قلت : الظن هنا بمعنى العلـم كما في قوله تعالى : ﴿ الَّذينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة:٤٦] وإنما عبر بالظن ليقابل قول فرعون له: لأظنك يا موسى مسحورًا كأنه قال له إن ظننتني مسحورًا فأنا أظنك مثبورًا.

قوله تعالى : ﴿ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ﴾ [الإسراء : ١٠٧ ، ١٠٩] كرره لأن الأول واقع في حال السجود والثاني في حال البكاء ، أو الأول واقع في قراءة القرآن ، أو سماعه والثاني في غير ذلك .

خاتمة

قال القرطبي في كتاب [« التذكار »] (١) [ق / ٢٢٣أ] روى مطرف ابن عبد الله بن كعب قال : افتتحت التوراة بفاتحة الأنعام وختمت بخاتمة هذه السورة .

وفي الخبر أنها آية العز ورواه معاذ بن جبل عن النبي ﷺ ، وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان رسول الله ﷺ إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه ، ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ [الإسراء: ١١١] الآية ،وقال عبد الحميد بن واصل سمعت رسول الله ﷺ قال : من قرأ ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ [الإسراء : ١١١] الآية كتب الله له من الأجر مثل الأرض والجبال لأن الله تعالى بقوله فيمن زعم أن له ولدًا [تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًا] .

وجاء في الخبر عن النبي ﷺ أن رجلاً شكى إليه الدين ، فأمره أن يقرأ : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء : ١١٠] إلى آخر السورة ثم يقول : توكلت على الحي الذي لا يموت ثلاث مرات،وذكر ابن أبي الدنيا بإسناده عن إسماعيل بن أبي فديك قال : قال رسول الله ﷺ:« ما **حزبني أمر إلا تمثل لي جبريل عليه السلام فقال : يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت** ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ .

---

(١) في أ : النذر .

سورة الكهف

مكية ، إلا ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾ [الكهف : ٢٨] الآية، مائة آية وعشر آيات ، أو خمسة عشر آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

أخرج ابن جرير (١) من طريق ابن إسحاق عن [ق/ ١٧٥ب] ابن عباس قال: بعثت قريش النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة فقالوا لهم : سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجا حتى أتيا المدينة فسألا أحبار اليهود عن رسول الله ﷺ ووصفوا لهم أمره وبعض قوله فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث فإن أخبركم فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم ؟ فإنه كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان بناؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هو ؟ فأقبلا حتى قدما على قريش فقالا : قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد فجاءوا رسول الله ﷺ فسألوه ، فقال : أخبركم غدًا بما سألتم عنه ومل يستثن فانصرفوا ، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحيًا ولا يأتيه جبريل حتى أرجفه أهل مكة وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبريل من الله بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم،وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل [ق / ٢٢٤أ] الطواف وقول الله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ [الإسراء : ٨٥] قوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾

(١) « التفسير » (١٥/ ١٩١) .

[الكهف : ٦] الآية أخرج ابن مردويه عن ابن عباس [١] قال : اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام والنضر بن الحارث وأمية بن خلف والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأبو البحتري في نفر من قريش وكان رسول الله ﷺ قد كبر عليه ما يرى من خلاف قومه إياه وإنكارهم ما جاء به من النصيحة فأحزنه حزنًا شديدًا فأنزل الله : ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ** ﴾ [الكهف : ٦] الآية .

قوله تعالى : ﴿ **وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ** ﴾ [الكهف : ٢٣] الآية أخرج ابن مردويه عن ابن عباس [٢] قال : حلف النبى ﷺ على يمين فمضى له أربعون ليلة فأنزل الله: ﴿ **وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ** ﴾ [الكهف : ٢٣] .

قوله تعالى : ﴿ **وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ** ﴾ [الكهف : ٢٥] الآية أخرج ابن مردويه عن ابن عباس [٣] قال : أنزلت : ﴿ **وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ** ﴾ [الكهف: ٢٥] فقيل : يا رسول الله سنين أم شهور فأنزل الله : ﴿ **سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا** ﴾ [الكهف : ٢٥] وأخرجه ابن جرير عن الضحاك .

قوله تعالى : ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ** ﴾ [الكهف : ٢٨] الآية أخرج الواحدى [٤] عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : جاءت المؤلفة قلوبهم إلى رسول الله ﷺ عيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس وذووهم فقالوا : يا رسول الله إنك لو جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم ـ يعنون سلمان وأبا ذر وفقراء المسلمين ـ وكانت عليهم جباب الصوف ولم يكن عليهم غيرها جلسنا إليك وحادثناك وأخذنا عنك فأنزل الله تعالى : ﴿ **وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧) وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ**

---

(١) انظر « الباب النقول للسيوطي» (ص ١٤٣) .
(٢) السابق (ص ١٤٤) .
(٣) السابق .
(٤) انظر « أسباب النزول » (ص ٤٨٩) .

يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٧، ٢٨] حتى بلغ: ﴿ **إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا**﴾ [الكهف : ٢٩] يتهددهم بالنار فقام النبي ﷺ يلتمسهم حتى حتى أصابهم فى مؤخر المسجد يذكرون الله قال : الحمد لله الذى لم يمتئ حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي معكم المحيى ومعكم الممات » .

قوله تعالى : ﴿ **وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا** ﴾ [الكهف : ٢٨] الآية أخرج الواحدي (١) عن ابن عـباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ **وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا** ﴾ [الكهف : ٢٨] الآية قال : نزلت في أمية بن خلف الجمحي ، وذلك أنه دعى النبي ﷺ إلى أمـر كرهه من طرد الفـقراء وتقـريب صناديد [ق/ ١٧٦ب] قـريش من أهل مكة فـأنزل الله تعـالى : ﴿ **وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْـفَلْنَا قَلْبَـهُ عَن ذِكْـرِنَا** ﴾ [الكـهف :٢٨ يعني ختمنا قلبه عن التوحيد واتبع هواه يعني الشرك .

قوله تعالى : ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ** ﴾ [الكهف : ٨٣] الآية قال قتادة (٢) : إن اليهود سألوا النبى ﷺ عن ذي القرنين فأنزل الله تعالى هذه الآية .

قوله تعالى : ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي** ﴾ [الكهف : ١٠٩] قال ابن عباس (٣) : قالت اليهود لما قال لهم النبى ﷺ : ﴿ **وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** (٨٥) ﴾ [الإسـراء : ٨٥] كيف وقد أوتينا التوراة ومن أوتي التوراة فقـد أوتي خيرًا كثيرًا [ق/ ٢٢٦أ] فنزلت : ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي** ﴾ [الكهف : ١٠٩] .

قوله تـعالى : ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ** ﴾ [الكـهف : ١١٠] الآية قـال ابن عـبـاس (٤) : نزلت في جندب بن زهيـر العامري وذلك أنه قـال : إني أعمل العمل لله فإذا اطلع عليه سـرني فقال رسول الله ﷺ : « **إن الله طيب لا يقبل إلا الطيب ولا يقبل ما شرك فيه** » ،فأنزل الله هذه الآية .

وقـال طاوس (٥) : قال رجل : يا نبي الله إني أحب الجهـاد في سبيل الله

---

(١) السابق (ص ٤٩٠) .
(٢) السابق .
(٣) السابق (ص ٤٩١) .
(٤) السابق .
(٥) السابق.

وإني أحب أن يري مكاني فأنزل الله هذه الآية .

وقال مجاهد (١) : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني أتصدق وأصل الرحم ولا أصنع ذلك إلا لله فيذكر ذلك مني وأحمد عليه فيسرني ذلك وأعجب به فسكت رسول الله ﷺ ولم يقل شيئًا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف : ١١٠]، وليس فيها منسوخ .

(١) السابق

الفصل الثاني في المتشابه منها

قوله تعالى : ﴿ قَيِّمًا ﴾ [الكهف :٢] إن قلت ما فائدة ذكره بعد قوله : ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۝١﴾ [الكهف : ١] لأن نفي العوج يستلزم الإقامة ؟

قلت : فائدته التأكيد في وصف كتاب الله العظيم أو معنى ﴿ قَيِّمًا ﴾ أنه قائم على الكتب السماوية كلها مصدقًا لها ناسخًا لبعض شرائعها ونصب قيمًا بمقدر تقديره لكن جعله قيمًا .

قوله تعالى : ﴿ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف : ٢٢] بغير واو ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [الكهف : ٢٢] بزيادة واو ، في هذه الواو أقوال :

أحدها : أن الأول والثانى وصفان لما قبلهما أي هم ثلاثة رابعهم كلب ، وكذلك الثاني أي هم خمسة سادسهم كلبهم والثالث عطف على ما قبله أي هم سبعة ثم عطف عليهم ، وثامنهم كلبهم .

وقيل : كل واحد من الثلاثة جملة وقعت بعد جملة وكل جملة وقعت بعد جملة فيها عائد يعود منها، إليها فأنت في إلحاق واو العطف وحذفها بالخيار واليس في هذين القولين ما يوجب تخصيص الثالث بالواو ، وقال بعض النحويين السبعة : نهاية العدد ولهذا كثر ذكرها في القرآن والأخبار والثمانية تجري مجرى استئناف كلام ومن ها هنا لقبه جماعة من المفسرين بواو الثمانية واستدلوا بقوله سبحانه : ﴿التَّائِبُونَ﴾ [التوبة : ١١٢] الآية وبقوله: ﴿ مُسْلِمَاتٍ ﴾ [التحريم : ٥] الآية ، وبقوله : ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [الزمر : ٧٣] وزعموا أن هذه الواو تدل على أن أبوابها ثمانية ولكل واحدة من هذه الآيات وجوه ذكرناها في موضعها.

وقيل : إن الله حكى القولين الأولين ولم يرتضهما ، وحكى القول الثالث فارتضاه ، وهو قوله : ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾ [الكهف : ٢٢] ثم استأنف فقال :

﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف : ٢٢] ولهذا عقب الأول والثاني بقوله : ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ [الكهف : ٢٢] ولم يقل في الثالث ، فإن قيل وقد قال فى الثالث : ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾ [الكهف : ٢٢] ، فالجواب تقديره قل ربي أعلم بعدتهم وقد أخبركم أنهم سبعة وثامنهم كلبهم بدليل قوله: ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾[الكهف : ٢٢] [ولهذا قال ابن عباس : أنا من ذلك القليل] (١) .

قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ [الكهف : ٣٦] ،في حم : ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ [فصلت : ٥٠] لأن الرد عن الشيء يتضمن كراهة المردود ولما كان في الكهف ولئن رددت عن جنتي هذه التي أظن أن لا تبيد أبدًا إلى ربي [ق/٢٢٧أ] كان لفظ الرد الذي يتضمن الكراهة أولى وليس [ق/١١٧ب] في حم ما يدل على الكراهة فذكر بلفظ الرجع ليقع في كل سورة ما يليق بها ، وقيل : عبر هنا برددت وثم برجعت توسعة في التعبير عن الشيء بمتساويين .

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ﴾ [الكهف : ٥٧] [وفي السجدة [ثم أعرض عنها]](٢) لأن الفاء للتعقيب وثم للتراخي وما في هذه السورة في الأحياء من الكافر إذ ذكروا فأعرضوا عقيب ما ذكروا ونسوا ذنوبهم وبعد متوقع منهم أن يؤمنوا وما في السجدة في الأموات من الكفار بدليل قوله : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [السجدة : ١٢] أي ذكروا مرة بعد أخرى وزمانًا بعد زمان ثم أعرضوا عنها بالموت فلم يؤمنوا وانقطع رجاء إيمانهم.

قوله : ﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ [الكهف : ٦١] إن قلت : كيف قال ذلك مع أن الناسي يوشع وحده .

قلت : نسبة النسيان إليهما مجاز ، والمراد أحدهما كنظيره في قوله : ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن : ٢٢] ، وقيل : نسي موسى تفقد الحوت

---

(١) سقط من أ .

(٢) سقط من أ .

ويوشع أن يخبره .

قوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴾ [الكهف:٧١] قاله: بغير فاء وقال بعد : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ ﴾ [الكهف : ٧٤] بالفاء لأنه جعل حرقها جزاء الشرط فلم يحتج للفاء وحعل قتل الغلام من جملة الشرط فعطفه عليه بالفاء وجزاء الشرط قوله : ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ [الكهف : ٧٤] .

قوله : ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ [الكهف : ٧١] قاله بلفظ الإمر لأنه للعجب والعجب كما يكون في الخير يكون في الشر ، وقاله بعد في قتل الغلام بلفظ نكرًا لأنه لا يكون إلا في الشر ، وقتل النفس أعظم من مجرد خرق السفينة فناسب كل ما هو فيه ولذلك قال في خرق السفينة ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ ﴾ [الكهف: ٧٢] بحذف لك ، وفي قتل الغلام ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ ﴾ [الكهف : ٧٥] بذكره ولأن في ذكره قصد زيادة المواجهة بالعتاب على ترك الوصية مرة ثانية .

قوله : ﴿ مَا لَمْ تَسْطِع ﴾ [الكهف : ٨٢] جاء في الأول بالتاء على الأصل ، وفي الثاني : ﴿ تَسْتَطِيع﴾ [الكهف : ٧٥] بحذفها تخفيفًا لأنه الفرع ، وعكس ذلك في قوله : ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف : ٧٩] لأن مفعول الأول اشتمل على حرف وفعل وفاعل ومفعول فناسبه الحذف تخفيفًا بخلاف مفعول الثاني فإنه اسم واحد ، وهو قوله : ﴿ نَقْبًا ﴾ [الكهف : ٩٧] فناسبه البقاء على الأصل .

قوله في الأول : ﴿ فَأَرَدتُّ ﴾ [الكهف : ٧٩] ، وفي الثاني : ﴿ فَأَرَدْنَا ﴾ [الكهف : ٨١] ، وفى الثالث : ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ ﴾ [الكهف : ٨٢] لأن الأول في الظاهر إفساد فأسنده إلى نفسه ،والثالث إنعام محض فأسنده إلى الله عز وجل، والثاني إفساد من حيث القتل إنعام من حيث التبديل فأسنده إلى نفسه وإلى الله عز وجل .

وقيل : لأن القتل كان منه وإزهاق الروح كان من الله سبحانه وتعالى .

قوله عز وجل : ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ [الكهف : ٨٦] إن قلت : الشمس في السماء الرابعة وهي بقدر كرة الأرض مائة وستين ، أو خمسين ، أو وعشرين مرة فكيف تسعها عين في الأرض تغرب فيها ؟ .

قلت : المراد وجدها في ظنه كما يرى راكب البحر الشمس طالعة وغاربة فيه فذو القرنين انتهى إلى آخر البنيان في جهة الغرب [ق/٢٢٨أ] فوجد عينًا واسعة فظن أن الشمس تغرب فيها ، فإن قلت : ذو القرنين كان نبيًا ، أو تقيًا حكيماً فكيف خفى عليه هذا حتى وقع في ظنه ما يستحيل وقوعه ؟.

قلت : الأنبياء والحكماء لا يبعد أن يقع منهم مثل ذلك ألا تري إلى ظن موسى فيما أنكره على الخضر ، وأيضًا فالله قادر على تصغير جرم الشمس وتوسيع العين وكبر الأرض بحيث تسع عين الماء عين الشمس فلم لا يجوز ذلك ولم تعلم به لقصور عقولنا عن الإحاطة بذلك ، قوله : ﴿ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٥] [ق / ١٧٨ب] أي : قدرًا لحقارتهم ، وليس المراد فلا ننصب لهم ميزانًا لأن الميزان إنما ينصب لوزن الحسنات في مقابلة السيئات والكافر لا حسنة له ، وأما قوله : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٨ ، ٩] فهو فيمن غلبت سيئاته على حسناته من المؤمنين فإنه يدخل النار لكن لا يخلد فيها . . . انتهى .

خاتمة في فضلها

قال القرطبي في كتاب « التذكار » [1] روى في فضلها أخبار وآثار فمن ذلك حديث أنس قال : بينما رجل يقرأ سورة الكهف رأى دابته تركض فنظر فإذا مثل الغمامة ، أو السحابة فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقال : تلك السكينة نزلت للقرآن ، أو نزلت علي القرآن ، أخرجه الترمذي [2] ، وقال : حديث حسن صحيح .

وخرج الترمذي [3] أيضًا عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : « **من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من الدجال** » ، وقال هذا حديث حسن صحيح .

وخرج مسلم [4] في صحيحه فمن أدركه ـ يعني الدجال ـ فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف .

وذكر الثعلبي : قال سمرة بن جندب : قال النبى ﷺ : « **من قرأ عشر آيات من سورة الكهف حفظًا لم تضره فتنة الدجال ، ومن قرأ السورة كلها دخل الجنة** » .

وفي مسند الدارمي عن أبي سعيد الخدري قال : من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له الله من النور ما بين وبين البيت العتيق .

---

(١) « التذكار في أفضل الأذكار » (ص / ١٦٣) .

(٢) صحيح أخرجه الترمذي (٢٨٨٥) بلفظه وأصله في البخاري (٤٧٢٤) ومسلم (٧٩٥) من حديث البراء .

(٣) حديث (٢٨٨٧) وقال : حسن صحيح .

وقال الألباني: صحيح بلفظ : « من حفظ عشر آيات » وهو بلفظ الكتاب شاذ .أ. هـ .

ولفظ « من حفظ عشر آيات » أخرجه مسلم (٨٠٩–٨) وغيره .

(٤) حديث (٢٩٣٧) وأبو داود (٤٣٢١) وابن ماجه (٤٠٧٥) .

وقال الوابلي عنه : من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له ما بين مقامه وبين البيت العتيق .

وقال معاذ بن جبل : قال رسول الله ﷺ : « **من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قرنه إلى قدمه ، ومن قرأها كلها كانت له نوراً من السماء إلى الأرض** » (١) ذكر الثعلبى .

وقال عمرو بن دينار (٢) : إن مما أخذ على العقرب أن لا تضر أحدًا في ليلة ولا في نهاره قال : ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات : ٧٩] وإن مما أخذ على الكلب أن لا يضر من حمل عليه إذا قال : ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف : ١٨] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال له رجل : إني أضمر أن أقوم ساعة من الليل فيغلبني النوم فقال : إن أردت أن تقوم أى ساعة شئت من الليل فاقرأ إذا أخذت مضجعك ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي ﴾ [الكهف : ١٠٩] إلى آخر السورة فإن الله يوقظك متي شئت من الليل : ذكره الثعلبي .

وفي مسند الدارمي عن ذر بن جبيش قال : من قرأ آخر سورة الكهف ساعة يريد قيامها من الليل قامها ، فجرب فوجد كذلك .

---

(١) صحيح موقوفًا : أخرجه الدارمي (٣٤٠٧) وقال الألباني : صحيح . انظر : « صحيح الترغيب » (٧٣٦) .

(٢) انظر « تفسير الثعالبى » (٦/ ١٦٠) . وهذا الكلام غريب لا أصل له في كتاب ولا سنة .

سورة مريم

مكية،أو إلا سجدتها [٢٢٩/ أ] فمدنية،أو إلا ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾[مريم:٥٩] الآيتين فمدنيتان ، وهى ثمان أو تسع وتسعون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ ﴾ [مريم : ٦٤] أخرج البخاري (١) عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لجبريل : « **ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا** » ؟

فنزلت : ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ [مريم : ٦٤] .

وأخرج ابن أبـي حاتم (٢) عن عكرمة قال : أبطأ جـبريل في النزول أربعين يومًا ، فذكر نحوه .

وأخرج ابن مردويه عن أنس قال : سئل رسول الله ﷺ أي البقاع أحب إلى الله وأيها أبغض إلى الله ؟ قال : « **ما أدري حتى أسأل** ، فنزل جبريل وكان قد أبطأ عليه قال : « لقد أبطأت حتى ظننت أن ترى على موجدة فقال ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾ [مريم : ٦٤] الآية .وأخرج ابن إسـحاق (٣) عن ابن عـباس ، أن قريشًا لما سألوا عن أصحاب الكهف مكث خمسة عشر ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحياً فلما نزل جبريل قال له : « أبطأت » ، فذكره .

وأخرج الواحدي (٤) عن مجاهد : أبطأ ثم جاء فقال : لعلي أبطأت ومالي لا [١٧٩/ب] أفعل وأنتم لا تتسوكون ولا تقصون أظفاركم ولا تنقون

---

(١) حديث رقم (٤٤٥٤) .

(٢) عزاه له السيوطي في « الباب التقول » (ص / ١٤٥) .

(٣) السابق .

(٤) « أسباب النزول » (ص / ٤٩٣) .

براجمكم.

قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الإنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ ﴾ [مريم : ٦٦] قال الكلبي (١) : نزلت في أبي بن خلف حين أخذ عظامًا بالية يفتها بيده ويقول زعم محمد أنا نبعث [بعد ما تموت] (٢) .

قوله تعالى : ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا ﴾ [مريم :٧٧] الآيات أخرج الشيخان(٣)، وغيرهما عن خباب بن الأرت قال : جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقًا لي عنده فقال : لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت : لا حتى تموت ثم تبعث ، قال : فإني لميت ثم مبعوث ؟ فقلت : نعم ، فقال : إن لي هناك مالاً وولدًا فأقضيك ، فنزلت : ﴿ أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴾ [مريم:٧٧] .

وأخرج الواحدي (٤) عن مقاتل والكلبي : كان خباب بن الأرت قينًا وكان يعمل للعاص بن وائل السهمي ، وكان العاص يؤخر حقه فأتاه يتقاضاه ، فقال العاص: ما عندي اليوم ما أقضيك ، فقال خباب : لست مفارقك حتي تقضي ، فقال العاص : يا خباب ما لك ما كنت هكذا ؟ وإنك كنت حسن الطلب ، فقال خباب : ذاك أني كنت على دينك وأما اليوم فإني على الإسلام مفارق لدينك ، قال أفلستم تزعمون أن في الجنة ذهبًا وفضة وحريرًا؟ قال خباب : بلي ، قال : فأخرني حتى أقضيك في الجنة ـ استهزاء ـ فوالله لإن كان ما تقول حقًا إني لأفضل فيها نصيبًا منك ،فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا ﴾ [مريم :٧٧] يعنى العاص ، الآيات .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [مريم :٩٦] أخرج ابن جرير عن عبد الرحمن بن عوف أنه لما هاجر إلى المدينة وجد في نفسه على فراق رسول الله

---

(١) السابق .

(٢) سقط من أ .

(٣) البخاري (٤٧٣٢) ومسلم (٢٧٩٥) .

(٤) « أسباب النزول » (ص ٤٩٦) .

ﷺ وأصحابه بمكة منهم شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف ، فأنزل الله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [مريم : ٩٦] قال : محبة في قلوب المؤمنين .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو آيتان الآية الأولى ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [مريم : ٢٦] أي : صمتاً قيل : إن كان شرع من قبلنا شرع لنا فمنسوخة بقوله عليه السلام : « لا صمت يومًا إلى الليل ، وإلا فمحكمة .

الثانية : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا ﴾ [٢٣٠/أ] [مريم : ٧١] قال ابن عباس : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **الورود : الدخول ، لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها ، فتكون على المؤمنين بردًا وسلامًا** » .

وعن ابن مسعود جواز الصراط .

قيل : منسوخة بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ ﴾ [الأنبياء : ١٠١] والمختار إحكامها وتخصيصها بتمامها .

وقال عطاء : خاصة بعبدة الأوثان .

الفصل الثالث : في المتشابه منها

قوله : ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ [مريم: ٦] أي : يرث العلم والنبوة لا المال ، لخبر : « نحن معاشر الأنبـياء لا نورث ما تركناه صدقة ، وورث يتدعى بنفسه بمن ، وقد جمع بينهما في الآية .

وقيل : من للتبـعيض لا للتعدية لأن آل يعقـوب لم يكونوا كلهم أنبياء ولا علماء ، وعلى الأول المراد من آل يعقوب : الأنبياء . لأنهم الذين لا يورثون إلا العلم والنبوة .

قوله : ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ [مريم : ١٤] وبعده : ﴿ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مريم : ٣٢] لأن الأول في حق يحيى وجاء في الخبر عن النبى ﷺ : « **ما من أحد من بنى آدم إلا أذنب أو هم بالذنب إلا يحيى بن زكريا** عليه السلام » .

فنفا عنه الشقـاوة وأثبت له السعادة ، والأنبياء عندنا معـصومون من الكبائر غير معصومين عن الصغائر .

قوله : ﴿ وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ ﴾ [مريم : ١٥] قاله هنا في قصة يحيي منكراً ، وقال بعد في قصة عيسى : ﴿ وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ ﴾ [مريم : ٣٣] معرفًا لأن الأول من الله والقليل منه كثير ، والثاني من عيـسى وأل للاستغراق ، أو العهد كمـا في قوله تعـالى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾ [المزمل : ١٥ ، ١٦] أى ذلك السلام الموجه إلى يحيى موجه إليّ .

قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ [مريم : ١٧] أي جبريل ، فإن قلت : كيف قال ذلك مع أن اتفـاق العلماء على أن الوحي لم ينزل على امرأة ، ولهـذا قالوا [١٨٠/ ب] في قوله : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ﴾ [القصص : ٧] أنه وحي إلهام ، وقـيل : وحي منام ؟ قلت : لا نسلم أن الوحي لم ينزل عـلى امرأة فـقد قـال مقاتل في قوله : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ ﴾ [القصص : ٧] إنه كان وحيًا بواسطة

جبريل ، والمتفق عليه إنما هو وحي الرسالة لا مطلق الوحي ، والوحي هنا إنما هو بشارة بالولد ، لا بالرسالة .

قوله : ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ [مريم : ١٨] إن قلت : كيف قالت مريم ذلك مع أنه إنما يتعوذ من الفاسق لا من التقي ؟ [قلت : معناه : إن كنت فمن يتقي الله فأنت تنتهي عن بتعوذي به منك] [(١)] وقيل : ظنته رجلاً اسمه تقي وكان فاجرًا فتعوذت منه .

قوله : ﴿ فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [مريم : ٣٧] ، وفي حم : ﴿ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ [الزخرف : ٦٥] لأن الكفر أبلغ من الظلم ، وقصة عيسى في هذه السورة مشروحة ، وفيها ذكر نسبتهم إياه إلى الله تعالى حين قال : ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ﴾ [مريم : ٣٥] فذكر بلفظ الكفر ، وقصته في الزخرف مجملة فوصفهم بلفظ دونه ، وهو الظلم .

قوله : ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ﴾ [مريم : ٤٧] فإن قلت : الاستغفار للكافر حرام فكيف وعد إبراهيم عليه السلام أباه بالاستغفار له مع أنه كافر ؟ قلت : معناه سأسأل الله لك توبة تنال بها مغفرته يعني الإسلام .

والاستغفار للكافر بهذا الوجه جائز كأن يقول : اللهم وفقه للإسلام أو تب عليه أو اهده أو أنه وعده ذلك قبل تحريم الاستغفار [للكافر] قوله : [(١)] [وعمل صالحًا وفي الفرقان [٢٣١/أ] « وعمل عملاً صالحًا » لأن في هذه السورة أوجز في ذكر المعاصي فأوجز في التوبة وأطال هناك فأطال والله أعلم .

(١) سقط من أ .

سورة طه

مكية ، مائة وخمس وثلاثون ، أو وأربعون آية

أو مائة واثنتان وثلاثون

الفصل الأول في أسباب نزولها

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس (١) : أن النبى ﷺ كان أول ما أنزل الله عليه وسلم الوحي يقوم على صدور قدميه إذا صلى ، فأنزل : ﴿ طه ① مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾ [طه : ١ ، ٢] .

وأخرج عبد بن الحميد في « تفسيره » عن الربيع بن أنس قال (٢) : كان النبي ﷺ إذا صلى قام على رجل ورفع الأخري فأنزل الله : ﴿ طه ① مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾ .

وأخرج البزار بسند حسن عن على قال : كان النبي ﷺ يراوح بين قدميه يقوم على كل رجل حتى نزلت : ﴿ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾ .

وأخرج ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس (٣) قال: قالوا: لقد شقي هذا الرجل بربه فأنزل الله : ﴿ طه ① مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴾ ، ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴾ [طه: ١٠٥] أخرج ابن المنذر (٤) عن ابن جريج قال: قالت قريش : يا محمد كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة ؟ فنزلت : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴾ الآية .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ ﴾ [طه : ١١٤] أخرج ابن أبى حاتم عن السدي (٥) قال : كان النبى ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه في

---

(١) أنظر : « الباب المنقول للسيوطي » (ص ١٤٦) .
(٢) السابق .
(٣) السابق.
(٤) السابق .
(٥) السابق .

حفظه حتى شق على نفسه ، فتخوف أن يصعد جبريل ولم يحفظه، فأنزل الله : ﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ وتقدم في سورة النساء سبب آخر ، وهذا أصح .

قوله تعالى : ﴿ وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ [طه : ١٣١] أخرج ابن أبي شيبة وابن مردويه والبزار ، وأبو يعلي عن أبي رافع (١) قال : أضاف النبي ﷺ ضيفًا فأرسلني إلى رجل من اليهود أن أسلفني دقيقًا إلى هلال رجب فقال : لا إلا برهن ، فأتيت النبى ﷺ ، فأخبرته ، فقال : « أما والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض » فلم أخرج من عنده حتى نزلت هذه الآية : ﴿ وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا﴾ [طه : ١٣١] الآية .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو ثلاث آيات الآية الأولى : ﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ ﴾ [طه : ١١٤] قيل منسوخة : بقوله : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ﴾ [الأعلى : ٦] والمختار إحكامها ، لأنها نتيجة دعائه.

الثانية : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ .

الثالثة : ﴿ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ ﴾ [طه : ٣٥] قيل : منسوختان [١٨١/ ب] بالسيف حملاً لهما على الكف ، والمختار : إحكامهما حملاً لهما على الصبر على التبليغ وانتظار بيان الصادق من الكاذب .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله تبارك وتعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ⑨ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ [طه : ٩ ، ١٠] ، وفي النمل:

(١) ضعيف : وقد أخرجه أيضًا الطبراني في « الكبير » (٩٨٩) . وقال الهيثمي في « المجمع » (٦٦١٩) : رواه الطبراني في « الكبير » والبزار وفيه موسى بن عبيدة الربذى وهو ضعيف .

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [النمل : ٧] ، وفي القصص : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [٢٣٢/ أ] [القصص : ٢٩] هذه الآيات مشتملة على ذكر رؤية موسى النار وأمره أهله بالمكث ، وإخباره إياهم أنه آنس نارًا ، وإطماعهم أن يأتيهم بنار يصطلون بها ، أو بخبر يهتدون به إلى الطريق الذي ضلوا عنه ، لكنه نقص في النمل ذكر رؤية النار وأمره بالمكث اكتفاء بما تقدم ، وزاد في القصص قضى موسى الأجل المضروب ومسيره بأهله إلى مصر ، لأن الشيء قد يجمل ثم يفصل وقد يفصل ثم يجمل ، وفي طه فصل ، وأجمل في النمل ، ثم فصل في القصص وبالغ فيه ، وقوله في طه : ﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ [طه : ١٠] أي :من يخبرني بالطريق فيهديني إليه ، وإنما أخر ذكر الخبر فيها وقدمه فيهما مراعاة لفواصل الآي، وكرر لعلي في القصص لفظًا، وفيها معني لأن (أو) في قوله : ﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ [طه : ١٠] نائب عن (لعلي) وسآتيكم متضمن معنى لعلي ، وفي القصص : ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ ﴾ [القصص : ٢٩] ، وفي النمل : ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ ﴾ [النمل : ٧] ، وفى طه « بقبس » لأن الجذوة من النار خشبة في رأسها قبس له شهاب فهي في السور الثلاث [عبارة] (١) عن معنى واحد .

قوله : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا ﴾ [طه : ١١] وفي القصص بلفظ (أتي) ، وفي النمل بلفظ (جاء) لأنهما وإن كانا بمعني واحد غاير بينهما لفظًا توسعة في التعبير عن الشيء بمتساويين ، وخص (آتى) بهذه السورة لكثرة التعبير بالإتياء فيها ، و(جاء) بالنمل لكثرة التعبير بالمجيء فيها ، وألحق ما في القصص بما في طه لقرب ما بينهما أي من حيث قوله هنا : ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ [طه : ١٢] وقوله فى

---

(١) في أ : كناية .

القصص : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ ﴾ [القصص : ٣٠] وإن اختلف محملهما بخلاف ذلك في النمل .

قـوله : ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ [طـه : ١٧] إن قلت : ما فائدة سؤاله تعالى لموسى مع أنه تعـالى أعلم بما في يده ؟ قلت : فائدته تأنيسه وتخـفيف ما حصل عنده من دهـشة الخطاب وهيبـة الإجلال وقت التكلم مـعه ، أو اعتـرافه بكونها عصى وازدياد علمه بذلك فلا يعترضه شك إذا قلبها الله ثعبانًا أنها كانت عصى ثم انقلبت ثعبانا بقدرة الله تعالى .

قـوله : ﴿ عَصَايَ ﴾ [طه : ١٨] هو جواب مـوسى ، فإن قلت : لم زاد عليه: ﴿ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ﴾ [طه : ١٨] إلى آخره ؟ قلت : قال ابن عباس رضي الله عنهما : إنه سئل سؤالاً ثانيًا ما تصنع بها ؟

فأجاب بذلك،وذكر ذلك خوفًا من أنه يؤمر بإلقاءها كما أمر بإلقاء النعلين، أو لئلا ينسب إليه التعب في حملهـا مع أن المقام مقام البسط والتلذذ بالكلام مع الرب تعالى ولهذا بسط في نفس الجواب إذ كان يكفي فيه أن يقول : عصى .

قوله : ﴿ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ ﴾ [طه : ٤٠] ، وفي القصص : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ ﴾ [القـصص : ١٣] لأن الرجـوع إلى الشيء والرد إليـه بمعني ، والرد عن الشيء يقتضي كراهة المردود ،ولفظ الرجع ألطف فخص طه به وخص القصص بقوله : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ﴾ تصديقًا لقوله : ﴿إِنَّا رَادُّوهُ ﴾ [القصص : ٧] .

قوله : ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾ [طه : ٢٤] ، وفى الشعراء : ﴿أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ⑩ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا ﴾ [الشعراء : ١٠ ، ١١] ، وفى القصص : ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾ [القصص : ٣٢] لأن طه هي السابقة ، وفرعون هو الأصل المبعوث إليه وقـومه تبع له وهم كالمذكورين معه ، وفي الشعـراء (قوم فرعون) [١٨٢/ ب] أى : قوم فرعون وفرعون [٢٣٣/ أ] فـاكتفى بذكره في الإضافة عن ذكره مفردًا ، ومثله ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ﴾ [البقرة : ٥٠] أى آل فرعون وفرعون ،

وفى القصص : ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾ [القصص : ٣٢] فجمع بين الآيتين فصار كذكر الجملة بعد التفصيل .

قوله : ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴾ [طه : ٢٧] صرح بالعقدة في هذه السورة لأنها السابقة ، وفي الشعراء : ﴿ وَلا يَنطَلِقُ لِسَانِي ﴾ [الشعراء : ١٣] فكنى عن العقدة بما يقرب من التصريح ، وفي القصص : ﴿وَأَخِي هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾ [القصص : ٣٤] فكنى عن العقدة كناية مبهمة لأن الأول يدل على ذلك قوله فى الشعراء : ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ [الشعراء:١٤]،وفى القصص : ﴿ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ [القصص : ٣٣] وليس له في طه ذكر لأن قوله : ﴿ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾ [طه : ٢٦] مشتملة على ذلك وغيره ، لأن الله عز وجل إذا يسر له أمره لم يخف القتل .

قوله : ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (٢٩) هَرُونَ أَخِي ﴾ [طه : ٢٩ ، ٣٠] صرح بالوزير لأنه الأول في الذكر وكنى عنه فى الشعراء حيث قال : ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَرُونَ﴾ [الشعراء : ١٣] أي ليأتيني فيكون لي وزيرًا وفي القصص : ﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ﴾ أى اجعله لي وزيرًا] (١) .فكنى عنه بقوله ﴿رِدْءًا ﴾ لبيان الأول .

قوله : ﴿ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ﴾ [طه : ٤٧] وبعده : ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ١٦] لأن الرسول مصدر سمي به فحيث وحد حمل على المصدر ، ويجوز أن يقال : وحيث ثنى حمل على الاسم [ويجوز أن يقال : حيث وجد حمل على الرسالة] (٢) لأنهما أرسلا لشيء واحد ، وحيث ثنى حمل علي الشخصين .

قوله : ﴿ وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً ﴾ [طه : ٥٣] قاله هنا بلفظ (سلك) ، وقاله في الزخرف بلفظ (جعل) لأن لفظ السلوك مع السبل أكثر استعمالا من جعل

---

(١) سقط من أ .

(٢) سقط من أ .

فخص به طه لتقدمها وبـ (جعل الزخرف ليوافق التعبير به قبل مرة وبعد مرارًا .

قوله : ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ [طه : ٨٣] الآية إن قلت : هذا سؤال عن سبب العجلة فإن موسي لما أوعده الله تعالى حضور جانب الطور لأخذ التوراة اختار من قومه سبعون رجلاً يصحبونه إلى ذلك ثم سبقهم شوقًا إلى ربه تعالى وأمرهم بلحاقه فعوتب على ذلك فكيف طابق الجواب في الآية السؤال ؟

قلت : السؤال تضمن شيئن : إنكار العجلة والسؤال عن سببها .

فبدأ موسى بالاعتذار عما أنكره تعالى عليه بأنه لم يوجد منه إلا تقدم يسير لا يعتد به عادة ثم عقبه العذر بجواب السؤال عن السبب بقوله : ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤)﴾ [طه : ٨٤] .

قوله : ﴿ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴾ [طه : ١١٧] إن قلت : الخطاب لآدم وحواء ، فكيف قال : ﴿ فَتَشْقَىٰ ﴾ [طه : ١١٧] دون فتشقيا ؟ قلت : قال ذلك لأن الرجل قيم امرأته فشقاؤه يتضمن شقاءها كما أن سعادته تتضمن سعادتها ، أو قاله رعاية للفواصل ، أو أنه أراد بالشقاء الشقاء فى الطلب القوت وإصلاح المعاش وذلك وظيفة الرجل دون المرأة .

قوله : ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴾ [طه : ١٢١] إن قلت : هل يجوز أن يقال كان آدم عاصيًا غاويًا أخذ آمن ذلك ؟ .

قلت : لا إذا لا يلزم من جواز إطلاق الفعل جواز إطلاق اسم الفاعل ألا ترى أنه يجوز أن يقال : تبارك الله دون متبارك .

قوله : ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ [طه : ١٢٨] بالفاء من غير من [ق/ ٢٣٤أ] ، وفي السجدة [بالواو وبعده من لأن الفاء للتعقيب والاتصال بالأول فطال الكلام فحسن حذف من ، والواو تدل على الاستئناف وإثبات من غير مستقل .

قوله : ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ [طه : ١٣٥] إن

قلت : كيف جمع بين هذين مع أن أحدهما يغني عن الآخر ؟

قلت : المراد بالأول السالكون وبالثاني الواصلون ، أو بالأول الذين ما زالوا علي الصراط المستقيم ، وبالثاني الذين لم يكونوا على الصراط المستقيم ثم صاروا عليه ، أو بالأول أهل دين الحق في الدينا ، وبالثاني المهتدون إلي طريق الجنة في العقبى فكأنه قيل : ستعلمون من الناجي [ق / ١٨٣ب] في الدنيا والفائز في الآخرة والله سبحانه أعلم .

خاتمة في فضلها

قال القرطبي في كتاب « التذكار » : أسند الدارمي أبو محمد في مسنده وأبو حاتم الوائلى في كتاب : « الإبانة » له عن أبى هريرة ﵁ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الله تبارك وتعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفى عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت : طوبي لأمة ينزل عليها هذا ، وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تتكلم بهذا**» قال ابن فودك وغيره وخرج الوائلي من حديث هشام بن عروة عن أبيه قال : قالت عائشة أم المؤمنين ﵂ : أول سورة تعلمت من القرآن كلها بأسرها طه فكنت إذا قرأتها عند رسول الله ﷺ فقلت : ﴿ **مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ** ﴾ [طه : ٢] قال : « **لا شقيت يا عائشة** » ، وفيها آية تدخل في باب الرقي ، وهي : ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا** ﴾ [طه : ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧] ترقى بها الثأليل وهي التي تسمى عندنا بالبراريق واحدها بروقة وقد تطلع في الجسد وأكثر ذلك في اليد فيؤخذ ثلاثة أعواد من تبين الشعير يكون في طرف كل عود عقدة تمر كل عقدة على الثأليل وتقرأ الآية مرة ثم تدفن الأعواد الثلاثة في مكان ند وتعفره وتعفر الثأليل فلا يبقى لها أثر ، جربت ذلك في نفسي ، وفي غيري فوجدته نافعًا والحمد لله .

سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

مكية ، وهي مائة وإحدى أو اثنتا عشرة آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله عز وجل: ﴿ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ [الأنبياء : ٦] الآية أخرج ابن جرير عن قتادة قال : قال أهل مكة للنبي ﷺ إن كان ما تقول حقًا ويسرك أن نؤمن فحول لنا الصفا ذهبًا فأتاه جبريل فقال : إن شئت كان الذي سألك قومك ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم يناظروا، وإن شئت إستأنيت بقومك [قال : بل أستأني بقومي فأنزل الله] (١) : ﴿ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢) [الأنبياء : ٦] .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾ [الأنبياء : ٣٤] أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال : لما نعى النبي ﷺ نفسه قال : « يا رب فمن لأمتي » فنزلت : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾ [الأنبياء : ٣٤] الآية [ق / ٢٣٥أ] .

قوله تعالى : ﴿إِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الأنبياء : ٣٦] الآية أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال : مر النبي ﷺ على أبي جهل وأبي سفيان وهما يتحدثان فلما رآه أبو جهل ضحك منه وقال لأبي سفيان : هذا نبي عبد مناف ، فغضب أبو سفيان وقال : ما تنكرون أن يكون لبني عبد مناف نبي فسمعها النبي ﷺ فرجع إلى أبي جهل فوقع به وخوفه ، وقال : « ما أراك منهيًا حتى يصيبك ما أصاب عمك فنزلت : ﴿ إِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا ﴾ [الأنبياء : ٣٦] .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [الأنبياء : ٩٨] الآية ، أخرج

(١) سقط من أ .
(٢) تقدم .

الحاكم (١) عن ابن عباس قال: لما نزلت : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء : ٩٨] قال المشركون فالملائكة وعيسى وعزير يعبدون من دون الله فنزلت : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠١] وأخرج ابن مردويه والضياء في « المختارة » عن ابن عباس قال : جاء عبد الله بن الزبعري إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد تزعم أن الله قد أنزل عليك : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء : ٩٨] قال : «نعم»، قال : قد عبدت الشمس والقمر والملائكة وعزير فكل هؤلاء في النار مع آلهتنا ، فنزلت ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء : ١٠١] ونزلت : ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ [الزخرف : ٥٧] إلى قوله: ﴿ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف : ٥٨] .

---

(١) أخرجه الحاكم (٣٤٤٩) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .
وقال الذهبي : صحيح .

الفصل الثاني : في منسوخها

وهو آيتان :

الآية الأولى : ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ﴾ [الأنبياء : ٧٨] دلت على أن ما أفسدته البهائم ليلاً أو نهارًا مضمون [ق / ١٨٤ب] فإن كان شرع من قبلنا شرع لنا فمنسوخة بقوله عليه السلام : « جرح العجماء جبار » أي هدر والمختار إحكامها والسنة مخصصة ليل ومخصصة بفعله عليه الصلاة والسلام حين أفسدت ناقة البراء في حائط لليل فقضى أن على أهل الأموال حفظها بالنهار وعلى أهل المواشي حفظها بالليل .

الثانية : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّه حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء : ٩٨] قيل : منسوخة بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ ﴾ [الأنبياء : ١٠١] والمختار إحكامها وهي مخصوصة بها للاتصال والخبر . انتهى .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ [الأنبياء : ١] إن قلت : كيف وصف الحساب بالقرب ، وقد مضى من وقت هذا الإخبار أكثر من تسعمائة عام ولم يوجد ؟

قلت معناه أنه قريب عند الله وإن كان بعيد عندنا كقوله : ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾ [المعارج : ٦ ، ٧] ، ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج : ٤٧] ، أو أنه قريب بالنسبة إلى ما مضى من الزمان ، أو أن المراد قربه لكل واحد في قبره ويؤيده خبر « من مات قامت قيامته » .

قوله تعالى : ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ [الأنبياء :٢] ، وفي الشعراء: ﴿ مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ ﴾ [الشعراء : ٥] [خصت هذه السورة بقوله « من ربهم بالإضافة لأن الرحمن] (١) لم يأت مضافًا ،ولموافقة ما بعده ،وهو قوله : ﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ﴾ [الأنبياء: ٤] وخصصت الشعراء بقوله : ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾ [الشعراء : ٥] لتكون كل سورة مخصوصة بوصف من أوصافه وليس في [ق/ ٢٣٦أ] أوصاف الله اسم أشبه باسم الله من الرحمن لأنها اسما ممنوعا أن يسمى بهما غير الله عز وجل ولموافقة ما بعده ، وهو قوله : ﴿لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء : ١٠٤] لأن الرحمن والرحيم من مصدر واحد .

قوله : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ ﴾ [الأنبياء : ٧] قاله هنا بحذف من تبعًا لحذفها من وله قبل : ﴿ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ ﴾ [الأنبياء : ٦]، وقاله بعد بذكرها جريًا على الأصل .

قوله : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ [الأنبياء : ٧] أمر مشركي مكة بأن يسألوا أهل الذكر أي أهل الكتاب عن من مضى من الرسل هل كانوا بشرا أو ملائكة ؟ ،

---

(١) سقط من أ .

فإن قلت : كيف أمرهم بذلك مع أنهم قالوا : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [سبأ : ٣١] .

قلت : لا مانع من ذلك إذ الإخبار بعدم الإتيان بشيء لا يمنع أمره بالإتيان به ولو سلم فهم وإن لم يؤمنوا بكتاب أهل الكتاب لكن النقل المتواتر من أهل الكتاب في أمر يفيد العلم لمن يؤمن بكتابهم ولمن لا يؤمن به .

قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء : ٣٠] إن قلت : كيف قال ذلك الشامل لقوله في النور : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ [النور : ٤٥] مع أن لنا أشياء أحياء لم تخلق من الماء ، وهم الملائكة والجن وآدم وناقة صالح [إذ الملائكة خلقت من نور والجن من نار وآدم من تراب وناقة صالح] (١) من حجر لا من ماء .

قلت : المراد به البعض كما في قوله تعالى : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل: ٢٣] ، وقوله : ﴿ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾ [يونس : ٢٢] ، أو الكل مخلوقون من الماء لأن الله خلق قبل خلق الإنسان جوهرة ونظر إليها نظرة هيبة فاستحالت ماء فخلق من ذلك الماء جميع المخلوقات ، أو خلقهم من الماء إما بواسطة ، أو بغيرها ، ولهذا قيل : إنه تعالى خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء ، والجن من نار خلقها من الماء ، وآدم من تراب خلقه من الماء .

قوله : ﴿ كل نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٥] ، وفي العنكبوت : ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ٥٧] لأن ثم للتراخي والرجوع هو الرجوع إلى الجنة أو النار وذلك في القيامة فخصت سورة العنكبوت به وخصت هذه السورة بالواو لما حيل بين الكلامين .

قوله : ﴿ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً ﴾ [الأنبياء : ٣٦] ، وفى الفرقان : ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً ﴾ [الفرقان : ٤١] لأنه ليس في الآية

---

(١) سقط من أ .

التي تقدمتهـا ذكر الكفار فصرح باسمهم ، وفي الفـرقان [ق/ ١٨٥ب] قد سبق ذكر الكفار فخص الإظهار بهذه السورة والكناية بتلك .

قوله : ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا ﴾ [الأنبـياء : ٥٢ ، ٥٣] جواب لقـوله : ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ ﴾ [الأنبـياء : ٥٢] ، وفي الشعراء أجابوا عن قوله : [ما تعبدون] بقولهم : ﴿ نَعْبُدُ أَصْنَامًا ﴾ [الشعراء : ٧١] ثم قال : ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ [الشعراء : ٧٢ ، ٧٣] فأتى بصورة الاستفهام ومعناه النفي قالوا : ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا ﴾ [الشعراء : ٧٤] أي قالوا : لا بـل وجدنا عليهـا آباءنا لأن السؤال في الآيـة يقتضي في جـوابهم أن ينفوا ما نفاه السائل فأضربوا عنه إضرابين ينفي الأول ويثبت الثاني فقالوا : ﴿بَلْ وَجَدْنَا﴾ [الشعراء : ٧٤] فخصت السور به .

قـوله : ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ ﴾ [الأنبـياء : ٣٦] قاله اسـتهزاء وتهكما بمن استفهموه وإلا ففاعله هو نفسه ، أو إنه لما كان الحامل له على الفعل تعظيمـهم للأصنام وكان كـبيرهم أبعث له عـلى الفعل لمزيد تعظيـمهم له أسند الفعل إليه [ق/ ٢٣٧أ] لأنه السبب فيه .

قوله : ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٠] ، وفى الصافات : ﴿الْأَسْفَلِينَ ﴾ [الصافات : ٩٨] لأن في هذه السورة كادهم إبراهيم عليه السلام لقوله : ﴿ لأكيدن أصنامكم ﴾ وكادوا هم إبراهيم عليه السلام لقوله :] (١) ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا ﴾ [الأنبـيـاء : ٧٠] فجرت بينـهم مكايدة فغلبهم إبراهيم لأنه كسـر أصنامهم ولم يغلبوه لأنهم لم يبلغوا من إحراقه مرادهم فكانوا هم الأخسرين، وفي الصافات : ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ [الصـافات : ٩٧] فأججـوا نارًا عظيمة وبنوا بنيانًا عاليًـا ورفعوه إليه ورمـوه منه إلى أسفل فرفعه الله وجـعلهم في الدنيا من الغافلين وردهم في العقبي إلى أسفل السافلين فخصت والصافات بالأسفلين .

---

(١) سقط من أ .

قوله : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] الآية ختم القصة هنا بقوله : ﴿مِّنْ عِندِنَا ﴾ [الأنبياء : ٨٤] وختمها في ص بقوله : ﴿ مِّنَّا ﴾ [ص : ٤٣] لأن أيوب بالغ هنا فى التضرع بقوله : ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٣] فبالغ تعالى في الإجابة فناسب ذكر من عندنا لأن عندنا يدل على أنه تعالى تولى ذلك بنفسه ولا مبالغة في ص . فناسب ذكر منا لعدم دلالته على ما دل عليه عندنا .

قوله : ﴿ فَاعْبُدُونِ (٩٢) وَتَقَطَّعُوا﴾ [الأنبياء : ٩٢، ٩٣] قال ذلك هنا ، وقال في المؤمنين : ﴿ فَاتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا ﴾ [المؤمنون : ٥٢ ، ٥٣] لأن الخطاب هنا للكفار فأمرهم بالعبادة التى هي التوحيد ثم قال : ﴿ وَتَقَطَّعُوا ﴾ [الأنبياء : ٩٣] بالواو لا بالفاء لأن مدخولها ليس مرتبًا على ما قبلها بل هو واقع قبله ، ومن قال : الخطاب مع المؤمنين فمعناه دوموا علي العبادة والخطاب ثم للنبي ﷺ وأمته بدليل قوله قبل : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾الأية [المؤمنون: ٥١] والأنبياء وأممهم مأمورون بالتقوى ثم قال : ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم﴾ [المؤمنون : ٥٣] بالفاء فظهر منهم التقطع بعد هذا القول والمراد أمتهم ، قوله : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا ﴾ الأنبياء : ٩١] أي في جيب درعها بحذف مضافين ولهذا ذكر الضمير في التحريم فقال : ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ ﴾ [التحريم : ١٢] .

قوله : ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٥] أي ممتنع عليهم الرجوع .

إن قلت : كيف قال ذلك مع أنه لا بد من رجوعهم إلى الله ؟

قلت : معناه لا يرجعون عن الكفر إلى الإيمان أو لا يرجعون بعد إهلاكهم إلى الدنيا ، وقيل : معناه حرام واجب فلا حينئذ زائدة أى واجب رجوعهم والله سبحانه وتعالى أعلم .

خاتمة

قال القرطبي في كتاب « التذكار » روى أبو داود عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ قال : « **دعاء ذي النون في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لم يدع اللهَ به رجلٌ مسلم قط في شيء إلا استجيب له** » ،وفي الخبر في هذه الآية شرط الله لمن دعاه أن [يجيبه كما أجابه وأن] (١) ينجيه كما نجاه، وهو قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء : ٨٨] [ق/ ١٨٦ب] وليس هنا دعاء صريح إنما هو مضمون قوله : ﴿ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء : ٨٧] فاعترف بالظلم فكان تلويحًا بالدعاء . . . انتهى .

(١) سقط من أ .

سورة الحج

مكية ، إلا ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ﴾ لآيتين [الحج : ١١] ، أو إلا ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ [الحج : ١٩] الست آيات فمدنية ، وهي أربع ، أو خمس ، أو ست أو سبع أو ثمان وسبعون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ﴾ [الحج : ٣] أخرج ابن أبي حاتم (١) عن أبى مالك في قوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الحج : ٣] قال نزلت في النضر بن الحاررث .

قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾لآية [الحج : ١١] أخرج البخاري (٢) عن ابن عباس [ق/٢٣٨أ] قال : كان الرجل يقدم المدنية فيسلم فإن ولدت امرأته غلامًا ونتجت خيله قال : هذا دين صالح وإن لم تلد امرأته ولدًا ذكراً ولم تنتج خليه قال : هذا دين سوء ، فأنزل الله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج : ١١] .

وأخرج ابن مردويه (٣) من طريق عطية عن أبي سعيد قال : أسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله ولده فتشاءم بالإسلام ، فأتى النبي ﷺ فقال : أقلني ، فقال : إن الإسلام لا يقال ، فقال : لم أصب من ديني هذا خيراً ذهب بصري ومالي ومات ولدي فنزلت : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ الآية [الحج : ١١] .

قوله تعالى ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ [الحج : ١٩] أخرج الشيخان (٤) وغيرهما عن

---

(١) انظر « الباب النقول » (ص ١٢٨) .

(٢) حديث رقم (٤٤٦٥) .

(٣) « الباب النقول » (ص ١٤٨) .

(٤) البخاري (٣٧٤٨) ومسلم (٣٠٣٣) .

أبي ذر قال : نزلت هذه الآية : ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الحج : ١٩] في حمزة وعبيدة وعلى بن أبي طالب وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة .

وأخرج الحاكم (١) عن علي قال : فينا نزلت هذه الآية ، وفي مبارزتنا يوم بدر ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ [الحج :١٩] إلى قوله :﴿ الْحَرِيقِ ﴾ [الحج : ٢٢] .

وقال ابن عباس (٢) ﷺ : هم أهل الكتاب قالوا : للمؤمنين نحن أولى بالله منكم ، وأقدم منكم كتابًا ونبينا قبل نبيكم ، فقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد ﷺ وآمنا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون نبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدًا فكانت هذه خصومتهم ، وأنزل فيهم هذه الآية ، وهذا قول قتادة .

قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ ﴾الآية [الحج : ٢٥] أخرج ابن أبي حاتم (٣) عن ابن عباس قال بعث النبي ﷺ عبد الله بن أُنيس مع رجلين أحدهما مهاجر والآخر من الأنصار فافتخروا في الأنساب فغضب عبد الله بن أنيس فقتل الأنصاري ثم ارتد عن الإسلام وهرب إلى مكة فنزلت فيه : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾الآية [الحج : ٢٥] .

قوله تعالى : ﴿ وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ الآية [الحج : ٢٧] أخرج ابن جرير عن مجاهد قال : كانوا لا يركبون فأنزل الله : ﴿ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ ﴾ [الحج : ٢٧] فأمرهم بالزاد ورخص لهم في الركوب والمتجر .

قوله تعالى : ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا ﴾ [الحج : ٣٧] أخرج ابن أبي حاتم عن ابن جريج قال : كان أهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الإبل

---

(١) حديث رقم (٣٤٥٤) وقال : صحيح الإسناد عن على ﷺ . وقد اتفق الشيخان على إخراجه من حديث الثورى .

(٢) انظر « أسباب النزول » للواحدي (ص/٥٠٣) .

(٣) انظر « لباب النقول » (ص ١٤٩) .

ودمائها فقال النبى ﷺ فنحن أحق أن ننضح فأنزل الله : ﴿ **لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن** ﴾ الآية [الحج : ٣٧] .

قوله تعالى : ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا** ﴾ [الحج : ٣٩] أخرج أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن ابن عباس قال : لما خرج النبى ﷺ من مكة قال أبو بكر : اخرجوا نبيهم ليهلكن فأنزل الله : ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** ﴾ [الحج : ٣٩] .

قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ** ﴾ الآية [الحج : ٥٢] الآية أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير [وابن المنذر من طرق بسند صحيح عن سعيد بن جبير] (١) قال : قرأ رسول الله ﷺ بمكة النجم فلما بلغ : ﴿ **اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ** ﴾ [النجم : ١٩ ، ٢٠] ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العُلَى وإن شفاعتهن لترتجى فقال المشركون : ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فنزلت : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ** ﴾ [الحج : ٥٢] [ق/ ٢٣٩أ] الآية وأخرجه البزار وابن مردويه من وجه [ق / ١٨٧ب] آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسبه ، وقال : لا يروى متصلاً إلا بهذا الإسناد تفرد بوصله أمية بن خالد ، وهو ثقة مشهور ، وأخرجه النحاس عن ابن عباس بسند فيه الواقدي،وابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن بن عباس ، وابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس ، وأورده ابن إسحاق في السيرة عن محمد بن كعب ، وموسى بن عقبة في المغازى عن ابن شهاب ، وابن جرير عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس ، وابن أبي حاتم عن السدي كلهم بمعني واحد وكلها إما ضعيفة ، أو منقطعة سوى طريق سعيد بن جبير الأول ، قال الحافظ ابن حجر (٢) : لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً

---

(١) سقط من أ .

(٢) انظر : « لباب النقول » للسيوطي (ص ١٥٠) .

مع أن لها طريقين صحيحين مرسلين أخرجهما ابن جرير أحدهما من طريق الزهري عن أبي بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام والآخر من طريق داود بن أبي هند عن أبي العالية ولا عبرة بقول ابن العربي وعياض : إن هذه الروايات باطلة لا أصل لها انتهى .

وأخرج الواحدي [(١)] عن سعيد بن جبير قال : قرأ رسول الله ﷺ : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾ [النجم : ١٩ ، ٢٠] فألقى الشيطان على لسانه : تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى » ففرح المشركون بذلك وقالوا قد ذكر آلهتنا ، فجاء جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ ، وقال : اعرض علي فلما عرض عليه قال : أما هذه فلم آتك به هذه من الشيطان فأنزل الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ [الحج : ٥٢] الآية .

قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ﴾ [الحج : ٦٠] الآية أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل أنها نزلت في سرية بعثها النبي ﷺ فلقوا المشركين لليلتين بقيتا في المحرم فقال المشركون بعضهم لبعض: قاتلوا أصحاب محمد فإنهم يحرمون القتال في الشهر الحرام فناشدهم الصحابة وذكروهم بالله أن لا يتعرضوا لقتالهم فإنهم يستحلون القتال في الشهر الحرام فأبى المشركون ذلك وقاتلوهم وبغوا عليهم فقاتلهم المسلمون ونصروا عليهم ، فنزلت هذه الآية . . انتهى .

---

(١) انظر « أسباب النزول » (ص ٥٠٦) . وهي قصة باطلة وقد نسخها العلامة الألباني في جزء خاص بها سماه : « نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق » .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو ثلاث آيات :

الآية الأولى : قوله تعالى : ﴿ أُذنَ للَّذينَ يُقَاتَلُونَ بأَنَّهُمْ ظُلمُوا ﴾ [الحج : ٣٩] قال ابن عباس : منسوخة بقوله : ﴿وَذَرُوا الَّذينَ يُلْحدُونَ في أَسْمَائه ﴾ [الأعراف : ١٨٠] بناء على أنها مكية والمختار إحكامها لأنه تهديد .

الثانية : ﴿ وَإن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحج : ٦٨] قيل : أمر بالاقتصار على القول فهي منسوخة بالسيف ، والمختار إحكامها وهو مأمور بالاثنين .

الثالثة : ﴿ وَجَاهدُوا في اللَّه حَقَّ جهَاده ﴾ [الحج : ٧٨] قيل : منسوخة بقوله : ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [البقرة :٢٨٦]،أو ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ [الطلاق: ١٦]، [ق/ ٢٤٠أ] والمختار إحكامها وهو بيان لوفاء حق الله .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ ﴾ [الحج : ٢] إن قلت : كيف جمع هنا وأفرد بعد في قوله : ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ ﴾ [الحج : ٢] .

قلت : لأن الرؤية الأولى متعلقة بالزلزلة ، وكل الناس يرونها ، والثانية متعلقة بكون الناس سكاري فلا بد من جعل كل واحد رائيًا باقيهم .

قوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ [الحج : ٨] ، في هذه السورة ، وفي لقمان ﴿ لَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ لأن ما في هذه السورة وافق ما قبلها من الآيات ، وهي من في القبور ، وكذلك في لقمان ما قبلها وما بعدها وهي الحمير والسعير والأمور .

قوله : ﴿بَعْدِ عِلْمٍ﴾ [الحج : ٥] بزيادة من لقوله : ﴿ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ [الحج : ٥] الآية ، وقد سبق في النحل .

قوله : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾ [الحج : ١٠] ، وفي غيرها ﴿ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٥١] لأن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث ، وقيل في أبي جهل فوحده ، وفي غيرها نزلت في الجماعة التي تقدم ذكرها .

قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ ﴾ [الحج : ١٧] [ق/ ١٨٨ب] قدم الصابئين لتقدم زمانهم ، وقد سبق في البقرة .

قوله : ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ [الحج : ٢٢] وفي السجدة ﴿ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ﴾] (١) لأن المراد بالغم الكرب والأخذ بالنفس حتى لا يجد صاحبه متنفسًا ، وما قبله من الآيات يقتضي ذلك وهو ﴿ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ ﴾ [الحج : ١٩] إلى قوله : ﴿ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ [الحج : ٢١] فمن كان

(١) سقط من أ .

من ثياب من نار فوق رأسه حميم يذوب من حره أحشاء بطنه حتى يذوب ظاهر جلده وعليه موكلون يضربونه بمقامع من حديد كيف يجد سرورًا أو متنفسًا من تلك الكروب التى عليه وليس في السجدة من هذا شىء إنما قبلها : ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهِ ﴾ [السجدة : ٢٠] .

قوله : ﴿وَذُوقُوا﴾ [الحج : ٢٢] ، وفي السجدة: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا ﴾ [السجدة : ٢٠] القول هنا مضمر وخص بالإضمار لطول الكلام بوصف العذاب وخصت سورة السجدة بالإظهار موافقة للقول قبله في مواضع منها : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ [السجدة : ٣] ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ ﴾ [السجدة : ١٠] و ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم ﴾ [السجدة : ١١] و ﴿حَقَّ الْقَوْلُ ﴾ [السجدة : ١٣] وليس في الحج منه شيء .

قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ [الحج : ١٤ ، ٢٣] مكررة وموجب التكرار قوله : ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ ﴾ [الحج : ١٩] لأنه لما ذكر أحد الخصمين وهو ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج : ١٩] لم يكن بد من ذكر الخصم الآخر فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الحج : ١٤ ، ٢٣] الآية : ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ ﴾ [الحج : ٢٦] ، وفي البقرة : ﴿وَالْعَاكِفِينَ ﴾ [البقرة : ١٢٥] وحقه أن يذكر هناك لأن ذكر العاكف هنا سبق في قوله : ﴿ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ﴾ [الحج : ٢٥] ، ومعنى القائمين والركع السجد المصلون ، وقيل القائمين بمعنى المقيمين وهم العاكفون لكن لما تقدم ذكرهم عبر عنهم بعبارة أخرى .

قوله : ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾ [الحج : ٣٦] كرر لأن الأول متصل بكلام إبراهيم ، أو هو اعتراض ثم أعاده مع قوله : ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم ﴾ [الحج : ٣٦] .

قوله : ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ [الحج : ٤٥] وبعده ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا ﴾ [الحج: ٤٨] خص الأول بذكر الإهلاك [ق / ٢٤١أ] لاتصاله بقوله :

﴿فأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ﴾ [الحج : ٤٤] والثاني بالإملاء لأن قوله : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [الحج : ٤٧] دل على أنه لم يأتهم في الوقت فحسن ذلك الإملاء .

قوله : ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾ [الحج : ٦٢] ، وفي سورة لقمان : ﴿مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ ﴾ [لقمان : ٣٠] لأن في هذه السورة وقع بين عشر آيات كل آية مؤكدة مرة ، أو مرتين ، ولهذا أيضًا زيد في هذه السورة اللام في قوله : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [الحج : ٦٤] ، وفي لقمان : ﴿هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [لقمان : ٢٦] إذ لم تكن سورة لقمان بهذه الصفة ، وإن شئت قلت لما تقدم في هذه السورة ذكر الله سبحانه وتعالى وذكر الشيطان أكدهما فإنه خبر وقع بين خبرين، ولم يتقدم في لقان ذكر الشيطان [فأكد ذكر الله تعالى وأهمل ذكر الشيطان](١) فهذه دقيقة .

قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج : ٧٨] إن قلت : كيف لا حرج فيه مع أن قطع يد بسرقة ربع دينار ، ورجم محصن بزنا مرة ووجوب صوم شهرين متتابعين بإفساد يوم من رمضان بوطء ونحو ذلك حرج ؟

قلت : المراد بالدين التوحيد ولا حرج فيه بل فيه تخفيف فإنه يكفر ما قبله من الشرك وإن امتد ولا يتوقف الإتيان به على زمان ، أو مكان معين ، أو أن كل ما يقع فيه الإنسان من المعاصي يجد له مخرجًا في الشرع بتوبة أو كفارة ، أو رخصة ، أو المراد نفي الحرج [ق/ ١٨٩ب] الذي كان في زمن بني إسرائيل.

---

(١) سقط من أ .

خاتمة

قال القرطبي : جاء في فضلها ما رواه الترمذي وأبو داود والدارقطني عن عقبة بن عامر قال : قلت يا رسول الله فضلت سورة الحج بأن فيها سجدتين ؟

قال نعم : « ومن لم يسجدها فلا يقرأها » لفظ الترمذي وقال : هذا حديث حسن ليس إسناده بالقوي (١) .

---

(١) ضعيف أخرجه أحمد (١٧٤٠٢) وأبو داود (١٤٠٢) والترمذي (٥٧٨) والحاكم (٨٠٥) .
وسكت عنه الذهبي .
وقال الألباني : ضعيف .

سورة المؤمنون

مكية وهي مائة وثماني عشر آية والله أعلم بمراده

الفصل الأول في منسوخها

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[المؤمنون:١] أخرج الواحدي (١) عن عمر بن الخطاب كان إذا نزل الوحي على رسول الله ﷺ تسمع عند وحيه كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال: «اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا» ثم قال: «لقد أنزل علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون:١] إلى عشر آيات إلى: ﴿خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون:١١] قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون:٢] أخرج الواحدي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء فنزلت: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون:٢] قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤] أخرج الواحدي (٢) عن أنس بن مالك عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وافقت ربي في أربع فقلت يا رسول الله لو صلينا خلف المقام فأنزل: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] وقلت: لو اتخذت

---

(١) «أسباب النزول» (ص: ٥٠٧). وإسناده ضعيف أخرجه: أحمد (٢٢٣) والترمذي (٣١٧٣) والحاكم (٣٤٧٩). وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وقال الذهبي: سئل عبد الرزاق عن شيخة ذا فقال: لا أظنه شيء.

وقال الألباني: ضعيف.

(٢) «أسباب النزول» (ص ٥٠٨) وهو إسناده ضعيف أخرجه الحاكم (٣٤٨٣) والبيهقى في «الكبرى».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لو لا خلاف فيه على محمد. فقد قيل: عنه مرسلاً، ولم يخرجاه وقال الذهبي: الصحيح مرسل.

وقال البيهقي: وقد روى عن ابن سيرين عن أبي هريرة موصولاً والصحيح هو المرسل. أ هـ.

على نسائك حجاباً فإنه يدخل عليهن البر والفاجر ، فأنزل الله : ﴿وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب﴾ [الأحزاب: ٥٣] وقلت لأزواج النبي ﷺ : لستن، أو ليبدلنه أزواجا خيراً منكن، وقلت حين سمعت : ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٤] ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٤] فأنزلها الله قوله تعالى: ﴿ ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا ﴾[المؤمنون :٧٦] أخرج الواحدي(١) عن ابن عباس جاء ثمامة أسيرا فأسلم فأطلق فلحق باليمامة وقطع المسيرة عن مكة فقال أبو سفيان يا محمد تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين وقد قتلت إلا بالسيف والأبناء بالجوع وقد الجأهم الجدب إلى أكل العلهز ـ يعنى الدم بالوبر فنزلت .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو آيتان الأولى : ﴿ فذرهم في غمرتهم حتى حين ﴾ [المؤمنون : ٥٤] .

الثانية: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة ﴾ [المؤمنون:٩٦] نظيره في حم السجدة : قيل منسوختان بالسيف والمختار إحكامهما لتوقيت الأولى وحمل الثانية على الصبر على التبليغ.

---

(١) « أسباب النزول » (ص ٥٠٩) .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله : ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٩] بالجمع وبالواو وفي الزخرف : ﴿ فَاكِهَةٌ ﴾ [الزخرف : ٧٣] على التوحيد ﴿ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٣] بغير واو وراعى في السورتين لفظ الجنة وكانت هذه جنات بالجمع فقال : فواكه بالجمع ، وفي الزخرف : ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ ﴾ [الزخرف : ٧٢] بلفظ التوحيد فراعى اللفظ فقال : ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ ﴾ [الزخرف : ٧٣] ، وقال في هذه السورة : ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٩] بزيادة الواو لأن تقدير الآية منها تدخرون ومنها تأكلون ومنها تبيعون ، وليس كذلك في فاكهة الجنة فإنها للأكل فحسب فلذلك قال : ﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٩] ووافق في هذه السورة ما بعدها أيضًا ، وهو قوله : ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [المؤمنون : ٢١] فهذا للقرآن معجزة وبرهان .

قوله : ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ ﴾ [المؤمنون : ٢٠] المراد بها شجرة الزيتون ، فإن قلت : لما خصها بطور سيناء مع أنها تخرج من غيره أيضًا .

قلت : أصلها منه ثم نقلت إلى غيره .

قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا ﴾ [المؤمنون : ٢٤] قال ذلك هنا بتقديم الصفة من قومه وقاله بعد بالعكس لأنه اقتصر في صلة الموصول على الفعل والفاعل وفيما بعد طالت فيه الصلة بزيادة [ق/ ١٩٠ب] العطف على الصلة مرة بعد أخرى فقدم عليها من قومه لأن تأخيره على المفعول ملبس وتوسطه بينه وبين ما قبله ، ركيك .

قوله : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لأَنزَلَ مَلائِكَةً﴾ [المؤمنون: ٢٤] قاله هنا بلفظ الله،وفي فصلت بلفظ ربنا وما في فصلت تقدمه لفظ الرب في ﴿ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فصلت : ٩] سابقًا على لفظ الله فناسب ذكر الله هنا وذكر الرب ثم قوله : ﴿ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون : ٤١] بالألف واللام وبعده ﴿لِّقَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون : ٤٤] لأن الأول لقوم صالح فعرفهم بدليل قوله : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ ﴾ [المؤمنون : ٤١] والثاني نكره وقبله : ﴿ قُرُونًا آخَرِينَ ﴾ [المؤمنون: ٤٢] فكانوا منكرين ولم يكن معهم قرينة عرفوا بها فخصهم بالنكرة .

قوله : ﴿ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] وما في سبأ بلفظ بصير مناسبة لما قبلها إذ ما هنا تقدمه آيات الكتاب [ق/ ٢٤٣أ] وجعل مريم وابنها آية والعلم بهما أنسب من بصرهما وما هناك تقدمه قوله : ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ [سبأ: ١٠] والبصر بألنا الحديد أنسب من العلم بها .

قوله : ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِن قَبْلُ ﴾ [المؤمنون : ٨٣] ، وفي النمل : ﴿ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ [النمل : ٦٨] لأن ما في هذه السورة على القياس فإن الضمير المرفوع المتصل لا يجوز العطف عليه حتى يؤكد بالمنفصل فأكد وعدنا بنحن ثم عطف عليه آباؤنا ثم ذكر المفعول وهو هذا وقدم في النمل المفعول موافقة لقوله : ﴿ ترابا ﴾ فقدم ترابًا ليسد مسد نحن .

قوله : ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ ﴾ [المؤمنون : ٨٧] بلام الجر وبعده ﴿ سَيَقُولُونَ ﴾ [المؤمنون : ٨٩] لأن في الأول وقع في جواب مجرور باللام في قوله : ﴿لِّمَنِ الأَرْضُ ﴾ [المؤمنون : ٨٤] فطابقه بجره باللام بخلاف ذلك في الأخيرين فإنهما إنما وقعا في جواب خال عن اللام ففي الأول طابق لفظًا ومعنى ؛لأنه قال في السؤال: ﴿ لِّمَنِ الأَرْضُ﴾ [المؤمنون : ٨٤] قال في الجواب لله وفي الثاني والثالث المطابقة فيهما في المعنى : ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [المؤمنون : ١٠٥] ، وقبل ﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [المؤمنون : ٦٦] ليس بتكرار لأن الأول في الدنيا عند نزول العذاب وهو الحرب عند بعضهم ويوم بدر عند بعضهم ، والثاني في القيامة وهم في الجحيم بدليل قوله : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ﴾ [المؤمنون : ١٠٧] .

خاتمة

قال القرطبي جاء في فضل آخرها ما روي عن أبي هريرة أن رجلاً مصابًا مر به على ابن مسعود فرقاه في أذنه بهذه الآية : ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا** ﴾ [المؤمنون : ١١٥] .حتى ختم السورة فبرئ فقال رسول الله ﷺ : « **والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقنًا قرأها على جبل لزال** » ، وعن عبد الله بن مسعود أنه مر بمصاب مبتلى فقرأ في أذنه : ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا** ﴾ [المؤمنون : ١١٥] فذكره بلفظه ومعناه .

سورة النور

مدنية وهي اثنتان أو أربع وستون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى: ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ [النور :٣] قال المفسرون (١) : قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء ليست لهم أموال وبالمدينة نساء بغايا مسافحات يكرين أنفسهم وهن يؤمئذ أخصب أهل المدينة فرغب في كسبهن ناس من المهاجرين فقالوا : لو أنا تزوجنا بهن فعشنا معهن إلى أن يغنينا الله تعالى عنهن فاستأذنوا رسول الله ﷺ في ذلك فنزلت هذه الآية وحرم فيها نكاح الزانية صيانة للمؤمنين عن ذلك .

وقال عكرمة (٢) : نزلت في نساء بغايا متعالنات بمكة والمدينة وكن كثيرات ومنهن تسع صواحب لهن رايات كرايات البيطار يعرفن بها : أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي وأم غليظ جارية صفوان بن أمية وحبة القبطية جارية العاص بن وائل ومزنة جارية [ق/ ١٩١ب] ابن مالك بن نميلة بن السباق وجلالة جارية سهيل بن عمرو [وأم سويد جارية عمرو] (٣) بن عثمان المخزومي وشريفة جارية [ق/ ٢٤٤ أ] زمعة بن الأسود وفرسة جارية هشام بن ربيعة وقرنتا جارية هلال بن أنس وكانت بيوتهن تسمى فى الجاهلية المواخير لا يدخل عليهن ولا يأتيهن إلا زان من أهل القبلة ، أو مشرك من أهل الأوثان فأراد ناس من المسلمين نكاحهن ليتخذوهن مأكلة ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ونهى المؤمنين عن ذلك وحرمه عليهم .

---

(١) انظر : « أسباب النزول » للواحدي (ص / ٥١٣) .

(٢) السابق .

(٣) سقط من أ .

وأخرج الواحدي (١) عن عبد الله بن عمر أن امرأة كان يقال لها أم مهزول كانت تسافح وكانت تشرط للذي يتزوجها أن تكفيه النفقة وأن رجلاً من المسلمين أراد أن يتزوجها فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية . ﴿لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ﴾ [النور : ٣] .

وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم (٢) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان رجل يقال له مرثد يحمل الأساري من مكة حتى يأتي المدينة وكانت امرأة بمكة صديقة له يقال لها عناق فاستأذن النبى ﷺ أن ينكحها فلم يرد عليه شيء حتى نزلت : ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ [النور : ٣] الآية فقال رسول الله ﷺ يا مرثد : ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور : ٣] فلا تنكحها .

قال في « الدر المنثور » (٣) أخرج أبو عبيد فى « الناسخ وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو داود في الناسخ ، وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي عن سعيد بن المسيب ﷺ هذه الآية : ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً ﴾ [النور : ٣] قال : يرون أن هذه الآية التى بعدها نسختها : ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ ﴾ [النور : ٣٢] فهن من أيامى المسلمين .

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ﴾ [النور: ٦] الآيات أخرج البخاري (٤)

---

(١) السابق (ص٥١٤) .

(٢) صحيح أخررجه أبو داود (٢٠٥١) والترمذي (٣١٧٧) والنسائي (٣٢٢٨) والحاكم (٢٧٠١). قال الترمذي : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي . وقال الألباني : حسن صحيح .

(٣) انظر « الدر المنثور » للسيوطي (٦/ ٣٠) .

وقد أخرجه البيهقي في « الكبري » (١٣٦٤٦) وسعيد بن منصورفي « سننه » (٨٦٢) والشافعي في مسنده (١٣٠٥) .

(٤) حديث رقم (٢٥٢٦) ، (٤٤٧٠) .

من طريق عكرمة عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند رسول الله ﷺ بشريك بن سحماء فقال النبى ﷺ البينة أوحد في ظهرك فقال يا رسول الله إذا رأى أحدنا مع امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة ؟ و[فجعل رسول الله ﷺ يقول البينة وإلا حد] (١) في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل فأنزل الله عليه : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ﴾ [النور : ٦] فقرأ حتى بلغ : ﴿إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور : ٩] .

وأخرجه أحمد (٢) بلفظ : لما نزلت : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴾ [النور : ٤] قال سعد بن عبادة وهو سيد الأنصار هكذا أنزلت يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم ؟** » قالوا : يا رسول الله لا تلمه فإنه رجل غيور والله ما تزوج امرأة فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيرته، فقال سعد : يا رسول الله إني لأعلم أنها حق وأنها من الله ولكني تعجبت أني لو وجدت لكاع قد تفخذها [ق/ ٢٤٥أ] رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه حتى أتى بأربعة شهداء فوالله لا آتي بهم حتى يقضي حاجته ، قال فما لبثوا إلا يسيراً حتى جاء هلال بن أمية وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم فجاء من أرضه عشاء فوجد عند أهله رجلاً فرأى بعينيه وسمع بأذنه فلم يهيجه حتى أصبح فغدا إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني جئت أهلي عشاء فوجدت عندها رجلا فرأيت بعيني وسمعت بأذني فكره لرسول الله ، [ق/ ١٩٢ب] ما جاء به واشتد عليه واجتمعت الأنصار فقالت : قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة الآن يضرب رسول الله ﷺ هلال بن أمية ويبطل شهادته في الناس فقال هلال وإني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجاً فوالله إن رسول الله ﷺ يريد أن يأمر

---

(١) سقط من أ .

(٢) حديث رقم (٢١٣١) .

بضربه أنزل الله عليه الوحي فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي فنزلت : ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ [النور: ٦] الحديث .

وأخرج أبو يعلي مثله من حديث أنس ، وأخرج الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد قال: جاء عويمر إلى عاصم بن عدي فقال : اسأل رسول الله ﷺ أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً فقتله أيقتل به أم كيف يصنع؟ فسأل عاصم رسول الله ﷺ فعاب رسول الله ﷺ المسائل فلقيه عويمر فقال : ما صنعت إنك لم تأتيني بخبر ؟ سألت رسول الله ﷺ فعاب رسول الله ﷺ ، فقال عويمر : فوالله لآتين رسول الله ﷺ فلأسألنه ، فأتاه فقال : إنه قد نزل فيك وفي صاحبك . . . الحديث قال الحافظ بن حجر [(١)] : اختلف الأئمة في الموضع فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال وصادف مجيء عويمر أيضاً فنزلت في شأنهما ،وإلى هذا جنح النووى وسبقه الخطيب فقال : لعلهما اتفق لهما ذلك في وقت واحد .

قال الحافظ بن حجر: [(٢)] ويحتمل أن النزول سبق بسبب هلال فلما جاء عويمر ولم يكن له علم بما قع لهلال أعلمه النبي ﷺ بالحكم ولهذا قال في قصة هلال ، فنزل جبريل وفي قصة عويمر قد أنزل الله فيك [فيؤول قوله : « قد أنزل الله فيك »] [(٣)] أي فيمن وقع له مثل ما قوع لك ، وبهذا أجاب بن الصباغ في « الشامل » وجنح القرطبي إلى تجويز نزول الآية مرتين ، وأخرج البزار من طريق زيد بن سبيع عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ لأبي بكر : « لو رأيت مع أم رومان رجلاً ما كنت فاعلاً به ؟ قال : كنت فاعلاً به شرا ، قال: « وأنت يا عمر ؟ » قال :كنت أقول لعن الله الأعجز وإنه لخبيث فنزلت ،

---

(١) انظر «فتح الباري» (٨/ ٤٥٠) .

(٢) السابق .

(٣) سقط من أ .

قال الحافظ ابن حجر : لا مانع من تعدد الأسباب .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ﴾ [النور: ١١] الآيات أخرج الشيخان (١) وغيرهما عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها [ق/ ٢٤٦أ] خرج بها معه فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي فخرجت وذلك بعد ما أنزل الحجاب فأنا أحمل في هو دجى وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل فقمت فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فلمست عقدي فحبسني ابتغاؤه وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فحملوا هودجي فرحلوه علي بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أني فيه ، قالت : وكان الناس إذ ذاك خفافًا وكانت النساء إذ ذاك خفافًا لم ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حتى رحلوه وبعثوه ودفعوا الجمل فوجدت عقدي عندما استمر الجيش فجئت به منازلهم وليس بها من داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت فيه فظننت أن القوم يسفقدوننى فيرجعون إلي فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيناي فنمت فكان صفوان بن المعطل قد عرس وراء الجيش فأدلج [ق/ ١٩٣ب] فأصبح عند منزلي فرأي سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني وقد كان يراني قبل أن يضرب علي الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي فوالله ما كلمني ولا كلمته ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتي أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولي كبره عبد الله بن أبي ابن سلول فقدمت المدينة فاشتكيت حين قدمنا شهرًا والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك حتى خرجت بعدما نقهت وخرجت معي أم مسطح

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥١٨) ومسلم (٢٧٧٠) .

[قبل المناصع وهو متبرزنا فعثرت أم مسطح] [(١)] في مرطها فقالت : تعس مسطح ، فقلت : بئس ما قلت تسبين رجلاً شهد بدرًا قالت: أي هنتاه ألم تسمعي ما قال ؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضًا إلى مرضي فلما دخل على رسول الله ﷺ ، ثم قال :«كيف بكم ؟» قلت : أوتأذن لي أن آتي أبوي وأنا أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما فأذن لي فجئت أبوي فقلت لأمي : يا أماه ما يتحدث الناس ؟ قالت : أي بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها ، قلت : سبحان الله أوقد تحدث الناس بهذا ؟ فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله فأما أسامة فأشار عليه بالذي يعلم من براءة أهله ، فقال : يا رسول الله أهلك ولا نعلم إلا خيرًا ، وأما علي فقال : لن يضيق الله [ق/ ٢٤٧أ] عليك والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك، فدعا بريرة ، فقال : « أى بريرة هل رأيت شيئًا يريبك من عائشة ؟» قالت : والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرًا قط أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله ، فقام رسول الله ﷺ على المنبر فاستعذر من عبد الله بن أبي ، فقال : « يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا ؟ قالت : وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ، ثم بكيت تلك الليلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي استأذنت على امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي، ثم دخل رسول الله ﷺ ، ثم جلس وقد لبث شهرًا لا يوحى إليه في شأني فتشهد ، ثم قال : « أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله ثم

---

(١) سقط من أ .

توبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه » فلما قضى مقالته قلت لأبي : أجب عني رسول الله ﷺ ، فقال : « والله ما أدري ما أقول ، فقلت ـ وأنا جارية حديثة السن ـ والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتي استقر في أنفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم إني بريئة والله عليم أني بريئة لا تصدقوني وإني والله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف : ١٨] ، ثم تحولت فاضطجعت على فراشي فوالله [ق/ ١٩٤ب] ما دام رسول الله ، في مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله على نبيه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء فلما سرى عنه كان أول كلمة تكلم بها أن قال : « أبشري يا عائشة أما والله فقد برأك الله، فقالت لي أي قومي إليه ،فقلت : والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي برأني وأنزل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ﴾ [النور : ١١] عشر آيات ، فقال أبو بكر : وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره : والله لا أنفق عليه شيئًا بعد الذي قال لعائشة ، فأنزل الله : ﴿ لا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور:٢٢] قال أبو بكر : والله إني لأحب أن يغفر لي فرجع إلي مسطح ما كان ينفق عليه ، وفي الباب عند ابن عباس وابن عمر عند الطبراني وأبي هريرة عند البزار وأبي اليسر عن مردوية .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا ﴾ [النور : ١٦] أخرج الواحدي عن عروة أن عائشة رضي الله عنها حدثته بحديث الإفك ، وقالت فيه : وكان أبو أيوب حين أخبرته امرأته ، فقالت : يا أبا أيوب [ق/٢٤٨أ] ألم تسمع بما يتحدث الناس ؟ قال :وما يتحدث الناس ؟ فأخبرته بقول أهل الإفك فقال : ﴿ مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور : ١٦] وأخرج بسنده عن ذكوان مولي عائشة رضي الله عنها أنه استأذن لابن عباس على عائشة رضي الله عنها وهي تموت وعندها ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن فقال : هذا ابن عباس رضي الله عنهما يستأذن

عليك وهو من خير بنيك فقالت : دعني من ابن عباس ﵄ ومن تزكيته ، فقال لها عبد الله بن عبد الرحمن : إنه قارئ لكتاب الله تعالى : [فقيه في دين الله فأذن له فليسلم عليك وليودعك] (١) ، قلت : فأذن له إن شئت ، فأذن له فدخل ابن عباس ﵄ ثم سلم ، وجلس فقال : أبشري يا أم المؤمنين فوالله ما بينك وبين أن يذهب عنك كل أذي ونصب ، أو قال : وصب فتلقى محمدًا وحزبه ، أو قال : وأصحابه إلا أن تفارق الروح جسدك ، كنت أحب أزواج رسول الله ﷺ ، ولم يكن ليحب إلا طيبًا ، وأنزل الله تعالى براءتك من فوق سبع سماوات فليس في الأرض مسجد إلا وهو يتلى فيه آناء الليل والنهار وسقطت قلادتك ليلة الأبواء فاحتبس النبى ﷺ في المنزل والناس معه في ابتغائها ، أو قال طلبها حتى أصبح القوم على غير ماء فأنزل الله عز وجل ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا﴾ [المائدة : ٦] الآية فكان في ذلك رخصة للناس عامة في سبيلك فوالله إنك لمباركة ، فقالت : دعني يا ابن عباس من هذا فوالله لوددت لو أني كنت نسيًا منسيًا .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ﴾ [النور : ٢٣] أخرج ابن جرير عن عائشة قالت : رميت بما رميت به وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك فبينما رسول الله ﷺ عندي إذ أوحي إليه ثم استوي جالسًا يمسح وجهه ، وقال : « يا عائشة [احمدي الله فقد برأك ، فقالت عائشة :] (٢) بحمد الله لا بحمدك » فقرأ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ﴾ [النور : ٢٣] حتى بلغ : ﴿**أولئك مبرؤون مما يقولون**﴾ .

قوله تعالى : ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ [النور : ٢٣] الآية أخرج الطبراني بسند رجاله ثقات عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : ﴿الْخَبِيثَاتُ﴾ [النور : ٢٣] الآية قال : نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفرية فبرأها الله

---

(١)سقط من أ .
(٢) سقط من أ .

من ذلك .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ﴾ [النور : ٢٧] أخرج الواحدي عن عدي بن ثابت قال : جاءت امرأة من الأنصار فقالت : يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد لا والد ولا ولد فيأتي الأب فيدخل علي وإنه لا يزال [ق/ ١٩٥ب] يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال ، فكيف أصنع ؟ فنزلت هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النور : ٢٧] الآية قال المفسرون لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر الصديق ﷺ : يا رسول الله أفرأيت الخانات والمساكن في طرق الشام ليس فيها ساكن ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾ [النور: ٢٩] الآية [ق/ ٢٤٩أ] .

قوله تعالى : ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [النور: ٣١] الآية أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل قال : بلغنا أن جابر بن عبد الله حدث أن أسماء بنت مرثد كانت في محل لها فجعل النساء يدخلن عليها غير متزرات فيبدو ما في أرجلهن يعني : الخلاخل وتبدو صدورهن وذوائبهن ، فقال أسماء : ما أقبح هذا ! فأنزل الله في ذلك : ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [النور : ٣١] .

قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النور : ٣٣] الآية نزلت في غلام لحويطب بن عبد العزى يقال له عبد الله بن صبيح سأل مولاه أن يكاتبه فأبى عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية فكاتبه حويطب على مائة دينار وهب له منها عشرين ديناراً فأداها وقتل يوم حنين في الحرب .

قوله تعالى : ﴿ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ [النور : ٣٣] قال مقاتل : نزلت في ست جوار لعبد الله بن أبي كان يكرههن على الزنا ويأخذ أجورهن وهن معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروا وقتيلة فجاءته إحداهن ذات يوم بدينار وجاءت أخرى ببرد ، فقال لهما : ارجعا فازنيا فقالتا : والله لا نفعل قد جاءنا

الله بالإسلام وحرم الزنا فأتتا رسول الله ﷺ وشكتا إليه فأنزل الله تعالى هذه الآية وكانت معاذة مسلمة ، وأخرج سعيد بن منصور عن سفيان عن عمرو بن دينار عن عكرمة : أن عبد الله بن أبي كانت له أمتان مسيكة ومعاذة فكان يكرهما على الزنا ، فقالت : إحداهما : إن كان خيراً لله استكثرت منه ، وإن كان غير ذلك فينبغي أن أدعه فأنزل الله : ﴿ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ [النور : ٣٣] .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النور : ٤٨] الآية قال المفسرون (١) هذه الآية والتى بعدها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي [حين اختصما في أرض فجعل اليهودي] (٢) يجره إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهما وجعل المنافق يجره إلى كعب بن الأشرف ويقول : إن محمداً يحيف علينا وقد مضت هذه القصة عند قوله : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء : ٦٠] في سورة النساء .

قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [النور : ٥٥] روى الربيع بن أنس عن أبي العالية (٣) في هذه الآية قال : مكث رسول الله ، بمكة عشر سنين بعدما أوحي إليه خائفا هو وأصحابه يدعون إلى الله سراً وعلانية، ثم أمر بالهجرة إلى المدينة فكانوا بها خائفين يصبحون في السلاح ويمسون في السلاح فقال رجل من أصحابه : يا رسول الله ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع فيه السلاح ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لن تلبثوا إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيًا ليست فيهم حديدة » ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [النور : ٥٥] إلى آخر الآية ، فأظهر الله نبيه

(١) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص٥٢٩) .
(٢) سقط من أ .
(٣) انظر «أسباب النزول للواحدي» (ص٥٢٩) .
وأخرجه ابن جرير (١٨/ ١٣٣) وابن أبي حاتم (٨/ ٢٥٨٩) .

على جزيرة العرب فوضعوا السلاح وأمنوا ثم قبض الله تعالى نبيه ﷺ فكانوا آمنين كذلك فى إمارة أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما وقعوا فيه وكفروا بالنعمة فأدخل الله تعالى عليهم الخوف فغيروا فغير الله تعالى ما بهم .

وروى الحاكم عن أبى العالية عن أبى بن كعب [ق/١٩٦ب] قال : لما قدم النبى ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار [ق/ ٢٥٠أ] رمتهم العرب عن قوس واحدة وكانوا لا يبيتون إلا في السلاح ولا يصبحون إلا في أمتهم ، فقالوا : أترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله تعالى ؟ فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [النور : ٥٥] إلى قوله : ﴿ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥] يعنى بالنعمة.

قوله تعالى : ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النور : ٥٨] قال ابن عباس(١): وجه رسول الله ﷺ غلامًا من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب ﷺ وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأي عمر بحالة كره عمر رؤيته ذلك فقال : يا رسول الله وددت لو أن الله أمرنا ونهانا في حال الاستئذان ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

قال مقاتل : نزلت في أسماء بنت أبي مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته ، فأتت رسول الله ﷺ ، فقالت : خدمنا وغلماننا يدلون علينا في حال نكرهها ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾ [النور : ٦١] الآية قال ابن عباس (٢) لما أنزل الله تعالى : ﴿ لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ [النساء : ٢٩] تحرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمني والعمي ، وقالوا : الطعام أفضل الأموال، وقد نهانا الله عن أكل المال بالباطل والأعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والمريض لا يستوفي الطعام ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

---

(١) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص٥٢٩) .

(٢) السابق .

وقال سعيد بن جبير والضحاك [١] : كان العرجان والعميان يتزهون عن مؤاكلة الأصحاء لأن الناس يتقذرونهم ويكرهون مؤاكلتهم وكان أهل المدينة لا يخالطهم في طعامهم أعمى ولا أعرج ولا مريض تقذرًا فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وقال مجاهد نزلت هذه الآية ترخيصًا للمرضى والزمني في الأكل من بيوت من سمى الله تعالى في هذه الآية ، وذلك أن قومًا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا إذا لم يكن عندهم ما يطعمونهم ذهبوا بهم إلىٰ بيوت آباءهم وأمهاتهم وبعض من سمى الله تعالى في هذه الآية فكان أهل الزمانة يتحرجون من أن يطعموا ذلك الطعام لأنه أطعمهم غير مالكه ويقولون إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وأخرج الواحدى [٢] عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أنه كان يقول في هذه الآية : أنزلت في أناس كانوا إذا خرجوا مع النبي ﷺ وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والأعرج والمريض وعند أقاربهم وكانوا يأمرونهم أن يأكلوا مما في بيوتهم إذا احتاجوا إلى ذلك فكانوا يتقون أن يأكلوا منها ويقولون : نخشى أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وفي لفظ البزار عن عائشة : كانوا يقولون : إنه لا يحل لنا إنهم أذنوا عن غير طيب نفس.

قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ﴾ [النور : ٦١] قال قتادة : والضحاك [٣] : نزلت في حي من كنانة [ق/ ٢٥١أ] يقال لهم بنو ليث ابن عمرو وكانوا يتحرجون أن يأكل الرجل الطعام وحده فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح إلى الرواح والشُّوَّل حُفَّل والأحوال منتظمة تحرجًا

---

(١) السابق .

(٢) السابق .

(٣) السابق (ص/ ٥٣٣) .

من أن يأكل وحده فإذا أمسي ولم يجد أحدًا أكل فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وأحرج ابن جرير عن قتادة قال : نزلت في حي من العرب كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده كان يحمله بعض يوم حتي يجد من يأكله معه .

وأخرج عن عكرمة وأبي صالح قال : كانت الأنصار إذا نزل بهم الضيف [لا يأكلون حتى يأكل الضيف] (١) معهم فنزلت رخصة لهم . . .انتهى .

---

(١) سقط من أ .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو سبع آيات [ق/ ١٩٧ب].

الآية الأولى : ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً ﴾ [النور : ٣] هي منسوخة بقوله تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ ﴾ [النور : ٣٢] ، وقال ابن عباس : محكمة والنكاح الوطء .

الآية الثانية : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور : ٢] قيل : منسوخة بقوله : ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ [النساء : ٢٥] والمختار إحكامها وتخصيص الإماء بها وتخصيصها بغير المحصنين لرجمهما بالسنة ويزاد على ذلك بالسنة تغريب عام .

الثالثة: قوله تعالى :﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ [النور : ٤] منسوخة بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ﴾ [النور : ٦] المختار إحكامها وتخصيصها بها .

الرابعة : ﴿ لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ﴾ [النور : ٢٧] قيل عن ابن عباس منسوخة بالثانية وتخصيصها بها . .

الخامسة : ﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور : ٣١] عمت قال ابن عباس منسوخة بقوله : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [النور : ٦٠] والمختار إحكامها وتخصيصها بها .

السادسة : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور : ٥٤] قيل : منسوخة بالسيف والمختار إحكامها أي ما عليه فعليكم .

السابعة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النور : ٥٨] قيل: منسوخة بقوله : ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ ﴾ [النور : ٥٩] ، وقال الشعبي : ولكن تهاون الناس بها .

الفصل الثالث في المتشابه من سورة النور

قوله : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور : ٢] إن قلت : لما قدمت المرأة في آية حد الزنا ، وأخرت في آية حد السرقة ؟

قلت : لأن الزنا إنما يتولد من شهوة الوقاع ، وهي في المرأة أقوي وأكثر والسرقة إنما تتولد من الجسارة والقوة والجرأة،وهي في الرجل أقوي وأكثر ، فإن قلت :لم قدم الرجل في قوله : ﴿ الزَّانِي لا يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾ [النور : ٣]؟

قلت : لأن تلك الآية في الحد والمرأة هي الأصل فيه لما مر ، وهذه الآية في حكم النكاح والرجل هو الأصل فيه لأنه الراغب والبادئ بالطلب بخلاف الزنا فإن الأمر فيه بالعكس غالبًا.

قوله : ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ﴾ [النور : ١٤] كرره [ق/ ٢٥٢أ] لاختلاف الأجوبة فيه إذ جواب الأول محذوف تقديره لفضحكم وجواب الثاني قوله : ﴿ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ ﴾ [النور : ١٤] إلى آخره ، وجواب الثالث محذوف تقديره لعجل لكم العذاب ، وجواب الرابع قوله : [﴿ **ما زكى منكم من أحد أبدًا** ﴾ .

قوله :] (١) ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور : ٣٠] إن قلت : ما فائدة ذكر ﴿ مِنْ ﴾ في غض البصر دون حفظ الفرج ؟

قلت : فائدته الدلالة على أن حكم النظر أخف من حكم الفرج إذ يحصل النظر إلى بعض أعضاء المحارم ولا يحل شيء من فروجهن .

قوله : ﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ [النور : ٣١] الآية إن قلت : لم ترك ذكر الأعمام والأخوال مع أن حكمهما حكم من استثنى ؟ قلت : تركهما كما ترك محرم الرضاع ، أو لفهمهما من بني الإخوان وبنى الأخوات بالأولي ، أو

---

(١) سقط من أ .

بالمساواة .

قوله : ﴿ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ [النور : ٣٣] إن قلت : كيف قال ذلك مع أن إكراههن على الزنا حرام وإن لم يردن التحصن ؟

قلت : الشرط هنا لا مفهوم له لخروجه مخرج الغالب من أن إكراههن إنما يكون مع إرادتهن التحصن ولوروده على سبب وهو أن الجاهلية كانوا يكرهون إماءهم علي الزنا مع أن إرادتهن التحصن . أو أن إن بمعنى إذ كما في قوله تعالى : ﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٢٧٨] ، وقوله : ﴿ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٩] .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ ﴾ [النور : ٣٤] قاله هنا بلفظ الواو وإليكم وقاله بعد بحذفها لأن اتصال ما هنا بما قبله أشد إذ قوله بعد : ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [النور : ٣٤] مصروف إلى الجمل السابقة من قوله : ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ﴾ [النور : ٣٣] إلى آخره وفيه معطوفان بالواو فناسب ذكرها للعطف وذكر إليكم ليفيد أن الآيات [ق/١٩٨ب] البينات نزلت في المخاطبين في الجملة السابقة وما ذكر بعد حال عن ذلك فناسبه الاستئناف والحذف .

قوله : ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ﴾ [النور : ٥٣] أي مثل صفة نوره تعالى كصفة نور مشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة هي القنديل والمصباح الفتيلة الموقودة والمشكاة الأنبوبة في القنديل فصار المعنى كمثل نور مصباح في مشكاة في زجاجة ، فإن قلت : لم مثل الله نوره أي معرفته في قلب المؤمن بنور المصباح دون نور الشمس مع أن نورها أتم ؟

قلت : لأن المقصود تمثيل النور في القلب والقلب في الصدور والصدر في البدن كالمصباح والمصباح في الزجاجة والزجاجة في القنديل وهذا التمثيل لا يستقيم إلا فيما ذكر ، أو لأن نور المعرفة له آلات يتوقف هو علي اجتماعها كالذهن والفهم والعقل واليقظة وغيرها من الصفات الحميدة كما أن نور القنديل يتوقف على اجتماع والزيت وغيرها أو لأن نور الشمس يشرق متوجهًا إلى

العالم السفلي ونور المعرفة يشرق متوجهًا إلى العالم العلوي كنور [ق/٢٥٣أ] المصباح ولكثرة نفع الزيت وخلوصه عما يخالطه غالبًا وقع التشبيه في نوره دون نور [الشمس] (١) مع أنه أتم من نور المصباح قوله : ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ﴾ [النور : ٥٩] ختم بقوله : ﴿وَكَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ [النور : ٥٩] وبعدها وقبلها الآيات لأن الذي قبلها والذي بعدها يشتمل على علامات يمكن الوقوف عليها وهي في الأولى ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر : ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ﴾ [النور :٥٨] ، وفي الأخرى : ﴿ مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النور : ٦١] الآية فعد فيها آيات كلها معلومة فختم الآيتين بقوله : ﴿ لَكُمُ الآيَاتِ﴾ [النور : ٦١] ومثلهما : ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ﴾ [النور : ١٧ ، ١٨] يعني حد الزاني وحد القاذف فختم بالآيات وأما بلوغ الأطفال فلم يذكر له علامات يمكن الوقوف عليها بل تفرد سبحانه بعلم ذلك فخصها بالإضافة إلى نفسه وختم كل آية بما اقتضاه أولها .

قوله : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النور : ٦٠] الآية، إن قلت : كيف أباح الله تعالى بذلك للقواعد وهن النساء العجائز التجرد من الثياب بحضرة الرجال ؟

قلت : المراد بالثياب الزائدة على ما يسترهن وسميت العجوز قاعدًا لكثرة قعودها قاله ابن قتيبة .

قوله : ﴿لا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ﴾ [النور : ٦١] أي من بيوت أولادكم وعيالكم وإلا فانتفاء الحرج عن كل إنسان من بيته معلوم .

---

(١) في ب : الشمع .

سورة الفرقان

مكية إلا ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ [الفرقان : ٦٨] إلى قوله : ﴿ رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان : ٧٠] فمدني ، سبع وسبعون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَلِكَ ﴾ الآية [الفرقان : ١٠] أخرج الواحدي(١) عن الضحاك عن ابن عباس ﷺ قال : لما عيّر المشركون رسول الله ﷺ بالفاقة ، فقالوا : ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ؟ حزن رسول الله ﷺ لذلك ، فنزل عليه جبريل عليه السلام من عند ربه معزيًا له فقال : « السلام عليك يا رسول الله [ربك] (٢) يقرؤك السلام ويقول لك : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان : ٢٠] أي يبتغون المعاش في الدنيا.

قال: فبينا جبريل [١٩٩/ب] [عليه السلام والنبي ﷺ يتحدثان إذ ذاب جبريل](٣) حتى صار مثل الهردة قيل : يا رسول الله وما الهردة ؟ قال: «العدسة»، فقال رسول الله ﷺ : « ما لك ذبت حتى صرت مثل الهردة ؟ » قال : « يا محمد فتح باب من أبواب السماء لم يكن فتح قبل ذلك وأنا أخاف أن يعذب قومك عند تعبيرهم إياك بالفاقة ، فأقبل النبي وجبريل عليهما السلام يبكيان إذ عاد جبريل عليه السلام إلى حاله فقال : « أبشر يا محمد هذا رضوان خازن الجنة قد أتاك بالرضى من ربك ، فأقبل رضوان عليه السلام حتى سلم ، ثم قال : يا

(١) ضعيف جداً أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» (ص٥٣٥) بسنده عن الضحاك عن ابن عباس.
والضحاك لم ير ابن عباس .
(٢) في ب : رب العزة .
(٣) سقط من أ .

محمد رب العزة يقرؤك السلام ومعه سفط من نور يتلألأ ، ويقول لك ربك : هذه مفاتيح خزائن الدنيا ولا ينتقص لك مما عندي [٢٥٤/أ] في الآخرة مثل جناح بعوضة ، فنظر النبي ﷺ إلى جبريل عليه السلام كالمستشير له فضرب جبريل بيده إلى الأرض ، فقال : تواضع لله، فقال: يا رضوان لا حاجة لي فيها الفقر أحب إلي ، وأن أكون عبداً صابراً شكوراً فقال رضوان : أصبت أصاب الله بك، وجاء نداء من السماء فرفع جبريل عليه السلام رأسه فإذا السماوات قد فتحت أبوابها إلي العرش وأوحي الله سبحانه إلى جنة عدن أن تدلي غصنًا من أغصانها عليه [عذق عليه غرفة] (١) من زبرجدة خضراء لها سبعون ألف باب من ياقوتة حمراء ، فقال جبريل عليه السلام : يا محمد ارفع بصرك فرفع فرأى منازل الأنبياء وغرفهم وإذا منازله فوق منازل الأنبياء فضلاً له خاصة ومناد ينادي : أرضيت يا محمد ؟ ، فقال النبي ﷺ : « رضيت فاجعل ما أردت أن تعطيني من الدنيا ذخيرة عندك في الشفاعة يوم القيامة ، ويرون أن هذه الآية أنزلها رضوان : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴾ [الفرقان : ١٠] .

قوله : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ [الفرقان : ٢٧] الآية قال ابن عباس (٢) رضي الله عنهما في رواية عطاء الخرساني : كان أبي بن خلف يحضر النبي ﷺ ويجالسه ويستمع كلامه من غير أن يؤمن به فزجره عقبة بن أبي معيط عن ذلك فنزلت هذه الآية .

وقال الشعبي : كان عقبة خليلاً لأمية فأسلم عقبة فقال أمية : وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمداً فكفر وارتد لرضى أمية ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

---

(١) سقط من أ .

(٢) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص/٣٥٦) وأخرجه ابن جرير (١٩/٨) وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٢٥١) نسبته لابن المنذر وابن مردويه .

وقال آخرون (١) : إن أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط كانا متخالين وكان عقبة لا يقدم من سفر إلا صنع طعامًا فدعا إليه أشراف قومه ،وكان يكثر مجالسة النبي ﷺ فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعامًا فدعا الناس ودعا رسول الله ﷺ إلى طعامه ، فلما قربوا الطعام قال رسول الله ﷺ : « ما أنا بآكل من طعامك حتي تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله »، فقال عقبة : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ فأكل رسول الله ﷺ من طعامه وكان أبي بن خلف غائبًا فلما أخبر بقصته قال : صبأت يا عقبة ؟ قال : والله ما صبأت ولكن دخل على رجل فأبى أن يطعم من طعامي إلا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم ، فقال أبي : ما أنا بالذي أرضى عنك أبدًا إلا أن تأتيه فتبزق في وجهه وتطأ عنقه ، ففعل ذلك عقبة وأخذ فرث دابة فألقاه بين كتفيه ، فقال رسول الله ﷺ : لا ألقاك خارجًا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف ، فقتل عقبة يوم بدر صبرًا ، وأما أبي بن خلف فقتله النبي ﷺ يوم أحد في المبارزة ، وأنزل تعالى فيهما هذه الآية .

وقال الضحاك لما بزق عقبة في وجه رسول الله ﷺ عاد [٢٠٠/ب] بزاقه في وجهه [٢٥٥/ أ] وانشعب شعبتين فأحرق خديه وكان أثر ذلك فيه حتى الموت ولم يقتل من الأساري يوم بدر غير عقبة والقاتل له على كرم الله وجهه .

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ [الفرقان : ٦٨] الآيات أخرج الواحدي (٢) عن عبد الله بن مسعود قال : سألت رسول الله ﷺ أى الذنب أعظم ؟

قال : « أن تجعل لله ندًا وهو خلقك » .

قال : قلت : ثم أى ؟

---

(١) السابق .

(٢) « أسباب النزول » (ص٥٣٨) وقد أخرجه البخارى (٣٨٥٥) ومسلم (١٢٢) .

قال : « **أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك** » .

قال : قلت : ثم أى ؟

قال : « **أن تزاني حليلة جارك** » ، فأنزل الله تعالى [ذكر تصديقها] (١) : ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ** ﴾ [الفرقان : ٦٨] رواه البخاري ومسلم عن عثمان بن أبي شيبة عن جرير .

وأخرج الواحدي (٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أتى وحشي إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد أتيتك مستجيراً ، فأجرني حتي أسمع كلام الله تعالى ، فقال رسول الله ﷺ : قد كنت أحب أن أراك على غير جوار فأما إذا أتيتني مستجيراً فأنت في جواري حتى تسمع كلام الله ، قال : فإني أشركت بالله وقتلت النفس التي حرم الله تعالى وزنيت هل يقبل الله مني توبة ؟ فصمت رسول الله ﷺ حتى نزلت : ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ** ﴾ [الفرقان : ٦٨] إلى آخر الآية فتلاها عليه ، فقال : أرى أن تشرط فلعلّي لا أعمل صالحًا أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله فنزلت : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [النساء : ١١٦] فدعا به فتلاها عليه قال : فلعلي ممن لا يشاء أنا في جوارك حتي أسمع كلام الله فنزلت : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ** ﴾ [الزمر : ٥٣] فقال : نعم الآن لا أري شرطًا فأسلم .

---

(١) سقط من أ .

(٢) أسباب النزول (ص ٥٤٠) .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو أربع آيات :

الأولى : ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾ [الفرقان : ٤٣] قيل : منسوخة بالسيف والمختار إحكامها ومعناها ليس هداهم إليك .

الثانية : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] قال سيبويه: ليس من التحية بل الكف وهي منسوخة بالسيف ، وقيل : محكمة ومعناها البراءة من الكفر .

الثالثة : ﴿ وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٢] اللغو ما ينبغي أن يلغى قيل : اقتضت الكف وهي منسوخة بالسيف ، أو معناها لم يخالطوا أهل الباطل ، أو يصفحون عمن يؤذيهم ، أو يكنون عن الوطء فمحكمة .

الرابعة : ﴿ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ [الفرقان : ٦٨] تقدم القول فيها في ﴿ من يقتل مؤمنًا متعمداً ﴾ .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله : ﴿ تَبَارَكَ ﴾ [الفرقان : ١٠] هذه كلمة لا تستعمل إلا لله بلفظ الماضي وذكرت في هذه السورة في ثلاثة مواضع تعظيمًا لله تـعالى ، وخصت مواضعها بذكرها لعظم ما بعدها .

الأول : ذكر الفرقان وهو القرآن المشتمل على معاني جميع كتب الله .

والثانى : ذكر النبي ﷺ ومخاطبة الله له فـيه ، وروى « لولاك يا محمد ما خلقت الكائنات » .

والثالث : ذكـر البروج والشـمس والقمـر والليل والنهار ولولاها مـا وجد [ق/ ٢٥٦أ] في الأرض حيوان ولا نبات .

قوله : ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا ﴾ [الفرقان : ٣] قاله هنا بالضمير وقاله في مريم ويس بلفظ الله موافقة لما قبله في المواضع الثلاثة .

قوله : ﴿وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا ﴾ [الفرقان : ٣] قدم الضر والنفع لمناسبة ما بعده من تقديم الموت على الحياة .

قوله تعالى : ﴿ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴾ [الفرقان : ١٥] إن قلت : كيف قال في وصف الجنة ذلك مع أنها لم تكن حينئذ جزاءا ومصيرًا ؟

قلت : إنما قال ذلك لأن ما وعد الله به فهو في تحققه [ق/ ٢٠١ب] كأنه قد كان ، أو أنه كان في اللوح المحفوظ جزاؤهم ومصيرهم .

قوله تعالى : ﴿نُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ [الفرقان : ٤٩] ذكر الصفة مع أن الموصوف مؤنث نظرًا إلى معنـى البلدة وهو المكان لا إلى لفظها والسر فيـه تخفيف اللفظ وقدم في الآية إحياء الأرض وسقي الأنعـام على سقي الأناسي لأن حياة الناسي بحياة أرضهم وأنعامهم فقدم مـا هو سبب لحياتهم ومعاشهم ولأن سقي الأرض بماء المطر سابق في الوجود على سقي الأناسي .

قوله : ﴿ مَا لا ينفَعُهُمْ ولا يَضُرُّهُمْ ﴾ [الفرقان : ٥٥] قدم النفع على الضر موافقة لقوله : ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [الفرقان : ٥٣] .

قوله : ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] لم يقل أئمة رعاية للفواصل ، أو تقديره واجعل كل واحد منا إمامًا .

قوله : ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا ﴾ [الفرقان : ٧٥] جمع بين التحية والسلام مع أنهما بمعني لقوله تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ ﴾ [الأحزاب : ٤٤] ولخبر «تحية أهل الجنة في الجنة السلام » لأن المراد هنا بالتحية سلام بعضهم على بعض، أو سلام الملائكة عليهم ، وبالسلام سلام الله عليهم لقوله تعالى : ﴿ سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [يس : ٥٨] ، أو المراد بالتحية إكرام الله لهم بالهدايا والتحف وبالسلام سلامه عليهم بالقول ولو سلم أنهما بمعني فساغ الجمع بينهما لاختلافهما لفظًا كما مر نظيره .

سورة الشعراء

مكية ، إلا ﴿ وَالشُّعَرَاءُ ﴾ [الشعراء : ٢٢٤] إلى آخرها فمدني ، وهي مائتان وسبع وعشرون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها ، وفي غيره

أما أسباب نزولها فأخرج ابن جرير(١) عن ابن جريج قال : لما نزلت : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤] بدأ بأهل بيته وفصيلته فشق ذلك على المسلمين فأنزل الله : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٥] ، وأخرج ابن جرير(٢) وابن أبي حاتم (٣) من طريق العوفي عن ابن عباس قال : تهاجا رجلان علي عهد رسول الله ﷺ أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء فأنزل الله : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾ [الشعراء : ٢٢٤] الآيات .

وأخرج ابن جرير والحاكم عن أبي حسن البراد قال: لما نزلت : ﴿وَالشُّعَرَاءُ﴾ [الشعراء :٢٢٤] الآية جاء عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت ، فقالوا: يا رسول الله والله لقد أنزل الله هذه الآية وهو يعلم أنا شعراء أهلكنا ؟، فأنزل الله : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [الشعراء : ٢٢٧] الآية ، فدعاهم رسول الله ﷺ فتلاها عليهم ، وليس فيها منسوخ ، وقول ابن عباس : ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء : ٢٢٤] منسوخة بقوله : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الشعراء : ٢٢٧] [ق/ ٢٥٧أ] مجاز [عن التخصيص .

وأما غير أسباب النزول فقال في « الدر المنثور» : أخرج ابن أبي حاتم عن

(١) « التفسير » (١٩/ ١٢٣) .
(٢) « التفسير » (١٩/ ١٢٧) .
(٣) « التفسير » (٩/ ٢٨٣٣) .

محمد بن كعب ﷺ في قوله : « طسم » قال : الطاء من ذي الطول ، والسين من القدوس ، والميم من الرحمن .

قوله تعالى : ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر ، وابن أبى حاتم عن قتادة ﷺ في قوله : ﴿ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ ﴾ قال : لعلك قاتل نفسك ﴿ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ③ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ . قال : لو شاء الله أنزل عليهم آية يزلون بها فلا يلوى أحد منهم عنقه إلى معصية الله .

﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ ﴾ الآية . يقول : ما يأتيهم من شيء من كتاب الله تعالى إلا أعرضوا عنه ﴿ فَسَيَأْتِيهِمْ ﴾ يعني : يوم القيامة ﴿ أَنْبَاءُ ﴾ ما استهزؤوا به من كتاب الله تعالى .

وفي قوله : ﴿ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ قال : حسن .

قوله تعالى : ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴾ أخرج ابن أبي الدنيا في ﴿ الذكر ﴾ وابن مردويه من طريق الحسن عن سمرة بن جندب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا توضأ العبد لصلاة مكتوبة فأسبغ الوضوء ثم خرج من باب داره يريد المسجد فقال حين يخرج : بسم الله الذي خلقني فهو يهدين . هداه الله للصواب** » .

ولفظ ابن مردويه : « لصواب الأعمال » (٢٠٢/ب) والذي هو يطعمني ويسقين ، أطعمه الله من طعام الجنة وسقاه الله من شراب الجنة . وإذا مرضت فهو يشفين : شفاه الله وجعل مرضه كفارة لذنوبه ، والذي يميتني ثم يحيين : أحياه الله حياة السعداء] (١) وأماته ميتة الشهداء ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الشعراء : ٨٢]،غفر الله له خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [الشعراء : ٨٣] وهب الله له حكمًا وألحقه بصالح من

---

(١) سقط من أ .

مضي وصالح من بقي ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [الشعراء : ٨٤] كتب في ورقة بيضاء : إن فلان ابن فلان من الصادقين ثم يوفقه الله بعد ذلك للصدق: ﴿وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ [الشعراء : ٨٥] جعل الله له القصور والمنازل في الجنة ، وكان الحسن ﷺ يزيد فيه واغفر لوالدي كما ربياني صغيراً.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس ﷺ قال : سألت رسول الله ﷺ فقلت: بأبي أنت وأمي أين كنت وآدم في الجنة ؟ فتبسم حتي بدت نواجذه ثم قال : «إني كنت في صلبه ، وهبط إلى الأرض وأنا في صلبه وركبت السفينة في صلب أبي نوح ، وقذفت في النار في صلب إبراهيم لم يلتق أبواي قط على سفاح لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفي مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما قد أخذ الله بالنبوة ميثاقي وبالإسلام هداني وبين في التوراة والإنجيل ذكري وبين كل شيء من صفتي في شرق الأرض وغربها وعلمني كتابه ورقاني في سمائه وشق لي من أسمائه فذو العرش محمود وأنا محمد ووعدني أن يحبوني بالحوض وأعطاني الكوثر وأنا أول شافع وأول مشفع ثم أخرجني في خير قرون أمتي وأمتي الحمادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

الفصل الثاني في المتشابه منها

قـوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾ [الشـعراء : ٨] إلى آخر الآية مذكـور في ثمانية مواضع .

أولها : في محمد ﷺ وإن لم يتقدم ذكره صريحًا فقد تقدم كناية وتلويحًا.

والثانية : في قصـة موسى ثم إبراهيم ثم نوح ثم [هود ثم صالح ثم] (١) لوط ثم شعيب عليهم الصلاة والسلام .

قوله : ﴿ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [الشعراء : ١٠٦] إلى قوله : ﴿ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء : ١٠٩] مذكـور في خمسـة مواضع في قصـة نوح وهود وصالح ولوط وشـعيب عليهم الصـلاة والسلام ثم كـرر فاتقون وأطيـعون في قصـة نوح وهود وصالح فصار ثمانـية مواضع وليـس في ذكـر النـبي ﷺ: ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ [الشعراء : ١٠٩] لذكرها في مواضع وليس في قصة موسى عليه الصلاة والسلام لأنه رباه فرعون حـيث قال [﴿ ألم نربك فينا وليدا﴾ ولا فـي قصة إبراهيم لأن أباه في في المخاطبين حيث قال :] (٢) : ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الشعراء : ٧٠] وهو رباه واستحيى موسى وإبراهيم عليهما السلام أن يقولا : ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ [الشعراء : ١٠٩] وإن كانا منزهين عن طلب الأجرة .

قوله : ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ [الشعراء : ٢٠] إن قلت : كيف قال موسى وأنا من الضالين والنبي لا يكون ضالاً ؟

قلت : أراد وأنا من الجاهلين ، أو من الناسين كـقوله : ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾ [البـقرة : ٢٨٢] ، أو من المخطئين لا من المتعمـدين كما يقال : ضل عن الطريق إذا عدل عن الصواب إلى الخطأ .

---

(١) سقط من أ .

(٢) سقط من أ .

قوله : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الشعراء : ٧٠] قاله في قصة إبراهيم هنا بدون ذكر ما وفي الصافت بذكره لأن ما لمجرد الاستفهام [ق/ ٢٥٨أ] فأجابوا بقولهم : ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا ﴾ [الشعراء : ٧١] وماذا فيه مبالغة لتضمنه معني التوبيخ فلما وبخهم ولم يجيبوه ردًا على التوبيخ فقال: ﴿ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات : ٨٦، ٨٧] فذكر في كل سورة ما يناسب ما ذكر فيها .

قوله : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء : ٧٨ ـ ٨٠] [ق/ ٢٠٣ب] زاد (هو) في الإطعام والشفاء لأنه مما يدعى الإنسان أن يفعله فيقال :زيد يطعم وعمرو يداوي فأكدا إعلامًا بأن ذلك منه سبحانه لا من غيره وأما الخلق والموت والحياة فلا يدعيها مدع فأطلق . .

قوله : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ ﴾ [الشعراء : ٨٠] لم يقل : أمرضني كما قال قبله : خلقني ويهدين لأنه كان في معرض الثناء على الله تعالى [وتعداد نعمه فأضاف ذينك إلى الله تعالى] (١) ثم أضاف المرض إلى نفسه تأدبًا مع الله كما في قول الخضر : ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ [الكهف : ٧٩] وإنما أضاف الموت إلى الله تعالى فى قوله : ﴿ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾ [الشعراء :٨١] لكونه سببًا للقائه الذي هو من أعظم النعم .

قوله : ﴿ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء : ٨٩] أي من الكفر والعصيان فينفعه ماله الذي أنفقه في الخير وولده الصالح بدعائه كما جاء فى خبر : « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية ، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له** » .

قوله : ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الشعراء : ٩٠] أي قربت ، إن قلت : كيف قربت مع أنها لم تنقل من مكانها ؟

قلت : فيه قلب أى وأزلفت المتقون إلى الجنة كما تقول : الحجاج إذا دنوا

---

(١) سقط من أ .

إلى مكة قربت مكة منا .

قوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء : ١٠٨] ذكر تكراراً في ثلاثة مواضع في قصة نوح وهود وصالح تأكيداً إن قلت : لم خصت الثلاثة بالتأكيد [دون قصة لوط وشعيب] (١) ؟ .

قلت : اكتفي عنه في قصة لوط بقوله : ﴿ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴾ [الشعراء : ١٦٨] ، وفي قصة شعيب بقوله : ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾ [الشعراء : ١٨٤] لا ستلزامها له .

قوله في قصة صالح : ﴿ مَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ ﴾ [الشعراء : ١٥٤] قاله فيها بلا واو ، وقاله في قصة شعيب بواو لأنه هنا بدل مما قبله وثم معطوف على ما قبله وخصت الأولى بالبدل لأن صالح قلل في الخطاب فقللوا في الجواب ، وأكثر شعيب في الخطاب فأكثروا في الجواب .

قوله : ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (١٥٧) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [الشعراء : ١٥٧، ١٥٨] [إن قلت : كيف أخذهم العذاب] (٢) بعد ما ندموا على خبائثهم ، وقد قال ﷺ :« الندم توبة » ؟

قلت : ندمهم كان بعد معاينة العذاب ، وهي ليست وقت التوبة كما قال تعالى : ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ﴾ [النساء : ١٨] ، وقيل : كان ندمهم ندم خوف من العقاب العاجل لا ندم توبة فلم ينفعهم .

قوله : ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٣] الضمير للأفاكين وهم الكاذبون ، فإن قلت : كيف قال أكثرهم بعد ما حكم بأن كل أفاك أثيم أي فاجر ؟

قلت : الضمير في أكثرهم للشياطين لا للأفاكين ولو سلم فالأفاكون هم الذين يكثرون الكذب لأنهم الذين لا ينطقون إلا بالكذب .

---

(١) سقط من أ .

(٢) سقط من أ .

سورة النمل

مكية وهى ثلاث أو أربع أو خمس وتسعون آية

الفصل فى الأول أسباب النزول

اعلم أن هذه السورة ليس فيها سبب نزول ولا منسوخ إلا : ﴿وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾ [النمل : ٩٢] [ق/ ٢٥٩أ] عن ابن عباس منسوخ والمختار إحكامها ، ومعناها أنا منذر لا هاد ، وعبارة « الدر المنثور » للسيوطي .

قوله تعالى : ﴿ طسٓ ﴾ [النمل : ١] أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : ﴿طسٓ ﴾ [النمل : ١] قال : هو اسم الله الأعظم .

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله عنه في قوله: ﴿ طسٓ﴾ [النمل : ١] قال : هم اسم من أسماء القرآن ، وفي قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ [النمل : ٤] قال :لا يقرون بها ، ولا يؤمنون بها فهم ﴿ يَعْمَهُونَ ﴾ قال : في ضلالتهم ، وفي قوله : ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ ﴾ [النمل : ٦] يقول: تأخذ القرآن من لدن حكيم عليم .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ﴾ الأية [النمل : ١٥] أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله عنه قال : كان لداود عليه السلام أربع : سخرت له الجبال يسبحن معه ، وألين له الحديد ، وعلم منطق الطير، وسخرت له الجن [فلما مات علم سليمان منطق الطير وسخرت له الجن] (١) وكان ذلك مما ورث عنه ولم يسخر له الجبال ولم يلين له الحديد .

قوله تعالى : ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ ﴾ [النمل : ١٦] أخرج ابن أبي شيبة وأحمد في « الزهد» [ق/ ٢٠٤ب] عن أبي الصديق الناجي رضي الله عنه قال : خرج سليمان

(١) سقط من أ .

ابن داود عليهما السلام ليستسقى بالناس فمر على نملة مستلقية على قفاها رافعة قوائمها إلى السماء ، وهي تقول : اللهم إنا خلق من خلقك ليس بنا غنى عن رزقك فإما أن تسقينا وإما أن تهلكنا ، فقال سليمان عليه السلام : ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم .

وأخرج الحاكم عن محمد بن كعب قال : بلغنا أن سليمان عليه السلام كان عسكره مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للإنس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشون للطير وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاث مائة حرة وسبعمائة سُرية فأمر الريح العاصف فرفعته فأمر الريح فصارت به فأوحي الله إليه إني زدت في ملكك أن لا يتكلم أحد بشيء إلا جاءت الريح فأخبرتك .

الفصل الثاني في المتشابه منها

قوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ ﴾ [النمل : ٨] [وفي القصص وطه ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ﴾] (١) لأنه قال في هـذه السورة ﴿ سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس﴾ فكرر آتيكم فاستقبل الجمع بينهما وبين﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ ﴾ [القصص : ٣٠] [فعدل إلى قوله : ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾] (٢) بعد أن كانا بمعنى واحد وأما في السورتين فلم يكن إلا سآتيكم فلما أتاها .

قوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [النمل : ٨] المراد بالنار عند الأكثر النور وبمن فيها موسى وبمن حولها الملائكة ، أو العكس أي بارك الله من في مكان النور ومن حولها ومكانه هو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ [القصص : ٣٠] وبارك يتعدى بنفسه كما هنا وبعلى ، وفي كما في قوله : ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ﴾ [الصافات : ١١٣] ﴿ وباركنا فيها ﴾ .

قوله : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ﴾ [النمل : ١٠] قاله هنا بدون ذكر (أن) وفي القصص بذكرها لأن ما هنا تقدمه فعل بعد (إن) فذكرت (أن) لتكون جملة: ﴿ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ [الأعراف : ١١٧] معطوفة على جملة ﴿ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا ﴾ [القصص : ٣٠] [ق/ ٢٦٠أ] ، وفي القصص : ﴿ أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ ﴾ [القصص: ٣١] خصت هذه السورة بقوله لا تخف لأنه مبني على ذكر الخوف كلام يليق به وهو قوله : ﴿ لا تَخَفْ إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [النمل : ١٠] ، وفي القصص اقتصر على قوله : ﴿ وَلا تَخَفْ ﴾ [القصص : ٣٣] ولم يبين عليه كلام فزيد قبله أقبل ليكون في مقابلة مدبراً أي أقبل آمنًا غير مدبر ولا تخف فخصت هذه السورة به .

---

(١) سقط من أ .

(٢) سقط من أ .

قوله : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ ﴾ [النمل : ١٢] الآية قاله هنا بلفظ ادخل ، وفي القصص بلفظ اسلك لأن الإدخال أبلغ من السلوك لأن ماضيه أكثر حروفًا من ماضي السلوك فناسب ادخل كثرة الآيات في قوله : ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ [النمل : ١٢] أى معها مرسلاً إلي فرعون وناسب اسلك قبلها وهى سلوك اليد وضم الجناح المعبر عنهما بقوله : ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴾ [القصص : ٣٢] .

قوله : ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [النمل : ١٢] ، وفى القصص : ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ [القصص : ٣٢] لأن الملأ أشراف القوم ، وكانوا في هذه السورة موصوفين بما وصفهم الله به في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا ﴾ [النمل : ١٣ ، ١٤] الآية فلم يسمهم ملأ بل سماهم قومًا وفي القصص لم يكونوا موصوفين بتلك الصفات فسماهم ملء وعقبه : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص : ٣٨] وما يتعلق بقصة موسى سوى هذه الكلمات قد سبق .

قوله : ﴿ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل : ١٦] النون نون الجمع عنى سليمان نفسه وأباه ونون العظمة مراعاة لسياسة الملك لأنه كان ملكًا مع كونه نبياً ، إن قلت : كيف سوى بينه في قوله : ﴿ وَأُوتِينَا ﴾ [النمل : ١٦] وبين بلقيس في قول الهدهد : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل : ٢٣] ؟

قلت : الفرق بينهما أنها أوتيت من كل شيء من أسباب الدنيا فقط [ق/ ٢٠٥ب] لعطف ذلك علي تملكهم وسليمان أوتي من كل شيء من أسباب الدين والدنيا العطف ذلك على المعجزة وهي منطق الطير .

قوله : ﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [النمل : ٣٠] قدم سليمان اسمه على اسم الله تعالى مع أن المناسب عكسه لأنه عرف أن بلقيس تعرف اسمه دون اسم الله تعالى فخاف أن تستخف باسم الله تعالى أول ما يقع

نظرها عليه ، أو كان اسمه على عنوان الكتاب واسم الله تعالى في باطنه .

قوله : ﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [النمل: ٤٠] القائل كاتب سليمان واسمه آصف ، إن قلت : كيف قدر مع أنه غير نبي على ما لم يقدر عليه سليمان مع أنه نبي قادر على إحضار عرش بلقيس في طرفة عين ؟

قلت : يجوز أن يخص غير النبي بكرامة لا يشاركه فيها النبي كما خصت مريم بأنها أكلت من فاكهة الجنة ولم يلزم من ذلك فضلها على سليمان ، وقد نقل أن سليمان عليه السلام كان إذا أراد الخروج إلي الغزاة قال للفقراء: ادعوا لنا بالنصرة فإن الله ينصرنا بدعائكم ولم يكونوا أفضل منه مع أن كرامة التبع من جملة كرامة المتبوع ، ويحكى أن العلم الذى كان عند آصف هو اسم الله الأعظم فدعا به فأجيب في الحال وهو [ق/ ٢٦١أ] عند أكثر العلماء كما قال البندنيجي اسم الله وقيل : يا حي يا قيوم ، وقيل : يا ذا الجلال والإكرام ، وقيل : يا الله يا رحمن ، وقيل : يا إلهنا وإله كل شيء واحد لا إله إلا أنت .

قوله : ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [النمل : ٥٣] ، وفي حم : ﴿ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [فصلت : ١٨] نجينا وأنجينا بمعني واحد وخصت هذه السورة بأنجيناه موافقة لما بعده ، وهو ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ ﴾ [النمل : ٥٧] ، وبعده : ﴿وَأَمْطَرْنَا﴾ [النمل : ٥٨] ﴿ وأنزلنا ﴾ كله على لفظ أفعل وخص حم بنجينا موافقة لما قبله : ﴿ وَزَيَّنَّا ﴾ [فصلت : ١٢] وبعده: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ ﴾ [فصلت : ٢٥] وكله على لفظ فعل .

قوله : ﴿ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ﴾ [النمل : ٦٤] ذكر هنا في خمسة مواضع متوالية ، وختم الأولى بقوله : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل : ٦٠] والثانية بقوله : ﴿ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٦١] ، والثالثة بقوله: ﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل : ٦٢] ،

والرابعة بقوله : ﴿ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل : ٦٣] والخامسة بقوله : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل : ٦٤] أي عدلوا وأول الذنوب العدول عن الحق ثم لم يعلموا ولو علموا ما عدلوا ثم لم يتذكروا فيعلموا بالنظر والاستدلال فأشركوا من غير حجة وبرهان قل لهم يا محمد : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .

قوله : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ ﴾ [النمل : ٨٧] ، وفي الزمر ﴿ فَصَعِقَ ﴾ [الزمر : ٦٨] خصت هذه السورة بقوله : ﴿ فَفَزِعَ﴾ [النمل : ٨٧] موافقة لقوله : ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾ [النمل : ٨٩] وخصت الزمر بقوله: ﴿ فَصَعِقَ ﴾ [الزمر : ٦٨] موافقة لقوله : ﴿ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] لأن معناه مات .

قوله : ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ [النمل : ٨٧] إن قلت : كيف قال داخرين أى صاغرين إذلالاً بعد البعث مع أن النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يأتون عزيزين مكرمين ؟

قلت : المراد صغار العبودية والرق وذلهما لا ذل الذنوب والمعاصي وذلك يعم الخلق كلهم كما في قوله : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم : ٩٣] .

سورة القصص

مكية ، إلا ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ ﴾ [القصص : ٨٥] الآية نزلت بالجحفة ، وإلا ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ [القصص: ٥٢] إلى ﴿لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص:٥٥]، وهي سبع ، أو ثمان وثمانون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

أخرج ابن جرير والطبراني[١] عن رفاعة القرظي قال : نزلت : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٥١] في عشرة أنا أحدهم .

وأخرج ابن جرير عن علي بن رفاعة قال : خرج عشرة رهط من أهل الأنصار منهم رفاعة ـ يعني [ق/٢٠٦ب] أباه إلي النبي ﷺ فآمنوا فأوذوا فنزلت: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ [القصص : ٥٢] الآية ، وأخرج عن قتادة قال : كنا نحدث أنها نزلت في أناس من أهل الكتاب كانوا على الحق حتى بعث الله محمداً ﷺ فآمنوا به ، فمنهم عثمان وعبد الله بن سلام .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص : ٥٦] أخرج مسلم [٢] وغيره عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لعمه : « **قل لا إله إلا الله أشهد لك يوم القيامة** » قال : لولا أن تعيرني نساء قريش يقولون : إنه حمله على ذلك الجزع لأقررت بها عينك ، فأنزل الله : ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص : ٥٦] .

وروى البخاري[٣] ومسلم عن الزهري قال : أخبرني سعيد بن المسيب عن

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٠/٨٨) والطبراني في الكبير (٤٥٦٣) .
قال الهيثمي في « المجمع » (١١٢٥) : رواه الطبراني بأسنادين أحدهما متصل ورجاله ثقات وهو هذا، والآخر منقطع الإسناد .
(٢) حديث رقم (٢٥) .
(٣) أخرجه البخاري (١٢٩٤) ومسلم (٢٤) .

أبيه أنه قال : لما [ق / ٢٦٢أ] حضرت الوفاة أبا طالب جاءه رسول الله ﷺ ، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال رسول الله ﷺ : « **يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله** » ، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعاودانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به .

على أنا ملة عبد المطلب ، فأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال رسول الله ﷺ « لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ** ﴾ [التوبة : ١١٣] الآية وأنزل في أبي طالب : ﴿ **إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ** ﴾ [القصص : ٥٦] .

قوله : ﴿ **وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا** ﴾ [القصص : ٥٧] نزلت (١) في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف ، وذلك أنه قال للنبي ﷺ : إنا لنعلم أن الذي تقوم حق ولكن يمنعنا من اتباعك أن العرب تخطفنا من أرضنا لإجماعهم على خلافنا ولا طاقة لنا بهم فأنزل الله تعالى هذه الآية .

قوله : ﴿ **أَفَمَن وَعَدْنَاهُ** ﴾ [القصص : ٦١] الآية أخرج ابن جرير عن مجاهد في قوله : ﴿ **أَفَمَن وَعَدْنَاهُ** ﴾ [القصص : ٦١] الآية قال : نزلت في النبي ﷺ وفي أبي جهل بن هشام .

وأخرج من وجه آخر عنه أنها نزلت في حمزة وأبي جهل .

قوله تعالى : ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ** ﴾ [القصص : ٦٨] قال أهل التفسير نزلت جوابًا للوليد بن المغيرة حين قال : فيما أخبر الله تعالى عنه : ﴿ **وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ** ﴾ [الزخرف : ٣١] أخبر الله تعالى أنه لا يبعث الرسل باختيارهم .

قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ** ﴾ [القصص : ٨٥] الآية أخرج ابن

---

(١) انظر « أسباب النزول » للواحدي (ص ٥٢٩) .

أبي حاتم عن الضحاك قال : لما خرج النبى ﷺ من مكة فبلغ الحجفة اشتاق إلى مكة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ ﴾ [القصص : ٨٥] .

الفصل الثاني في منسوخها

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ﴾ [القصص :٥٥] قيل : اقتضت الكف وهي منسوخ بالسيف وسلام عليكم بقوله : ﴿ وَالسَّلامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴾ [طه : ٤٧] وقال مجاهد : محكمة ومعناها على هذا ترك الخوض ومجانبة الباطل ، وأما باقي السورة فهو محكم .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[القصص : ٧] الآية هى من معجزة باب الإيجاز لاشتمالها على أمرين وخبرين متضمنين بشارتين في أسهل نظم وأسلس لفظ وأوجز عبارة، فإن قلت : ما فائدة وحي الله تعالى إلي أم موسى بإرضاعه مع أنها ترضعه طبعًا [ق/ ٢٠٧ب] وإن لم تؤمر بذلك ؟

قلت : أمرها بإرضاعه ليألف لبنها فلا يقبل ثدي غيرها بعد وقوعه في يد فرعون فلو لم يأمرها به ربما كانت تسترضع له مرضعة فيفوت المقصود .

قوله : ﴿ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي ﴾ [القصص : ٧] إن قلت [ق/ ٢٦٣أ] : جواب الشرط يجامعه وجوابه هنا الإلقاء وعدم الخوف وكل منهما يجامعه فيصدق بقوله : فإذا خفت عليه فلا تخافي عليه وذلك تناقض؟

قلت : فإذا خفت عليه القتل فألقيه في اليم ولا تخافي عليه الغرق فلا تناقض .

إن قلت : ما الفرق بين الخوف والحزن حتى عطف أحدهما على الآخر في الآية ؟

قلت : الخوف غم يصيب الإنسان لأمر يتوقعه في المستقبل والحزن غم يصيبه لأمر وقع ومضى .

قوله : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ﴾ [القصص : ١٤] أى كمل أربعين سنة وقيل: [كمل قوته وقيل] (١) خرجت لحيته ، وفي يوسف : ﴿ بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾ [يوسف : ٢٢] لأنه أوحى إليه في صباه .

قوله : ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ [القصص : ١٥] الآيتين إن قلت : كيف

(١) سقط من أ .

جعل موسى قتل القبطي الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلمًا لنفسه واستغفر منه؟ .

قلت :أما جعله ذلك من عمل الشيطان فلكونه كان الأولى له تأخير قتله إلى زمن آخر فلما عجله ترك المندوب فجعله من عمل الشيطان وأما تسميته ظلمًا فمن حيث إنه حرم نفسه الثواب بترك المندوب ، أو من حيث إنه قال ذلك على سبيل الانقطاع إلى الله والاعتراف بالتقصير على القيام بحقوقه وإن لم يكن ثم ذنب وأما استغفاره من ذلك فمعناه اغفر لي ترك هذا المندوب .

قوله : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾ [القصص : ٢٠] ، وفي يس : ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ [يس : ٢٠] اسمه حزقيل من آل فرعون ، وهو النجار ، وقيل : شمعون ، وقيل :حبيب ، وفي يس هو هو ، وقوله : ﴿ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ ﴾ [القصص : ٢٠] [يحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : أن يكون من أقصى المدينة] (١) صفة لرجل .

والثاني : أن يكون صلة لجار .

والثالث : أن يكون صلة ليسعى والأظهر في هذه السورة أن يكون وصفًا وفي يس أن يكون صله ، وخصت هذه السورة بالتقديم لقوله قبل : ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ ﴾ [القصص : ١٥] ثم قال : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ ﴾ [القصص : ٢٠] وخصت سورة يس بقوله : ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ ﴾ [يس : ٢٠] لما جاء في التفسير : أنه كان يعبد الله في جبل فلما سمع خبر الرسل سعى مستعجلاً .

قوله : ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [القصص : ٢٧] ، وفى الصافات : ﴿ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٢] لأن ما في هذه السورة من كلام شعيب أي من الصالحين في حسن العشرة والوفاء بالعهد ، وفي الصافات من كلام إسماعيل حين قال له أبوه ﴿ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ [الصافات : ١٠٢] فأجاب: ﴿ يَا أَبَتِ

---

(١) سقط من أ .

افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٢] على الذبح .

قوله : ﴿ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ ﴾ [القصص : ٣٧] وبعده : ﴿مَن جَاءَ ﴾ [القصص : ٨٤] بغير باء الأول هو الوجه لأن أفعل هذا فيه معنى ومعنى الفعل لا يعمل في المفعول به فزيد بعده باء تقوية للعمل وخص الأول بالأصل ثم حذف من الآخر الباء اكتفاء بدلالة الأول عليه ومحله نصب بفعل آخر أي يعلم بمن جاء بالهدي ولم يقتض تغييراً كما قلنا في الأنعام لأن دلالة الأول قام مقام التغيير وخص الثاني لأنه فرع .

قوله: ﴿ لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ [القصص : ٣٨] ، وفى المؤمن : ﴿ أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ [غافر : ٣٦ ، ٣٧] لأن قوله : ﴿ أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ [ق/ ٢٦٤أ] في هذه السورة خبر لعلى ، وفي المؤمن عطف على خبر لعلى وجعل قوله : ﴿ أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ خبر لعلى ثم أبدل مه : ﴿ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ ﴾ وإنما زاد ليقع في مقابلة قوله : ﴿ أو أن يظهر في الأرض الفساد ﴾ [القصص : ٢٦] لأنه زعم أنه إله الأرض فقال : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص : ٣٨] ألا ترى أنه قال : ﴿ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ [غافر : ٣٧] فجاء في كل سورة على ما اقتضاه ما قبله .

قوله : ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ ، وفي المؤمن : ﴿ كَاذِبًا ﴾ [غافر : ٣٧] لأن [ق/ ٢٠٨ب] التقدير في هذه السورة ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ [غافر : ٣٧] من الكاذبين فزيد من الكاذبين لرؤوس الآيات ثم أضمر كاذبًا لدلالة الكاذبين عليه، وفي المؤمن جاء على الأصل ولم يكن فيه موجب تغيير .

قوله : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾ [القصص: ٤٤] الآية إن قلت : أولها يغني عن قوله : ﴿ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [القصص : ٤٤] .

قلت: لا إذ المعني أولهما ما كنت يا محمد حاضرًا حين أحكمنا إلى موسى الوحي ومعنى : ﴿ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [القصص : ٤٤] أى الحاضرين قصته

مع شعيب عليه السلام فاختلفت القصتان .

قوله : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ ﴾ [القصص : ٦٠] بالواو ، وفي الشورى : ﴿ فَمَا أُوتِيتُم ﴾ [الشورى : ٣٦] بالفاء لأنه لم يتعلق في هذه السورة بما قبله تعلق كبير فاقتصر على الواو لعطف جملة على جملة وتعلق في الشوري بما قبلها أشد تعلق لأنه عقب ما لهم من المخافة بما أوتوه من الأمنة والفاء حرف للتعقيب .

قوله : ﴿ وَزِينَتُهَا ﴾ [القصص : ٦٠] ، وفي الشورى ﴿ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الشورى: ٣٦] فحسب لأن في هذه السورة ذكر جميع ما بسط من الرزق وأغراض الدنيا كلها مستوعبة بهذين اللفظين ، فالمتاع ما لا غنى عنه فى الحياة من المأكول والمشروب والملبوس والمسكون المنكوح والزينة ما يتجمل به الإنسان وقد يستغنى عنه كالثياب الفاخرة والمراكب الرائقة والدور المجصصة والأطعمة اللائقة ، وأما في الشورى فلم يقصد الاستيعاب بل ما هو مطلق بهم في تلك الحالة من النجاة والأمن في الحياة فلم يحتج إلى ذكر الزينة .

قوله : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا ﴾ [القصص : ٧١] وبعده : ﴿ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا ﴾ [القصص : ٧٢] قدم الليل على النهار لأن ذهاب الليل بطلوع الشمس أكثر فائدة من ذهاب النهار بدخول الليل ثم ختم الآية الأولى بقوله : ﴿ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴾ [القصص : ٧١] بناء على الليل، وختم الأخرى بقوله : ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [القصص : ٧٢] بناء علي النهار والنهار مبصر وآية النهار مبصرة .

قوله : ﴿ وَيْكَأَنَّ ﴾ [القصص : ٨٢] ﴿ وَيْكَأَنَّهُ ﴾ [القصص : ٨٢] ليس بتكرار لأن كل واحد منهما متصل بغير ما اتصل به الآخر ، قال ابن عباس : وي صلة وإليه ذهب سيبويه ، فقال : كلمة ويستعملها النادم بإظهار ندامته وهى مفصولة من كأنه وقال الأخفش : أصله ويك وإن بعدها منصوب بإضمار العلم أى اعلم أن الله ، وقال بعضهم : ويلك وفيه ضعف ، وقال الضحاك: الباء والكاف صلة وتقديره وإن الله وهذا كلام مزين .

سورة العنكبوت

مكية ، وفهي تسع وستون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله : ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا ﴾ [العنكبوت : ١، ٢] [ق/ ٢٦٥أ] الآيتين قال الشعبي (١) : أنزلتا في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام فكتب إليهم أصحاب النبي ﷺ من المدينة أنه لا يقبل منكم إقرار ولا إسلام حتي تهاجروا فخرجوا عامدين إلى المدينة فأتبعهم المشركون فآذوهم ، فنزلت فيهم هذه الآية ، فكتب إليهم أصحاب النبي ﷺ من المدينة : أن قد نزل فيكم آية كذا وكذا ، فقالوا : نخرج فإن اتبعنا أحد قاتلناه فخرجوا فأتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ﴾ [النحل : ١١٠] .

وقال مقاتل (٢) : نزلت في مهجع مولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر بن الحضرمي بسهم فقتله، فقال النبى ﷺ يومئذ : « **سيد الشهداء مجمع ، وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة** » فجزع عليه أبواه وامرأته ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية وأخبر أنهم لابد لهم من البلاء والمشقة في ذات الله .

قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت : ٨] قال [ق/ ٢٠٩ب] المفسرون (٣) : نزلت في سعد بن أبي وقاص ، وذلك أنه لما أسلم قالت له أمه جميلة : يا سعد بلغني أنك صبوت فوالله لا يظلني سقف بيت من

---

(١) انظر « أسباب النزول » للواحدي (ص/ ٥٤٥) .

(٢) السابق .

(٣) السابق .

الضح أي الشمس والريح ولا آكل ولا أشرب حتي تكفر بمحمد وترجع إلى ما كنت عليه وكان أحب ولدها إليها ،فأبي سعد فصبرت هي ثلاثة أيام لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل بظل ، فأتى سعد إلى النبى ﷺ وشكا ذلك إليه ، فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي في لقمان والأحقاف .

قوله : ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ﴾ [العنكبوت :٨] الآية أخرج مسلم والترمذي ، وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص قال : قالت أم سعد : أليس الله قد أمر بالبر ؟ والله لا أطعم طعامًا ولا أشرب شرابًا حتى أموت أو تكفر فنزلت : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي ﴾ [العنكبوت : ٨] الآية .

قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ ﴾ [العنكبوت : ١٠] الآية قال مجاهد (١) : نزلت في ناس كانوا يؤمنون بألسنتهم فإذا أصابهم بلاء من الله ، أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا .

وقال الضحاك (٢) : نزلت في ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون فإذا أوذوا رجعوا إلى الشرك .

وقال عكرمة عن ابن عباس (٣) : نزلت في المؤمنين الذين أخرجهم المشركون إلى بدر فارتدوا هم والذين نزلت فيهم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ ﴾ [النساء : ٩٧] الآية.

قوله تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ [العنكبوت : ٥١] الآية أخرج ابن جرير (٤) وابن أبي حاتم والدارمي في مسنده من طريق عمرو بن دينار عن يحيي بن جعدة قال : جاء ناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود ، فقال النبي ﷺ : كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به

(١) أسباب النزول « للواحدى» (ص /٥٤٨) .
(٢) السابق .
(٣) السابق .
(٤) « التفسير » (٧/٢١) .

نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إليهم [ق/ ٢٦٦أ] فنزلت : ﴿ أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [العنكبوت : ٥١] .

قوله تعالى : ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ﴾ [العنكبوت : ٦٠] أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم والبيهقي وابن عساكر بسند ضعيف عن ابن عمر خرجت مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلتقط من التمر ويأكل، فقال لي : **يا ابن عمر مالك لا تأكل** ؟ قلت : لا أشتهيه ، قال : «لكنني أشتهيه وهذه صبيحة رابعة منذ لم أذق طعامًا ولم أجده ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسري وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون وزق سنتهم ويضعف اليقين ؟ قال : فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت : ٦٠] فقال رسول الله ﷺ : « إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات ألا وإني لا أكنز دينارًا ولا درهمًا ولا أُخَبِّئُ رزقا لغد.

قوله تعالى : ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا ﴾ [العنكبوت : ٦٧] الآية أخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أنهم قالوا : يا محمد ما يمنعنا أن ندخل في دينك إلا مخافة أن يتخطفنا الناس لقلتنا والأعراب أكثر منا فمتى ما يبلغهم أنا قد دخلنا في دينك اختطفنا فكنا أكلة رأس ، فأنزل الله : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ [العنكبوت : ٦٧] .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو آية واحدة ، وهي قوله : ﴿ وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] المراد بهم غير أهل الذمة فتكون منسوخة بآية السيف ، وقيل : محكمة ، والمراد بأهل الكتاب الذميون.

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ [العنكبوت : ٨] أي برًا ذا حسن نزلت في سعد بن مالك ، وهو سعد بن أبي وقاص على خلاف فيه لأن الوصية هنا وفي الأحقاف [ق/ ٢١٠ب] جاءت في سياق الإجمال ، وفي لقمان جاءت مفصلة لما تقدمها من تفصيل كلام لقمان لابنه ولأن قوله بعدها : ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ [لقمان : ١٤] قائم مقامه فحسن حذفه .

قوله : ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي ﴾ [العنكبوت : ٨] قال ذلك هنا ، وقال في لقمان: ﴿ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي ﴾ [لقمان : ١٥] موافقة هنا لفظًا للفظ اللام في قوله : ﴿ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ﴾ [العنكبوت : ٦] وحملاً على المعنى بطريق التضمن في لقمان إذ التقدير وإن حملاك على أن تشرك بي .

قوله : ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ ﴾ [العنكبوت : ٢١] بتقديم العذاب على الرحمة في هذه السورة فحسب لأن إبراهيم خاطب به نمروذ وأصحابه وأن العذاب وقع بهم في الدنيا .

قوله : ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴾ [العنكبوت : ٢٢] ، وفي الشورى : ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ ﴾ [الشورى : ٣١] لأن في هذه السورة خطابًا لنمروذ لحين صعد الجو موهمًا أنه يحاول السماء فقال له ولقوم إبراهيم : ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ ﴾ [العنكبوت : ٢٢] أي من في الأرض من الجن

والإنس ولا من في السماء من الملائكة فكيف تعجزون الله ؟ وقيل : ما أنتم بفاتنين عليه ولو هربتم في الأرض ، أو صعدتم في السماء ، فقال [ق/٢٦٧أ]: وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء لو كنتم فيها وما في الشورى خطابًا للمؤمنين ، وقوله : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى : ٣٠] يدل عليه وقد جاء وما هم بمعجزين ، في قوله : والذين ظلموا من هؤلاء من غير ذكر الأرض ولا السماء .

﴿ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت:٢٤]، وقال بعده : ﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [العنكبوت : ٤٤] فجمع الأول ووحده في الثانية لأن الأولى إشارة إلى إثبات النبوة ، وفي النبيين صلوات الله عليهم خصال كثيرة ، والثاني إشارة إلى التوحيد ، وهو سبحانه واحد لا شريك له .

قوله : ﴿ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا ﴾ [العنكبوت : ٣٣] ، وفي هود : ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ ﴾ [هود : ٧٧] بغير أن لأن لما تقتضي جوابا ، وإذا اتصل به إن دل على أن الجواب وقع في الحال من غير تراخ كما في هذه السورة ، وهو قوله : ﴿ سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ [العنكبوت : ٣٣] ومثله في يوسف ﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً﴾ [يوسف : ٩٦] ، وفي هود اتصل به كلام بعد كلام إلى قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ﴾ [هود : ٨١] فلما طال لم يحسن دخول إن .

قوله : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ﴾ [العنكبوت : ٣٦] هو عطف على قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ ﴾ [العنكبوت : ١٤] .

قوله : ﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] إن قلت : كيف قال : ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ [العنكبوت : ٤٦] مع أن جميع أهل الكتاب ظالمون لأنهم كافرون ، قال تعالى : ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ

الظَّالِمُونَ ﴾ [القرة : ٢٥٤] ؟

قلت : المراد بالظلم هنا الامتناع عن قبول عقد الذمة ، أو نقض العهد بعد قبوله .

قوله : ﴿ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا ﴾ [العنكبوت : ٦٢] قاله هنا بذكر من ، وفي البقرة والجاثية بحذفها موافقة لما قبله هنا في قوله : ﴿ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [العنكبوت:٦٢] و ﴿ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [العنكبوت:٣٦] بخلاف ذلك في البقرة والجاثية .

قوله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت : ٦٩] إن قلت : المجاهدة في دين الله إنما تكون بعد الهداية فكيف جعل الهداية من ثمرتها ؟

قلت : معناه جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبلنا لمعرفة الأحكام وحقائقها ، أو جاهدوا في نيل درجة لنهدينهم إلى أعلا منها ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [محمد : ١٧] ، وقال : ﴿ **ويزيد الله الذين اهتدوا هدى** ﴾ .

سورة الروم

مكية ، وهي ستون ، أو تسع وخمسون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قال في « الدر المنثور » (١) : أخرج ابن جرير (٢) عن ابن مسعود ﷺ كان فارس ظاهرة على الروم وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس علي الروم وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب [ق/ ٢١١ب] ، وهم أقرب إلى دينهم فلما نزلت : ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم : ١ ـ ٤] قالوا : يا أبا بكر صاحبك يقول : « إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين » قال : صدق . قالوا : هل لك إلى أن نقامرك فبايعوه على أربعة قلائص إلى سبع سنين ولم يكن شيء ففرح المشركون بذلك وشق [ق/ ٢٦٨أ] علي المسلمين وذكرر ذلك للرسول ﷺ فقال : « بضع سنين عندكم » ؟

قال : دون العشرة .

قال : « اذهب فزايدهم وازدد سنتين في الأجل » قال: فما مضت السنتان حتي جاءت الركبان بظهور الروم على فارس ففرح المؤمنون بذلك ، وأنزل الله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ [الروم : ١ ، ٢] إلى قوله : ﴿وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ [الروم : ٦] .

وأخرج الترمذي (٣) وحسنه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن

---

(١) الدر المنثور » للسيوطي (٦/ ٤٧٩) .

(٢) « التفسير (٢١/ ٢٠) .

(٣) صحيح : أخرجه الترمذي (٢٩٣٥) وابن جرير (٢١/ ٢١) .

وقال الترمذي : حسن غريب من هذا الوجه .

وقال الألباني : صحيح .

مردويه عن أبي سعيد قال : لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين فنزلت : ﴿ الٓمٓ ① غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ [الروم : ١، ٢] إلى قوله : ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ④ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم : ٤ ،٥] ، قال : ففرح المؤمنون بظهور الروم على فارس .

وأخرج ابن جرير عن عكرمة ﷺ أن الروم وفارس اقتتلوا في أدني الأرض [قالوا : وأدني الأرض] [(١)] يومئذ أذرعات بها التقوا فهزمت الروم فبلغ ذلك النبي ﷺ وأصحابه وهم بمكة فشق ذلك عليهم وكان النبي ﷺ يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم وفرح الكفار بمكة وشمتوا فلقوا أصحاب النبي ﷺ فقالوا : إنكم أهل كتاب .

والنصاري أهل كتاب وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم ، فأنزل الله : ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ [الروم : ٢] الآيات فخرج أبو بكر ﷺ إلى الكفار ، فقال : أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا ؟ فلا تفرحوا ولا يقرّن الله عينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا ﷺ فقام إليه أبي بن خلف فقال : كذبت فقال له أبو بكر : أنت أكذب يا عدو الله .

قال : أنا جبك عشر قلائص مني وعشر قلائص منك فإن ظهرت الروم على فارس غرمت، وإن ظهرت فارس غرمت إلى ثلاث سنين ، ثم جاء أبو بكر ﷺ إلى النبى ﷺ فأخبره فقال : ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر وماده في الأجل ، فخرج أبو بكر ﷺ ، فلقي أُبيًّا فقال : لعلك ندمت .

قال : لا .

قال : تعال أزايدك في الخطر وأمادك في الأجل ، فاجعلها مائة قلوص إلى

---

(١) سقط من أ .

تسع سنين قال : قد فعلت .

وأخرج ابن جرير عن ابن جريج رضي الله عنه : ﴿ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ ﴾ [الروم : ٤] دولة فارس على الروم ﴿ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ [الروم : ٤] دولة الروم علي فارس انتهى .

قوله : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ [الروم : ٢٧] ، أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : تعجب الكفار من إحياء الله الموتى ، فنزلت : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم : ٢٧] .

قوله تعالى : ﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم ﴾ [الروم : ٢٨] أخرج الطبراني عن ابن عباس قال : كان تلبية أهل الشرك : لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك ، فأنزل الله : ﴿ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [الروم : ٢٨] الآية .

الفصل الثاني في منسوخها

[ق/ ٢٦٩أ] وهو آية واحدة ، وهي قوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ [الروم : ٦٠] إن أريد الصبر على التبليغ فمحكمة أو الكف فمنسوخة بالسيف .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا ﴾ [الروم : ٩] قاله هنا وفي فاطر وأول المؤمن بالواو [ق/ ٢١٢ب] ، وفي آخرها بالفاء لأن ما هنا موافق لما قبله ، وهو ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾ [الروم: ٨] ولما بعده ، وهو ﴿وَأَثَارُوا الأَرْضَ ﴾ [الروم : ٩] ، وما في فاطر موافق أيضًا لما قبله ، وهو : ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ [فاطر : ٤٣] ولما بعده وهو ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ﴾ [فاطر : ٤٤] ، وما في أول المؤمن موافق لما قبله ، وهو ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لا ﴾ [غافر : ٢٠] وما في آخرها موافق لما قبله ، وهو: ﴿ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾ [غافر : ٨١] ، ولما بعده ، وهو ﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم ﴾ [غافر : ٨٢] فناسب فيه الفاء وفي الثلاثة قبل الواو .

قوله : ﴿ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ [الروم : ٩] [قاله هنا بحذف كانوا قبل قوله من قبلهم] (١) وبحذف الواو بعده ، وقاله في فاطر بحذف كانوا أيضًا وبذكر الواو ، وفي أوائل غافر بذكر كانوا دون الواو وزيادة هم ، وفي آخرها بحذف الجميع لأن ما في أوائلها في الثلاثة قبل الواو .

قوله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [الروم : ٢١] الآية ختمها بقوله : ﴿ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم : ٢١] لأن الفكر يؤدي إلى الوقوف على المعاني المطلوبة من التوانس والتجانس بين الأشياء كالزوجين ، ثم قال : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ

---

(١) سقط من أ .

وَالأَرْضِ ﴾ [الروم : ٢٢] الآية ، وختمها بقوله : ﴿ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ [الروم : ٢٢] لأن الكل تظلهم السماء وتقلهم الأرض وكل منهم متميز بلطيفة يمتاز بها عن غيره ، وهذا مشترك في معرفته جميع العالمين ، ثم قال : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الروم : ٢٣] وختمها بقوله : ﴿ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [الروم : ٢٣] لأن من يسمع سماع تدبر أن النوم من صنع الله الحكيم لا يقدر على اجتلابه إذا امتنع ولا على دفعه إذا ورد يعلم أن له صانعًا مدبرًا ، ثم قال : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [الروم : ٢٤] الآية ، وختمها بقوله : ﴿ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم : ٢٤] لأن العقل ملاك الأمر وهو المؤدي إلى العلم فيما ذكر وغيره .

قوله : ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ ﴾ [الروم : ٣٧] قاله هنا بلفظ : ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا﴾ [الروم : ٣٧] ، وفي الزمر بلفظ : ﴿ أَوَ لَمْ يَعْلَمُوا ﴾ [الزمر : ٥٢] لأن بسط الرزق مما يري فناسب ذكر الرؤية ، وما في الزمر تقدمه : ﴿ أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [الزمر : ٤٩] فناسب ذكر العلم .

قوله : ﴿ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ ﴾ [الروم : ٤٦] قال ذلك هنا وقاله في الجاثية بزيادة فيه لأن ما هنا لم يتقدمه مرجع الضمير ، وثم تقدم له مرجع الضمير ، وهو البحر حيث قال : ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ ﴾ [الجاثية : ١٢] .

قوله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ﴾ [الروم : ٥٤] إن قلت : كيف قال ذلك مع أن الضعف صفة والمخاطبون لم يخلقوا من صفة بل من عين وهي الماء ، أو التراب ؟

قلت : المراد بالضعف الضعيف من إطلاق المصدر على اسم الفاعل كقولهم رجل عدل أي عادل ، فمعناه من ضعيف ، وهو النطفة .

قوله : ﴿ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [الروم : ٥٦] أي لبثتم في قبوركم في علم كتاب الله ، أو في خبره ، أو قضاء الله .

خاتمة

قال القرطبي : روى أبو داود عن ابن عـباس عن النبي ﷺ أنه قال : « من قال حين يصبح ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [ق/ ٢٧٠أ] إلى قوله : ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [الـروم : ١٩] أدرك ما فاته من يومـه ذلك ومن قالها حين يمسى أدرك ما فاته في ليلته » .

سورة لقمان

مكية ، أو إلا ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ ﴾ [لقمان : ٢٧] الآيتين فمدنيتان ، وهي أربع وثلاثون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ ﴾ [لقمان : ٦] قال الكلبي ومقاتل (١): نزلت في النضر بن الحارث وذلك أنه كان يخرج تاجرًا إلى فارس فيشترى أخبار الأعاجم فيرويها ويحدث بها قريشًا ، ويقول لهم : إن محمدًا يحدثكم بحديث عاد وثمود أنا أحدثكم بحديث رستم وإسفنديار وأخبار الأكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن فأنزلت هذه الآية .

وقال مجاهد (٢) : نزلت في شراء القيان والمغنيات .

أخرج الواحدي (٣) عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ :« **لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن [ق/ ٢١٣ب] حرام** »، وفي مثل هذا أنزلت هذه الآية : ﴿ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [لقمان : ٦] إلى آخر الآية وما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذي يسكت .

وقال ثوير (٤) بن أبي فاختة عن أبيه عن ابن عباس : نزلت هذه الآية في رجل اشترى جارية تغنيه ليلاً ونهارًا .

وأخرج جويبر عن ابن عباس قال : نزلت في النضر بن الحارث اشترى قينة

---

(١) انظر « أسباب النزول » للواحدى (ص / ٥٧٣) .

(٢) السابق .

(٣) السابق وقد أخرجه الطبراني فى « الكبير » (٧٨٦١) والحارث في « مسنده » (٨٩٢) .
وفيه عبيد الله بن زحر وعلي بن يزيد وهما ضعيفان .

(٤) « أسباب النزول » (ص / ٥٥٤) .

وكان لا يسمع بأحد يريد الإسلام إلا انطلق به إلى قينته فيقول : اطعميه واسقيه وغنيه ، وهذا خير مما يدعوكم إليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقاتل بين يديه فنزلت .

قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [لقمان : ١٥] نزلت في أبي بكر رضي الله عنه قال عطاء عن ابن عباس (١) : يريد أبا بكر رضي الله عنه ، وذلك أنه حين أسلم أتاه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعثمان وطلحة والزبير فقالوا : لأبي بكر رضي الله عنه : [آمنت وصدقت محمداً ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه :] (٢) نعم ، فأتوا رسول الله ﷺ فآمنوا وصدقوا ، فأنزل الله تعالى يقول لسعد : ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ﴾ [لقمان : ١٥] يعني أبا بكر رضي الله عنه .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ ﴾ [لقمان : ٢٧] الآية قال المفسرون (٣) : سألت اليهود رسول الله ﷺ عن الروح ، فأنزل الله تعالى بمكة : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء : ٥٨] فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه أخبار اليهود فقالوا : يا محمد بلغنا عنك أنك تقول : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء : ٥٨] أفتعنينا أم قومك ؟ فقال : « كلاًّ قد عنيت » قالوا : ألست تتلو فيما جاءك إنا قد أوتينا التوراة فيها [ق/ ٢٧١أ] [علم كل شيء؟ فقال رسول الله ﷺ : التوراة وما فيها](٤) في علم الله تعالى قليل وقد آتاكم الله تعالى ما إن عملتم به انتفعتم ، فقالوا : يا محمد كيف تزعم هذا وأنت تقول : ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة : ٢٦٩] فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ ﴾ [لقمان: ٢٧] الآية.

---

(١) السابق .

(٢) سقط من أ .

(٣) « أسباب النزول » (ص / ٥٥٤) .

(٤) سقط من أ .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان : ٣٤] نزلت [١] في الوارث ابن عمرو بن حارث بن محارب من أهل البادية أتى النبى ﷺ فسأله عن الساعة ووقتها ، وقال : إن أرضنا أجدبت فمتى ينزل الغيث ؟ وتركت امرأتي حبلى فماذا تلد ؟ وقد علمت أين ولدت ، فبأي أرض أموت ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية .

أخرج الواحدي [٢] : عن إياس بن سلمة قال : حدثنى أبى أنه كان مع النبى ﷺ إذا جاء رجل بفرس له عقوق يقودها ومعها مهرة له تتبعها ، فقال له: من أنت ؟

قال : « أنا نبي الله »

قال : ومن نبي الله ؟

قال : « رسول الله » ﷺ .

قال : متى الساعة ؟

قال : النبي ﷺ :« غيب » ولا يعلم الغيب إلا الله .

قال: متى تمطر السماء ؟

قال : « غيب » ولا يعلم الغيب إلا الله .

قال : ما في بطن فرسي هذه ؟

قال : « غيب » ولا يعلم الغيب إلا الله » .

قال : أرني سيفك ، فأعطاه النبى ﷺ سيفه فهزه الرجل ثم رده إليه .

فقال النبى ﷺ : « أما إنك لم تستطع الذي أردت» ، قال : وقد كان الرجل قال : اذهب إليه واسأله عن هذه الخصال ثم اضرب عنقه .

---

(١) « أسباب النزول » (ص/ ٥٥٥) .

(٢) السابق .

وروى البخاري عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ :« مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله ، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا [ق/ ٢١٤ب] يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم [بأي أرض يموت إلا الله ولا يعلم] (١) متى ينزل الغيث إلا الله » ، والله تعالى أعلم .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو آية واحدة ، قوله تعالى : ﴿ مَن كَفَرَ فَلا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ﴾ [لقمان : ٢٣] نسخت بآية السيف.

(١) سقط من أ .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قـوله : ﴿ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ [لقمان : ٧] قـاله هنا بزيادة : ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ [لقـمان : ٧] ، وفي الجاثية بحذفـه ، مع أنهما نزلتا في النضر بن الحـارث حيث كان يعـدل عن سماع الـقرآن إلى اللهو وسـماع الغناء مبالغة بالغة في ذمه هنا لـتركه استماع الـقرآن ، فـقال : ﴿ كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ﴾ [لقـمـان : ٧] أي صممًا لا يقـرع مسامعه صوت ، ولم يبـالغ في الجاثية هذه المبالغة لما ذكره بعده من قوله : ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا ﴾ [الجاثية: ٩] لأن ذلك العلم لا يحصل إلا بالسماع ، أو ما يقوم مقامه من خط وغيره .

قوله : ﴿ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [لقمان : ٢٩] قاله هنا بلفظ إلى ، وفي فاطر والزمر بلفظ الـلام لأن ما هنا وقع بين آيتين دالتين على غير مـا ينتهي إليه الخلق وهما قوله :﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [لقمان : ٢٨] ، وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا ﴾ [لقمان : ٣٣] الآية فناسب ذكر إلى الدالة على الانتـهاء والمعنى لا يزال كل من الشـمس [ق/ ٢٧٢أ] والقمـر جاريًا حـتى ينتهيا إلى آخر وقت جريه المسـمى له ، وما في فاطر والزمر خال عن ذلك إذ ما في فاطر لم يـذكر مع ابتداء خلق ولا انتـهائه ، ومـا في الزمر ذكـر مع ابتدائه فناسب ذكر اللام المقدمة والمعنى : يجري كل مما ذكر لبلوغ أجله .

قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان : ٣٤] الآية أضاف فيها العلم إلى نفسه في الثلاثة من الخمسة المذكـورة ، ونفي العلم عن العباد في الأخيرتين منها مع أن الخمسة سواء فـي اختصاص الله تعالى بعلمها وانتفـاء علم العباد بها لأن الثلاثة الأولى أمـرها أعظم وأفخم فخصت بالإضـافة إليه تعالى والأخـيرين من صفات العـباد فخصا بالإضافة إلـيهم مع أنه إذا انتفي عنهم علمهما كـان انتفاء علم ما عداهما من الخمـسة أولي فإن قلت : قال تعالى : ﴿ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُـوتُ ﴾ [لقمان : ٣٤] ولم يقل : بأي وقت تموت مع أن كلاً منهما غـير معلوم لغيره بل

نفي العلم بالزمان أولى لأن من الناس من يدعي علمه بخلاف المكان ؟

قلت : إنما خص المكان بنفي علمه لأن الكون في مكان دون مكان في وسع الإنسان واختياره فاعتقاده علم مكان موته أقرب بخلاف الزمان ولأن للمكان دون الزمان تأثير في جلب الصحة والسقم ، أو تأثيره فيهما أكثر .

سورة السجدة

مكية ثلاثون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة:١٦] أخرج الواحدي(١) عن معاذ بن جبل قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وقد أصابنا الحر فتفرق القوم،فنظرت، فإذا رسول الله ﷺ أقربهم مني فدنوت منه ، فقلت : يا رسول الله أنبئني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار ،قال :« **لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئًا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان ، وإن شئت أنبأتك بأبواب الخير** » قال : قلت : أجل يا رسول الله ، قال : « **الصوم جنة ـ أي وقاية ـ والصدقة تكفر الخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل يبتغي به وجه الله تعالى**» ، قال : ثم قرأ هذه الآية : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة : ١٦] .

قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ ﴾ [السجدة : ١٨] نزلت في على بن أبي طالب كرم الله وجهه والوليد بن عقبة أخرج الواحدي (٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه [ق/ ٢١٥ب] : أنا أحد منك سنانًا وأبسط منك لسانًا وأملأ للكتيبة منك فقال له على : اسكت فإنما أنت فاسق فنزلت : ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ ﴾ [السجدة : ١٨] قال : يعني بالمؤمن عليًّا وبالفاسق الوليد بن عقبة .

(١) « أسباب النزول » (ص /٥٥٨) .

(٢) السابق : (ص ٥٥٩) .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو آية واحدة هي قوله تعالى : ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ﴾ [السجدة : ٣٠] قال الأكثر : إنها منسوخة بآية السيف ، وقال غير الأكثر محكمة ومعناها ترك مخالطتهم .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله : ﴿ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ﴾ [السجدة :٥] الآية إن قلت : لما قال هنا : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [السجدة : ٥] [ق/ ٢٧٣أ] وفي المعارج : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج : ٤] ؟

قلت : المراد باليوم هنا مدة عروج الله تعالى أي عروج تدبيره وأمره من الأرض إلى السماء الدنيا وبه ثم مدة عروج الملائكة من الأرض إلى العرش ، أو المراد به في الموضعين يوم القيامة ومقداره ألف سنة من حساب أهل الدنيا إذا تولى الحساب فيه الله تعالى وخمسين ألف سنة لو تولى الحساب فيه غير الله ، أو المراد أنه كألف سنة في حق خواص المؤمنين ، وخمسين ألف سنة في حق عوامهم ، أو المراد أنه كألف سنة في حق المؤمن وخمسين ألف سنة في حق الكافر .

قوله : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ ﴾ [السجدة : ١١] هو عزرائيل قال ذلك هنا ، وقال في الأنعام : ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ [الأنعام : ٦١] ، وفي الزمر : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ ﴾ [الزمر : ٤٢] ولا منافاة لأن الله هو المتوفي حقيقة بخلقه الموت وأمر الوسائط بنزع الروح وهم أعوان لملك الموت ينزعونها من الأظافير إلى الحلقوم ، وملك الموت ينتزعها من الحلقوم فصحت الإضافات كلها .

قوله : ﴿ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة : ٢٠] قال ذلك هنا وقال في سبأ : ﴿ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [سبأ : ٤٢] ذكر الوصف والضمير هنا نظرًا للمضاف وهو العذاب [وأنثهما هناك نظرًا للمضاف إليه وهو النار وخصت ما هنا بالتذكير] (١) لأن النار وقعت موقع ضميرها لتقدم ذكره والضمير لا يوصف فناسب التذكير ، وفي سبأ لم يتقدم ذكر النار ولا ضميرها ، فناسب التأنيث .

(١) سقط من أ .

خاتمة

قال القرطبي جاء في فضلها ما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة ﴿الٓمٓ ① تنزيلُ ﴾ [السجدة : ١، ٢] و﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ ﴾ [الإنسان : ١] .

وأخرج الدارمي في مسنده والترمذي في جامعه عن جابر بن عبد الله قال : كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ ﴿الٓمٓ ① تَنزِيلُ ﴾ [السجدة : ١ ، ٢] السجدة ﴿ وتَبَارَكَ الَّذي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ [الملك: ١] قال الدارمي ، وأخبرا أبو المغيرة قال : أنبأنا عبدة عن خالد بن معدان قال : اقرأوا المنجية ، وهي ﴿ الٓمٓ ① تَنزِيلُ ﴾ [السجدة: ١ ، ٢] السجدة فإنه بلغني أن رجلاً كان يقرأها ما يقرأ شيئًا غيرها وكان كثير الخطايا فنشرت جناحها عليه وقالت : رب اغفر له فإنه كان يكثر قراءتي فشفعها الرب فيه وقال : « اكتبوا له بكل خطيئة حسنة وارفعوا له درجة » .

سورة الأحزاب

مدنية ثلاث وسبعون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ [الأحزاب : ١] الآية نزلت (١) في أبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور السلمي قدموا المدينة بعد قتال أحد ، فنزلوا على عبد الله بن أبي وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق ، فقالوا للنبي ﷺ ، وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أرفض ذكر آلهتنا اللات والعزي ومنات ، وقل : إن لها شفاعة ومنعة لمن عبدها وندعك وربك فشق على النبي ﷺ [ق/٢١٦ب] [ق/٢٧٤أ] قولهم ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ائذن لنا يا رسول الله في قتلهم فقال : إني قد أعطيتهم الأمان .

فقال عمر رضي الله عنه : اخرجوا في لعنة الله وغضبه ، وأمر النبي ﷺ عمر رضي الله عنه أن يخرجهم من المدينة ، وأنزل الله عز وجل هذه الآية ، وأخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال : إن أهل مكة منهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا النبي ﷺ إلى أن يرجع عن قوله على أن يعطوه شطر أموالهم وخوفه المنافقون واليهود بالمدينة إن لم يرجع قتلوه ، فأنزل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ [الأحزاب : ١] .

قوله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾ [الأحزاب : ٤] نزلت (٢) في جميل بن معمر الفهري وكان رجلاً لبيبًا حافظًا لما يسمع ، فقالت قريش : ما حفظ هذه الأشياء إلا وله قلبان في جوفه ، وكان يقول : إن لي قلبين أعقل

---

(١) انظر « أسباب النزول » للواحدي (ص ٥٦١) .

(٢) السابق .

بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد ، فلما كان يوم بدر وهزم المشركون ، وفيهم يومئذ جميل بن معمر تلقاه أبو سفيان وهو معلق إحدى نعليه بيده والأخرى في رجله فقال له : يا ابن معمر ، ما حال الناس ؟

فقال : انهزموا .

قال : فما بالك إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك .

قال : ما شعرت إلا أنهما في رجلي ، فعرفوا أنه يومئذ لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده .

وعن ابن عباس : كان المنافقون يقولون: لمحمد قلبان قلب معنا وقلب مع أصحابه .

قوله تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ** ﴾ [الأحزاب : ٤] نزلت [١] في زيد ابن حارثة كان عبدًا لرسول الله ﷺ فأعتقه وتبناه قبل الوحي فلما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة ، قال اليهود والمنافقون: تزوج محمد امرأة ابنه ، وهو ينهي الناس عنها ، فأنزل الله تعالى هذه الآيات .

قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ** ﴾ [الأحزاب: ٩] الآية أخرج البيهقي في « الدلائل » عن حذيفة قال : لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعودًا ، أبو سفيان ومن معه من الأحزاب فوقفنا وقريظة أسفل منا نخافهم على ذرارينا، وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحًا منها فجعل المنافقون يستأذنون إذا استقبلنا النبي ﷺ رجلاً رجلاً حتى أتى على ، فقال : « ائتني بخبر القوم فجئت فإذا الريح في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبرًا فوالله إنى لأسمع صوت الحجارة في رحالهم ومنازلهم الريح تضربهم بها وهم يقولون الرحيل الرحيل ، فجئت فأخبرته خبر القوم ، فأنزل الله : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ** ﴾ [الأحزاب : ٩] الآية ، وأخرج ابن أبي

---

(١) السابق (ص/ ٥٦٢) .

حاتم والبيهقي في « الدلائل » من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو المزني عن أبيه عن جده قال : خط رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب ، فأخرج الله [ق/ ٢٧٥أ] من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة فأخذ رسول الله ﷺ المعول فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتى المدينة فكبر وكبر المسلمون ثم ضربها الثانية فضربها فصدعها فبرق منها برقًا أضاء ما بين لابتيها فكبر وكبر المسلمون فسئل عن ذلك فقال : ضربت الأولي فأضاءت لي قصور الحيرة ومدائن كسرى ، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها [ثم ضربت الثانية فأضاءت لي قصور الحمر من أرض الروم وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت الثالثة فأضاءت لي قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها] (١) ، فقال المنافقون : ألا تعجبون يحدثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة [ق/ ٢١٧ب] ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا يستطيعون أن تبرزوا ، فنزل القرآن : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً ﴾ [الأحزاب : ١٢] .

قوله تعالى : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب : ٢٣] أخرج الواحدي (٢) عن أنس قال : غاب عمي أنس بن النضر وبه سميت أنسًا عن قتال بدر فشق عليه لما قدم ، وقال : غبت عن أول مشهد شهده رسول الله ﷺ والله لئن أشهدني الله قتالاً ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون ، فقال : اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المسلمين ثم مشى بسيفه ،فلقيه سعد بن معاذ ، فقال : أي سعد والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة دون أحد فقاتلهم حتى قتل قال أنس : فوجدناه بين القتلى به بضع وثمانون جراحة من بين ضربة بسيف وطعنة

---

(١) سقط من أ .

(٢) « أسباب النزول » (ص / ٥٦٤) وقد أخرجه مسلم (١٩٠٣) .

برمح ورمية بسهم وقد مثلوا به فما عرفناه حتى عرفته أخته بثيابه ، ونزلت هذه الآية : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب : ٢٣] قال: فكنا نقول : أنزلت هذه الآية فيه ، وفي أصحابه رواه مسلم عن محمد بن حاتم عن بهز بن أسد .

قوله تعالى :﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ ﴾ [الأحزاب : ٢٣] الآية نزلت في طلحة ابن عبيد الله ثبت مع رسول الله ﷺ [يوم أحد حتى أصيبت يده فقال رسول الله ﷺ] (١) : « اللهم أوجب لطلحة الجنة » .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ ﴾ [الأحزاب : ٢٨] أخرج مسلم وأحمد والنسائي من طريق ابن الزبير عن جابر قال : أقبل أبو بكر يستأذن على النبي ﷺ فلم يؤذن له ، ثم أقبل عمر ، فاستأذن فلم يؤذن له ، ثم أذن لهما دخلا والنبي ﷺ جالس وحوله نساؤه ، وهو ساكت ، فقال عمر : لأكلمن النبي ﷺ لعله يضحك ، فقال عمر يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد امرأة عمر سألتني النفقة آنفًا فوجأت عنقها فضحك النبي ﷺ حتي بدا ناجذه ، وقال : هن حولي يسألني النفقة ، فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها ، وقام عمر إلى حفصة كلاهما يقولان : تسألا النبي ﷺ ما ليس عنده ، وأنزل الله الخيار ، فبدأ بعائشة [ق/ ٢٧٦أ] ، فقال : « إني ذاكر لك أمرًا ما أحب أن تعجلي فيه حتي تستأمري أبويك »، قالت : ما هو ؟ فتلا عليها : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ ﴾ [الأحزاب:٢٨] الآية قالت عائشة :أفيك أستأمر أبوي ؟ بل أختار الله ورسوله .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣] أخرج الواحدي (٢) عن أبي سعيد : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] قال : نزلت في خمسة في النبي ﷺ وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم .

---

(١) سقط من أ .

(٢) « أسباب النزول » (ص ٦٦) .

وأخرج الواحدي (١) عن عطاء بن أبي رباح قال : حدثني من سمع أم سلمة تذكر أن النبي ﷺ كان في بيتها فأتته فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت بها عليه، فقال لها : « ادعي لي زوجك وابنيك قالت : فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا ، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو على منامه له وكان تحته كساء خيبري ، قالت : وأنا في الحجرة أصلي ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣] قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يديه فألوى بهما إلى السماء ثم قال : «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس أهل البيت وطهرهم تطهيرًا ، قالت : [ق/ ٢١٨ب] فأدخلت رأسي البيت قلت : وأنا معكم يا رسول الله ، قال : « إنك إلى خير إنك إلى خير » .

وأخرج الواحدي (٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزلت هذه الآية في نساء النبي ﷺ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣] .

وأخرج الواحدي عن عكرمة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] قال : ليس الذي تذهبون إليه إنما هي في أزواج النبي ﷺ ، قال : وكان عكرمة ينادي بهذا في السوق .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٥] الآية قال مقاتل بن حيان (٣) : بلغني أن أسماء بنت عميس لما رجعت إلى الحبشة ومعها زوجها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه دخلت علي نساء النبي ﷺ فقالت : « هل نزل فينا شيء من القرآن ؟ قلن : لا ، فأتت رسول الله ﷺ ، وقالت : يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار ، قال : ومم ذلك ؟ قالت : لأنهن لا يذكرن بخير

---

(١) السابق .
(٢) السابق (ص / ٥٦٧) .
(٣) السابق (ص/ ٥٦٩) .

كما يذكر الرجال ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥] إلى آخرها ، وقال قتادة : لما ذكر الله تعالى أزواج النبي ﷺ دخل نساء من المسلمات عليهن فقلن : ذكرتهن ولم نذكر ولو كان فينا خير لذكرنا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ [الأحزاب : ٣٥] إلى آخرها .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ﴾ [الأحزاب : ٣٦] الآيات أخرج الطبراني (١) بسند صحيح عن قتاده قال : خطب النبي ، زينب وهو يريدها لزيد فظنت أنه يريدها لنفسه ، فلما علمت أنه يريدها لزيد أبت ، فأنزل الله : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ﴾ [الأحزاب : ٣٦] الآية فرضيت وسلمت ، وأخرج ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس [ق/٢٧٧أ] قال : خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة واستنكفت ، فقالت : أنا خير منه حسبًا ، فأنزل الله ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ﴾ [الأحزاب : ٣٦] الآية كلها .

وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس مثله .

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن يزيد قال : نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بنت أبي معيط ، وكانت أول امرأة هاجرت من النساء فوهبت نفسها للنبي ﷺ فزوجها زيد بن حارثة فسخطت هي وأخوها قالا : إنما أردنا رسول الله ﷺ فزوجنا عبده فنزلت .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ ﴾ [الأحزاب : ١٢] الآيات أخرج البخاري (٢) عن أنس أن هذه الآية : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ [الأحزاب : ٣٧] نزلت في زينب بنت جحش وزيد بن حارثة .

وأخرج الحاكم (٣) عن أنس قال : جاء زيد بن حارثة يشكو إلى النبي ﷺ

---

(١) صحيح : أخرجه الطبراني في الكبير (١٢٤) .

وقال الهيثمي في « المجمع » (١١٢٧٥) : رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح .

(٢) حديث رقم (٤٥٠٩) .

(٣) أخرجه البخاري أيضًا (٦٩٨٤) .

من زينب بنت جحش ، فقال النبي ﷺ : « **أمسك عليك أهلك** » فنزلت : ﴿ **وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ** ﴾ [الأحزاب : ٣٧] ، وأخرج مسلم [١] وأحمد والنسائي قال : لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد : [اذهب] [٢] فاذكرها على فانطلق ، فأخبرها فقالت : ما أنا بصانعة شيئًا حتي أؤامر ربي ، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله ﷺ أطعمنا عليها الخبز واللحم فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله ، واتبعته فجعل يتبع حجر نسائه ،ثم أخبر أن القوم قد خرجوا فانطلق حتي دخل البيت فذهبت ادخل معه فألقي الستر بيني وبينه ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا به ﴿ **لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ** ﴾ [الأحزاب : ٥٣] الآية .

وأخرج الترمذي [٣] عن عائشة قالت : لما تزوج النبي ﷺ [ق/ ٢١٩ب] زينب ، قالوا : تزوج حليلة ابنه ، فأنزل الله ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ** ﴾ [الأحزاب : ٤٠] الآية .

قوله تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ** ﴾ [الأحزاب : ٤٣] أخرج عبد ابن حميد عن مجاهد قال : لما نزلت : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ** ﴾ [الأحزاب : ٥٦] قال أبو بكر : يا رسول الله ما أنزل الله عليك خيرًا إلا أشركنا فيه ، فنزلت : ﴿ **هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ** ﴾ [الأحزاب : ٤٣] .

قوله تعالى : ﴿ **وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الأحزاب : ٤٧] أخرج ابن جرير عن عكرمة والحسن البصري قالا : لما نزل :﴿ **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ** ﴾ [الفتح: ٢] قال رجل من المؤمنين : هنيئًا لك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل

(١) أخرجه مسلم (١٤٢٨) وأحمد (١٣٠٤٨) والنسائى (٣٢٥١) .

(٢) سقط من ب .

(٣) ضعيف : أخرجه الترمذي (٣٢٠٧) وقال : حديث غريب وقال الألباني : ضعيف الإسناد جدًا .

بك فماذا يفعل بنا ؟ فأنزل الله : ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ ﴾ [الفتح : ٥] الآية ، وأنزل في سورة الأحزاب : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً ﴾ [الأحزاب : ٤٧] وأخرج البيهقي في « دلائل النبوة » عن الربيع بن أنس لما نزلت ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ ﴾ [الأحقاف : ٩] نزل بعدها : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ٢] فقالوا : يا رسول الله قد علمنا ما يعفل بك فما يفعل بنا ؟ ، فنزل : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾ [الأحزاب : ٤٧] [ق/٢٧٨أ] قال : الفضل الكبير الجنة .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ ﴾ [الأحزاب : ٥٠] الآية أخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه من طريق السدي عن أبي صالح عن ابن عباس عن أم هانيء بنت أبي طالب قالت : خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه فعذرني ، فأنزل الله ﴿ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ﴾ [الأحزاب : ٥٠] إلى قوله : ﴿ اللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾ [الأحزاب : ٥٠] فلم أكن أحل له لأنى لم أهاجر ، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح عن أم هانئ ، قالت: نزلت في هذه الآية ﴿ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالاتِكَ اللاَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾ [الأحزاب : ٥٠] أراد النبي ﷺ أن يتزوجني فنهي عني إذ لم أهاجر .

قوله تعالى : ﴿ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَ ﴾ [الأحزاب : ٥٠] أخرج ابن سعد عن عكرمة في قوله : ﴿ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً ﴾ [الأحزاب : ٥٠] قالت : نزلت في أم شريك .

وأخرج ابن سعد عن منير بن عبد الله الدوسي أن أم شريك غزية بنت جابر بن حكيم الدوسية عرضت نفسها على النبي ﷺ وكانت جميلة فقبلها فقالت عائشة :ما في امرأة حين تهب نفسها لرجل خير، قالت أم شريك : فأنا تلك ، فسماها الله مؤمنة فقالت : ﴿ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٠] ، فلما نزلت هذه الآية قالت عائشة : إن الله يسرع لك في هواك .

قوله تعالى : ﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾ [الأحزاب : ٥١] الآية قال

المفسرون (١) : نزلت حين غار بعض نساء النبي ﷺ وآذينه بالغيرة وطلبن زيادة النفقة فهجرن رسول الله ﷺ شهرًا حتى نزلت آية التخيير وأره الله تعالي أن يخيرهن بين الدنيا ، والآخرة وأن يخلي سبيل من اختارت الدنيا ويمسك من اختارت الله ورسوله علـى أنهن أمهات المؤمنين ولا ينكحن أبدًا وعلى أنه يؤوي إليه من يشاء ويرجي منهن من يشاء به قسم لهن أو لم يقسم أو فضل بعضهن على بعض في النفقة في القسمة والعشرة ويكون الأمر في ذلك إليه يفعل ما يشاء فرضين بذلك كله فكان رسول الله ﷺ مع جعل الله تعالى له من التوسعة يسوى بينهن في القسم .

وروى البخاري ومسلم عن معاذة عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ بعد ما نزلت : ﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ﴾ [الأحزاب : ٥١] يستأذننا إذا كان في يوم المرأة منا ، قالت معاذة : قلت : ما كنت تقولين ؟ قالت : كنت أقول : إن كان ذلك إلي لم أوثر أحدًا على نفسي .

وقال قوم : لما نزلت آية التخيير أشفقن [ق/ ٢٢٠ب] أن يطلقن ، فقلن: يا نبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا علي حالنا ، فنزلت هذه الآية .

وأخرج الواحدي (٢) عن هشام بن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول لنساء النبي ﷺ : أما تستحي المرأة أن تهب نفسها ، فأنزل [ق/ ٢٧٩أ] الله تعالى هذه الآية : ﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ﴾ [الأحزاب : ٥١] ، فقالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ أري ربك يسارع لك في هواك رواه البخاري ومسلم انتهي .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] الآية .

---

(١) انظر « أسباب النزول » للواحدي (ص ٥٦٩) .

(٢) السابق (ص / ٥٧١) وقد أخرجه البخاري (٤٧٨٨) ومسلم (١٤٦٤) .

قال أكثر المفسرين (١) : لما بني رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش أولم عليها بتمر وسويق وذبح شاة ، قال أنس : وبعثت إليه أمي أم سلمة بحيس في تور من حجارة ، فأمرني النبي ﷺ ، أن أدعو أصحابه إلى الطعام فدعوتهم فجعل القوم يجيئون فيأكلون ويخرجون ، ثم يجيء القوم فيأكلون ويخرجون ، فقلت: يا نبي الله قد دعوت حتي ما أجد أحداً إلا أدعوه فقال : « ارفعوا طعامكم » فرفعوا وخرج القوم وبقي ثلاثة نفر يتحدثون في البيت فأطالوا المكث وتأذي بهم الرسول ﷺ وكان شديد الحياء ، فنزلت هذه الآية ، وضرب رسول الله ﷺ بيني وبينه ستراً .

وروى البخاري ومسلم (٢) عن أنس بن مالك قال : لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون ، قال : فأخذ كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأي ذلك قام وقام من قام من القوم وقعد ثلاثة وإن النبي ﷺ جاء ليدخل فإذا القوم جلوس ، ثم إنهم قاموا وانطلقوا فجئت وأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا ، فجاء حتى دخل ، قال : فذهبت أدخل فألقي الحجاب بيني وبينه ، وأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

قوله تعالى : ﴿ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ﴾ [الأحزاب : ٥٣] قال ابن عباس (٣) رضي الله عنهما في رواية عطاء :قال رجل من سادة قريش: لئن توفي رسول الله ﷺ لأتزوجن عائشة رضي الله عنها فأنزل الله تعالى ما أنزل والرجل هو طلحة .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ

(١) انظر « أسباب النزول » للواحدي (ص٥٧١) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٥١٣) ومسلم (١٤٢٨) .

(٣) أنظر : « أسباب النزول » (ص ٥٧٥) .

وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] قال عمر(١) ﷺ : يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر ، فلو أمرتهن أن يحتجبن فقالت زينب : يا ابن الخطاب إنك تغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا ، وقال مجاهد (٢) : طعم قوم مع النبي ﷺ فأصابت يد بعضهم يد عائشة فكرهه ، فنزلت .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب : ٥٦] قال كعب ابن عجرة (٣) يا رسل الله قد عرفنا التسليم عليك فكيف الصلاة ؟ فنزلت ، فقال : « قولوا : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد » إلى آخره ، وهو أبلغ من سجودهم لآدم لأن الحق معهم .

وأخرج الواحدي (٤) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ [ق/ ٢٨٠أ] قال : «**من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشرا** » .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [الأحزاب : ٥٧] أخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس في قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [الأحزاب : ٥٧] الآية قال : نزلت في الذين طعنوا على النبي ﷺ حين [ق/ ٢٢١ب] اتخذ صفية بنت حيي .

وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس (٥) : أنزلت في عبد الله بن أبي وناس معه قذفوا عائشة فخطب النبى ﷺ وقال : « **من يعذرني من رجل يؤذيني ويجمع في بيته من يؤذيني** ؟» فنزلت .

---

(١) ضعيف أخرجه أحمد (٤٣٦٢) وابن جرير (٢٢/ ٤٠) والطبراني في « الكبير » (٨١٢٨) والبزار (١٧٤٨) قال الهيثمي في « المجمع » (١٤٤٣٠) : رواه أحمد والبزار والطبراني وفيه أبو منهشل ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات .

(٢) ضعيف أخرجه الواحدي في « أسباب النزول » (ص ٥٧٥) وفيه ليث بن أبى سليم وهو ضعيف ، وأيضاً لإرسال مجاهد .

(٣) أخرجه البخاري (٣١٩٠) ومسلم (٤٠٦) .

(٤) « أسباب النزول » (ص/ ٥٧٧) .

(٥) أخرجه مسلم (٤٠٨) .

وعن ابن عباس قال : قالت اليهود : إن الله فقير ونحن أغنياء ويد الله مغلولة وعزير ابن الله ، والنصارى : المسيح ابن الله ، ومشركوا العرب : الملائكة بنات الله ، وقالوا : محمد كاذب وساحر وشاعر ومجنون وشجوه وكسروا رباعيته .

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ [الأحزاب : ٥٨] قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : رأي عمر رضي الله عنه جارية من الأنصار متبرجة فضربها وكره ما رأى من زينتها فذهبت إلى أهلها تشكو عمر فخرجوا إليه فآذوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ ﴾ [الأحزاب : ٥٩] الآية اخرج البخاري عن عائشة قالت : خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب في حاجتها ، وكانت امرأة جسيمة لا تخفي على من يعرفها فرآها عمر فقال : يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين ، قالت : فانكفأت راجعة ورسول الله ﷺ في بيتي وإنه ليتعشى وفي يده عرق ، فدخلت فقلت : يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي ، فقال لي عمر كذا كذا قالت : فأوحي الله إليه وإن العرق في يده ما وضعه فقال : إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن .

وأخرج ابن سعد فى « الطبقات » عن أبي مالك قال : كن نساء النبى ، يخرجن بالليل لحاجتهن ، وكان ناس من المنافقين يتعرضون لهن فيؤذين فشكون ذلك فقيل ذلك للمنافقين ، فقالوا : إنما نفعله بالإماء فنزلت هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ ﴾ [الأحزاب : ٥٩] .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو ثلاث آيات :

الأولي : قوله تعالى : ﴿ وَدَعْ أَذَاهُمْ ﴾ [الأحزاب : ٤٨] أي كف عن قتالهم، قال ابن عباس : منسوخة بالسيف .

الآية الثانية : قوله تعالى : ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ ﴾ [الأحزاب : ٤٩] قال قتادة وابن المسيب : منسوخة بقوله : ﴿ فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾ [البقرة : ٢٣٧] ، وقيل : محكمة مخصصة بها أو ندب .

الآية الثالثة : قوله تعالى : ﴿ لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ﴾ [الأحزاب : ٥٢] منسوخة بقوله : ﴿ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ ﴾ [الأحزاب : ٥٠] الآية المذكورة قبلها ، وقيل: محكمة فلم يكن له نكاح غير التسع المخيرات بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ ﴾ [الأحزاب : ٢٨] ، وهي ناسخة لقوله : ﴿ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾ [الأحزاب : ٥٠] [ق/ ٢٨١أ] .

الفصل الثالث في المتشابه منها

أورد بعضهم فيها كلمات من المتشابه وليس فيها كثير تشابه منها قوله : ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ [الأحزاب : ٨] وبعده ﴿ ليجزي الله الصادقين بصدقهم ﴾ [الأحزاب : ٢٤] لأن السؤال يتعدي بعن والجزاد يتعدى بالباء .

ومنها قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ﴾ [الأحزاب : ٩] ، وبعده : ﴿ اذكروا الله ذكرا كثيرا ﴾ [الأحزاب : ٤١] لأن الذي يأتي بعد العذاب الأليم نعمة من الله على المؤمنين هذا في الأول ، وأما الثاني فمنزل منزلة الشكر على أن أنزلكم منزلة نبيه بقوله : ﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ﴾ [الأحزاب : ٤٣] .

ومنها : ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن ﴾ [الأحزاب : ٢٨] ، و ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين ﴾ [الأحزاب : ٥٩] ليس من المتشابه لأن الأول في التخيير والثاني في الحجاب [ق/ ٢٢٢ب] .

ومنها قوله : ﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبل ﴾ [الأحزاب : ٦٢] في موضعين، وفي الفتح : ﴿ سنة الله التي قد خلت ﴾ [الفتح : ٢٣] المراد بما في أول هذه السورة النكاح نزلت حين عيروا رسول الله ﷺ بنكاحه زينب أي النكاح سنة في النبيين على العموم ، والمراد بما في آخر هذه السورة القتل ، نزلت في المنافقين على العموم ، والمراد بما في سورة الفتح نصرة الله لأنبيائه ومثله في حم : ﴿ سنت الله التي قد خلت في عباده ﴾ [غافر : ٨٥] فإن المراد بها عدم الانتفاع بالإيمان عند البأس .

خاتمة

قال القرطبي: فيها آيتان ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ [الأحزاب: ٣٧]، و﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً﴾ [الأحزاب: ٣٨] من قالهما عند مصيبة أو شدة هانت عليه تلك الشدة أو المصيبة، وعوضه الله خيرًا منها إن شاء الله.

سورة سبأ

مكية ، إلا ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [سبأ : ٦] الآية ، وهى أربع أو خمس وخمسون آية

الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ﴾ [سبأ : ١٥] الآيات أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن رباح قال : حدثني فلان أن قدوة بن مسيك الغطفاني قدم على رسول الله ﷺ وقال : يا نبي الله إن سبأ قوم كان لهم في الجاهلية عز وإني أخشى أن يرتدوا عن الإسلام أفأقاتلهم ؟ قال : « ما أمرت بشيء بعد ؟ فأنزلت هذه الآية : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ﴾[سبأ : ١٥] الآيات .

قوله تعلى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ ﴾ [سبأ ٣٤] ، أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق سفيان عن عاصم عن أبي رزين قال : كان رجلان شريكان خرج أحدهما إلى الشام وبقي الآخر ، فلما بعث النبي ﷺ كتب إلى صاحبه يسأله ما عمل ؟ فكتب إليه : أنه لم يتبعه أحد من قريش إلا أراذل الناس ومساكينهم ، فنزلت هذه الآية : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [سبأ : ٣٤] فأرسل النبي ﷺ إليه أن الله قد أنزل تصديق ما قلت ، وليس في هذه السورة منسوخ ، إلا قوله تعالى : ﴿ قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ : ٢٥] وذلك عند قوم - أي اقتصر وكف فنسخت بالسيف ، والمختار [ق/ ٢٨٢أ] إحكامها والمعنى لا سراية لما ارتكبناه عليكم ولا سراية لما ارتكبتموه علينا .

الفصل الثاني في المتشابه منها

قوله : ﴿ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ ﴾ [سبأ : ٣، ٢٢] مرتين بتقديم السماوات بخلاف يونس فإن فيها ﴿ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴾ [يونس : ٦١] لأن في هذه السورة تقدم ذكر السماوات في أول السورة ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [سبأ : ١] ، وقد سبق في يونس قوله : ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا ﴾ بالفاء ليس غيره زيد الحرف لأن الاعتبار فيها بالمشاهدة على ما ذكرناه وخصت بالفاء لشدة اتصالها بالأول لأن الضمير يعود إلى الذين قسموا الكلام في النبي ﷺ ، وقالوا: محمد إما غافل كاذب وإما مجنون هاذٍ ، وهو قولهم : ﴿ فْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ ﴾ [سبأ : ٨] فقال الله تعالى بل تركتم القسمة الثالثة، وهو إما صحيح العقل صادق .

قوله : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [سبأ :٢٢] ، وفي سبحان ﴿مِّن دُونِهِ ﴾ [الإسراء : ٥٦] لأن في هذه السورة اتصلت بآية ليس فيها لفظ الله فكان الصريح أحسن وفي سبحان اتصل بآيتين فيها بضع عشرة مرة ذكر الله صريحًا وكناية فكانت الكفاية أولى ، وقد سبق ،

قوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ [سبأ : ٩] وبعده : ﴿ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ : ١٩] بالجمع لأن المراد بالأول لآية على إحياء الموتي فخصت بالتوحيد ، وقصة سبأ جمع لأنهم صاروا اعتباراً يضرب بهم المثل تفرقوا أيادي سبأ ، أو فرقوا كل مفرق ، أو مزقوا كل ممزق فوقع بعضهم إلى [ق/ ١٢٣ب] الشام وبعضهم إلى يثرب وبعضهم إلى عمان فختم بالجمع وخصت به لكثرتهم وكثرة من يعتبر بهم فقال: ﴿ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ ﴾ [سبأ:١٩] على المحنة: ﴿ شَكُورٍ ﴾ [سبأ : ١٩] على النعمة أي المؤمنين .

قوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ ﴾ [سبأ : ٣٤] ولم يقل : من قبلك ولا

قبلك خصت هذه السورة به لأنه في هذه السور إخبار مجرد ، وفي غيرها إخبار للنبي ﷺ وتسلية له فقال : قبلك ، أو من قبلك .

قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [سبأ : ٣٦] وبعده : ﴿ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ﴾ [سبأ : ٣٩] سبق بعض هذه السورة بذكر الرب لأنه تكرر فيها مرات كثيرة منها بلى : ﴿ بَلَىٰ وَرَبِّي ﴾ [سبأ : ٣] ، ﴿ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُور ﴾ [سبأ: ١٥] ، ﴿ بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ [سبأ ١٩] ، ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ﴾ [سبأ : ٢٦] ، ﴿ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [سبأ : ٣١] ولم يذكر مع الأول : ﴿ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [سبأ : ٣٩] لأن المراد بهم الكفار وذكر مع الثاني لأنهم المؤمنون وزاد له وقد سبق بيانه .

قوله : ﴿ وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ : ٢٥] وفي غيرها : ﴿ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٣] لأن قوله : أجرمنا بلفظ الماضي قبل هذا ، ولم يقل نجرم فيقع في مقابلته تعملون لأن من شرط الإيمان ووصف المؤمن أن يعزم أن لا يجرم ، وقوله : ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٣] خطاب للكفار وكانوا مصرين على الكفر في الماضي من الزمان والمستقبل فاستغنت به الآية عن قوله: ﴿ كُنتُمْ ﴾ [النحل :٩٣] .

سورة فاطر

مكية وهي خمس [ق/ ٢٨٣أ] ، أو ست وأربعون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

أخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال : نزت هذه الآية : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ﴾ [فاطر : ٨] الآية ، حيث قال النبي ﷺ : « اللهم أعز دينك بعمر بن الخطاب ، أو بأبي جهل بن هشام » فهدي الله عمر ، وأضل أبا جهل ففيهما نزلت .

وأخرج عبد الغنى بن سعيد الثقفي في تفسيره عن ابن عباس أن حصن بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف القرشي نزل فيه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ ﴾ [فاطر : ٢٩] الآية ، وأخرج البيهقي في « البعث » وابن أبي حاتم من طريق مقنع بن الحارث عن عبد الله بن أبي أوفي قال : قال رجل : إن النوم مما يقر الله به أعيننا في الدنيا فهل في الجنة من نوم ؟ قال : لا إن النوم شريك الموت وليس في الجنة موت،قال : فما راحتهم ؟ فأعظم ذلك رسول الله ﷺ ، وقال : « ليس فيها لغوب كل أمرهم راحة ، فنزلت : ﴿ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ [فاطر : ٣٥] .

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن أبي هلال أنه بلغه أن قريشًا كانت تقول : لو أن الله بعث منا نبيا ما كانت أمة من الأمم أطوع لخالقها ولا أسمع لنبيها ولا أشد تمسكاً بكتابها منا ، فأنزل الله ﴿ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ (١٦٧) لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الأَوَّلِينَ﴾ [الصافات : ١٦٧ ، ١٦٨] ، ﴿ لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ﴾ [الأنعام : ١٥٧] ، ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ ﴾ [فاطر : ٤٢] وكانت اليهود تستفتح به على النصاري فيقولون : إننا نجد نبيًا يخرج .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو آية واحدة ، وهي قوله تعالى : ﴿ إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ ﴾ [فاطر : ٢٣] أى اقتصر فمنسوخة بالسيف والمختار إحكامها أى أنت منذر لاهاد .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ ﴾ [فاطر : ٩] بلفظ الماضي موافقة لأن أول السورة : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ﴾ [فاطر : ١] لأنهما للماضي لا غير .

قوله : ﴿ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ ﴾ [فاطر : ١٢] بتقديم فيه موافقة لتقدمه ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ ﴾ [فاطر: ١٢] .

قوله : ﴿ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ﴾ [فاطر : ٢٧] وبعده: ﴿ أَلْوَانُهَا ﴾ [فاطر : ٢٧] ثم ﴿ أَلْوَانُهُ ﴾ [فاطر : ٢٨] لأن الأول يعود إلى ثمرات والثاني يعود إلى الجبال ، وقيل : يعود إلى الحمر ، والثالث يعود إلى بعض الدال عليه (من) لأنه ذكر من ولم [ق/ ٢٢٤ب] يفسره كما فسره في قوله : ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧] فاختص الثالث بالتذكير .

قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [فاطر : ٣١] بالصريح ، وبزيادة اللام ، وفي الشورى ﴿ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى : ٢٧] لأن الآية المتقدمة في هذه السورة لم يكن فيها ذكر الله فصرح باسمه سبحانه ، وفي الشورى متصل بقوله : ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ ﴾ [الشورى : ٢٧] فخص بالكناية ودخل اللام في الخبر موافقة لقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر : ٣٤] .

قوله : ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ [فاطر : ٤٣] كرر، وقال في الفتح :

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ [الفتح : ٢٣] ، وقال في سبحان : ﴿ وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴾ [الإسراء :٧٧] التبديل تغيير الشيء عما كان عليه قبل مع بقاء مادة [ق/ ٢٨٤أ] الأصل كقوله تعالى : ﴿ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا ﴾ [النساء : ٥٦] وكذلك ﴿ تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ، والتحويل نقل الشئ من مكان إليم كان آخر وسنة الله سبحانه وتعالي لا تبدل ولا تحول فخص هذا الموضع بالجمع بين الوصفين لما وصف الكافر بوصفين وذكر لهم غرضين ، وهو : ﴿ وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتًا وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَسَارًا ﴾ [فاطر : ٣٩] ، وقوله : ﴿ اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ﴾ [فاطر : ٤٣] ، وقيل : هما بدلا من قوله : ﴿ نفوراً ﴾ فكما ثني الأول والثاني ثني الثالث ليكون كلام كله على منوال واحد وقال في الفتح : ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ [الفتح : ٢٣] فاقتصر على مرة واحدة لما لم يكن للتكررار موجب وخص سبحانه بقوله : ﴿ تَحْوِيلاً﴾ [الإسراء:٧٧] لأن قريشًا قالوا لرسول الله ﷺ :لو كنت نبيًا لذهبت إلى الشام ، فإنه أرض المبعث والمحشر ، فهم النبي ﷺ بالذهاب إليها ، فهيأ أسباب الرحيل والتحويل ، فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآيت : ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ﴾ [الإسراء : ٧٦] ، وختم الآيات بقوله : ﴿ تَحْوِيلاً ﴾ [الإسراء : ٧٧] تطبيقًا للمعني .

سورة يس

مكية ، أو إلا ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا ﴾ الآية ، أو مدنية ، وهي ثنتان وثمانون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ يسٓ ① وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ [يس ١ ، ٢] إلى قوله : ﴿ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يس : ١٠] أخرج أبو نعيم في « الدلائل » عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يقرأ في السجدة فيجهر بالقراءة حتي تأذى به ناس من قريش حتى قاموا ليأخذوه وإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم وإذا هم عمي لا يبصرون ، فجاؤوا إلى النبي ﷺ ، فقال : ننشدك الله والرحم يا محمد ، فدعا حتي ذهب ذلك عنهم ، فنزلت : ﴿ يسٓ ① وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ [يس : ١ ، ٢] إلى قوله : ﴿ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يس : ١٠] قال : فلم يؤمن من ذلك النفر أحد .

وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً لأفعلن ولأفعلن ، فأنزل الله ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً ﴾ [يس : ٨] إلى قوله : ﴿ لا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس : ٨] فكانوا يقولون : هذا محمد ، فيقول : أين هو ؟ أين هو ؟ لا يبصره .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ [يس : ١٢] الآية ، أخرج الترمذي وحسنه الحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري قال : كانت بنو سلمة في ناحية المدينة ، فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ [يس : ١٢] ، فقال النبى ﷺ : « **إن آثاركم تكتب فلم ينتقلوا** » (١) .

---

(١) صحيح : أخرجه الترمذي (٣٢٢٦) والحاكم (٣٦٠٤) . =

وأخرج الواحدي (١) عن أبي سعيد الخدري قال : شكت بنو سلمة إلى رسول الله ﷺ بُعد منازلهم من المسجد ، فأنزل الله [ق/ ٢٢٥ب] تعالى : ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ [يس : ١٢] ، فقال النبي ﷺ : « **عليكم منازلكم ، فإنه تكتب آثاركم** » .

قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ [يس : ٧٧] إلي آخر الآيات [ق/ ٢٨٥أ] أخرج الحاكم (٢)، وصححه عن ابن عباس قال : جاد العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل يفته ، فقال : يا محمد أيبعث هذا بعدما أرم ؟ قال : « نعم يبعث هذا ثم يميتك ثم يحييك ، ثم يدخلك نار جهنم » فنزلت الآيات : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ ﴾ [يس : ٧٧] إلى آخر السورة ، وأخرج ابن أبي حاتم من طرق عن مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدي نحوه ، وسموا الإنسان أبي بن خلف ، وليس في هذه السورة منسوخ .

= قال الترمذي : حسن غريب .

وقال الحاكم : هذا حديث صحيح عجيب من حديث الثوري .

وقد أخرج مسلم بعض هذا المعني من حديث حميد عن أنس وقال الذهبي : تفرد به إسحاق الأزرق عن صحيح .

وقال الألباني صحيح .

(١) انظر : « أسباب النزول » (ص/ ٥٨١) وأصله في مسلم (٦٦٥) من حديث جابر .

(٢) صحيح : أخرجه الحاكم (٣٦٠٦) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي .

الفصل الثاني في المتشابه منها

قوله : ﴿ إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً ﴾ [يس : ٢٩ ، ٥٣] مرتين ليس بتكرار ، لأن الأولي هي النفخة التي يموت بها الخلق،والثانية : هي التي يحيي بها الخلق.

قوله : ﴿وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس :٥٢] إن قلت : قولهم ذلك سؤال عن الباعث ، فيكف طابقه الجواب بقوله :﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ [يس : ٥٢] ؟

قلت : معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث ، وأخبركم به الرسول ، وإنما جيء به علي هذه الطريقة تبكيتًا لهم وتوبيخًا .

قوله : ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلالٍ ﴾ [يس : ٥٦] إن قلت : كيف قال في صفة أهل الجنة ذلك والظل إنما يكون لما يقع عليه الشمس ، ولا شمس في الجنة لقوله تعالى : ﴿ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا ﴾ [الإنسان : ١٣] ؟

قلت : ظل أشجار الجنة من نور قناديل العرش لئلا يبهر أبصارهم فإنه أعظم من نور الشمس .

قوله : ﴿ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يس :٦٥] سمى نطق اليد كلامًا ونطق الرجل شهادة لأن الغالب في اليد كونها فاعلة ، وفي الرجل كونها حاضرة ، وقال الفاعل على نفسه إقرار لا شهادة ، وقول الحاضر على غيره شهادة.

قوله : ﴿ فَلا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ ﴾ [يس : ٧٦] وفي يونس : ﴿ وَلا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [يونس : ٦٥] تشابها في الوقف على قولهم في السورتين لأن الوقف عليه لازم و(إن) فيهما مسكورة بالابتداء بلا حكاية بالقول ومحكي القول محذوف ولا يجوز الوصل لأن النبي ﷺ منزه عن أن يخاطب بذلك ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

خاتمة

قال القرطبي جاء في فضلها ما رواه أبو داود عن معقل بن يسار قال : قال النبي ﷺ : « اقرأوا يس على موتاكم أي المحتضرين » ، وقال ﷺ : « ما من ميت يقرأ عليه سورة يس إلا هون عليه » .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له في تلك الليلة .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « إن في القرآن لسورة تشفع لقارئها وتكفر لمستمعها ألا وهى سورة يس تدعى في التوراة المُعِمة « قيل : يا رسول الله وما المُعِمة ؟ قال : « تعم صاحبها بخير الدنيا وتدفع عنه أهاويل الآخرة ، وتدعى الدافعة والقاضية » قيل : يا رسول الله وكيف ذلك ؟ قال : «تدفع عن صاحبها كل شيء وتقضي له كل حاجة ، ومن قرأها عدلت له عشرين حجة ، ومن سمعها كانت له [ق/ ٢٨٦أ] كألف دينار تصدق بها في سبيل الله ،ومن كتبها وشربها أدخلت جوفه ألف دواء وألف نور وألف يقين وألف رحمة وألف هدى وتنزع عنه كل داء وغل .

وفي مسند الدارمي عن سهل بن حوشب ، قال ابن عباس : من قرأ يس [ق/ ٢٢٦ب] حين أصبح أعطي يسر يومه حتى يمسي ، ومن قرأها في ليلته أعطي يسر ليلته حتي يصبح وقال : يحيي بن كثير : بلغني أن من قرأ سورة يس ليلاً لم يزل في فرج حتى يصبح ، ومن قرأها نهاراً حين يصبح لم يزل في فرج حتي يمسى ، ولقد حدثني من جربها ، وذكر الترمذي الحكيم في « نوادر الأصول » ومن وجد في قلبه قساوة فليكتب في جام سورة يس بزعفران ، ثم يشربه .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « من دخل المقابر وقرأ سورة يس

خفف الله عنهم يومئذ ، وكان له بعدد من فيها حسنات » .

وذكر ابن إسحاق في هجرة النبي ﷺ ومقام على بن أبي طالب رضي الله عنه على فراشه قال : وخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده وأخذ الله على أبصارهم فلم يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم ، وهو يتلو هذه الآيات من سورة يس : ﴿ يسٓ ۝١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾ [يس : ١ ،٢] حتى بلغ ﴿فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ [يس : ٩] حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات ولم يبق رجل منهم إلا وقد وضع على رأسه تراب ، ثم انصرف إلى حيث أراد .

ومن فضائل يس أنها تكتب في تربيع ورقة من قوله : ﴿يسٓ﴾ [يس :١] إلي قوله : ﴿ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ [يس :٩] مفرقة الحروف فإنها يرد بها العبد الآبق والجارية الآبقة ويغرس في وسط الورقة في قلب اسم الآبق إبرة وتعلق عليه حيث كان يأوى فإنه يعود مجرب إن شاء الله تعالى ، نقله بعض العلماء .

سورة الصافات

مكية مائة واثنتان وثمانون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ٦٤] الآية أخرج ابن جرير عن قتادة قال : قال أبو جهل : يزعم صاحبك هذا أن في النار شجرة والنار تأكل الشجر ، وإنا والله ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد ، فأنزل الله حين عجبوا أن يكون في النار شجرة : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ٦٤] الآية .

قوله : ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾ [الصافات : ١٥٨] الآية ، أخرج جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال : أنزلت هذه الآية في ثلاثة أحياء من قريش سليم وخزاعة وجهينة : ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ﴾ [الصافات : ١٥٨] الآية .

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات : ١٥٨] ، أخرج البيهقي في « شعب الإيمان » عن مجاهد قال : قال كفار قريش : الملائكة بنات الله ، فقال لهم أبو بكر : فمن أمهاتهم ؟ قالوا : بنات سروات الجن ، فأنزل الله : وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ [الصافات : ١٥٨] .

قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴾ [الصافات : ١٦٥] أخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن أبي مالك قال : كان الناس يصلو متبددين [ق/٢٧٨أ] ، فأنزل الله : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ [الصافات : ١٦٥] ، فأمرهم أن يصفوا .

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال : حدثت فذكرت نحوه .

قوله تعالى : ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [الصافات : ١٧٦] أخرج جويبر عن ابن عباس قال : قالوا : يا محمد أرنا العذاب الذي تخوفنا به عجله لنا فنزلت : ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [الصافات : ١٧٦] .

الفصل الثاني في منسوخها

الآية الأولى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾ [الصافات : ١٠٢] القصة قال مكي : دل سياقها على أمره بذبح ولده إسماعيل ، أو إسحاق ، ثم نسخ بقوله : ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات : ١٠٧] .

الآية الثانية والثالثة : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٤) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ [الصافات : ١٧٤ ، ١٧٥] منسوختان بآية السيف .

والآية الرابعة والخامسة : قوله : ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ (١٧٨) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات : ١٧٨ ، ١٧٩] [ق/ ٢٢٧ب] منسوختان بآية السيف ، فالمراد بالحين إلى حين موتهم إلى يوم القيامة ، وقيل : محكمتان فالمراد إلى الإذن في القتال .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله : ﴿ وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾ [الصافات : ٥] إن قلت : لم جمع هنا المشرق وحذف مقابله ، وثناه في الرحمن وجمعه في المعارج وأفرده في المزمل مع ذكر مقابله في الثلاثة ؟

قلت : لأن القرآن نزل على المعهود من أساليب كلام العرب وفنونه ، ومنها الإجمال والتفصيل والذكر والحذف والجمع والتثنية والإفراد باعتبارات مختلفة فأفرد وأجمل في المزمل بقوله : ﴿ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ [المزمل : ٩] أراد مشرق الصيف والشتاء ومغربهما ، وجمع وفصل في المعارج ، بقوله : ﴿بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ [المعارج : ٤٠] أراد جميع مشارق السنة ومغاربها ، وهي تزيد على سبعمائة ، وثنى وفصل في الرحمن بقوله : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [الرحمن : ١٧] أراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما وجمع وحذف هنا بقوله : ﴿ وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾ [الصافات : ٥] أراد مشارق السنة واقتصر عليه لدلالته على المحذوف وخص ما هنا بالجمع موافقة للمجموع أول السورة وبالحذف مناسبة للزينة بقوله : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾ [الصافات : ٦] إذ الزينة إنما تكون غالبًا بالضياء والنور وهما ينشآن من المشرق لا من المغرب وما في الرحمن بالتثنية موافقة للتثنية في : ﴿ يَسْجُدَانِ ﴾ [الرحمن : ٦] و﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : ١٦] وبذكر المقابلين موافقة لبسط صفاته تعالى وإنعاماته ثمَّ ، وفي المعارج بالجمع موافقة للجمع قبله ، وبعده وبذكر المقابلين موافقة لكثرة التأكيد في القسم وجوابه ، وما في المزمل بالإفراد موافقة لما قبله من إفراد ذكر النبي ﷺ ، وما بعده من إفراد ذكر الله تعالى وبذكر المقابلين موافقة للحصر في قوله : ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ [المزمل : ٩] ولبسط أوامر الله تعالى لنبيه ﷺ ثم .

قوله : ﴿ أئذا متنا وكُنَّا تُرابًا وعِظامًا أئنَّا لمبْعُوثُونَ ﴾ [الصافات : ١٦] ختم الآية بقوله : ﴿ أئنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ [الصافات : ١٦] ختم التى بعدها بقوله : ﴿ أئنَّا لَمدِينُونَ ﴾ [الصافات :٥٣] أي لمجزيون ومحاسبون لأن الأولى في حق المنكرين للبعث والثانية في حق المنكرين للجزاء وإن كان كل منهما مستلزمًا للآخر .

قوله : ﴿ وأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [الصافات : ٢٧] وبعده ﴿فَأَقْبَلَ ﴾ [الصافات : ٥٠] بالفاء ، وكذلك في ن والقلم [ق/٢٨٨أ] لأن الأول لعطف جملة علي جملة فحسب والثاني لعطف جملة علي جملة بينهما مناسبة والتئام لأنه حكى أحوال أهل الجنة ومذاكرتهم فيها ما كان يجري في الدنيا بينهم وبين أصدقائهم، وهو قوله : ﴿ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [الصافات ٤٨ ـ ٥٠] أي يتذاكرون، وكذلك في نون والقلم هو من كلام أصحاب الجنة بصنعاء لما رأوها كالصريم وندموا على ما كان منهم وجعلوا يقولون : ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [القلم : ٢٩] بعد أن أذكرهم التسبيح أوسطهم ، ثم قال : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ ﴾ [القلم : ٣٠] أي على تركهم الاستثناء وتخافتهم : ﴿ أَن لاَّ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴾ [القلم : ٢٤] .

قوله : ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ [الصافات : ٣٤] وفي المرسلات : ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ [المرسلات : ١٨] لأن في هذه السورة حيل بين الضمير وبين كذلك ، بقوله: ﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ [الصافات : ٣٣] فأعاد ، وفي المرسلات متصل بالأول ، وهو قوله : ﴿ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ [المرسلات : ١٨ ، ١٧] فلم يحتج إلى إعادة الضمير .

قوله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات : ٣٥] ، وفي القتال : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩] بزيادة أنه وليس لهما في القرآن ثالث لأن ما في هذه السورة وقع بعد القول [ق/٢٨ب] فحكى ، وفي القتال

وقع بعد العلم فزيد قبله (أنه) ليصير مفعول العلم، ثم يتصل به ما بعده .

قوله: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ﴾ [الصافات : ٧٨] إن قلت : كيف قال عقبه في قصص ما عدا قصة لوط ويوسف وإلياس ﴿ سَلامٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ [الصافات : ٧٩] ﴿ سَلامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الصافات : ١٠٩] ، ﴿ سَلامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ [الصافات : ١٢٠] ، ﴿ سَلامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴾ [الصافات : ١٣٠] ولم يقل ذلك في قصص الثلاثة ؟

قلت اكتفاء فيها بقوله : ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات : ١٣٣] ، ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات : ١٣٩] ، ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات : ١٢٣] .

قوله : ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠)﴾ [الصافات : ١١٠] إن قلت : لم قال هنا أعني في قصة إبراهيم بحذف إنا وأثبته في آخر غيرها من القصص ؟

قلت : حذفه في قصة إبراهيم اختصارًا واكتفاء بذكره له قبل في قصته بقوله : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [الصافات : ١٠٤] الآية مع أن بعد قصته ما هو من تكملتها ، وهو قوله : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الصافات : ١١٢] خلاف سائر القصص .

قوله : ﴿ بِغُلامٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات : ١٠١] ، وفي الذاريات : ﴿بِغُلامٍ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات : ٢٨] ، وكذلك في الحجر لأن التقدير : ﴿ بِغُلامٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات : ١٠١] في صباه : ﴿ عَلِيمٍ ﴾ [الذاريات : ٢٨] في كبره ، وخصت هذه السورة بحليم لأنه عليه السلام حلم فانقاد وأطاع ، وقال : ﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٢] والأظهر أن الحليم إسماعيل والعليم إسحاق لقوله : ﴿ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ [الذاريات : ٢٩] قال مجاهد : العليم والحليم في السورتين إسماعيل ، وقيل : هما في السورتين

إسحاق ، [وهذا عند من زعم أن الذبيح إسحاق] [(١)] وذكر ذلك بشرحه في موضعه .

قوله : ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ [الصافات : ١٧٥] تهديدًا لهم ثم أعاده في قوله : ﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ [الصافات : ١٧٩] تأكيدًا ، أو لأن الأول في الدنيا ، والثاني في الآخرة ، وحذف [ق/ ٢٨٩أ] منه المفعول اكتفاء بذكره أولاً . . [انتهي ، والله سبحانه وتعالى أعلم] [(٢)] .

---

(١) سقط من أ .

(٢ زيادة من أ .

خاتمة

قال القرطبي : جاء في فضلها ما روي عن الحسن بن علي قال : أنا ضامن لمن قرأ هذه العشرين آية أن يعصمه الله من كل شيطان مريد ومن كل سلطان ظالم ومن كل لص عاد ومن كل سبع ضار : آية الكرسي وثلاث من الأعراف : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [الأعراف : ٥٤] ، وعشر آيات من الصافات ، وثلاث آيات من الرحمن : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ﴾ [الرحمن : ٣٣] وخواتيم سورة الحشر ، وآخر سورة براءة .

وعن سعيد بن المسيب قال : بلغني أنه من قال حين يمسي : ﴿سَلامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات : ٧٩] لم تلدغه عقرب .

وعن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين يقول في آخر صلاته ، أو حين ينصرف : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات : ١٨٠ ـ ١٨٢] .

وعن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : « **من سره أن يكتال بالمكيال الأوفي من الأجر يوم القيامة فليقل آخر مجلسه حين يريد أن يقوم :** ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات : ١٨٠ ـ ١٨٢» .

سورة ص

مكية ست ، أو ثمان وثمانون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

أخرج أحمد والترمذي والنسائي والحاكم وصححه [١] عن ابن عباس قال: مرض أبو طالب ، فجاءته قريش ، وجاءه النبي ﷺ فشكوه إلى أبي طالب فقال: يا ابن أخي ما تريد من قومك ؟

قال : « أريد منهم كلمة يدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم العجم الجزية كلمة واحدة .

قال : ما هي ؟

قال : « لا إله إلا الله »، فقالوا: ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص : ٥] ، فنزلت فيهم : ﴿ صٓ وَالْقُرْآنِ﴾ [ص :١] إلى قوله : ﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾ [ص : ٨] [ق/ ٢٢٩ب] قال المفسرون [٢] : لما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه شق ذلك على قريش وفرح المؤمنون، قال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش وهم الصناديد والأشراف : امشوا إلى أبي طالب ، فأتوه ، فقالوا له : أنت شيخنا وكبيرنا قد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وإنا أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك ، فأرسل أبو طالب إلى رسول الله ﷺ فدعاه ، فقال له : يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك .

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٠٨) والترمذي (٣٢٣٢) وابن حبان (٦٦٨٦) والحاكم (٣٦١٧) وأبو يعلى (٢٥٨٣) وابن أبي شيبة (٣٦٥٦٤) والنسائي في « الكبرى » (٨٧٦٩) قال الترمذي: حسن .
وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .
وقال الذهبي : صحيح .
وقال الألباني: ضعيف .

(٢) انظر : « أسباب النزول » للواحدي (ص / ٥٨٤) .

فقال : ومـا يسألوني ؟ قالوا : ارفـضنا وارفض آلهتنا ، وندعك وإلهك ، فقـال النبى ﷺ : « أتعطوني كلمـة واحدة تملكون بهـا العرب وتدين لكـم بها العجم ؟» فـقال أبو جـهل : للـه أبوك لنعطـينكهـا ، وعشـر أمـثالهـا ، فـقال النبي ﷺ : « قولوا : لا إله إلا الله » فنفروا من ذلك وقاموا وقالوا : ﴿ **أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا** ﴾ [ص :٥] كيف [ق/ ٢٩٠أ] يسع الخلق كلهم إله واحد ؟ فأنزل الله تعالى فيـهم هذه الآيات إلى قوله تعالى : ﴿ **كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ** ﴾ [ص : ١٢] .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو آيتان الآية الأولى : ﴿ اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ [ص : ١٧] قيل : كف عنهم فهي منسوخة بالسيف والمختار إحكامها والمعني اصبر على التبليغ .

الثانية : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلا تَحْنَثْ ﴾ [ص : ٤٤] قيل : محكمة عامة ، وبه قال الشافعي فيبر بعتكال فيه عدد لا ينقص عن المحلوق عليه ، وقيل منسوخة بشرعنا وبه قال مالك .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله : ﴿ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ ﴾ [ص : ٤] بالواو ، وفي ق ﴿ فَقَالَ ﴾ [ص :٢] بالفاء لأن اتصاله بما قبله في هذه السورة معنوي ، وهو أنهم عجبوا من مجيء المنذر ، وقالوا : هذا المنذر ساحر كذاب ، وما في ق متصل بما قبله اتصالاً لفظيًا ومعنويًا ، وهو أنهم عجبوا عقب الإخبار عنهم بأنهم عجبوا فقالوا : هذا شيء عجيب فناسب فيه ذكر الفاء دون ما هنا .

قوله : ﴿ أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ﴾ [ص : ٨] قاله هنا بلفظ أأنزل [وفي القمر بلفظ أألقى] (١) لأن ما هنا حكاية عن كفار قريش فناسب التعبير به لوقوعه إنكاراً لما قرأه عليهم النبي ﷺ من قوله تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] ، وما في القمر حكاية عن قوم صالح وكانت الأنبياء تلقى إليهم صحفًا مكتوبة فناسب التعبير بـ « أألقى » ، وقدم الجار والمجرور على الذكر هنا موافقة لما قرأه النبي ﷺ على المنكرين ، وعكس في القمر جريًا على الأصل من تقديم المفعول بلا واسطة [على المفعول

---

(١) سقط من أ .

بواسطة][(١)].

قوله : ﴿ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا ﴾ [ص :٤٣] ، وفي الأنبياء : ﴿ مِّنْ عِندِنَا ﴾ [الأنبـياء : ٨٤] لأن الله سبحانه وتعالى مـيز أيوب بحسن صبره على بلائه بين أنبيائه فحيث قـال لهم من عندنا قال له : منا وحيث لم يقل لهم من عندنا قال له:من عندنا [فخصت هذه السورة بقوله (منا) لما تقدم في حقهم من عندنا] [(٢)] في مواضع ، وخصت سورة الأنبياء بقوله : ﴿ مِّنْ عِندِنَا ﴾ [الأنبياء : ٨٤] لتفرده بذلك .

---

(١) سقط من أ .

(٢) سقط من أ

سورة الزمر

مكية ، إلا ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا ﴾ [الزمر : ٥٣] فمدنية وهي خمس وسبعون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ [الزمر : ٣] أخرج جويبر عن ابن عباس في هذه الآية قال : أنزلت في ثلاثة أحياء عامر وكنانة ونبى سلمة كانوا يعبدون الأوثان [ق/ ٢٣٠ب] ويقولون : الملائكة بناته ، فقالوا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [الزمر : ٣] .

قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ [الزمر : ٩] أخرج ابن أبي حاتم عن عمر في قوله : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ﴾ [الزمر : ٩] الآية قال : نزلت في عثمان بن عفان .

وأخرج ابن سعد من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزلت في عمار بن ياسر .

وأخرج جويبر عن ابن عباس قال : نزلت في ابن مسعود وعمار بن ياسر وسالم مولى أبي حذيفة .

وأخرج جويبر عن عكرمة قال نزلت في عمار بن ياسر .

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [الزمر : ١٧] الآية أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم [ق/ ٢٩١أ] أن هذه الآية نزلت في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون : لا إله إلا الله زيد بن عمرو بن نفيل ، وأبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي .

قوله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ [الزمر : ١٧ ، ١٨] الآية أخرج جويبر بسنده

عن جابر بن عبد الله قال لما نزلت : ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾ [الحجر : ٤٤] الآية أتي رجل من الأنصار الرسول ﷺ فقال يا رسول الله إن لي سبعة مماليك وإني قد أعتقت لكل باب منها مملوكًا فنزلت هذه الآية : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ [الزمر : ١٧ ، ١٨] .

قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ﴾ [الزمر : ٢٢] نزلت في علي وحمزة رضي الله عنهما ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم من ذكر الله ﴾ [الزمر : ٢٢] نزلت في أبي لهب وولده .

قوله تعالى [(الله أنزل أحسن الحديث كتابًا متشابهًا) . قال أبو سعد : قالوا يا رسول الله لوحدتتنا فنزلت .

قوله تعالى :] (١) ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ ﴾ [الزمر : ٣٦] الآية أخرج عبد الرزاق عن معمر قال : قال لي رجل قالوا للنبي ﷺ لتكفن عن شتم آلهتنا أو لنأمرنها فلتخبلنك فنزلت : ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾ [الزمر : ٣٦] .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ [الزمر : ٤٥] الآية أخرج ابن المنذر عن مجاهد أنها نزلت في قراءة النبي ﷺ النجم عند الكعبة وفرحهم عند ذكر الآلهة .

وأخرج الطبراني بسند فيه ضعف عن ابن عباس قال : بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام ،فأرسل إليه : كيف تدعوني وأنت تزعم أن من قتل أو زني أو أشرك يلق أثامًا يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانًا وأنا صنعت ذلك فهل تجد لي من رخصة ؟فأنزل الله : ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا ﴾ [الفرقان : ٧٠] [فقال وحشي : هذا شرط شديد ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا ﴾] (٢) فلعي لا أقدر على هذا ، فأنزل الله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء : ١١٦] فقال وحشي: هذا [أرى بعد مشيئة فلا أدرى يغفر لي أم لا فهل غير هذا ؟] (٣)

---

(١) سقط من أ.

(٢) سقط من أ .

(٣) سقط من أ .

فأنزل الله : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ [الزمر : ٥٣] الآية قال وحشي : هذا نعم (١) ، فأسلم .

وقال ابن عباس ﷺ نزلت في أهل مكة قالوا : يزعم محمد أن من عبد الأوثان وقتل النفس التى حرم الله لم يغفر له فكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا مع الله إلهًا آخر وقتلنا النفس التى حرم الله ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وقال ابن [عمر] (٢) ﷺ أنزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا أسلموا ، ثم فتنوا وعذبوا ففتنوا فكنا نقول : لا يقبل الله من هؤلاء صرفًا ولا عدلاً أبدًا أبدًا ، قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب عذبوا به فنزلت هذه الآيات ، وكان عمر ﷺ كاتبًا فكتبها إلى عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد إلى أولئك النفر فاسلموا وهاجروا .

قوله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الزمر : ٦٦] [ق/ ٢٣١ب] أخرج الواحدي عن عبد الله قال أتى النبي ﷺ رجل من أهل الكتاب ، فقال : يا أبا القاسم بلغك أن الله يحمل الخلائق على إصبع والأرضين على إصبع [والشجر على إصبع] (٣) والثرى على إصبح فضحك رسول الله ﷺ حتي بدت نواجذه، فأنزل الله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الزمر : ٦٦] الآية [ق/ ٢٩٢أ] ومعنى هذا أن الله يقدر على قبض الأرض وجميع ما فيها من الخلائق والشجر قدرة أحدنا على ما يحمله بإصبعه فخوطبنا بما نتخاطب فيما بيننا لنفهم ألا ترى أن الله عز وجل قال : ﴿ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [الزمر : ٦٦] أي أنه يقبضها بقدرته

---

(١) في : فهم وفي الطبراني : فجاء .

(٢) في ب : عمير .

(٣) سقط من أ .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو خمس آيات:

الأولى : قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الزمر: ١٣] منسوخة بقوله : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ٢] .

الثانية : ﴿ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ﴾ [الزمر : ١٥] .

الثالثة : ﴿يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ [الزمر : ٣٩] .

الرابعة : ﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ [الزمر : ٤١] هذه الثلاث آيات منسوخات بآية السيف ، وقيل : محكمات ومعناها التهديد .

الخامسة : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر:٥٣] ، قيل: منسوخة بقوله : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ [النساء : ٩٣]، وقيل : بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ﴾ [النساء : ١١٦] ، وقيل : محكمة ، قال ابن عباس : نزلت في قوم من المشركين قالوا : ما نظن أن الله يقبل إسلامنا وقد صنعنا بمحمد ما صنعنا .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ [الزمر : ٢] عبر فيه هنا بإلى ، وفي أثناء السورة بعلى ، تقدم في البقرة الفرق بين إلى وعلى ويزيد هنا أن كل موضع خوطب فيه النبي ﷺ ، بالإنزال ، أو التنزيل أو النزول إن عدي بإلى ففيه تكليف له أو بعلى ففيه [تخفيف عنه فما هنا] (١) تكليف له بالإخلاص في العبادة بدليل قوله : [(فاعبد الله مخلصًا له الدين) وما في أثناء السورة تخفيف عنه بدليل قوله :] (٢) ﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ [الزمر : ٤١] أي لست بمسئول عنهم .

قوله : ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ [الزمر : ٦] إن قلت : كيف قال ذلك مع أن الأنعام مخلوقة من الأرض لا منزلة من السماء ؟

قلت : هذا من مجاز النسبة إلى سبب السبب إذ الأنعام لما كانت لا تعيش إلا بالنبات والنبات لا يعيش إلا بالمطر والمطر منزل من السماء وصفها بالإنزال من تسمية المسبب باسم سببه أو معناه وقضى لكن لأن قضاءه منزل من السماء من حيث كتب فى اللوح المحفوظ أو خلقها فى الجنة ثم أنزلها على آدم عليه السلام بعد إنزاله إلى الأرض والإنزال بمعنى الإحداث والإنشاء كقوله : ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ﴾ [الأعراف : ٢٦] .

قوله : ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ ﴾ [الزمر : ١١] الآية زاد اللام بعد أمرت الثاني دون الأول لأن مفعول الثاني محذوف دون اكتفاء بمفعول الأول والتقدير وأمرت أن أعبد الله لأن أكون .

إن قلت : لم قال في هذه الآية ﴿ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴾ [الزمر : ٢] بأل ، وقال

(١) سقط من أ .
(٢) سقط من أ .

بعد : ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾ [الزمر : ١٤] بالإضافة ؟

قلت : لأن قول الله اعبد إخبار عن المتكلم فناسب الإضافة إليه ، وقوله : ﴿ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ ﴾ [الزمر : ١١] ليس إخبارًا عن المتكلم بل الإخبار عنه أصالة أمرت فقط وما بعده فضلة .

وقوله : ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ﴾ [الزمر : ٢١] قاله هنا بلفظ يجعله ، وفي الحديد بلفظ يكون موافقة في كل منهما لما قبله في المسند إليه لأن المسند [ق/ ٢٣٢ب] إليه هنا فيما قبله [ق/ ٢٩٣أ] وهو يخرج به زرعًا هو الله كما أنه كذلك في يجعله والمسند إليه ثم فيما قبله وهو (أعجب الكفار نباته) النبات كما أنه كذلك في يكون .

قوله : ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ﴾ [الزمر : ٤١] قاله هنا بحذف إنما يهتدي المذكور وفي يونس والإسراء اكتفاء بما ذكره بقوله: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر : ٢٣] ، ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ ﴾ [الزمر : ٣٧] .

قوله : ﴿ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر : ٣٥] ، وفي النحل : ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٩٦] وكان حقه أن يذكر هناك ، خصت هذه السورة بالذى يوافق ما قبله وهو أسوأ الذي قبله والذي جاء بالصدق وخصت النحل بالموافقة أيضًا ، وهو قوله : ﴿ إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [النحل : ٩٥] ، ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل : ٩٦] فتلائم اللفظان في السورتين .

قوله : ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ [الزمر: ٤٨]،وفي الجاثية :﴿ مَا عَمِلُوا ﴾ [الجاثية : ٣٣] علته مثل علة الآية الأولى لأن ما كسبوا في هذه السورة وقع بين ألفاظ الكسب ، وهو ﴿ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الزمر : ٢٤] ، وفي الجاثية وقع بين ألفاظ العمل وهو :﴿ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٨] ، ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [الجاثية : ٣٠] وبعده ﴿ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾ [الجاثية : ٣٣] فخصت كل سورة بما اقتضاه .

قوله : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الزمر : ٧١] الآيتين إن قلت : كيف قال ذلك

مع أن السوق فيه نوع إهانة لا يليق بأهل الجنة ؟

قلت :المراد بسوق أهل النار طردهم إليها بالهوان والعنف كما يفعل بالأسارى الخارجين عن السلطان إذا سوقوا إلى حبس أو قتل ، وبسوق أهل الجنة سوق مراكبهم حثًا وإسراعًا بهم إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على السلطان ، فإن قلت : كيف قال في صفة النار فتحت أبوابها بلا واو وقال في صفة الجنة بالواو .

قلت : هي زائدة أو هي واو الثمانية لأن أبواب الجنة ثمانية، أو واو الحال أي جاؤها وقد فتحت أبوابها قبل مجيئهم بخلاف أبواب النار فهى إنما فتحت عند مجيئهم والسر في ذلك أن يتعجل بأهل الفرح والسرور إذا رأوا الأبواب مفتحة وأهل النار يأتونها ، وأبوابها مغلقة ليكون أشد لحرها أو أن الوقوف على الباب المغلق نوع ذل وهوان فصين أهل الجنة عنه أو أن الكريم يعجل المثوبة ويؤخر العقوبة ، أو اعتبر في ذلك عادة دار الدنيا لأن عادة من في منازلها من القدم إذا بشر بقدوم أهل المنازل فتح أبوابها قبل مجيئهم استبشاراً بهم وتطلعًا إليهم وعادة المحبوس إذا شدد في أمرها أن لا تفتح أبوابها إلا عند الدخول إليها والخروج .

خاتمة

قال القرطبي : جاء في فضلها ما رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ ، لا ينام حتى يقرأ الزمر وبنى إسرائيل .

وفي صحيح مسلم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : سألت عائشة أم المؤمنين [ق/ ٢٩٤أ] بأي شيء كان النبي ﷺ يستفتح صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت : كان إذا قام من الليل افتتح صلاته « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » .

وروى عن الحسن بن علي عن النبي ﷺ قال : « أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا في الفلك بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : ٦٧] ، ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [هود : ٤١] [ق/ ٢٣٣ب] ، [والله سبحانه وتعالى أعلم . . . انتهى][(١)] .

---

(١) زيادة من أ .

سورة غافر

مكية ، إلا ﴿ الَّذينَ يُجَادِلُونَ ﴾ [غافر : ٣٥] الآيتين

خمس وثمانون آية

الفصل الأول : في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ ما يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر : ٤] أخرج ابن أبي حاتم عن السدي عن أبي مالك في قوله : ﴿ ما يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [غافر : ٤] قال : نزلت في الحارث بن قيس السهمي.

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ [غافر : ٥٦] أخرج ابن أبي العالية قال : جاءت اليهود إلى رسول الله ﷺ فذكروا الدجال فقالوا : يكون منا في آخر الزمان فعظموا أمره وقالوا : يصنع كذا وكذا ، فأنزل الله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ [غافر : ٥٦] فأمر الله نبيه أن يتعوذ من فتنة الدجال ﴿ لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ [قال من خلق الدجال] (١) ،وأخرج عن كعب الأحبار في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ﴾ [غافر : ٥٦] قال : هم اليهود نزلت فيما ينتظرونه من أمر الدجال .

قال في « الدر المنثور » ، وأخرج ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار رضي الله عنه في قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ﴾ [غافر : ٥٦] نزلت فيهم فيما ينتظرونه من أمر الدجال .

وأخرج بن المنذر عن ابن جريج رضي الله عنه في قوله : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ

---

(١) سقط من أ .

أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ [غافر : ٥٧] قال: زعمـوا أن يهودًا قالت : يكون منا ملك في آخر الزمـان البحر إلى ركبـتيه والسحـاب دون رأسه يأخذ الطير بين السـماء والأرض معه جبل خبز ونهر فنزلت : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ [غافر : ٥٧] .

قوله تـعالى : ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [غافـر : ٦٦] الآية أخرج جويبر عن ابن عـباس أن الوليد بن المغيرة وشيبـة بن ربيعة قالا : يا محمد ارجع عما تقول وعليك بدين آبائك وأجدادك ، فأنزل الله تعالى : ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [غافر : ٦٦] الآية .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو آيتان :

الآية الأولى منهـما : ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ﴾ [غافـر :٥٥] منسوخة بآية السيف .

والآية الثانية : ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ [غافر : ٧٧] منسوخة بآية السيف أيضًا ونسخ الأمـر بالصبر فيهما إن أريد به الكـف عن القتال ، وقيل : محكمتان إن أريد بالصبر الصبر على التبليغ . [والله أعلم] (١) .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ [غافر : ٢٢] قاله هنا بجمع الضمير ، وفي التغابن بإفراده موافقة هنا لما قبله في قوله : ﴿ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُـوَّةً﴾ [غافـر : ٢١] إلى آخره وأفرده ، ثم [لأنه ضمـير الشأن زيد توصلاً إلى

(١) زيادة من أ .

دخول أن على كان] (١) قوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا ﴾ [غافر :٢٥] في هذه السورة فحسب لأن الفعل لموسى وفي سائر القرآن ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [يونس : ٧٦] .

قوله: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ ﴾ [غافر : ٥٩] ، وفي طه : ﴿آتِيَةٌ ﴾ [طه : ١٥] لأن اللام إنما تزاد لتأكيد الخبر وتأكيد الخبر إنما يحتاج إليه إذا كان المخبر به شاكًا في الخبر والمخاطبون في هذه السورة الكفار فأكد ولذلك أكد : ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ [غافر : ٥٧] في هذه السورة باللام .

قوله : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر : ٥٧] أي أن خلق الأصغر أسهل من خلق الأكبر ثم قال : ﴿ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [غافر : ٥٩] أي بالبعث ثم قال : ﴿ لا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر : ٦١] أي الله على فضله فختم كل آية بما اقتضاه أولها .

قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر : ٦٥] مدح نفسه سبحانه وتعالى ، وختم ثلاثة آيات على التوالي بقوله : ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر : ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦] وليس له في القرآن نظير ، قوله : ﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [غافر : ٧٨] ختمه بقوله: ﴿ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [غافر : ٧٨] [ق/ ٢٣٤ب] وختم السورة بقوله : ﴿ الْكَافِرُونَ ﴾ [الكافرون : ٨٥] لأن الأول متصل بقوله : ﴿ قُضِيَ بِالْحَقِّ ﴾ [غافر : ٧٨] ونقيض الحق الباطل ،والثاني متصل بإيمان غير نافع ونقيض الإيمان الكفر .

---

(١) سقط من أ .

خاتمة

قال القرطبي : جاء في فضلها ما روي في فاتحتها قال ثابت البناني : كنت إلى جانب سرادق مصعب بن الزبير في مكان لا يمر فيه الدواب فاستفتحت : ﴿حمٓ ① تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ فمر علي رجل على دابة فلما قلت : ﴿غَافِرِ الذَّنبِ ﴾ [غافر : ١ ، ٢ ،٣] قال : قل يا غافر الذنب اغفر لي ذنبي فلما قلت : ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ قال : قل يا قابل التوب اقبل توبتي ، فلما قلت : ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴾ [غافر : ٣] قال : قل يا شديد العقاب اعف عني فلما قلت ذي الطول قال : قال يا ذا الطول تطول على بخير فقمت إليه فأخذ ببصري فتلفت يمينًا ويسارًا فلم أر شيئًا .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ آية الكرسي حين يصبح وآية من أول حم المؤمن حفظ من يومه ذلك حتى يمسي ومن قرأها حين يمسي حفظ في ليلته حتى يصبح » .

وروي في الخبر أنه قال : من قال : « وأفوض أمري إلى الله أمن من مكر الناس » قال الله تعالى : ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ﴾ [غافر : ٤٥] ، [والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده] (١) .

---

(١) زيادة من أ .

سورة حم السجدة

مكية ، وهي ثلاث وخمسون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ ﴾ [فصلت: ٢٢] أخرج الشيخان والترمذي، وأحمد ، وغيرهم عن ابن مسعود قال : اختصم عند البيت ثلاثة نفر قرشيان ، وثقفي أوثقفيان وقرشي، فقال أحدهم أترون الله يسمع ما نقول ، فقال الآخر [ق/٢٩٦أ] : يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا ، وقال الآخر : إن كان يسمع إذا جهرنا ، فهو يسمع إذا أخفينا ، فأنزل الله : ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ [فصلت : ٢٢] الآية .

قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ [فصلت : ٣٠] قال عطاء عن ابن عباس ﵄ نزلت هذه الآية في أبي بكر ﵁ وذلك أن المشركين قالوا : ربنا الله [والملائكة بناته وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فلم يستقيموا ، وقالت : اليهود : ربنا الله] (١) وعزير ابنه ومحمد ليس بنبي فلم يستقيموا ، فقال أبو بكر ﵁ : ربنا الله وحده لا شريك له ومحمد ﷺ عبده ورسوله فاستقام .

قوله : ﴿ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [فصلت : ٤٠] أخرج ابن المنذر عن بشير بن فتح قال : نزلت هذه الآية في أبي جهل ، وعمار بن ياسر : ﴿ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [فصلت : ٤٠] .

قوله تعالى : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [فصلت: ٣] الآيات أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: قالت قريش : لولا أنزل هذا القرآن أعجميًا وعربيًا ، فأنزل الله : ﴿ لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ [فصلت : ٤٤] الآيات ، فأنزل الله بعد هذه الآية فيه بكل لسان قال ابن جرير : والقراءة على هذا أعجمي بلا استفهام .

---

(١) سقط من أ .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو آيتان .

الأولى : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [فصلت : ٣٤] .

والثانية : ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ [فصلت : ٤٠] قيل : منسوختان بالسيف ، وقيل : محكمتان ومعني الأولى اصبر عند الغضب واحلم عند الجهل ، ومعنى الثانية تهديد لا إباحة .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت : ٩] إلى قوله : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ [فصلت : ١٢] إن قلت : هذا يدل على أن السماوات والأرض وما بينهما خلقت في ثمانية أيام وهو مناف لما ذكر في القرآن، وغيره أنها خلقت في ستة أيام ؟

قلت : يومًا خلق الأرض من جملة الأربعة [ق/ ٢٣٥ب] بعدهما والمعنى في تتمة أربعة أيام وهي مع يومي خلق السماوات ستة أيام يوم الأحد والاثنين لخلق الأرض يوم الثلاثاء والأربعاء للجعل المذكور في الآية وما بعده ، ويوم الخميس والجمعة لخلق السماوات .

قوله : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا ﴾ [فصلت : ٢٠] قاله هنا بذكر ما هنا وبحذفها في قوله في النمل : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا ﴾ [النمل : ٨٤] ، وفي الزمر : ﴿ إِذَا جَاءُوهَا ﴾ [الزمر:٧٣] مرتين ، وفي الزخرف :﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا ﴾ [الزخرف:٣٨] .

﴿ إِذَا جَاءُوهَا ﴾ [الزمر : ٧٣] لأن الكلام هنا في أعداء الله أبسط وآكد منه في البقية فناسب ذكر ما للتأكيد هنا دون البقية .

قوله : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [فصلت : ٣٦] قاله هنا بزيادة هو وأل وفي الأعراف بدونهما لأن ما هنا متصل بمؤكد بالتكرار وبالحصر فناسب التأكيد بما ذكر وما في الأعراف خلى عن ذلك فجرى على القياس من كون المسند إليه معرفة والمسند نكرة .

قوله : ﴿ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ [فصلت : ٤٥] ، وفي حم عسق بزيادة قول :﴿ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الشوري: ١٤] وزاد فيها أيضًا ﴿ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ١٤] لأن المعنى تفرق [ق/٢٩٧أ] قول اليهود في التوراة ، وتفرق قول الكافرين في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير العذاب إلى يوم الجزاء لقضي بينهم بإنزال العذاب عليهم وخصت حم عسق بزيادة قوله : ﴿ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الشوري : ١٤] لأن ذكر البداية في أول الآية وهو : ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ [الشورى : ١٤] وهو مبدأ كفرهم فحسن ذكر النهاية التى أمهلوا إليها ليكون محدودا من الطرفين .

قوله : ﴿ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴾ [فصلت : ٤٩] ، ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت:٥١] لا منافاة بينهما لأن معناه قنوط من الضيم دعاء لله ، وقيل : يئوس قنوط بالقلب دعاء باللسان ، وقيل : الأول في قوم والثاني في آخرين .

قوله : ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ ﴾ [فصلت : ٥٠] بزيادة منا ومن و في هود ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ ﴾ [هود : ١٠] لأن في هذه السورة بين جهة الرحمة وبالكلام حاجة إلى ذكرها وحذف في هود اكتفاء بما قبله ، وهو قوله : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ﴾ [هود : ٩] وزاد في هذه السورة من لأنه لما حد الرحمة والجهة الواقعة منها حد الطرف الذي بعدها ليتشاكلا في التحديد وفي هود لما أهمل الأول أهمل الثاني .

قوله : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ﴾ [فصلت : ٥٢] قاله هنا بثم ،

وفي الأحقاف بالواو ولأن معناه هنا كان عاقبة أمركم بعد الإمهال للنظر والتدبر الكفر فناسب ذكر ثم الدالة على الترتيب ، وفي الأحقاف لم ينظر إلى ترتيب كفرهم على ما ذكر بل عطف على كفرتم شهد شاهد بالواو فناسب ذكرها لدلالتها على مطلق الجمع .

سورة حم عسق (الشورى)

مكية ، إلا ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ ﴾ [الشورى : ٢٣] الآيات الأربع
ثلاث وخمسون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ ﴾ [الشورى : ١٦] أخرج عبد الرزاق عن قتادة في قوله : ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ ﴾ [الشورى : ١٦] الآية قال : هم اليهود والنصارى قالوا : كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ، ونحن خير منكم .

قوله تعالى : ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الشورى : ٢٣] الآية أخرج الطبراني بسند فيه ضعف عن ابن عباس قال : قالت الأنصار : لو جمعنا لرسول الله ﷺ مالاً فأنزل الله : ﴿ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى : ٢٣] فقال بعضهم لبعض : إنما قال : ذلك ليقاتل عن أهل بيته وينصرهم .

قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ ﴾ [الشورى : ٢٧] الآية [ق/ ٢٣٦ب] أخرج الحاكم وصححه عن علي قال : نزلت هذه الآية في أصحاب الصفة ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ ﴾ [الشورى : ٢٧] وذلك أنهم قالوا : لو أن لنا الدنيا فتمنوا الدنيا .

قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ ﴾ [الشورى : ٥١] الآية ، وذلك أن اليهود قالوا النبي ﷺ : ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبيًا كما كلمه موسى ونظر إليه فإنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك ، فقال : « لم ينظر موسى إليه ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو سبع آيات :

الآية الأولى : قوله تعالى : ﴿ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ﴾ [الشورى : ٥] نسخت بالآية التي في سورة المؤمن [ق/٢٩٨أ] بقوله تعالى :﴿ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [غافر : ٧] ، وقيل : منسوخة بقوله : ﴿ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ﴾ [غافر : ٧] والمختار إحكامها وتخصيصها بها أي من المؤمنين .

الثانية : ﴿ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ [الشوري : ٦] قيل : منسوخة بالسيف ، وقيل محكمة أي لست محصيًا لأعمالهم .

الثالثة : ﴿ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾ [الشورى : ١٥] منسوخة بـ ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [التوبة : ٢٩] ، وقيل : محكمة أي لا سراية .

الرابعة : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ [الشورى : ٢٠] نسخت بقوله : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ [الإسراء : ١٨] المختار إحكامها وتخصيصها بها أي نؤته منها إن أردنا .

الخامسة :﴿لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣] ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ [الفرقان : ٥٧] ، وقيل : محكمة والمعنى إلا أن تصدقوني لقرابتي منكم .

الآية السادسة : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ [الشورى : ٣٩] نسخت بقوله : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ [الشورى : ٤٣] .

السابعة : ﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ [الشورى : ٤١] منسوخة بقوله : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ ﴾ [الشورى : ٤٣] فناسخهما آية واحدة والمختار إحكامها ومعناهما جواز انتصار المظلوم ومدح من لا يبتدئ .

الثامنة : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ ﴾ [الشورى : ٤٨] نسخت بآية السيف ، وقيل محكمة ، ولا يحتاج إلى برهان آخر بعد إقامة الحجة عليهم .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله : ﴿ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورى : ٤٣] [وفي لقمان ﴿ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾] (١) لأن الصبر على وجهين صبر على مكروه ينال الإنسان ظلمًا كمن قتل بعض أعزته وصبر على مكروهه ليس بظلم كمن مات بعض أعزته فالصبر على الأول أشد والعزم عليه آكد وكأن ما في هذه السورة من الجنس الأول لقوله : ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ [الشورى : ٤٣] فأكد الخبر باللام ، وفي لقمان من الجنس الثاني فلم يؤكده .

قوله : ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ ﴾ [الشورى : ٤٤] وبعده : ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ ﴾ [الشورى : ٤٦] ليس بتكرار لأن المعني ليس له من هاد ولا ملجأ .

ومن قوله :(٢) [﴿ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى : ٥١] ليس له نظير والمعنى تعالى عن أن يكلم شفاهًا حكيم في تقسيم وجوه التكليم .

(١) سقط من أ .
(٢) سقط من أ .

سورة الزخرف

مكية ، وقيل : إلا ﴿ اسأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ ﴾ [الزخرف : ٤٥] الآية .

تسع وثمانون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا ﴾ [الزخرف : ١٩] الآية أخرج ابن المنذر عن قتادة قال ناس من المنافقين : إن الله صاهر الجن فخرجت من بينهم الملائكة ، فنزلت فيهم : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾ [الزخرف : ١٩] ، وتقدم في سورة يونس سبب قوله : ﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ ﴾ [الزخرف : ٣١] الآيتين .

قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا﴾ [الزخرف : ٣٦] الآية ، أخرج ابن أبي حاتم عن محمد [ق/ ٢٣٧ب] بن عثمان المخزومي أن قريشًا قالت قيضوا لكل رجل من أصحاب محمد رجلاً يأخذه فقيضوا لأبي بكر [ق/ ٢٩٩أ] طلحة ، فأتاه وهو في القوم، فقال أبو بكر : إلام تدعوني ؟

قال : أدعوك إلى عبادة اللات والعزى .

قال أبو بكر: وما اللات ؟

قال : ربنا .

قال : وما العزى ؟

قال : بنات الله .

قال أبو بكر : ومن أمهم ؟ فسكت طلحة فلم يجبه ، فقال طلحة لأصحابه: أجيبوا الرجل ، فسكت القوم ،فقال طلحة قم يا أبا بكر أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله،فأنزل الله : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ

شَيْطَانًا ﴾ [الزخرف : ٣٦] الآية .

قوله تعالى : ﴿ **وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً** ﴾ [الزخرف : ٥٧] الآية أخرج أحمد بسند صحيح والطبراني عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لقريش : « **إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير** » فقالوا ألست تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً أصالحاً وقد عُبد من دون الله فأنزل الله : ﴿**وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً**﴾ [الزخرف : ٥٧] الآية .

قوله تعالى : ﴿ **أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم** ﴾ [الزخرف: ٨٠] الآية ، أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال : بينما ثلاثة بين الكعبة وأستارها قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي فقال واحد منهم : ترون الله يسمع كلامنا ، فقال آخر : إذا جهرتم سمع وإذا أسررتم لم يسمع ، فأنزل الله ﴿ **أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم** ﴾ [الزخرف : ٨٠] الآية ، [والله سبحانه وتعالى أعلم] (١) .

---

(١) زيادة من أ.

الفصل الثاني في منسوخها

وهو آيتات .

الآية الأولى : ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا ﴾ [الزخرف : ٨٣] الآية .

الآية الثـانية : ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ ﴾ [الزخـرف : ٨٩] منسوخـتان بآية السيف ويكون المراد بهما الكف عن قتـالهم ، وقيل : محكمتان ، ويكون المراد بهما لا تخض مـعهم واصفح عن جهلهم وبلغ وقل خـيراً من قولهم ، [والله أعلم] (١) .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قـوله : ﴿ مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾ [الزخـرف : ٢٠] قاله هنا بلفظ يخرصون ، وفـي الجاثية بلفظ : ﴿ يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثـية : ٢٤] لأن مـا هنا متصل بقوله : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ ﴾ [الزخرف : ١٩] أي قالوا : الملائكة بنات الله وإن الله قد شاء منا عـبادتنا إياهم وهذا كذب فناسب يخـرصون أن يكذبون وما هناك متصل بخلطهم الصدق بالكذب ،فإن قولهم : نموت ونحيي صدق وكذبوا في إنكارهم البعث وقولهم : ﴿ ما يهلكنا إلا الدهر ﴾[الزخرف : ٢٤] فناسبه يظنون أي يشكون فيما يقولون .

قوله : ﴿ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ [الزخرف : ١٤] ، وفي الشعراء : ﴿ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء : ٥٠] لأن ما في هذه السورة عام لمن ركب سفينة،أو دابة ، وقيل : مـعناه إلى ربنا منقلبون على مـركب آخر وهو الجنازة فحـسن إدخال اللام على الخبـر للعمـوم ، وما في الشعـراء كلام السحـرة حين آمنوا ولم يكن

(١) زيادة من أ .

فيهم عموم .

قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف : ٨٤] إن قلت : هذا يقتضي تعـدد الآلهة لأن النكرة إذا أعيدت نكرة تعـددت كقولك أنت طالق وطالق ؟

قلت : الأله هنا معنى المعبـود وهو تعالى معبود فيهـما والمغايرة إنما هي بين معـبوديته في السـماء ومعبـوديته في الأرض لأن المعبـودية من الأمور الإضافـية فيكفي التـغاير فيها من أحـد الطرفين [فإذا كان [ق/ ٣٠٠أ] العابـد في السماء غـيـر] (١) العابد في الأرض صدق إن معـبوديته في السماء غير مـعبوديته في الأرض مع أن المعبود واحد .

---

(١) سقط من أ .

سورة الدخان

مكية ، إلا ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ ﴾ [الدخان : ١٥] الآية

وهي ست أو سبع أو تسع وخمسون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [الدخان : ١٠] الآية أخرج البخاري عن ابن مسعود قال إن قريشًا لما [ق/ ٢٣٨ب] استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسنى يوسف فأصابهم قحط حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، فأنزل الله : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ [الدخان : ١٠] ، فأتى رسول الله ﷺ ، فقيل : يا رسول الله استسق الله لمضر فإنها قد هلكت فاستسقي فسقوا ، فنزلت : ﴿ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ [الدخان : ١٥] فلما أصابتهم الرفاهية عادا إلى حالهم ، فأنزل الله : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ [الدخان : ١٦] يعنى يوم بدر .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴾ [الدخان : ٤٣] الآية أخرج سعيد بن منصور عن أبي مالك قال : إن أبا جهل كان يأتي التمر والزبد فيقول : تزقموا فهذا الزقوم الذي يعدكم به محمد فنزلت : ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴾ [الدخان :٤٣ ، ٤٤] .

قوله تعالى : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [الدخان : ٤٩] الآية أخرج الأموي في مغازيه عن عكرمة قال : لقي رسول الله ﷺ أبا جهل ، فقال : « **إن الله أمرني أن أقول لك** : ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ [القيامة : ٣٤] » قال : فنزع ثوبه من يده فقال : ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء لقد علمت أني أمنع أهل البطحاء وأني العزيز الكريم ، فقتله الله يوم بدر وأذله وعيره بكلمته ، ونزل فيه ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [الدخان : ٤٩] .

الفصل الثاني في منسوخها

وهي آية واحدة هي قوله تعالى : ﴿ فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ [الدخان : ٥٩] منسوخة بآية السيف والمختار إحكامها ومعناها وعد اللمؤمنين ووعيد للكافرين .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله : ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَىٰ﴾ [الدخان : ٣٥] مرفوع ، وفي الصافات منصوب ذكر في المتشابه ، وليس منه لأن ما في هذه السور مبتدأ وخبر ،وهما في الصافات استثناء .

قوله : ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الدخان :٣٢] أى على علم منا ، ولم يقل في الجاثية : ﴿ وفضلناهم على علم ﴾ لأن ذكر فيها : ﴿أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

قوله : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ [الدخان : ٣٨] بالجمع لموافقة أول السورة ﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الدخان : ٧] .

قوله : ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ [الدخان : ٥٣] إن قلت : كيف وعد الله تعالى أهل الجنة بلبس الإستبرق وهو غليظ الديباج مع أن لبس غليظه عند السعداء من أهل الدنيا عيب ونقص .

قلت : غليظ ديباج الجنة لا يشابه غليظ ديباج الدنيا حتى يعاب ، كما أن سندس الجنة وهو رقيق [ق/ ٣٠١أ] الديباج لا يشابه سندس الدنيا ، قيل : إن السندس لباس سادات أهل الجنة والإستبرق لباس خدمهم إظهاراً لتفاوت الرتب.

قوله : ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَىٰ ﴾ [الدخان : ٥٦] إن قلت : كيف قال في صفة أهل الجنة ذلك مع أنهم لم يذوقوه فيها ؟

قلت: (إلا) بمعنى سوى كما في قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء : ٢٣] والاستثناء منقطع أي لكن الموتة الأولى قد ذاقوها .

خاتمة

قال القرطبي : جاء فى فضلها ما في مسند الدارمي أبي محمد عن أبي رافع قال : من قرأ الدخان في ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له وزوج من الحور العين .

وروي الترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك .

وذكر الثعلبي عن أبي أمامة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قرأ الدخان ليلة الجمعة [ق/ ٢٣٩ب] أو يوم الجمعة بني له بيت في الجنة .

سورة الجاثية

مكية ، إلا ﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الجاثية : ١٤] الآية

وهي ست أو سبع وثلاثون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾ [الجاثية : ١٤] قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء يريد عمر بن الخطاب رضي الله عنه خاصة وأراد بالذين لا يرجون أيّام الله عبد الله بن أُبي وذلك أنهم نزلوا في غزاة بني المصطلق على بئر يقال لها المريسيع فأرسل عبد الله غلامه ليستقي الماء فأبطأ عليه فلما آتاه قال له : ما حبسك ؟ قال غلام عمر قعد على فضل البئر فما ترك أحدًا يستقي حتى ملأ قربِ النبى ﷺ وقرب أبي بكر رضي الله عنه وملأ لمولاه ، فقال عبد الله : ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل سمن كلبك يأكلك ، فبلغ قوله عمر رضي الله عنه فاشتمل سيفه يريد التوجه إليه ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وأخرج الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت هذه : ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة : ٢٤٥] قال يهودي بالمدينة يقال له فنحاص : احتاج رب محمد ، قال : فلما سمع عمر رضي الله عنه بذلك اشتمل على سيفه وخرج في [طلبه فجاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال : إن ربك يقول ﴿ قل للين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ﴾ وأعلمه أن عمر رضي الله عنه قد اشتمل على سيفه وخرج] (١) في طلب اليهودي فبعث رسول الله ﷺ في طلبه ، فلما جاءه قال : « يا عمر ضع سيفك» قال : صدق يا رسول الله أشهد أنك أرسلت بالحق قال فإن ربك يقول: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾ [الجاثية : ١٤] قال : لا جرم والذي بعثك بالحق لا يري الغضب في وجهي .

---

(١) سقط من أ .

قوله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ [الجاثية : ٢٣] أخرج ابن المنذر وابن جرير عن سعيد بن جبير قال : كانت قريش تعبد الحجر حينًا من الدهر فإذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الأول وعبدوا الآخر ، فأنزل الله : ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ ﴾ [الجاثية : ٢٤] أخرج عن أبي هريرة [ق/ ٢٠٣أ] قال :كان أهل الجاهلية يقولون : إنما يهلكنا الليل والنهار ، فأنزل الله : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ ﴾ [الجاثية : ٢٤] .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الجاثية : ١٤] أي كف عنهم فمنسوخة بالسيف والمختار إحكامها ومعناها تعليمهم مكارم الأخلاق [والله سبحانه أعلم] (١) .

الفصل الثالث في المتشابه

قوله : ﴿ نَمُوتُ وَنَحْيَا ﴾ [الجاثية : ٢٤] [قيل فيه تقديم وتأخير أى نحيي ونموت] (٢) وقيل : يحيي البعض ويموت البعض ، وقيل : هذا كلام من يقول بالتناسخ .

قوله : ﴿ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [الجاثية : ٢٢] بالباء موافقة لقوله : ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الجاثية : ١٤] .

قوله : ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾ [الجاثية : ٣٣] لتقدم كنتم تعملون ، وعلموا الصالحات .

---

(١) زيادة من أ .

(٢) سقط من أ .

سورة الأحقاف

مكية إلا ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [الأحقاف : ١٠] الآية وإلا : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف : ٣٥] الآية ، إلا ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ ،[الأحقاف : ١٥] الثلاث آيات

وهى أربع أو خمس وثلاثون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ [الأحقاف : ٩] قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض ذات نخل وشجر [ق/ ٢٤٠ب] وماء فقصها على أصحابه فاستبشروا بذلك ورأوا فيها فرجًا مما هم فيه من أذى المشركين ثم إنهم مكثوا برهة لا يرون ذلك ، فقالوا : يا رسول الله متى تهاجر إلى الأرض التى رأيت فسكت ، رسول الله ﷺ فنزل :﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ [الأحقاف: ٩] يعني لا أدري أخرج إلى الموضع الذي رأيته في منامي أم لا ، ثم قال : « إنما هو شيء أريته في منامي ما أتبع إلا ما يوحى » إلى إلى قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ [الأحقاف : ١٥] الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء : نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وذلك أنه صحب رسول الله ﷺ وهو ابن ثماني عشرة سنة ورسول الله ﷺ ابن عشرين سنة وهم يردون إلى الشام في التجارة فنزلوا منزلاً فيه سدرة فقعد رسول الله ﷺ في ظلها ومضي أبو بكر رضي الله عنه إلى راهب [هناك يسأله] (١) عن الدير فقال له : من الرجل الذي في ظل السدرة ؟ فقال : ذلك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ،

---

(١) في أ : سأله .

وقال هذا والله نبي ، وما استظل [تحتها] (١) أحد بعد عيسى بن مريم عليه السلام إلا محمد نبي الله ، فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق ، فكان لا يكاد يفارق رسول الله ﷺ في أسفاره وحضوره فلما نبىء رسول الله ﷺ وهو ابن أرربعين سنة ، وأبو بكر رضي الله عنه ابن ثمان وثلاثين سنة أسلم وصدق رسول الله ﷺ فلما بلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك .

قوله تعالى : [ق/٣٠٣أ] ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ ﴾ [الأحقاف : ٢٩] الآية أخرج ابن أبي شيبة عن ابن مسعود قال : إن الجن هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا : أنصتوا قالوا : صه ، وكانوا تسعة أحدهم زوبعة ، فأنزل الله : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ ﴾ [الأحقاف : ٢٩] إلى قوله : ﴿ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأحقاف : ٣٢] .

---

(١) سقط من أ .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو آيتان :

الآية الأولى : ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ ﴾ [الأحقاف : ٩] فلما كان عام الحديبية أنزل الله ناسخها وهو أول سورة [الفتح] (١) إلى سبع آيات وقال الحسن وما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا أنقيم أم نهاجر أنصح أم نمرض؟ فمحكمة .

الآية الثاني : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] نسخت بآية السيف إن كان المراد كف عن قتالهم ، وإن كان المراد اصبر على التبليغ فمحكمة .

---

(١) سقط من أ .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾ [الأحقاف : ١٩] إن قلت : كيف وصف الفريقين بأن لكل منهما درجات مع أن أهل النار لهم دركات لا درجات ؟ قلت : الدركات هى الطبقات من المراتب مطلقًا ، أو فيه إضمار تقديره : ولكل فريق درجات ودركات لكن حذف الثاني اختصاراً لدلالة المذكور عليه .

قوله : ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ [الأحقاف : ٣١] أفاد بذكر [من] أن من الذنوب مالا يغفره الإيمان كمظالم العباد .

خاتمة

قال القرطبي : قال ابن عباس : إذا تعسر علي المرأة ولادتها تكتب هذه الكلمات وهاتين الآيتين في إناء ثم يغسل وتسقى المرأة منه : بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا [الله][1] رب السماوات ورب الأرض رب العرش الكريم : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾ [النازعات : ٤٦] [ق/ ٢٤١ب] ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الأحقاف : ٣٥] .

(١) في أ : هو .

سورة محمد

مدنية ، إلا : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ ﴾ [محمد : ١٣] ، وهى ثمان ، أو تسع وثلاثون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [محمد : ١] الآية أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [محمد : ١] قال : أهل مكة : نزلت فيهم ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [محمد : ٢] هم الأنصار .

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [محمد : ٤] أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في يوم أحد ورسول الله ﷺ في الشعب وقد فشت فيهم الجراحات والقتل ، وقد نادى المشركون يومئذ : اعل هبل ، ونادى المسلمون : الله أعلى وأجل ، فقال المشركون إن لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال : رسول الله ﷺ : « **قولوا الله مولانا ولا مولى لكم** ».

قوله تعالى : ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ ﴾ [محمد : ١٣] الآية أخرج أبو يعلي عن ابن عباس قال : لما خرج رسول الله ﷺ تلقاء الغار نظر إلى مكة فقال : « **أنت أحب بلاد الله إلى ولولا أهلك أخرجوني منك لم أخرج منك** » فأنزل الله : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ ﴾ [محمد : ١٣] الآية [ق/ ٣٠٤أ] .

قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ [محمد :١٦] أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال : كان المؤمنون والمنافقون يجتمعون إلى النبى ﷺ فيسمع المؤمنون منه ما يقول ويعونه، ويسمعه المنافقون فلا يعونه ، فإذا خرجوا سألوا المؤمنون : ماذا قال آنفًا ؟ فنزلت : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ [محمد : ١٦] الآية .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٣] أخرج ابن أبي حاتم ومحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة عن أبي العالية قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع لا إله إلا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل ، فنزل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ [محمد :٣٣] .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو آية واحدة هى قوله تعالى : ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد : ٤] قال قتادة : منسوخة بقوله : ﴿ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ [التوبة : ٧٣] ، وابن جريج : ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة : ٥] فلا يجوز الآن المن والفداء [وبه] (١) قال أبو حنيفة وعكسه عطاء والضحاك والحسن فلا يجـوز عندهم قتل الأسير بعد الإثخان وابن عباس وابن عمر : محكمة ، والإمام مخير بين الثلاثة القتل والمن والفداء .

(١) سقط من أ .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ ﴾ [محمد : ٢٠] نزل وأنزل كلاهما متعد ، وقيل : نزل للتعدى والمبالغة وأنزل للتعدى ، وقيل : نزل دفعه مجموعًا ، وأنزل متفرقًا ، وخص الأولى بنزلت لأنه من كلام المؤمنين وذكر بلفظ المبالغة وكانوا يأنسون لنزول الوحي ويستوحشون لإبطائه ، والثاني من كلام الله في أول السورة نزل على محمد وبعده أنزل الله ، كذلك في هذه الآية قال : نزلت ثم أنزلت .

قوله : ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ [محمد : ٢٥] نزلت في اليهود وبعده : ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ﴾ [محمد : ٣٢] نزلت في قوم ارتدوا ، وليس بتكرار .

سورة الفتح
مدنية تسع وعشرون آية
الفصل الأول: في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح: ١] أخرج الحاكم(١) وغيره عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا : نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها .

وأخرج [ق/ ١٤٢ب] الشيخان والترمذي والحاكم(٢)عن أنس قال : أنزلت على النبي ﷺ : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح : ٢] مرجعه من الحديبية قال النبي ﷺ : لقد نزل علي آية أحب إلي مما على الأرض ثم قرأها عليهم فقالوا : هنيئاً مريئاً لك يا رسول الله قد بين الله لك ماذا يفعل بك فماذا يفعل بنا : ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الفتح : ٥] حتى بلغ : ﴿ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح :٥]

قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح : ١٨] الآية أخرج ابن أبي حاتم عن سلمة بن الأكوع بينما نحن قائلون : إذ نادى مناد رسول الله ﷺ: أيها الناس البيعة البيعة نزل الروح القدس ، فسرنا إلى رسول الله ، وهو تحت شجرة (ق٣٠٥١ أ) سمرة فبايعناه ، فأنزل الله : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية [الفتح : ١٨] .

قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ [الفتح : ٢٤] الآية أخرج مسلم والترمذي(٣)عن أنس قال: لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله ﷺ

(١) صحيح : أخرجه الحاكم (٣٧١٠) بلفظه وقال صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي . وبمعناه عند البخاري (٣٠١١) من حديث أبي وائل عن سهل بن حنيف رضي الله عنه .
(٢) أخرجه البخاري (٣٩٣٩) ومسلم (١٧٨٦) والترمذي (٣٢٦٣) واللفظ له .
(٣) أخرجه مسلم (١٨٠٨) والترمذي (٣٢٦٤) .

وأصحابه ثمانون رجلاً فى السلاح من قبل جبل التنعيم يريدون غرة رسول الله ﷺ فدعا عليهم فأخذوا فعفا عنهم ، فأنزل الله : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ [الفتح : ٢٤] .

قوله تعالى :[﴿ وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُون ﴾ الآية . أخرج الطبراني وأبو يعلى عن أبى جمعة جنيد بن سبع قال : قاتلت النبي أول النهار كافراً ، وقاتلت معه آخر النهار مسلماً ، وكنا تسعة نفر : سبعة رجال وامرأتين ، وفينا نزلت ﴿ وَلَوْلا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ ﴾ .

قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَق ﴾ [الفتح : ٢٧] (١) الآية أخرج الفريابي وعبد بن حميد والبيهقي في « الدلائل » عن مجاهد قال : أرى النبى ﷺ وهو بالحديبية [أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين ملحقين رؤوسهم ومقصريين ، فلما نحر الهدي بالحديبية] (٢) قاله له أصحابه أين رؤياك يا رسول الله ، فنزلت : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَق﴾ [الفتح : ٢٧] الآية .

وليس فى سورة الفتح منسوخ ،لكن فيها ناسخ ، وهو قوله تعالى : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح : ٢] نسخ به قوله : ﴿ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيم﴾ [الزمر : ١٣] .

---

(١) سقط من أ .

(٢) سقط من أ .

الفصل الثانى فى المتشابه منها

قـوله : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفـتح : ٤] وبعده: ﴿ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح : ٧] لأن الأول متصل بإنزال السكينة وازدياد إيمان المؤمنين ، فكان الموضع مـوضع علم وحكمة ، وقـد تقدم مـا افتـضاه فى الفتح عند قوله : ﴿ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح : ٣] وأما الثانى والثالث الذى بعـده فمـتصـلان بالعذاب والغـضب وسلب الأمـوال والغنائم ، فكان الموضع موضع عز وغلبة وحكمة .

قوله : ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ [الفتح : ١١] ، وفى المائـدة : ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [المائدة:١٧] زاد فى هذه السورة ﴿ لَكُم﴾ لأن ما فى هذه السورة نزلت فى قـوم بأعيانهم وهم المخلفون ، وفى المائدة عـام لقوله ﴿إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [المائدة : ١٧] قوله : ﴿كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ﴾ [الفـتح : ١٥] بلفظ الجـمع ، وليس له نظيـر وهو خطاب للمضمرين فى قوله « لن تتبعونا » .

خاتمة

قال القرطبى : أخرج مـسلم عن أنس بن مالك قال : لما نزلت ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح : ١] إلى قوله : ﴿ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح : ٥] مرجعهم من الحديبية وهم مـخالطهم الحزن والكآبة وقد نحر الهدي بالحديبـية قال : لقد أنزلت على الليلة آية هى أحب إلى من الدنيا جميعاً .

وقال المسعودى : بلغنى أنه من قرأ سورة الفتح فى أول ليلة من رمضان فى صلاة التطوع حفظه الله ذلك العام.

سورة الحجرات [ق / ٢٤٣ ب]
مدينة ثمانى عشرة آية
الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات : ١] الآية أخرج البخارى(١) وغيره من طريق ابن جريج عن [ابن] (٢) أبى ملكية أن عبد الله بن الزبير أخبراه أنه قدم ركب من بني تميم على رسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر : أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر : بل أمر الأقرع بن حابس ، فقال أبو بكر : ما أردت إلا خلافي ، وقال عمر : ما أردت خلافك ، فتماريا حتى ارتفعت [ق / ٣٠٦أ] أصواتهما ، فنزل ذلك فى ذلك قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الحجرات : ١] الآية إلى قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ [الحجرات : ٥] .

وأخرج ابن المنذر عن الحسن أن أناساً ذبحوا قبل رسول الله ﷺ يوم النحر فأمرهم أن يعيدوا ذبحاً ، فأنزل الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الحجرات : ١] ، وأخرجه ابن أبى الدنيا في كتاب الأضاحى بلفظ ذبح رجل قبل الصلاة ، فنزلت ، وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن عائشة أن ناساً كانوا يتقدمون الشهر فيصومون قبل رسول الله ﷺ ، فأنزل الله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [الحجرات : ١] .

قوله تعالى: ﴿ لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ ﴾ [الحجرات : ٢] أخرج ابن جريد عن قتادة : قال : كان يجهرون له بالكلام ويرفعون أصواتهم ، فأنزل الله : ﴿لا

---

(١) حديث رقم (٤١٠٩) .
(٢) سقط من أ .

ترْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ ﴾ [الحجرات : ٢] الآية .

وأخرج أيضاً عن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس قال لما نزلت هذه الآية ﴿ **لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِي**﴾ [الحجرات : ٢] قعد ثابت بن قيس فى الطريق [يبكى][(١)] فمر به عاصم بن عدي بن العجلاني ، فقال : ما يبكيك؟ قال! هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت فيّ وأنا صيِّت رفيع الصوت ، فرفع عاصم ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فدعا به فقال: « **أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة ؟ قال : رضيت ولا أرفع صوتي أبداً على صوت رسول الله** ﷺ ،**فأنزل الله** : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُم**﴾ [الحجرات : ٣] .

قوله تعاللى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَك** ﴾ [الحجرات : ٤] الآيتين أخرج الطبرانى وأبو يعلى بسند صحيح عن زيد بن أرقم قال : جاء ناس من العرب إلى حجر رسول الله ﷺ فجعلوا ينادون : يا محمد يا محمد ، فأنزل الله ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَات** ﴾ [الحجرات : ٤] الآية وقالل عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ ، فقال : يا رسول الله إن مدحي زين وإن شتمي شين ، فقال النبى ﷺ « ذلك هو الله » ، فنزلت ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَك** ﴾ [الحجرات:٤] الآية مرسل له شواهد مرفوعة من حديث البراء وغيره عند الترمذى يريدون نزول الآية .

وأخرج بسند صحيح عن الأقرع بن حابس أنه نادى رسول الله ﷺ من وراء الحجرات فلم يجبه ، فقال : يا محمد إن حمدي زين وإن زمي شين ، فقال : ذاك الله .

قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ**﴾ [الحجرات : ٦] أخرج أحمد ، وغيره بسند جيد عن الحارث بن ضرار الخزاعي قال : قدمت على رسول الله ﷺ فدعانى إلى الإسلام فأقررت به ودخلت فيه ،ودعاني إلى الزكاة

---

(١) سقط من أ .

فأقررت بها ، وقلت : يا رسول الله أرجع إلى قومي فادعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي دفعت زكاته فترسل إليّ رسولاً بأن كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة وبلغ الإبان احتبس الرسول فلم [ق/ ٥٢٤٤] يأته فظن الحارث أنه قد حدث فيه فيه سخطة فدعا سروات [قومه] (١) فقال لهم [ق/٣٠٧ أ] إن رسول الله ﷺ كان قد وقت وقتاً يرسل إلي رسوله ليقبض ما عندي من الزكاة وليس من رسول الله ﷺ الخلف ولا حبس رسوله إلا من سخة فانطلقوا فنأتى رسول وبعث رسول الوليد ابن عقبه ليقتص ما كان عنده فلما أن سار الوليد فرق فرجع فقال : إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي فضرب رسول الله ﷺ البعث إلى الحارث فأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث قال لهم : إلى أين بعثتم ؟

قالوا : إليك .

قال : ولم ؟ قالوا : إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله .

قال : لا والذي بعث محمد بالحق نبيّاً ما رأيته ولا أتاني فلما دخل على رسول الله ﷺ .

قال : منعت الزكاة وأردت قتل رسولي ؟

قال : لا والذي بعثك بالحق ، فنزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ [الحجرات : ٦] إلى قوله : ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحجرات : ٨] رجال إسناده ثقات ، وروى الطبرانى . نحوه من حديث جابر بن عبد الله وعلقمة بن ناجية وأم سلمة ، وروى ابن جرير نحو من طريق العوفى عن ابن عباس ، ومن طرق أخرى مرسلة .

قوله تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجرات : ٩] الآية أخرج الشيخان عن أنس أن النبى ﷺ ركب حماراً وانطلق إلى عبد الله بن أبى ،

---

(١) سقط من أ .

فقال: إليك عني فوالله لقد آذاني نتن حمارك فقال رجل من الأنصار : والله لحماره أطيب ريحاً منك ، فغضب لعبد الله رجال من قومه وغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال فنزلت فيهم : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: ٩] وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن السدي قال : كان رجل من الأنصار يقال له عمران تحته امرأة يقال لها : أم زيد ، أن المرأة أرادت أن تزور أهلها فحبسها زوجها وجعلها فى علية له ، وأن المرأة بعثت إلى أهلها فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا بها وكان الرجل قد خرج فاستعان أهل الرجل فجاء بنو عمه ليحولوا بين المرأة وبين أهلها فتدافعوا واجتلدوا بالنعال فنزلت فيهم هذه الآية : ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ [الحجرات : ٩] فبعث إليهم رسول الله ﷺ فأصلح بينهم وفاؤوا إلى أمر الله .

وأخرج ابن جرير عن الحسن قال : كانت تكون الخصومة بين الحيين فيدعوهم إلى الحكم فيأبون أن يجيبوا ، فأنزل الله ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات : ٩] الآية .

وأخرج عن قتادة قال : ذكر لنا أن هذه الآية نزلت فى رجلين من الأنصار كانت بينهما مداراة فى حق بينهما فقال أحدهما للآخر لآخذنه عنوة لكثرة عشيرته وإن الآخر دعاه ليحاكمه إلى رسول الله ﷺ [فأبى] (١) فلم يزل الأمر حتى تدافعوا وحتى تناول بعضهم بعضاً بالأيدي والنعال ولم يكن قتال بالسيوف .

قوله تعالى [ق/ ٣٠٨١ أ] ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات : ١١] أخرج أصحاب السنن الأربعة عن أبى حبيرة بن الضحاك قال : كان الرجل منا يكون له الاسمان والثلاثة فيدعي ببعضها فعسى أن يكره فنزلت ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ [الحجرات : ١١] قال الترمذي : حسن ولفظ أحمد عنه قال : فينا نزلت في

---

(١) سقط من أ .

بنى سلمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الحجرات : ١١] قدم النبى ﷺ وليس فينا رجل وإلا وله إسمان أو ثلاثة [ق/ ٢٤٥ب] فكان إذا دعاه أحد منهم باسم من تلك الأسماء قالوا : يا رسول الله إنه يغضب من هذا ، [فنزلت قوله تعالى ﴿وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ أخرج المنذر عن ابن جريج قال :زعموا أنها نزلت فى سلمان الفارسى أكل ثم رقد فذكر رجلان أكله ورقاده فنزلت .

قوله تعالى] (١) : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الحجرات : ١١] الآية نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وذلك أنه كان فى أذنه وقر فكان إذا أتى النبى ﷺ أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه فيسمع ما يقول فجاء يوماً وقد أخذ الناس مجالسهم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا فقال له رجل :قد أصبت مجلساً فاجلس فجلس ثابت مغضباً فغمز الرجل فقال : من هذا ؟ فقال : أنا فلان ، فقال : ثابت : ابن فلانة ؟ وذكر أماً له كانت يعير بها فى الجاهلية فنكس الرجل رأسه استحياء ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

قوله تعالى : ﴿وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات : ١١] قال أنس : نزلت فى نساء النبى ﷺ عيرن أم سلمة بالقصر .

وقال عكرمة عن ابن عباس إن صفية بنت حيي بن أخطب أتت رسول الله ﷺ ، فقالت: إن النساء يعيروننى، ويقلن :يا يهودية بنت يهوديين فقال رسول الله ﷺ :هلا قلت : إن أبى هارون وإن عمى موسى وإن زوجى محمد، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات ١٣] الآية قال مقاتل : لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بلالاً حتى أذن على ظهر الكعبة فقال عتاب بن أسيد بن أبى العيص : الحمد لله الذى قبض أبى حتى لم ير هذا اليوم وقال الحارث بن هشام أما وجد محمد ﷺ غير هذا الغراب الأسود

---

(١) سقط من أ .

مؤذناً ؟ ، وقال سهيل بن عمرو : إن يكره الله شيـئًا يغيره ، وقال أبو سفيان : لا أقول شيئًـا أخاف أن يخبر به رب السماء ، فأتى جبـريل النبى ﷺ ، فأخبره بما قالوا ، فـدعاهم وسألهم عـما قالوا ، فـأقروا ، فأنزل الـله تعالى هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والأزدراء بالفقراء .

وقال يزيد بن شجر مرّ رسول الله ﷺ ذات يوم ببعض الأسواق بالمدينة وإذا غلام أسود قائم ينادي عليه يباع فمن يزيد ، وكان الغلام يقول : من اشترانى ، فعلى بشرط قيل : مـا هو ؟ قال : لا يمنعني من الصلوات الخمس خلف رسول الله ﷺ ، فاشتراه رجـل على هذا الشرط ، فكان يراه رسول الله ﷺ عند كل صلاة مكتوبة ففقده ذات يوم ، فقال لصاحبه : « أين الغلام » .

فقال : محموم يا رسول الله .

فقال [ق /٣٠٩ أ] لأصحابه : « قوموا بنا نعـده » ، فقاموا معه فعادوه فلما كان بعد أيام ، قال لصاحبه : « ما حال الغلام » قال لصاحبه : « ما حال الغلام ؟ » .

قال : يـا رسول الله إن الغـلام لما به ، فقـام ودخل عليه وهو فى دمـائه فقبض على تلك الحـال ، فتولى رسول الله ﷺ غسله وتـكفينه ودفنه ، فدخل على أصحـابه من ذلك أمر عظيم ، فـقال المهـاجرون : هجرنا ديـارنا وأموالنا وأهلينا فلم ير منا أحد فى حياته ومرضـه وموته ما لقى منه هذا الغلام ، وقالت الأنصار : أويناه ونصرناه وواسـيناه بأموالنا فآثر علينا عبداً حبـشياً ، فأنزل الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى﴾ [الحجرات : ١٣] يعنى أن كلهم بنو أب واحد وامـرأة واحدة وأراهم فضل التقـوى بقوله : ﴿ إِنَّ أَكْـرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات : ١٣] .

قوله تعالى [ق /٢٤٦ ب] : ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ [الحجرات : ١٤] الآية نزلت فى أعراب (من) (١) بنى أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله ﷺ المدينة

---

(١) سقط من أ .

فى سنة مجدبة وأظهـروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين فى السر فـأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلو أسعارها وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ : أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فـلان فأعطنا من الصدقة وجعلوا يمنون عليه فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية .

قوله تعالى : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ﴾ الآية أخرج ابن سعد عن محمد ابن كعب القرظي قـال قدم عشرة نفر من بنى أسـد على رسول الله ﷺ سنة تسع ، وفيهم طليحـة ين خويلد ورسول الله ﷺ فى المسجد مع أصحابه فـسلموا فقال متكلمـهم : يا رسول الله إنا شهدنا أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له وأنك عبده ورسوله ، وجئنا يا رسول الله ولم تبعث إلينا بعثاً ونحن لمن وراءنا سلم ، فأنزل الله : ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ﴾ [الحجرات :١٧] الآية وليس فيها منسوخ ولا ناسخ .

الفصل الثاني في المتشابه منها

قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الحجرات : ١] مذكور فى السورة خمس مرات والمخاطبون المؤمنون والمخاطب به أمر ونهى ، وذكر فى السادس: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاس﴾ [الحجرات : ١٣] فعم المؤمنين والكافرين والمخاطب به قوله : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ [الحجرات : ١٣] لأن الناس كلهم فى ذلك شرع أي سواء .

قوله : ﴿ لا تُقَدِّمُوا﴾ [الحجرات : ١] من قدم بمعنى تقدم لأن المراد به نهيهم عن أن يتقدموا على النبى ﷺ بقول أو فعل ،لا عن أن يقدموا غيرهم .

قوله : ﴿ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ ﴾ [الحجرات : ٢] فائدة ذكره بعد قوله : ﴿ لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ [الحجرات : ٢] النهى عن الجهر فى مخاطبته وإن لم يتضمن رفع أصواتهم على صوته ، وقيل : المراد به النهى عن مخاطبته ﷺ باسمه .

قوله : ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ ﴾ [الحجرات:٢] أي مخافة حبوطها ،إن قلت : كيف قال ذلك مع أن الأعمال إنما تحبط بالكفر ، ورفع الصوت [ق/ ٣١٠ أ] على صوت النبى ﷺ ليس بكفر ؟ قلت : المراد به الاستخفاف بالنبي ﷺ لأنه ربما يؤدي إلى الكفر ، وقيل : حبوط العمل هنا مجاز عن نقصان المنزلة وانحطاط الرتبة .

قوله : ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات : ٧] ، إن قلت : ما فائدة الجمع بين الفسوق والعصيان ؟ قلت : الفسوق الكذب ، كما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما والعصيان بقيه المعاصى ، وإنما أفرد الكذب لأنه سبب نزول الآية ، وقيل : الفسوق الكبيرة والعصيان الصغيرة .

سورة ق

مكية ، إلا ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ ﴾ [ق: ٣٨] فمدنية

خمس وأربعون آية

الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق : ٣٨] أخرج الواحدى [(١)] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن اليهود أتت النبى ﷺ ، فسألت عن خلق السماوات والأرض ، فقال : « خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق الله يوم الأربعاء الشجر والماء وخلق الله يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر » .

قالت اليهود : ثم ماذا يا محمد ؟

قال : « ثم استوى على العرش ، قالوا قد أصبت لو تممت ثم استراح ، فغضب النبى ﷺ غضباً شديداً ، فنزلت [ق / ٢٤٧ ب] : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ [ق : ٣٨ ، ٣٩] .

وأخرج ابن جرير من طريق عمرو بن قيس الملائي عن ابن عباس قال : قالوا : لرسول الله ﷺ لو خوفتنا فنزلت ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق : ٤٥] .

---

(١) انظر « أسباب النزول » (ص / ٦٢٧) .

الفصل الثانى فى منسوخها
وهو آيتان

الآية الأولى ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [ق : ٣٩] أي كف عنهم ،منسوخة بالسيف والمختار وإحكامها وهى مقصورة على سببها ، وهو سألت اليهود النبى ﷺ وأكثروا ولغطوا فكرهه ، فنزلت .

الآية الثانية ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّار ﴾ [ق : ٤٥] أي كف عنهم فمنسوخة بالسيف ، وقال ابن عباس لم يبعث ليجبرهم على الإسلام بل منكر فمحكمة .

الفصل الثالث فى المتشابه منها

قوله : ﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ ﴾ [ق : ٢٣] وبعده ﴿ قَالَ قَرِينُه﴾ [ق : ٢٧] لأن الأول خطاب الإنسان من قرينه ومتصل بكلامه ، والثانى استئناف خطاب الله سبحانه وتعالى به من غير اتصال بالمخاطب الأول ، وهو قوله : ﴿ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُه﴾ [ق : ٢٨] ، وكذلك الجواب بغير الواو ، وهو قوله : ﴿قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ ﴾ [ق : ٢٨] ، وكذلك : ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ﴾ [ق : ٢٩] فجاء الأول على نسق واحد .

قوله : ﴿ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوب﴾ [ق : ٣٩] ، وفى طه : ﴿ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [طه : ١٣] لأنه فى هذه السورة راعى الفواصل ، وفى طه راعى القياس ، لأن الغروب للشمس كما أن الطلوع لها .

سورة الذاريات
مكية ، ستون آية
الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى [ق/ ٣١١أ] : ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات : ١٩]

أخرج ابن جريد عن الحسن بن محمد بن الحنفية أن رسول الله ﷺ بعث سرية فأصابوا وغنموا ، فجاء قوم بعدما فرغوا فنزلت : ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝١٩﴾ [الذاريات : ١٩] .

قوله تعالى ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾ [الذاريات : ٥٤] .

أخرج ابن منيع وابن راهويه والهيثم بن كليب فى مسانيدهم من طريق مجاهد عن علي قال : لما نزلت : ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾ [الذاريات : ٥٤] لم يبق منا أحد إلا أيقن بالهكة إذ أمر النبي ﷺ أن يولى عنا ، فنزلت ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات : ٥٥] فطابت أنفسنا .

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال : ذكر لنا أنه لما نزل ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ [الذاريات: ٥٤] الآية اشتد على أصحاب رسول الله ﷺ ، ورأوا أن الوحي قد انقطع وأن العذاب قد حضر ، فأنزل الله : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات : ٥٥].

الفصل الثاني في منسوخها

وهو آيتان الآية الأولى: ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذرايات : ١٩] نسخت بالآية التى تليها وهى : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات : ٥٥] قال الضحاك : أوجب حقاً فى المال فتكون منسوخة بآية الزكاة ، وقال الحسن والنخعى : ندب فى التطوع فهى محكمة .

الآية الثانية : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾ [الذاريات : ٥٤] .

الفصل الثالث فى المتشابه منها

قوله : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ﴾ [الذاريات : ١٥، ١٦] ختم الآية هنا بقوله ﴿وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ﴾ ، وفى الطور بقوله : ﴿وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ﴾ [الطور : ١٧ ، ١٨] لأن ما هنا متصل بما به يصل الإنسان إلى الجنات، وهو قوله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴾ [الذاريات : ١٦] وما فى الطور متصل بما يناله الإنسان فى فيها وهو قوله ﴿ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ [الطور : ١٨ ، ١٩] الآية .

قوله : ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ [الذاريات : ٤٩] أى صنفين ، فإن قلت: كيف قال ذلك مع أن العرش والكرسي واللوح والقلم لم يخلق من كل منهما إلا واحد ؟ قلت : معناه : ومن كل حيوان خلقنا ذكراً وأنثى ،أو من كل شيء تشاهدونه خلقنا صنفين كالليل والنهار والظلمة والصيف [ق/٢٤٨ب] والشتاء والخير والشر والحياة والموت والبر والبحر والسماء والأرض والشمس والقمر .

قوله : ﴿ إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات : ٥٠] قاله هنا وبعده وليس بتكرار لأن الأول متعلق بترك الطاعة إلى المعصية والثاني بالشرك بالله . .انتهى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم آمين .

سورة الطور
مكية ، تسع وأربعون آية
الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ [الطور : ٣٠] الآية أخرج ابن جرير عن ابن عباس أن قريشاً لما اجتمعوا فى دار الندوة فى أمر النبي ﷺ قال قائل منهم : احبسوه فى وثاق ثم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة فإنما هو كأحدهم ، فأنزل الله فى ذلك من قولهم ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ [الطور : ٣٠] .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم [ق/ ٣١٢أ] عن ابن عباس رضي الله عنهما فى قوله : ﴿ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ [الطور : ٣٠] قال : الموت .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه فى قوله ﴿ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ [الطور : ٣٠] قال : حوادث الدهر .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو آيتان

الآية الأولى قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ﴾ [الطور : ٤٨] منسوخة بالسيف ، والمختار إحكامها أي أصبر على التبليغ .

الآية الثانية : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ [الطور : ٤٩] قال ابن عباس : من الليل صلاة المغربين ، ومجاهد : صلاة الفجر ، فهي محكمة ، وقال : [ركعتان][١] أي ركعتان قبل صلاة الصبح منسوخة بصلاة الصبح .

(١) في ب : على ركعتاه .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله : ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِين ﴾ [الطور : ٢] إن قلت : كيف قال ذلك مع أن الحور العين فى الجنة مملوكات بملك يمين لا ملك نكاح ؟ قلت : معناه قرناهم بهن ، ومن قولك : زوجت إبلي أي قرنت بعضها ببعض وليس من التزويج الذي هو عقد النكاح ، ويؤده أن ذلك لا بعدي بالباء بل بنفسه كما قال تعالى: ﴿ زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] .

قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِم ﴾ [الطور: ٢٤] بالواو عطف على قوله: ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِم﴾ [الطور : ٢٤] ، بالواو عطف على قوله : ﴿ وَأَمْدَدْنَاهُم﴾ [الطور : ٢٢] وكذلك : ﴿ وَأَقْبَلَ﴾ [الطور : ٢٥] بالواو وفى الواقعة : ﴿يَطُوفُ ﴾ [الواقعة : ١٧] بغير واو فيحتمل أن يكون حالاً أو يكون خبراً بعد خير ، وفى الإنسان ﴿وَيُطَافُ ﴾ [الإنسان : ١٩] عطف على : ﴿وَيُطَافُ ﴾ [الإنسان : ١٥] .

قوله : ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِر﴾ [الطور : ٣٠] أعاد أم خمسة عشرة مرة وكلها إلزامات ليس للمخاطبين بها عنها جواب .

سورة النجم
مكية، ثنتا وستون آية
الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ﴾ [النجم : ٣٢] الآية أخرج الواحدى (١) والطبرانى وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ثابت بن الحارث الأنصاري قال : كانت اليهود تقول إذا هلك لهم صبى صغير : هو صديق ، فبلغ ذلك النبى ﷺ قال : « كذبت يهود ما من نسمة يخلقها الله فى بطن أمها إلا أنه شقي أو سعيد وأنزل الله تعالى عند ذلك هذه الآية ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾ [النجم : ٣٢] .

قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ (٣٤) ﴾ [النجم :٣٣ ، ٣٤] الآيات ، أخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة أن النبى ﷺ خرج فى غزاة فجاء رجل فلم يجد ما يخرج عليه فلقى صديقاً له فقال : أعطني شيئًا ، فقال: أعطيك بكري هذا على أن تحمل ذنوبى، فقال له : نعم ، فأنزل الله : ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ (٣٤)﴾ [النجم : ٣٣ ، ٣٤] .

وأخرج عن دراج أبي السمح قال : خرجت سرية غازية فسأل رجل رسول الله ﷺ أن يحمله ، فقال : لا أجد ما أحملك عليه ، فانصرف حزيناً فمر برجل رحاله منيخة بين يديه فشكى إليه [ق / ٢٤٩ب] فقال له الرجل : هل لك إلى أن أحملك فتلحق الجيش بحسناتك ؟ قال : نعم ، فركب فنزلت ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعْطَى﴾ [النجم : ٣٣ ، ٣٤] إلى قوله: ﴿ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى ﴾ [النجم ٤١] .

---

(١) « أسباب النزول » (ص / ٦٢٩) .

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال : إن رجلاً أسلم فلقيه بعض من يعيره ، فـقال : أتركت دين الأشـيـاخ وضللتهم وزعـمت أنهم فى النار ؟ قـال : إنى خشـيت عذاب الله ، قـال : أعطني شيئًـا وأنا أحمل كل عـذاب كان عليك ، فأعطاه [ق / ٣١٣ أ] شيئًا ،فقال: زدني فتعاسرا حتى أعطاه شيئًا وكتب له كتاباً واشهد له ففيه نزلت هذه الآية :﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَأَكْدَىٰ (٣٤)﴾ [النجم : ٣٣ ، ٣٤].

قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [النجم : ٤٣] وأخرج الواحدي عن عائشة قالت : مر رسول الله ﷺ بقـوم يضحكون فقال : « لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيـراً ولضحكتم قليلاً » ، فنزل عليه جبريـل ، فقال : « إن الله تعالى يقول : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [النجم : ٤٣] [فرجع إليهم فقال : ما خطون أربعين خطوة حتـى آتانى جبريل فـقال : أئت هؤلاء فقل لهـم : إن الله تعالى يقول : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ (١) .

(١) سقط من أ .

الفصل الثانى فى منسوخها

وهو آيتان :

الأولى : ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا ﴾ [النجم : ٢٩] أي لا تخالطهم فهي محكمة ، أو كف عنهم ، فهى منسوخة بالسيف .

الثانية : ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ﴾ [النجم : ٣٩] نسخت بقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُم ﴾ [الطور : ٢١] تكرمة للأبناء بصلاح الآباء وإن لم تعمل الأبناء بعمل الآباء .

الفصل الثالث فى المتشابه بها

قوله: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّن ﴾ [النجم : ٢٣] [وبعده ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّن﴾](١) ليس بتكرار لأن الأول متصل بقوله : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ⑲ وَمَنَاة ﴾ [النجم : ١٩ ، ٢٠] والثانى بعبادتهم الملائكة ، ثم ذم الظن فقال : ﴿ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم : ٢٨] أي لا يقوم مقام العلم .

وقوله : ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ﴾ [النجم : ٣٩] إن قلت : ثواب الصدقة والقراءة والحج والدعاء يصل إلى الميت وليس من سعيه ؟ ، قلت : ما دلت عليه الآية مخصوص بقوم إبراهيم وموسى وهو حكاية لما صحفهما ، أما هذه الأمة فلها ما سعت وما سعي لها ، أو هو على ظاهره لكن دعاء ولد الإنسان وصديقة وقراءتهما وصدقتهما عنه من سعيه أيضاً بواسطة القراءة والصدقة والمحبة من الناس بسبب التقوى والعمل الصالح .

قوله : ﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ [النجم : ٢٣] فى جميع القرآن بالألف إلا فى الأعراف ، وقد سبق ، والله أعلم .

---

(١) سقط من أ .

سورة القمر

مكية ، إلا ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ ﴾ [القمر : ٤٥] ، وهى خمس وخمسون آية

الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمر ﴾ [القمر : ١] أخرج الشيخان والحاكم (١) واللفظ له عن ابن مسعود قال : رأيت القمر منشقاً شقتين بمكة قبل مخرج النبى ﷺ ، فقالوا : سحر القمر ، فنزلت : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمر﴾ [القمر : ١] .

وأخرج الترمذى(٢)على أنس قال : سأل أهل مكة النبى ﷺ ، فانشق القمر بمكة مرتين ، فنزلت : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَر ﴾ [القمر : ١] إلى قوله : ﴿ سِحْرٌ مُّسْتَمِر﴾ [القمر : ٢] .

قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِر﴾ [القمر : ٤٤] أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : قالوا يوم بدر : نحن منتصر ، فنزلت : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُر﴾ [القمر : ٤٥] قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُر ﴾ [القمر : ٤٧] أخرج مسلم (٣) عن أبى هريرة قال : جاء مشركوا قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر ، فنزلت : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُر ﴾ [القمر: ٤٧] إلى قوله: ﴿ خَلَقْنَاهُ بِقَدَر ﴾ [[القمر : ٤٩] .

وأخرج الواحدي (٤) عن عطاء قال : جاء أسقف نجران إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا محمد : تزعم أن المعاصي [ق / ٢٥٠ب] بقدر والبحار بقدر

---

(١) أخرجه البخارى (٣٤٣٧) ومسلم (٢٨٠) والحاكم (٣٧٥٧)واللفظ له وقال : على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة .

(٢) حديث رقم (٣٢٨٦) وقال : حسن صحيح ، وصححه الألبانى .

(٣) حديث رقم (٢٦٥٦) .

(٤) « أسباب النزول » (ص/ ٦٣٥) . .

والسماء بقدر ، وهذه الأمور تجري بقدر ، فأما المعاصي فلا ، فقال رسول الله ﷺ أنتم خصما الله تعالى [ق / ٣١٤أ] ، فأنزل الله : ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴾ [القمر :٤٧] إلى قوله : ﴿ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر : ٤٩] .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو آية واحدة هى قوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ﴾ [القمر : ٦] أي عن كفار قريش ، منسوخة بآيات السيف ، وباقيها محكم .

فصل الثالث فى المتشابه منها

قوله : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوح ﴾ [القمر : ٩] إلى آخر القصص الأربع وأعاد قصة نوح وعاد وثمود ولوط لما فى كل واحد منهما من التخويف والتحذير وما حل بهم فيتعظ به حامل القرآن وتاليه ويعظ غيره،وأعاد فى قصة عاد : ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُر﴾ [القمر : ١٨] مرتين لأن الأولى فى الدنيا والثانية فى العقبى كما قال فى هذه القصة ﴿ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى﴾ [فصلت : ١٦] ، وقيل :الأول لتحذيرهم قبل إهلاكهم ، والثانى لتحذير غيرهم بهم بعد هلاكهم ، قال البيضاوي : كرر : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر : ١٧] فى القصص الأربع إشعارات بأن تكذيب كل رسول الله مقتض للنزول العذاب ، واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستئنافاً للتنبيه والإيقاظ لئلا يلغبهم السهو والغفلة . انتهى .

سورة الرحمن

مكية ، أو إلا ﴿ يسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الرحمن : ٢٩]

الآية فمدنية ، وهى ست ، أو ثمان وسبعون آية

الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن : ٤٦] أخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن عطاء ﷺ أن أبا بكر الصديق ﷺ ذكر ذات يوم وفكر فى القيامة والموازين والجنة والنار وصفوف الملائكة وطي السماوات ونسف الجبال وتكوير الشمس وانتشار الكواكب ، فقال : وددت أنى كنت خضراً من هذه الخضر تأتي عليّ بهيمة تأكلني وأنى لم أخلق ، فنزلت هذه الآية : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦].

قوله تعالى : ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ [الرحمن: ٤٨] أخرج عبد حميد وابن المنذر عن ابن عباس ﷺ : ﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾ [الرحمن :٤٨] قال : الفنن الغصن .

قوله تعالى : ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ [الرحمن : ٥٢] أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة فى قوله : ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ [الرحمن : ٥٢] قال : فيهما من كل الثمرات ، قال : قال ابن عباس : ما فى الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهى في الجنة حتى الحنظل .

قوله تعالى : ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن : ٥٤] قال أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقى فى الشعب عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله : ﴿ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن : ٥٤] : جناهما ثمرها والداني القريب منك يناله القائم والقاعد .

قوله تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌ﴾ [الرحمن : ٥٦] أخرج ابن أبي شيبة عبد بن حميد وابن المندر عن سعيد بن جبير ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُن﴾ قال : لم

يأهن، وأخرج ابن جـرير وابن المنذر وأبو الشيخ فى « العـظمة » عن أرطأة ابن المنذر قال : تذاكرنا عند ضمرة بن حبيب أتدخل الجن الجنة ؟

قال : نعم وتصديق ذلك فى كتاب [ق/ ٣١٥أ] الله : ﴿ **لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌ**﴾ [الرحمن : ٥٦] للجن الجنيات وللإنس الإنسيات .

قوله تعالى : ﴿**كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ** ﴾ [الرحمن : ٥٨] أخرج ابن أبى شيبة والترمذى وابن أبى الـدنيا وابن جرير وابن أبى حاتم وابن حبـان وأبو الشيخ فى «العظمة » وابن مردوية عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال :« **إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها مـن وراء سبعين حلة حتى يرى مخها ، وذلك أن** الله تعـالى يقول : ﴿ **كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ**﴾ [الرحـمن : ٥٨] ، فأمـا الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيته من ورائه .

وليس فى هذه السورة ناسخ ولا منسوخ .

الفصل الثاني فى المتشابه منها

قوله : ﴿ وَوَضَعَ الْمِيزَان ﴾ [الرحمن : ٧] الميزان قرنه برفع السماء لأنه سبحانه وتعالى عدد نعمه على عباده ، ومن أجلها الميزان الذي هو العدل الذي به نظام العالم وقوامه ، وقيل : هو القرآن ، وقيل : هو العقل ، وقيل : هو ما يعرف به المقادير كالميزان المعروف والمكيال والذراع ،إن قلت : ما فائدة تكرار لفظ الميزان ثلاث مرات مع أن القياس بعد الأولى الإضمار ؟ قلت : فائدته بيان أن كلاً من الآيات مسقلة بنفسها ، أو أن كلاً من الألفاظ الثلاثة مغاير لكل من الآخرين ، إذ الأول ميزان الدنيا، والثانى ميزان الآخرة، والثالث ميزان العقل .

إن قلت : قوله : ﴿ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَان ﴾ [الرحمن : ٨] أي لا تجاوزوا فيه العدل مغنٍ عن الجملتين المذكورتين بعده ؟ قلت : الطغيان فيه أخذ الزائد ، والإخسار إعطاء الناقص ، والقسط التوسط بين الطرفين المذمومين .

قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان ﴾ [الرحمن : ١٨] ذكر هنا إحدى وثلاثون مرة ، ثمانية منها ذكرت عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم ، ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها بعدد أبواب جهنم ، وحسن ذكر الآلاء عقبها لأن من جملة الآلاء دفع البلاء وتأخير العقاب ، وبعد هذه السبعة ثمانية فى وصف الجنتين وأهلهما بعد أبواب الجنة ، وثمانية أخرى بعددها فى الجنتين اللتين هما دون الجنتين الأوليين أخذاً من قوله تعالى : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَان﴾ [الرحمن : ٦٢] فمن اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها استحق هاتين الثمانيتين من الله ووقاه السعة السابقة .

وقوله تعالى : ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن : ١٤] أي من طين يابس لم يطبخ له صلصلة أي صوت إذا نقر ، فإن قلت : كيف قال ذلك هنا ، وقال في الحجر : ﴿ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُون﴾ [الحجر : ٢٣] أي من طين أسود متغير ، والصافات من طين لازب أي لازم يلصق باليد ، وقال فى

آل عمران : ﴿ **كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ** ﴾ [آل عمران : ٥٩] ؟

قلت : الآيات كلها متفقة المعنى لأنه تعالى خلقه من تراب ثم جعله طيناً ثم حمأ مسنوناً ثم صلصالاً .

قوله : ﴿ **رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ** ﴾ [الرحمن : ١٧] إن قلت : لم كرر ذكر الرب هنا دون سورتي المعارج والمزمل ؟ قلت : كرره هنا تأكيداً وخص ما هنا بالتأكيد لأنه موضع الامتنان وتعديد النعم ولأن الخطاب [ق / ٣١٦أ] فيه مع جنسين هما الجن والإنس بخلاف ذينك .

قوله : ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ** ﴾ [الرحمن : ٤٦] أى ولمن خاف قيامه بين يدى ربه ، والمعنى لكل خائفين من الفريقين جنتان جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى أو المعنى لكل خائف جنتان جنة لعقيدته وجنة لعمله، أو جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصى أو جنة يثاب لها ، وجنة يتفضل بها عليه ، أو المراد بالجنتين جنة واحدة وإنما ثنى مراعاة للفواصل .

قوله ﴿ **فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ** ﴾ [الرحمن : ٥٦] جمع الضمير مع أن قبله جنتان لرجوعه إلى الآلاء المعدودة فى الجنتين ، أو إلى الجنتين لكن جمعه لاشتماله على قصور ومنازل ، أو إلى المنازل والقصور التى دل عليها ذكر الجنتين ، أو إلى العرش لقربها وتكون « فى » بمعنى « على » كما فى قوله تعالى ﴿ **يستمعون فيه** ﴾ [الرحمن : ٣٨] أي عليه .

قوله : ﴿ **لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ** ﴾ [الرحمن : ٧٤] أي لم يفتض الإنسيات إنسي ولا الجنيات جنى .

خاتمة

قال القرطبي روى عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال : لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن ، وقال العلماء هذه سورة عدد الله فيها النعم وخاطب بتعديدها الثقلين كليهما الجن والإنس، فقال في ذكر كل نعمة: ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن : ١٨] فكان هذا القول سؤال يحتاج إلى رد الجواب ، ولذلك لما قرأها رسول الله ﷺ على الجن قالوا : ولا بشيء من نعماء ربنا نكذب فلك الحمد ، خرجه الترمذي من حيث جابر قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا ، فقال « لقد قرأتها على الجن فكانوا أحسن منكم رداً كلما أتيت على قوله ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : ١٨] قالوا : ولا بشيء من نعماء ربنا نكذب فلك الحمد ، قال : حديث غريب ، فأثنى رسول الله ﷺ على الجن حين تلا عليهم السورة بحسن ردهم الجواب ، وفيما بلغنا عمن تقدم أن فيها آية تقرأ على الكلب إذا حمل على الرجل وهى : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الرحمن : ٣٣] إلى قوله ﴿بِسُلْطَانٍ ﴾ لا يؤذيه بإذن الله تعالى .

سورة الواقعة

مكية ، إلا ﴿ أَفَبِهَٰذَا الْحَدِيثِ ﴾ [الواقعة : ٨١] الآية و ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ الآية وهى ست أو سبع أو تسع وتسعون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الواقعة : ١٣ ، ١٤] أخرج ابن عساكر (١) فى تاريخ دمشق بسند فيه نظر من طريق عروة بن رويم عن جابر بن عبد الله قال : لما نزلت : ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ [الواقعة : ١] ذكر فهيا : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة ١٣ ، ١٤] قال عمر : يا رسول الله ثلة من الأولين وقليل منا ؟ فأمسك آخر السورة سنة، ثم [نزل] (٢) ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة ٣٩ ، ٤٠] فقال رسول الله ﷺ: « يا عمر تعال فاسمع ما قد أنزل الله : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ » [الواقعة : ٣٩ ، ٣٠] .

قوله تعالى : ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾ [الواقعة : ٢٧] أخرج سعيد ابن [ق/ ٣١٧أ] منصور فى « سننه » والبيهقى فى « البعث » عن عطاء ومجاهد قالا : لما سأل أهل الطائف الوادى يحمي لهم ، وفيه عسل ، ففعل وهو واد معجب فسمعوا الناس يقولون : إن الجن كذا وكذا ، قالوا : يا ليت لنا فى الجنة مثل هذا الوادي ، فأنزل الله : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ [الواقعة : ٢٧ ، ٢٨] الآيات وأخرج البيهقى من وجه آخر عن مجاهد قال : كانوا يعجبون بوج وظلاله وطلحه وسدره فأنزل الله : ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ طَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ

---

(١) « تاريخ : « دمشق » (٤٠ / ٢٢٩) .

(٢) فى أى : قال .

مَّمْدُودٍ (٣٠)﴾ [الواقعة : ٢٧ ـ ٣٠] الآيات .

وأخرج عبد بن حميد وابن جريد وابن المنذر من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُود﴾ [الواقعة :٢٨] قال نبتها أعظم من القلال .

قال تعالى : ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾ [الواقعة : ٢٩] أخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه : ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾ .

قوله تعالى : ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴾ [الواقعة : ٣٠] أخرج أحمد وعبد الرزاق وابن أبي شيبة عبد بن حميد والبخارى ومسلم والترمذي وابن ماجه عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **في الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مائة عام لايقطعها اقرأوا إن شئتم :** ﴿ طَلْحٍ مَّنضُود﴾ [الواقعة : ٣٠] » .

قوله تعالى : ﴿ وَمَاءٍ مَّسْكُوب ﴾ [الواقعة : ٣١] [ق / ٢٥٢ب] أخرج ابن المنذر عن ابن جريج رضي الله عنه :﴿ وَمَاءٍ مَّسْكُوب﴾ [الواقعة : ٣١] قال : جار .

قوله تعالى : ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ [الواقعة : ٧٥] إلى قوله : ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة : ٨٢] أخرج مسلم [1] عن ابن عباس قال : مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ « أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر ، قالوا : هذه رحمة وضعها الله تعالى وقال بعضهم : لقد صدق نوء كذا ، فنزلت هذه الآيات ﴿ فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُوم ﴾ [الواقعة : ٧٥] حتى بلغ ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُون ﴾ [الواقعة : ٨٢] .

وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى جودة قال : نزلت هذه الآيات في رجل من الأنصار فى غزوة تبوك ونزلوا بالحجر ، فأمرهم رسول الله ﷺ أن لا يحملوا من مائها شيئاً ، ثم ارتحل ونزل منزلاً آخر وليس معهم ماء فشكوا ذلك إلى النبى ﷺ فصلى ركتين ثم دعا فأرسل الله سبحانة فأمطرت عليهم حتى استقوا منها ، فقال رجل من الأنصار لأخر من قومه يتهم بالنفاق : ويحك ، وترى ما

---

(١) حديث دقم (٧٣) .

دعا النبي ﷺ فأمطر علينا السماء ، فقال : إنما مطرنا بنوء كذا .

وأجمع المفسرون على أنه لا ناسخ فيها إلا مقاتل بن سليمان فإنه قال : نسخ منها قوله تعالى : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾ [الواقعة : ١٣، ١٤] بقول تعالى : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾ [الواقعة : ٣٩ ، ٤٠] والثلة الأمة .

الفصل الثاني فى المتشابه منها

قوله : ﴿ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [الواقعة : ٨] أعاد ذكرها وكذلك ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ [الواقعة : ٩] ، ثم قال : ﴿وَالسَّابِقُونَ ﴾ [الواقعة : ١٠] [ق/٣١٨أ] لأن التقرير عند بعضهم والسابقون ما السابقون فحذف لدلالة ما قبله عليه ، وقيل : تقديره أزواجاً ثلاثة فأصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون ، ثم ذكر عقب كل واحد منهم تعظيماً وتهويلاً فقال ﴿ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ [الواقعة: ٨] ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴾ [الواقعة : ٩] ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴾ [الواقعة : ١٠] أي هم السابقون والكلام فيه يطول .

قوله ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴾ [الواقعة : ٥٨] ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾ [الواقعة :٦٣] ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ [الواقعة ٦٨] ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ [الواقعة : ٧١] فبدأ بذكر خلق الإنسان ثم بما لا غنى له عنه وهو الحب الذي منه قوته ثم بالماء الذي به سوغه وعجنه ثم بالنار التي بها نضجه وصلاحه ، وذكر عقب كل من الثلاثة الأولى ما يفسده فقال فى الأولى ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ ﴾ [الواقعة : ٦٠] ، وفى الثانية ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴾ [الواقعة : ٦٥] وفى الثالثة: ﴿ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا ﴾ [الواقعة : ٧٠] ولم يقل فى الرابعة ما يفسدها بل قال : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً ﴾ [الواقعة : ٧٣] يتعظمون بها ﴿وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴾ [الواقعة : ٧٣] أي للمسافرين ينتفعون ، والله أعلم .

خاتمة

قال القرطبى : روى عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً ذكر أبو عمر فى كتاب «التمهيد » والثعلبى فى تفسيره أن عثمان رضي الله عنه دخل على ابن مسعود رضي الله عنه يعوده فى مرضه الذى مات فيه فقال : ما تشتكي ؟ قال : ذنوبى ، قال : فما تشتهى ؟ قال رحمة ربى ، قال : أفلا ندعو لك طبيباً قال : الطبيب أمرضنى ، قال أفلا نأمر لك بعطاء؟ قال : لا حاجة فيه حبسته عني فى حياتي ، وتدفعه لي عند مماتى ، قال يكون لبناتك من بعدك ، قال : أتخشى على بناتى الفاقة من بعدي إنى أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة كل ليلة ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً** » .

وقال مسروق : من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار [ق / ٢٥٣ب] ونبأ أهل الدنيا ونبأ أهل الآخرة فليقرأ سورة الواقعة .

سورة الحديد

مكية أو مدنية ، تسع وعشرون آية

الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ ﴾ [الحديد : ١٠] الآية ، أخرج الواحدي(١) عن ابن عمر قال : بينما النبى ﷺ جالس وعنده أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال إذ نزل عليه جبريل عليه السلام ، فأقرأه من الله عز وجل السلام ، فقال يا محمد مالى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال ؟ قال : يا جبريل أنفق ماله قبل الفتح عليّ قال : فاقرأه من الله السلام وقال له : يقول لك ربك : أراض أنت عني فى فقرك هذا أم ساخط ؟ ، فالتفت النبى ﷺ إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فقال: « يا أبا بكر هذا جبريل يقرؤك من الله السلام ويقول لك ربك : أراض أنت [ق / ٣١٩] عنى فى فقرك أم ساخط ؟ فبكى أبو بكر رضي الله عنه ، وقال : على ربي أغضب ؟ أنا عن ربي راض أنا عن ربي راض .

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد : ١٦] الآية ، قال الكلبي ومقاتل(٢) : نزلت فى المنافقين بعد الهجرة بسنة ، وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا : حديثا عما فى التوراة فإن فيها العجائب فنزلت هذه الآية ، وقال غيرهما : نزلت فى المؤمنين .

قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ ﴾ [الحديد: ٢٨] الآية ، أخرج الطبرانى فى « الأوسط » بسند فيه من لا يعرف عن

---

(١) « أسباب النزول » (ص / ٦٤١) وقد أخرجه أبو نعيم فى الحلية « (٧ / ١٠٥) وهو حدبق موضوع . قال الذهبي فى الميزان « : هو كذب .

(٢) « أسباب النزول » (ص / ٦٤٢) .

ابن عباس أن [أربعين من] (١) أصحاب النجاشى قدموا على النبى ﷺ فشهداو معه أحداً فكانت فيهم جراحات ولم يقتل منهم أحد فلما رأوا ما بالمؤمنين من الحاجة ، قالوا : يا رسول الله إنا أهل ميسرة فائذن لنا نجيء بأموالنا نواسى بها المؤمنين ، فأنزل الله فيهم ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص : ٥٢] الآيات فلما نزلت قالوا : يا معشر المسلمين أما من آمن منا بكتابكم فله أجران ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجرهم ، فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ ﴾ [الحديد : ٢٨] الآية (٢) .

وأخرج ابن أبى حاتم عن مقاتل لما نزلت : ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [القصص : ٥٤] الآية فخر مؤمنوا أهل الكتاب أصحاب النبي ﷺ فقالوا : لنا أجران ولكم أجر ، فاشتد ذلك على الصحابة ، فأنزل الله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ [الحديد : ٢٨] الآية ، فجعل لهم أجرين مثل أجر مؤمنى أهل الكتاب .

قوله تعالى ﴿ لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد : ٢٩] ، وأخرج ابن جرير عن قتادة قال : بلغنا أنه لما نزلت : ﴿ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ ﴾ [الحديد : ٢٨] حسد أهل المسلمين عليها ، فأنزل الله : ﴿ لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ [الحديد : ٢٩] .

وأخرج ابن المنذر عن مجاهد قال: قالت اليهود يوشك أن يخرج منا نبى فيقطع الأيدي والأرجل ، فلما خرج من العرب كفروا ، فأنزل الله : ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ ﴾ [الحديد : ٢٩] الآية يعني بالفضل والنبوة ، وليس فى هذا السورة ناسخ ولا منسوخ .

---

(١) سقط من أ .

(٢) ضعيف جداً : أخرجه الطبراني فى « الأوسط » (٧٦٦٢) . قال البيهقى فى « المجمع» (١١٤٠٤) : رواه الطبرانى وفيه من لم أعرف .

الفصل الثاني في المتشابه منها

قوله : ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ [الحديد : ١] ، عبر هنا ، وفى الحشر والصف بالماضي ، وفى الجمعة والتغابن بالمضارع ، وفى الأعلى بالأمر ، وفى الإسراء بالمصدر اسيعاباً للجهات المشهورة لهذه [ق/ ٢٥٤ ب] الكلمة وبدأ بالمصدر فى الإسراء لأنه الأصل ثم بالماضي لسبق زمنه ثم بالمضارع لشموله الحال والمستقبل ، ثم بالأمر لخصومه بالحال مع تأخره بالنطق به فى قولهم : فعل يفعل أفعل .

قوله : ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الحديد : ١] قاله هنا بحذف ما فى الأرض موافقة لقوله بعد ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [الحديد : ٤]﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الحديد : ٢]، وقاله فى الحشر والصف والجمعة والتغابن بإثباتها عملاً بالأصل ، قوله : ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الحديد : ٢] [ق / ٣٢٠ أ] ذكره مرتين وليس بتكرار لأن الأول فى الدنيا لقوله عقبه : ﴿ يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ [الحديد : ٢] ، والثاني فى العقبى لقوله عقبه ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ [الحديد : ٥] .

قوله : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ [الحديد : ٢٢] قاله هنا، وقال فى التغابن ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [التغابن : ١١] فصل هنا وأجمل ثمَّ موافقة لما قبلهما لأنه فصل هنا بقوله ﴿عْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِب ﴾ [الحديد : ٢٠] الآية بخلافه ثمَّ .

قوله : ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد : ١٢] بزيادة هو لأن بشراكم مبتدأ وجنات خبره ، تجري من تحتها صفة لها ، خالدين فيها حال ذلك إشارة إلى ما قبله وهو تنبيه على عظم شأن المذكور ، الفوز العظيم خبره .

قوله : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ [الحديد : ٢٥] ابتداء كلام ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا ﴾ [الحديد : ٢٥] عطف عليه ﴿ ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ [الحديد : ٢٠] سبق .

خاتمة

قال القرطبى : روى الترمـذي عن العرباض بن سارية أن النبى ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ المسبحات ويقول « فيها آية خير من ألف آية » انتهى .

سورة المجادلة
مدنية ثنتان وعشرون آية
الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ [المجادلة:١] الآية أخرج الحاكم (١) وصححه عن عائشة قالت : تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إنى لا أسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك ، فما برح حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ [المجادلة : ١] وهو أوس بن الصامت .

وأخرج الواحدي (٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت : الحمد لله الذي توسع لسمع الأصوات كلها لقد جاءت المجادلة فكلمت رسول الله ﷺ وأنا فى جانب البيت لا أدري ما تقول ، فأنزل الله تعالى ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[المجادلة : ١] .

قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ﴾ [المجادلة : ٢] الآيات ، أخرج الواحدي عن يوسف عبد الله بن سلام قال : حدثتني خولة بنت ثعلبة وكانت عند أوس بن الصامت أخى عبادة بن الصامت قالت : دخل علي ذات يوم فكلمنى بشيء وهو فيه كالضجر فراددته ، فغضب ، فقال : أنت على كظهر أمي ثم خرج فجلس في نادي قومه ثم رجع إلى فراودني عن نفسي فامتنعت منه فشاددني فشاددته فغلبته بما تغلب به المرأة الرجل الضعيف ، فقلت : كلا والذي

---

(١) صحيح : أخرجه ابن ماجه (٢٠٦٣) والحاكم (٣٧٩١) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي والألبانى .

(٢) « أسباب النزول » (ص / ٦٤٥) .

نفس خولة بيده لا تصل إلي حتى يحكم الله فى وفيك بحكمه ، ثم أتيت النبي ﷺ أشكو ما لقيت ، فقال : « زوجك عمك اتق الله وأحسني صحبته « فما برحت حتى أنزل القرآن العظيم ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ [المجادلة :١] قال : مُريه فليصم إلى قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١] حتى انتهى إلى اكفارة ثم قال : « مُريه فليعتق رقبة » ، قلت : يا نبي الله ما عنده رقبة يعتقها [ن/ ٣٢١أ] شهرين متتابعين » ، قلت : يا رسول الله شيخ كبير ما به من صيام ، قال « فليطعم ستين مسكين » قلت : يا نبي الله والله ما [ق/ ٢٥٥ب] عنده ما يطعم ، قال : « بلى سنعينه بعرق من تمر مكتل يسع ثلاثين صاعاً ، قالت : قلت : وأنا أعينه بعرق آخر ، قال : « قد أحسنت فليتصدق » .

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ [المجادلة : ٨] أخرج ابن أبى حاتم عن مقاتل بن حبان ، قال: كان بين النبي ﷺ وبين اليهود موادعة فكانوا إذا مر بهم رجل من أصحابه جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله ، أو بما يكره ، فنهاهم الرسول الله ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا، فأنزل الله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ﴾ [المجادلة : ٨] .

قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ﴾ [المجادلة : ٨] أيضاً قال ابن عباس رضي الله عنهما ، مجاهد نزلت فى اليهود والمنافقين وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم ، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا : ما نراهم إلا وقد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا فى السرايا قتل أو موت أو مصيبة أو هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلا يزالون كذلك حتى يقدم أصحابهم وأقرباؤهم ، فلما طال ذلك وكثر شكوا إلى النبي ﷺ فأمرهم أن لا يتناجون دون المسلمين ، فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

قوله تعالى : ﴿ جاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ [المجادلة : ٨] أخرج أحمد والبزار والطبرانى بسند جيد عن عبد الله بن عمرو أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ : سام عليكم ، قم يقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول ، فنزلت هذه الآية ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّه ﴾(١) [المجادلة : ٨].

وقوله : [﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّه ﴾] (٢) أيضاً أخرج(٣) الواحدي عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء ناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا : السام عليك يا أبا القاسم ، فقلت : السام عليكم وفعل الله بكم وفعل ، فقال رسول الله ﷺ :« **يا عائشة فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش** » ، فقلت : يا رسول الله أليس ترى ما يقولون ؟ قال : « **ألست ترين أرد عليهم ما يقولون أقول** » : « **وعليكم** » قالت :ونزلت هذه الآية في ذلك ﴿ جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّه﴾ [المجادلة : ٨] .

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾ [المجادلة : ١١]، قال مقاتل بن حبان (٤) : كان النبى ﷺ فى الصفة وفى المكان ضيق ، وذلك يوم الجمعة وكان رسول الله ﷺ يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجلس ، فقاموا [حيال النبى] (٥) ﷺ على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم ، وشق ذلك على رسول الله ﷺ [ق / ٣٢٢ أ] ، [فقال] (٦) لمن حوله من غير أهل بدر : قم يلا فلان

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢١٦٥) وأحمد (٢٥٩٦٦) والترمذى (٣٣٠١) .
(٢) سقط من أ .
(٣) « أسباب النزول » (ص / ٦٤٩) . رواه مسلم (٢١٦٦) .
(٤) أنظر : « أسباب النزول » للواحدي (ص / ٦٥٠)
(٥) فى أ : حياء للنبى .
(٦) فى أ : فقال .

وأنت يا فلان ، فأقام من المجلس بقدر النفر الذين قاموا بين يديه من أهل بدر، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه ، وعرف النبي ﷺ الكراهية فى وجوههم، فقال المنافقون للمسلمين : ألستم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس ، فوالله ما عدل ، هؤلاء قوم أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم أقامهم وأجلس من أبطأ عنه مقامهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ [المجادلة : ١٢] .

قال مقاتل بن حبان نزلت الآية فى الأغنياء وذلك أنهم كانوا يأتون النبى ﷺ فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره رسول الله ﷺ ذلك من طول [ق / ٢٥٦ ب] جلوسهم ومناجاتهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وأمر بالصدقة عند المناجاة فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئًا ، وأما أهل الميسرة فبخلوا واشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ ، فنزلت الرخصة ، قال علي بن أبى طالب ﷺ: إن في كتاب الله تعالى لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ [المجادلة : ١٢] كان لي دينار فبعته وكنت إذا ناجيت الرسول ﷺ تصدقت بدرهم حتى نفد فنسخت بالآية الأخرى : ﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ [المجادلة : ١٣] .

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة : ١٤] الآيات إلى قوله : ﴿ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [المجادلة : ١٨] قال السدي ومقاتل (١) : نزلت فى عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس النبي ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود فبينما رسول الله فى حجرة من حجره ، إذ قال : « **يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان** » ، فدخل عبد الله بن نبتل وكان

(١) انظر : « أسباب النزول » (ص / ٦٥١) .

أزرق العينين ، فقال له رسول الله ﷺ : « **تشتمني أنت وأصحابك ؟** » ، فحلف بالله ما فعل ذلك ، فقال له النبى ﷺ :« **فعلت** » فانطلق فجاء بأصحابه ، فحلفوا بالله ما سبوه ، فأنزل الله تعالى هذه الآيات .

قوله تعالى : ﴿ **لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّه** ﴾ [المجادلة:٢٢] الآية ، قال بن جريج : حدثت أن أبا قحافة سب النبي ﷺ فصكه أبو بكر رضي الله عنه صكة شديدة سقط منها ، ثم ذكر ذلك للنبى ﷺ ، فقال: «**أو فعلته؟**» قال : نعم ، قال : « **فلا تعد إليه** » ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : والله لو كان السيف قريب مني لقتلته ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : نزلت هذه الآية [ق / ٣٢٣ أ] فى أبي عبيدة بن الجراح يوم أحد، وفي أبي بكر رضي الله عنه دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، وقال : يا رسول الله دعني أكن في الرعلة الأولى ، فقال رسول الله ﷺ : «**متعنا بنفسك يا أبا بكر أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري**» ، وفي مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد ابن عمير يوم أحد ، وفى عمر رضي الله عنه ، قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر ، وفي علي وحمزة رضي الله عنهما وعبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر ذلك قوله : ﴿**وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُم**﴾ [المجادلة : ٢٢] .

الفصل الثانى فى منسوخها

وهو آيتان

الآية الأولى : ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم ﴾ [المجادلة : ٣] قال ابن عباس : كان الظهار طلاقاً فى الجاهلية ، وهى منسوخة بالكفارة ، وقيل بالطلاق وهذا على أن شرع من قبلنا شرع لنا .

الثانية : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾ [المجادلة : ١٢] وذلك أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ خطب الناس بالكوفة، فقال : يا أيها الناس إن فى القرآن سورة فيها آية ما عمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدي إلى يوم القيامة ، فقال الناس : وما الآية يا أمير المؤمنين ، فقال : إن رسول الله ﷺ لما كثرت عليه المسائل كره ذلك خيفة أن يجعل على أمته فرضاً ليس عليهم ، فنزل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ ﴾ [المجادلة: ١٢] الآية ، فأمسك الناس عن سؤاله [ق / ٢٥٧ ب] وكلامه ، فقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ :ولم أملك غير دينار واحد فصرفته بعشرة دراهم ،وجعلت كلما أردت أن أسأل عن مسألة تصدقت بدرهم حتى لم يبق معي غير درهم واحد،فسألته وتصدقت به فنسخت الآية بقوله تعالى:﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ [المجادلة :١٣] فنسخ الله تعالى ذلك بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة لله ولرسوله .

الفصل الثالث فى المتشابه منها

قوله : ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم ﴾ [المجادلة :٢] قال ذلك هنا وقال بعده ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ﴾ [المجادل:٣]لأن الأول : خطاب للعرب خاصة وكان طلاقهم فى الجاهلية الظهار .

والثاني : فى بيان أحكام الظهار للناس عامة .

قوله : ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيم ﴾ [المجادلة : ٤] ختمه هنا بـ﴿ أَلِيم ﴾ وبعده بـ﴿مُّهِين ﴾ [المجادلة : ٥] لأن الأول متصل بضده وهو الإيمان فتوعدهم على الكفر بالعذاب الأليم الذي هو جزاء الكافرين ، والثاني متصل بقوله ﴿كُبِتُوا﴾ [المجادلة : ٥] وهو الإذلال والإهانة فوصف العذاب بمهن .

قوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُم ﴾ [المجادلة : ٧] إن قلت : لم خص الثلاثة [ق / ٣٢٤ أ] والخمسة بالذكر ؟ ، قلت : لأن قوماً من المنافقين تخلفوا للتناجي وكانوا بعدة العدد المذكور مغايظة للمؤمنين ، فنزلت الآية بصفة حالهم تعريضاً بهم ، أو لأن العدد الفرد أشرف من الزوج لأن الله تعالى وتر يحب الوتر فخص العدوان المذكوران بالذكر تنبيهاً على أنه لا بد من رعاية الأمور الإلهية في جميع الأمور ، ثم بعد ذكرهما زيد عليهما ما يعم غيرهما من المتناجين بقوله : ﴿ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَر﴾ [المجادلة : ٧] تعميماً للفائدة .

خاتمة

قال القرطبي : ذكر في فضلها أنه ليس فيها آيه إلا وفيها اسم الله تعالى متلواً وذلك لا يوجد فى غيرها .

سورة الحشر
مدنية ، أربع وعشرون آية
الفصل الأول فى أسباب نزولها

قال المفسرون (١): نزلت هذه السورة فى بني النضير وذلك أن النبى ﷺ لما قدم المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ، ولا يقاتلوا معه ، وقبل رسول الله ﷺ منهم ، فلما غـزى رسول الله ﷺ بدراً ، وظهر على المشـركين قالت بنوا النضير واللـه إنه للنبى الذي وجدنا نعته فى التـوراة لا ترد له راية فلما غزا أحد وهُزم المسلمـون نقضوا العـهد وأظهروا العـدواة لرسول الله ﷺ والمسلمين فحاصرهم رسول الله ﷺ ، ثم صالحهم على الجلاء من المدينة .

وأخـرج الواحـدي (٢) عن الزهري عن ابن كـعب بن مـالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن كفـار قريش كتبوا بعد وقعـة بدر إلى اليهود : إنكم أهل الحلقة والحـصون ، وإنكم لتقاتلن صـاحبنا أو لنفعلن كـذا ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم وهي الخلاخيل شيء ، فلما بلغ كتابهم اليهود اجتمعت بنوا النضير على الغدر وأرسلوا إلى النبى ﷺ أن أخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك وليخرج منها ثلاثون حبرًا حتى تلتقي بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعوا منك فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا بك كلنا فخـرج النبي ﷺ فى ثلاثين من أصحابه وخرج إليه ثلاثون حبرًا من اليهود حتى إذا برزوا فى براز من الأرض قال بعض اليهود: كيف تخلصون إليـه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحـابه وكلهم يحب أن يموت قلبه فأرسلوا كيف نفهم ونحن ستون رجلاً ؟ أخرج في من أصحابك [ونخرج إليك ثلاثة من علمائنا ، إن آمـنوا آمنـا بك] (٣) كلنا وصدقـناك ، فخـرج النبى ﷺ

(١) انظر : « أسباب النزول » الواحدى (ص / ١٥٥) .
(٢) « أسباب النزول » (ص / ٦٥٥) .
(٣) سقط من أ .

[ق / ٢٥٨ ب] فى ثلاثة من أصحابه وخرج ثلاثة من اليهود واشتملوا على الخناجر وأرادوا الفتك برسول الله ﷺ فأرسلت امرأة ناصحة من بنى النضير إلى أخيها وهو رجل مسلم من الأنصار فأخبرته خبر ما أراد بنو النضير من الغدر برسول الله ﷺ [ق / ٣٢٥ أ] وأقبل أخوها سريعاً حتى أدرك النبي ﷺ فساره بخبرهم فحاصرهم وقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا الحلقة وهى السلاح فكانوا يخربون بيوتهم فيأخذون ما وافقهم من خشبها ، فأنزل الله تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ ﴾ [الحشر : ١] حتى بلغ ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر : ٦] .

قوله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ ﴾ [الحشر : ٥] الآية ، وذلك أن رسول الله ﷺ لما نزل ببنى النضير وتحصنوا فى حصونهم أمر بقطع نخيلهم وإحراقها فجزع أعداء الله عند ذلك وقالوا : زعمت يا محمد أنك تريد الصلاح أفمن الصلاح عقر الشجر المثمر وقطع النخيل ؟ ، وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض ، فشق ذلك على النبي ﷺ فوجد المسلمون فى أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فساداً واختلفوا في ذلك ، فقال بعضهم [لا تقطعوا فإنه مما أفاء الله علينا] (١) ، بل نغيظهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ [الحشر : ٥] الآية تصديقاً لمن نهي عن قطعه وتحليلاً لمن قطعه وأخبر أن قطعه وتركه بإذن الله تعالى .

وروى مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قطع نخيل بني النضير وحرقه، ولهذا يقول حسان :

وهان على سراة بني لؤى حريق بالبويرة مستطير

وفيها نزلت : ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا﴾ [الحشر : ٥] .

وأخرج الواحدي (٢) عن ابن عباس قال : جاء يهودي إلى النبي ﷺ ،

---

(١) سقط من أ .

(٢) « أسباب النزول » (ص / ٦٥٩) .

فقال : أنا أقوم فأصلي ، قال : « **قدر الله لك أن تصلي** » ، قال : أنا أقعد ، قال: « **قدر الله لك أن تقعد** » قال : أنا أقوم إلى هذه الشجرة فاقطعها ، قال : قدر الله لك أن تقطعها ، قال : فجاء جبريل عليه السلام فقال : يا محمد لقنت حجتك كما لقنها إبراهيم على قومه ، وأنزل الله تعالى : ﴿ **مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ [الحشر : ٥] يعني اليهود .

قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ** ﴾ [الحشر : ٩] الآية .

أخرج ابن المنذر عن يزيد بن الأصم أن الأنصار قالوا : يا رسول الله اقسم بيننا وبين إخواننا المهاجرين الأرض نصفين ، قال : لا ولكن تكفيهم المؤنة وتقاسمونهم الثمرة الثمرة والأرض أرضكم قالوا : رضينا فأنزل الله : ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ**﴾ [الحشر: ٩] .

وأخرج البخارى عن أبي هريرة قال أتى رجل لرسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله أصابنى الجهد ، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً ، فقال : ألا رجل يضيفه هذه الليلة يرحمه الله ، فقام رجل من الأنصار » ، فقال : أنا يا رسول الله ، فذهب إلى أهله ، فقال لامرأته ضيف رسول الله ﷺ : « لا تدخرينه شيئاً ، قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية ، قال : فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي ، فأطفئ السراج ونطوي بطوننا الليلة ففعلت،ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ [ق / ٣٢٦ أ] ، فقال : لقد عجب الله ، أو ضحك من فلان وفلانه ، فأنزل الله : ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ [الحشر: ٩].

وأخرج مسدد في مسنده وابن المنذر عن أبي المتوكل الناجي أن رجلاً من المسلمين فذكر فيه [ق / ٢٥٩ ب] وفيه أن الرجل الذي أضاف ثابت بن قيس ابن شماس ، فنزلت فيه .

وأخـرج الواحدي من طريق مـحارب بن دثار عن ابن عـمر قـال : أهدى لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال : إن أخى فلاناً وعياله أحوج إلى هذه منا ، فبعث إليه ، فلم يزل يبـعث به واحد إلى آخر حتى تداولها أهل سبـعة أبيات حـتى رجعت إلى الأول فنزلت ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩] الآية .

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ [الحشر : ١١] الآية ، أخرج ابن أبى حاتم عن السـدي قال : أسلم ناس من أهل قريظة وكـان فيهم منافقـون وكانوا يقولون لأهل النضير : لئن أخرجـتم لنخرجن معكم ، فنزلت هذه الآية فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ ﴾ [الحشر : ١١] .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو آية واحدة هى قوله تعالى : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ﴾ [الحشر: ٧] منسوخه بقوله : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنفال: ٤١] بناءً على أن الغنيمة صادقة على الفيء ، وقليل : محكمة ولا يصح نسخها بها ، والصحيح أن الغنيمة ما أخذ من الكفار بقتال والفيء ما أخذ بغير قتال : ولا يصح نسخها بها لنزولها بعد آية الغنيمة بسنة والله أعلم بمراده .

الفصل الثالث فى المتشابه منها

قوله : ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّه ﴾ [الحشر : ٦] بعده قوله : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّه ﴾ [الحشر : ٧] بغير واو الأول معطوف على قوله : ﴿مَا قَطَعْتُم﴾ [الحشر: ٧] بغير واو لأن الأول معطوف عـلى قوله : ﴿مَا قَطَعْتُم ﴾ [الحشر : ٥] والثـاني استئناف وليس له به تعلق ، وقول من قال : إنه بدل من الأول مزيف عند أكثر المفسرين .

قوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُون ﴾ [الحشـر : ١٣] وبعده ﴿ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر : ١٤] لأن الأول متصل بقوله ﴿ لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّه ﴾ [الحشر : ١٣] لأنهم يرون الظاهر ولا يفقهون ما استتر أي خفي عليهم ، والفقه معرفة ظاهر الشيء وغامضه بسرعة فطنة فنفي عنه ذلك ، والثانى متصل بقوله: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ [الحشر : ١٤] أي لو عقلوا لاجتمعوا على الحق ولم يتفرقوا .

خاتمة

قال القرطبى : روي عن أبي عن أبى هريرة قال : سألت خليلي أبا القاسم رسول الله ﷺ عن اسم الله الأعظم ، فقالل : « يا أبا هريرة عليك بآخر سورة الحشر » فأعدت عليه فأعاد علي .

وروي عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ خواتيم سورة الحشر في ليل أو نهار فقبضه الله فى تلك الليلة أو فى ذلك اليوم ، فقد أوجب له الجنة .

وروى الترمذي عن معقل بن يسار قال : قال النبى ﷺ : « من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وقرآ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف [ق / ٣٢٧ أ] ملك يصلون عليه حتى يمسي ، وإن مات فى يومه مات شهيداً ، أو من قرأها حين يمسي فكذلك » قال : حديث حسن غريب . انتهى .

(١) انظر « أسباب النزول » الواحدى (ص / ٦٦٣) . وقد أخرجه البخاري (٤٨٩٠) ومسلم (٢٤٩٤) .

سورة الممتحنة
مدنية ثلاث عشرة آية
الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الممتحنة : ١] الآية ، قال جماعة من المفسرين (١): نزلت فى حاطب بن أبي بلتعة ، وذلك أن سارة مولاة أبى عمرو بن صيفي بن هشام بن عبد مناف أتت رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ورسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة ، فقال لها : « أمسلمة جنت؟» ، قالت : لا ، قال : « أمهاجرة جئت ؟ » ، قلت : لا .

قال : « فماذا جاء بك ؟ » قالت : أنتم الأصل والعشيرة والموالي وقد احتجب حاجة شديد ، فقدمت عليكم لتعطونى وتكيونى ، قال لها : « فأين أنت من شباب [ق / ٢٦٠ ب] أهل مكة ، وكانت مغنية ، قالت : ما طلب منى شيء بعد وقعة بدر ، فحث رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وبني المطلب عليها فكسوها وحملوها وأعطوها ، فأتاها حاطب بن أبى بلتعة وكتب معها إلى أهل مكة وأعطاها عشرة دنانير على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة ، وكتب فى الكتاب : من حاطب بى أبى بلتعة وكتب معها إلى أهل مكة إن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم ، فخرجت سارة ونزل جبريل [عليه السلام] (٢) ، فأخبر النبي ﷺ بما فعل حاطب إلى المشركين ، فخذوه منها وخلوا سبيلها فإن لم تدفعه لكم فاضربوا عنقها ، فخرجوا حتى أدركوها في المكان ، فقالوا لها: أين الكتاب ، فحلفت بالله ما معها من كتاب ، ففتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتاباً فهموا بالرجوع فقال علي : والله ما كذبنا وما كذبنا وسل سيفه وقال :

---

(١) انظر : « أسباب النزول » للواحدى (ص / ٦٦٣) . وقد أخرجه البخارى (٤٨٩٠) ومسلم (٢٤٩٤) .

(٢) زيادة من ب .

أخرجي الكتاب وإلا والله لأجردنك وأضربن عنقك ، فلما رأت الجد أخرجته من ذؤابتها قد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ ، [فبعث رسول الله ﷺ][1] إلى حاطب ، فأتاه ، فقال له : « هل تعرف الكتاب ؟ » قال : نعم ، قال : « فما حملك على ما صنعت ؟ » ، فقال : يا رسول الله والله ما كفرت منذ أسلمت ولا غشتك منذ نصتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريباً فيهم وكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يداً وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه وأن كتابي لا يغنى عنهم يداً وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه وأن كتابي لا يغني عنهم شيئاً ، فصدقه رسول الله ﷺ ، وعذره ، ونزلت هذه السورة ﴿ يَـأَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [الممتحنة : ١] فقام عمر بن الخطاب ، فقال [ق / ٣٢٨ أ] يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ : «وما يدريك يا عمر لعل الله قد أطلع على أهل بدر فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت بكم .

قوله تعالي : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ [الممتحنة : ٦] يقول الله تعالى للمؤمنين : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة:٤] من الأنبياء والأولياء إقتداء بهم فى معاداة ذوى أقربائهم من المشركين فلما نزلت هذه الآية عادى المؤمنون أقربائهم المشركين فى الله وأظهروا لهم العداوة والبراءة : أخرجي الكتاب وإلا والله لأجردنك وأضرين عنقك ، فلما رأت الجد أخرجته من دؤابتها قد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها ورجعوا بالكتاب إل رسول الله ﷺ ، [فبعث رسول الله ﷺ][2] إلى

(١) سقط من ب .

(٢) سقط من ب .

حاطب ، فأتاه ، فقال له : « هل تعرف الكتاب ؟ » قال : نعم ، قال : «فما حملك على ما صنعت ؟ » ، فقال : يا رسول الله ﷺ ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريباً فيهم وكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يداً وقد علمت أن الله ينزل لهم بأسه وأن كتابي لا يغني عنهم شيئاً ، فصدقه رسول الله ﷺ ، وعذره، ونزلت هذه السورة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء ﴾ [المتحنة: ١] فقام عمر بن الخطاب ، فقال [ق / ٣٢٨ أ] يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ : « وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطبع على أهل بدر فقال لهم : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِر﴾ [المتحنة : ٦] يقول الله تعالى للمؤمنين : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَه ﴾ [المتحنة : ٤] من الأنبياء والأولياء إقتداء بهم فى معاداة ذوى أقربائهم من المشركين فلما نزلت هذه الآية عادي المؤمنون أقربائهم المشركين فى الله وأظهروا لهم العداوة والبراءة وعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّة ﴾ [المتحنة : ٧] ثم فعل ذلك بأن أسلم كثير منهم فصاروا لهم أولياء وإخواناً وخالطوهم وناكحوهم وتزوج رسول الله ﷺ حبيبة بنت أبي سفيان فلان لهم أبو سفيان وبلغه ذلك وهو مشرك ، فقال : ذلك الفحل لا يقرع أنفه .

وأخرج أحمد والبزار والحاكم وصححه عن عبد الله بن الزبير قال : قدمت قتيلة بنت عبد العزى على ابنتها أسماء بنت أبي بكر وكان أبو بكر طلقها فى الجاهلية فقدمت على بنتها أسماء بنت أبي بكر وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية فقدمت على بنتها بهدايا فأبت أسماء أن تقبل منها أو تدخلها منزلها حتى أرسلت إلى عائشة أن سلي عن هذا رسول الله ﷺ ، فأخبرته فأمرها أن

تقبل هداياها وتدخلها منزلها ، فأنزل الله : ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [الممتحنة : ٨] الآية .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُن ﴾ [الممتحنة: ١٠] الآية ، قال ابن عباس][(١)] رضي الله عنهما إن مشركي مكة صالحوا رسول الله ﷺ عام الحديبيـة على أن من أتاه من أهل مكة رده إليهم ، ومن أتى أهل مكة من أصحابه فهو لهم ، وكتبوا بذلك الكتاب وختموه ، فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي ﷺ بالحديبية فأقبل زوجها وكان كافراً ، فقال : يا محمد اردد علي امرأتى فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد ، فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وأخرج الواحدي] [(٢)] عن الزهري قال : دخلت على عروة بن الزبير وهو يكتب كتاباً إلى ابن هنيدة صاحل الوليد بن عبد الملك يسأله عن قوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ﴾[الممتحنة : ١٠] [قال :]][(٣)] فكتب إلليه أن رسول الله ﷺ صالح قريشاً يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء يغير إذن وليه فلما هاجرت النساء أبى االله تعالى أن يرددن على المشركين إذا هن امتحن فعرفوا أنهن ﴿ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُم﴾ فأمسك رسول الله ﷺ النساء ورد الرجال .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ [الممتحنة : ١٣] الآية ، نزلت في ناس من فقراء المسلمين من ثمارهم فنهاهم الله سبحانه وتعالى عن ذلك .

(١) انظر « أسباب النزول » (ص / ٦٦٧) .
(٢) « أسباب النزول » (ص / ٦٦٨) .
(٣) سقط من أ .

الفصل الثاني فى منسوخها

وهو ثلاث آيات:

الأولى: هي قوله تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [الممتحنة: ٨] منسوخه بالآية التي تليها وهى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ﴾ [الممتحنة : ٩] و« إن » يقدر قبلها «عن» أي عن ولايتكم إياهم ، وقال ابن عباس : هي محكمة فى بر المؤمن للكافر ما لم يقوه على حربنا .

الثانية : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة : ١٠] إلى قوله : ﴿لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الممتحنة : ١٠] نسخ ذلك بقوله تعالى : ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ١] في نقض العهد إلي قول: ﴿أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ [التوبة : ١٣] الآية .

الثالثة : ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾ [الممتحنة : ١١] بقدر ما ساق إليها من الصداق ثم صارت منسوخة بآية السيف أو بقوله : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ [الأنفال : ٤١] .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله : ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ [المتحنة: ١] ، وبعده ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ [المتحنة : ١] الأول حال من المخاطبين، وقيل : أتلقون إليهم بالإستفهام مقدر، وقيل : خبر مبدأ أي أنتم تلقون والثاني بدل من الأول على الوجوه المذكورة والباء زائدة عن الأخفش ، وقيل : بسبب أن تؤدوا ، وقال الزجاج : تقلون إليهم أخبار النبى ﷺ .

قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [المتحنة : ٤] ، وبعده ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [المتحنة : ٦] أنث الفعل الأول مع الفاصل وذكر الثانى لكثرة الفاصل وذكر الثانى لكثرة الفاصل وإنما كرر لأن الأول فى القول [ق / ٢٦٢ ب] والثاني فى الفعل .

وقيل : الأول إبراهيم ، والثاني في محمد ﷺ .

سورة الصف

مكية، أو مدنية لكن المختار أنها مدنية أربعة عشرة آية

الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [الصف : ١] [ق / ٣٣٠ أ] إلى آخر السورة .

أخرج الترمذي والحاكم(١) وصححه عن عبد الله بن سلم قال : قعدنا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا : لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله تعالى لعملناه ، فأنزل الله ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ① يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ②﴾ [الصف : ١ ، ٢] فقرأها علينا رسول الله ﷺ حتى ختمها .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢] ، أخرج الترمذي عن أبي صالح قال : قالوا : لو كنا نعلم أي الأعمال أحب إلى الله وأفضل ؟ فنزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ ﴾ [الصف : ١٠] الآية ، فكرهوا الجهاد ، فنزلت ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف : ٢] .

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل أنها نزلت فى توليهم يوم أحد .

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ ﴾ [الصف : ١٠] الآية ، أخرج عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الصف : ١٠] قال المسلمون : لو علمنا ما هذه التجارة لأعطينا فيها الأموال والأهلين ، فنزلت ﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الصف : ١] .

وليس فى هذه السورة ناسخ ولا منسوخ .

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد (٢٣٨٤٠) والترمذي (٣٣٠٩) والدارمي (٢٣٩٠) وابن حبان (٤٥٩٤٠) والحاكم (٢٨٩٩) وقال : صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي . وقال الآلباني : صحيح .

الفصل الثاني فى المتشابه منها

قوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِب ﴾ [الصف : ٧] [قاله هنا بتعريف الكذب](١) إشارة إلى قول اليهود : ﴿ هَذَا سِحْرٌ مُّبِين ﴾ [الصف : ٦] ، وقاله فى مواضع بتنكيره جرياً على الأكثر من استعمال المصدر منكراً .

قوله : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِم﴾ [الصف : ٨] اللام زائدة للتأكيد فى مفعول يريد ، وأصله يريدون أن يطفئوا كما في براءة أو تعليلية والمفعول محذوف تقديره يريدون إبطال القرآن ليطفئوا .

قوله : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [الصف : ١٢] مجزوم جواباً للأمر المأخوذ من تؤمنون أو جواباً للإستفهام في قوله : ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ ﴾ [الصف : ١٠] ، أو مجزوم بشرط مقدر أي إن تؤمنوا يغفر لكم .

---

(١) سقط من أ .

سورة الجمعة
مدنية إحدى عشرة آية
الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً ﴾ [الجمعة : ١١] الآية ، أخرج الشيخان عن جابر قال : كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ أقبلت عير قد قدمت فخرجوا إليها حتى لم يبق معه إلا اثنى عشر رجلاً ، فأنزل الله : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة : ١١] .

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله ، قال : [كنا مع][١] النبي ﷺ فى الجمعة فمرت عير تحمل طعاماً ، فخرج الناس إلا اثنى عشر رجلاً ، فنزلت آية الجمعة .

وروى البخاري فى كتاب الجمعة قال المفسرون : أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر ، فقدم دحية بن خليفة الكلبي بتجارة من الشام وضرب [ق / ٣٣١ أ] لها طبل يعلمون الناس بقدومه ورسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة فخرج إليه الناس ولم يبق في المسجد إلا اثني عشر رجلاً منهم أبو بكر وعمر.

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ .

---

(١) فى أ : كان .

الفصل الثانى فى المتشابه منها

قوله : ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَه﴾ [الجمعة : ٧] ، وفى البقرة : ﴿ ولن يتمنوه ﴾ لأن «لن » أبلغ فى النفي من « لا » ، حتى قيل : إنها لتـأكيد النفي ، ودعواهم فى البقرة بالغة قاطعة ، وهي كون الجنة لهم بصفة الخلوص فناسب ذكر « لن » فيها ودعواهم فى الجمـعة قاصرة مردودة ، وهى زعمـهم أنهم أولياء لله فناسب ذكر «لا » فيها

سورة المنافقون

مدنية ، إحدى عشرة آية

الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ﴾ [المنافقون : ١] الآيات ، أخرج البخارى (١) [ق/ ٢٦٣ ب] وغيره عن زيد بن أرقم ، قال : سمعت عبد الله بن أبى يقول لأصحابه : لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ ينقضوا ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فذكرت ذلك لعمي فذكر ذلك عمي للنبى ﷺ ، فدعاني النبي ﷺ فحدثته ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبى وأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فكذبنى وصدقه ، فأصابنى شىء لم يصيبني قط مثله ، فجلست فى البيت ، فقال عمي : ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك ، فأنزل الله ﴿ إِذَا جَاءَكَ ﴾ [المنافقون : ١] فبعث إلى رسول الله ﷺ ، فقرأها فقال : « إن الله قد صدقك » ، وفي بعض طرقه أن ذلك فى غزوة تبوك وأن نزول السورة ليلاً .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ [المنافقون : ٥] الآية .

أخرج ابن جرير عن قتادة قال : قيل لعبد الله بن أبي : لو أتيت النبي ﷺ فاستغفر لك فجل يلوي رأسة فنزلت فيه : ﴿ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ [المنافقون: ٥] الآية .

قوله تعالى : ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ﴾ [المنافقون : ٦] الآية ، أخرج عكرمة عن عروة قال : لما نزلت : ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة : ٨] قال النبي ﷺ : « لأزيدن على السبعين » ، فأنزل الله : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرِ﴾ [المنافقون : ٦] .

وليس فيها منسوخ .

---

(١) حديث رقم (٤٦١٧) . وأخرجه مسلم (٤٦١٧) .

الفصل الثاني في المتشابه منها

قول : ﴿ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون:٧] [ختمه هنا بـ﴿لا يَفْقَهُونَ﴾ [١] وبعده : ﴿ لا يَعْلَمُون ﴾ [المنافقون : ٨] لأن الأول متصل بقوله : ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [المنافقون : ٧] ، وفي معرفتها غموض يحتاج إلى فطنة وفقه، فناسب نفي الفقه عنهم .

والثاني متصل بقوله : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون : ٨] وفي معرفتها غموض ومعرفة يحتاج إلى علم فناسب نفي العلم عنهم ، فالمعنى لا يعلمون أن الله معز أوليائه ، ومذل أعدائه ، والله سبحانه أعلم بمراده .

---

(١) سقط من أ .

سورة التغابن

مكية ، أو مدنية ، ثماني عشرة آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُم ﴾ [التغابن : ١٤] الآية ، قال ابن عباس [ق / ٣٣٢أ] كان الرجل يسلم فإذا أراد أن يهاجر منعه أهله وقالوا : ننشدك الله أن لا تذهب وتدع أهلك وعشيرتك وتصير إلى المدينة بلا مال ولا أهل فمنهم من يرق له فيقيم فلا يهاجر ، ومنهم من يهاجر ، فأنزل الله هذ الآية .

قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦] الآية ، أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت :﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِه ﴾ [آل عمران:١٠٢] أشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم ، فأنزل الله تخفيفاً على المسلمين : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦] الآية .

ففي هذه السورة ناسخ ،وهو قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦] الآية نسخ قوله تعالى : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِه ﴾ [آل عمران : ١٠٢] وليس فيه منسوخ .

الفصل الثاني فى المتشابه منها

قوله : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [التغابن : ١] ، وبعد ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ [التغابن : ٤] إنما كرر « ما » فى أول السورة لاختلاف تسبيح أهل الأرض وأهل السماء فى الكثرة والقلة والبعد والقرب من المعصية والطاعة ، وكذلك ﴿ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُون ﴾ [التغابن : ٤] فإنهما ضدان ولم [يكرر مع] [١] يعلم لأن الكل [ق / ٢٦٤ ب] بالإضافة إلى علم الله سبحانه جنس واحد لا يخفى عليه شيء .

قوله : ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [التغابن : ٩] ، ومثله الطلاق سواء لكنه زاد هنا ﴿ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ [التغابن : ٩] لأن في هذه السورة جاء بعد قوله : ﴿ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا ﴾ [التغابن : ١٦] الآيات فأخبر عن الكفار بسيئات تحتاج إلى تكفير إذا آمن بالله ولم يتقدم الخبر عن الكفار بسيئات فى الطلاق فلم يحتج إلى ذكرها .

(١) فى أ : يكن مرجع .

سورة الطلاق
مدنية، ثلاث عشرة آية
الفصل الأول في أساب نزولها

قوله تعال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِن﴾ [الطلاق : ١] الآية، روى قتادة عن أنس(١) قال : طلق رسول الله ﷺ حفصة ، فأنزل الله هذه الآية، وقيل له : راجعها فإنها صوامة قوامة ، وهي من إحدي أزواجك ونساءك في الجنة .

وقال السدي : نزلت في عبد الله بن عمر ، وذلك أنه طلق امرأته حائضاً، فأمره رسول الله ﷺ أن يراجعها ويمسكها حتى تطهر ثم تحيض حيضة أخرى ، فإذا طهرت طلقها إن شاء قبل أن يجامعها فإنها العدة التي أخبر الله بها .

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِب﴾ [الطلاق : ٢، ٣] الآية .

نزلت (٢) فى عوف بن مالك الأشجعى ذلك أن المشركين أسروا ابناً له فأتى رسول ﷺ وشكى إليه الفاقة ، وقال : إن العدو أسر ابني وجزعت الأم فما تأمرني ؟ ، فقال النبي ﷺ : « اتق الله واصبر وآمرك وإياها أن تستكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله ، فعاد إلى بيته ، وقال لامرأته : إن رسول الله ﷺ [ق/ ٣٣٣ أ] أمرني وإياك أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فقالت : نعم ما أمرنا به فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنه ، فساق عنمهم وجاء بها إلى المدينة ، وهى أربعة آلاف شاة ، فنزلت الآية .

قوله تعالى : ﴿وَاللائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُم ﴾ [الطلاق : ٤] الآية ، قال

---

(١) انظر « أسباب النزول » للواحدى (ص / ٦٨١) .

(٢) السابق .

مقاتل[١] لما نزلت ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِن﴾ [البقرة : ٢٢٨] الآية قال خلاد بن النعمان بن قيس الأنصاري : يا رسول الله فما عدة التى لا تحيض وعدة التى لم تحض وعدة الحبلى ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وأخرج الواحدي [٢] عن أبى عثمان عمرو بن سالم قال : لما نزلت عدة النساء بسورة البقرة فى المطلقة ، والمتوفى عنها زوجها ، قال أبي بن كعب : يا رسول الله إن نساء من أهل المدينة يقلن قد نفي من النساء من لم يذكر فيها شيء ، [قال :] [٣]وما هو؟ قال : الصغار والكبار وذوات الحمل ، فنزلت هذه الآية ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ ﴾ [الطلاق : ٤] .

وفى هذه السورة ناسخ ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [الطلاق : ٢] ، وليس فيها منسوخ .

---

(١) « أسباب النزول » (ص / ٦٨٣) .

(٢) السابق (ص / ٦٨٤) .

(٣) سقط من أ .

الفصل الثاني فى المتشابه منها

قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق : ٢] ذكره ثلاث مرات وختم الأولى بقوله : ﴿ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق : ٢ ، ٣] .

والثاني بقوله : ﴿ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٤] .

والثالث بقوله : ﴿ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق : ٥] أشار إلى تعداد النعم المرتبة على التقوى من أن الله يجعل لم اتقاه فى دنياه مخرجًا من كرب الدنيا والآخره ويرزقه من حيث لا يخطر بباله ويجعل له فى دنياه وآخرته من أمره يسراً ويكفر عنه [فى آخرته][1] سيئاته ويعظم به أجره ، والله أعلم .

(١) سقط من أ .

سورة التحريم
مدنية ، ثنتا عشر آية
الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم : ١] أخرج الواحدى (١) عن ابن عباس عن عمر قال : دخل رسول الله ﷺ بأم ولده مارية فى بيت حفصة فوجدته حفصة معها فقالت له : [أتدخلها] (٢) بيتي ؟ ما صنعت بي هذا من نسائك إلا من هواني عليك ، فقال لها : « لا تذكري هذا لعائشة [ق ٢٦٥ ب] هى علي حرام إن قربتها » قالت حفصة : وكيف تحرم عليك وهي جاريتك ؟ « فحلف لها لا يقربها ، وقال لها : « لا تذكريه لأحد ؟ فذكرته لعائشة ، فألى أن لا يدخل على نسائه شهراً واعتزلهن تسعاً وعشرين ليلة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾[التحريم : ١] .

وروى البخاري ومسلم (٣) عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يحب الحلوى والعسل وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فدخل على حفصة بنت عمر واحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس فعرفت فسألت عن ذلك فقيل لى: أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت منه النبي ﷺ فشربه ، قلت : أما والله لنحتالن عليه . فقلت لسودة بنت زمعة إنه سيدنو منك إذا دخل عليك، فقولي له يا رسول الله أكلت مغافير ؟ ، فإنه سيقول لك : سقتني حفصة شربة عسل [ق / ٣٣٤ أ] ، فقولي له : جرست نحله العرفط ، وسأقول ذلك وقولى له أنت يا حفصة كذلك ، قال : تقول سودة ، فوالله ما هو إلا أن قام على الباب فكدت أن أناديه بما أمرتني به فلما دنا منها قالت له

(١) « أسباب النزول » (ص / ٦٨٥) .
(٢) فى ب : لم تدخلها .
(٣) أخرجه البخارى (٥٢١٦) ومسلم (١٤٧٤) .

سودة : يا رسول الله أكلت مغافير ؟ قال : « لا » قالت « فما هذه الريح التي أجد منك، قال : «سقتني حفصة شربة عسل » ، قالت : جرست نحله العرفط ، قالت : فلما دخل علي قلت له مثل ذلك فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك فلما دار إلى حفصة قالت به : يا رسول الله أسقيك منه ، قال : « لا حاجة لي فيه » قالت: تقول سودة : سبحان الله والله لقد حرمناه ، قالت : قلت لها اسكني.

وفي رواية ابن أبي مليكة أن سودة بنت زمعة هي التي سقته العسل وجرت القصة فيها ونزلت الآية فيها .

قوله تعالى : ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ [التحريم : ٤] الآية .

أخرج الواحدي (١) عن عبد الله بن عبد الله بن عباس قال : وجدت حفصة رسول الله ﷺ مع أم إبراهيم في يوم عائشة ، فقالت : لأخبرنها ، فقال رسول الله ﷺ : « **هي علي حرام إن قربتها** » ، فأخبرت عائشة بذلك فأعلم الله رسوله ذلك فعرف حفصة بعض ما قالت ، فقالت له « من أخبرك؟ قال : «**نبأني العليم الخبير فآلى رسول الله ﷺ من نسائه شهراً فأنزل الله تعالى قوله** ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم : ٤] .

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ .

(١) « أسباب النزول » (ص / ٦٨٨) .

الفصل الثاني فى المتشابه منها

قوله : ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم:٥] فإن قلت: لم ذكر الواو في ﴿ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم : ٥] وحذفها فى بقية الصفات قلت لأن ﴿ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم : ٥] مباين للثيبات فذكر بالواو لامتناع اجتماعهما فى ذات واحدة بخلاف بقية الصفات لا تباين فيها ، فذكرت بالواو . . انتهى .

سورة الملك
مكية ، ثلاثون آية
الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ﴾ [الملك : ١٣] الآية ، قال ابن عباس [١] : نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيخبره جبريل بما قالوا فيه ونالوا منه ، فيقول بعضهم لبعض : أسروا قولكم كي لا يسمع إله محمد .

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ .

(١) انظر : « أسباب النزول » الواحدي (ص / ٦٩١) .

الفصل الثاني في المتشابه منها

قوله : ﴿ فارْجِعِ الْبَصَرَه ﴾ [الملك٣] وبعده ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْن ﴾ [الملك : ٤] أي مع الكرة الأولى، وقيل : هي ثلاث مرات أي ارجع البصر فهذه مرة : ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْن ﴾ [الملك : ٤] فمجموعها ثلاث مرات .

وقلت : يحتمل أن تكون أربع مرات لأن قوله ارجع يدل على سابقة مرة .

قوله : ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْض ﴾ [الملك : ١٦] ليس بتكرار مع قوله : ﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ﴾ [الملك : ١٧] لأن الأول في تخويفهم بخسف الأرض بهم والناس في تخويفهم بالحصب من السماء وقدم الأول لأن الأض التي جعلها الله مقراً لهم وعبدوا فيها غيره أقرب إليهم من السماء البعيدة عنهم ، إن قلت : كيف قال : ﴿ مَّن فِي السَّمَاء﴾ [الملك : ١٧] مع أنه تعالى ليس فيها ولا في غيرها بل هو تعالى منزه عن كل مكان ؟ قلت : المعنى من ملكوته في السماء التي هى [ق / ٣٣٥ أ] مسكن ملائكته ومحل عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ، وفيها تنزل أقضيته وكتبه .

خاتمة

قال القربطي : روي الترمذي عن ابن عباس قال : ضرب رجل من أصحاب رسول الله ﷺ خبأه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ضربت خبأي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا هو قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فقال النبي ﷺ : « **هى المانعة المنجية تنجيه من عذاب القبر** » .

قال : هذا حديث حسن غريب .

وعنه ﷺ : « **وددت أن تبارك بيده الملك في قلب كل مؤمن** » ذكره الثعلبي .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إن سورة من كتاب الله عز وجل ما هى إلا ثلاثون آية شفعت لرجل حتى أخرجته من النار يوم القيامة وأدخلته الجنة وهي سورة تبارك ، خرجه الترمذي بمعناه ، وقال فيه حديث حسن .

وقال ابن مسعود : إذا وضع الميت في قبره فيؤتى من قبل رجليه ، فيقال : ليس لكم عليه سبيل فإنه كان يقوم بسورة الملك على قدميه ، ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول لسانه : ليس لكم عليه سبيل فإنه كان يقرأ سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطنب .

وروى :« أنه من قرأها فى كل ليلة لم يضره الفتان » .

سورة ن
مكية ، ثنتان وخمسون آية
الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [ن :٤] وأخرج الواحدي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : ما كان أحد أحين خلقاً من رسول الله ﷺ ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال : « لبيك » ولذلك أنزل الله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [ن : ٤].

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ [ن : ١٠] أخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ [ن : ١٠] قال : نزلت في الأخنس بن شريعه؟

وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال : نزلت فى الأسود بن عبد يغوث .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ [ن : ١٧] الآية ، أخرج ابن أبى حاتم عن ابن جريج أن أبا جهل قال يوم بدر : خذوهم أخذاً فاربطوهم فى الجبال ولا تقتلوا منهم أحداً ، فنزلت : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ [ن : ١٧] [يقول فى قدرتهم عليهم كما اقتدر أصحاب الجنة] [(١)] على الجنة .

قوله تعالى : ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾ [ن : ٥١] الآية ، نزلت حين أراد الكفار أن يعينوا رسول الله ﷺ ويصيبوه بالعين فنظر إليه قوم من قريش وقالوا : ما رأينا مثله ولا مثل حججه ، وكانت العين فى بني أسد حتى إن كانت الناقة السمينة والبقرة السمينة تمر بأحدهم فيعاينها ثم يقول : يا جارية خذي المكتل والدرهم فأتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت، فتنحر .

---

(١) سقط من أ .

وقال الكلبي : كان رجل يمكث لا يأكل يومين أو ثلاثة ثم [يرفع][1] جانب خبائه ، فتمر النعم فيقول : لم أر كاليوم إبلاً ولا غنماً أحسن من هذه فما تذهب إلا قريباً حتى تسقط [ق / ٢٦٧ ب] منها طائفة وعدة فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه وأنزل هذه الآية . . انتهى .

(١) فى أ : يرجع .

الفصل الثاني فى منسوخها

وهى آيتان : الأولى : ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ [ن : ٤٤] ، الثانية : ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ [ن : ٤٨] أي إذا انفرد بعذابهم فمنسوخة بالسيف ، أو تحزن عليهم واصبر على التبليغ فمحكمتان . . انتهى

الفصل الثاني في المتشابه منها

قوله تعالي : ﴿ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [ن : ١٠] إلى قوله تعالى : ﴿ زَنِيمٍ﴾ [ن : ١٣] أوصاف تسعة لم يدخل بينها واو العطف ولا بعد السابع فدل على ضعف القول بواو الثمانية .

سورة الحاقة

مكية ، إحدى أو ثنتان وخمسون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٢] ، أخرج الواحدي [١] عن عبد الله بن الزبير قال : سمعت صالح بن هشيم يقول : قال رسول الله ﷺ : « **لعلي إن الله أمرني أن أدنيك ولا أقصيك وأن أعملك وتعي وحق على الله أن تعي** » ، فنزلت : ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٢] .

وليس في هذه السورة ناسخ ولا منسوخ .

---

(١) « أسباب النزول » (ص / ٦٩٥) .

الفصل الثاني فى المتشابه منها

قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ [ن : ١٩] بالفاء ، وبعده ﴿وَأَمَّا﴾ [ن : ٢٥] بالواو لأن الأول متصل بأحوال القيامة وأهوالها فاقتضى الفاء للتعقيب ، والثاني متصل بالأول فأدخل الواو لأنه للجمع .

وقوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) ﴾ [الحاقة : ٤١ ، ٤٢] خص ذكر الشعر بقوله : ﴿مَّا تُؤْمِنُون ﴾ [الحاقة : ٤١] لأن من قال : القرآن شعر ومحمد شاعر بعدما علم اختلاف آيات القرآن فى الطول والقصر واختلاف حروف مقاطعه فلكفره وقلة إيمانه فإن الشعر كلام موزون مقفى ، وخص ذكر الكهانة بقوله : ﴿ مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الحاقة : ٤٢] لأن من ذهب إلى أن القرآن كهانة وأن محمداً كاهن فهو ذاهل عن كلام الكهان فإن إسجاع لا معاني تحتها وأوضاع تنبو الطباع عنها ولا يكون في كلامهم ذكر الله .

سورة المعارج
مكية ، أربع وأربعون آية
الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ﴾ [المعارج : ١] الآيات نزلت [١] في النضر بن الحارث حين قال : ﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾ [الأنفال :٣٢] الآية ، فدعى على نفسه وسأل العذاب ، فنزل به مما سأل يوم بدر فقتل صبراً، ونزل فيه : ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ [المعارج : ١] .

قوله تعالى : ﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا﴾[المعارج : ٣٨ ، ٣٩] قال المفسرون[٢] : كان المشركون يجتمعون حول النبي ﷺ ويستمعون كلامه ولا ينتفعون به بل يكذبون به ويستهزئون ويقولون : لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم وليكونن لنا فيها أكثر مما لهم ، فأنزل الله هذه الآية .

---

(١) انظر « أسباب النزول » (ص / ٦٩٧) .

(٢) السابق .

الفصل الثانى فى منسوخها

وهى آيتان

الأولى قوله [/ ٣٣٧ أ] : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلا ﴾ [المعارج : ٥] نسختها آية السيف .

الآية الثانية : ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا﴾ [المعارج : ٤٢] أيضاً بآية السيف .

وقيل : محكمتان والأمر فيهما للتهديد . . انتهى

الفصل الثالث فى المتشابه منها

قوله تعالى : ﴿ إِلاَّ الْمُصَلِّين ﴾ [المعارج : ٢٢] ذكر عقب الخصال المذكورة أول سورة المؤمنين ، وزاد فيها : ﴿ وَالَّذينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُون﴾ [المعارج : ٣٢] وإقامة الشهادة أمانة يؤديها إذا احتاج إليها صاحبها لإحياء حق فهي إذن من جملة الأمانة ، وقد ذكرت الأمانة في سورة المؤمنين ، وخصت هذه السورة بزيادة بيانها كما خصت بإعادة ذكر الصلاة حيث قال :﴿ وَالَّذينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَافِظُون﴾ [المعارج : ٣٤] بعد قوله : ﴿ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ دَائِمُون﴾ [المعارج : ٢٢ ، ٢٣] .

سورة نوح
مكية، ثمان أو تسع وعشرون آية
الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ [نوح: ١٠]، أخرج ابن مردويه عن سلمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا من الاستغفار فإن الله لم يعلمكم الاستغفار إلا وهو يريد أن يغفر لكم.

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ [نوح: ١٥]، أخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن الحسن ﷺ ﴿سَبْعَ سَمٰوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ [نوح: ١٥] قال بعضهن فوق بعض بين كل أرض وسماء خلق وأمر، وفي قوله: ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦] قال: وجوههما في السماء وظهورهما إليكم.

وأخرج ابن المنذر عن عكرمة ﷺ في قوله ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ [نوح: ١٦] قال: إنه يضيء نور الشمس فيهن كلهن لو كان سبع زجاجات أسفل منهن شهاب أضاءت من كلهن فكذلك نور القمر فى السموات كلهن لصفائهن.

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وأبو الشيخ عن عطاء ﷺ ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾، وقال يضيء لأهل السموات كما يضيء لأهل الأرض.

وأخرج أبو الشيخ عن عباس ﷺ في قوله ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ [نوح: ١٦] قال وجهه يضيء السماوات وظهره يضيء الأرض.. انتهى من «الدر المنثور».

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ.

الفصل الثاني فى المتشابه منها

قوله : ﴿ قَالَ نُوحٌ ﴾ [نوح:٢١] بغير واو ، ثم قال : ﴿ وَقَالَ نُوح ﴾ [نوح: ٢٦] بزيادة الواو لأن الأولى ابتداء دعاء ، والثاني عطف عليه .

قوله ﴿ قَالَ نُوحٌ ﴾ [نوح: ٢٤] ، وبعده : ﴿ إِلاَّ تَبَارًا ﴾ [نوح : ٢٨] لأن الأول وقع بعد قوله : ﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا ﴾ [نوح : ٢٤] والثاني بعد قوله : ﴿ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْض ﴾ [نوح : ٢٦] فذكر في كل مكان ما اقتضاه وما شاكل معناه . . انتهى .

سورة الجن
مكية ، ثمان وعشرون آية
الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ [الجن :١] الآيات ، أخرج البخارى(١) والترمذي وغيرهما عن ابن عباس ﵄ قال : انطلق النبى ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إبى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين حبر السماء ، وأرسلت [ق / ٣٣٨ أ] عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : ما لكم ، فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأض ومغاربها ، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فانصرف أولئك الذين توجهوا إلى تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا : هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهناك حين رجعوا إلى قومهم قالوا : يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً ، فأنزل الله على نبيه ﷺ ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِ﴾ [الجن : ١] وإنما أوحي إلي قول الجن .

أخرج ابن الجوزي (٢) فى كتاب « صفة الصفوة » بسنده عن سهل بن عبد الله ﷺ قال : كنت فى ناحية ديار عاد إذ رأيت مدينة فى حجر منقور في وسطها قصر من حجارة تأويله الجن فدخلت ، فإذا شيخ عظيم الخلق يصلي نحو الكعبة وعليه جبة صوف فيها طراوة فلم أتعجب من عظم خلقته كتعجبي

(١) أخرجه البخارى (٧٣٩) ومسلم (٤٤٩) والترمذى (٢٣٢٣) .
(٢) انظر « صفة الصفوة » (٤ / ٤٤٤) .

من طراوة جبته ، فسلمت عليه فرد علي السلام ، وقال : يا سهل إن الأبدان لا تخلق الثياب وإنما يخلقها روائح الذنوب ومطاعم السحت وإن هذه الجبة عليّ منذ سبعمائة سنة لقيت بها عيسي ومحمداً عليهما السلام ، فآمنت بهما ، فقلت له : ومن أنت ؟ قال : أنا من الذين فيهم : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِ﴾ [الجن : ١] [ق / ٢٦٩ب] .

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والعقيلي فى « الضعفاء » والطبراني وأبو الشيخ فى « العظمة » وابن مردويه وابن عساكر عن كردم بن أبي السائب الأنصاري قال : خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة ، وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة فأوانا المبيت إلى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملاً من الغنم ، فوثب الراعي ،فقال : يا عامر الوادي جارك فنادي مناد: لا نراه يا سرحان أرسله فأتي الحمل يشتد حتى دخل في الغنم ، وأنزل الله على رسول الله بمكة : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ﴾ [الجن : ٦] الآية .

قوله تعالى : ﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾ [الجن : ١٦] قال: نزلت في كفار قريش حين منعوا المطر سبع سنين .

قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن : ١٨] ، أخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن ابن عباس قال : قالت الجن : يا رسول الله ائذن لنا فنشهد معك الصلوات فى مسجدك ، فأنزل الله : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن : ١٨] .

قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ ﴾ [الجن : ٢٢] ، أخرج ابن جرير عن حضرمي أنه ذكر له [أن] [1]جنياً من الجن من أشرافهم ذا تبع قال : إنما يريد محمد أن يجيره وأنا أجيره ، فأنزل الله : ﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَد ﴾ [الجن : ٢٢] [ق / ٣٣٩ أ] .

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ . . انتهى .

---

(١) سقط من أ.

الفصل الثاني فى المتشابه منها

قوله : ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ [الجن : ٣] كرر « أن » مرات واختلف القراءة فى اثني عشر منها وهي من قوله : ﴿ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ ﴾ [الجن : ٣] إلى قوله : ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُون ﴾ [الجن : ١٤] ففتحها بعضهم عطفاً على [﴿ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّه﴾ وكسرها بعضهم عطفاً على قوله] (١) قوله : ﴿ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا ﴾ [الجن : ١] وبعضهم فتح ﴿ وَأَنَّه﴾ عطفاً على﴿ وَأَنَّه﴾ وكسر ﴿ إِنَّا ﴾ عطفاً على﴿ إِنَّا ﴾ وهو شاذ .

(١) سقط من أ .

سورة المزمل

مكية ، أو إلا قوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ [المزمل : ٢٠] إلى آخرها

فمدني ، تسع عشرة ، أو عشرون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ [المزمل : ١] ، أخرج البزار والطبراني (١) بسند واه عن جابر قال : اجتمعت قريش فى دار الندوة ، [فقالت] (٢) : سموا هذا الرجل اسماً يصدر الناس عنه ، قالوا : كاهن ، قالوا : ليس بكاهن، قالوا : مجنون ، قال : ليس بمجنون ، قالوا : ساحر ، قالوا : ليس بساحر ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فتزمل في ثيابه وتدثر فيها ، فأتاه جبريل ، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ [المزمل : ١] ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ [المدثر : ١] .

وأخرج ابن أبى حاتم عن إبراهيم النخعي فى قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾ [المزمل : ١] قال : نزلت وهو في قطيفة .

أخرج الحاكم عن عائشة قال : لما أنزل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [المزمل : ١ ، ٢] قاموا سنة حتى ورمت أقدامهم ، فأنزلت : ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ [المزمل : ٢٠] .

---

(١) ضعيف جداً : أخرجه الطبراني فى الأوسط (٢٠٩٦) وفيه معلي بن عبد الرحمن الواسطي وهو كذب . قال عن الذهبي : كذبه الدار قطنى ، وقال ابن حجر : متهم بالوضع .

(٢) فى أ : فقال .

الفصل الثاني في المنسوخ منها

وهو أربع آيات

الآية الأولى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلا ﴾ [المزمل : ١ ، ٢] أوجب التهجد عليه عليه الصلاة والسلام كل الليل إلا قليلاً ، فأخرج بعضه ثم بينه بقوله : ﴿ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلا ﴾ [المزمل : ٣] وهو الثلث أو زد عليه الثلثان فخيره بين الثلث والنصف والثلثين .

وقال ابن عباس وعائشة : كان واجباً على أمته أيضاً فقامه هو وأصحابه وكانوا لا يعلمون الأوقات وكانوا يقومونه كله حتى ورمت أقدامهم وأصفرت ألوانهم ، وقيل : كان ندباً لهم ، وقيل : فرض له مندوب [ق / ٢٧٠ب] لهم .

قال ابن عباس : وهي منسوخه بقوله : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ [المزمل : ٢٠] وعبر عن الصلاة بالقراءة كما عبر عنها أولا بالقيام وكان بين أولها وآخرها سنة ، وقيل : عشر وقد نسخ الأجزاء المقدرة بجزء مطلق تخفيفاً ، ثم نسخ عنهم بالصلوات الخمس ، وفي نسخه عنه وجهان ، قال المتولي والماوردي: منسوخ ، وغيرهما محكمة .

والثانية : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ ﴾ [المزمل : ١٠] .

الثانية : ﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المزمل : ١١] .

والرابعة : ﴿ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ ﴾ [المزمل : ١٩] هى منسوخات بالسيف ، وقيل : محكمات أي أصبر على التبليغ ولا تخالطهم ، والأخيرتان تهديد .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قـوله : ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمـل : ٢٠] ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المـزمـل : ٢٠] لأن الأول في الفرض ، وقـيل : فى النافلة ،وقـيل : خارج الصلاة، ثم ذكر سبب التخفيف فقال : ﴿سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى﴾ [المزمل : ٢٠] ، ثم أعاده فـقال : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ والأكثرون على أنـه في صلاة المغرب والعشاء .

سورة المدثر
مكية ، خمس وخمسون آية
الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر : ١ ، ٢] ، روي مسلم (١) عن جابر قال : حدثنا رسول الله ﷺ [ق / ٣٤٠ م] قال : « جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر أحداً ، ثم نوديت فنظرت فلم أر أحداً ، ثم نوديت ، فرفعت رأسي ، فإذا هو على العرش في الهواء - يعني جبريل - فقلت : « دثروني دثروني» فصبوا على ماء بارداً ، فأنزل الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ [المدثر : ١ ، ٢] الآية .

قوله تعالى ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ [المدثر : ١١] ، أخرج الحاكم وصححه والبيهقي فى « الدلائل » عن ابن عباس ﷺ أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن ، فكان يرق له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه فقال : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً فيعطونكه فإنك أتيت محمداً تتعرض لما قبله ، قال : قد علمت قريش إني من أكثرها مالاً ، قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له وأنك كاره له ، قال : فماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذى يقول شيئاً من هذا والله إن لقوله الذي يقوله حلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو ولا يعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته ، قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال : فدعني حتى أفكر فلما فكر قال : هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره ، فنزلت ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ

(١) أخرجه البخارى (٤٦٣٨) ومسلم (١٦١) .

وَحِيداً﴾ [المدثر : ١١] .

وليس فيها منسوخ ، إلا ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ [المدثر : ١١] نسخ بالسيف والمختار إحكامها ، وهو تهديد .

الفصل الثاني في المتشابه منها

قوله : ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠)﴾ [المدثر : ١٨ ، ١٩ ، ٢٠] أعاد كيف قدر مرتين وأعاد قدر ثلاث مرات لأن التقدير أنه أي الوليد ابن المغيرة فكر في شأن محمد ﷺ وما أتى به وقدر ما يمكنه أن يقول فيهما فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ [المدثر : ١٩] أي القول في محمد ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ [المدثر : ٢٠] أي القول في القرآن .

قوله : ﴿كَلاَّ بَل لاَّ يَخَافُونَ الآخِرَةَ (٥٣) كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٤) ﴾ [المدثر : ٥٤ ، ٥٥] ، وفي عبس : ﴿ إِنَّهَا تَذْكِرَةَ﴾ [عبس : ١١] لأن تقدير الآية في هذه السورة أن القرآن تذكرة ، وفي عبس أن آيات القرآن تذكرة ، وقيل : حمل التذكرة على التذكير ؛ لأنها بمعناه .

سورة القيامة

مكية ، أربعون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾ [القيامة : ٣] ، نزلت [١] في عدي بن ربيعة وذلك أنه أتى النبي ﷺ ، فقال : حدثني عن يوم [ق / ٢٧١ب] القيامة متى يكون وكيف أمرها وحالها ؟ ، فأخبره النبي ﷺ بذلك، فقال : لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أومن به ، أو يجمع الله هذه العظام ؟ فأنزل الله هذه الآية .

الفصل الثاني فى المنسوخ منها

وهى آية واحدة ، وهي قوله تعالى : ﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ ﴾ [القيامة : ١٦] هي منسوخة بقوله : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَى ﴾ [الأعلى : ٦] . انتهى .

(١) انظر : « أسباب النزول » للواحدى (ص / ٦٩٧) .

الفصل الثالث فى المتشابه منها

قوله : ﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة : ١] ثم أعاد فقال : ﴿ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة : ٢] [ق / ٣٤١ أ] فيه ثلاث أحوال .

أحدها : أنه سبحانه أقسم بهما .

والثانى : لم يقسم بهما .

والثالث : أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس ، وقد سبق بيانه فى التفسير .

قوله : ﴿ وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ [القيامة : ٨] وكرره في الآية الثانية ﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة : ٩] لأن الأول عبارة عن بياض العين بدليل قوله : ﴿ وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ [القيامة : ٨] وكرره فى الآية الثانية ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ [القيامة : ٩] لأن الأول عبارة عن بياض العين بدليل قوله : ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴾ [القيامة : ٧] وفيه قول ثان ، وهو قول الجمهور أنهما بمعنى واحد وجاز تكراره لأنه أخبر [عنه] (١) بغير الخبر الأول ، وقيل : الثاني واقع موقع الكناية ، كقوله : ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ ﴾ [المجادلة : ١] فصرح تعظيماً وتفخيماً وتيمناً .

قلت : ويحتمل أن يقال : أراد بالأول الشمس قياساً على القرين ولهذا ذكر ، فقال : ﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [القيامة : ٩] أي جمع القرينان فإن التثنية أخت العطف ، وهي دقيقة قوله : ﴿ أَوْلَىٰ ﴾ [القيامة : ٣٤] تام في الذم ، فإن جمهور المفسرين ذهبوا إلى أنه للتهديد وإنما كررها لأن المعنى أولى لك الموت فأولى لك العذاب فى القبر ثم أولى لك أهوال القيامة ، ثم أولى لك عذاب النار نعوذ بالله منها .

---

(١) فى أ : أنه .

سورة الإنسان

مكية، أو مدنية، إحدى وثلاثون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا ﴾ [الإنسان : ٨] الآيات ، قال عطاء عن ابن عباس (١) : وذلك أن عليًّا بن أبي طالب أجر نفسه يسقي نخيلاً بشيء من شعير ليلة حتى أصبح وقبض الشعير وطحنوا ثلثه فجعلوا منه شيئاً ليأكلوه يقال له الخزيرة ، فلما تم إنضاجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام ، ثم عمل الثلث الثاني ، فلما تم إنضاجه أتى يتيم فأطعموه ، ثم عمل الثلث الباقي، فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين ، فسأل فأطعموه وطووا يومهم ذلك ، فأنزل الله فيهم هذه الآية .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾ [الإنسان : ٢٠] ، أخرج ابن المنذر عن عكرمة قال : دخل عمر بن الخطاب على النبي ﷺ وهو راقد على حصير من جريد ، وقد أثر فى جنبه فبكى عمر ، فقال : « ما يبكيك ؟ » قال : ذكرت كسرى وملكه وهرمز وملكه وصاحب الحبشة وملكه وأنت يا رسول الله على حصير من جريد ، فقال رسولِ الله ﷺ : « أما ترضى أن لهم الدنيا ولنا الآخرة » ، فأنزل الله : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان : ٢٠] .

قوله : ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ [الإنسان : ٢٤] ، أخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن قتادة أنه بلغه أن أبا جهل قال : لئن رأيت محمداً يصلي لأطأن عنقه ، فأنزل الله ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ [الإنسان : ٢٤] .

---

(١) انظر « أسباب النزول » للواحدى (ص / ٧٠٥) .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو أربع آيات

الآية الأولى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ [الإنسان : ٨] منسوخة بالزكاة، وقيل : محكمة وهو مندوب .

الثانية : ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ [الإنسان : ٢٤] نسخ الصبر بآية السيف ومعناها [ق / ٣٤٢ أ] الكف عنهم ، وقيل محكمة ومعناها أداء الفرائض وتبليغ الرسالة .

الثالثة : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ [الإنسان : ٢٦] قال ابن زيد: أوجب آخرها عليه الصلاة والسلام قيام الليل وهي منسوخة بقوله [ق / ٢٧٢ ب] ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فتهجد ﴾ [الإنسان : ٢٦] أي بعضه ، والمختار إحكامها، ومعناها صل بكرة الصبح وأصيلا الظهرين ومن الليل فاسجد له العشائين وسبحه ليلاً طويلاً تطوعاً .

الرابعة : ﴿ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ [الإنسان : ٢٩] منسوخة ، قيل : بقوله : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الإنسان : ٣٠] والمختار أنه بيان .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم ﴾ [الإنسان : ١٥] وبعده : ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ ﴾ [الإنسان : ١٩] إنما ذكر الأول بلفظ المجهول لأن المقصود ما يطاف به لا الطائفون، ولهذا قال ﴿ بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّة ﴾ [الإنسان : ١٥] ، ثم ذكر الطائفين فقال: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾ [الإنسان : ١٩] .

قوله : ﴿ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ [الإنسان :٥] وبعدها: ﴿ زَنجَبِيلا ﴾ [الإنسان : ١٧] لأن الثانية غير الأولى، وقال كافوراً اسم علم لذلك الماء واسم الثاني: ﴿ زَنجَبِيلا﴾ [الإنسان] وقيل : اسمها سلسبيلاً .

قال ابن المبارك : سل من الله سبيلاً إليه ويجوز أن يكون اسمها [زنجبيلا ، ثم ابتدأ فقال : سلسبيلا) ويجوز أن يكون اسمها](١) هذه الجملة كقوله تأبط شراً وبرق نحره ، ويجوز أن يكون معنى تسمي تذكر ، ثم قال الله : ﴿سَلْسَبِيلاً ﴾ [الإنسان] واتصاله فى المصحف لا يمنع هذا التأويل لكثرة أمثاله فيه فتأمل .

(١) سقط من أ .

سورة المرسلات
مكية ، خمسون آية
الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات : ١] الآية ، أخرج البخاري ومسلم(١)والنسائي وابن مردوية عن ابن مسعود ﷺ قال بينما نحن مع النبى ﷺ فى غار بمني إذ نزل عليه سورة المرسلات عرفاً فإنه ليتلوها وإني لأتلقاها من فيه وإن فاه لرطب بها ووثبت علينا حية ، فقال النبي ﷺ : « اقتلوها فابتدرناها فذهبت ، فقال النجاص وقيت شركم كما وقيتم شرها .

وأخرج ابن مردويه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « الرياح ثمان أربع منها عذاب وأربع منها رحمة ، فالعذاب منها العاصف والصرصر والعقيم والعاتية ، والرحمة منها الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات فيرسل الله المرسلات فتثير سحاباً ، ثم يرسل المبشرات فتلقح السحاب ، ثم يرسل الذرايات فتحمل السحاب فتدر كما تدر اللقحة ثم تمطر وهن اللواقح ، ثم يرسل الناشرات فتنشر ما أراد .

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ ﴾ [المرسلات : ٤٨] ، أخرج عبد ابن حميد وبن جرير وابن المنذر عن قتادة : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات : ٤٨] قال عليكم بإحسان الركوع فإن الصلاة من الله بمكان قال : وذكر لنا أن حذيفة رأي رجلاً يصلي ولا يركع كأنه بعير نافر ، قال : لو مات هذا ما مات على شيء من سنة الإسلام .

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ . .انتهى .

(١) أخرجه البخارى (١٧٣٣) ومسلم (٢٢٣٤) .

الفصل الثاني فى المتشابه منها

قوله : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [الإنسان : ٤٩] [ق / ٣٤٣ أ] كل واحدة منها ذكـرت عقب آية غير الأولى فـلا يكون تكراراً مستهـجناً ولو لم يكرر كان متـوعداً على بعض دون بعض ، وقيل : إن من عـادة العرب التكرار والإطناب كمـا فى عادتهم الاقـتصار والإيجـار ولأن بسط الكلام فى الترغـيب والترهيب ادعى إلى إدراك البغية من الإيجاز . . انتهى .

سورة التساؤل
مكية ، إحدى وأربعون آية
الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُون ﴾ الآيات [النبأ : ١] ، أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن الحسن ﷺ قال لما بعث النبي ﷺ جعلوا يتساءلون بينهم ، فنزلت : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ ﴾ [النبأ : ١، ٢] .

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس ﷺ فى قوله : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ ﴾ [النبأ ١ ، ٢] قال القرآن .

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة ﷺ : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ ۝٢ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُون ﴾ [النبأ : ١ ـ ٣] [ق/ ٢٧٣ ب] قال : هو البعث بعد الموت صار الناس فيه رجلين مصدق ومكذب ، فأما الموت فأقروا به كلهم لمعاينتهم إياه واختلفوا فى البعث بعد الموت .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ [النبأ : ٣١] الآيات أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة ﷺ فى قوله : ﴿ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبأ : ٣١] من النار إلى الجنة .

وعن ابن عباس ﷺ فى قوله : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴾ [النبأ : ٣١] أي متنزهاً ﴿ وَكَوَاعِبَ﴾ [النبأ : ٣٣] نواهد ﴿ أَتْرَابًا ﴾ [النبأ :٣٣] قال : مستويات ﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ : ٣٤] قال : أي ممتلئاً .

وليس منها ناسخ ولا منسوخ .

الفصل الثاني: في المتشابه منها

قوله - عز وجل - ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ [النبأ: ٤، ٥]قيل: التكرار للتأكيد، وقيل: الأول عند النزع والثاني في القيامة، وقيل: الأول ردع عن الاختلاف الثاني عن الكفر.

قوله: ﴿جَزَاءً وِفَاقًا ۝٢٦﴾ [النبأ: ٢٦] وبعده: ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ۝٣٦﴾ [النبأ: ٣٦] لأن الأول للكفار، وقد قال الله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] فيكون جزاؤهم على وفق أعمالهم، والثاني للمؤمنين وجزاؤهم وافيًا كافيًا، فلهذا قال: ﴿حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦] أي كافياً من قولك: حسبي وكفاني.

سورة النازعات

قوله تعالى : ﴿ وَالنَّازِعَاتِ ﴾ [النازعات: ١] ، قال في «الدر المنثور » : أخرج سعيد بن منصور وابن المنذر عن علي رضي الله عنه في قوله : ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ [النازعات: ١] [قال: هي الملائكة تنزع أرواح الكفار ، ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ هي الملائكة (١) تنشط أرواح الكفار مما بين الأظافر والجلد حتى تخرجها ﴿ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ [النازعات : ٣] هي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين بين السماء والأرض ﴿ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ [النازعات : ٤] هي الملائكة يسبق بعضها بعضًا بأرواح المؤمنين إلى الله ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥] هي الملائكة تدبر أمر العباد من السنة إلى السنة .

وأخرج سعيد بن منصور عن محمد بن كعب قال لما نزل قوله : ﴿ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴾ [النازعات: ١٠] قال كفار قريش : لئن أحيينا بعد الموت لنخسرن، فنزل: ﴿ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾[النازعات: ١٢] انتهى.

وأخرج الحاكم وابن جرير عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ [ق/ ٣٤٤أ] يسأل عن الساعة حتى أنزل عليه : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴾ [النازعات: ٤٢-٤٤] فانتهى.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أن مشركي أهل مكة سألوا النبي ﷺ متى تقوم الساعة؟ استهزاء منهم ، فأنزل الله ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾[النازعات: ٤٢] إلى آخر السورة.

وأخرج الطبراني وابن جرير عن طارق بن شهاب قال: كان رسول الله ﷺ يكثر ذكر الساعة حتى نزلت: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴾ [النازعات: ٤٣، ٤٤] . وليس فيها ناسخ ولا منسوخ . . انتهى.

---

(١) سقط من (أ) .

الفصل الثاني في المتشابه منها

قوله : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴾ [النازعات: ٣٤] ، وفي عبس [الصاخة] لأن الطامة مشتقة من طممت البئر إذا كستها وسميت القيامة طامة لأنها تكسي كل شيء وتكسره ومسيت الصاخة والصاخة الضرب الشديد لأن بشدة صوتها تجثى لها الناس كما ينتبه النائم بالصوت الشديد ، وخصت النازعات بالطامة لأن الطم قبل الصخ، والفزع قبل الصوت فكانت هى السابقة وخصت عبس بالصاخة لأنها بعدها، وهى اللاحقة . . . انتهى .

سورة عبس
مكية، ثنتان وأربعون آية
الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ① أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ [عبس :١، ٢] ،وهو ابن أم مكتوم وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ وهو يناجى عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبياً [ق/ ٢٧٤ب] وأمية [ابنى] [١] خلف ويدعوهم إلى الله ويرجوا إسلامهم، فقام ابن أم مكتوم، فقال : يا رسول الله علمنى مما علمك الله وجعل يناديه ويكرر النداء و لا يدرى أنه مشتغل مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة فى وجه رسول ﷺ لقطعه كلامه وقال فى نفسه : يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والسفله والعبيد فعبس رسول الله ﷺ وأعرض عنه، وأقبل على القوم الذين يكلمهم ،فأنزل الله هذه الآية فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه وإذا رآه قال : « **مرحباً بمن عاتبنى فيه ربي** » [٢] .

قوله تعالى :﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس:٣٧] ، أخرج الواحدي عن أنس بن مالك قال: قالت عائشة للنبى ﷺ : « أنحشر عراة ؟ »، قال : «نعم» قالت : واسوأتاه، فأنزل الله ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ عبس: ٣٧] .

فى منسوخها

وهو آية واحدة هى قوله تعالى : ﴿ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ [عبس : ١٢] منسوخة بآية السيف.

الفصل الثالث فى المتشابه منها

قوله : ﴿ إِنَّهَا ﴾ [عبس :١١] أى الآيات أو السورة .

قوله :﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس : ٣١] ما ترعاه البهائم، وقيل : التبن، وقيل: يابس الفاكهة .

---

(١) فى أ : بن .

(٢) «أسباب النزول» (ص/ ٧٠٧) .

سورة التكوير

مكية ، تسع وعشرون آية

الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير :١] ، عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير :١] [ق/ ٨٣٤٥] قال :أظلمت ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ [التكوير : ٢] قال: تغيرت ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ [التكوير: ٨] تقول : قتلت بلا ذنب،

قوله تعالى ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير : ٢٨] أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن سليمان بن موسى قال : لما نزلت ﴿ شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ قال أبو جهل : ذلك إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم ،فأنزل الله ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير : ٢٩].

الفصل الثاني في منسوخها

وهي آية واحدة هي قوله ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨] نسخت بالآية التي تليها وهي قوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩] .

الفصل الثالث فى المتشابه منها

قوله : ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ [التكوير: ٦] أى أوقدت فصارت ناراً قال ذلك هنا وقال فى الانفطار ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الإنفطار: ٣] أي سالت مياهما على الأرض فصارت بحراً واحداً واختلط العذب بالملح موافقة فى الأول لقوله بعده : ﴿سُعِّرَتْ﴾ [التكوير: ١٢] ليقع الوعيد بتسجير البحار وتسعير النار، وفى الثانى لقوله : ﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ [الإنفطار: ٢] أي تساقطت على الأرض ، وصيرورة البحار ناراً مسجرة وماء [مفجراً] (١) بأن يصير أحدهما فى وقت والآخر فى وقت لطول يوم القيامة.

قوله : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤] أى كل نفس لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ [آل عمران : ٣٠] الآية، إن قلت: لم ختم الآية هنا بقوله ﴿ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤] أي من خير وشر، وفى الانفطار بقوله : ﴿ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ [الانفطار: ٥] أي ما قدمته من الأعمال وما أخرته منها فلم تعلمه،قلت : رعاية للمناسبة لأن جواب الشرط هنا طال بكثرة الفواصل فحسن اختصاره ليوقف عليه وجواب الشرط ثم لم تطل فيه الفواصل فحسن بسطه لتيسر الوقف عليه حينئذ .

---

(١) فى أ: معجزا .

سورة الانفطار

مكية،تسع عشرة آية

الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الإنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الإنفطار:٦] الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة فى قوله، ﴿يَا أَيُّهَا الإنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار:٦] الآية ،قال : نزلت فى أبي بن خلف .

قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الانفطار: ١٠] ،أخرج البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما : قال رسول الله ﷺ :«إن الله ينهاكم عن التعري فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم [إلا عند إحدى] (١) ثلاث حاجات الغائط والجنابة والغسل .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :جعل الله [ق/ ٢٧٥ب] على ابن آدم حافظين فى الليل وحافظين فى النهار يحفظان عمله ويكتبان أثره.

وليس فيها منسوخ انتهى .

---

(١) سقط من أ .

الفصل الثاني فى المتشابه منها

قـوله : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ⑰ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ [الانفـطار: ١٧، ١٨] كرره تعظيماً للدين ،وقيل : الأول للمؤمنين والثانى للكفار .

قوله : ﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾ [الأنفطار: ١٩] إن قلت : كيف قال ذلك مع النفوس المقـبولة الشفاعة تملـك لمن شفعت فيهـا شيئاً وهو الشـفاعة ؟ قلت: المنفى ثبوت الملك بالسلطنة والشفاعة ليست بطريق السلطنة فلا تدخل فى النفي ،ويؤيده قوله تعالى ﴿وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار:١٩] انتهى .

سورة التطفيف

مكية، أو مدنية ، ست وثلاثون آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:١] ، أخرج الواحدي [١] عن ابن عباس [ق/٣٤٦ أ] قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً ، فأنزل الله : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:١] فأحسنوا الكيل بعد ذلك .

وقال القرطبي : كان بالمدينة تجار يطففون وكانت بياعتهم كشبه القمار: المنابذة والملامسة والمخاطرة أي المراهنة ، فأنزل الله هذه الآية ، فخرج رسول الله ﷺ إلى السوق ، فقرأها عليهم .

وقال السدي : قدم النبي ﷺ المدينة وبها رجل يقال له : أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر ، فأنزل الله هذه الآية .

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ .

(١) « أسباب النزول » (ص/٧١٣) .

الفصل الثانى فى المتشابه منها

قوله : ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين [٧ ـ ٩] وبعده : ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين:١٨ ـ ٢٠] [التقدير فيها أن كتاب الفجار لكتاب مرقوم فى سجين وأن كتاب الأبرار لكتاب مرقوم فى عليين][1] ثم ختم الأولى بقوله : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [المطففين: ١٠] لأنه في حق الفجار ،وختم الثانية بقوله: ﴿ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين :٢١] فختم كل واحدة بما يناسبها.

قوله : ﴿ وإِذا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ [المطففين :٢] ،إن قلت : هلا قال: اكتالوا واتزنوا كما قال في مقابله ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ ﴾ [المطففين:٣] ؟ قلت : لأن المطففين كان عادتهم ألا يأخذوا ما يكال وما يوزن إلا بالمكيال لأن استيفاء الزيادة بالمكيال أمكن لهم وأهون عليهم منه بالميزان وإذا أعطوا كالوا ووزنوا لتمكنهم من البخس فيها .

(١) سقط من أ .

سورة الانشقاق
مكية ثلاث، أو خمس وعشرون
أيه
الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق:٢]، أخرج ابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق:٢] قال : سمعت حين كلهما.

وعن ابن عباس : ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق:٢] سمعت وأطاعت .

وفى قوله : ﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ [الانشقاق:٣] قال : يوم القيامة ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٤ قال : اخرجت ما فيها من الموتى ﴿ وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٤] .

قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ [الانشقاق:٦]، أخرج ابن أبي شيبة عن الضحاك رضي الله عنه في قوله ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ [الانشقاق: ٦] قال : عامل إلى ربك عملاً .

قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق:٧، ٨]، أخرج أحمد وعبد بن حميد والحاكم عن عائشة رضي الله تعالى عنها : سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته : «اللهم حاسبني حساباً يسيراً» فلما انصرف قلت : يا رسول الله ما الحساب اليسير ؟ ، قال : «أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه إن من نوقش الحساب هلك » .

وعن عائشة رضي الله عنها في قوله ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق : ٨] قالت : يعرف ذنوبه ثم يتجاوز له عنها .

قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ [الانشقاق: ١٠] تخلع يده فتجعل من وراء ظهره. . انتهى من «الدر» .

وليس [ق/ ٢٧٦ ب] فيها ناسخ ولا منسوخ .

الفصل الثانى فى المتشابه منها

قوله : ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق:٢] مرتين لأن الأول متصل بالسماء، والثانى متصل بالأرض ومعنى «أذنت» سمعت وانقادت وحق لها أن تسمع وتطيع، وإذا اتصل واحد بما اتصل به الآخر لا يكون تكرار .

قوله : ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴾ [الانشقاق:٢٢] وفي البروج : ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾ [البروج:١٩] [ق/٣٤٧ أ] راعى فواصل الآي مع صحة اللفظ وجودة المعنى .

سورة البروج
مكية، ثنتان وعشرون آية
الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج : ١] الآيات، قال في «الدر المنثور» : عن ابن عباس البروج قصور في السماء .

وأخرج عبد بن حميد عن أبي صالح في قوله ﴿ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج:١] قال : النجوم العظام .

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة رضي الله عنه فى قوله : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج:١] قال : بروجها نجومها ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ [البروج:٢] قال : يوم القيامة ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج:٣] قال يومان عظيمان عظمهما الله من أيام الدنيا كما نحدث أن الشاهد يوم الجمعة وأن المشهود يوم عرفة . . انتهى .

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ .

الفصل الثانى فى المتشابه منها

قوله : ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ [البروج:١١] «ذلك» مبتدأ و«الفوز» خبره و«الكبير» صفته، وليس له في القرآن نظير . . . انتهى .

سورة الطارق

مكية، سبع عشرة آية

الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿وَالطَّارِقِ﴾ [الطارق:١] ، نزلت (١) في أبي طالب وذلك أنه أتى النبى ﷺ فأتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل إذا انحط نجم من السماء فامتلأ ماء ثم ناراً، ففزع أبو طالب ، فقال : أي شيء هذا ؟ ، فقال: «هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله ،فتعجب أبو طالب ،فأنزل الله هذه الآيات .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو آية واحدة .

هى قوله تعالى : ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٧] هى منسوخة بآية السيف .

الفصل الثالث فى المتشابه منها

قوله : ﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ [الطارق : ١٧] هذا تكرار وتقديره مهل مهل لكنه عدل في الثاني إلى أمهل لأنه من أصله ومعناه كراهة التكرار وعدل فى الثالث إلى قوله : ﴿ رُوَيْداً ﴾ [الطارق: ١٧] لأنه بمعناه أي أرودهم أراداً ثم صغر أرواداً تصغير الترخيم فصار رويداً فيكون التكرار مرتين، وهذه أجوبة .

---

(١) انظر : «أسباب النزول » للواحدى (ص/ ٧١٥) .

سورة الأعلى

مكية ، تسع عشرة آية

الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ﴾ [الأعلى :٦] ،أخرج الطبرانى [1] عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ إذا أتاه جبريل لم يفرغ جبريل من الوحي حتى يتكلم النبي ﷺ مخافة أن ينساه فأنزل الله :﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ﴾ [الأعلى : ٦].

(١) ضعيف :أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (١٢٦٤٩) وقال الهيثمى فى «المجمع» (١١٤٨٥) : رواه الطبرانى وفيه جويبر وهو ضعيف .

الفصل الثانى في منسوخها

وهو آية واحدة .

هى قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى : ١٤] ،قال ابن عبد العزيز: هي زكاة الفطر فتكون منسوخة بزكاة المال وبقى النـدب، والمختار إحكامها فزكاة الفطر واجبة .

الفصل الثالث فى المتشابه منها

قوله : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ۝١ الَّذِي خَلَقَ﴾ [الأعلى :١، ٢] وفى العلق : ﴿اقْـرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ﴾ [العلق: ١ ، ٢] زاد في هذه السـورة الأعلى مراعاة للفواصل فى هذه السورة ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ [الأعلى:٢] ،وفى العلق: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢].

قـوله ﴿إِن نَّفَـعَتِ الذِّكْـرَىٰ﴾ [الأعلى : ٩] ذكـره مع أن النبى ﷺ مأمـور بالتذكير وإن لم تنفع الذكرى لأن معنى «إن» «إذ» كما فى قوله: ﴿ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران :١٣٩] ،أو التقدير إن نفـعت الذكرى أو لـم تنفع كما فى قوله : ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل:٨١] .

قـوله : ﴿ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى : ١٣] إن قلت : كـيف قال ذلك مع أن الحيوان [ق/٣٤٨ أ] لا يخلو عن الاتصاف بأحدهما ؟ قلت : معناه لا يموت موتاً يستريح به ولا يحيا حياة ينتفع بها ،والله أعلم .

سورة الغاشية

مكية، ست وعشرون آية

الفصل الأول فى أسباب [ق/٢٧٧ ب] نزولها

قوله تعالى : ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧] أخرج ابن جرير وابن أبي حـاتم عن قتادة قال : لما نعت الله مـا في الجنة عجب من ذلك أهل الضلالة ، فأنزل الله : ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية : ١٧] .

الفصل الثانى في منسوخها

وهى آية واحدة .

هى قوله تـعالى : ﴿لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ [الغاشـية : ٢٢] ، أي كف عنهم فمنسوخـة بالسيف ، أو عليك التبليغ لا الهداية ولست بقـادر على إيمانهم ، فهي محكمة .

الفصل الثالث في المتشابه منها

[قـوله :] (١) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ [الغـاشية : ٢] وبـعده ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ [الغاشية : ٨] ليس بتكرار لأن الأول هم الكفار ، والثاني المؤمنون وكان القياس أن يكون الثاني بالواو بالعطف لكنه جاء على وفاق الجمل قبلها وبعدها وليس معهن واو العطف البتة ، والمراد بالوجوه فيهـما جميع الأبدان لأن ما ذكر من الأوصاف لا يختص بالوجوه ، فهو كقوله تعالى : ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه : ١١١] ، أو المراد بها الأعيان والرؤساء كما يقال : هؤلاء وجوه القوم ، ويا وجه العرب ، والله أعلم بمراده .

---

(١) سقط من أ .

سورة الفجر

مكية، أو مدنية ، ثلاثون آية

الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر:٢٧] ، أخرج ابن أبي حاتم عن بريدة في قوله: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر:٢٧] قال : نزلت في حمزة.

وأخرج من طريق جرير عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : «من يشتري بئر رومة يستعذب بها عفر الله له « فاشتراها عثمان فقال : «هل لك أن تجعلها سقاية للناس ؟ «قال : نعم ،فأنزل الله فى عثمان : ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر:٢٧].

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ .

الفصل الثاني في المتشابه منها

قــوله : ﴿ فَأَمَّا الإنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ ﴾ [الفجــر:١٥] وبعده : ﴿ وَأَمَّا إِذَا مَـا ابْتَلاهُ ﴾ [الفجر:١٦] لأن التقدير في الثاني أيضاً و«أما الإنسان» فاكتفى بذكره في الأول، والفاء لازم بعده لأن المعنى مـهما يكن من شيء فالإنسان بهـذه الصفة، لكن ألفاً أخر ليكون على لفظ الشرط والجزاء .

سورة البلد
مكية، عشرون آية
الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١] الآية ، أخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١] قال : مكة ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ٢] يعنى بذلك النبي ﷺ أحل الله له يوم دخل مكة أن يقتل من شاء ويستحيى من شاء ، فقتل يومئذ ابن أخطل صبراً ، وهو آخذ بأستار الكعبة فلم يحل لأحد من الناس بعد رسول الله ﷺ أن يقتل فيها حراماً حرمة الله له ما صنع بأهل مكة .

وعن ابن عباس ﴿وَوَالِدٍ﴾ [البلد : ٣] يعني بالوالد آدم ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد :٣] ولده .

وعن ابن عباس ﴿فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤] أي في شدة .

وليس في هذه السورة ناسخ ولا منسوخ .

الفصل الثاني في المتشابه منها

قوله : ﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد : ١] وهو حرام [ق/ ٣٤٩ أ] ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ٢] وهو حلال ؛ لأنه أحلت له مكة حتى قتل فيها من شاء وقاتل، فلما اختلف معناه صار [كأنه] (١) غير الأول .

---

(١) سقط من (أ) .

سورة الشمس

مكية، [خمسة عشر] (١)

الفصل الأول فى أسباب نزولها

قوله تعالى ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١] الآية، قال فى «الدر»: أخرج أحمد والترمذى وحسنه والنسائى عن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى صلاة العشاء بالشمس وضحاها وأشباهها من السور.

وأخرج الطبرانى عن ابن سيرين رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ [يقرأ فى العيدين بـ ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ (٢) ﴿ الشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا ﴾ [الشمس: ٢] قال: تبعها.

وأخرج الفريابى وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن مجاهد [ق/٢٧٨ ب] رضى الله عنه ﴿الشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١] قال: ضوؤها: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾ [الشمس: ٢] قال: تبعها ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا ﴾ [الشمس: ٣] قال: أضاء ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ [الشمس: ٤] قال: يغشاها الليل ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ [الشمس: ٥] قال: الله بنى السماء والأرض ﴿وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ [الشمس: ٦] قال: دحاها: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [الشمس: ٨] قال: عرفها [شقاقها] (٣) ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ [الشمس: ٩] قال: أصلحها ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ١٠] قال: أغراها ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ [الشمس: ١١] قال بمعصيتها﴿وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾[الشمس: ١٥]. انتهى.

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ.

---

(١) فى أ: خمس وعشرون.

(٢) سقط من أ.

(٣) فى ب: شقاها.

الفصل الثاني فى المتشابه منها

قوله ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس٧] نكرها دون بقية ما أقسم به لأنه لا سبيل إلى لام الجنس المدخلة لنفس غير الإنسان مع أنها ليست مراده لقوله: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس:٨] ولا إلى لام العهد إذ ليس المراد نفساً واحدة معهودة وبتقدير أنه أريد بها آدم فالتنكير أدل على التفخيم والتعظيم كما مر في سورة الفجر، وغيرها.

قوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴾ [الشمس:٩] جواب القسم بخلاف اللام لطول الكلام، وقيل: جوابه محذوف تقديره لتبعثن، أو لتدمرن يا أهل مكة .

قوله : ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ [الشمس:١٢] هو قدار بن سالف، وقيل : هو ومصدع بن دهر .

سورة والليل
مكية، إحدى وعشرون آية
الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل :١] ، أخرج ابن أبي حاتم (١) وغيره من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال، فكان الرجل إذا جاء فدخل الدار فصعد إلى النخلة ليأخذ منها الثمرة فربما تقع ثمرة فيأخذها صبيان الفقير، فينزل من نخلته فيأخذ الثمرة من فيه، فشكى ذلك الرجل إلى النبي ﷺ، فقال : اذهب ولقي النبى ﷺ صاحب هذه النخلة ،فقال : «اعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة ،فقال الرجل : لقد أعطيت وإن لي لنخلاً كثيراً وما فيه [نخلة] (٢) أعجب إلى ثمرة منها، ثم ذهب الرجل ولقي رجلاً كان يسمع الكلام من رسول الله ﷺ ومن صاحب النخلة، فأتى رسول الله ﷺ ، فقال : أتعطيني يا رسول الله ما أعطيت الرجل؟ إن أنا أخذتها، قال : « نعم » : فذهب الرجل فلقي صاحب النخلة ولكليهما [ق/ ٣٥٠ أ] نخل، فقال لصاحب النخلة: أشعرت أن محمداً ﷺ أعطاني بنخلتي المائلة في دار فلان نخلة [فى الجنة] (٣) ، فقلت له : لقد أعطيت ولكن يعجبنى ثمرها ولي نخل كثير ما فيه نخلة أعجب إلي ثمر منها، فقال له الآخر : أتريد بيعها ؟ ، فقال : لا إلا أن أعطى بها ما أريد ولا أظنه أعطى، قال :فكم مناك فيها ؟ قال : أربعين نخلة ، فقال له الرجل : لقد جئت بعظيم تطلب بنخلتك المائلة أربعين نخلة، ثم

---

(١) «التفسير» (١٠/ ٣٤٣٩) .

(٢) فى أ : نخل .

(٣) سقط من أ .

سكت عنه فقال له : أنا أعطيك أربعين نخلة ، قال : فأشهد لى إن كنت صادقاً ، فدعا قومه فأشهد له، ثم ذهب إلى رسول الله ﷺ ،فقال له : يا رسول الله إن النخلة قد صارت لي وهي لك ،فذهب رسول الله ﷺ إلى صاحب الدار، فقال له : النخلة لك ولعيالك ،فأنزل الله : ﴿اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١] إلى آخر السورة .

قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾ [الليل:٥] الآيات، روى البخارى ومسلم (١) عن على قال : قال رسول الله ﷺ :«ما منكم من أحد إلا كتب مقعدة من الجنة ومقعده من النار ،فقالوا : يا رسول الله أفلا نتكل ؟ قال : «اعلموا فكل ميسر [لما خلق له] (٢) ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾ [الليل : ٥] ﴿ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ١٠] .

وأخرج الواحدي (٣) عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض أهله قال: قال أبو قحافة لابنه أبي بكر : يا بني أراك تعتق رقاباً ضعافاً فلو أنك [ق/ ٢٧٩ ب] فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جلداً يمنعونك ويقومون دونك، فقال أبو بكر : يا أبت إني إنما أريد ما أريد قال : فنتحدث : ما أنزل هؤلاء الآيات إلا فيه وفيما قاله أبوه : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ [الليل:٥] إلى آخر السورة.

وقال عطاء عن ابن عباس (٤) : إن بلالً لما أسلم ذهب إلى الأصنام فسلح عليها وكان عبداً لعبد الله بن جدعان فشكي إليه المشركون ما فعل فوهبه لهم ومائة من الإبل ينحرونها لآلهتهم، فأخذوها وجعلوا يعذبونه في الرمضاء وهو يقول: أحداً أحد، فمر به رسول الله ﷺ ،فقال : «ينجيك

(١) البخارى (٤٦٦١) ومسلم (٢٦٤٧) .
(٢) سقط من أ، ب .
(٣) «أسباب النزول» (ص/ ٧٢٠) .
(٤) السابق .

أحد » ثم أخبر رسول الله ﷺ أبا بكر أن بلالاً يعذب في الله ، فحمل أبو بكر رطلاً من ذهب فابتاعه به، فقال المشركون : ما فعل أبو بكر ذلك إلا ليد كانت لبلال عنده، فأنزل الله : ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ [الليل : ١٩] الآية .

وأخرج الواحدي عن عبد الله أن أبا بكر اشترى بلالاً من أمية من خلف ببردة وعشرة أواق ، فأعتقه، فأنزل الله عز وجل ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل : ١] إلى قوله: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل : ٤] .

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ .

الفصل الثاني في المتشابه منها

قوله : ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل : ٧] وبعده : ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل : ١٠] أى نسهله للحالة اليسرى والحالة العسرى، وقيل : الأولى الجنة، والثانية النار، ولفظه وسنيسر للازدواج ، وجاء فى الخبر : «اعملوا فكل ميسر لما خلق له » .

سورة والضحى

مكية، إحدى عشرة آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى ﴿وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١، ٢]، أخرج الشيخان (١)، وغيرهما عن جندب قال: اشتكى النبي ﷺ [ق/ ٣٥١ أ] فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته امرأة فقالت: يا محمد ما أرى شيطانك إلا تركك، فأنزل الله ﴿وَالضُّحَىٰ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١، ٢].

وأخرج سعيد بن منصور والفريابي عن جندب قال: أبطأ جبريل على النبي ﷺ فقال المشركون: قد ودع، فنزلت.

وأخرج الحاكم عن زيد بن أرقم مكث رسول الله ﷺ أياماً لا ينزل عليه جبريل، فقالت أم جميل امرأة أبي لهب: ما أرى صاحبك إلا قد ودعك وقلاك فأنزل الله ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ [الضحى: ١] الآيات.

وأخرج الطبراني وابن أبي شيبة والواحدي وغيرهم بسند فيه من لا يعرف عن حفص بن ميسره القرشي عن أمه عن أمها خولة وقد كانت خادم النبي ﷺ أن جرواً دخل بيت النبي ﷺ فدخل تحت السرير فمات فمكث النبي ﷺ أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي، فقال: «يا خولة ما حدث في بيت رسول الله ﷺ جبريل لا يأتيني؟» فقلت في نفسي لو هيأت [البيت](٢) وكنسته، فأوهيت بالمكنسة تحت السرير، فأخرجت الجرو، فجاء النبي ﷺ ترعد لحيته، وكان إذا نزل عليه أخذته الرعدة، فأنزل الله ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ [الضحى: ١] الآيات إلى قوله: ﴿فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥].

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ.

---

(١) البخاري (٤٦٩٨) ومسلم (١٧٩٧)

(٢) سقط من أ.

الفصل الثاني في المتشابه منها

قوله : ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩] كرر أما ثلاث مرات لأنها وقعت في مقابلة ثلاث آيات أيضاً وهى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ ⦗٦⦘ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَىٰ ⦗٧⦘ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَىٰ ⦗٨⦘ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٦- ٩] واذكر يتمك ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠] .

واذكر فقرك ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ ﴾ [النبوة والإسلام] (١) ﴿فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١١] واذكر ضلالك، ولقوله ﴿ ضَالاً ﴾ [الضحى:٧] وجوه ذكرت في موضعها .

قوله : ﴿ وَجَدَكَ ضَالاً ﴾ [الضحى:٧] أي عن معالم النبوة وأحكام الشريعة فهداك إليها، أو ضالاً في صغرك في شعاب مكة فردك إلى [ق/ ٢٨٠ ب] جدك عبد المطلب ووجدك ناسياً فهداك إلى الذكر لأن الإضلال جاء بمعنى النسيان كما في قوله ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وإنما جمع بينهما في قوله: ﴿لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾ [طه :٥٢﴾ لأن الضلال ليس بمعنى النسيان بل بمعنى الخطا أو الغفلة .

خاتمة :

قال القرطبى :سورة والضحى والتين والقدر وإذا زلزلت، إذا أردت أن ترى في النوم شيئاً مما يشكل عليك أمره فصل بعد العشاء الأخيرة أربع ركعات تقرأ في الأولى بعد الفاتحة و﴿الضحى﴾ ، وفى الثانية ﴿ التين﴾ ، وفى الثالثة ﴿إنا أنزلناه﴾ ،وفى الرابعة ﴿ إذا زلزلت﴾ ولا تتكلم بعد هذه الصلاة وتكتب إذا زلزلت إلى آخرها في رقعة وتجعلها تحت رأسك ،وتقول عند النوم : اللهم أرني في منامي الخير فى كذا وكذا وتسمى ما تريد، فإنك تراه إن شاء الله تعالى .

(١) سقط من أ .

سورة ألم نشرح
مكية، ثمان آيات
الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] إلى قوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥] الآية، قال جابر: نزلت لما عير المشركون المسلمين بالفقر.

أخرج ابن جرير عن الحسن [ق/ ٣٥٢أ] لما نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٦] قال رسول الله ﷺ: «أبشروا أتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين» .. انتهى.

الفصل الثانى في منسوخها

وهو آيه.

هى قوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ [الشرح: ٧] منسوخة بما نسخ قيام المزمل، وقيل: محكمة أي فرغت من الجهاد فاجتهد في العبادة.

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦] ليس بتكرار لأن المعنى إن مع العسر الذي أنت فيه من مقاسات الكفار يسراً في العاجل، إن مع العسر الذي أنت فيه من الكفار يسراً في الآجل فالعسر واحد واليسر اثنان.

وعن عمر رضي الله عنه: «لن يغلب عسر يسيرين».

والتعريف أولاً للجنس، وثانيا للعهد واليسر اثنان بدليل تنكيرهما والتنكير فيهما للتفخيم والتعظيم.

سورة والتين
مكية ، أو مدنية، ثمان آيات
الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين : ٥] ، أخرج ابن جرير من طريق العوفى عن ابن عباس في قوله : ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين : ٥] قال: هم نفر ردوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله ﷺ فسئل حين سفهت عقولهم، فأنزل الله فيهم أن لهم أجرهم الذى عملوا، قبل أن تذهب عقولهم .

قال في «الدر» : لما نزلت سورة والتين على رسول الله ﷺ فرح بها فرحاً شديداً حتى تبين لنا شدة فرحه، فسألنا ابن عباس رضي الله عنهما عن تفسيرها، فقال : ﴿وَالتِّينِ﴾ [التين : ١] بلاد الشام ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين : ١] بلاد فلسطين ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين : ٢] الذي كلم الله موسى عليه﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ﴾ [التين : ٣] مكة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين : ٤] محمد ﷺ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين : ٥] عبدة اللات والعزى ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين : ٦] أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين : ٧، ٨] [أن] (١) بعثك فيهم نبيّاً وجمعك على التقوى يا محمد . . انتهى والله سبحانه أعلم بمراده .

---

(١) فى ب : إذ .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو آية واحدة

هي قوله تعالى : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين:٨] إن كان تهديداً فهي محكمة ، وإن اقتضت الكف فهي منسوخة بالسيف .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين :٤] قال ذلك [ق/ ٢٨١ ب] هنا، وقال في سورة البلد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد:٤] لا منافاة بينهما لمراعاة الفواصل في السورتين ولأن معناه هنا عند كثير من المفسرين منتصب القامة معتدلها فيكون في المعنى أحسن تقويم وذلك لا ينافى كونه فى كبد .

سورة اقرأ

مكية، تسع عشرة آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق : ١] إلى : ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق : ٥] ، قال في «الدر المنثور» : أخرج ابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أول شيء نزل من القرآن خمس آيات ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق : ١] إلى قوله : ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق : ٥] انتهى ، وأخرج ابن الأنبارى في «المصاحف» عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان أول ما نزل عليه بعد ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق : ١] [ق/ ٣٥٣ أ] ﴿نٓ وَالْقَلَمِ﴾ [القلم : ١] و﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر : ١] ، أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم عن قتادة رضى الله عنه في قوله : ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق : ٤] قال : القلم نعمة من الله عظيمة لولا القلم لم يكن دين ولم يصلح عيش ، وفي قوله : ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق : ٥] قال : الخط .

قوله تعالى : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ⑨ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ [العلق : ٩ ، ١٠] ، أخرج البخارى ، وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً يصلى عند الكعبة لأطان عنقه فبلغ النبي ﷺ ، فقال : « لو فصل لأخذته الملائكه عياناً» . . انتهى كلام «الدر المنثور» .

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ .

الفصل الثاني في المتشابه منها

قوله : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق : ١] وبعده : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ﴾ [العلق : ٣] وكذلك ﴿الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] وبعده ﴿خَلَقَ﴾ [العلق : ٢] ومثله : ﴿ عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ﴾ [العلق : ٤ ، ٥] لأن قوله : ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق : ١] مطلق فقيده بالثانى و«الذى» عام فخصه بما بعده و«علم» مبهم ففسره، فقال : ﴿ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق : ٥] . . انتهى ، والله أعلم .

سورة القدر

مكية، أو مدنية، خمس أو ست آيات

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر:١] ، أخرج الواحدي عن أبي حاتم أن رسول الله ﷺ ذكر رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر، فتعجب المسلمون من ذلك ،فأنزل الله : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ١ـ ٢] التي لبس ذلك الرجل السلاح فيها .

وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال : كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي، فعمل ذلك ألف شهر، فأنزل الله ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر:٣] عملها ذلك الرجل .

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ .

الفصل الثاني
في المتشابه منها

قوله ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ﴾ [القدر:٣] عدل عن الضمير إلى الظاهر في لفظ القدر تعظيماً لليلته .

قوله : ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر :٤] متعلق بـ ﴿تنزيل﴾ ، ومن بمعنى الباء كما في قوله : ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾ [الرعد:١٥] .

سورة لم يكن الذين كفروا
مكية ، أو مدنية ، تسع آيات
الفصل الأول في أسباب نزولها

قال في «الدر المنثور» : أخرج أبو موسى المدني في «المعرفة» عن إسماعيل بن أبي حكيم عن مطر المزني عن رسول الله ﷺ قال : « إن الله ليسمع يكن الذين كفروا أبشر عبادى فوعزتى لا أنساك على حال من أحوال الدنيا والآخرة ولأمكنن لك في الجنة حتى ترضى» .

وأخرج البخاري ، وغيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب : «إن الله أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا » قال : أو سماني لك ؟ قال : «نعم فبكى».

وفى لفظ لما نزلت لم يكن الذين كفروا دعا أبي بن كعب رضي الله عنه، فقرأها عليه ، فقال : «أمرت أن أقرأ عليك» انتهى .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البينة : ٧] [ق/ ٢٨٢ ب] أخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه [ق/ ٣٥٤ أ] قال : أتعجبون منزلة الملائكة من الله تعالى ، والذى نفسي بيده لمنزلة العبد المؤمن عند الله يوم القيامة أعظم من منزلة ملك واقرأوا إن شئتم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة : ٧] .

وأخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : كنا عند النبي ﷺ فأقبل على فقال النبى ﷺ والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ونزلت : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة :٧] فكان النبي ﷺ إذا أقبل علي رضي الله عنه قالوا : قد جاء خير البرية . . . انتهى .

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ .

الفصل الثاني
في المتشابه منها

قوله : ﴿ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [البينة : ٢] أي من عند الله كما أظهره في قوله : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [البقرة : ١٠١] .

قوله : ﴿ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [البينة : ٢] إن قلت : ظاهره أنه يقرأ المكتوب من الكتاب مع أنه منتف في حقه ﷺ لكونه أمياً ؟ قلت : المراد : ويتلو ما في الصحف عن ظهر قلبه ، فإن قلت : ما الفرق بين الصحف والكتب حتى جمع بينهما في الآية ؟ قلت : الصحف قراطيس [مطهرة من الشرك والباطل، والكتب بمعنى المكتوبات أى فى القراطيس] (١) مكتوبة ، قيمة أي مستقيمة ناطقة بالعدل والحق .

قوله : ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [البينة : ٤] أي وهم اليهود والنصارى ﴿إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ [البينة : ٤] أي محمد ﷺ والقرآن، والمعنى أنهم كانوا مجتمعين على الإيمان به إذا جاء فلما جاء تفرقوا فمنهم من كفر بغياً وحسداً ومنهم من آمن كقوله :﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى : ١٤] . والمتشابه فيها إعادة البينة والبرية فيها مرتين .

خاتمة

قال القرطبي في كتاب «التذكار» : روى البخاري ومسلم عن أنس أن النبي ﷺ قال :« إن الله أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا » قال : وسماني لك ؟ ، قال : «نعم» فبكى .

وفي الحديث : «من الفقه قراءة العالم على المتعلم » .

قال بعضهم : إنما قرأ رسول الله ﷺ [على أبي] (٢) ليعلم الناس

---

(١) سقط من أ .

(٢) سقط من أ .

التـواضـع التواضـع لئلا يأنف أحـد من التـعلم والقـراءة على من دونه في المنزلة، وقيل : إن أبياً كان أسرع أخذا لألفاظ رسول الله ﷺ ،فأراد بقراءته عليه أن يأخذ ألفـاظه ويقرأ كما سمع منه ويعلم غـيره وفيه فضـيلة عظيمة لأبي إذ أمر الله رسوله أن يقرأ عليه ، والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده .

سورة الزلزلة

مكية أو مدنية ، تسع آيات

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ﴾ [الزلزلة : ١] ، أخرج الواحدي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال نزلت : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ﴾ [الزلزلة : ١] وأبو بكر الصديق قاعد فبكى أبو بكر ،فقال له رسول الله ﷺ : «ما يبكيك يا أبا بكر ؟» قال : أبكاني هذه السورة ،فقال رسول الله ﷺ : «لو أنكم لا تخطئون ولا تذنبون لخلق الله أمة من بعدكم يخطئون ويذنبون فيغفر لهم» .

قوله تعالى : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [الزلزلة : ٧] الآية ، قال مقاتل [ق/ ٣٥٥ أ] : نزلت في رجلين كان أحدهما يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة، ويقول : ما هذا بشيء وإنما نؤجر على ما نعطي ونحن نحبه، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول : ليس علي من هذا شيء إنما أوعد الله بالنار على الكبائر ، فأنزل الله يرغبهم في القليل من الخير فإنه يوشك أن يكثر ، ويحذرهم من اليسير من الذنب فإنه يوشك أن يكثر الآية إلى آخرها .

وليس فيها [ق/ ٢٨٣ ب] ناسخ ولا منسوخ .

الفصل الثاني
في المتشابه منها

قوله : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾ [الزلزلة :٧] وأعاده مرة أخرى، ليس بتكرار لأن الأول متصل بقوله :﴿خَيْراً يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧] والثاني متصل بقوله : ﴿شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٨] فإن قلت : كيف عمم فيهما مع أن حسنات الكفار محبطة بالكفر وسيئات المؤمن محصورة باجتناب الكبائر ؟ قلت : معناه : فمن يعمل مثقال ذرة من فريق السعداء خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة [من فريق الأشيقاء] (١) شرّاً يره.

خاتمه

قال القرطبى : روى الترمذي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ ﴿إذا زلزلت﴾ عدلت له نصف القرآن ، ومن قرأ ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ عدلت له ربع القرآن ، ومن قرأ ﴿ قل هو الله أحد﴾ عدلت له ثلث القرآن .

(١) سقط من أ .

سورة العاديات

مكية، أو مدنية، إحدي عشرة آية

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: ١] قال مقاتل: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى حي من كنانة واستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري فتأخر خبرهم، فقال المنافقون: قتلوا جميعاً، فأخبر الله تعالى عنها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: ١] يعني تلك الخيل.

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ انتهى.

الفصل الثاني في [المتشابه منها] (١)

قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾ [العاديات: ١] إلى آخره أقسم بثلاثة أشياء ﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾ [العاديات: ١] ﴿فَالْمُورِيَاتِ﴾ [العاديات: ٢] ﴿فَالْمُغِيرَاتِ﴾ [العاديات: ٣] وجعل جواب القسم أيضاً ثلاثة أشياء ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ وإنه لحب الخير لشديد﴾ [العاديات: ٦، ٧، ٨].

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات: ١١] إن قلت: كيف قال ذلك مع أنه تعالى خبير بهم في كل زمن؟ قلت: معناه أن ربهم تعالى مجازيهم يومئذ على أعمالهم فتجوز عن المجازات كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [النساء: ٦٣] أي يجازيهم على ما فيها.

---

(١) في أ: أسباب نزولها.

سورة القارعة

مكية، ثمان آيات

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١] الآية إلى آخره.

قال في «الدر المنثور»: أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: القارعة من أسماء يوم القيامة.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة رضي الله عنه [ق/ ٣٥٦ أ] في قوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤] قال: هو هذا الفراش الذي رأيتم يتهافت في النار، وفي قوله: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة: ٥] قال كالصوف، وفي قوله: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٦، ٧] قال: هي الجنة ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٨، ٩] قال: هي النار مأواهم وأمهم ومصيرهم ومولاهم.. انتهى.

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ.

الفصل الثاني في المتشابه منها

قوله : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة :٦] ثم ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارعة:٩] جمع ميزان وله كفتان وعمود ولسان ،وإنما جمع لاختلاف الموزونات وتجدد الوزن وكثرة الموزون لهم، كقوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾ [البقر:١٨٩] وإنما هو هلال واحد ،وقيل : هي جمع موزون .

إن قلت : كيف قال : فيمن خفت موازينه فأمه هاويه أي فمسكنه النار مع أن أكثر المؤمنين سيئاتهم راجحة على حسناتهم ؟ قلت : قوله ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ القارعة:٩] لا يدل على خلوده فيها فيسكن المؤمن فيها بقدر ما تقضيه ذنوبه، ثم يخرج منها إلى الجنة، وقيل : المراد بخفة الميزان خلوها من الحسنات بالكلية وتلك موازين الكفار .

سورة التكاثر

مكية، ثمان آيات

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ① حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر : ١، ٢] [ق/ ٢٨٤ ب] قال مقاتل والكلبي : نزلت في حيين من قريش بنى عبد مناف وبني سهم كان بينهما لحاء فتعادوا السادة والأشراف أيهم أكثر، فقال بنو عبد مناف : نحن أكثر سيداً وأعز عزيزاً وأعظم نفراً، وقال بنو سهم : مثل ذلك فكثرهم بنو عبد مناف، ثم قالوا : نعد موتانا حتى زاروا القبور فعدوا موتاهم فكثر بنوا سهم لأنهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية .

وقال قتادة : نزلت في اليهود ، قالوا : نحن أكثر من بني فلان وبنوا فلان أكثر من بنو فلان ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالاً .

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ . .انتهى .

الفصل الثاني في المتشابه منها

قوله : ﴿كَلَّا﴾ [التكاثر:٣] في المواضع الثلاثة فيه قولان :

أحدهما : أن معناه الردع والزجر عن التكاثر فحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده .

والثاني : أنه يجري مجرى القسم ومعناه حقاً .

قوله : ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر:٣] وبعده : ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [التكاثر:٤] تكرار للتأكيد عند بعضهم ،وعند بعضهم : هنا في وقتين القبر والقيامة فلا يكون تكرار، وكذلك قول من قال : الأول للكفار والثاني للمؤمنين .

قوله : ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ [التكاثر: ٦، ٧] تأكيد أيضاً، وقيل: لأول قبل الدخول والثاني بعد الدخول ولهذا قال بعده : ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر:٧] أي عياناً لستم عنها بغائبين .

وقيل : الأول : من رؤية العين ،والثاني : من رؤية القلب [ق/٣٥٧أ]، والله أعلم .

سورة العصر
مكية، أو مدنية ، ثلاث آيات
الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿وَالْعَصْرِ﴾ [العصر: ١] إلى آخره، قال في « الدر المنثور» : أخرج الطبراني في «الأوسط» والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي مدينة الدارمي رضي الله عنه وكانت له صحبة قال : كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ ،ثم يسلم أحدهما على الآخر .

وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله :﴿وَالْعَصْرِ﴾ [العصر: ١] قال : الدهر .

وعن قتادة رضي الله عنه في قوله :﴿وَالْعَصْرِ﴾ [العصر: ١] قال : ساعة من ساعات النهار ،وفي قوله : ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ [العصر: ٣] قال : كتاب الله .

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ٣] قال : طاعة الله .

وعن مجاهد رضي الله عنه : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ يعنى ضلال، ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [العصر: ٢، ٣] قال : إلا من آمن .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله :﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [يعنى أبا جهل بن هشام] (١) ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ١، ٢، ٣] ذكر علياً وسلمان رضي الله عنهما .

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ .

---

(١) سقط من أ .

الفصل الثاني في المتشابه منها

قوله : ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:٣] كرر لاختلاف الفاعلين، وقد جاء مرفوعاً أن الإنسان أبو جهل ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [العصر:٣] عمر : ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ٣] عثمان ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ﴾ [العصر:٣] عمر : ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:٣] علي رضي الله عن الخلفاء الأربع ولعن أبا جهل .

سورة الهمزة

مكية، أو مدنية، تسع آيات

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] الآية ، قال في «الدر المنثور» : أخرج ابن أبي حاتم عن السدي رضي الله عنه قال : نزلت : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] في الأخنس بن شريق .

وأخرج ابن مردويه والبيهقي في «شعب الإيمان» عن راشد بن سعد المقدادي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لما عرج بي مررت برجال تقطع جلودهم بمقاريض من نار ، فقلت : من هؤلاء ؟ « قال: الذين يتزينون للزينة ، قال : «ثم مررت بجب منتن الريح فسمعت فيه أصواتاً شديدة ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء نساء كن يتزين للزينة ويفعلن ما لا يحلن لهن ، ثم مررت على نساء ورجال معلقين بثديهن، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الهمازون والهمازات ذلك بأن الله تعالى قال ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] .

وأخرج الفريابى [ق/ ٢٨٥ ب] وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في «ذم الغيبة» وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في «شعب الإيمان» عن مجاهد رضي الله عنه ، قال : الهمزة الطعان في الناس، واللمزة [ق/ ٣٥٨ أ] الطعان في أنساب الناس .

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي رضي الله عنه في قوله : ﴿ جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ﴾ [الهمزة : ٢] قال : أحصاه . . انتهى .

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ .

الفصل الثاني في المتشابه منها

قوله : ﴿هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة:١] يحسن الوقف على لمزة إن لم يكن الذي وصف له ولا بدلاً عنه، بل يجوز أن يكون رفعاً بالابتداء أو حسب خبره، ويجوز أن يكون خبر المبتدأ محذوف أي هو الذي جمع ،ويجوز أن يكون نصباً على الذم أي ذم الذي جمع، وإما إن جعل بدلاً من الكل فلا يحسن الوقف على لمزة، فتأمل. انتهى .

سورة الفيل

مكية، خمس آيات

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ① أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ [الفيل: ١، ٢] نزلت في قصة أصحاب الفيل وقصدهم تخريب الكعبة وما فعل الله بهم من إهلاكهم وصرفهم عن البيت وهي معروفة .

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ .

الفصل الثاني: في المتشابه منها

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ① أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ [الفيل: ١] [مفعول] (١) ترى محذوف لا كيف لأنه استفهام فلا يعمل فيه ما قبله، فهو مفعول فعل بعده .

(١) سقط من أ .

سورة قريش

مكية، أو مدنية ، أربع آيات

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝﴾ [قريش: ١، ٢]، عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت : قال النبي ﷺ : إن الله فضل قريشاً بسبع خصال لم يعطها أحداً قبلهم ولا يعطيها أحداً بعدهم، إن الخلافة والحجابة فيهم وإن السقاية فيهم سورة لم يذكر فيها أحداً غيرهم ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١].

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ .

الفصل الثاني في المتشابه منها

قوله تعالى: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ ﴾ [قريش: ١، ٢] الثاني تأكيد للأول أو بدل منه واللام متعلقة بقوله: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا ﴾ [قريش: ٣] أي ليعبدوا الله من أجل الفهم، وقيل: متعلقة بجعلهم من سورة الفيل لأنهما كالسورة الواحدة بدليل إسقاط البسملة من بينهما في مصحف أبي، والمعني أنه أهلك أصحاب [الفيل] (١) لإيلاف قريش، وقيل: هي لام التعجب معناه أعجبوا لإيلاف قريش، وكان لها في كل سنة رحلتان رحلة في الشتاء إلى اليمن ورحلة في الصف إلى الشام ... انتهى والله أعلم.

(١) سقط من أ.

سورة الماعون

مكية ،أو مدنية، أو نصفها ونصفها ، ست ، أو سبع آيات

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ [الماعون: ١] ،قال مقاتل والكلبي: نزلت في العاص بن وائل السهمى .

وقال [ق/ ٣٥٩ أ] ابن جرير : كان أبو سفيان بن حرب ينحر كل أسبوع جزورين فآتاه يتيم فسأله شيئاً فقرعه بعصاة، فأنزل الله : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ① فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ١، ٢] الآية .

وأخرج ابن المنذر من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤] قال : نزلت في المنافقين كانوا يراؤون المؤمنين بصلاتهم إذا حضروا ويتركونها إذا غابوا ويمنعونهم العارية .

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ .

الفصل الثانى فى المتشابه منها

قوله : ﴿ الَّذِينَ هُمْ﴾ [الماعون :٥] كرره ولم يقتصر على مرة واحدة لامتناع عطف الفعل على الاسم ،ولم يقل : الذين هم يمنعون لأنه فعل فحسن العطف على الفعل .

سورة الكوثر

مكية، أو مدنية ،ثلاث آيات

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر:١] ، قال ابن عباس : نزلت في العاص بن وائل وذلك أنه رأى رسول الله ﷺ يخرج من المسجد وهو [ق/ ٢٨٦ ب] يدخل فالتقيا عند باب سهم فتحدثا وأناس من صناديد قريش في المسجد جلوس فلما دخل العاص قالوا له : من الذي كنت تحدث ؟ قال: ذلك الأبتر يعني النبي ﷺ وكان قد توفى قبل ذلك عبد الله بن رسول الله ﷺ وكان من خديجة وكانوا يسمون من ليس له ابن أبتر، فأنزل الله هذه السورة .

وقال عطاء عن بن عباس : كان العاص بن وائل يمر بمحمد ﷺ ،فيقول له : إني لأشنؤك وإنك لأبتر من الرجال، فأنزل الله : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ يعنى العاص ﴿هُوَ الأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:٣] يعني الأبتر من خير الدنيا والآخرة .

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ، والله تعالى أعلم .

الفصل الثاني في المتشابه منها

قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر:١] وبعده : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ﴾ [الكوثر:٣] قيد الخبرين بأن تأكيداً والخبر إذا أكد بأن قارب القسم .

سورة الكافرون
مكية أو مدنية، ست آيات
الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون : ١] إلى آخره ، نزلت في رهط من قريش قالوا : يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا كنا قد شركناك وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما في يديك كنت قد شركت في أمرنا وأخذت بحظك منه، فقال : «معاذ الله أن أشرك به غيره»، فأنزل الله : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] إلى آخر السورة، فغدا رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش، فقرأ عليهم حتى فرغ من السورة ،فعند ذلك آيسوا منه .

الفصل الثاني في منسوخها

وهو آية واحدة .

هي قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦] منسوخة بآية السيف إن كان المعنى لا قتال بيني وبينكم ، ومحكمة إن كان المعنى جزاء دينكم لكم وجزاء ديني لي . . انتهى .

الفصل الثالث في المتشابه منها

قوله : ﴿لا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٢] إلى آخره ، أقول : هذا التكرار اختصار وإيجاز هو إعجاز لأن الله تعالى نفى عن [نبيه] (١) عبادة الأصنام في الماضي والحال والاستقبال، ونفى عن الكفار المذكورين عبادة الله في الأزمنة الثلاثة أيضاً ، فاقتضى القياس تكرار هذه اللفظة ست مرات فذكر لفظ الحال لأن الحال هو الزمان الموجود واسم الفاعل واقع موقع الحال وهو صالح للأزمنة الثلاثة واقتصر من الماضي على المسند إليهم، فقال : ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ [الكافرون: ٤]، ولأن اسم الفاعل بمعنى الماضي يعمل على مذهب الكوفيين واقتصر من المستقبل على المسند إليه ، فقال : ﴿وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ﴾ [الكافرون: ٥] ،وكان أسماء الفاعلين بمعنى المستقبل . .انتهى، والله أعلم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

خاتمة :

قال القرطبي : روى أبو داوود عن فروة بن نوفل عن أبيه عن النبي ﷺ قال لنوفل اقرأ : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] ثم نم على خاتمتها، فإنها براءة من الشرك .

وقال ابن عباس : ليس في القرآن أشد غيظاً لإبليس من : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] لأنها توحيد وبراءة من الشرك .

وروى الوائلي من حديث جابر بن عبد الله أن رجلاً قام فركع ركعتي الفجر فقرأ في الركعة الأولى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] حتى ختم السورة، فقال النبي ﷺ : «هذا عبد آمن بربه» ، ثم قرأ في الركعة الثانية : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد: ١] حتى انقضت السورة ،فقال النبي ﷺ : «هذا عبد عرف ربه» .

(١) في أ : نفسه .

سورة النصر

مدنية، ثلاث آيات

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] الآيات نزلت منصرف النبي ﷺ من غزوة حنين، وعاش بعد نزولها سنتين .

وأخرج الواحدي عن ابن عباس قال : لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة حنين، فأنزل الله :﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ النصر: ١] قال : «يا علي وفاطمة قد جاء نصر الله والفتح» فقرأها إلى آخرها .

وأخرج عبد الرزاق في «مصنفه» عن معمر عن الزهري قال : لما دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح بعث خالد بن الوليد ،فقاتل بمن معه صفوف قريش أسفل مكة حتى هزمهم الله ثم أمر بالسلاح فرفع عنهم فدخلوا في الدين فأنزل الله :﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر :١] حتى ختمها .

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ.

الفصل الثاني في المتشابه منها

قوله : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] جواب إذا فسبح ،أو محذوف تقديره حضر أجلك أي إذا جاء نصر الله إياك على من عاداك حضر أجلك، وكان النبي ﷺ يقول : «لما نزلت هذه السورة نعى الله تعالى إلى نفسي»

وقال الحسن : علم النبي ﷺ أنه قد اقترب أجله، فأمر بالتسبيح والاستغفار، ليختم في آخر عمره [ق/ ٣٦١ أ] بالزيادة في العمل الصالح فكان يكثر من قوله : «سبحانك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب» .

وروى أن النبي ﷺعاش بعد نزولها سنتين وتسمى سورة التوديع . انتهى.

خاتمة :

قال القرطبي : هي آخر سورة نزلت جميعاً، قال ابن عباس في «صحيح مسلم» عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه: «هل تزوجت يا فلان ؟» قال : لا والله يارسول الله ولا عندي ما أتزوج به، قال :أليس معك ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾؟ [الصمد: ١] قال : بلى، قال :«ثلث القرآن، قال أليس معك : ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] ؟ «قال : بلى قال : «ربع القرآن ،قال أليس معك ؟ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ [الزلزلة: ١] ؟ قال : بلى ،قال : «ربع القرآن» قال : تزوج تزوج .

سورة تبت
مكية، خمس آيات
الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا﴾ [المسد: ١]، أخرج الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله ﷺ ذات يوم الصفا، فقال: «يا صباحاه» فاجتمعت إليه قريش، فقالوا به: ما لك ؟، فقال: أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم وممسيكم أما كنتم تصدقوني ؟ «قالوا: بلى، [قال]: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تبّاً لك ألهذا دعوتنا جميعاً، فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا﴾ [المسد: ١] إلى آخرها.

وروى البخاري عن ابن عباس قال: قام رسول الله ﷺ فقال: «يا غالب يا لؤي يا مرة يا كلاب يا قصي يا آل عبد مناف إني لا أملك لكم من الله منفعة ولا من الدنيا نصيباً إلا أن تقولوا لا إله إلا الله»، فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا دعوتنا، فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١].

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أنزل الله ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] أتى رسول الله ﷺ الصفا وصعد عليه، ثم نادى يا صباحاه ياصباحاه، فاجتمع إليه الناس بين رجل يجيء ورجل يبعث رسوله فقال: «يا بني عبد المطلب با بني فهر يا بني لؤي لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ قالوا: نعم، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ما دعوتنا إلا لهذا، فأنزل الله تعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١].

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ، والله سبحانه وتعالى أعلم.

الفصل الثاني في المتشابه منها

قوله : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد:١] ليس بتكرار مع ما بعده لأنه دعاء والثاني خبر، أي وقد تب أي خسر ، وقيل : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] أي عمله ﴿وَتَبَّ﴾ [المسد:١] أبو لهب ، فإن قلت : كيف ذكره الله تعالى بكنيته دون اسمه وهو عبد العزى مع أن ذلك إكرام واحترام ؟قلت : لأنه لم يشتهر إلا بكنيته ، أو لأن ذكره [ق/ ٣٦٢ أ] باسمه بخلاف الواقع حقيقة لأنه عبد الله لا عبد العزى [ق.٢٨٨ ب] أو لأنه ذكره بكنيته لموافقة حاله لها فإن مصيره إلى النار ذات اللهب وإنما كنى بذلك لتهلب وجنتيه وإشراقهما .

سورة الإخلاص
مكية، أو مدنية ، أربع أو خمس آيات
الفصل الأول في أسباب نزولها

قال قتادة والضحاك : جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ ،فقالوا : صف لنا ربك فإن الله أنزل نعته فى التوراة فأخبرنا من أي شيء هو ؟، ومن أي جنس هو ؟ أذهب هو أم نحاس أم فضة ؟ وهو يأكل أو يشرب ؟ ومن ورث الدنيا ومن يورثها ؟ ، فأنزل الله تعالى هذه السورة وهي [نسبة] (١) الله خاصة .

وروى أبو العالية عن أبي كعب : أن المشركين قالوا : يارسول الله أنسب لنا ربك ؟ ، فأنزل الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص :١، ٢، ٣، ٤] لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت وليس شيءيموت إلا يورث وإن الله تعالى لا يموت ولا يورث ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص :٤] قال : لم يكن له شبه ولا عدل وليس كمثله شيء .

وروى عن الشعبي عن جابر قال : قالوا : يا رسول الله انسب لنا ربك، فنزلت ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد: ١] إلى آخرها . . .انتهى .

وليس فيها ناسخ ولا منسوخ ، والله أعلم .

الفصل الثاني في المتشابه منها

قوله تعالى ﴿ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾[الإخلاص: ١، ٢] كرر لتكون كل جملة منها مستقلة بذاتها غير محتاجة إلى ما قبلها ،ثم نفى عنه سبحانه الولد بقوله :﴿ لَمْ يَلِدْ﴾ [الإخلاص: ٣] والوالدين بقوله : ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص :٣] والصاحبة بقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٤] والمشهور أن أحداً وواحد معناهما واحد واستعمل هنا أحد على خلاف المشهور لراعية الفواصل .

(١) فى أ : سنة.

خاتمة

قال القرطبي : قيل : إن القـرآن أنزل أثلاثاً ثلثاً منه أحكام وثلثاً منه وعد ووعيد وثلثاً منه أسماء وصفات وقد جمعت ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد: ١] الثلث وهو الأسماء والصفات .

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : «من قرأ كل يوم مائتي مرة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد: ١] محى الله عنه ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين .

وفي مسند الدارمي عن أبي محمـد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «من قـرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَـدٌ﴾ [الصمد: ١] خمـسين مرة غفرت له ذنوب خمسين سنة » .

وعن سعيد بن المسيب يقول : إن نبي الله ﷺ قال : «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد: ١] عشر مرات بني له قصراً في الجنة ،ومـن قـرأهـا عشـرين مرة بنى له بها قصران فى الجنة، ومـن قرأها ثلاثين مرة بني له ثلاث قصور في الجنة » فقـال عمر : يا رسول الله إذا لتكثـر قصورنا، فقـال رسول الله ﷺ [ق/ ٣٦٣ أ] : «من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد: ١] في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة .

وعن ابن عـمـر قال : قـال رسـول الله ﷺ :« من دخل يوم الجـمعـة [المسجد] (١) فصلى أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وخمسين مرة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد: ١] فذلك مائتان مرة في أربع ركعات لم يمت حتى يرى منزله من الجنة ، أو يرى له .

وقال رسـول الله ﷺ من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَـدٌ﴾ [الصمـد: ١] حين يدخل منزله نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل، وعن الجيران .

---

(١) زيادة من ب .

سورة الفلق

مكية، أو مدنية، خمس آيات

الفصل الأول في أسباب نزولها

قوله تعالى ﴿قُلْ﴾ [الفلق:١] إلى أخره، قال المفسرون : كان غلام من اليهود يخدم النبي ﷺ فأتت إليه اليهود ولم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس [ق/ ٢٨٩ ب] النبي ﷺ وعدة أسنان من مشطه فأعطاها اليهود فسحروه فيها وكان الذي تولى ذلك لبيد بن أعصم اليهودي ثم دسها في بئر لبنى زريق يقال له : ذروان ، فمرض رسول الله ﷺ وانتشر شعر رأسه وصار يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن وجعل يدور ولا يدري ما عراه ،فبينما هو نائم ذات يوم أتاه ملكان فقعدا أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رأسه : ما بال الرجل قد طب ؟ ،قال : وما طب ؟ قال : سحر ،قال : من سحره ؟ ، قال : لبيد بن أعصم اليهودي ، قال : وبم طبه ؟ ،قال : بمشط ومشاطه ،قال : أين هو ؟ ،قال : في جف طلعة تحت راعوفة في يئر ذروان . «والجف» قشر الطلع ، والراعوفة حجر في أسفل البئر يقوم عليه السابح ،فانتبه النبي ﷺ ،فقال : «يا عائشة أما شعرت أن الله أخبرني بدائى ؟» ثم بعث علياً والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف، فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان مشطه وإذا وتر معقود فيه إحدى عشر عقدة مغروزة بالإبر ، فأنزل الله تعالى سورتي المعوذتين فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد رسول الله ﷺ خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة، فقام كأنما نشط من عقال، وجعل جبريل عليه السلام يقول : باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن حاسد وعين والله يشفيك ،قالوا : يا رسول الله أفلا نأخذ الخبيث

فنقتله؟ فقال: « أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن أثير على الناس شرّاً .. انتهى.

وليس في المعوذتين ناسخ ولا منسوخ.

الفصل الثاني في المتشابه منها

قوله: ﴿قُلْ﴾ [الفلق: ١] نزلت [ق/ ٣٦٤ أ] في ابتداء خمس سور وصار متلواً بها لأنها نزلت جواباً، وكرر قوله: ﴿مِن شَرِّ﴾ [الفلق: ٢] أربع مرات لأن شر كل واحد منها غير شر الآخر.

سورة الناس
مكية، أو مدنية، ست آيات .
وتقدم سبب نزولها آنفا
فصل في المتشابه منها

قوله : ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس:١] كرر خمس مرات تبجيلاً لهم على ما سبق ،وقيل : كرر لانفصال كل آية من الأخرى لعدم حروف العطف، وقيل : المراد : بالأول الأطفال ومعنى الربوبية يدل عليه، وبالثاني الشبان ولفظ الملك المبني على السياسة يدل عليه ،وبالثالث الشيوخ ولفظ إله المبني على العبادة يدل عليه ، وبالرابع الصالحون والأبرار والشيطان مولع بإغوائهم، والخامس المفسدون الأشرار بقرينة عطفه على الجنة المتعوذ منهم. . انتهى .

خاتمة

روى القرطبي عن عائشة رضي الله تعالى عنها : أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه المعوذتان وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عنه بيده رجاء لبركتها . . متفق عليه .

وعنها أن النبي ﷺ كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما فقرأ بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ويفعل ذلك ثلاث مرات .

وذكر أبو عمرو فى كتاب «الاستذكار» : رقي رسول الله ﷺ من العقرب بالمعوذتين وكان يمسح الموضع بما فيه ملح .

[خاتمة] (١) في تجويد القرآن

وقد رأينا من [أحسن] (٢) كتب التجويد وأوضحها كتاب «غنية الطالبين ومنية الراغبين» للإمام محمد بن القاسم البقري الشافعي رحمه الله، وهو كتاب يشتمل على خمسة عشر باباً وخاتمة .

الباب الأول : في مخارج [ق/ ٢٩٠ ب] الحروف وصفتها .

الباب الثاني : في بيان التجويد وموضوعه وغايته .

الباب الثالث : فى بيان كلمات تجب المحافظة عليها لصعوبتها على الناطق بها .

الباب الرابع : في بيان أحكام الراء واللام .

الباب الخامس : في بيان المثلين والمتقاربين والمتجانسين من الكلمات التي يجب الإدغام فيها لجميع القراء . . انتهى .

الباب السادس : في بيان اللام الشمسة والقمرية ولام الفعل .

الباب السابع : في بيان الظاء من الضاد ،وفي حروف تقع بعد الضاد والظاء .

الباب الثامن : في بيان أحكام النون الساكنة والتنوين والميم الساكنة .

الباب التاسع : في بيان المد [ق/ ٣٦٥ أ] .

الباب العاشر : في بيان الوقف والابتداء .

الباب الحادي عشر : في بيان [هاء الضمير] (٣) والبداءة بهمزة الوصل .

الباب الثاني عشر : في بيان الوقف على أواخر الكلم من روم وإشمام وغير ذلك .

---

(١) فى ب : تتمة .

(٢) سقط من أ .

(٣) فى أ : الضم .

الباب الثالث عشر : في بيان [أحكام] [١] الوقف على بلى وكلا ونعم.

الباب الرابع عشر : في بيان من أمر بكتابة المصاحف ومن كتبها وعدة المصاحف التي كتبت .

الباب الخامس عشر : في بيان المقطوع والموصول .

خـاتمة : في بيان كلمات كتبت بالتاء المجرورة، وفي جملة من المرسوم، وقد أردنا أن نكتب هذا الكتاب برمته ما عدا الباب الخامس عشر والخاتمة إذ لا يتعلق بهما كبير غرض .

الباب الأول

في بيان مخارج الحروف وصفاتها

أما المخارج فانقسم العلماء فيها على ثلاثة أقسام، فذهب الخليل بن أحمد إلى أنها سبعة عشر مخرجاً وتبعه الشمس بن الجزري، وذهب سيبويه إلى أنها ستة عشر مخرجاً وتبعه الشاطبي رحمه الله، وذهب قطرب والجرمي وابن كيسان وابن زياد والفراء إلى أنها أربعة عشر مخرجاً، أما من جعلها سبعة عشر ، فجعل في الجوف مخرجاً، وفي الحلق ثلاثة، وفي اللسان عشرة وفي الشفتين اثنين وفي الخيشوم واحد ،ومن جعلها ستة عشر أسقط الجوف وفرق حروفه على الحلق واللسان والشفتين، ومن جعلها أربعة عشر أسقط الجوف كسيبويه وجعل مخارج اللسان ثمانية، وأنا أتبع في هذه المقدمة الخليل بن أحمد تبعاً لشيخ شيوخنا الشمس بن الجزري .

إذا علمت ذلك فاعلم أن المخارج يعمها الجوف والحلق واللسان والشفتان والخيشوم، وإن أردت معرفة مخرج حرف من الحروف فسكنه وأدخل عليه همزة الوصل فإن فعلت ذلك ظهر لك مخرجه، وهمزة الوصل تكون مكسورة ومفتوحة والكسر أملك والفتح كما قاله المحققون رحمهم الله، ولما

(١) في ب : حكم .

كان النفس يخرج من داخل الرئة، ثم يخرج متصعداً إلى الفم جعل العلماء المخارج مرتبة على الترتيب الآتي ذكره، فأول المخارج : الجوف، يخرج منه حروف المد الثلاثة الآتي ذكرها، والجوف هو الخلاء الداخل في الفم لا حيز له محقق وتسمى هذه الحروف الثلاثة جوفية لخروجها من الجوف ولأن النفس ما دام موجوداً كانت موجودة وإذا انقطع النفس انقطعت.

الثاني : الحلق وفيه ثلاث مخارج كل مخرج منها فيه حرفان، فمخارج الحلق ثلاثة وحروفه ستة الهمزة فالهاء يخرجان من آخر وكذا الألف المدية عند سيبويه وموافقيه فالحاء فالعين يخرجان من وسطه فالخاء فالغين يخرجان من أوله، والمراد بآخر الحلق هو ما يلي أول الصدر وبوسطه ما بين الأول والآخر وبأوله ما يلي آخر اللسان .

الثالث : اللسان [ق/ ٣٦٦ أ] ومخارجه عشرة وحروفه ثمانية عشر حرفاً القاف فالكاف يخرجان من أقصاه أعني آخره ، لكن القاف مستعلية [والكاف مستفلة] (١) ويسميا لهويتن لخروجهما .

من اللهات وهي لحمة مشتبكة بآخر اللسان تروح على القلب فلولا هي لاحترق القلب من شدة النفس، فالجيم فالشين فالياء اللينة يخرجن من وسطه، وعند سيبويه تخرج الياء مدية أو لينة منه، وتسمى الثلاثة شجرية لخروجها من شجر الفم أعني منفتح ما بين اللحيين ،فالضاد تخرج من الأضراس العلية من جهة اليسرى كثيراً، أو من جهة اليمين قليلاً وممن كان يخرجهما من الجانبين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فالام تخرج قريباً من حافة اللسان أي من حرفه، فالنون تخرج من طرفه، فالراء تخرج كذلك إلا أنها أدخل إلى جهة ظهر اللسان ولقرب الثلاثة جعلها قطرب وموافقوه تخرج من طرف اللسان وتسمى الثلاثة ذلقية ذولقية لخروجها من ذلق اللسان أعني طرفه ،فالطاء فالدال فالتاء تخرج من طرف اللسان مع عليا الثنايا

(١) سقط من أ .

وتسمى الثلاثة نطعية لخروجها من نطع الفم أي غاره، الصاد فالزاي فالسين تخرج من طرف اللسان وفوق الثنا السفلى وتسمى الثلاثة أسلية لخروجها من أسل اللسان أي ما دق منه ، فالظاء فالذال فالثاء تخرج من طرف اللسان وطرف الثنايا [العليا] (١) وتسمى الثلاثة لثوية لخروجها اللثة أي لحم الأسنان .. انتهى .

الرابع : الشفتان ولهما مخرجان ،المخرج الأول يختص بالفاء وهي تخرج من بطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا .

الثاني : يختص بالشفتين معاً ويخرج منه ثلاثة أحرف الباء والميم والواو اللينة ،وعند سيبويه وموافقيه الواو مدية أو لينة تخرج منهما وإنما قدمنا الباء لأن الشفتين ينطقان حال النطق بما انطباقاً شديداً ويليها في الانطباق الميم ويليها في ذلك الواو .. انتهى .

الخامس : الخيشوم وهو أقصى الأنف تخرج منه الغنة وتكون في النون والتنوين أدغما وأخفيا وكذلك النون والميم المشددتان [وكذلك] (٢) الميم إذا أخفيت عند الباء أو أدغمت في الميم وبعضهم أنكر هذا المخرج الأخير وجعله صفة من الصفات والجمهور يعدونه من المخارج ولا ينظرون إلى ذلك القائل، وقد ذكر القسطلاني رحمه الله تعالى وتابعه جماعة من العلماء على ذلك أن المخارج للحروف بمثابة الموازين، والصفات بمثابة الناقد الذي يميز الجيد من الرديء فلولا الصفات على الحروف لكانت بمثابة أصوات البهائم لا يميز بعضها عن بعض [فلذلك] (٣) قدمت الناس الكلام على المخارج أعقبوها بذكر الصفات فأقول موافقة لهم على ذلك : الصفات على [ق/ ٣٦٧ أ] قسمين ،صفات لها ضد ، وصفات لا ضد لها، أما الصفات

---

(١)في أ : السفلى .

(٢) في ب : وكذا في .

(٣) في ب : فلهذا .

التي لها ضد فهي خمسة : الجهر والرخو الاستفال والانفتاح والإصمات وكل واحدة منها لها ضد واحد إلا الرخو فله ضدان الشدة وبين الشدة والرخو فضد الجهر الهمس وحروف الهمس عشرة جمعتها في كلمات ثلاثة وهى (شخص كثف سحته) وما بقي من حروف التهجي مجهور وهي ما عدا ذلك، والهمس معناه في اللغة الخفاء ومنه قوله تعالى : ﴿فَلا تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً﴾ [طه:١٠٨] وسميت مهموسة لضعف الاعتماد عليها وجريان النفس مع أكثرها .

والجهر في اللغة الإعلان وسميت حروفه مجهورة لقوة الاعتماد عليها وانحباس النفس مع أكثرها والأحرف الشديدة ثمانية جمعتها في كلمتين وهما (أجدك قطبت) والحروف التي ابين الرخاوة والشدة خمسة جمعتها في كلمة وهي [ق/ ٢٩٢ ب] (لنقمر) والباقى من حروف التهجي رخو خالص وهي ستة عشر حرفاً .

والشدة في اللغة القوة وسميت هذه الأحرف شديدة لقوتها ولانحباس الصوت والنفس عند النطق بها .

والرخو في اللغة اللين وسميت هذه الأحرف رخوة لسهولتها وجريان النفس مع أكثرها ،والاستعلاء حروفه سبعة جمعتها في أوائل كلمات هذا البيت فقلت .

[خذ صديق ظني] [1] غني قامع .

وما عدا هذه الأحرف مستعل وهي اثنان وعشرون حرفاً .

والاستعلاء في اللغة الارتفاع ،وسميت هذه الأحرف مستعلية لاستعلاء طائفة من اللسان حال النطق بها إلى الحنك الأسفل، والأحرف المطبقة أربعة وهي : الصاد والضاد والطاء والظاء سميت بذلك لانطباق طائفة من اللسان

(١) فى ب : خذ صدق ضيف طيب ظل .

حال النطق بها بالحنك الأعلى وما عدا الأربعة منفتح سميت بذلك لأن الفم ينفتح معها وإن استعلا مع بقية حروف الاستعلاء لكنه لا إطباق فيه والأحرف المذلقة ستة جمعتها في أوائل كلمات هذا البيت، فقلت :

من نال فوزاً راقياً لا يخشى بواقيا، وسميت هذه الأحرف مذلقة لخروج بعضها من ذلق اللسان وبعضها من ذلق الشفة أو الشفتين وذلق كل شيء طرفه كما تقدم، ومن الأعاجيب التي لا يسمع بمثلها أن العلماء قالوا : إن كل كلمة مبناها أربعة حروف أو خمسة لابد وأن يكون فيها حرف من الحروف المذلقة وأورد على ذلك كلمات مبناها من أربعة أحرف ومن خمسة ومع ذلك ليس فيها حروف من الحروف المذلقة نحو : عسجد اسم للذهب وعسطوس اسم للخيزران ،وأجيب عنها : أنها ليست عربية في الأصل وإنما استعملت في لغة العرب وليست منها فلا ترد نقضاً ، وما عدا الستة مصمت، وهي ثلاثة وعشرون حرفاً، وسميت مصمتة لما تقدم من أن كل كلمة اشتملت على حروف أربعة أو خمسة لابد وأن يكون فيها حرف من الحروف المذلقة، وقيل : إنها سميت مصمته لأن النفس لا يجري معها حين النطق كجريانه [ق/ ٣٦٨ أ] مع الحروف المذلقة، وأما الصفات التي لا أضداد لها فتختص ببعض الحروف لا بكلها من ذلك الصفير في الصاد والزاي والسين، وسميت حروفه بذلك قيل : لأنها تشبه صوت يظهر منها صوت يشبه الصفر، ومنها حروف القلقلة ويقال لها اللقلقة وحروفها خمسة جمعتها في قولي : جد طبق .

وكان شيخنا يتوقف فيها ويميل إلى أن القلقلة منع الشخص نفسه من تحريكه الحرف وخالفه جماعة من معاصريه وقال : إن القلقلة نبرة لطيفة يأتي بها القارئ في الحرف المقلقل وشيخنا لا يمنعه إلا أنه يتوقف فيه لما قاله الشمس بن الجزرى في نشره ،وقال الخليل : القلقلة شدة الصياح إلى آخر ما قاله وذلك لا يفهم أن القلقلة تحريك الحرف واللين يكون في

الواو والياء الساكنتين المفتوح ما قبلهما كخوف وبيت، وسميا بذلك لخروجهما من غير كلفة على اللسان والانحراف يختص باللام والراء وهو في اللغة الميل يقال : انحرف الرجل عن الطريق أي مال عنها وسميت والتكرار ويقال له التكرير يختص بالراء وهو في اللغة الاضطراب ،وسميت الراء مكررة لاضطراب طائفة من اللسان حال النطق بها [ق/ ٢٩٣ ب] ومعنى كونها مكررة أنها قابلة للتكرير، والتفشي يختص بالشين وهو في اللغة الانتشار يقال : فشي الأمر بين الناس أي انتشر، وسميت الشين بذلك لانتشار الريح في الفم حال النطق بها والاستطالة تختص بالضاد وهي في اللغة الامتداد يقال : استطال الأمر بمعنى امتد، وسميت الضاد مستطيلة لاستطالة اللسان وامتداده في مخرجه حال النطق بها، والفرق بين الاستطالة والمد [أن الاستطالة امتداد الحرف في مخرجه والمد] (١) امتداد الصوت من غير اختصاص بالمخرج، والصفات فعلى ثلاثة أقسام : قوية وضعيفة ومتوسطة بين القوة والضعف ، فحروف الاستعلاء والإطباق والجهر والشدة قوية، وحروف الهمس التي خلت من الشدة والرخو التي خلت حروفه من الجهر ضعيفة، والحروف التي بين الرخو والشدة وحروف الاستفال والإصمات التي خلت من الجهر والشدة متوسطة، وحروف الإذلاق جمعت بين الثلاثة فالفاء منها ضعيفة والباء قوية وبقية حروفه متوسطه، والله أعلم .

---

(١) سقط من أ .

الباب الثاني
في بيان التجويد وموضوعه وفائدته وغايته

أما التجويد فمعناه في اللغة: التحسين يقال: هذا شيء جيد أي حسن.

واصطلاحاً: تلاوة القرآن وإعطاء كل حرف حقه ومستحقه على حسب ما أنزل الله على نبيه .

وموضوعه الكلمات القرآنية [ق/ ٣٦٩ أ] .

وفائدته: الفوز بسعادة الدارين .

وغايته صون اللسان عن الخطأ فيما نزل من القرآن وهو واجب بالكتاب والسنة، قال الشمس بن الجزري في نشرة التجويد : فرض على كل مكلف، وقال رحمه الله : إنما قلت : التجويد فرض لأنه متفق عليه بين الأئمة بخلاف الواجب فإنه مختلف فيه، أما وجوبه بالكتاب فقوله : ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤] قال المفسرون : أي ائت به على تؤدة وطمأنينة وتأمل ورياضة اللسان على القراءة بترقيق المرقق وتفخيم المفخم وقصر المقصور ومد الممدود وإظهار المظهر وإدغام المدغم وإخفاء المخفي وغير ذلك مما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في موضعه .

وأما وجوبه بالسنة ،فقوله ﷺ :«اقرؤوا القرآن بلحون العرب وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر فإنه سيجيء أقوام من بعدي يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم» رواه مالك في كتاب «الموطأ» والنسائي في «سننه» والمراد بلحون العرب نطق اللسان بحسب جبلته وطبيعته على طريق العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، والمراد بلحون أهل الفسق مراعاة

الأنعام المستفادة من العلم الموضوع لها فإن راعى القارئ النغمة فقصر الممدود ومد المقصور حرم ذلك وإن قرأه على حسب ما نزل من غير إفراط ولا تفريط فإنه يكون مكروهاً، وقوله ﷺ: «سيجيء أقوام من بعدي» إلى آخره يشير بذلك إلى هذه الأزمنة التي كثر فيها التخبيط من حب الرياسة واستياح المحرم وعدم الاكتراث بما جاء من الوعيد في ذلك، والغناء بالمد بمعنى التغني بخلافه بالقصر فإنه ضد الفقر فإن فتحت عينه فهو بمعنى الكفاية ومنه قول الشاطبي رحمه الله تعالى وأغني غناءً قال شراح كتابه: أي أكفاء كفاية، والمراد بالرهبانية ما تفعله النصارى في كنائسهم من التطريب وضرب النواقيس ونحوها، والمراد بالنوح ما تفعله النائحة في التعديد وذكر الشمائل بصوت حزين، وقوله ﷺ: «مفتونة قلوبهم» إلى آخره أي مصروفة عن طريق الحق بعيدة عن رحمة الله تعالى، والمعنى أن قلوب هؤلاء ومن [ق/ ٢٩٤ ب] يعجبهم شأنهم أي حالهم وطريقهم مصروفة عن رحمة الله تعالى والطريق الموصلة إليه، وقد ابتدع قراء زماننا في القرآن ابتداعات كثيرة منها شيء يسمى بالتطريب وهو الترنم بالقرآن ومراعاة الصوت من غير نظر إلى أحكامه، وشيء يسمى بالترقيص ومعناه أن الشخص يرقص صوته بالقرآن فيزيد فى حرف المد حركات بحيث يصير كالمنكسر الذي يفعل الرقص، وقال [ق/ ٣٧٠ أ] بعضهم: هو أن يروم السكت على الساكن ثم ينفر مع الحركة في عدو وهرولة، وشيء يسمى بالتحزين وهو أن يترك طباعه وعادته في التلاوة ويأتي بها على وجه آخر كأنه حزين يكاد أن يبكي من خشوع وخضوع، وشيء يسمى بالترعيد ومعناه أن الشخص يرعد صوته بالقرآن فكأنه يبكي من [شدة] (١) برد أو ألم وشيء يسمى [بالتحريف](٢) وهو ما يفعله أهل هذا الزمان من القراءة

(١) سقط من أ.

(٢) فى أ: بالتحزين.

بمراعاة الصوت فيقف على بعض الكلمة ويبتدئ ببعضها من غير نظر إلى أحكام القرآن .

قلت : وهو ما يفعله أهل المكاتب من درج القرآن وعدم مراعاة الأحكام وكثرة التنافس حال النطق به وهذا حرام متوعد على فعله، قال بعضهم : وهؤلاء ومن قبلهم ممن يفعل الكيفيات المتقدم ذكرها يدخلون في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] عافانا الله من ذلك وسلك بنا أحسن المسالك ،ثم إن مراتب التجويد [ثلاثة:] (١) ترتيل وتدوير وحدر، فالترتيل هو التأني في القراءة مع تدبرها والتفكير في معناها، والتدوير هو أن يقرأ القارئ بحالة وسطى مع التدبر والتفكير ، والحدر هو درج القراءة مع مراعاة الأحكام ومراعاة ما تقدم ولا تتقيد الأقسام بقراءة قارئ من القراء وينبغي للقارئ إذا قرأ بالتجويد أن [لا] (٢) يبالغ في التفخيم والترقيق ولا يتعمق في ذلك لأن التجويد بمثابة البياض إن كثر صار برصاً وإن قل صار سمرة فالأولى أن يقرأ بحالة وسطى وأن يحترز عن اللحن والإدماج في القراءة إذا اللحن قسمان جلي وخفي ،فالجلي خطأ بغير اللفظ ويخل بالمعنى كضم التاء من أنعمت وكسرها، والخفي بغير اللفظ ولا يخل بالمعنى والإعراب كترك الإخفاء والإقلاب والغنة وغير ذلك، والإدماج التساهل حال القراءة فينشأ من ذلك بعض الحروف . . والله أعلم .

(١) سقط من أ .

(٢) سقط من أ .

الباب الثالث

في بيان كلمات تجب المحافظة عليها لصعوبتها على الناطق بها

من ذلك قوله تعالى : ﴿الحمد لله﴾ و ﴿أعوذ﴾ في الابتداء، وكذلك همزة اهدنا وهمزة الجلالة إذا ابتدأت بها، وكذا قوله تعالى ﴿لنا﴾ واللام من قوله تعالى : ﴿وليتلطف﴾ وكذا الميمان من ﴿مخمصة﴾ والميم من مرض وكذا الباء من ﴿برق﴾ و﴿باطل﴾ و﴿بهم﴾ و﴿بذيء﴾ فهذه وما أشبهها في القرآن يجب ترقيقها لمجاورة بعضها لأحرف الاستعلاء وبعضها للأحرف المجهورة وبعضها لأحرف الهمس، وينبغي للقارئ أن يحترز حال نطقه بالجيم أن تنقلب شيناً في نحو قوله : ﴿اجْتُثَّتْ﴾ [إبراهيم:٢٦] و﴿يخرجون﴾ و﴿الجنة﴾ ،ونحو ذلك، ويحترز إذا نطق بالباء أن تنقلب فاء في نحو قوله [ق/ ٣٧١ أ] تعالى : ﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ [العاديات:٨] ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:٣] وغير ذلك، ويحترز أيضاً إذا نطق بالفاء أن تقلب باء خصوصاً إذا سكنت الفاء وفعت الباء بعدها نحو قوله تعالى : ﴿نَخْسِفْ بِهِمُ﴾ [سبأ:٩] على غير قراءة الكسائي، وكذلك يحترز حال نطقه بالهاء إذا وقع قبلها حاء أن تنقلب من جنس ما قبلها نحو قوله تعالى ﴿وسبحه﴾، وكذلك حال نطقه بالحاء نحو أن تنقلب عيناً من قوله تعالى : ﴿فاصفح عنهم﴾، وكذا [ق/ ٢٩٥ ب] في كل حاء ساكنة وإن لم تلق عيناً كقوله تعالى : ﴿من تحتها الأنهار﴾ ،ويحترز إذا نطق بالغين من قوله تعالى : ﴿ لا تزغ قلوبنا ﴾ أن تدغم في القاف، وكذا يحترز من قلب التاء طاء من قوله تعالى ﴿لو حرصتم﴾ لمجاورة التاء لحرف الاستعلاء، وكذلك يحترز من تفخيم الهاء من قوله تعالى ﴿فما فوقها﴾ لمجاورتها لحرف الاستعلاء، وكذا في الهاء من قوله تعالى: ﴿وما يلقاها﴾ [وكذلك يحرص] (١) حال

(١) سقط من أ .

نطقه بالتاء أن تنقلب دالاً من نحو قوله تعالى : ﴿كانت تأتيهم﴾ لاشتراك التاء والدال في المخرج، ويحرص أيضاً على الطاء حال نطقه بها أن تنقلب تاء سكنت أو تحركت نحو قوله تعالى : ﴿فهو يطعمني﴾ و﴿الذى أطمع﴾ ﴿فطوعت له نفسه﴾ ﴿إنا تطيرنا بكم﴾ ، ويحرص أيضاً على ترقيق الكاف لئلا تنقلب جيماً أو مشيناً كما يفعله جهلة الأعجام في نحو قوله تعالى : ﴿كانت مرصادا﴾ ﴿والكافرين﴾ و﴿شراً لكم﴾ وشبه ذلك ويحرص أيضاً على إدغام الطاء في التاء إدغاماً ناقصاً من قوله تعالى : ﴿ بسطت ﴾ و﴿ أحطت ﴾وذلك أنه يأتي بالصفة أعنى تفخيم [الطاء] (١) مع إدغام الحرف، ويحرص على التاء أن تنقلب طاء، ووقع الخلاف في قوله تعالى ﴿ألم نخلقكم﴾ بالمرسلات فذهب الداني إلى أدغام القاف في الكاف إدغاماً كاملاً، وذهب مكي إلى إدغامه إدغاماً ناقصاً، وذهب الشمس بن الجزري إلى أن كمال الإدغام أولى ووافقه شيخنا على ذلك، ويحترز أيضاً إذا نطق بالذال أن تنقلب ظاء في قوله تعالى ﴿إن عذاب ربك كان محذوراً﴾ لئلا تلتبس بمحظوراً وذلك لاتفاقهما في المخرج، ويحرص على ترقيق السين لئلا تنقلب صاداً في نحو قوله : ﴿ عسى ربنا ﴾ ، وكذا في الصاد أن تنقلب سيناً من نحو قوله تعالى : ﴿ فعصى فرعون الرسول ﴾ لاتفاقهما في المخرج، ويحرص على الساكن حال نطقه أن يتحرك من نحو قوله تعالى: ﴿أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم﴾ ، وكذلك يحترز أن تنقلب الغين خاء من نحو قوله تعالى ﴿استغفر لهم﴾ ، وكذلك يحرص على الخاء أن تنقلب غيناً من نحو قوله تعالى ﴿ويخشون ربهم﴾، والله أعلم .

---

(١) سقط من أ .

الباب الرابع
في بيان أحكام الراء واللام

ليعلم أن الراء تنقسم إلى عشر أقسام وتلك إما أن تكون مفتوحة، أو مكسورة، أو مضمومة أو ساكنة فإن وجدت الحركات الثلاثة وقعت الراء أو الكلمة ووسطها وآخرها هذه تسعة أقسام والقسم العاشر أن تكون ساكنة كما تقدم، وحكمهما في هذه [ق/ ٣٧٢أ] الأقسام أنها تفخم في حالتي الفتح والضم وقعت أولاً أو وسطاً أو آخراً، وترقق حالة الكسر فيما إذا وقعت كذلك .

مثال الراء المفتوحة أول الكلمة : ربك، والمضمومة : ربوة، والمكسورة رزقاً .

ومثال ما إذا وقعت مفتوحة في وسط الكلمة : ﴿وضرب لنا مثلاً﴾ ، ومكسورة ﴿برق البصر﴾ ومضمومة ﴿قربان عند الله﴾ .

ومثال ما إذا وقعت مفتوحة في آخر الكلمة ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ ومثال المكسورة : ﴿وتواصوا بالصبر﴾ ، ﴿بقادر﴾ .

ومثال المضمومة ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ .

وإن كانت ساكنة فترقق بشروط ثلاثة : أن ينكسر ما قبلها ،وأن تكون الكسرة أصلية وأن لا يكون بعدها حرف استعلاء نحو قوله تعالى : ﴿أم لم تنذرهم﴾ و﴿مرية﴾ و﴿شرعة﴾ و﴿شرذمة﴾ فإن فقد شرط من الشروط الثلاثة فخمت نحو قوله تعالى ﴿قرية﴾ و﴿أم ارتابوا﴾ و﴿إن ارتبتم﴾ و﴿بالمرصاد﴾ هذا كله في حالة الوصل فإن وقفت عليها فلا تخلو من أن تكون مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة، فإن انفتحت أو انضمت وقفت عليها بالتفخيم، نحو قوله تعالى : ﴿إنا أعطيناك﴾ ﴿إن شائنك هو الأبتر﴾ ،

وإن انكسرت فقف عليها بالترقيق نحو ﴿قادر﴾ و﴿ساحر﴾ [ق/ ٢٩٦ ب] فإن سكن ما قبلها قلك فيها وجهان [التفخيم والترقيق] (١) والأول أصح وعليه المعول، ومحل الوجهين ما لم يأت قبلها حرف استعلاء فخمت اتفاقاً، وإن انضم ما قبلها فخمت قولاً واحداً .

مثال : ما إذا سكن ما قبلها وهي مكسورة ﴿القدر﴾ ، و﴿الفجر﴾ .

ومثال : ما إذا انضم ما قبلها نحو وتدر و﴿سعر﴾، وإذا انفتح ما قبلها وهي مكسورة فخمت كذلك نحو : ﴿البشر﴾ و ﴿القمر﴾ .

تنبيه : محل ما تقدم من التفخيم ما لم تكن قبل الراء ياء ساكنة، أو كسرة ، أو إمالة، فإن وقع ذلك رققت، وما عدا ذلك بالتفخيم على ما تقدم والروم تابع للوصل من ترقيق وتفخيم، وأما اللام فإما أن تقع في جلالة أو غيرها فإن كانت في جلالة إن انكسر ما قبلها رققت ،وإن انفتح ما قبلها أو انضم فخمت .

مثال ما إذا انكسر ما قبلها ﴿بسم الله﴾،

ومثال ما إذا انفتح ما قبلها ﴿قال الله﴾ .

ومثال ما إذا انضم ما قبلها ﴿عبد الله﴾ وأما اللام في غيرها فإنها مرققة للجميع إلا إذا انفتحت فإن ورشاً يفخمها .

مثال الثلاثة المفتوح ما قبلها ﴿الصلاة﴾ و﴿الطلاق﴾ و﴿ظل﴾ .

ومثال الثلاثة الساكن ما قبلها : ﴿يصلى﴾ و﴿مطلع﴾ و﴿أظلم﴾ فإن فصل بين حرف الإستعلاء واللام ألف فلورش فيها وجهان التفخيم والترقيق وقد وقع في القرآن من ذلك ثلاثة ﴿طال﴾ و﴿فصالاً﴾ و﴿يا صالح﴾ ، والله أعلم .

---

(١) في أ : والترخيم .

الباب الخامس

في بيان المثلين والمتقاربين والمتجانسين من الكلمات [ق/ ٣٧٣ أ] التى يجب الإدغام فيها لجميع القراء

المراد بالإدغام هنا الإدغام الصغير وهو أن يكون الحرف الأول ساكناً والثاني متحركاً، أما إدغام المثلين الصغير فعرف بأنه كل حرفين اتحدا صفة ومخرجاً كاللامين والميمين ونحو ذلك مثال ذلك ﴿ربحت تجارتهم﴾ و﴿بل لا يخافون الآخرة﴾ ،والمتقاربين كل حرفين تقارباً صفة أو مخرجاً نحو : ﴿قل رب﴾ و﴿بل ران﴾ ونحو ذلك ،والمتجانسين كل حرفين اتحدا في المخرج واختلفا في الصفة نحو ﴿إذ ظلموا﴾ ﴿ودت طائفة﴾ ﴿أثقلت﴾ ﴿دعوا الله﴾ فيجب إدغام الثلاثة لجميع القراء إلا اللام من ﴿بل ران﴾ ،فإن حفصاً أظهرها وسكت عليها سكتة لطيفة وليس من المثلين نحو قوله تعالى: ﴿ آمنو وعملوا الصالحات﴾ ﴿لقد كان في يوسف﴾ بل الأول من الحرفين حرف مد يجب بيانه لجميع القراء ولا يدغم بحال، والله أعلم .

الباب السادس
في بيان اللام القمرية والشمسية ولام الفعل

أما اللام القمرية كل لام وقع بعدها حرف من الأربعة عشر حرفاً يجمعها قولك : ابغ حجك وخف عقيمه ،وهذه اللام يجب إظهارها اتفاقاً . مثال اللام عند الهمزة ﴿الأرض﴾، وعند الباء ﴿البلد﴾ وعند الغين ﴿والغارمين﴾،وعند الواو ﴿والولدات﴾ ،وعند الخاء ﴿الخاسرين﴾ (١) وعند الفاء ﴿الفجر﴾ ،وعند العين ﴿والعاديات﴾ ،وعند القاف ﴿القارعة﴾ ،وعند الياء ﴿وليتلطف﴾ وعند الميم ﴿فالموريات﴾ وعند الهاء ﴿والهدى﴾ .

وأما الشمسية أن يقع بعدها أن من غير هذه الأحرف وهي أربعة عشر حرفاً فأجمعها في أوائل كلمات : بيت فتح الله به فقلت تب ثم دم ذاكراً رباً زكي سبح شم صدق ضيف طوى ظلاله نصيراً مثال اللام عند التاء ﴿والتين﴾ وعند الثاء ﴿بالقول الثابت﴾ ،وعند الدال ﴿لهم عقبى الدار﴾ وعند الذال ﴿والذاريات﴾ ،وعند الراء: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ، وعند الزاي [ق/ ٢٩٧ ب] ﴿فالزاجرات﴾ ، وعند السين ﴿والسماء رفعها﴾، وعند الشين ﴿والشمس وضحاها﴾ وعند الصاد ﴿والصابرين﴾ وعند الضاد ﴿والضحى﴾ وعند الطاء ﴿والطور﴾ وعند الظاء ﴿والظالمين﴾ وعند اللام ﴿والليل إذا يغشى﴾ وعند النون ﴿والناشرات نشراً﴾ فهذه الأربعة عشر يجب إدغام اللام فيها ولام الفعل يجب إظهارها وهي الواقعة آخر الفعل الماضي كثيراً وربما وقعت في وسطه على قبة ،وفي آخر فعل الأمر كذلك .

مثال ما إذا وقعت في آخر الفعل الماضي ﴿جعلنا﴾، و﴿قلنا﴾ و﴿أرسلنا﴾ وشبه ذلك .

ومثال ما إذا وقعت في وسط الفعل الماضي ﴿التقى الجمعان﴾ ﴿فالتقمه الحوت﴾ ﴿وألحقنا بهم ذرياتهم﴾ وشبه ذلك .

ومثال الواقعة في آخر فعل الأمر ﴿قل نعم وأنتم داخرون﴾ والله أعلم .

---

(١) في ب : ﴿الخاشعين﴾ .

الباب السابع
في بيان الظاء من الضاد

وفي حروف تقع بعد الضاد والظاء .

ليعلم أن الظاء والضاد حرفان كثر إبدال أحدهما بالآخر خصوصاً إبدال الضاد ظاء عند الأعجام ومن شاكلهم فلما رأيت ذلك شاع وذاع وملأ الأسماع ورأيت أكثر المؤلفين ذكروه وفي غير مؤلف وضحوه وأظهروه رأيت أن أبين ذلك أشد بيان وأوضحه حسب الطاقة ليقرب [ق/ ٣٧٤ أ] فهمه على الإخوان فأقول وبالله التوفيق وأعوذ به من الخذلان : أول ما وقع من الظاءات في القرآن الكريم في قصة الكافرين والمنافقين في قوله تعالى : ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ إلى أن قال : ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ فهذا وكل ما كان مشتقاً من العظمة يقرأ بالظاء، ووقع منه في القرآن العظيم مائة موضع قوله تعالى :﴿وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾ وهو أول ما وقع في القرآن العظيم، ومن ذلك ما كان مشتقاً من الظلم ووقع منه في القرآن العظيم مائتان واثنان وثمانون موضعاً أولها قوله تعالى في البقرة ﴿فتكونا من الظالمين﴾، ومن ذلك ما وقع مشتقاً من النظر بمعنى الرؤية ويقرأ بالظاء ووقع منه في القرآن ستة وثمانون موضعاً أولها في البقرة ﴿وأنتم تنظرون﴾ أما قوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ بالقيامة ﴿ونضرة وسروراً﴾ بالإنشان و﴿نضرة النعيم﴾ بالتطفيف فإنه بالضاد لا بالظاء لأنه مشتق من النضارة وهي الحسن والإضاءة ومنه قوله ﷺ : «نضر الله امرئ سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها» .

ومن ذلك ما وقع مشتقاً من الظن ووقع منه في القرآن سبعة وستون موضعاً أولها قوله تعالى :﴿الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم﴾، ومن ذلك ما كان مشتقاً من الظل ووقع منه في القرآن اثنان وعشرون موضعاً أولها قوله

تعالى في البقرة : ﴿وظللنا عليكم الغمام﴾ ومنه الظلة ،ووقع منه في القرآن موضعان أولهما قوله تعالى في الأعراف ﴿كأنه ظلة﴾ ،وثانيهما قوله في الشعراء : ﴿يوم الظلة﴾ ، ومن ذلك ما كان مشتقاً من الوعظ بمعنى التخويف من عذاب الله والترغيب في ثوابه ووقع منه في القرآن تسعة مواضع أولها قوله تعالى فى البقرة ﴿وموعظة للمتقين﴾ وليس منه قوله تعالى : ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ بالحجر فإنه بالضاد وهو جمع عضة أي فرقة أي متفرقين فيه فقال بعضهم سحر، وقال بعضهم شعر ،وقال بعضهم كهانة، وآمن بعضهم ببعضه وكفر ببعضه .

ومن ذلك ما وقع مشتقاً من الإنظار وهو التأخير ووقع منه في القرآن اثنان وعشرون موضعاً أولها في البقرة قوله تعالى ﴿ولا هم ينظرون﴾ ،ومن ذلك ما وقع مشتقاً من الحفظ ووقع منه في القرآن اثنان [ق/ ٢٩٨ ب] وأربعون موضعاً أولها قوله تعالى في البقرة ﴿ولا يؤوده حفظهما﴾ ،ومن ذلك ما وقع مشتقاً من الغيظ ووقع منه في القرآن أحد عشر موضعاً أولها قوله تعالى في آل عمران ﴿عضوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾ ، وأما ما وقع بمعنى النقص فإنه بالضاد ووقع منه في القرآن موضعان أولهما قوله تعالى بهود ﴿وغيض الماء﴾ وثانيهما بالرعد وهو قوله تعالى ﴿وما تغيض الأرحام﴾ ، ومن ذلك ما كان مشتقاً من الكظم ووقع منه في القرآن ستة مواضع أولها قوله في آل عمران ﴿والكاظمين الغيظ﴾ ، ومن ذلك ما وقع مشتقاً من الغلاظة [ق/ ٣٧٥ أ] وهي الشدة ووقع منه في القرآن ثلاثة عشر موضعاً أولها قوله تعالى في آل عمران :﴿غليظ القلب﴾ ، ومن ذلك ما وقع مستقاً من الانتظار بمعنى الارتقاب ووقع منه في القرآن أربعة عشر موضعاً أولها قوله تعالى في الأنعام :﴿قل انتظروا إنا منتظرون)، ومن ذلك ما وقع مشتقاً من الظمأ بمعنى العطش ووقع منه في القرآن ثلاثة مواضع في قوله تعالى في براءة ﴿لا يصيبهم ظمأ﴾ وقوله تعالى في طه ﴿وأنك لا

تظمأ فيها ولا تضحى﴾ وقوله في النور: ﴿يحسبه الظمأن ماء﴾ ،ومن ذلك ما وقع مشتقاً من الظهار وأغفله الشمس بن الجزرى ووقع منه في القرآن ثلاثة مواضع أولها : ﴿تظاهرون منهن أمهاتكم﴾ بالأحزاب واثنان بالمجادلة ﴿يظاهرون منكم﴾ ﴿والذين يظاهرون من نسائهم﴾ ،وما وقع في هذا الباب بعد ما ذكر فإنه موضع أو اثنان فلا ألتزم غبه ترتيباً، أما ما وقع قبله من المواضع المتعددة فالتزمت الترتيب فيها لتسهل على طالبيها فمن ذلك :ظاء بالنحل والزخرف وبالنحل أيضاً ﴿يوم ظعنكم﴾ ومن ذلك ﴿وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ بالنور و﴿حين تظهرون﴾ بالروم ، ومن ذلك ﴿تحسبهم أيقاظاً﴾ بالكهف، ومن ذلك ﴿ظلت﴾ بطه و﴿ظلت﴾ بالشعراء وبها أيضاً﴿فنظل لها عاكفين﴾ ومن ذلك ﴿فظلوا فيه يعرجون﴾ [بالحجر] (١) وبالروم ﴿لظلوا من بعده يكفرون﴾ وبالواقعة ﴿فظلتم تفكهون﴾ ومن ذلك [﴿فيظللن﴾] (٢) بالشورى، ومن ذلك ﴿محظورا﴾ بالإسراء و﴿المحتظر﴾ بالقمر و﴿كنت فظاً﴾ بآل عمران وكل ما وقع من الحظ بمعنى النصيب كقوله تعالى في آل عمران ﴿يريد الله أن لا يجعل لهم حظاً في الآخرة﴾ يقرأ بالظاء، أما قوله تعالى ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ بالحاقة ﴿ولا يحضون على طعام المسكين﴾ بالفجر ﴿ولا يحض﴾ بالماعون فإن بالضاد، وقع الخلاف بين القراء في قوله تعالى :﴿وما هو على الغيب بظنين﴾ بالتموير فقرأه بن كثير وأبو عمرو والكسائى بالظاء بمعنى متهم وقرأه الباقون بالضاد بمعنى بخيل وقد جمع بعضهم ما وقع من الظاءات بالقرآن في أربعة أبيات فقال :

ظنت عظيمة حظها من لحظها ... فظللت أوقفها بكاظم غيظها
وظعنت أنظر فى الظلام وظلمه ... ظمأن انتظر الظهور لوعظها
عظمى وظهرى ثم ظفرى فى الظى ... لا ظاهرن بحظرها وبحفظها
لفظى شواظ أو كشمس ظهيره ... ظفر لذى غلظ القلوب وفظها

---

(١) فى أ : بالحج .
(٢) فى أ : فظللنا .

وإذا تلاقت الضاد مع الظاء فالمحافظة على النطق بهما من مخرجهما واجبة وذلك في قوله تعالى ﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾ بالفرقان ﴿أنقض ظهرك﴾ بألم نشرح ،وتجب المحافظة على النطق بالضاد إذا وقع بعدها طاء أو تاء كقوله تعالى ﴿فمن اضطر﴾ بالبقرة، ﴿فيما أفضتم﴾ بالنور، وإذا نطقت بها فاحذر من التحريك أو الإدغام ،وكذلك تجب المحافظة على النطق بالظاء وتفخيمها إذا وقع بعدها تاء من قوله تعالى ﴿أوعظت﴾ بالشعراء لئلا تقلب الظاء تاء، وكذلك يجب تقوية نالهاء وتصفيتها وتخليصها لئلا [ق/ ٢٩٩ ب] تشتبه بالهمزة المسهلة فإنها مهموسة رخوة واجتمع فيها صفات الضعف كلها وذلك في نحو ﴿جباههم﴾ و﴿وجوههم﴾ و﴿عليهم﴾ و﴿إليهم﴾ [ق/ ٣٧٦ أ] وغير ذلك .

تتمة : يجب تفخيم ما وقع من حروف الاستعلاء وتخصيص حروف الإطباق بأقوى التفخيم وترقيق ما عداها من الأحرف المستفلة إلا الراء إذا انفتحت أو انضمت ولام الجلالة إذدا انفتح ما قبلها أو انضم .

مثال حروف الاستعلاء الغير المطبقة ﴿خالدين﴾ و﴿الخاشعين﴾ و﴿قادرين﴾ و﴿الغارمين﴾ .

ومثال المطبقة المستعلية ﴿الصادقين﴾ ﴿ولا الضالين﴾ و﴿الطاهرين﴾ و﴿الظالمين﴾ وتقدمت الأمثلة فيما يتعلق بالراء المفتوحة والمضمومة ولام الجلالة التي انفتح ما قبلها وانضم، والله تعالى أعلم .

الباب الثامن
في بيان أحكام النون
الساكنة والتنوين والميم الساكنة

ليعلم أن بعض العلماء جعل للنون الساكنة والتنوين أحكاماً خمسة وبعضهم جعلها أربعة وبعضهم جعلها ثلاثة والأمر في ذلك سهل .

أما من جعلها خمسة فقال : هي إدغام بغنة وإدغام بلا غنة وإظهار وإقلاب وإخفاء .

ومن جعلها ثلاثة فعل كذلك وأسقط الإقلاب وأدخله في الإخفاء فعلى كلامه يكون الإخفاء معه قلب أو لا قلب معه، والأولى أن تعد خمسة تقريباً للمبتدئين وتسهيلاً عليهم وأنا أفعل ذلك فأقول: النون الساكنة والتنوين لهما عند حروف الهجاء خمسة أحكام إدغام بغنة وإدغام بلا غنة وإظهار وإقلاب وإخفاء، فيدغمان بغنة في أربعة أحرف وجمعها الشاطبي في لفظ : ينمو، وجمعها الشمس ابن الجزري في لفظة : يومن وجمعتها على ترتيب حروف التجهي في : منوي .

مثال النون الساكنة المدغمة في الميم ﴿من محيص﴾، وفي النون ﴿من نفس﴾ ،وفي الواو ﴿من واق﴾، وفي الياء ﴿من يعمل﴾ .

ومثال التنوين المدغم في الميم : ﴿في لوح محفوظ﴾، وفي النون : ﴿حطة نغفر لكم ﴾ ،وفي الواو : ﴿أيقاظاً وهم رقود﴾ ،وفي الباء: ﴿وبرق يجعلون﴾ وما وقع من وجود النون والياء أو النون والواو في كلمة واحدة لا يدغم والواقع من ذلك في القرآن أربعة ألفاظاً دنيا وبنيان وصنوان وقنوان، إذ لو أدغم لأشبه المضاعف كما عللوه به فإنه يوهم خلاف المراد من تلك الألفاظ ويخل بمعانيها ،واتفق العلماء على أن الغنة مع الياء والواو غنة

المدغم، ومع النون غنة المدغم فيه، واختلفوا مع الميم فذهب ابن كيسان إلى أنها غنة المدغم من النون والتنوين تـغليباً للأصالة، وذهب البـاقون إلى أنها غنة الميم كالنون ويدغمان بلا غنة في الراء واللام ويجـمعهما قولك «رل» ، مثـال النون الساكنة المدغـمة في الراء ﴿من ربك﴾ والمدغـمة فى اللام ﴿من لدنه﴾ ومثال التنوين المدغم في الراء ﴿غـفور رحيم﴾ ،وفي اللام : ﴿هدى للمتقين﴾ ولم تجمتع النون الساكنة مع حرف من الحرفين في كلمة من القرآن ويظهر ان عند ستة أحرف وجمعها الشاطبي في أوائل قوله : إلا هاج حكم عم خالية غفلا ،وجمعها بعضهم في قوله [ق/ ٣٧٧ أ] : إن هب حلم عاد خوفي غـادياً، وما فعله الشاطبـي ومن ذكر بعده موافق لتـرتيب المخارج ، وبعضهم جمـعها في قوله : أخي هاك علماً حازه غيـر حاسر، انظر إلى ما فعله ابن الجزرى في مـنظومته حيث قدم العين على الحـاء والغين على الخاء والناس على خلافـه ،وتقع النون الساكنة مع حـرف من الحروف [ق/ ٣٠٠ ب] الستة في كلمـة وفي كلمتين، مثال النون الساكنـة المظهرة من كلمة عند الهمـزة ﴿ينأون﴾ وعند الهاء ﴿ينهون﴾ وعند الحـاء :﴿وانحر﴾ وعند العين :﴿أنعمت﴾ وعند الخاء : ﴿المنخنقة﴾ وعند الغين ﴿ينغضون﴾.

ومثـال النون الواقعـة من كلمتين عند الهمـزة ﴿من آمن﴾ ، وعند اهلاء ﴿من هاجـر﴾ ، وعند الحـاء ﴿من حكيم﴾ ، وعنـد العين ﴿ من علم﴾ ، وعند الهاء ﴿من خير﴾ ، وعند الغين ﴿من غل﴾ .

ومثـال التنوين عند الهمـزة ولا يكون إلا من كلمتين عند الأحـرف كلها تارة أخـرى وعند الهـاء : ﴿جـرف هار﴾ وعند الحـاء : ﴿عليم حكيم﴾ ، وعند العين : ﴿سميع عليم﴾ ، وعند الخـاء : ﴿عليم خبير﴾ ، وعند الغين : ﴿عزيز غفور﴾ ، ويقلبان ميمًا مخفية بغنة عند الباء .

مثال النون السـاكنة ، وعند الباء من كلمة : ﴿أنبئـوني﴾ ، ومن كلمتين ﴿من بعدي﴾ ومثال التنوين عندها ﴿عليم بذات الصدور﴾ ويخفيان مع الغنة

أيضًا عند باقي الحروف ، وهى خمسة عشر حرفًا مجموعة في أوائل قولك: ضحكت زينب فأبدت ثناياها تركتنى سكرانًا دون شرابي طوقتني ظلمًا قلائد نل جرعتني جفونها كأس صابي .

مثال النون الساكنة من كلمة عند التاء : ﴿أنتم﴾ ، وعند الثاء : ﴿أنثى﴾ ، عند الجيم : ﴿فأنجيناه﴾ ، وعند الدال : ﴿أندادًا﴾ ، وعند الذال : ﴿منذر﴾ ، وعند الزاى : ﴿أنزل﴾ ، وعند ﴿منضود﴾ ، وعند الطاء ﴿ينطقون﴾ ، وعند الظاء : ﴿ينظرون﴾ ، وعند الفاء : ﴿ينفقون﴾ ، وعند القاف : ﴿ينقلبون﴾ ، وعند الكاف : ﴿يذكرون﴾ .

ومثال النون الساكنة عند التاء من كلمتين : ﴿من تكون﴾ ، وعن الثاء : ﴿من ثواب﴾ ، وعند الجيم : ﴿من جنات﴾ ، وعند الدال : ﴿من دون﴾ ، وعند الذال : ﴿من ذلك﴾ ، وعند الزاي : ﴿أفمن زين﴾ ، وعند السين : ﴿أن سيكون﴾ ، وعند الشين : ﴿من ذلك﴾ ، وعند الزاى : ﴿أفمن زين﴾ وعند السين : ﴿أن سيكون﴾ ، وعند الشين : ﴿من شفيع﴾ ، وعند الصاد: ﴿من صديق﴾ ، وعند الضاد : ﴿بمن ضل﴾ ، وعند الطاء : ﴿من طين﴾ ، وعن الطاء : ﴿من طين﴾ ، وعند الظاء : ﴿من ظهير﴾ وعند الفاء: ﴿من فوقهم﴾ ، وعند القاف : ﴿من قولهم﴾ ، وعند الكاف : ﴿من كل﴾ .

ومثال إخفاء التنوين عند التاء : ﴿جنات تجرى﴾ ، وعند الثاء : ﴿طفلا ثم﴾ ، وعند الجيم : ﴿صعيدًا جرزًا﴾ ، وعند الدال : ﴿عذابًا دون ذلك﴾ ، وعند الذال ﴿فى سلسلة ذرعها﴾ ، وعند الزاى : ﴿غلامًا زكيًا﴾ ، وعند السين : ﴿قولاً سديدًا﴾ ، وعند الشين : ﴿سبعًا شديدًا﴾ ، عند الصاد : ﴿جمالات صفر﴾ ، وعند الضاد : ﴿ذرية ضعافًا﴾ ، وعند الطاء : ﴿شرابًا طهورًا﴾ وعند الظاء : ﴿ظلاً ظليلاً﴾ وعند الفاء : ﴿خالدًا فيها﴾ ، وعند القاف : ﴿سميع قريب﴾ ، وعند الكاف : ﴿قرآن كريم﴾ .

تنبيه : معنى الإدغام [ق/ ٣٧٨ أ] في اللغة [الإدخال] [(١)] تقول : أدغمت اللجام في فم الفرس أي أدخلته.

وفي الاصطلاح : إيصال حرف ساكن بحرف متحرك بحيث يصيران كالحرف الواحد المشدد يرتفع اللسان عنهما ارتفاعاً واحداً .

والإظهار معناه في اللغة التبيين .

وفي الاصطلاح : إخراج كل حرف من مخرجه من غير غنة في المظهر.

والإخفاء معناه في اللغة الستر يقال : اختفى الرجل عن أعين الناس بمعنى استتر .

رفي الاصطلاح :النطق بحرف ساكن عار عن التشديد على صفة بين الإدغام والإظهار مع بقاء الغنة في الحرف المخفي وتدغم الميم الساكنة في ميم مثلها نحو : ﴿وهم من الساعة﴾ وتخفى عند الباء نحو: ﴿وهم بأمره يعلمون﴾ وتظهر عند باقي الحروف، واحذر أشد الحذر من إخفاءها عند الواو والفاء لخروج الميم، والواو والفاء من الشفتين، أو الشفة السفلى وطرف الثنايا العليا، وتثبت الغنة في الميم والنون المشددتين تحركتا بفتح أو بكسر أو بضم .

مثال [ق/ ٣٠١ ب] النون المشددة المفتوحة ﴿إنا﴾ والمكسورة ﴿إنى﴾ والمضمومة ﴿وذا النون﴾، ومثال الميم المشددة المفتوحة ﴿ثم﴾ والمكسورة ﴿المزمل﴾ ،والمضمومة : ﴿فأمه﴾ ،والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١)فى أ : الإدغام .

الباب التاسع
في بيان المد والقصر

ليعلم أن المد في اللغة الزيادة .

وفي الاصطلاح إطالة الصوت بحرف من حروف المد الآتي ذكرها .

والقصر معناه في اللغة الحبس، قال الله تعالى : ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ أي محبوسات فيها .

ويعرف القصر أيضاً في اللغة بالمنع يقال : قصرت فلاناً عن حاجته أي منعته عنها .

وفي الاصطلاح إثبات حرف المد من غير زيادة عليه .

ثم إن المد قسمان : أصلي وفرعي، فالأصلي : هو الذي لا تقوم ذات الحرف إلا به ويعرف به المد الطبيعي .

والفرعي : ما زاد على ذلك، ثم إن حروف المد ثلاثة الواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها،والألف الساكنة ولا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً واجتمعت الثلاثة بقيودها في قوله تعالى : ﴿نوحيها﴾، وللمد سببان همز أو سكون ، فإن جاء بعد حرف المد همز مد ذلك الحرف، أو سكون مد كذلك، وإن انتفى الأمران حرم المد إجماعاً ، فإذا مد لأجل همز انقسم إلى قسمين متصل ومنفصل ولكل من القسمين ضابط يميزه فضابط المتصل أن يأتي حرف المد والهمز في كلمة واحدة كقوله تعالى : ﴿ وإن جاءك ﴾ و﴿حتى تفيء ﴾ وضابط المنفصل أن يأتي حرف المد في آخر كلمة والهمز في أول أخرى كقوله تعالى : ﴿ قالوا آمنا ﴾ و﴿ يا بني إسرائيل ﴾ و﴿لا إله إلا الله﴾ .

وإذا كان سببه السكون انقسم إلى ثلاثة أقسام لازم كلمي، ولازم حرفي، وعارض ،ولكل من الأقسام ضابط يميزه فضابط الأول أن يأتي بعد حرف المد حرف مشدد نحو حرفي ﴿أتحاجوني﴾ ولم يأت في القرآن مثال للياء ويقال لهذا : مد لازم كلمي مثقل، فإن انتفى التشديد ووقع بعد حرف المد سكون سمي لازماً كلمياً مخففاً نحو ﴿الآن﴾ في موضعي يونس [ق/ ٣٧٩ أ]، و﴿محياي﴾ في قراءة نافع ونحو ﴿أأنذرتهم﴾ في قراءة ورش بالبدل في أحد وجهيه .

وضابط الثاني : كل حرف هجاؤه ثلاثة أحرف أوسطها حرف مد إلا بهذين القيدين فحرج بقولهم : هجاؤه ثلاثة أحرف ما إذا كان هجاؤه حرفين، وذلك في ستة أحرف الراء من أول يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر، والهاء من أول مريم وطه والنمل والشعراء والقصص، والحاء من أول الحواميم السبعة .

وخرج بقولهم : في وسطها حرف مد ما ليس في وسطه ذلك كألف من أول البقرة وشبهها وتجمع الأحرف الستة قولك : حى طاهر ، أما العين من أول مريم والشورى فحكى الشاطبي فيها المد والتوسط حكاهما الشمس بن الجزرى وزاد القصر وإنما خالفت غيرها من الأحرف لانفتاح ما قبل الياء أعطى خطا من المد ومن قصره نصر إلى أن الياء فمن مد نظر إلى أن ذلك الحرف يصدق عليه الضابط المذكور، ومن وسط نظر إلى أنه لما انحطت رتبته عن ما شابهه من الأحرف وذلك أن من فتح ما قبل الياء حرف لين لا مد لكونها لم يكن قبلها ما يجانسها فقصرها لذلك.

مثال ما استوفى القيدين المذكورين نحو :﴿الم﴾ و﴿نون والقلم﴾ على قراءة من أظهر وليس في القرآن غيره، والأصل في هذا القسم أن يكون

حرفياً مخففاً وقد يكون [ق/ ٣٠٢ ب] مثقلاً وذلك في اللام إذا وصلت بالميم، وفي السين إذا أدغمت في الميم من : ﴿طسم﴾ على قراءة غير حمزة، وفي النون من : ﴿يس والقرآن﴾ و﴿نون والقلم﴾ على قراءة من أدغم .

وضابط الثالث : ما عرض له السكون لأجل الوقف من نحو قوله تعالى: ﴿إن الله عزيز غفور﴾ ﴿الحمد لله﴾ ﴿وإياك نستعين﴾ فالمنفصل والعارض يجوز فيهما المد والقصر ويزيد العارض بالتوسط ،والمتصل والكلمى والحرفي المد فيهما واجب ويتفاوت المد في المتصل ولا يجوز قصره عن الألف ونصف ،أما المنفصل فيتفاوت المد فيه كذلك عند من قال به، وأما الكلمي والحرفي فالمد فيه بقدر ثلاثة ألفات، وحكى السخاوي أنه بقدر الغين وهو ضعيف .

تتمة : ذكر الناصر الطبلاوي أن المد اسم جنس تحته أنواع أنهاها بعضهم إلى ستة عشر نوعاً وعبر عنها بعضهم بالألقاب مد تمكين كـ ﴿أولئك﴾ ومد بنية كـ ﴿عليم﴾ ، ومد أصل كـ ﴿جاء﴾ ومد بسيط كـ ﴿يا آدم﴾ ،وهو المشهور بالمنفصل ،ومد عدل كـ ﴿تحاجونى﴾ في الله، ويسمى لازماً مثقلاً كلمياً ومد لازم كـ﴿ص﴾ ويسمى لازماً حرفياً ومد عارض في الوقف كـ ﴿الدار﴾ ومد فرق كـ ﴿الآن﴾ ومد روم كـ ﴿أنذرتهم﴾ عند من أدخل الفاء بين الهمزتين، ومد روم ﴿كها أنتم﴾ عند من سهل، ومد مبالغة كـ ﴿لا إله إلا الله﴾ عند من قصره في بعض طرفه، ومد تعظيم ﴿كالله﴾ ومد عوض كـ ﴿قال ربك﴾ عند من أدغم، ومد بذل كـ ﴿آمن﴾ ومد شبه بدل كـ ﴿يؤس﴾ ومد [ق/ ٣٨٠ أ] إمعان كـ ﴿هيئة﴾ في مذهب ورش .

تتمة : هذه الألقاب المذكورة لا تنافي تقسيم بعضهم المد إلى لازم وواجب وجائز فادرج في اللازم الكلمي والحرفي وجعل في الواجب المتصل

وحده وجعل فـي الجائز المنفصل والعارض وفـرضوا ذلك فرعياً وجـعلوا ما عدا ذلـك أصلياً وعنوا بالأصلى المد الطبـيعي الذي تقـدم ذكره وبالفـرعي اللازم والواجب والجائز ؛لأن هذه ألقاب لتلك المدود ولا يضر تعدد التلقيب لشي واحد ،والله سبحانه وتعالى أعلم .

الباب العاشر
في بيان الوقف والابتداء

ليعلم أن العلماء فرقوا بين الوقف والقطع السكت فالوقف في اللغة : الحبس يقال : وقفت الدابة وأوقفتها إذا حبستها من المشي.

وفي الاصطلاح : قطع الكلمة عما بعدها مع نية القراءة، والقطع في اللغة الإبانة والإزالة، تقول : قطعت الشجرة إذا أبنتها وأزلتها .

واصطلاحاً : الإعراض عن القراءة قصداً .

والسكت معناه في اللغة :المنع يقال : سكت الرجل عن الكلام أي امتنع منه .

وفي الاصطلاح : قطع الكلمة أو بعضها من غير تنفس بنية القراءة .

ثم إن الوقف ينقسم أربعة أقسام قسم لا يعمل به والثلاثة معمول بها، أما ما لا يعمل به فهو الوقف القبيح وما عدا ذلك يعمل به، وهي التام والكافي والحسن ولكل من الأربعة أمر يميزه، وذلك أن الوقف التام هو الذي لا يتعلق بما بعده لفظاً ولا معنى كأن تم الكلام على قصة تتعلق بالمؤمنين وانتقل القارئ إلى ما صح أن يتعلق بغيرهم من الكافرين أو المنافقين كقوله تعالى :﴿ وأولئك هو المفلحون﴾ فإن تمام الآيات المتعلقة بالمؤمنين، وإن تعلق الكلام بما بعده من جهة المعنى دون اللفظ فهو الكافي كقوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾ ، وإن تعلق الكلام بما بعده من جهة اللفظ دون المعنى فهو الحسن ،نحو قوله ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ .

وهذا الوقف أعني الحسن وإن وقف عليه في وسط الآية سن الابتداء بما قبله ويجوز الابتداء بما بعده ،وإن كان في آخر الآية جاز الابتداء بما بعده قولاً واحداً، فمثال [ق/٣٠٣ ب] ما كان في آخر الآية ما تقدم من الوقف علي ﴿العالمين﴾، ومثال ما إذا كان في وسط الآية ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ فسن أن يعيد القارئ من أول الآية، وإن تعلق الكلام بما بعده لفظاً ومعنى فهو القبيح كالوقف على بسم الله والحمد لله ،وقد يقبح الوقف على

واحد من الثلاثة المتقدمة من جهة بشاعة اللفظ نحو قوله تعالى : ﴿عزير ابن الله﴾ وقوله تعالى : ﴿ثالث ثلاثة﴾ ، وإن قصده القارئ لمعناه كفر، وإن تجرى الوقف عليه حرم وإلا كره وليس في القرآن وقف يجب الوقف عليه ويحرم على فاعله إلا ما كان مقصوداً لذلك القارئ ،وقد وقد يكون الابتداء قبيحاً كالابتداء بقوله تعالى :﴿إن الله ثالث ثلاثة﴾ [ق/ ٣٨١ أ] وقوله تعالى: ﴿ إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ ونحو ذلك ،وقد تجتمع الوقوف الثلاثة أعني التام والكافي والحسن في الوقف على ما كان واحداً باعتبارات مختلفة وذلك في نحو قوله تعالى ﴿هدى للمتقين﴾ ،فإن جعلت ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ مبتدأ كان الوقف تاماً هكذا قال بعضهم :وفيه نظر لا يخفى على المتأمل وجه النظر أن أفراد المتقين يدخلون في من يؤمن بالغيب ومن بعدهم، إن جعلته صفة للمتقين كان الوقف حسناً ، وإن جعلته خبراً لمبتدأ محذوف تقديره هم الذين كان الوقف كافيا .

تنبيه : قد يوجد الوقف التام في وسط الآية كقوله تعالى ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل﴾ فإن أخر الآية مصبحين ولا يتم الوقف إلا بقوله ﴿وبالليل﴾ فإن الآية مسوقة في قصة لوط وقومه وذلك أن الله تعالى لما أرسل إليهم لوطاً عليه السلام خالفوه فأهلكهم الله تعالى ثم أخبر الله تعالى عما يتعلق بأثارهم من القرى والمساكن، فقال تعالى : ﴿وإنكم لتمرون عليهم﴾ خطاباً لمحمد ﷺ وأمته ﴿مصبحين وبالليل﴾ أي ومليلين ،وقد يوجد الكافي أيضاً في وسط الآية كما لو وقف على قوله تعالى :﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ .

تتمات ثلاث :

الأولى : ذكر بعضهم من المفسرين وتبعهم من ألف في هذا الشأن أن الوقف مرتب على خمس مراتب : لازم مطلق وجائز مجوز ومرخص فاللازم ما لو وصل تغير المعنى المراد من ذلك اللفظ نحو قوله تعالى ﴿سبحانه أن يكون له ولد﴾ فالأولى للقارئ أن يقف على ولد ويبدأ بقوله تعالى ﴿له ما في السماوات وما في الأرض﴾ لأنه لو وصله أوهم أنه صفة لولد مع أنه منقطع عنه إذ لو كان متصلاً لأوهم أن من في السماوات إلى

آخره أولاد الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وهذا الذي قالوه في الوقف على ولد أولى وليس بواجب على ما تقدم ذكره، وأقول : لا يلزم المحذور إلا إذا وقف القارئ علي له وابتدأ بقوله تعالى ﴿ولد له ما في السماوات﴾ إلى آخره وإلا فلا يلزم المحذور الذى قيل به .

والمطلق ما يحسن الابتداء بما بعده وهو الذى يكون ما بعده مبتدأ كقوله تعالى : ﴿الله يبسط الرزق﴾ أو فعلاً مستأنفاً كقوله : ﴿سيقول السفهاء﴾ وقوله :﴿يعتذرون إليكم﴾ أو مصدر الفعل محذوف كقوله تعالى : ﴿وعداً عليه حقاً﴾ أي وعدناه وعداً، أو كان بعده شرط كقوله تعالى : ﴿من يشاء الله ﴾ أو استفهام مقدر كقوله تعالى : ﴿تريدون أن تصدونا﴾ أو نفي كقوله تعالى :﴿ما كان محمداً أبا أحد من رجالكم﴾ ، كقوله تعالى :﴿إن يريدون إلا فراراً﴾ أو جملة وقعت إن في ابتدائها كقوله تعالى : ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ .

والجائز يجوز [ق/ ٣٠٤ ب] للقارئ وصله وفصله كالوقف على قوله : ﴿ما كسبتم﴾ ﴿ويسفك الدماء﴾ ﴿نقدس لك﴾ والمجوز هو ما كانت دلالة الوصل معه أقوى من دلالة الوقف وإن جوز كلاهما كقوله تعالى ﴿أولئك الذين اشتروا الحياه الدنيا بالآخرة ﴾ فيجوز الوقف على الآخرة ويجوز الوصل بما بعده والوصل أولى فإن [ق/ ٣٨٢ أ] قوله تعالى :﴿فلا يخفف عنهم﴾ متضمن للجواب ولا تتم الفائدة إلا به .

والمرخص ما جاز الوقف عليه لضيق النفس وعبر عنه بعضهم بالوقف الاضطرارى وعبر عما تقدم في الأقسام الأربعة بالوقف الاختياري ومثل للاضطراري بالوقف على الشرط دون جوابه أو على الموصول دون الصلة ونحو ذلك والأولى فيه إعادة ما قبله .

التتمة الثانية :ذكر بعض العلماء عن مشايخه حديثاً أسنده عن رجال ثقات إلى النبي ﷺ أنه كان يقف على ستة عشر موضعاً ويحب الوقف عليها والابتداء بما بعدها .

أولها قوله ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ بالبقرة وبها وموضع ثان ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ وبآل عمران ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ وبالمائدة ﴿فأصبح

من النادمين﴾ وبها ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ وبها ﴿ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ وبيونس: ﴿أن أنذر الناس﴾ وبيوسف: ﴿قل هذه سبيلي ادعو إلى الله﴾ وبالرعد ﴿كذلك يضرب الله الأمثال﴾ وبالنحل والأنعام ﴿خلقها﴾ وبلقمان ﴿يا بني لا تشرك بالله﴾ وبالمؤمن ﴿إنهم أصحاب النار﴾، وبالنازعات ﴿ثم أدبر يسعى فحشر﴾ وبالقدر ﴿خير من ألف شهر﴾ وبها ﴿من كل أمر﴾ وبـ ﴿إذا جاء نصر الله﴾ ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره﴾.

وذكر أيضاً في القرآن ستة عشر موضعاً لا يجوز الوقف عليها [ورتب على من وقف عليها] (١) وعيداً شديداً وهو محمول علي من تعمد ذلك كما تقدم وذكر أنها تخفى على كثير من القراء، فقال في سورة البقرة: لا يجوز الوقف على قوله تعالى ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت﴾ حتى يقول ﴿وإسماعيل﴾ وفي سورة النساء لا يجوز الوقف على قوله تعالى ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ حتى يقول ﴿وإياكم أن اتقوا الله﴾ وفي سورة آل عمران لا يجوز الوقف على قوله تعالى ﴿قد افترينا على الله كذباً﴾ حتى يقول ﴿إنا عدنا في ملتكم بعد إذ أن نجانا الله منها﴾ وفي [الأنفال] (٢) لا يجوز الوقف على قوله تعالى: ﴿أولياؤه إلا المتقون﴾ ﴿ولكن أكثرهم لا يعملون﴾ وفي سورة الكهف لا يجوز الوقف على قوله تعالى: ﴿ولم يجعل له عوجاً﴾ حتى يقول ﴿قيماً﴾، وفي سورة الأنبياء لا يجوز الوقف على قوله تعالى: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ حتى يقول ﴿الحق فهم معرضون﴾ ،وفي سورة يس لا يجوز الوقف على قوله تعالى: ﴿مرقدنا هذا﴾ بل يقف على ﴿مرقدنا﴾ ويبتدئ ﴿هذا ما وعد الرحمن﴾ وفي سورة الصافات لا يجوز الوقف على قوله تعالى: ﴿لا يسمعون إلى الملأ الأعلى﴾ حتى يقول: ﴿ويقذفون من كل جانب دحوراً﴾، وفي سورة الرحمن لا يجوز الوقف على قوله تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾ حتى يقول: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾، وفي سورة الممتحنة لا يجوز الوقف على قوله تعالى: ﴿يخرجون الرسول﴾ حتى يقول: ﴿وإياكم

(١) سقط من أ.

(٢) في ب: الأنعام.

أن تؤمنوا بالله﴾ وفي سورة تبارك لا يجوز الوقف على قوله تعالى : ﴿قد جاءنا نذير﴾ حتى يقول ﴿فكذبنا﴾ وفي سورة سأل حرف في معنى [ق/ ٣٠٥ ب] الاستثناء لا يجوز الوقف على قوله تعالى : ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ حتى يقول [ق/ ٣٨٣ أ] : ﴿إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم وفي سورة التكوير لا يجوز الوقف على قوله تعالى : ﴿وما هو بقول شيطان رجيم﴾ حتى يقول ﴿فأين تذهبون﴾ وفي سورة التين لا يجوز الوقف على قوله تعالى : ﴿أسفل سافلين﴾ حتى يقول ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾، وفي سورة العصر لا يجوز الوقف على قوله تعالى : ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ حتى يقول ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وفي سورة أرأيت لا يجوز الوقف على قوله تعالى ﴿فويل للمصلين﴾ حتى يقول ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ .

التتمة [الثالثة] (١) : ذكر الإمام أبو حاتم السجستاني في كتاب الوقف أن واحداً من العلماء رأى واحداً من القراء فيما يرى النائم في قبة خضراء وعلى رأسه تاج من ياقوتة حمراء، قال : فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وتجاوز عني وألبسني حلة الكرامة وتوجني بتاج الوقار ، فقلت : بم؟ قال: بكوني كنت أقف في دار الدنيا حين القراءة على ثلاثة مواضع :

أولها : بآل عمران : ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ .

الثاني : بالنحل قوله تعالى :﴿إنما يعلمه بشر﴾ .

الثالث : بسورة غافر ﴿كذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار﴾ .

فظهر بهذا أن لمجود القرآن أجراً عظيماً وفضلاً جسيماً جعلنا الله وإياكم ممن جود فأحسن إنه جواد كريم والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) في أ : الثانية .

الباب الحادي عشر
في بيان هاء الضمير والبداءة بهمزة الوصل

ليعلم أن هذه الهاء عبر عنها البصريون بهاء الضمير والكوفيون بهاء الكناية وهي على أربعة أقسام وتلك إما أن يكون قبلها ساكن وبعدها ساكن نحو ﴿عليه الله﴾ وإما أن يقع قبلها متحرك وبعدها ساكن نحو ونعلمه الكتاب وإما أن يقع قبلها متحرك وبعدها متحرك نحو ﴿إنما يعلمه بشر﴾ وإما أن يقع قبلها ساكن وبعدها متحرك نحو ﴿فيه هدى للمتقين﴾ فالقسمان الأولان يجب فيهما القصر لجميع القراء، والقسم الثالث يجب فيه الإشباع للجميع، والقسم الرابع أشبعه ابن كثير وقصره الباقون تكميل ذكر بعض من كتب على مفصل الزمخشري عفا الله عنه أن هاء السكت وقعت في القرآن في سبع مواضع ﴿لم يتسنه﴾ في البقرة و﴿اقتده﴾ بالأنعام و﴿كتابيه﴾ و﴿حسابيه﴾ و﴿ماليه﴾ و﴿سلطانيه﴾ بالحاقة و﴿ماهية﴾ بالقارعة . . انتهى كلامه وما ذكره هذا البعض فهو على سبيل العد من غير تعرض للحكم وإذا أردت معرفة ما يتعلق بحكمها فاعلم أن القراء اتفقوا على إثبات هذه الهاء وقفاً في المواضع السبعة واختلفوا في إثباتها وحذفها في الوصل فحذفها حمزة والكسائي ويعقوب من قوله تعالى ﴿يتسنه﴾ و﴿اقتده﴾، وحذفها يعقوب من ﴿كتابيه﴾ و﴿حسابيه﴾ وحذفها حمزة ويعقوب من ﴿ماليه﴾ و﴿وسلطانيه﴾ و﴿ماهيه﴾ وأما البداءة بهمزة الوصل فتلك إما أن تكون في اسم أو فعل وتعرف همزة الوصل بأنها التي تسقط في الدرج وتثبت في الابتداء بخلاف همزة القطع فإنها تثبت في الدرج [ق/ ٣٨٤ أ] وفي الابتداء فإذا ابتدأ بهمزة الوصل فينظر إما أن تكون في اسم وإما أن تكون في فعل فإن كانت في اسم إما إن يكون الاسم معرفاً بالألف واللام [وإما أن يكون منكراً فإن كان معرفاً بالألف واللام] (١) نحو قوله تعالى ﴿الملك يومئذ لله﴾ فالبداءة فيها بالفتح، فإن لم تكن معرفة فإنها تقع في سبعة ألفاظ في القرآن، وهي : ابن وابنة وأمرؤ واثنين واثنتين وامرأة واسم فإذا ابتدأت

(١) سقط من أ .

[ق/ ٣٠٦ ب] في هذه كلهـا فابدأ بالكسر، وإن وقـعت في فعل فـإن كان ثالثه مكسوراً أو مفـتوحاً فابدأه بالكسر نحو قـوله تعالى : ﴿اذهب بكتابي﴾ ﴿اضرب بعصـاك﴾ ،وإن كان ثالثه مضمـوماً ضمة لازمة نحـو قوله تعالى : ﴿اتل ما أوحي إليك﴾ فـابدأه بالضم، وخرج بقـولهم ضمة لازمـة ما إذا كان مكسوراً في الأصـل وكانت ضمته عـارضة نحو قوله تعـالى ﴿امشوا﴾ فإنه يكسر نظراً لأصله . . انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم.

تنبيه : وقعت همزة القطع الداخلة على همزة الاستفهام المقدرة في سبعة مواضع خمسة متفق على قطعها واثنان مختلف فيهما .

أما الخمسة المتفق عليهـا فهي قوله تعالى : ﴿قل اتخذتم عند الله عهداً﴾ بالبقـرة، وقوله : ﴿اطلع الغيـب﴾ بمريم، وقوله تعالى : ﴿افـترى على الله كذباً﴾ سبأ، وقوله تعالى : ﴿استكبـرت﴾ بص، وقوله تعالى : ﴿استغفرت لهم﴾ بالمنافقين .

وأما المختلف فيهما، فقوله تعالى : ﴿اصطفى البنات﴾ بالصافات فوصلها أبو جعفـر وورش بخلاف عنه من طريقة الطيبة للشمس ابـن الجزرى رحمه الله تعالى وقطعها الجميع، وقوله تعـالى ﴿اتخذناهم سخرياً﴾ بص فوصلها أبو عمـرو وحمزة والكسـائي وقطعها البـاقون، أما التي ليس بعـدها همزة استفهام فكثيرة في القرآن ، والله أعلم .

الباب الثاني عشر
في بيان الوقف على أواخر الكلم

من روم وإشمام وغير ذلك .

ليعلم أن الأصل فى الوقف السكون، وجرت عادة العرب أنهم لا يبتدئون بساكن ولا يقفون على متحرك لأن الابتداء بالساكن متعذر أو متعسر، وهل الوقف بالسكون واجب شرعي؟ فعلى ما قاله شيخنا إذا ما وقف الشخص على المتحرك لا يحرم عليه وفي ذلك فسحة عظيمة ،وعلى كلام من عاصره يحرم الوقف على المتحرك ولا يخفى ما فيه من التضييق والمشقة .

ومعنى الواجب الشرعي : ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه .

ومعنى الواجب الصناعي ما يقبح على الفاعل ارتكابه عليه عند أهل ذلك الشأن من غير عقوبة عليه .

إذا عرفت ذلك فآخر الكلمة الموقوف عليها لا يخلو حال آخرها من أمرين وذلك إما أن يكون قبله حرف مد أو لا ، فإن وقع قبله حرف مد نحو قوله تعالى :﴿إن الله عزيز غفور﴾ ﴿إنا أنزلناه﴾ ﴿وإياك نستعين﴾ ففيه إن كان منصوباً أو مفتوحاً ثلاثة أوجه : ﴿ق/ ٣٨٥ أ] المد بقدر ثلاثة ألفات، والتوسط بقدر ألفين ،والقصر بقدر ألف .

وإن كان مجروراً أو مكسوراً ففيه ذلك ويزيد على ذلك بالروم على القصر وحكى شريح جريان الروم فى الثلاثة وهو ضعيف .

وإن كان مرفوعاً أو مضموماً ففيه الأربعة التي في المجرور ويزيد على ذلك الإشمام مع المد والتوسط والقصر، وإن لم يكن قبله حرف مد فإن كان منصوباً أو مفتوحاً ففيه السكون المجرد لا غير [نحو] (١) ﴿قدر﴾و﴿شكر﴾ و﴿الكوثر﴾ وإن كان مجروراً أو مكسوراً نحو قوله ﴿لقد جئت﴾ بمريم ﴿وإنا أنزلنا في ليلة القدر﴾ ففيه السكون المجرد والروم وإن كان مرفوعاً أو مضموماً نحو قوله تعالى : ﴿من قبل﴾ وقوله تعالى : ﴿هو الأبتر﴾ ففيه

---

(١) سقط من أ .

السكون المجرد والإشــمام الروم وعــرفه العلماء ـ أعني الــروم ـ بأنه الإتيان بثلث الحركــة ،وعوفوا الإشمــام بضم الشفتين مع فــرجة بينهمــا إشارة إلى الضمــة ونوع العلماء تلك الحــركات مع رفع وضم إلى آخر مــا تقدم لأجل الفرق بين حركات الإعراب والبناء وجعل سيبويه الروم [ق/٣٠٧ ب] جارياً في الحركات الثلاث، ومنعه علماء هذا الشأن في المفتوح والمنصوب .

واعلم أن هاء التأنيث كرحمة ونعمة، وعارض الشكل كقوله تعالى :﴿لم يكن الذين كفروا﴾ ،وميم الجـمع من نحو : عليهم وإليهم لم يدخله الروم والإشمام اتفــاقاً، واختلفوا في هاء الضــمير إذا انضم ما قبــلها أو انكسر أو كان قــبل ذلك الضميــر واو أو ياء فجوز الروم والإشــمام جمــاعة منعهــما آخرون .

مثال ما قبله ضم أو كسر ﴿يعلمه﴾ و﴿يأتيكم به﴾ ونحو ذلك .

ومثال ما قبله واو ﴿عقلوه﴾ و﴿شروه﴾ .

ومثال ما قبله ياء ﴿فيه و ﴿عليه﴾ والله أعلم .

تتمة : لعلم أن في القرآن سبعة عشر موضعاً لا يجوز تعمد الوقف عليها والابتداء بما بعدها وإن من اعــتقدها لمعناها حين الابتداء بما بعــدها كفر وإن كان في صلاة بطلت بالإجماع .

الأول : لا يجوز أن يقف على قــوله تعالى: ﴿فلما أضاءت مــا حوله﴾ ويبتدئ بقوله تعالى : ﴿ذهب الله بنورهم﴾ .

الثاني : أن يقف على قوله تعالى : ﴿فقــال لهم﴾ ويبتدئ بقوله تعالى: ﴿الله موتوا﴾ .

الثالث : أن يقف على قوله تعالى : ﴿ لقــد سمع الله قول الذين قالوا﴾ ثم يبتدئ بقوله تعالى : ﴿إن الله فقير﴾ .

الرابع : أن يقف على قوله :﴿ وقالت اليهود والنصارى﴾ ثم يبدئ بقوله تعالى : ﴿نحن أبناء الله﴾ .

الخــامس : أن يقف على قوله تعــالى :﴿فــبعث الله﴾ ثم يبــتدئ بقــوله ﴿غراباً﴾ ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وقالت اليهود﴾ ثم يبتدئ بقوله ﴿يد الله مغلولة﴾ .

السادس : أن يقف على قوله تعالى :﴿لقد كــفر الذين قالوا﴾ ثم يبتدئ

بقوله ﴿إن الله هو المسيح﴾ ومثله ﴿لقد كفر الذين قالوا ثم يبتدئ بقوله تعالى ﴿إن الله ثالث ثلاثة﴾ . . انتهى .

السابع : أن يقف على قوله تعالى [ق/ ٣٨٦ أ] : ﴿وما لنا﴾ ثم يبتدئ بقوله : ﴿لا نؤمن بالله ﴾ ومن ذلك : ﴿الذين قالوا﴾ ثم يبتدئ بقوله : ﴿إنا نصارى﴾ .

الثامن : أن يقف على قوله تعالى : ﴿وقالت اليهود﴾ ثم يبتدئ بقوله: ﴿عزير ابن الله﴾ ومثله : ﴿قالت النصارى﴾ ثم يبتدئ : قوله : ﴿المسيح ابن الله﴾ .

التاسع : أن يقف على قوله تعالى : ﴿ لفي ضلال مبين﴾ ثم يبتدئ بقوله تعالى : ﴿اقتلوا يوسف﴾ .

العاشر : أن يقف على قوله تعالى : ﴿وما أنتم بمصرخي﴾ ثم يبتدئ بقوله : ﴿إني كفرت﴾ .

الحادي عشر : أن يقف على قوله تعالى : ﴿لم يكن﴾ ثم يبتدئ بقوله تعالى : ﴿له شريك في الملك﴾ .

الثاني عشر : أن يقف على قوله تعالى : ﴿الذاكرين﴾ ثم يبتدئ بقوله تعالى : ﴿كثيراً﴾ .

الثالث عشر : أن يقف على قوله تعالى : ﴿وإنهم لكاذبون﴾ ثم يبتدئ بقوله تعالى : ﴿أصطفى البنات على البنين﴾ .

الرابع عشر : أن يقف على قوله تعالى : ﴿إلا من تولى وكفر فيعذبه﴾ ثم يبتدئ بقوله : ﴿الله العذاب الأكبر﴾ .

الخامس عشر : أن يقف على قوله تعالى : ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ ثم يبتدئ بقوله : ﴿إلا الذين آمنوا﴾ .

السادس عشر : أن يقف على قوله تعالى ﴿فويل للمصلين﴾ ثم يبتدئ بقوله تعالى ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ .

السابع عشر : أن يقف على قوله تعالى] (١) ﴿لا أعبد﴾ ثم يبتدئ بقوله تعالى : ﴿ما تعبدون﴾ والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) سقط من أ .

الباب الثالث عشر
في بيان حكم الوقف على بلى وكلا ونعم

ليعلم أن بلى وقعت في القرآن فى اثنين وعشرين موضعاً وأنها على ثلاثة أقسم قسم يختار الوقف عليه، وقسم يمتنع الوقف عليه، وقسم اختلف فيه فمنهم من جوز الوقف عليه ومنهم من منعه .

أما ما جاز الوقف عليه فعشرة مواضع منها ثلاثة في البقرة، قوله تعالى: ﴿أم تقولون على الله ما لا تعلمون بلى﴾ وقوله تعالى :﴿إن كنتم صادقين بلى﴾ وقوله تعالى :﴿أو لم تؤمن قال بلى﴾ ومنها واحد بآل عمران قوله تعالى :﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى ﴾ [ق/ ٣٠٨ ب] ومنها واحد بالأعراف قوله تعالى :﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾، ومنها موضعي النحل قوله تعالى :﴿ ما كنا نعمل من سوء بلى﴾، ومنها موضع يس قوله تعالى : ﴿بقادر على أن يخلق مثلهم بلى﴾ ،ومنها موضع بغافر قوله تعالى : ﴿أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى ﴾، ومنها أول حرفين بالأحقاف قوله تعالى ﴿بقادر على أن يحيي الموتى بلى﴾، ومنها موضع بالانشقاق قوله تعالى : ﴿إنه ظن أن لن يحور بلى ﴾.

وأما ما يمنع الوقف عليه فسبعة مواضع :

أولها بالأنعام قوله تعالى : ﴿قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا ﴾.

وثانيها: الثاني من النحل قوله تعالى : ﴿بلى وعداً عليه حقاً﴾ .

وثالثها بسبأ ﴿قل بلى ربي لتأتينكم ﴾ .

ورابعها بتنزيل في الأول منها قوله تعالى : ﴿بلى قد جاءتك آياتي﴾ .

وخامسها بالأحقاف في ثاني حرفيها في قوله تعالي : ﴿قالوا بلى وربنا﴾.

وسادسها بالتغابن في قوله تعالى :﴿قل بلى وربي لتبعثن﴾ [ق/ ٣٨٧ أ].

وسابعها بالقيامة قوله تعالى : ﴿بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾ فهذه السبعة أحرف منع الوقف عليها خلق كثير وجوز الوقف عليها جماعة

قليلون.

وأما ما اختلف فيه فخمسة أحرف :

الأول منها بآل عمران قوله تعالى :﴿ بثلاثة آلالف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا﴾ .

والثانى منها بتنزيل وقوله تعالى : ﴿ قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴾ والثالث منها بالزخرف قوله تعالى :﴿بلى ورسلنا لديهم يكتبون﴾ .

والرابع منها بالحديد قوله تعالى :﴿قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ .

الخامس منها بالملك قوله تعالى :﴿قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا﴾ هذه الخمسة مواضع منهم من جوز ومنهم من منع والأكثرون على المنع وفي جميع ما تقدم أقوال أصحها ما ذكرناه .

تتمة : الواقع من لفظ نعم في القرآن أربعة مواضع يوقف على واحد منها والثلاثة الباقية لا يوقف عليها ولا يبتدأ إلا بما قبلها، فأما الذي يوقف عليها فهو الأول من الأعراف قوله تعالى :﴿فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم﴾ والثلاثة التي لا يوقف عليها قوله تعالى :﴿قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين﴾ بالشعراء ،وقوله تعالى :﴿قل نعم وأنتم داخرون﴾ بالصافات ونظم بعضهم ما يجوز الوقف عليه في بلى وما لا يجوز وما فيه الخلاف وكذا ما وقع من لفظ نعم مما يجوز الوقف عليه وما لا يجوز ،فقال :

حروف بلى عشرون واثنان جاءت بخمس وعشر فى القرآن بسورة

ثلاثة أقسام أتى منع برئها ... بكل إذا لم تأت فى فتح آية

وقال إذا لم يتصل قسم بها ... أبو عمرو الدانى فقف بكفاية

فأولها عشر ويختار وقفها ... عليها لدى جمع من الناس جملة

فست بأعراف ونحل وغافر ... ويس وانشقت والأحقاف أثبت

وأربع زهراوين واثنان سبعة ... تغابن وأنعام سبأ مع قيامة

وفى النحل والأحقاف ثان وأول ... بتنزيل اصنع وقفها بصيرة

وثالثها فى زخرف ويديدها ... وملك وتنزيل وأخر كلمة

بزهــرا فـهــذا الخمس خلفـتم بها ومـختار مكى الوصـل فى الخمس
تمت وفى الكل أقوال سوى ما ذكرته وحسن جميع ليس يخفى بوصلة
نعم أربع قف بدا الأعراف وامتعن بغير لدى وقف وعند البداءة

وأمـا ما وقع في القـرآن العظيم من الألفاظ الـتي يهتم بشـأنها وينبـغى للطالب أن يتقيد بمعرفتـها ، قوله تعالى : ﴿ كلا﴾ وليس في النصف الأول منها شئ ،إنمـا وقعت في النصف الثانـي منه ، وجملة ما وقع مـنها ثلاثة وثلاثون موصوعا يوقف [ق/٣٠٩ب] على أربعة عـشر موضعا منها وليس الوقف على واحد منهـا واجب خلافا لما قـاله الشيخ عبـد المنعم بن غليون رحمه الله بل الوقف عليها مستحب كما تقدم

فأما المواضع التي يقف عليها من الأربعة عشر المذكورة قوله تعالى بمريم: ﴿ عند الرحمن عهـدا كلا ﴾ وبها أيضا ﴿ ليكونوا لهم عـزا كلا ﴾ وبسوره المؤمنون قوله تعـالى ﴿ لعلي أعمل صالحا فـيما تركت ﴾ وبسوره الـشعراء موضعان قوله تعالى وبها أيضا ﴿ ليكونوا لهم عزا كلا ﴾ ، وبسورة الشعراء موضعان قـوله تعالى ﴿ فأخاف أن يقتلون قال كـلا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إنا لمدركون قال كـلا ﴾ وبسورة سبأ: ﴿ ألحـقتم به شركاء كـلا﴾ وبسورة سأل موضـعان قوله تعـالى : ﴿ ثم ينجه كلا ﴾ [ق/٣٨٨أ] وقـوله تعالى : ﴿ جنة نعـيم كـلا ﴾ ، وبسـورة المدثر قولـه تعالى ﴿ أن أزيد كـلا ﴾ وقـوله تعالى: ﴿ منشرة كلا﴾ ، وبسورة عـبس موضع قوله تعالى : ﴿ فأنت عنه تلهى كلا ﴾ وبسورة التطفيف قوله تعالى : ﴿ قال أساطير الأولين كلا﴾ ، وبسورة الفجر قـوله تعالى : ﴿ فيقول ربي أهانن كـلا ﴾ ، وبسورة الهمزة قوله تعالى : ﴿ أيحسب أن ماله أخلده كلا﴾

وأما التي لا يـستحب الوقف عليـها وصـرح ابن غليون بعـدم الجواز بل صرح بتفكير من وقف عليهـا وقد عرفت منعه بما تقدم فتسعة عـشر موضعا بسورة المدثر موضعان قوله تعالـى : ﴿ كلا والقمر ﴾ وقوله تعالى : ﴿ كلا إنه تذكرة ﴾ وبسـورة القيامـة ثلاثة مواضع قوله تعـالى : ﴿ كلا لا وزر ﴾ وقوله تعالى ﴿ كـلا بل يحبون العاجلة ﴾ وقولـه تعالى : ﴿ كلا إذا بلغت التراقي ﴾ وبسورة الـنبأ موضعان قـوله تعالى : ﴿ كلا سيـعلمون ﴾ وقوله

تعالى : ﴿ ثم كلا سيعلمون ﴾ وبسورة عبس قوله تعالى : ﴿ كلا لما يقض ما أمره ﴾ بسورة الانفطار قوله تعالى : ﴿ كلا بل تكذبون بالدين ﴾ وبسور التطفيف ثلاثة مواضع قوله تعالى : ﴿ كلا إن كتاب الفجار لفي سجين ﴾ وقوله تعالى : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ وقوله تعالى : العلق ثلاثة مواضع قوله تعالى : ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى ﴾ وقوله تعالى ﴿ كلا لئن لم ينته ﴾ وقوله تعالى: ﴿ كلا لا تطعه ﴾ وبسورة التكاثر ثلاثة مواضع قوله تعالى : ﴿ كلا سوف تعلمون ﴾ وقوله تعالى :﴿ ثم كلا سوف تعلمون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ كلا لو تعلمون علم اليقين ﴾

وحكى بعضهم أنه لا يوقف إلا على أحد عشر موضعا فضعف على ثلاثة من الأربعة عشر المتقدمة وهي الواقعة بعد ﴿ قال ﴾ بالشعراء وقوله تعالى :﴿ فأنت عنه تلهى ﴾ بعبس وقد نظم العارف بالله تعالى القطب الرباني سيدي عبد العزيز الديريني ما يجوز الوقف عليه منها وما لا يجوز فقال :

كلا لها وجهان معنى الزجر … والردع فالوقف عليها يجري
وقيل بل جاءت بمعنى حقا … أثبت بها ما بعدها يلقى
وهي ثلاث وثلاثون اسمع … والكل في النصف الأخير فاتبع
وكلها في السور المكية … وقسمة القرى هي المرضية
والوقف عنده بإحدى عشر … إذ فيه [معنى الردع] [١] أقوى شهر
في مريم عبدا وعزا كلا … وصالحا فيما تركت تتلى
وشركاء في سبأ وفى سأل … بعد نعيم ثم ينجيه نزل
وأن أزيد ثم مع منشره … حرفان في مدثر ميسرة
ثم الأساطير لدى التطفيف … أهانني فى الفجر بالتخفيف
أخلده كلا فخذه جهرة … والابتداء في ثمان عشرة
أولها يا صاح كلا والقمر … وآخر السورة حرف قد ظهر

(١) في أ: مع الزجر .

وتحتها ثلاثة في السورة وفي النبأ أولها مشهورة
عنه تلهى ثم شاء أنشره وركبك كلا لدى المنفطرة
ثلاثة في سورة التطفيف غير الذي قدمت بالتعريف
والفجر حرف بعد حباً جماً وبعد اقرأ في ثلاث عما
وأول في سورة التكاثر وثالث فيها بغير زاجر
وأربع لا تبتدئ ولا تقف وهي بمعنى هذه كما عرف
حرفان ثم قبلها ففي النبأ والثاني في تكاثر قد وجبا (ق/ ٣٨٩أ]
واثنان قال قبلها فى الشعراء صل قبلها وبعدها مرا
وللقتيب الوقف فيها مطلقا وقال معنى الردع فيها أطلقا
وقيل معنى الكل حقا يكفي وقال ابن الأنبار بغير خلف
وعن [أبى] (١) حاتم المسددي يقول معناها إلا وتبتدى

الباب الرابع عشر
في بيان من أمر بكتابة المصاحف ، ومن كتبها ، وعدة المصاحف التى كتبت

ليعلم أن القرآن لم يجمع في عهد رسول الله ﷺ في مصحف واحد وإنما كانوا يكتبون ما نزل على الأكناف والعسيب واللخاف فلما قبض رسول الله ﷺ وأفضت النوبة أبي بكر رضي الله عنه قاتله أهل اليمامة وكان مسيلمة الكذاب لعنه الله عندهم وكانوا يقتدون بقوله وكان جبارا عنيدا وكان قصير القامة كبير البطن رقيق الساقين [ق/ ٣١٠ب] ضيق ما بين المنكبين جاحظ العينين طويل الوجه قليل شعر اللحية أفطس الأنف أصفر لون الوجه ادعى النبوة وكان يرسل إلى رسول الله ﷺ من يسمع القرآن خفية ويأتيه بذلك فيقول لمن عنده هذا أنزل علي فيستحسنون ذلك منه ويعتقدون فيه إلى أن فشا القرأن وظهر فخذله الله تعالى وكان يرسل إلى النبي ﷺ في بعض كتبه يقول من مسيلمة رسول الله إلى محمد بن عبد الله اعلم أني قد

(١) فى أ : ابن

أشركت معك في أمر النبوة فاجعل الأمر بيني وبينك ، فارسل النبي ﷺ مع عمرو بن أمية الضمري يقول من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب أما بعد . السلام على من اتبع الهدى وخشى عواقب الردى وأطاع الله ورسوله فأسلم [تسلم] (١) وارجع عما أنت عليه يكون لك ما لنا وعليك ما علينا . انتهى كتاب رسول الله ﷺ بالمعنى فلما وصل إليه الكتاب لم يأب عن كذبه وازداد في طغيانه وعتوه وصار يأتي بهذيان ، وقال لجماعة : سوف أعمل لكم قرآنا وذلك من خرافاته وجنونه من كلامه الكثيف الذي نشأ عن عقل سخيف أنه قال : عملت الليلة سورة من القرآن وهي والطاحنات طحنا والزارعات زرعا إلى آخر ما قاله لعنه الله ، ومما قيل عنه أنه أتى بسورة يزعم أنها تضاهي سورة الفيل فقال : الفيل ما الفيل له ناب طويل وبطن كالزنبيل طغوا فأتاهم الطوب وكان عليهم يوم معطوب

وذكر غير هذا مما لا نطول بذكره ، ثم إن الصديق رضي الله عنه أرسل له خالد بن الوليد والبراء بن مالك وجماعة كثيرين من الصحابة فقاتلوه قتالا شديدا حتى كاد المسلمون أن ينهزموا فكر عليه البراء بن عازب وضايقه مضايقة شديدة فهرب هو ومن معه في حديقة هناك وأغلقوا بابها فحمل البراء بن مالك على درقته وألقى عليهم الحديقة ، فقاتلهم قتالا شديداً وفتح الباب للمسلمين فدخلوا عليه ، فقتلوه ومن معه وقتل [ق/ ٣٩٠أ] فى تلك الغزوة ممن كان يحفظون القرآن سبعمائة فجئ إلى أبي بكر رضي الله عنه وقيل له : يا خليفة رسول الله قد علمت ما نزل [بالمسلمين] (٢) وقتل القراء فاكتب القرآن لئلا يضيع أمره فإنك ترى ما حل بأهله وكان ممن سأله في ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : كيف أفعل شيئاً لم يأمرنا رسول الله ﷺ بفيه بشيء ، فقال عمر : والله إنه خير فأطعنى في ذلك فلم يزل به حتى شرح الله صدره لذلك ، فأرسل إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه، وأمره بالكتابة ، فقال له ما قال أبو بكر وامتنع من ذلك فلم يزل به الصديق حتى شرح الله صدره لذلك فقال : والله لو كلفوني بنقل الجبال لكان أسهل علي من كتابة حرف من كتاب الله عز وجل لم

---

١) سقط من أ

٢) في أ : من المسلمين

يأمرني رسـول الله ﷺ فيه بشيء ، ثم شرع في الكتـابة بعد أن استحـضر الأكتاف والعسـيب واللخاف فما زال يكتبه بنصح واجـتهاد إلى أن جاء إلى سورة براءة ففقد آخرها ففـتش عليها فوجدها عند خزيمة بن ثابت رضي الله تعالى عنه ، ثم لم يزل يكتب حتى جـاء إلى سورة الأحزاب قال رضي الله تعالى عنه : فقدت آية كـنت أحفظها وأسمعها من رسـول الله ﷺ ففتشت عليهـا فوجدتهـا عند خزيمة المذكـور رضي الله تعالى عنه [ق/٣١١ب] ، وهو قـوله تعـالى : ﴿ من المؤمـنين رجـال ﴾ إلى آخـر الآية ، ثم لم يزل يكتب حتى تمم القرآن في أوراق مجـتمعة ولم يجعلها مصـحفا على ما هو المشهور الآن .

تنبيـه : اللخاف بكسر اللام وفتح الخاء المعـجمة بعدها ألف في آخرها فالحجارة الرقيقة واحدها لخف .

والعسب بضم الـعين والسين المهملتين جمع عـسيب اسم جـدور الجريد وهي القحف المشهورة الآن ، وقـيل : إنها اسم لمطلق الجريد فلما أنهى زيد مكث عند الصديق إلى أن حضره مـرض الموت فسلم المصحف إلى الفاروق رضي الله عنه فلم يزل [عنده إلى أن مات فأخذتهم أم المؤمنين حفصة بنت عمـر رضى الله تعـالى عنها فلم تزل إلى أن وقـعت غزوة أرمنيـة فى نوبة عثمان رضى الله تعالى عنه فاختلف الناس فى القرآن اختلافا كثيرا وهموا أن يقتتلوا بسبب ذلك فـجاء حذيفة بن اليمان رضي الله تعـالى عنه إلى عثمان وقال : يا أمير المؤمنـين أدرك القرآن لئلا يختلف الناس فيه اخـتلاف اليهود والنصارى فقد وقعوا بسبب الإخـتلاف فى أمر عظيم واعتزل الناس بعضهم بعضاً فـاكتبه بمصحف صـدره يرجع الناس إليه ، فلم يزل] (١) حـذيـفـة بعثمان رضي الله تعالى عنهما حتى شرح الله صدره إلى ذلك فأرسل عثمان إلى حفـصة وسألها في الصـحف ليكتب منها مصحـفا ، ثم يعيدها إلـيها فأرسلت بهـا إليه فاستـحضر زيد بن ثابت ومعـه جماعة من قـريش ، قيل إنهم سبـعة ، وقيل : ثمـانية ، وحكي ابن جبـارة في شرحه لرائيـة الإمام الشاطبي أنهم خمسة ولم أره لغيره ، أمـا السبعة فهم زيد بن ثابت وعبدالله

(١) سقط من أ .

ابن الزبير وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبان بن سعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث ، وعلى قولهم بأنهم ثمانية فزيد على ذلك مجمع بن حارثة والذي حكاه بن جبارة أنهم : زيد بن ثابت المتقدم وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الله بن هشام وأبي بن كعب انتهى ما ذكره ابن جبارة ،

وقد ذكر في روايته أبيا وسعيد بن العاص مع أن المذكور في كلام غيره ولده أبان ولم يذكر في كلام غيره أبي وذكر في روايته عبد الله بن هشام مع أن المذكور في كلام غيره أنه عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فأنظره مع كلام غيره فإنه فيه صعوبة لا تخفي اللهم إلا أن يكون اختلافا بحسب الرواية ، ثم إن عثمان رضي الله عنه قال للصحابة الذين تقدم ذكرهم : اكتبوا و إذا اختلفتم في شيء فراجعوني فيه ، فاختلفوا في قوله تعالى : ﴿أن أقذفيه في التابوت﴾ فقال بعضهم : نكتبه بالتاء المجرورة وخالف بعضهم، وقال : نكتبه بالتاء المربوطة ، فراجعوا عثمان في ذلك ، فقال : اكتبوه بالتاء المجرورة فإنها لغة قريش ، فكتبوا كما أمرهم فلما فرغوا من الكتابة راجعوا عثمان رضي الله تعالى عنه فأمرهم أن يكتبوا مصاحف متعددة وإنما أمرهم بذلك لأجل أن يرسل كل مصحف إلى مصر [ق/ ٣١٢ب] من الأمصار وفعل ذلك لعموم نفع المسلمين .

تنبيه : كتابة المصاحف التي كتبها الصحابة كانت بغير شكل ونقط وإنما فعلوا ذلك لتحتمل الكلمة الغيبة والخطاب والتذكير والتأنيث والاسم والفعل وغير ذلك فتكون كل قراءة جارية على رسم المصحف إذ لو ضبط [على وجه] (١) واحد لتوهم الخطأ في القراءة المتواترة واختلفوا في عدها فقيل : إنها أربعة وهو الذي اتفق عليه أكثر العلماء وقيل : إنها خمسة ، وقيل : إنها سبعة ، وقيل : إنها ثمانية .

أما كونها أربعة فقيل أبقى مصحفا في المدينة وأرسل مصحفا إلى الشام ومصحفا إلى الكوفة ومصحفا إلى البصرة .

وأما كونها خمسة فالأربعة المتقدم ذكرها والخامس أرسله إلى مكة .

---

(١) في ب : بوجه .

وأما كونها سبعة ، فالخمسة المتقدمة والسادس أرسله إلى البحرين والسابع أرسله إلى اليمن . وأماكونها ثمانية فالسبعة المتقدمة والثامن كان لعثمان لخاصة نفسه يقرأ فيه وهو الذي قتل وهو بين يديه حال القراءة ووقع أكثر الدم على سورة براءة ، وقيل على قوله تعالى : ﴿ فسيكفيكم الله وهو السميع العليم ﴾ وما قيل [أن] (١) بمصر في الجامع الأزهر مصحفا فهو قول ضعيف لم يصح ولم يثبت ، ولما قيل عثمان رضي الله تعالى عنه أخذ ذلك المصحف الذي كان يقرأ فيه وتغيب ولم يقع أحد على خبر صحيح فيه .

روى هذا القول ـ أعني القول بتغييب المصحف عن مالك رحمه الله ـ

وروى عن أبي عبيد القاسم بن سلام رضي الله تعالى عنه قال : رأيت مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه وأبصرت الدم عليه ببعض خزائن الملوك، ورد ما قاله أبو عبيد العلامة أبو جعفر بن النحاس واستشهد بقول مالك المتقدم قبل : قول أبو عبيد .

قال شيخنا رحمه الله تعالى [ق/ ٣٩٢أ] عن الشمس بن [الجزرى] (٢) أنه قال : ذهبت إلى المدرسة الفاضيلة لما سمعت أن مصحف عثمان بها ففتشت فأخرج لي فنظرت إلى قوله تعالى : ﴿ ولات حين مناص ﴾ فوجدت ولات [منقطعة عن] (٣) حين ، ثم إن المدرسة المذكورة خربت ولم يبق فيها شيء من الكتب بل صارت موقفا للحمير وهي بموضع يعرف بدرب الملوخية وكل هذه أقوال سبقت على سبيل الظن لا القطع إذ تقدم أن المصحف لم يقع له على خبر صحيح ،والصحيح أن عثمان لم يكتب في المصاحف بيده حوفا واحداً وإنما أمر الصحابة المتقدمين ذكراً بالكتابة فلا يشكل عليك ذلك . . انتهى .

تتمة : قال مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه يكتب القرآن على الرسم الأول الذي رسمه عليه الصحابة ولا يكتب على ما أحدث الناس الأن يشير

---

(١) أ: أنما .

(٢) فى أ: الجوزى .

(٣) فى أ : منقوطة .

إلى زمنه الذي كان فيه .

وروى عنه أن محل هذا في غير الصبيان في المكاتب فيستثنوا على كلامه، وإنما كتب لهم بالشكل والنقط ليعرفوا ضبط القرآن فيحترزوا عن اللحن فيه .

فعلى قول مالك يحرم الكتابة على رسم المصحف ، واعتمد جماعة من العلماء جواز كتابة المصحف بالشكل والنقط لأنه أضبط للفظه واختلفوا فيمن شكل المصحف ونقطه ، فقيل : إنه أبو الأسود الدؤلي واسمه ظالم ابن عمرو ، وقيل إنه نضير بن عاصم وهو الذى خمس القرآن وعشر ، وقيل : يحيى بن يعمر وفعل ذلك بأمر بن سيرين ، وقيل غير ذلك والله أعلم [ق/ ٣١٣ب] بالصواب وإليه المرجع والمآب .

وهذا آخر ما أردنا جمعه من كتاب « إرشاد الرحمن لأسباب النزول والنسخ المتشابة وتجويد القرآن » غفر الله لنا ولمن حملنا على جمعه ولسائر الإخوان إنه واسع الجود والغفران والحمد لله على الإتمام وصلى الله [وسلم] (١) على رسوله الأعظم سيد الأنام سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الكرام .

قال جامعه حفظه الله : تم تبيضه في يوم الاثنين لثمان مضت من شعبان ألف ومائة وست وسبعين من هجرة سيد المرسلين ﷺ وعلى آله وصحبه [وسلم] (٢) أجمعين .

وهذا [آخر] ما تيسر جمعه للعلامة الحبر الهمام الشيخ عطيه الأجهوري أملاها بفمه وقراءة عليه وكان سببا لتأليفها الواقف لها غفر الله له (٣) ولمؤلفها ولقارئها إنه سميع قريب [يجيب الدعوات] (٤) الكتاب بعون الله

(١) زيادة من ب .
(٢) ريادة من أ .
(٣) سقط من ب .
(٤) سقط من ب .

الملك الوهاب] على يد كاتبـه الفقير عـبد الرحمن الصـفتى بلدا ، المالكى مذهبا غفر الله له ولوالديه في يوم الأحد في ثمانية وعشرين خلت من شهر ذي القعدة الذي هو من شهور سنة ١١٩١ بعد الهـجرة النبويه على صاحبها أفضل الصلاة والسلام والله تعالى أعلم .

والحمد لله رب العالمين (١) .

* * *

(١) في ب فرغت من شهـور ربيع الآخر سنة ١١٧٧ ألف ومائة وسبع وسبعين من هجـرة سيد المرسلين ﷺ ، عبده الضعـيف الحاج مصطفى ساكنها تكتة سـلطان محمود من تلاميذ الوهبى غـفر الله لهما ذنوبهما ولجميع المسلمين. أمين .

الفهارس العامة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة الأعراف

سورة يوسف

سورة الرعد

سورة إبراهيم

سورة الحجر

سورة النحل

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طه

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة العنكبوت

سورة ص

سورة الزمر

سورة المجادلة

سورة الحشر

سورة الممتحنة

سورة الصف

سورة الجمعة

سورة المنافقون

سورة المزمل

سورة المزمل

سورة المدثر

سورة القيامة

سورة الانسان

سورة المرسلات

سورة النبأ

سورة النازعات

سورة عبس

سورة التكوير

سورة الانفطار

سورة المطففين

سورة الانشقاق

سورة العلق

فهرس الأحاديث

فهرس الكتب
الواردة في المتن

فهرس الكتب

فهرس المذاهب والفرق والقبائل

فهرس القبائل والفرق والأديان

فهرس الشعر

فهرس الشعر

فهرس الأماكن

الأماكن

فهرس الموضوعات

الفهرس

الموضوع	الصفحة